الاحتجاج



الاحتجاج

تأليف

أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي
من علماء القرن السادس

تعليقات وملاحظات
السيد محمد باقر الموسوي الخرسان

الجزء الأول

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - مؤسسة أهل البيت "ع"
بيروت - لبنان

الطبعة المحققة الممتـــازة
جميع الحقوق على هذه الطبعة المزدانـــة
بالتعاليق القيمة محفوظـــة للنـــــاشرين
١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

بقلم: العلامة الجليل السيد محمّد بحر العلوم

بين يدي القراء الكرام كتاب جليل، يعتبر من المصادر القيمة في موضوعه ومؤلف هذا الكتاب هو:

أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، أبو منصور. وتكاد تجمع المصادر على هذا القدر من اسمه ونسبه، الا ابن شهر اشوب فقد ذكره على الوجه التالي «احمد بن أبي طالب»[١].

وحذا حذوه الشيخ المجلسي عند ذكره كتاب الإحتجاج، وأعتقد أنّ الشيخ يوسف البحراني حاول توجيه رأي ابن شهر اشوب بقوله: «وقد يعبر عنه بابن احمد بن أبي طالب الطبرسي، والظاهر أنه من باب الإختصار في النسب فلا يتوهم التعدد»[٢].

ولم تحدد لنا المصادر سنة ولادته، كما لم تحدد لنا سنة وفاته، غير أنّ الحجة الثبت شيخنا المحقق أغا بزرك الطهراني يستنتج سنة وفاته من معاصريه وتلامذته ويعده ممن أدركوا أوائل القرن السادس الهجري، بدليل أنه أُستاذ رشيد الدين محمّد بن علي بن شهر اشوب الذي توفي سنة ٥٨٨ هـ عن مائة سنة إلا عشرة أشهر فهو من أهل الخامسة الذين أدركوا اوائل السادسة أيضاً[٣].

ويتجه لغير هذا الرأي كل من عمر رضا كحالة[٤]، واسماعيل باشا[٥] ويعتقدان بأنه توفي في حدود سنة ٦٢٠ هـ.

ولقد روى مترجمنا عن جماعة، منهم أبو جعفر مهدي بن الحسن بن أبي حرب الحسيني المرعشي[٦].

وروى عنه رشيد الدين محمّد بن علي بن شهر اشوب، الذي صرح بذلك في كتابه[٧] بقوله: «شيخي احمد بن أبي طالب».

---

(١) معالم العلماء: ٢٥.

(٢) كشكول البحراني: ٣٠١ - ١.

(٣) الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٢٨١ - ١.

(٤) معجم المؤلفين ١٠ - ٣.

(٥) ايضاح المكنون ذيل كشف الظنون: ٣١ - ١.

(٦) مهدي بن الحسن بن أبي الحرب المرعشي، عده المحقق الوحيد من أجلاء الطائفة، ومن مشائخ الاجازة من مشايخ الطبرسي، وقد وصف بالعالم العابد العادل الموثق، يروي عن الشيخ الصدوق أبي عبد الله جعفر بن محمد بن احمد الدوريستي عن أبيه عن الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي. راجع (رجال المامقاني: ٢٦١ / ٣، وكشكول البحراني: ٣٠١ / ١).

(٧) معالم العلماء: ٢٥.

وكان موضع اعتماد الشهيد في شرح الإرشاد، فكثيراً ما نقل فتاواه وأقواله[١]

وذكره أعلام المترجمين بكل ما يدل على مكانته العلمية، فقد أثنى عليه السيد ابن طاووس، ووصفه الحر العاملي بأنه «عالم فقيه فاضل، محدث، ثقة» وتحدث عنه الشيخ يوسف البحراني بقوله: «الفاضل، العالم، المعروف، كان من أجل العلماء، ومشاهير الفضلاء»[٢] واعتبره الخونساري في كتابه: «من اجلاء اصحابنا المتقدمين»[٣] واورد ترجمته عمر رضا كحالة فوصفه بأنه: «فقيه مؤرخ»[٤]

ومن هذه الفقرات المعدودة نستطيع ان نعرف مكانة مترجمنا العلمية ومدى الثقة التي كان يتسم بها.

ودللت المصادر المترجمة له بأنه مؤلف قدير، له عدة كتب، فالى جانب كتاب (الإحتجاج) الذي نحن بصدده خلف الكتب التالية: وهي:

١- الكافي في الفقه، او (الكافي من فقه الشيعة).

٢- تاريخ الأئمة (ع).

٣- فضل الزهراء عليها السلام.

وهذه الكتب وإن لم نعثر عليها فقد أورد ذكرها كل من ابن شهر اشوب والشيخ عباس القمي، والسيد محسن الأمين العاملي، وعمر رضا كحالة، واسماعيل باشا[٥].

٤- مفاخرة الطالبية.

وقد ذكر هذا الكتاب كل من ابن شهر اشوب، والسيد الأمين العاملي[٦].

٥- كتاب الصلاة.

وانفرد بذكر هذا الكتاب ابن شهر اشوب[٧].

٦- تاج المواليد.

وانفرد بذكر هذا الكتاب السيد محسن الأمين العاملي[٨] وقال: « ينقل عنه السيد النسابة احمد بن محمّد بن المهنا بن علي بن المهنا العبيدلي المعاصر للعلامة الحلي في كتابه « تذكرة النسب » ولكن الشيخ احمد بن أبي ظبية البحراني في كتابه « عقد اللآل في مناقب النبي والآل » نسبه الى أمين الإسلام أبي علي

---

(١) كشكول البحراني: ٣٠٢ - ١، واعيان الشيعة: ٩٩ - ٩.
(٢) كشكول البحراني: ٣٠١ - ٣٠٢ - ١.
(٣) روضات الجنات: ١٩ - ١.
(٤) معجم المؤلفين: ١٠ - ٢.
(٥) راجع: معالم العلماء: ٢٥، والكنى والالقاب: ٤٠٤ - ٢، واعيان الشيعة ١٠٠ - ٩ ومعجم المؤلفين ١٠ - ٢ وايضاح المكنون: ٢١٣ - ١ و ١٦٦ و ٢٥٩ - ٢.
(٦) معالم العلماء: ٢٥، واعيان الشيعة: ١٠٠ - ٩.
(٧) معالم العلماء: ٢٥.
(٨) اعيان الشيعة: ١٠٠ - ٩.

فضل بن الحسن الطبرسي صاحب التفسير . فقد وقع اشتباه في نسبة الكتاب المذكور اما من العبيدلي ، أو البحراني ، وكونه من العبيدلي القريب من زمن المؤلف بعيد » .

ولقد وقع نظير هذا الإشتباه الذي يشير اليه المرحوم السيد الأمين اشتباه آخر في كتاب الإحتجاج نفسه .

فقد نسب بعض المؤلفين كتاب الإحتجاج الى أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، صاحب تفسير مجمع البيان .

وفي صدد إثبات هذا الكتاب لأبي منصور احمد بن أبي طالب الطبرسي قال الشيخ يوسف البحراني : «ويظهر من كتاب المجلي لابن ابي جمهور الإحسائي أنّ كتاب الإحتجاج للشيخ أبي الفضل الطبرسي . قال في أول البحار بعد نسبة كتاب الإحتجاج لأحمد بن أبي طالب : وينسب هذا الكتاب الى أبي علي الطبرسي وهو خطأ ، بل هو تأليف أبي منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، كما صرح به السيد ابن طاووس في كتاب كشف المحجة»[1] .

وقال الخونساري : «وقد غلط صاحب الغوالي ، والمحدث الاسترابادي غلطاً فاحشاً يبعد عن مثلهما غاية البعد في نسبة (كتاب الاحتجاج) الى الشيخ ابي علي الطبرسي صاحب التفسير، مع ان بينهما بونا بعيداً ، وتصريح جمهور الاصحاب واسنادهم عنه واليه على خلاف ذلك جداً»[2] .

وقطع السيد الامين بالاشتباه ، واضاف بان صاحب رياض العلماء قال : قد توهم بعضهم بان الاحتجاج لصاحب مجمع البيان ابي علي الفضل الطبرسي ، وهو توهم فاسد»[3].

وأكد البحراني على صحة نسبة هذا الكتاب لابي منصور احمد بن علي الطبرسي ، ونقل عنه السيد الامين عن اللؤلؤة قوله : «غلط جملة من متأخري اصحابنا في نسبة كتاب الاحتجاج الى أبي علي الطبرسي»[4] .

وادرج كل من الحجة الشيخ اغا بزرك الطهراني ، واسماعيل باشا ، وعمر رضا كحالة اسم هذا الكتاب في قائمة مؤلفات أبي منصور الطبرسي[5] .

ولعل الاشتباه الذي نشأ مرجعه الى اشتراكهما في لقب واحد ، وعصر واحد كما صرح بذلك الشيخ البحراني بقوله : «وان كان عصرهما متحداً ، وهما شيخا ابن شهر اشوب واستاذاه وظني ان بينهما قرابة»[6] .

واذا كنا ونحن في صدد التفريق بين هاتين الشخصيتين لاشتراكهما في لقب واحد فمن الجدير ان نذكر أن عدداً من اعلام الشيعة يشتركون في هذه النسبة أيضاً وهم :

١ ـ ابو منصور ، احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي والمعروف بصاحب كتاب (الاحتجاج) وهو الذي نحن بصدد الحديث عنه .

---

(١) الكشكول : ٣٠١ ـ ١ .
(٢) روضات الجنات : ١٩ ـ ١ .
(٣) اعيان الشيعة : ١٠٠ ـ ٩ .
(٤) الكشكول ٣٠١ ـ ١ واعيان الشيعة : ١٠٠ ـ ٩ .
(٥) الذريعة : ٢٨١ ـ ١ ومقدمة تفسير التبيان هـ ـ ١ ومعجم المؤلفين : ١٠ ـ ٢ وايضاح المكنون : ٣١ ـ ١ .
(٦) الكشكول : ٣٠١ ـ ١ ، واعيان الشيعة : ١٠٠ ـ ٩ .

٢ـ ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، صاحب (تفسير مجمع البيان) المتوفى سنة ٥٤٨هـ .

٣ـ ابو نصر ، الحسن بن الفضل بن الحسن رضي الدين ، صاحب كتاب (مكارم الاخلاق) وقد وصفته المصادر بأنه : كان فاضلا فقيها، محدثاً جليلا .

٤ـ ابو الفضل ، علي بن الحسن بن الفضل بن الحسن ، صاحب كتاب (مشكاة الانوار) الذي ألفه تتميماً لكتاب والده مكارم الاخلاق[١] .

٥ـ ابو علي محمّد بن الفضل الطبرسي . هكذا ذكره الحر العاملي ووصفه بأنه «كان عالماً صالحاً عابداً يروي ابن شهر اشوب عنه عن تلامذة الشيخ الطوسي»[٢].

٦ـ الشيخ حسن بن علي بن محمّد بن علي بن الحسن الطبرسي ، المعاصر للخواجة نصير الدين الطوسي[٣] .

٧ـ الحاج ميرزا حسين بن العلامة محمّد تقي النوري الطبرسي صاحب كتاب (مستدرك الوسائل) المتوفى عام ١٣٢٠ .

وهناك عدد آخر ولكننا اخترنا المشهورين منهم .

والطبرسي : نسبة الى طبرستان، وهي التي تعرف بمازندران بل قد يقال : طبرستان على جميع تلك البلاد، حتى يشمل استراباد، وجرجان ونحوها وهي واقعة على طرف بحر الخزر، وتعرف ببحيرة طبرستان .

وطبر : بالفارسية الفاس ، وهي من كثرة اشتباك اشجارها لا يسلك فيها الجيش إلا بعد ان يقطع بالطبر الأشجار من بين ايديهم .

وآستان : الناحية بالفارسي ، فسميت طبرستان، أي ناحية الطبر .

ونقل عن صاحب تاريخ قم المعاصر لابن العميد : ان طبر معرب ، وهي ناحية معروفة بحوالي قم ، وان الطبرسي (احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي) وسائر العلماء المعروفين قد كانوا اهل هذه الناحية[٤] .

والكتاب الذي نحن بصدده ، يعتبر من المصادر المحترمة في بابه ، ولعلنا نستطيع من خلال الفقرات التي سنوردها ـ والتي تتضمن آراء الاعلام فيه ـ نلمس مدى اهميته، ووزنه العلمي .

قال البحراني : «قال المجلسي في اول البحار انه قال في الفصل الثاني : وكتاب الاحتجاج وان كان اكثر اخباره مراسيل لكنه من الكتب المعروفة وقد اثنى السيد ابن طاووس على الكتاب وقد اخذ عنه اكثر المتأخرين»[٥] .

وقال الخونساري : و«كتاب الاحتجاج معتبر معروف بين الطائفة مشتمل على كل ما اطّلع عليه من احتجاجات النبي والأئمة، بل كثير من أصحابهم الامجاد مع جملة من الاشقياء المخالفين»[٦] .

---

(١) راجع تراجم هؤلاء المذكورين في الكنى والالقاب ٤٠٩ ـ ٢ .
(٢) امل الآمل : مادة محمد .
(٣) اعيان الشيعة ٩٨ ـ ٩ .
(٤) كشكول البحراني ٣٠٢ و٣٠٣ ـ ١ واعيان الشيعة : ٩٧ و ٩٨ ـ ٩ .
(٥) الكشكول : ٣٠١ ـ ١ .
(٦) روضات الجنات : ١٩ ـ ١ .

وقال الشيخ أغا بزرك الطهراني : وفي الكتاب «احتجاجات النبي (ص) والأئمة (ع) وبعض الصحابة، وبعض العلماء، وبعض الذرية الطاهرة، واكثر أحاديثه مراسيل الاما رواه عن تفسير العسكري عليه السلام، كما صرح به في أوله بعد الخطبة، فهو من الكتب المعتبرة التي اعتمد عليها العلماء الأعلام : كالعلامة المجلسي، والمحدث الحر، واضرابهما»[1].

ومن خلال هذه الفقرات نستفيد بان الكتاب بمجموعه موضع اعتماد الأعلام والباحثين، بالرغم من ان أكثر احاديثه مراسيل، الا ان الثقة الكبيرة التي يتمتع بها مؤلف الكتاب، زرعت في نفوس المؤلفين الاعتماد عليه، والنقل عنه دون تمحيص وتحقيق، وتدقيق في اسناد الاخبار والأحاديث.

اما البواعث التي دعت المؤلف لتأليف هذا الكتاب، فقد حدثنا الطبرسي نفسه عنها، فقال :

«ثم ان الذي دعاني الى تأليف هذا الكتاب عدول جماعة من الأصحاب من طريق الحجاج جداً، وعن سبيل الجدال وان كان حقاً وقولهم : «ان النبي (ص) والأئمة (ع) لم يجادلوا قط، ولا استعملوه، ولا للشيعة فيه اجازة، بل نهوهم عنه وعابوه» فرأيت عمل كتاب يحتوي على ذكر جمل من محاوراتهم في الفروع والاصول مع اهل الخلاف، وذوي الفضول، قد جادلوا فيها بالحق من الكلام وبلغوا غاية كل مرام وانهم (ع) انما نهوا عن ذلك الضعفاء والمساكين من اهل القصور عن بيان الدين، دون المبرزين في الاحتجاج الغالبين لأهل اللجاج فانهم كانوا مأمورين من قبلهم بمقاومة الخصوم، ومداولة الكلوم فعلت بذلك منازلهم وارتفعت درجاتهم وانتشرت فضائلهم»[2].

اذاً فالمؤلف اندفع الى تأليف هذا الكتاب بدافع العقيدة لينير للمتخبطين بطريق الغواية، نور الهداية والخير، ويبسط ما وسعه المجال عن جميع ما يتعلق بالنبي (ص) وآل بيته (ع) واتباعهم، وليكشف لذوي اللجاج مدى المكانة العالية، والمقام السامي، التي تتمتع بها هذه الصفوة.

اما منهج الطبرسي في تأليف كتابه الاحتجاج، فقد اوضحه لنا نفسه في مقدمة كتابه المذكور، يقول :

«وانا ابتدىء في صدر الكتاب بفصل ينطوي على ذكر آيات من القرآن التي امر الله تعالى بذلك انبياءه بمحاجة ذوي العدوان، ويشتمل ايضاً على عدة اخبار في فضل الذابين عن دين الله القويم، وصراطه المستقيم بالحجج القاهرة والبراهين الباهرة، ثم نشرع في ذكر طرف من مجادلات النبي (ص) والأئمة (ع)، وربما يأتي في أثناء كلامهم كلام جماعة من الشيعة، حيث تقتضي الحال ذكره ولا نأتي في اكثر ما نورده من الاخبار باسناده اما لوجود الاجماع عليه او موافقته لما دلت العقول اليه، او لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤالف، الا ما اوردته عن ابي محمّد الحسن العسكري (ع) فانه ليس في الاشتهار على حد ما سواه وان كان مشتملا على مثل الذي قدمناه، فلأجل ذلك ذكرت اسناده في أول جزء من ذلك دون غيره لأن جميع ما رويت عنه (ع) انما رويته باسناد واحد من جملة الاخبار التي ذكرها (ع) في تفسيره»[3].

ولقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات في ايران والنجف غير ان هذه الطبعة التي بين ايدينا قد تميزت عن

---

(١) الذريعة : ٢٨١ ـ ١ .	(٢) الاحتجاج : ٤	(٣) الاحتجاج : ٤ .

سابقتها بمميزات هامة؛

أولاـ من حيث التعليق والفهرسة:

فقد تصدى الاخ الفاضل السيد محمّد باقر الخرسان لتحقيقها والتعليق عليها وترجمة الاعلام الواردة فيها، وشرح الكلمات اللغوية ووضع فهارس لها بالاضافة الى تقسيمها جزئين. الامر الذي دل على قابلية الاخ الخرسان في مضمار التحقيق والتعليق والجهد الذي صرفه في هذا الكتاب والذي يبشر عن مستقبل زاهر يبعث بالامل والتقدير واني ارجو مخلصاً له ذلك.

ثانياًـ من حيث الاخراج والطباعة:

وفي هذا المضمار اقدر للأخ إخراج هذا الكتاب بهذه الحلة القشيبة والطباعة الانيقة والتي يتجلى فيها كل مظاهر الخدمة الصادقة والاخلاص العميق في ابراز هذه الكتب بصورة تتناسب وهذا العصر الذي تقدمت فيه كل الامور الى الاحسن.

وفي الختام ادعو الله عز وجل ان يوفق المعلق الناشر لخدمة الدين الاسلامي ويأخذ بيده الى ما يصبو اليه من الجزاء الاوفر من محمّد (ص) وعلي وانجاله الغر الميامين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهو المسدد للصواب.

النجف الاشرف في ١٣٨٥/١٢/١٨ — محمّد السيد علي بحر العلوم.

الاحتجاج

تأليف

أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

من علماء القرن السادس



بسم الله الرّحمن الرحيم

الحمد لله المتعالي عن صفات المخلوقين، المنزه عن نعوت الناعتين، المبرأ مما لا يليق بوحدانيته، المرتفع عن الزوال والفناء بوجوب إلهيته، الذي استعبد الخلائق بحمد ما تواتر عليهم من نعمائه، وترادف لديهم من حسن بلائه، وتتابع من أياديه وعواطفه، وتفاقم من مواهبه وعوارفه، جم عن الإحصاء عددها، وفاق عن الإحاطة بها مددها، وخرست ألسن الناطقين بالشكر عليها عن أداء ما وجب من حقها لديها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يثقل بها ميزان العارفين، وتبيض بها وجوههم يوم الدين، وأشهد أنّ محمداً عبده المصطفى، ورسوله المجتبى، خاتم الرسل والأنبياء، وسيد الخلائق كلهم والأصفياء، وأنّ وصيه علي بن أبي طالب (ع) خير وصي وخير إمام ولي. وأنّ عترته الطاهرة خير العتر، الأئمة الهادية الاثنا عشر، أمناء الله في بلاده، وحججه على عباده، بهم تمت علينا نعمته، وعلت كلمته، اختارهم للبرية إظهاراً للطفه وحكمته، وإنارة لاعلام عدله ورحمته، فانزاحت بهم علة العبيد، وزهق باطل كل مستكبر عنيد، بأن عصمهم من الذنوب وبرأهم من العيوب، حفظاً منه للشرائع والأحكام، وسياسة لهم وهيبة لأهل المعاصي والآثام، وزجراً عن التغاشم والتكالب، وردعاً عن التظالم والتواثب، وتأديباً بهم لأهل العتوّ والعدوان، ورفعاً لما تدعو اليه دواعي الشيطان. ولم يمهلهم سدى بلا حجة فيهم معصوم، إما ظاهر مشهور أو غائب مكتوم، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الحجة، ولا يلتبس عليهم في دينه المحجة، ولم يجعل اليهم اختياره، لعلمه بأنهم لا يعلمون أسراره، ولأنه عز وجل متعالٍ عن فعل شيء لا يجوز عليه: مثل تكليف ما لا يهتدي العباد اليه، وقد نزه نفسه عن أن يشرك به احداً في الاختيار حيث قال: **﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾**. القصص/٦٨.

ثم ان الذي دعاني الى تأليف هذا الكتاب: عدول جماعة من الأصحاب، عن طريق الحجاج جداً، وعن سبيل الجدال وان كان حقاً، وقولهم: «إنَّ النبي (ص) والأئمة (ع) لم يجادلوا قط، ولا استعملوه ولا للشيعة فيه إجازة، بل نهوهم عنه وعابوه» فرأيت عمل كتاب يحتوي على ذكر جمل من محاوراتهم في الفروع والأصول، مع أهل الخلاف وذوي الفضول، قد جادلوا فيها بالحق من الكلام، وبلغوا غاية كل مرام.

وإنَّهم (ع) انما نهوا عن ذلك الضعفاء والمساكين من أهل القصور عن بيان الدين، دون المبرزين في الاحتجاج الغالبين لأهل اللجاج، فإنَّهم كانوا مأمورين من قبلهم بمقاومة الخصوم، ومداواة الكلوم[1]، فعَلَت بذلك منازلهم، وارتفعت درجاتهم وانتشرت فضائلهم.

---

(١) الكلوم: جمع كلم ـ بفتح فسكون ـ وهو الجرح.

وانا أبتدىء في صدر الكتاب بفصل ينطوي على ذكر آيات من القرآن التي أمر الله تعالى بذلك أنبياءه بمحاجَّة ذوي العدوان، ويشتمل أيضاً: على عدة أخبار في فضل الذابين عن دين الله القويم وصراطه المستقيم، بالحجج القاهرة والبراهين الباهرة.

ثم نشرع في ذكر طرف من مجادلات النبي والأئمة عليه وعليهم السلام، وربما يأتي في أثناء كلامهم كلام جماعة من الشيعة حيث تقتضي الحال ذكره، ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار باسناده: اما لوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلّت العقول اليه، أو لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤالف، الا ما أوردته عن أبي محمّد الحسن العسكري (ع)، فإنَّه ليس في الإشتهار على حدّ ما سواه، وإن كان مشتملاً على مثل الذي قدمناه، فلأجل ذلك ذكرت أسناده في أول جزء من ذلك دون غيره، لأنَّ جميع ما رويت عنه (ص) إنَّما رويته باسناد واحد من جملة الأخبار التي ذكرها (ع) في تفسيره.

والله المستعان فيما قصدناه وهو حسبي ونعم الوكيل.



فصـــل

في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتي هي أحسن وفضل أهله

قال الله تبارك وتعالى- في كتابه مخاطباً لنبيه (ص): ﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل/١٢٥.

وقال عز من قائل: ﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت/٤٦.

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حاجَّ إِبْراهِيمَ﴾ الآية البقرة/٢٥٨.

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم (ع) أيضاً لما احتج على عبدة الكوكب المعروف بالزهرة، وعبدة الشمس والقمر جميعاً: بزوالها، وانتقالها، وطلوعها، وأفولها، وعلى حدوثها، وإثبات محدث لها، وفاطر إيَّاها، ﴿وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ الى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلىٰ قَوْمِهِ﴾ الأنعام/٧٥-٨٣، وغير ذلك من الآيات التي فيها الأمر بالإحتجاج، وسيأتي ذكر شرحها في مواضعها إنشاء الله تعالى.

ورُوي عن النبيّ (ص) أنّه قال: «نحن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبيّاً».

وأما الأخبار في فضل العلماء فهي أكثر من أن تُعدَّ أو تحصى، لكنّا نذكر طرفاً منها:

فمن ذلك ما حدَّثني به السيد العالم العابد أبو جعفر مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي[1] رضي الله عنه قال: حدثني الشيخ الصدوق أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن أحمد الدوريستي[2] رحمة الله عليه قال: حدثني أبي

---

(١) السيد أبو جعفر مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي عالم عابد، يروي عنه الطبرسي صاحب الإحتجاج بحق روايته عن أبيه عن الصدوق محمد بن علي بن بابويه ويروي هو عن جعفر بن محمد ... العبسي الدوريستي. أعيان الشيعة ٤٨ - ١٢١.

(٢) ابو عبد الله جعفر بن محمد بن احمد بن العباس الدوريستي الرازي من أكابر علماء الامامية، من بيت العلم والفضل، كثير الرواية، كان مشهوراً في جميع الفنون معظماً في الغاية عند نظام الملك الوزير. والدوريستي نسبة إلى دوريست قرية من قرى الري يقال لها الآن (درشت) الكنى والألقاب ٢ - ٤٠٨.

محمّد بن أحمد[١] قال: حدثني الشيخ السعيد أبوجعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي[٢] رحمه الله، قال: حدثني أبو الحسن محمّد بن القاسم المفسر الإسترابادي[٣] قال: حدثني أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد وأبو الحسن علي بن محمّد بن سيار[٤] - وكانا من الشيعة الإمامية - قالا:

حدثنا أبو محمّد الحسن بن علي العسكري (ع) . قال: حدثني أبي عن آبائه (ع) عن رسول الله (ص) أنّه قال: أشد من يتم اليتيم الذي انقطع عن أُمِّه وأبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه، ولا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلَّمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى[٥].

وبهذا الإسناد عن أبي محمّد الحسن العسكري (ع) قال: قال علي بن أبي طالب (ع): «من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به[٦]، جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور يضيء لجميع أهل العرصات، وحلة لا تقوَّم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي مناد: «يا عباد الله هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمّد، ألا فمن أخرجه في الدنيا من حيرة جهله فليتشبَّث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزهة الجنان» فيخرج كلّ من كان علَّمه في الدنيا خيراً، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلاً، أو أوضح له عن شبهة».

وبهذا الإسناد عن أبي محمّد الحسن بن عليٍّ العسكري (ع) قال: قال الحسين بن علي[٧]: «فضل كافل يتيم آل محمّد - المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل[٨]: يخرجه من جهله، ويوضح له ما اشتبه عليه - على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه، كفضل الشمس على السها.

وبهذا الإسناد عن أبي محمّد الحسن بن علي العسكري قال: قال الحسين بن علي (ع): «من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محبتنا باستتارنا، فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتّى أرشده وهداه، قال الله عزَّ وجل: أيها العبد الكريم المواسي لأخيه أنا أولى بالكرم منك، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كلِّ حرف علَّمه ألف ألف

---

(١) أبو جعفر محمد بن احمد بن العباس الدوريستي من ولد حذيفة بن اليمان العيسي الصحابي، يروي عن الصدوق ويروي عنه ولده جعفر بن محمد أعيان الشيعة ٤٣ - ٢٦٦.

(٢) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، شيخ الحفظة رئيس المحدثين ولد بدعاء مولانا صاحب الأمر عليه السلام، له نحو من ثلاثمائة مصنف ورد بغداد سنة ٣٥٥ وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن، مات بالري سنة ٣٨١ الكنى والألقاب ١ - ٢١٢.

(٣) محمد بن القاسم الاسترابادي المفسر، الرواي لتفسير الامام العسكري عليه السلام، شيخ ابن بابويه، روى عنه كثيراً في الفقيه والتوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام، وترضى عنه وترحم عليه شرح مشيخة الفقيه ص ١٠٠.

(٤) ابو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد وابو الحسن علي بن محمد بن سيار قال الامام العسكري عليه السلام لوالديهما: «خلفا على ولديكما لأفيدهما العلم الذي يشرفهما الله تعالى به»، ومن هذا الكلام يظهر عظيم منزلتهما وثقتهما بعكس ما رماهما بعضهم بالضعف لأنَّ من علمه الإمام علماً يشرفه الله تعالى به لا يعقل كونه غير عدل. تنقيح المقال ٢ - ٣٠٥.

(٥) الرفيق: جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين. وفي بعض النسخ «الرفيع الأعلى».

(٦) حبوناه: أعطيناه بلا عوض.

(٧) في بعض النسخ «الحسن بن علي».

(٨) الناشب: الواقع فيما لا مخلص منه.

قصر، وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعيم».

وبهذا الإسناد عنه (ع) قال: قال محمّد بن علي الباقر عليهما السلام: «العالم كمن معه شمعة تضيء للناس، فكلّ من أبصر بشمعته دعا بخير، كذلك العالم، معه شمعة تزيل ظلمة الجهل والحيرة، فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل، فهو من عتقائه من النار، والله يعوّضه عن ذلك بكل شعرة لمن أعتقه ما هو أفضل له من الصدقة بمائة ألف قنطار[1] على الوجه الذي أمر الله عزّ وجل به، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها لكن يعطيه الله ما هو أفضل من مائة ألف ركعة يصلّيها من بين يدي الكعبة.

وبهذا الإسناد عنه (ع) قال: قال جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام: «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعوهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنّواصب؛ ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرّة، لأنّه يدفع عن أديان محبّينا، وذلك يدفع عن أبدانهم.

وعنه (ع) بالإسناد المتقدم قال: قال موسى بن جعفر عليهما السلام: فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنّا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من ألف[2] عابد، لأنّ العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فلذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عابدة.

وعنه (ع) قال: قال علي بن موسى الرضا عليهما السلام: «يقال للعابد يوم القيامة: نعم الرجل كنت، همتك ذات نفسك، وكفيت مؤنتك فادخل الجنة، ألا إنّ الفقيه من أفاض على الناس خيره وأنقذهم من أعدائهم ووفّر عليهم نعم جنان الله تعالى وحصّل لهم رضوان الله تعالى؛ ويقال للفقيه: يا أيّها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبّيهم ومواليهم قف حتّى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلّم منك؛ فيقف فيدخل الجنة معه فئاماً وفئاماً وفئاماً[3] - حتى قال عشراً - وهم الذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمن أخذ عنه وعمن أخذ عمن أخذ عنه إلى يوم القيامة. فانظروا كم صرف ما بين المنزلتين»[4].

وعنه (ع) قال: قال محمد بن علي الجواد (ع): «من تكفّل بأيتام آل محمّد المنقطعين عن إمامهم، المتحيّرين في جهلهم، الأسارى في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين برد وساوسهم، وقهر الناصبين بحجج ربّهم ودلائل أئمتهم، ليحفظوا عهد الله على العباد بأفضل الموانع، بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش والكرسي والحجب على السماء، وفضلهم على العباد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء.

---

(١) القنطار: قيل هو ألف ومائتا أوقية، وقيل مائة وعشرون رطلاً، وقيل هو ملء مسك ثور ذهباً، وقيل: ليس له وزن عند العرب، وفسر القنطار من الحسنات في حديث مذكور في معاني الأخبار وغيره بألف ومائتي أوقية وأوقية، أعظم من جبل أُحد.

(٢) في بعض النسخ «ألف ألف عابد».

(٣) الفئام: الجماعة الكثيرة من الناس، وقد فسر في بعض الأحاديث بمائة الف.

(٤) الصرف: الفصل، يقال «لهذا صرف على هذا» أي فضل.

وعنه (ع) قال: قال علي بن محمّد (ع): «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم (ع) من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنّهم الذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، اولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجل».

وعنه (ع) قال: «يأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبينا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم، على رأس كل واحد منهم تاج بهاء قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة، فشعاع تيجانهم ينبث فيها كلها فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه ومن ظلمة الجهل علّموه ومن حيرة التيه أخرجوه إلا تعلّق بشعبة من أنوارهم، فرفعتهم إلى العلو حتّى تحاذي بهم فوق الجنان، ثم ينزلهم على منازلهم المعدَّة في جوار أُستاديهم ومعلميهم وبحضرة أئمتهم الذين كانوا إليهم يدعون، ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلا عميت عينه وأصمّت أُذنه واخرسَّ لسانه وتحوَّل عليه أشدّ من لهب النيران، فيحملهم حتى يدفعهم إلى الزبانية 'فيدعّونهم'[1] إلى سواء الجحيم».

وقال أيضاً أبو محمّد الحسن العسكري (ع): «إنَّ محبي آل محمّد (ع) مساكين، مواساتهم أفضل من مواساة مساكين الفقراء، وهم الذين سكنت جوارحهم وضعفت قواهم من مقاتلة أعداء الله الذين يعيّرونهم بدينهم ويسفّهون أحلامهم، ألا فمن قوَّاهم بفقهه وعلمهم حتّى أزال مسكنتهم، ثم يسلطهم على الأعداء الظاهرين النواصب وعلى الأعداء الباطنين إبليس ومردته حتّى يهزموهم عن دين الله يذودوهم[2] عن أولياء آل رسول الله (ص)، حوَّل الله تعالى تلك المسكنة إلى شياطينهم فأعجزهم عن إضلالهم، قضى الله تعالى بذلك قضاءاً حقاً على لسان رسول الله (ص)».

وقال أبو محمّد الحسن بن علي العسكري (ع): قال علي بن أبي طالب (ع) «من قوّى مسكيناً في دينه ضعيفاً في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه[3] لقّنه الله تعالى يوم يدلى في قبره أن يقول: الله ربي، ومحمّد نبيي، وعلي وليي، والكعبة قبلتي، والقرآن بهجتي وعدَّتي، والمؤمنون إخواني فيقول الله: أدليت بالحجة[4] فوجبت لك أعالي درجات الجنة، فعند ذلك يتحوَّل عليه قبره أنزه رياض الجنة».

وقال أبو محمّد (ع): قالت فاطمَة (ع) ـ وقد اختصم إليها امرأتان فتنازعتا في شيء من أمر الدين إحداهما معاندة والأُخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحاً شديداً، فقالت فاطمة: إنَّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك، وإنَّ حزن الشيطان ومردته بحزنها عنك أشد من حزنها، وإنَّ الله عزَّ وجل قال للملائكة: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف مما كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سنَّة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان له معدّاً من الجنان».

وقال أبو محمّد (ع): قال الحسن بي علي بن أبي طالب (ع) وقد حمل إليه رجل هدية فقال له: أيّما أحب إليك أن أرد عليك بدلها عشرين ضعفاً يعني عشرين ألف درهم ـ أو أفتح لك باباً من العلم تقهر فلاناً الناصبي

---

(١) الدع: الدفع بعنف.
(٢) الذود: الطرد والمنع.
(٣) أفحمه: أسكته.
(٤) أدلى بالحجة: أظهرها.

في قريتك تنقذ به ضعفاء أهل قريتك؟ إن أحسنت الإختيار جمعت لك الأمرين ، وإن أسأت الإختيار خيَّرتك لتأخذ أيّهما شئت .

فقال : يا ابن رسول الله فثوابي في قهري ذلك الناصب واستنقاذي لأولئك الضعفاء من يده قدره عشرون ألف درهم؟ قال : أكثر من الدنيا عشرين ألف ألف مرَّة .

قال : يا ابن رسول الله فكيف أختار الأدون بل أختار الأفضل ، الكلمة التي أقهر بها عدو الله وأذوده عن أوليائه . فقال الحسن بن علي عليهما السلام : قد أحسنت الإختيار ، وعلَّمه الكلمة وأعطاه عشرين ألف درهم ، فذهب فأفحم الرجل ، فاتصل خبره به فقال له حين حضر معه : يا عبد الله ما ربح أحد مثل ربحك ولا اكتسب أحد من الأودَّاء مثل ما اكتسبت مودة الله أولاً ، ومودة محمّد وعلي ثانياً ، ومودة الطيبين من آلهما ثالثاً ، ومودة ملائكة الله تعالى المقربين رابعاً ، ومودة إخوانك المؤمنين خامساً ، واكتسبت بعدد كلِّ مؤمن وكافر ما هو أفضل من الدنيا ألف مرَّة فهنيئاً لك هنيئاً .

وقال أبو محمّد (ع) : قال جعفر بن محمّد عليهما السلام : «من كان همه في كسر النواصب عن المساكين من شيعتنا الموالين حمية لنا أهل البيت يكسرهم عنهم ويكشف عن مخازيهم ويبين عوارهم[1] ويفخم أمر محمّد وآله جعل الله تعالى همة أملاك الجنان في بناء قصوره ودوره ، يستعمل بكل حرف من حروف حججه على أعداء الله أكثر من عدد أهل الدنيا أملاكاً ، قوة كل واحد يفضل عن حمل السماوات والأرضين ، فكم من بناء وكم من نعمة وكم من قصور لا يعرف قدرها إلا ربّ العالمين» .

وقال أبو محمّد عليه السلام : قال علي بن موسى الرضا عليهما السلام : «أفضل ما يقدمه العالم من محبينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقته وذله ومسكنته أن يغيث في الدنيا مسكيناً من محبِّينا من يد ناصب عدو لله ولرسوله ، يقوم من قبره والملائكة صفوف من شفير قبره إلى موضع محلِّه من جنان الله ، فيحملونه على أجنحتهم يقولون له : مرحباً طوباك[2] يا دافع الكلاب عن الأبرار ويا أيها المتعصب للأئمة الأخيار» .

وقال أبو محمّد لبعض تلامذته ـ لما اجتمع إليه قوم من مواليه والمحبين لآل محمّد رسول الله بحضرته وقالوا : يا ابن رسول الله (ص) إنَّ لنا جاراً من النصاب يؤذينا ويحتج علينا في تفضيل الأول والثاني والثالث على أمير المؤمنين (ع) ويورد علينا حججاً لا ندري كيف الجواب عنها والخروج منها ـ : مر بهؤلاء إذا كانوا مجتمعين يتكلمون فتستمع عليهم فيستدعون منك الكلام فتكلم وأفحم صاحبهم واكسر عربه[3] وفلَّ حدَّه[4] ولا تبق له باقية ، فذهب الرجل وحضر الموضع وحضروا وكلّم الرجل فأفحمه وصيَّره لا يدري في السماء هو أو في الأرض .

قالوا : ووقع علينا من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وعلى الرجل والمتعصبين له من الغم والحزن

---

(١) عوارهم : عيوبهم .

(٢) طوباك : طوبى لك ، وطوبى اسم للجنة ، وقيل شجارة فيها .

(٣) عربه : حدّته ، وفي بعض النسخ «عرنينه» وهو أول الأنف تحت مجتمع الحاجبين .

(٤) فل حدَّه : مثل حد سيفه ، وهو كناية عن كسر الشوكة .

مثل ما لحقنا من السرور. فلما رجعنا إلى الإمام قال لنا: «إنَّ الذين في السماوات لحقهم من الفرح والطرب بكسر هذا العدو لله كان أكثر مما كان بحضرتكم، والذي كان بحضرة إبليس وعتاة مردته من الشياطين من الحزن والغم أشد مما كان بحضرتهم، ولقد صلى على هذا العبد الكاسر له ملائكة السماء والحجب والعرش والكرسي، وقابلها الله تعالى بالإجابة فأكرم إيابه وعظَّم ثوابه، ولقد لعنت تلك الأملاك عدو الله المكسور وقابلها الله بالإجابة فشدد حسابه وأطال عذابه».

فصـــل

في ذكر طرف مما جاء عن النبي (ص) من الجدال والمحاربة والمناظرة وما يجري مجرى ذلك مع من خالف الإسلام وغيرهم

قال أبو محمّد الحسن بن علي العسكري (ع): ذكر عند الصادق (ع) الجدال في الدين وأنَّ رسول الله (ص) والأئمة (ع) قد نهوا عنه. فقال الصادق (ع): «لم ينه عنه مطلقاً، ولكنَّه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن، أما تسمعون الله يقول: ﴿وَلاَ تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إلاَّ بِالَّتي هِيَ أَحْسَن﴾[1] وقوله: ﴿أُدْعُ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ اَحْسَنُ﴾[2] فالجدال بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين، والجدل بغير التي هي أحسن محرم حرمه الله على شيعتنا، وكيف يحرم الله الجدال جملة وهو يقول: ﴿وَقالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارىٰ﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[3] فجعل الله علم الصدق والإيمان بالبرهان، وهل يؤتى ببرهان إلا بالجدال بالتي هي أحسن.

قيل: يا ابن رسول الله فما الجدال بالتي هي أحسن وبالتي ليست بأحسن؟

قال: أما الجدال بغير التي هي أحسن فأن تجادل به مبطلاً فيورد عليك باطلاً فلا ترده بحجة قد نصبها الله، ولكن تجحد قوله أو تجحد حقاً. يريد بذلك المبطل أن يعين به باطله، فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة لأنَّك لا تدري كيف المخلص منه، فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم وعلى المبطلين، أما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلته وضعف في يده حجة له على باطله، وأما الضعفاء منكم فتغم قلوبهم[6] لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل.

وأما الجدال بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له، فقال الله له حاكياً عنه: ﴿وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، فقال الله تعالى في الرد عليه: ﴿قُلْ [يا محمّد] يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[5] إلى آخر السورة.

فأراد الله من نبيه أن يجادل المبطل الذي قال: كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم؟ فقال الله تعالى:

---

(١) العنكبوت: ٤٦. (٢) النحل: ١٢٥. (٣) البقرة: ١١١.

(٤) تغم قلوبهم: تغطي قلوبهم. (٥) يس ٧٨ - ٨٠.

قل ﴿يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ أفيعجز من ابتدأ به لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلى بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته، ثم قال: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ أي إذا أكمن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب ثم يستخرجها فعرَّفكم أنَّه على إعادة ما يلي أقدر، ثم قال ﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾[١] أي إذا كان خلق السماوات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي، فكيف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي.

قال الصادق (ع): فهو الجدال بالتي هي أحسن، لأنَّ فيها قطع عذر الكافرين وإزالة شبههم. وأما الجدال بغير التي هي أحسن فأن تجحد حقاً لا يمكنك أن تفرِّق بينه وبين باطل من تجادله. وإنَّما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحق، فهذا هو المحرم لأنَّك مثله، جحد هو حقاً وجحدت أنت حقاً آخر.

وقال أبو محمّد الحسن العسكري (ع): فقام إليه رجل آخر وقال: يا ابن رسول الله (ص) أفجادل رسول الله؟

فقال الصادق (ع) مهما ظننت برسول الله من شئ فلا تظننَّ به مخالفة الله، أليس الله قد قال: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ و﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ لمن ضرب الله مثلاً، أفتظن أنَّ رسول الله (ص) خالف ما أَمر الله به فلم يجادل بما أمره الله به ولم يخبر عن أمر الله بما أمره أن يخبر به، ولقد حدثني أبي الباقر عن جدي علي ابن الحسين عن أبيه الحسين بن علي سيد الشهداء عن أبيه أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أنَّه اجتمع يوماً عند رسول الله (ص) أهل خمسة أديان: اليهود، والنصارى، والدهرية، والثنوية، ومشركوا العرب[٢].

فقالت اليهود: نحن نقول: عزير بن الله، وقد جئناك يا محمّد لننظر ما تقول فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خصمناك.

وقالت النصارى: نحن نقول: إنَّ المسيح ابن الله اتحد به وقد جئناك لننظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خصمناك.

وقالت الدهرية: نحن نقول: إنَّ الأشياء لا بدو لها وهي دائمة، وقد جئناك لننظر فيما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خصمناك.

وقالت الثنوية: نحن نقول: إنَّ النور والظلمة هما المدبّران. وقد جئناك لننظر فيما تقول، فإن اتبعتنا فنحن

---

(١) يس: ٨١.

(٢) اليهود هم أتباع النبي موسى بن عمران عليه السلام وكتابهم المقدس هو التوراة، والنصارى هم أتباع النبي عيسى بن مريم عليه السلام وكتابهم المقدس هو الإنجيل، والدهرية هم الذين ينفون الرب والجنة والنار ويقولون وما يهلكنا إلا الدهر وهو دين وضعوه لأنفسهم بالإستحسان منهم على غير تثبت، والثنوية هم الذين يثبتون مع القديم قديماً غيره، قيل المجوس الذين يثبتون مبدأين مبدأ للخير ومبدأ للشر وهما النور والظلمة ويقولون بنبوة إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل هم طائفة يقولون إنَّ كل مخلوق مخلوق للخلق الأول. ومشركوا العرب هم الذين كانوا يعكفون على أصنام لهم ويعبدونها من دون الله تعالى ويعتقدون فيها أنَّها منشأ الخير والشر وواسطة بين العبد والرب.

أسبق إلى الصواب منك، وإن خالفتنا خصمناك.

وقال مشركوا العرب: نحن نقول إنَّ أوثاننا آلهة، وقد جئناك لننظر فيما تقول فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خصمناك.

فقال رسول الله (ص): آمنت بالله وحده لا شريك له وكفرت [بالجبت والطاغوت][1] بكل معبود سواه.

ثم قال لهم: إنَّ الله تعالى قد بعثني كافة للناس بشيراً ونذيراً وحجة على العالمين، وسيردّ كيد من يكيد دينه في نحره.

ثم قال لليهود: أجئتموني لأقبل قولكم بغير حجة؟ قالوا: لا. قال: فما الذي دعاكم إلى القول بأنَّ عزيراً ابن الله؟ قالوا: لأنَّه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعدما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلا لأنَّه ابنه.

فقال رسول الله (ص): فكيف صار عزير ابن الله دون موسى وهو الذي جاء لهم بالتوراة ورؤي منه من المعجزات ما قد علمتم. ولئن كان عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه بإحياء التورلة فلقد كان موسى بالنبوَّة أولى وأحق، ولئن كان هذا المقدار من إكرامه لعزير يوجب له أنَّه ابنه فأضعاف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة أجل من النبوّة، لأنَّكم إن كنتم إنَّما تريدون بالنبوَّة الدلالة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم من ولادة الأُمَّهات الأولاد بوطئ آبائهم لهنَّ فقد كفرتم بالله وشبَّهتموه بخلقه وأوجبتم فيه صفات المحدثين، فوجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً وأن يكون له خالق صنعه وابتدعه.

قالوا: لسنا نعني هذا، فإنَّ هذا كفر كما دللت، لكنّا نعني أنَّه ابنه على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة، كما قد يقول بعض علمائنا لمن يريد إكرامه وإبانته بالمنزلة من غيره «يا بني» و«إنَّه ابني» لا على إثبات ولادته منه لأنَّه قد يقول ذلك لمن هو أجنبي لا نسب له بينه وبينه، وكذلك لما فعل الله تعالى بعزير ما فعل كان قد اتخذه إبناً على الكرامة لا على الولادة.

فقال رسول الله (ص): فهذا ما قلته لكم إنَّه إن وجب على هذا الوجه أن يكون عزير ابنه فإنَّ هذه المنزلة بموسى أولى، وإنَّ الله يفضح كل مبطل بإقراره ويقلب عليه حجته، إنَّ ما احتججتم به يؤديكم إلى ما هو أكثر مما ذكرته لكم، لأنَّكم قلتم إنَّ عظيماً من عظمائكم قد يقول لأجنبي لا نسب بينه وبينه: «يا بني» و«هذا إبني» لا على طريق الولادة، فقد تجدون أيضاً هذا العظيم يقول لأجنبي: «هذا أخي» و لآخر: «هذا شيخي» و «أبي» ولآخر: «هذا أخي» ولآخر «هذا سيدي»: و «يا سيدي» على سبيل الإكرام، وإنَّ من زاده في الكرامة زاده مثل هذا القول، فإذاً يجوز عندكم أن يكون موسى أخاً لله أو شيخاً له أو أباً أو سيداً لأنَّه قد زاده في الإكرام مما لعزير، كما أنَّ من زاد رجلاً في الإكرام فقال له: يا سيدي ويا شيخي ويا عمي ويا رئيسي على طريق الإكرام، وان من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول أفيجوز عندكم ان يكون موسى أخاً لله أو شيخاً أو عماً أو رئيساً أو سيداً أو أميراً لأنَّه قد زاده في الإكرام على من قال له: يا شيخي أو يا سيدي أو يا عمي أو يا رئيسي أو يا أميري؟

قال: فبهت القوم وتحيَّروا وقالوا: يا محمّد أجِّلنا نتفكَّر فيما قد قلته لنا فقال: انظروا فيه بقلوب معتقدة

---

(١) الزيادة في بعض النسخ.

للإنصاف يهدكم الله .

ثم أقبل على النصارى فقال لهم : وأنتم قلتم إنَّ القديم عزَّ وجل اتحد بالمسيح ابنه ، فما الذي أردتموه بهذا القول؟ أردتم أنَّ القديم صار محدثاً لوجود هذا المحدث الذي هو عيسى ، أو المحدث الذي هو عيسى صار قديماً كوجود القديم الذي هو الله أو معنى قولكم إنَّه اتحد به أنَّه اختصه بكرامة لم يكرم بها أحداً سواه؟ .

فإن أردتم أنَّ القديم صار محدثاً فقد أبطلتم ، لأنَّ القديم محال أن ينقلب فيصير محدثاً ، وإن أردتم أنَّ المحدث صار قديماً فقد أحلتم لأنَّ المحدث أيضاً محال أن يصير قديماً ، وإن أردتم أنَّه اتحد به بأنَّه اختصه واصطفاه على سائر عباده فقد أقررتم بحدوث عيسى وبحدوث المعنى الذي اتحد به من أجله ، لأنَّه إذا كان عيسى محدثاً وكان الله اتحد به بأن أحدث به معنى صار به أكرم الخلق عنده فقد صار عيسى وذلك المعنى محدثين ، وهذا خلاف ما بدأتم تقولونه .

فقالت النصارى : يا محمّد إنَّ الله لما أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتخذه ولداً على جهة الكرامة .

فقال لهم رسول الله (ص) : فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الذي ذكرتموه ، ثم أعاد (ص) ذلك كله ، فسكتوا إلا رجلاً واحداً منهم فقال له : يا محمّد أولستم تقولون : إنَّ إبراهيم خليل الله؟ قال : قد قلنا ذلك . قال : فإذا قلتم ذلك فلم منعتمونا من أن نقول إنَّ عيسى ابن الله؟

قال رسول الله (ص) : إنَّهما لن يشتبها ، لأنَّ قولنا إبراهيم خليل الله فإنَّما هو مشتق من الخلة ، والخلة إنَّما معناها الفقر والفاقة ، فقد كان خليلاً إلى ربِّه فقيراً وإليه منقطعاً وعن غيره متعففاً معرضاً مستغنياً ، وذلك لما أريد قذفه في النار فرمي به في المنجنيق فبعث الله جبرئيل فقال له : أدرك عبدي ، فجاء فلقيه في الهواء فقال له : كلفني ما بدا لك فقد بعثني الله لنصرتك فقال إبراهيم : حسبي الله ونعم الوكيل إنِّي لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلا إليه ، فسماه خليله أي : فقيره ومحتاجه والمنقطع إليه عمن سواه .

وإذا جعل معنى ذلك من الخلة وهو أنَّه قد تخلَّل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان الخليل معناه العالم به وبأموره ، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه . ألا ترون أنَّه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله ، وإنَّ من يلده الرجل وإن أهانه وأقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده ، لأنَّ معنى الولادة قائم به .

ثم إن وجب لأنَّه قال لإبراهيم خليلي ، أن تقيسوا أنتم فتقولوا بأنَّ عيسى ابنه وجب أيضاً كذلك أن تقولوا لموسى إنَّه ابنه ، فإنَّ الذي معه من المعجزات لم يكن بدون ما كان مع عيسى ، فقولوا : إنَّ موسى أيضاً ابنه ، وإن يجوز أن تقولوا على هذا المعنى أنَّه شيخه وسيده وعمه ورئيسه وأميره كما قد ذكرته لليهود .

فقال بعضهم لبعض : وفي الكتب المنزلة إنَّ عيسى قال «أذهب إلى أبي وأبيكم» .

فقال رسول الله (ص) فإن كنتم بذلك الكتاب تعلمون فإنَّ فيه «أذهب إلى أبي وأبيكم» فقولوا إنَّ جميع الذين خاطبهم عيسى كانوا أبناء الله كما كان عيسى ابنه من الوجه الذي كان عيسى ابنه ، ثم إنَّ في هذا الكتاب مبطل عليكم هذا الذي زعمتم أنَّ عيسى من وجهة الإختصاص كان ابناً له ، لأنَّكم قلتم إنَّما قلنا إنَّه ابنه لأنَّه اختصه

بما لم يختص به غيره، وأنتم تعلمون أنّ الذي خص به عيسى لم يخص به هؤلاء القوم الذين قال لهم عيسى: «أذهب إلى أبي وأبيكم»، فبطل أن يكون الإختصاص لعيسى، لأنّه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل اختصاص عيسى، وأنتم إنّما حكيتم لفظة عيسى وتأوّلتموها على غيروجهها، لأنّه إذا قال: «أذهب إلى أبي وأبيكم، فقد أراد غير ما ذهبتم إليه ونحلتموه، وما يدريكم لعله عنى أذهب إلى آدم أو إلى نوح وأنّ الله يرفعني إليهم ويجمعني معهم وآدم أبي وأبيكم وكذلك نوح، بل ما أراد غير هذا.

قال: فسكت النصارى وقالوا: ما رأينا كاليوم مجادلاً ولا مخاصماً مثلك وسننظر في أُمورنا.

ثم أقبل رسول الله على الدهرية فقال: وأنتم فما الذي دعاكم إلى القول بأنّ الأشياء لا بد ولها وهي دائمة لم تزل ولا تزال؟

فقالوا: لأنّا لا نحكم إلا بما نشاهد ولم نجد للأشياء حدثاً فحكمنا بأنّها لم تزل، ولم نجد لها انقضاءً وفناء فحكمنا بأنّها لا تزال.

فقال رسول الله (ص): أفوجدتم لها قدماً أم وجدتم لها بقاءاً أبدا لآبد؟ فإن قلتم إنّكم وجدتم ذلك أنهضتم لأنفسكم أنّكم لم تزالوا على هيئتكم وعقولكم بلا نهاية ولا تزالون كذلك، ولئن قلتم هذا دفعتم العيان وكذبكم العالمون والذين يشاهدونكم.

قالوا: بل لم نشاهد لها قدماً ولا بقاءً أبد الآبد.

قال رسول الله (ص): فلِمَ صرتم بأن تحكموا بالقدم والبقاء دائماً لأنّكم لم تشاهدوا حدوثها وانقضاءها، أولى من تارك التميز لها مثلكم، فيحكم لها بالحدوث والإنقضاء والإنقطاع لأنّه لم يشاهد لها قدماً ولا بقاءاً أبد الآبد، أو لستم تشاهدون الليل والنهار وأحدهما بعد الآخر؟ فقالوا: نعم.

فقال: أترونهما لم يزالا ولا يزالان؟ فقالوا: نعم.

فقال: أفيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار؟ فقالوا: لا.

فقال (ص): فإذاً منقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ويكون الثاني جارياً بعده. قالوا: كذلك هو.

فقال: قد حكمتم بحدوث ما تقدّم من ليل ونهار لم تشاهدوهما فلا تنكروا لله قدرته.

ثم قال (ص): أتقولون ما قبلكم من الليل والنهار متناه أم غير متناه؟ فإن قلتم إنّه غير متناه فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لأوّله، وإن قلتم متناه فقد كان ولا شيء منهما. قالوا: نعم.

قال لهم: أقلتم إنّ العالم قديم غير محدث وأنتم عارفون بمعنى ما أقررتم به وبمعنى ما جحدتموه؟ قالوا: نعم.

قال رسول الله (ص): فهذا الذي تشاهدونه من الأشياء بعضها إلى بعض يفتقر، لأنّه لا قوام للبعض إلا بما يتصل به، كما نرى البناء محتاجاً بعض أجزائه إلى بعض وإلا لم يتسق ولم يستحكم وكذلك سائر ما نرى.

وقال أيضاً: فإذا كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوته وتمامه هو القديم فأخبروني أن لو كان محدثاً كيف كان يكون وماذا كانت تكون صفته؟

قال: فبهتوا وعلموا أنَّهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلا وهي موجودة في هذا الذي زعموا أنَّه قديم، فوجموا وقالوا: سننظر في أمرنا.

ثم أقبل رسول الله (ص) على الثنوية الذين قالوا: «**النور والظلمة هما المدبران**» فقال: وأنتم فما الذي دعاكم إلى ما قلتموه من هذا؟.

فقالوا: لأنَّا وجدنا العالم صنفين خيراً وشراً، ووجدنا الخير ضدّاً للشر، فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشيء وضدَّه بل لكلٍّ واحد منهما فاعل، ألا ترى أنَّ الثلج محال أن يسخن كما أنَّ النار محال أن تبرد، فأثبتنا لذلك صانعين قديمين ظلمة ونوراً.

فقال لهم رسول الله (ص): أفلستم قد وجدتم سواداً وبياضاً وحمرة وصفرة وخضرة وزرقة، وكل واحدة ضد لسائرها لاستحالة اجتماع مثلين منهما في محل واحد كما كان الحر والبرد ضدين لاستحالة اجتماعهما في محل واحد؟ قالوا: نعم.

قال فهلاَّ أثبتم بعدد كل لون صانعاً قديماً ليكون فاعل كل ضد من هذه الألوان غير فاعل الضد الآخر؟ قال: فسكتوا.

ثم قال: فكيف اختلط النور والظلمة، وهذا من طبعه الصعود وهذه من طبعها النزول، أرأيتم لو أنَّ رجلاً أخذ شرقاً يمشي إليه والآخر غرباً أكان يجوز عندكم أن يلتقيا ما داما سائرين على وجههما؟ قالوا: لا.

قال: فوجب أن لا يختلط النور والظلمة لذهاب كل واحد منهما في غير جهة الآخر، فكيف وجدتم حدث هذا العالم من امتزاج ما هو محال أن يمتزج بل هما مدبران جميعاً مخلوقان؟ فقالوا: سننظر في أمورنا.

ثم أقبل رسول الله (ص) على مشركي العرب فقال: وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرب بذلك إلى الله تعالى.

فقال لهم: أو هي سامعة مطيعة لربِّها عابدة له حتى تتقربوا بتعظيمها إلى الله؟ قالوا: لا.

قال: فأنتم الذين نحتموها بأيديكم؟ قالوا: نعم.

قال: فلأن تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة أحرى من أن تعبدوها، إذا لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم والحكيم فيما يكلفكم.

قال: فلما قال رسول الله (ص) هذا القول اختلفوا فقال بعضهم: إنَّ الله قد حلَّ في هياكل رجال كانوا على هذه الصورة فصورنا هذه الصور نعظمها لتعظيمنا تلك الصور التي حل فيها ربنا.

وقال آخرون منهم: إنَّ هذه صور أقوام سلفوا كانوا مطيعين لله قبلنا فمثلنا صورهم وعبدناها تعظيماً لله.

وقال آخرون منهم: إنَّ الله لما خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له كنا نحن أحق بالسجود لآدم من الملائكة، ففاتنا ذلك فصوَّرنا صورته فسجدنا لها تقرُّباً إلى الله كما تقربت الملائكة بالسجود لآدم إلى الله تعالى، وكما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة مكة ففعلتم ثم نصبتم في غير ذلك البلد بأيديكم محاريب[1] سجدتم إليها وقصدتم

(١) محاريب جمع محراب، ومحراب المسجد قيل سمي بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى، وقيل بل المحراب=

الكعبة لا محاريبكم وقصدتم بالكعبة إلى الله عز وجل لا إليها.

فقال رسول الله (ص): أخطأتم الطريق وضللتم، أما أنتم ـ وهو (ص) يخاطب الذين قالوا إنَّ الله يحل في هياكل رجال كانوا على هذه الصور التي صوَّرناها فصوَّرنا هذه الصور نعظمها لتعظيمنا لتلك الصور التي حل فيها ربنا ـ فقد وصفتم ربَّكم بصفة المخلوقات! أو يحل ربكم في شيء حتى يحيط به ذاك الشيء، فأي فرق بينه إذاً وبين سائر ما يحل فيه من لونه وطعمه ورائحته ولينه وخشونته وثقله وخفته، ولم صار هذا المحلول فيه محدثاً وذلك قديماً دون أن يكون ذلك محدثاً وهذا قديماً؟! وكيف يحتاج إلى المحال من لم يزل قبل المحال وهو عز وجل كان لم يزل، وإذا وصفتموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال، وما وصفتموه بالزوال والحدوث فصفوه بالفناء، لأنَّ ذلك أجمع من صفات الحال والمحلول فيه، وجميع ذلك متغيِّر الذات فان كان لم يتغير ذات الباري تعالى بحلوله في شيء جاز أن لا يتغير. بأن يتحرَّك ويسكن ويسود ويبيض ويحمر ويصفر وتحله الصفات التي تتعاقب على الموصوف بها حتى يكون فيه جميع صفات المحدثين ويكون محدثاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!!

ثم قال رسول الله (ص): فإذا بطل ما ظننتموه من أنَّ الله يحل في شيء فقد فسد ما بنيتم عليه قولكم.

قال: فسكت القوم وقالوا: سننظر في أمورنا.

ثم أقبل رسول الله (ص) على الفريق الثاني فقال: أخبرونا عنكم إذا عبدتم صور من كان يعبد الله فسجدتم لها وصليتم فوضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الذي أبقيتم لرب العالمين؟!

أما علمتم أنَّ من حق من يلزم تعظيمه وعبادته أن لا يساوى به عبده؟ أرأيتم ملكاً أو عظيماً إذا سوَّيتموه بعبده في التعظيم والخضوع والخشوع أيكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير؟ فقالوا: نعم.

قال: أفلا تعلمون أنَّكم من حيث تعظِّمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين له تزرون[1] على رب العالمين؟!

قال: فسكت القوم بعد أن قالوا: سننظر في أمرنا.

ثم قال رسول الله (ص) للفريق الثالث: لقد ضربتم لنا مثلاً وشبَّهتمونا بأنفسكم ولسنا سواء، وذلك أنا عباد الله مخلوقون مربوبون نأتمر له فيما أمرنا وننزجر عما زجرنا ونعبده من حيث يريده منا، فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه ولم نتعدَّ إلى غيره مما لم يأمرنا ولم يأذن لنا، لأنا لا ندري لعلَّه إن أرادمنا الأول فهو يكره الثاني، وقد نهانا أن نتقدم بين يديه، فلما أمرنا أن نعبده بالتوجه إلى الكعبة أطعناه، ثم أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها في سائر البلدان التي تكون بها فأطعناه، ولم نخرج في شيء من ذلك من اتباع أمره.

والله حيث أمر بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي هي غيره، فليس لكم أن تقيسوا ذلك

=اصله في المسجد، وهو اسم خص به صدر المجلس فسمي صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد، وكأن هذا أصح قال تعالى ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل﴾.

(١) تزرون: تعيبون وتعاتبون.

عليه لأنّكم لا تدرون لعلّه يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به .

ثم قال لهم رسول الله (ص) : أرأيتم لو أذن لكم رجل دخول داره يوماً بعينه ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره ، أولكم أن تدخلوا داراً له أخرى مثلها بغير أمره؟ أووهب لكم رجل ثوباً من ثيابه أو عبداً من عبيده أودابة من دوابّه ألكم أن تأخذوا ذلك؟ قالوا : نعم .

قال : فإن لم تأخذوه ألكم أخذ آخر مثله؟ قالوا : لا لأنّه لم يأذن لنا في الثاني كما أذن في الأول .

قال(ص) : فأخبروني ألله أولى بأن لا يُتقدّم على ملكه بغير أمره أو بعض المملوكين؟ قالوا : بل الله أولى بأن لا يُتصرَّف في ملكه بغير إذنه .

قال : فلمَ فعلتم؟ ومتى أمركم بالسجود أن تسجدوا لهذه الصور؟

قال : فقال القوم : سننظر في أمورنا وسكتوا .

وقال الصادق عليه السلام : فوالذي بعثه بالحق نبياً ما أتت على جماعتهم إلا ثلاثة أيام حتى أتوا رسول الله (ص) فأسلموا ، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً من كل فرقة خمسة وقالوا : ما رأينا مثل حجتك يا محّمد نشهد أنّك رسول الله .

* * *

«إحتجاج النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم على جماعة من المشركين»

وقال الصادق عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : أنزل الله «**الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنُّور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**»[1] الآية وكان في هذه الآية رد على ثلاثة أصناف منهم لما قال : «الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض» فكان رداً على **الدهرية** الذين قالوا : إنَّ الأشياء لا بدوَ لها وهي دائمة .

ثم قال : ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ فكان رداً على **الثنوية** الذين قالوا : إنَّ النور والظلمة هما مدبّران .

ثم قال : ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ فكان رداً على **مشركي العرب** الذين قالوا : إنَّ أوثاننا آلهة .

ثم أنزل الله : ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها ، فكان رداً على من ادعى من دون الله ضداً أو نداً .

قال : فقال رسول الله (ص) لأصحابه : قولوا ﴿**إيَّاك نعبد**﴾ أي : نعبد واحداً لا نقول كما قالت الدهرية : إنَّ الأشياء لا بدوَ لها وهي دائمة ، ولا كما قالت الثنوية : إنَّ النور والظلمة هما المدبّران ، ولا كما قال مشركوا العرب : إنَّ أوثاننا آلهة فلا نشرك بك شيئاً ولا ندعو من دونك إلهاً كما يقول هؤلاء الكفار ولا نقول كما قالت اليهود والنصارى : إنَّ لك ولداً تعاليت عن ذلك .

قال : فذلك قوله : ﴿**وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى**﴾ وقالت طائفة غيرهم من هؤلاء

---

(١) الأنعام : ١ .

الكفار ما قالوا، قال الله تعالى: يا محّمد ﴿تلك أمانيهم﴾ التي يمنونها بلا حجة ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ وحجتكم على دعواكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ كما أتى محّمد ببراهينه التي سمعتموها.

ثم قال: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ تعالى يعني كما فعل هؤلاء الذين آمنوا برسول الله لما سمعوا براهينه وحجته ﴿وهو محسن﴾ في علمه ﴿فله أجره﴾ وثوابه ﴿عند ربِّه﴾ يوم فصل القضاء ﴿ولا خوف عليهم﴾ حين يخاف الكافرون مما يشاهدونه من العقاب ﴿ولا هم يحزنون﴾ [1] عند الموت لأنَّ البشارة بالجنان تأتيهم.

* * *

«احتجاج النبي صلَّى الله عليه وآله على جماعة من المشركين»

عن أبي محّمد الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: قلت لأبي، علي بن محّمد عليه السلام هل كان رسول الله(ص) يناظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجهم؟ قال: بلى مراراً كثيرة.

منها ما حكى الله من قولهم: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أُنزل إليه ملك - إلى قوله - رجلاً مسحوراً﴾ [2] وقالوا: ﴿لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [3] وقوله عزوجل: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ إلى قوله ﴿كتاباً نقرؤه﴾ [4] ثم قيل له في آخر ذلك: لو كنت نبياً كموسى أنزلت علينا كسفاً من السماء ونزلت علينا الصاعقة في مسألتنا إليك لأنَّ مسألتنا أشد من مسائل قوم موسى لموسى عليه السلام.

قال: وذلك أنَّ رسول الله(ص) كان قاعداً ذات يوم بمكة بفناء الكعبة إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي وأبو البختري ابن هشام وأبو جهل والعاص بن وائل السهمي وعبد الله بن أبي أمية المخزومي، وكان معهم جمع ممن يليهم كثير ورسول الله(ص) في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله ويؤدي إليهم عن الله أمره ونهيه.

فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محّمد وعظم خطبه، فتعالوا نبدأ بتقريعه وتبكيته وتوبيخه والاحتجاج عليه وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه ويصغر قدره عندهم، فلعلَّه ينزع عما هو فيه من غيه وباطله وتمرده وطغيانه، فإن انتهى وإلا عاملناه بالسيف الباتر.

قال أبو جهل: فمن ذا الذي يلي كلامه ومجادلته؟ قال عبد الله بن أبي أمية المخزومي: انا إلى ذلك، أفما ترضاني له قرناً حسيباً ومجادلاً كفياً؟

قال أبو جهل بلى، فأتوه بأجمعهم فابتدأ عبد الله بن أبي أُمية المخزومي فقال:

يا محّمد لقد ادعيت دعوى عظيمة وقلت مقالاً هائلاً، زعمت أنَّك رسول الله رب العالمين، وما ينبغي لرب العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشر مثلنا تأكل كما نأكل وتشرب كما نشرب وتمشي في الأسواق كما نمشي!

---

(١) البقرة: ١١١ - ١١٢.
(٢) الفرقان: ٧ - ٨.
(٣) الزخرف: ٣١.
(٤) الإسراء: ٩٠ - ٩٣.

فهذا ملك الروم وهذا ملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلا كثير المال عظيم الحال له قصور ودور وفساطيط وخيام وعبيد وخدام، ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده.

ولو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث الينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا، ما أنت يا محمد إلا رجلاً مسحوراً ولست بنبي.

فقال رسول الله(ص): هل بقي من كلامك شيء؟

قال: بلى، لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً لبعث أجلّ من فيما بيننا أكثره مالاً وأحسنه حالاً فهلاّ أنزل هذا القرآن الذي تزعم أنّ الله أنزله عليك وابتعثك به رسولاً على رجل من القريتين عظيم إما **الوليد** بن المغيرة بمكة وإما **عروة** بن مسعود الثقفي بالطائف.

فقال رسول الله(ص): هل بقي من كلامك شيء يا عبد الله؟

فقال: بلى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً بمكة هذه، فإنّها ذات أحجار وعرة وجبال، تكسح أرضها[1] وتحفرها وتجري فيها العيون، فإننا إلى ذلك محتاجون أو تكون لك جنّة من نخيل وعنب فتأكل منها وتطعمنا وتفجر الأنهار خلالها خلال تلك النخيل والأعناب تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً[2] فإنّك قلت لنا ﴿**وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم**﴾[3] فلعلّنا نقول ذلك.

ثم قال: أو تأتي بالله والملائكة قبيلا، تأتي به وبهم وهم لنا مقابلون، أو يكون لك بيت من زخرف تعطينا منه وتغنينا به فلعلّنا نطغى، وإنّك قلت لنا: ﴿**كلاّ إنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**﴾[4].

ثم قال: أو ترقى في السماء أي تصعد في السماء ولن نؤمن لرقيك أي لصعودك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه من الله العزيز الحكيم إلى عبد الله بن أبي امية المخزومي ومن معه بأن آمنوا بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب فإنّه رسولي وصدّقوه في مقاله إنّه من عندي، ثم لا أدري يا محمّد إذا فعلت هذا كلّه أؤ من بك اولا أؤ من بك، بل لو رفعتنا إلى السماء وفتحت أبوابها وأدخلتناها لقلنا إنما سكّرت أبصارناه وسحرتنا.

فقال رسول الله(ص): يا عبد الله أبقي شيء من كلامك؟ قال: يا محمّد اوليس فيما اوردته عليك كفاية وبلاغ، ما بقي شيء فقل ما بدا لك وافصح عن نفسك إن كان لك حجة وائتنا بما سألناك به.

فقال رسول الله(ص): اللهم أنت السامع لكل صوت والعالم بكلّ شيء تعلم ما قاله عبادك، فأنزل الله عليه: يا محمّد ﴿**وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام**﴾ الى قوله ﴿**رجلاً مسحوراً**﴾[6] ثم قال الله تعالى: ﴿**انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلُّوا فلا يستطيعون سبيلاً**﴾[7] ثم قال: يا محمّد ﴿**تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً**

(١) تكسح ارضها: تقشرها من التراب.
(٢) كسفاً: قطعاً قد ركب بعضها على بعض.
(٣) الطور: ٤٤، والمركوم: المتراكم الذي يجعل بعضه على بعض.
(٤) العلق: ٦ - ٧.
(٥) سكرت أبصارنا: غطيت وغشيت عن النّظر.
(٦) الفرقان: ٧ - ٨.
(٧) الاسراء: ٤٨.

من ذلك جنّات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا﴾[١] وأنزل عليه : يامحّمد **﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك﴾**[٢] الآية وأنزل الله عليه : يا محّمد **﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر﴾** إلى قوله **﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾**[٣].

فقال له رسول الله (ص) : يا عبد الله أما ما ذكرت من أنّي آكل الطعام كما تأكلون وزعمت أنّه لا يجوز لأجل هذا أن أكون لله رسولاً فإنّما الأمر لله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وهو محمود وليس لك ولا لأحد الاعتراض عليه بلِمَ وكيف ، ألا ترى أنَّ الله كيف أفقر بعضاً وأغنى بعضاً وأعزَّ بعضاً وأذل بعضاً وأصح بعضاً وأسقم بعضاً وشرَّف بعضاً ووضع بعضاً ، وكلهم ممن يأكل الطعام ، ثم ليسَ للفقراء أن يقولوا لم أفقرتنا وأغنيتهم؟ ولا للوضعاء أن يقولوا لِمَ وضعتنا وشرَّفتهم ولا للزمنى[٤] والضعفاء أن يقولوا لِمَ أزمنتنا وأضعفتنا وصححتهم؟ ولا للأذلاء أن يقولوا لم أذللتنا وأعززتهم ولا لقباح الصور أن يقولوا لم قبَّحتنا وجمَّلتهم؟

بل إن قالوا ذلك كانوا على ربِّهم رادّين وله في أحكامه منازعين وبه كافرين ، ولكان جوابه لهم : أنا الملك الخافض الرافع المغني المفقر المعز المذل المصحح المسقم وأنتم العبيد ليس لكم إلا التسليم لي والانقياد لحكمي ، فإن سلَّمتم كنتم عباداً مؤمنين وإن أبيتم كنتم بي كافرين وبعقوباتي من الهالكين.

ثم أنزل الله عليه : يا محمّد **﴿قل إنَّما أنا بشر مثلكم﴾** يعني آكل الطعام و **﴿يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد﴾**[٥] يعني قل لهم أنا في البشرية مثلكم ولكنَّ ربِّي خصني بالنبوة دونكم كما يخص بعض البشر بالغنى والصحة والجمال دون بعض من البشر، فلا تنكروا أن يخصني أيضاً بالنبوة.

ثم قال رسول الله (ص) وأما قولك « هذا ملك الروم وملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلا كثير المال عظيم الحال له قصور ودور وفساطيط وخيام وعبيد وخدام ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده» فإنَّ الله له التدبير والحكم لا يفعل على ظنك وحسبانك ولا باقتراحك بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو محمود ، يا عبد الله إنما بعث الله نبيه ليعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى ربِّهم ويكدّ[٦] نفسه في ذلك آناء الليل ونهاره ، فلو كان صاحب قصور يحتجب فيها وعبيد وخدم يسترونه عن الناس أليس كانت الرسالة تضيع والأُمور تتباطأ ، أوما ترى الملوك اذا احتجبوا كيف يجري الفساد والقبائح من حيث لا يعلمون به ولا يشعرون.

يا عبد الله إنَّما بعثني الله ولا مال لي ليعرفكم قدرته وقوته وأنَّه هو الناصر لرسوله ولا تقدرون على قتله ولا منعه في رسالاته ، فهذا بين في قدرته وفي عجزكم وسوف يظفرني الله بكم فأسعكم قتلاً وأسراً ، ثم يظفرني الله ببلادكم ويستولي عليها المؤمنون من دونكم ودون من يوافقكم على دينكم.

ثم قال رسول الله (ص) وأما قولك لي : ﴿لو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده ، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبياً لكان إنَّما يبعث ملكاً لا بشراً مثلنا﴾ فالملك لا تشاهده حواسكم لأنه من جنس هذا الهواء لا عيان منه ، ولو شاهدتموه ـ بأن يزاد في قوى أبصاركم ـ لقلتم ليس هذا ملكاً بل هذا بشر،

---

(١) الفرقان : ١٠ .
(٢) هود : ١٢ .
(٣) الانعام ٨و٩ .
(٤) الزمنى : الذين ألم بهم المرض ، المرضى .
(٥) الكهف : ١١٠ .
(٦) الكد : الالحاح والشدة في الطلب .

لأنّه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي ألفتموه لتفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده، فكيف كنتم تعلمون صدق الملك وأنّ ما يقوله حق، بل إنّما بعث الله بشراً وأظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتهم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم عما جاء به أنّه معجزة وأنّ ذلك شهادة من الله بالصدق له، ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدلكم أنّ ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معجزاً، ألا ترون أنّ الطيور التي تطير ليس ذلك منها بمعجز لأنّ لها أجناساً يقع منها مثل طيرانها، ولو أنّ آدمياً طار كطيرانها كان ذلك معجزاً، فإنّ الله عز وجل سهّل عليكم الأمر وجعله بحيث تقوم عليكم حجته وأنتم تقترحون عمل الصعب الذي لا حجة فيه.

ثم قال رسول الله (ص): وأما قولك «ما أنت إلا رجل مسحور» فكيف أكون كذلك وقد تعلمون أنّي في صحة التميز والعقل فوقكم، فهل جربتم عليّ منذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنة خزية[1] أو زلة أو كذبة أو خيانة أو خطأ من القول أو سفهاً من الرّأي، أتظنون أنّ رجلاً يعتصم طول هذه المدة بحول نفسه وقوتها أو بحول الله وقوته، وذلك ما قال الله ﴿**أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً**﴾ إلى أن يثبتوا عليك عمى بحجة أكثر من دعاويهم الباطلة التي تبين عليك تحصيل بطلانها.

ثم قال رسول الله (ص): وأما قولك «لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بالطائف» فإنّ الله ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت ولا خطر له عنده كما له عندك بل لو كانت الدنيا عنده تعدل جناح بعوضة لما سقى كافراً به مخالفاً له شربة ماء، وليس قسمة الله إليك بل الله هو القاسم للرحمات والفاعل لما يشاء في عبيده وإمائه، وليس هو عز وجل ممن يخاف أحداً كما تخافه أنت لما له وحاله فعرفته بالنبوة لذلك، ولا ممن يطمع في أحد في ماله أو في حاله كما تطمع أنت فتخصه بالنبوة لذلك، ولا ممن يحب أحداً محبة الهواء كما تحب أنت فتقدم من لا يستحق التقديم وإنّما معاملته بالعدل، فلا يؤثر إلا بالعدل لأفضل مراتب الدين وجلاله إلا الأفضل في طاعته والأجدى في خدمته، وكذلك لا يؤخر في مراتب الدين وجلاله الا أشدهم تباطؤاً عن طاعته.

واذا كان هذا صفته لم ينظر إلى مال ولا إلى حال بل هذا المال والحال من تفضله، وليس لأحد من عباده عليه ضريبة لازب[2]، فلا يقال له إذا تفضلت بالمال على عبد فلا بد أن تتفضل عليه بالنبوة أيضاً لأنّه ليس لأحد إكراهه على خلاف مراده ولا إلزامه تفضلا لأنّه تفضل قبله بنعمه.

ألا ترى يا عبد الله كيف اغنى واحداً وقبّح صورته، وكيف حسّن صورة واحد وأفقره، وكيف شرف واحداً وأفقره، وكيف أغنى واحداً ووضعه. ثم ليس لهذا الغني أن يقول «هلا أضيف إلى يساري جمال فلان» ولا للجميل أن يقول «هلا أُضيف إلى جمالي مال فلان»، ولا للشريف أن يقول «هلا أُضيف إلى شرفي مال فلان» ولا للوضيع أن يقول «هلا أُضيف إلى ضعتي شرف فلان» ولكن الحكم لله يقسم كيف يشاء

---

(١) وفي بعض النسخ «خربة» وهي العيب والعورة والذلة.

(٢) الضريبة: التي تؤخذ في الجزية ونحوها واللازب: اللازم الشديد اللزوم.

ويفعل كما يشاء، وهو حكيم في أفعاله محمود في أعماله وذلك قوله تعالى: « **وقالوا لولا نُزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**» قال الله تعالى « **أهم يقسمون رحمة ربِّك** » يا محمد « **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا**»[١] فأحوجنا بعضاً إلى بعض، أحوج هذا إلى مال ذلك، وأحوج ذلك إلى سلعة هذا وإلى خدمته.

فترى أجل الملوك وأغنى الأغنياء محتاجاً إلى أفقر الفقراء في ضرب من الضروب: إما سلعة معه ليست معه، وإما خدمة يصلح لها لا يتهيأ لذلك الملك أن يستغني إلا به، وإما باب من العلوم والحكم هو فقير إلى أن يستفيدها من هذا الفقير، فهذا الفقير يحتاج إلى مال ذلك الملك الغني، وذلك الملك يحتاج إلى علم هذا الفقير أو رأيه أو معرفته.

ثم ليس للملك أن يقول هلا اجتمع إلى مالي علم هذا الفقير، ولا للفقير أن يقول هلا اجتمع على رأيي وعلمي وما أتصرف فيه من فنون الحكمة مال هذا الملك الغني. ثم قال الله: «**ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا**» ثم قال: يا محمّد قل لهم «**ورحمة ربِّك خير مما يجمعون**»[٢] أي ما يجمعه هؤلاء من أموال الدنيا.

ثم قال رسول الله (ص): وأما قولك «**لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً**» إلى آخر ما قلته، فإنك قد اقترحت على محمّد رسول الله أشياء: منها ما لو جاءك به لم يكن برهاناً لنبوته ورسول الله (ص) يرتفع عن أن يغتنم جهل الجاهلين ويحتج عليهم بما لا حجة فيه، ومنها ما لو جاءك به كان معه هلاكك، وإنما يؤتى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الايمان بها لا ليهلكوا بها فإنّما اقترحت هلاكك ورب العالمين أرحم بعباده وأعلم بمصالحهم من أن يهلكهم كما تقترحون، ومنها المحال الذي لا يصح ولا يجوز كونه ورسول رب العالمين يعرفك ذلك ويقطع معاذيرك ويضيق عليك سبيل مخالفته، ويلجئك بحجج الله إلى تصديقه حتى لا يكون لك عنه محيد ولا محيص، ومنها ما قد اعترفت على نفسك أنَّك فيه معاند متمرِّد لا تقبل حجة ولا تصغي إلى برهان، ومن كان كذلك فدواؤه عذاب الله النازل من سمائه في جحيمه أو بسيوف أوليائه.

فأما قولك يا عبد الله: «**لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً**» بمكة هذه فإنّها ذات أحجار وصخور وجبال تكسح أرضها وتحفرها وتجري فيها العيون فإننا إلى ذلك محتاجون فإنك سألت هذا وأنت جاهل بدلائل الله.

يا عبد الله أرأيت لو فعلت هذا أكنت من أجل هذا نبياً؟ قال: لا.

قال رسول الله (ص): أرأيت الطائف التي لك فيها بساتين أما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلحتها وذللتها وكسحتها وأجريت فيها عيوناً استنبطتها؟ قال: بلى.

قال (ص): وهل لك في هذا نظراء؟ قال: بلى.

قال: فصرت أنت وهم بذلك أنبياء؟ قال: لا.

قال (ص): فكذلك لا يصير هذا حجة لمحمد لو فعله على نبوته، فما هو الا كقولك: لن نؤمن لك حتى تقوم

(١و٢) الزخرف: ٣٢.

وتمشي على الأرض كما يمشي الناس أو حتى تأكل الطعام كما يأكل الناس.

وأما قولك ياعبد الله: « أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتأكل منها وتطعمنا وتفجر الأنهار خلالها تفجيراً » أوليس لك ولأصحابك جنات من نخيل وعنب بالطائف تأكلون وتطعمون منها وتفجرون الأنهار خلالها تفجيراً، أفصرتم أنبياء بهذا؟ قال: لا.

قال(ص): فما بال اقتراحكم على رسول الله(ص) أشياء لو كانت كما تقترحون لما دلت على صدقه، بل لو تعاطاها لدل تعاطيها على كذبه لأنَّه يحتج بما لا حجة فيه ويختدع الضعفاء عن عقولهم وأديانهم، ورسول رب العالمين يجل ويرتفع عن هذا.

ثم قال رسول الله(ص): يا عبد الله وأما قولك ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً﴾ فإنَّك قلت: ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾ فإنَّ في سقوط السماء عليكم هلاككم وموتكم، فإنَّما تريد بهذا من رسول الله (ص) أن يهلكك ورسول رب العالمين أرحم من ذلك، لا يهلكك ولكنه يقيم عليك حجج الله، وليس حجج الله لنبيه وحده على حسب اقتراح عباده، لأنَّ العباد جهال بما يجوز من الصلاح وما لا يجوز منه من الفساد، وقد يختلف اقتراحهم ويتضاد حتى يستحيل وقوعه، والله عز وجل طبيبكم لا يجري تدبيره على ما يلزم به المحال.

ثم قال رسول الله(ص): وهل رأيت يا عبد الله طبيباً كان دواؤه للمرضى على حسب اقتراحهم، وإنَّما يفعل به ما يعلم صلاحه فيه أحبَّه العليل أو كرهه؟ فأنتم المرضى والله طبيبكم، فإن انقدتم لدوائه شفاكم وإن تمردتم عليه أسقمكم.

وبعد فمتى رأيت يا عبد الله مدعي حق من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكامهم فيما مضى بينة على دعواه على حسب اقتراح المدعى عليه؟ إذاً ما كان يثبت لأحد على أحد دعوًى ولا حق، ولا كان بين ظالم ومظلوم ولا بين صادق وكاذب فرق.

ثم قال رسول الله(ص): يا عبد الله وأما قولك: ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً يقابلوننا ونعاينهم﴾ فإنَّ هذا من المحال الذي لا خفاء به، وإنَّ ربنا عز وجل ليس كالمخلوقين يجيئ ويذهب ويتحرك ويقابل شيئاً حتى يؤتى به، فقد سألتم بهذا المحال، وإنَّما هذا الذي دعوت إليه صفة أصنامكم الضعيفة المنقوصة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم ولا تغني عنكم شيئاً ولا عن أحد.

يا عبد الله أوليس لك ضياع وجنان بالطائف وعقار بمكة وقوام عليها؟ قال بلى. قال: أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك أو بسفراء بينك وبين معامليك؟ قال: بسفراء.

قال(ص): أرأيت لو قال معاملوك وأكرتك(١) وخدمتك لسفرائك: لا نصدقكم في هذه السفارة إلا أن تأتونا بعبد الله بن أبي امية لنشاهده فنسمع ما تقولون عنه شفاهاً، كنت تسوغهم هذا أو كان يجوز لهم عندك ذلك؟ قال: لا.

---

(١) الاكرة: الأجراء والعمال.

قال(ص) : فما الذي يجب على سفرائك أليس أن يأتوهم عنك بعلامة صحيحة تدلهم على صدقهم يجب عليهم أن يصدقوهم؟ قال : بلى .

قال(ص) : يا عبد الله أرأيت سفيرك لو أنه لما سمع منهم هذا عاد إليك وقال لك : قم معي فإنهم قد اقترحوا عليَّ مجيئك معي أليس يكون هذا لك مخالفاً وتقول له : إنّما أنت رسول لا مشير ولا آمر؟ قال : بلى .

قال(ص) : فكيف صرت تقترح على رسول ربِّ العالمين ما لا تسوغ لأكرتك ومعامليك أن يقتوحوه على رسولك إليهم؟ ! وكيف أردت من رسول ربِّ العالمين أن يستذم إلى ربِّه بأن يأمر عليه وينهى وأنت لا تسوغ مثل هذا على رسولك إلى أكرتك وقوامك؟ ! هذه حجة قاطعة لإبطال جميع ما ذكرته في كل ما أقترحته يا عبد الله .

وأما قولك يا عبد الله : ﴿أو يكون لك بيت من زخرف ـ وهو الذهب﴾ أما بلغك أنَّ لعظيم مصر بيوتاً من زخرف؟ قال : بلى .

قال(ص) : أفصار بذلك نبياً؟ قال : لا .

قال(ص) : فكذلك لا يوجب لمحمد(ص) نبوة لو كان له بيوت ، ومحمد لا يغنم جهلك بحجج الله .

وأما قولك يا عبد الله : ﴿أو ترقى في السماء﴾ ، ثم قلت : ﴿ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾ يا عبد الله الصعود إلى السماء أصعب من النزول عنها ، وإذا اعترفت على نفسك أنَّك لا تؤمن اذا صعدت فكذلك حكم النزول ، ثم قلت : «حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه من بعد ذلك ، ثم لا أدري أؤمن بك أولا أؤمن بك» فأنت يا عبد الله مقر بأنَّك تعاند حجة الله عليك ، فلا دواء لك إلا تأديبه لك على يد أوليائه من البشر أو ملائكته الزبانية ، وقد أنزل عليَّ حكمة بالغة جامعة لبطلان كل ما اقترحته فقال عز وجل :

﴿قل﴾ يا محّمد : **﴿سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾**[1] ما أبعد ربِّي عن أن يفعل الأشياء على ما يقترحه الجهال مما يجوز ومما لا يجوز ، وهل كنت إلا بشراً رسولاً لا يلزمني إلا إقامة حجة الله التي أعطاني ، وليس لي أن آمر على ربِّي ولا أنهى ولا اشير فأكون كالرسول الذي بعثه ملك إلى قوم من مخالفيه فرجع إليه يأمره أن يفعل بهم ما اقترحوه عليه .

فقال أبو جهل : يا محّمد هاهنا واحدة ألست زعمت : أنَّ قوم موسى احترقوا بالصاعقة لما سألوه أن يريهم الله جهرة؟ قال (ص) : بلى .

قال : فلو كنت نبياً لاحترقنا نحن أيضاً ، فقد سألنا أشد مما سأل قوم موسى ، لأنَّهم كما زعمت قالوا : **﴿أرنا الله جهرة﴾** ونحن نقول : **﴿لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾** نعاينهم .

فقال رسول الله (ص) : يا أبا جهل أما علمت قصة إبراهيم الخليل لما رفع في الملكوت ، وذلك قول ربِّي : **﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكوننَّ من الموقنين﴾**[2] قوَّى الله بصره لما

---

(١) الإسراء ـ ٩٣ .

(٢) الانعام : ٧٥ .

رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فهمَّ بالدعاء عليهما فأوحى الله إليه: يا إبراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي فإني أنا الغفور الرحيم، الجبار الحليم، لا يضرني ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم، ولست أسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك، فاكفف دعوتك عن عبادي وإمائي فإنّما أنت عبد نذير لا شريك في الملك ولا مهيمن عليَّ ولا عبادي وعبادي معي بين خلال ثلاث: إما تابوا إليَّ فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم وسترت عيوبهم، وإما كففت عنهم عذابي لعلمي بأنه سيخرج من أصلابهم ذريات مؤمنون فأرقّ بالآباء الكافرين وأتأنّى بالأمهّات الكافرات وأرفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم فإذا تزايلوا حل بهم عذابي وحاق بهم بلائي، وإن لم يكن هذا ولا هذا فإنَّ الذي أعددته لهم من عذابي أعظم مما تريده بهم، فإنَّ عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي.

يا إبراهيم خلّ بيني وبين عبادي فأنا أرحم بهم منك وخلِّ بيني وبين عبادي فإنِّي أنا الجبار الحليم العلام الحكيم ادبرهم بعلمي وانفذ فيهم قضائي وقدري.

ثم قال رسول الله (ص): يا أبا جهل إنّما دفع عنك العذاب لعلمه بأنَّه سيخرج من صلبك ذرية طيبة عكرمة ابنك، وسيلي من امور المسلمين ما إن أطاع الله ورسوله فيه كان عند الله جليلاً والا فالعذاب نازل عليك، وكذلك سائر قريش السائلين لما سألوا من هذا إنَّما امهلوا لأنَّ الله علم أنَّ بعضهم سيؤمن بمحمد وينال به السعادة، فهو لا يقطعه عن تلك السعادة ولا يبخل بها عليه، أومن يولد منه مؤمن فهو يُنظر أباه لإيصال ابنه إلى السعادة، ولولا ذلك لنزَّل العذاب بكافتكم. فانظر إلى السماء، فنظر فإذا أبوابها مفتحة وإذا النيران نازلة منها مسامتة لرؤوس القوم[1] تدنو منهم حتى وجدوا حرَّها بين أكتافهم، فارتعدت فرائص[2] أبي جهل والجماعة، فقال رسول الله (ص): ﴿لا تروعنكم فإنَّ الله لا يهلككم بها وإنّما أظهرها عبرة﴾.

ثم نظروا إلى السماء وإذا قد خرج من ظهور الجماعة أنوار قابلتها ورفعتها ودفعتها حتى أعادتها في السماء كما جاءت منها، فقال رسول الله (ص): إنَّ بعض هذه الأنوار أنوار من قد علم الله أنَّه سيسعده بالإيمان بي منكم من بعد، وبعضها أنوار ذرية طيبة ستخرج من بعضكم ممن لا يؤمن وهم يؤمنون.

وعن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: قيل لأمير المؤمنين يا أمير المؤمنين هل كان لمحمد (ص) آية مثل آية موسى في رفعه الجبل فوق رؤوس الممتنعين عن قبول ما امروا به؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إي والذي بعثه بالحق نبياً ما من آية كانت لأحد من الأنبياء من لدن آدم إلى أن انتهى إلى محّمد صلَّى الله عليه وآله إلا وقد كان لمحمد مثلها أو أفضل منها، ولقد كان لرسول الله (ص) نظير هذه الآية إلى آيات اخر ظهرت له، وذلك أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله لما أظهر بمكة دعوته وأبان عن الله تعالى مراده، رمته العرب عن قسي عداوتها بضروب مكائدهم ولقد قصدته يوماً لأني كنت أول الناس

---

(١) مسامتة لرؤوس القوم: محاذية لرؤوسهم.

(٢) الفرائص جمع الفريصة، وهي لحمة بين الثدي والكتف ترعد عن الفزع.

إسلاماً، بعث يوم الإثنين وصلّيت معه يوم الثلاثاء، وبقيت معه اصلّي سبع سنين حتى دخل نفر في الاسلام وأيّد الله تعالى دينه من بعده فجاء قوم من المشركين فقالوا له:

يا محمد تزعم أنّك رسول ربّ العالمين، ثم إنّك لا ترضى بذلك حتى تزعم أنّك سيدهم وأفضلهم فلئن كنت نبياً فائتنا بآية كما تذكره من الأنبياء قبلك: مثل نوح الذي جاء بالغرق ونجا في سفينته مع المؤمنين، وإبراهيم الذي ذكرت أنّ النار جعلت عليه برداً وسلاماً، وموسى الذي زعمت أنّ الجبل رفع فوق رؤوس أصحابه حتى انقادوا لما دعاهم إليه صاغرين داخرين، وعيسى الذي كان ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وصار هؤلاء المشركون فرقاً أربعة: هذه تقول أظهر لنا آية نوح، وهذه تقول أظهر لنا آية موسى، وهذه تقول أظهر لنا آية إبراهيم، وهذه تقول أظهر لنا آية عيسى.

فقال رسول الله(ص): إنّما أنا نذير مبين أتيتكم بآية مبينة هذا القرآن الذي تعجزون أنتم والأمم وسائر العرب عن معارضته وهو بلغتكم، فهو حجة بينة عليكم، وما بعد ذلك فليس لي الإقتراح على ربّي وما على الرسول إلا البلاغ المبين إلى المقرّين بحجة صدقه وآية حقه، وليس عليه أن يقترح بعد قيام الحجة على ربّه ما يقترحه عليه المقترحون الذين لا يعلمون هل الصلاح او الفساد فيما يقترحون.

فجاء جبرئيل فقال: يا محمد إنّ العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنّي سأظهر لهم هذه الآيات وإنّهم يكفرون بها إلا من أعصمه منهم ولكنّي اريهم ذلك زيادة في الإعذار والإيضاح لحججك، فقل لهؤلاء المقترحين لآية نوح عليه السلام: إمضوا إلى جبل ابي قبيس، فإذا بلغتم سفحه فسترون آية نوح، فإذا غشيكم الهلاك فاعتصموا بهذا وبطفلين يكونان بين يديه. وقل للفريق الثاني المقترحين لآية إبراهيم عليه السلام امضوا إلى حيث تريدون من ظاهر مكة، فسترون آية إبراهيم في النار، فإذا غشيكم النار فسترون في الهواء امرأة قد أرسلت طرف خمارها فتعلقوا به لتنجيكم من الهلكة وترد عنكم النار. وقل للفريق الثالث[المقترحين لآية موسى: امضوا إلى ظل الكعبة] فسترون آية موسى، وسينجيكم هناك عمي حمزة. وقل للفريق الرابع ورئيسهم أبو جهل: وأنت يا أبا جهل فاثبت عندي ليتصل بك أخبار هؤلاء الفرق الثلاث، فإنّ الآية التي اقترحتها تكون بحضرتي.

فقال أبو جهل للفرق الثلاث: قوموا فتفرقوا ليتبينّ لكم باطل قول محمد صلّى الله عليه وآله، فذهب الفريق الأول إلى جبل أبي قبيس، والثاني إلى صحراء ملساء، والثالث إلى ظل الكعبة، ورأوا ما وعدهم الله ورجعوا إلى النبي (ص) مؤمنين وكلما رجع فريق منهم إليه وأخبروه بما شاهدوا ألزمه رسول الله (ص) الإيمان بالله فاستمهل أبو جهل إلى أن يجيء الفريق الآخر حسب ما أوردناه في الكتاب الموسوم بمفاخر الفاطمية تركنا ذكره ها هنا طلباً للإيجاز والإختصار.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فلما جاءت الفرقة الثالثة وأخبروا بما شاهدوا عيانا وهم مؤمنون بالله وبرسوله قال رسول الله صلى عليه وآله ـ لأبي جهل ـ: هذه الفرقة الثالثة قد جاءتك وأخبرتك بما شاهدت..

فقال أبو جهل: لا أدري أصدق هؤلاء أم كذبوا، أم حقق لهم ذلك أم خيّل إليهم فإن رأيت أنا ما اقترحته عليك من نحو آيات عيسى بن مريم فقد لزمني الإيمان بك وإلا فليس يلزمني تصديق هؤلاء على كثرتهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا أبا جهل فإن كان لا يلزمك تصديق هؤلاء على كثرتهم وشدّة تحصيلهم فكيف تصدق بمآثر آبائك وأجدادك ومساوي أسلاف أعدائك وكيف تصدق على الصين والعراق والشام إذا حدثت عنها ، وهل المخبرون عن ذلك إلا دون هؤلاء المخبرين لك عن هذه الآيات مع سائر من شاهدها معهم من الجمع الكثيف الذين لا يجتمعون على باطل يتخرصونه إلا إذا كان بإزائهم من يكذّبهم ويخبر بضد إخبارهم ، ألا وكل فرقة محجوجون بما شاهدوا ، وأنت يا أبا جهل محجوج بما سمعت ممن شاهده .

ثم أخبره النبي (ص) بما اقترح عليه من آيات عيسى مـن أكله لما أكل وادخاره في بيته لما ادّخر من دجاجة مشوية وإحياء الله تعالى إياها وإنطاقها بما فعل بها أبوجهل وغير ذلك على ما جاء به في هذا الخبر ، فلم يصدقه ابو جهل في ذلك كلّه بل كان يكذّبه وينكر جميع ما كان النبي (ص) يخبره به من ذلك إلى أن قال النبي لأبي جهل :

أما كفاك ما شاهدت أم تكون آمناً من عذاب الله قال أبو جهل : إنّي لأظن أنّ هذا تخييل وإيهام .

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : فهل تفرق بين مشاهدتك لها وسماعك لكلامها ـ يعني : الدجاجة المشوية التي أنطقها الله له ـ وبين مشاهدتك لنفسك ولسائر قريش والعرب وسماعك كلامهم؟ قال أبوجهل : لا .

فقال رسول الله (ص) : فما يدريك إذاً أنّ جميع ما تشاهد وتحس بحواسك تخييل . قال أبوجهل : ما هو تخييل .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ولا هذا تخييل ، والا فكيف تصحح أنّك ترى في العالم شيئاً أوثق منه ـ؟ . . تمام الخبر .

* * *

«رسالة لأبي جهل الى رسول الله صلّى الله وآله لما هاجر إلى المدينة والجواب عنها بالرواية عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام»

وهي أن قال : يا محمد إنّ الخيوط التي في رأسك هي التي ضيقت عليك مكة ورمت بك إلى يثرب ، وإنّها لا تزال بك تنفرك وتحثك على ما يفسدك ويتلفك إلى أن تفسدها على أهلها وتصليهم حر نار جهنم وتعدّيك طورك ، وما أرى ذلك إلاوسيؤول إلى أن تثور عليك قريش ثورة رجل واحد لقصد أثارك ودفع ضرك وبلائك ، فتلقاهم بسفهائك المغترين بك ويساعدك على ذلك من هو كافر بك مبغض لك ، فيلجئه إلى مساعدتك ومظافرتك خوفه لأن لا يهلك بهلاكك ويعطب عياله بعطبك ، ويفتقر هو ومن يليه بفقرك وبفقر شيعتك ، إذ يعتقدون أنّ أعداءك إذا قهروك ودخلوا ديارهم عنوة لم يفرقوا بين من والاك وعاداك ، واصطلموهم[1] باصطلامهم لك وأتوا على عيالاتهم وأموالهم بالسبي والنهب ، كما يأتون على أموالك وعيالك ، وقد أعذر من أنذر وبالغ من أوضح .

واديت هذه الرسالة الى محّمد وهو بظاهر المدينة بحضرة كافة اصحابه وعامة الكفار من يهود بني إسرائيل ،

---

(١) اصطلموهم : استأصلوهم .

وهكذا، أمر الرسول: ليجبِّن المؤمنين ويغري بالوثوب عليه سائر من هناك من الكافرين.

فقال رسول الله(ص)ـ للرسول ـ: قد أطريت مقالتك واستكملت رسالتك؟ قال: بلى.

قال(ص): فاسمع الجواب، إنَّ أبا جهل بالمكاره والعطب يتهددني، ورب العالمين بالنصر والظفر يعدني، وخبر الله أصدق، والقبول من الله أحق، لن يضر محّمداً من خذله أو يغضب عليه، بعد أن ينصره الله ويتفضّل بجوده وكرمه عليه، قل له: يا أبا جهل إنَّك واصلتني بما ألقاه في خلدك الشيطان، وأنا أجيبك بما ألقاه في خاطري الرحمن، إنَّ الحرب بيننا وبينك كائنة إلى تسع وعشرين يوماً، وإنَّ الله سيقتلك فيها بأضعف أصحابي، وستلقى أنت وشيبة وعتبة والوليد وفلان وفلان ـ وذكر عدداً من قريش ـ في قليب بدر مقتولين أقتل منكم سبعين وآسر منكم سبعين، وأحملهم على الفداء الثقيل.

ثم نادى جماعة من بحضرته من المؤمنين واليهود وسائر الأخلاط: ألا تحبون أن اريكم مصرع كل واحد منهم هلموا إلى بدر! فإن هناك الملتقى والمحشر، وهناك البلاء الأكبر، لأضع قدمي على مواضع مصارعهم، ثم ستجدونها لا تزيد ولا تنقص ولا تتغير ولا تتقدم ولا تتأخر لحظة ولا قليلاً ولا كثيراً. فلم يخف ذلك على أحد منهم ولم يجبه إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وحده، قال: نعم بسم الله. فقال الباقون: نحن نحتاج إلى مركوب وآلات ونفقات، ولا يمكننا الخروج إلى هناك وهو مسيرة أيام.

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله لسائر اليهود: فأنتم ماذا تقولون؟

فقالوا: نحن نريد أن نستقر في بيوتنا ولا حاجة لنا في مشاهدة ما أنت في ادعائه محيل[1].

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأنصب لكم في المسير إلى هناك اخطوا خطوة واحدة! فإنَّ الله يطوي الأرض لكم ويوصلكم في الخطوة الثانية إلى هناك.

قال المسلمون: صدق رسول الله صلَّى الله عليه وآله فلنتشرّف بهذه الآية وقال الكافرون والمنافقون: سوف نمتحن هذا الكذاب لينقطع عذر محّمد ويصير دعواه حجة عليه وفاضحة له في كذبه.

قال: فخطا القوم خطوة ثم الثانية، فإذا هم عند بئر بدر، فتعجبوا فجاء رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقال: اجعلوا البئر العلامة واذرعوا من عندها كذا ذراع، فذرعوا فلما انتهوا إلى آخرها قال: هذا مصرع أبي جهل يجرحه فلان الأنصاري، ويجهز عليه عبد الله بن مسعود أضعف أصحابي.

ثم قال: اذرعوا من البئر من جانب آخر ثم من جانب آخر ثم من جانب آخر كذا وكذا ذراعاً وذراعاً، وذكر أعداد الأذرع مختلفة، فلما انتهى كل عدد إلى آخره، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: هذا مصرع عتبة، وهذا مصرع شيبة، وذاك مصرع الوليد، وسيقتل فلان وفلان إلى أن سمَّى سبعين منهم بأسمائهم، وسيؤسر فلان وفلان إلى أن ذكر سبعين منهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وصفاتهم، ونسب المنسوبين إلى أمَّهاتهم وابائهم، ونسب الموالي منهم إلى مواليهم.

ثم قال صلَّى الله عليه وآله: أوقفتم على ما أخبرتكم به؟ قالوا: بلى.

---

(١) المحال من الكلام: ما عدل عن وجهه.

قال(ص) : إنَّ ذلك لحق كائن بعد ثمانية وعشرين يوماً في اليوم التاسع والعشرين وعداً من الله مفعولاً وقضاءاً حتماً لازماً. . . تمام الخبر.

ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله : يا معشر المسلمين واليهود اكتبوا بما سمعتم . فقالوا : يارسول الله قد سمعنا ووعينا ولا ننسى .

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله : الكتابة أذكر لكـم . فقالوا : يارسول الله فأين الدواة والكتف؟

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله : ذلك للملائكة . ثم قال(ص) : ياملائكة ربِّي اكتبوا ما سمعتم من هذه القصة في الكتاب واجعلوا في كمّ كل واحد منهم كتفاً من ذلك .

ثم قال : يا معشر المسلمين تأمَّلوا أكمامكم وما فيها وأخرجوها واقرؤ وها ، فتأملوها ، وإذا في كمّ كل واحد منهم صحيفة ، قرؤ وها وإذا فيها ذكر ما قاله رسول الله صلَّى الله عليه وآله في ذلك سواء لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدَّم ولا يتأخر .

فقال(ص) : أغيضوها في أكمامكم تكن حجة عليكم وشرفاً للمؤ منين منكم وحجة على أعدائكم فكانت معهم ، فلما كان يوم بدر جرت الأُمور كلها ببدر كما قال رسول الله (ص) لا يزيد ولا ينقص ، قابلوها في كتبهم فوجدوها كما كتبها الملائكة لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتأخر ، فقبل المسلمون ظاهرهم ووكلوا باطنهم إلى خالقهم .

* * *

«احتجاجه صلَّى الله عليه وآله وسلم على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك»

قال أبو محّمد الحسن العسكري عليه السلام : لما كان رسول الله (ص) بمكة أمره الله تعالى أن يتوجه نحو بيت المقدس في صلاته ، ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن وإذا لم يمكن استقبل بيت المقدس كيف كان ، فكان رسول الله صلَّى الله عليه وآله يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاث عشرة سنة ، فلما كان بالمدينة وكان متعبداً باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً ، وجعل قوم من مردة اليهود يقولون :

والله ما درى محّمد كيف يصلِّي حتى صار يتوجه إلى قبلتنا ويأخذ في صلاته بهدينا ونسكنا .

فاشتد ذلك على رسول الله(ص) لما اتصل به عنهم وكره قبلتهم وأحب الكعبة ، فجاءه جبرئيل عليه السلام : فقال له رسول الله (ص) : ياجبرئيل ! لوددت لو صرفني الله عن بيت المقدس إلى الكعبة فقد تأذيت بما يتصل بي من قبل اليهود من قبلتهم . فقال جبرئيل عليه السلام : فاسأل ربك أن يحوِّلك إليها فإنَّه لا يردك عن طلبتك ولا يخيِّبك من بغيتك ، فلما أستتم دعاءه ، صعد جبرئيل ثم عاد من ساعته فقال : اقرأ يامحّمد :

﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولِّينك قبلة ترضيها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ [1] الآيات .

---

(١) البقرة - ١٤٤ .

فقال اليهود ـ عند ذلك ـ : ﴿**ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها**﴾؟ فأجابهم الله أحسن جواب فقال : ﴿**قل لله المشرق والمغرب**﴾ وهو يملكهما وتكليفه التحويل إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر ﴿**يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾[1] وهو أعلم بمصلحتهم وتؤديهم طاعتهم إلى جنات النعيم .

قال أبو محمّد عليه السلام : وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله (ص) فقالوا : يا محمد هذه القبلة بيت المقدس قد صلّيت إليها أربعة عشر سنة ثم تركتها الآن ، أفحقاً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل فإنَّ ما يخالف الحق باطل؟! أو باطلاً كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدة فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟

فقال رسول الله (ص) : بل ذلك كان حقاً وهذا حق ، يقول الله : ﴿**قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ إذا عرف صلاحكم أيها العباد في استقبالكم المشرق أمركم به ، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به ، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به ، فلا تنكروا تدبير الله في عباده وقصده إلى مصالحكم .

ثم قال رسول الله (ص) : لقد تركتم العمل يوم السبت ثم عملتم بعده سائر الأيام ، ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده ، أفتركتم الحق إلى الباطل ، أو الباطل إلى الحق ، أو الباطل إلى الباطل ، أو الحق إلى الحق؟ قولوا كيف شئتم فهو قول محمّد وجوابه لكم . قالوا : بل ترك العمل في السبت حق ، والعمل بعده حق .

فقال رسول الله (ص) : فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حق ، ثم قبلة الكعبة في وقته حق .

فقالوا له : يا محمّد أفبدا لربك فيما كان أمرك به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس حتى نقلك إلى الكعبة؟

فقال رسول الله (ص) ما بدا له عن ذلك فإنَّه العالم بالعواقب والقادر على المصالح لا يستدرك على نفسه غلطاً ولا يستحدث رأياً بخلاف المتقدم جل عن ذلك ، ولا يقع عليه أيضاً مانع يمنعه من مراده ، وليس يبدو إلا لمن كان هذا وصفه ، وهو عز وجل يتعالى عن هذه الصفات علواً كبيراً .

ثم قال لهم رسول الله (ص) : أيها اليهود أخبروني عن الله أليس يُمرض ثم يُصح ، ويصح ثم يمرض ، أبداله في ذلك؟ أليس يحيي ويميت ، أبداله في كل واحد من ذلك؟ قالوا : لا .

قال (ص) : فكذلك الله تعبَّد نبيه محمّداً بالصلاة إلى الكعبة بعد أن كان تعبَّده بالصلاة إلى بيت المقدس وما بداله في الأول .

ثم قال (ص) : أليس الله يأتي بالشتاء في إثر الصيف ، والصيف في أثر الشتاء ، أبداله في كل واحد من ذلك؟ قالوا : لا .

قال (ص) : فكذلك لم يبد له في القبلة .

قال : ثم قال (ص) : أليس قد ألزمكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة؟ وألزمكم في الصيف أن تحترزوا من الحر؟ أفبدا له في الصيف حين أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشتاء؟ قالوا : لا .

---

(١) البقرة ـ ١٤٢ .

فقال رسول الله (ص) : فكذلكم الله تعبَّدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء ثم تعبَّدكم في وقت آخر بصلاح يعلمه بشيء آخر ، فإذا أطعتم الله في الحالتين استحققتم ثوابه ، فأنزل الله تعالى : **﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولُّوا فثمَّ وجه الله إنَّ الله واسع عليم﴾**[1] يعني : إذا توجهتم بأمره فثمَّ الوجه الذي تقصدون منه الله وتأملون ثوابه .

ثم قال رسول الله (ص) : يا عباد الله أنتم كالمرضى والله رب العالمين كالطبيب فصلاح المرضى فيما يعمله الطبيب ويدبِّره به لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه . الا فسلِّموا لله أمره تكونوا من الفائزين .

فقيل : يا ابن رسول الله فلم أُمر بالقبلة الأُولى؟

فقال : لما قال الله تعالى : **﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾** وهي : بيت المقدس **﴿إلا لنعلم من يتَّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾**[2] إلا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد ، وذلك أنَّ هوى أهل مكة كان في الكعبة ، فأراد الله أن يبيِّن متبعي محّمد ممن خالفه باتباع القبلة التي كرهها ومحّمد يأمر بها ، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة ليبيّن من يوافق محّمداً فيما يكرهه ،فهو مصدقه وموافقه .

ثم قال : **﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾** إن كان التوجه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت لكبيرة إلا على من يهدي الله ، فعرف أنَّ لله أن يتعبَّد بخلاف ما يريده المرء ليبتلي طاعته في مخالفة هواه .

وقال أبو محّمد عليه السلام : قال جابر بن عبد الله الأنصاري : سأل رسول الله(ص) عبد الله بن صوريا ـ غلام يهودي أعور ، تزعم اليهود أنه أعلم يهودي بكتاب الله وعلوم أنبيائه ـ عن مسائل كثيرة يعنته فيها[3] فأجابه عنها رسول الله(ص) بما لم يجد إلى إنكار شيء منه سبيلاً .

فقال له : يا محّمد من يأتيك بهذه الأخبار عن الله؟ قال(ص) : جبرئيل . قال : لو كان غيره يأتيك بها لآمنت بك ، ولكنَّ جبرئيل عدونا من بين الملائكة ، فلو كان ميكائيل أو غيره سوى جبرئيل يأتيك لآمنت بك .

فقال رسول الله(ص) : لِمَ اتخذتم جبرئيل عدوّاً؟ قال : لأنَّه ينزل بالبلاء والشدة على بني إسرائيل ، ودفع «دانيال» عن قتل (بخت نصر)[4] حتى قوي أمره وأهلك بني إسرائيل ، وكذلك كل بأس وشدة لا ينزلها إلا جبرئيل ، وميكائيل يأتينا بالرحمة .

فقال رسول الله(ص) : ويحك أجهلت أمر الله وما ذنب جبرئيل إلا أن أطاع الله فيما يريده بكم؟ أرأيتم ملك الموت هل هو عدوكم وقد وكله الله بقبض أرواح الخلق؟ أرأيتم الآباء والأُمهات إذا أوجروا الأولاد[5] الدواء الكريهة لمصالحهم ، أيجب أن يتخذهم أولادهم أعداءً من أجل ذلك؟ لا . ولكنَّكم بالله جاهلون ، وعن حكمه

---

(١) البقرة ـ ١١٥ .

(٢) البقرة ـ ١٤٣ .

(٣) يعنته فيها : يطلب زلّته ويشدد عليه ويلزمه ما يصعب عليه أداؤه

(٤) بخت اصله بوخت وهو بمعنى ابن ، نصر اسم صنم كان قد وجد عنده ولم يعرف له أب فنسب إليه ، وخرب بيت المقدس وقتل من اليهود مقتلة عظيمة عندما اصبح ملكاً .

(٥) أوجره : جعل الوجور في فيه ، والوجور : الدواء يجعل في وسط الفم .

غافلون . أشهد أنَّ جبرئيل وميكائيل بأمر الله عاملان وله مطيعان ، وأنَّه لا يعادي أحدهما إلا من عادى الآخر ، وأنَّ من زعم أنَّه يحب أحدهما ويبغض الآخر فقد كفر وكذب ، وكذلك محّمد رسول الله وعلي أخوان ، كما أنَّ جبرئيل وميكائيل أخوان فمن أحبَّهما فهو من أولياء الله ، ومن أبغضهما فهو من أعداء الله ، ومن أبغض أحدهما وزعم أنَّه يحب الآخر فقد كذب وهما منه بريئان والله تعالى وملائكته وخيار خلقه منه براء .

وقال أبو محمد عليه السلام : كان سبب نزول قوله تعالى : ﴿**قل من كان عدواً لجبريل**﴾ [1] الآيتين : ما كان من اليهود أعداء الله من قول سيِّئ في جبرئيل وميكائيل وما كان من أعداء الله النصاب من قول أسوأ منه في الله وفي جبرئيل وميكائيل وسائر ملائكة الله ، أما ما كان من النصاب : فهو أن رسول الله (ص) لما كان لا يزال يقول في علي عليه السلام الفضائل التي خصه الله عز وجل بها والشرف الذي نحله الله [2] تعالى ، وكان في كل ذلك يقول : أخبرني به جبرئيل عليه السلام عن الله ، ويقول في بعض ذلك جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، ويفتخر جبرئيل على ميكائيل في أنَّه عن يمين علي عليه السلام الذي هو أفضل من اليسار ، كما يفتخر نديم ملك عظيم في الدنيا يجلسه الملك عن يمينه على النديم الآخر الذي يجلسه على يساره ، ويفتخران على إسرافيل الذي خلفه بالخدمة ، وملك الموت الذي أقامه بالخدمة وأنَّ اليمين واليسار أشرف من ذلك ، كافتخار حاشية الملك على زيادة قرب محلهم من ملكهم .

وكان رسول الله (ص) يقول ـ في بعض أحاديثه ـ : إنَّ الملائكة أشرفها عند الله أشدها لعلي بن أبي طالب عليه السلام حبّاً ، وأنَّه قسم الملائكة فيما بينها والذي شرف علياً على جميع الورى بعد محمد المصطفى . ويقول مرة : إنَّ ملائكة السماوات والحجب ليشتاقون إلى رؤ ية علي بن أبي طالب عليه السلام كما تشتاق الوالدة الشفيقة إلى ولدها البار الشفيق آخر من بقي عليها بعد عشرة دفنتهم ، فكان هؤ لاء النصاب يقولون : إلى متى يقول محمد : جبرئيل ، وميكائيل ، والملائكة ، كل ذلك تفخيم لعلي وتعظيم لشأنه ، ويقول الله تعالى لعلي خاص من دون سائر الخلق ، برئنا من رب ومن ملائكة ومن جبرائيل ومن ميكائيل هم لعلي بعد محمد مفضلون وبرئنا من رسل الله الذين هم لعلي بعد محمد مفضلون .

وأما ما قاله اليهود : فهو أنَّ اليهود أعداء الله ، لما قدم رسول الله (ص) المدينة أتوه بعبد الله بن صوريا فقال : يا محمد كيف نومك فإنا قد أخبرنا عن نوم النبي صلَّى الله عليه وآله الذي يأتي في آخر الزمان؟ فقال : تنام عيني وقلبي يقظان . قال : صدقت يا محمد .

ثم قال : فأخبرني يا محمد الولد يكون من الرجل او من المرأة؟ فقال النبي (ص) : أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل ، وأما اللحم والدم والشعر فمن المرأة . قال : صدقت يا محمد .

ثم قال : يا محمد فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء ، ويشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ فقال رسول الله (ص) : أيهما علاماؤ ه ماء صاحبه كان الشبه له .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عمن لا يولد له ومن يولد له؟ فقال (ص) اذا مغرت النطفة لم يولد له ـ أي : إذا حمرت وكدرت ـ فإذا كانت صافية ولد له .

---

(١) البقرة ـ ٩٧ ٩٨ .

(٢) نحله الله : وهب له الله . وفي يبعض النسخ « اهله الله » ومعناه : رآه اهلاً لذلك .

فقال: أخبرني عن ربك ما هو؟ فنزلت: ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها.

فقال ابن صوريا: صدقت خصلة بقيت لي إن قلتها آمنت بك واتبعتك، أي ملك يأتيك بما تقوله عن الله؟

قال(ص): جبرئيل. قال ابن صوريا: ذاك عدونا من بين الملائكة ينزل بالقتل والشدة والحرب، ورسولنا ميكائيل يأتي بالسرور والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنابك، لأن ميكائيل كان مسدد ملكنا وجبرئيل كان مهلك ملكنا، فهو عدونا لذلك.

فقال له سلمان الفارسي رضي الله عنه: وما بدء عداوته لكم؟ قال: نعم يا سلمان، عادانا مراراً كثيرة، وكان من أشد ذلك علينا أنَّ الله أنزل على أنبيائه أن بيت المقدس يخرب على يد رجل يقال: «بخت نصر» وفي زمانه، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، والله يحدث الأمر بعد الأمر فيمحو ما يشاء ويثبت، فلما بلغنا ذلك الخبر الذي يكون فيه هلاك بيت المقدس بعث أوائلنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل وأفاضلهم نبياً كان يعد من أنبيائهم يقال له «دانيال» في طلب بخت نصر ليقتله، فحمل معه وقرمال[1] لينفقه في ذلك، فلما انطلق في طلبه لقيه ببابل غلاماً ضعيفاً مسكيناً ليس له قوة ولا منعة، فأخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبرئيل وقال لصاحبنا: إن كان ربكم هو الذي أمر بهلاككم فإنَّ الله لا يسلطك عليه، وإن لم يكن هذا فعلى أي شيء تقتله؟ فصدقه صاحبنا وتركه ورجع إلينا فأخبرنا بذلك. وقوي بخت نصر وملك، وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدواً، وميكائيل عدو لجبرئيل.

فقال سلمان: يا ابن صوريا، فبهذا العقل المسلوك به غير سبيله ضللتم. أرأيتم أوائلكم كيف بعثوا من يقتل بخت نصر وقد أخبر الله تعالى في كتبه على ألسنة رسله أنَّه يملك ويخرب بيت المقدس؟ أرادوا تكذيب أنبياء الله في إخبارهم أو اتهموهم في إخبارهم أو صدقوهم في الخبر عن الله ومع ذلك أرادوا مغالبة الله، هل كان هؤلاء ومن وجهوه إلا كفاراً بالله؟ وأي عداوة يجوز أن يعتقد لجبرئيل وهو يصده عن مغالبة الله عزوجل وينهى عن تكذيب خبر الله تعالى؟

فقال ابن صوريا: قد كان الله تعالى أخبر بذلك على ألسن انبيائه، ولكنه يمحو ما يشاء ويثبت.

قال سلمان: فإذاً لا تثقون بشيء مما في التوراة من الأخبار عما مضى وما يستأنف فإنَّ الله يمحو ما يشاء ويثبت، وإذاً لعل الله قد كان عزل موسى وهارون عن النبوة وأبطلا في دعواهما لأنَّ الله يمحو ما يشاء ويثبت، ولعل كلما أخبراكم به عن الله أنَّه يكون لا يكون وما أخبراكم به أنَّه لا يكون لعله يكون، وكذلك ما أخبراكم أنَّه لم يكن لعلَّه كان، ولعل ما وعده من الثواب يمحوه ولعل ما توعد به من العقاب يمحوه، فإنَّه يمحو ما يشاء ويثبت. إنَّكم جهلتم معنى ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ فلذلك أنتم بالله كافرون، ولأخباره عن الغيوب مكذبون وعن دين الله منسلخون.

ثم قال سلمان: فانِّي أشهد أنَّه من كان عدواً لجبرئيل فإنَّه عدو لميكائيل وأنَّهما جميعاً عدوان لمن عاداهما مسالمان لمن سالمهما، فأنزل الله تعالى عند ذلك موافقاً لقول سلمان: ﴿قل من كان عدواً لجبريل﴾ في مظاهرته

---

(١) الوقر ـ بكسر الواو ـ: الحمل الثقيل.

لأولياء الله على أعداء الله ونزوله بفضائل علي عليه السلام ولي الله من عند الله ﴿**فإنّه نزّله**﴾ فإن جبرئيل نزّل هذا القرآن ﴿**على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه**﴾ من سائر كتب الله ﴿**وهدًى**﴾ من الضلالة ﴿**وبشرى للمؤمنين**﴾[1] بنبوة محّمد وولاية علي عليه السلام ومن بعده من الأئمة [الاثني عشر] بأنهم أولياء الله حقاً إذا ماتوا على موالاتهم لمحمد وعلي وآلهما الطيبين.

ثم قال رسول الله (ص): يا سلمان، إنَّ الله صدَّق قولك ووافق رأيك، وإنَّ جبرئيل عن الله تعالى يقول: يامحمد، سلمان والمقداد أخوان متصافيان في ودادك وداد علي أخيك ووصيك وصفيك، وهما في أصحابك كجبرئيل وميكائيل في الملائكة، عدوان لمن أبغض أحدهما وليان لمن والى محّمداً وعلياً عدوان لمن عادى محمداً وعلياً وأولياءهما، ولو أحب أهل الأرض سلمان والمقداد كما تحبهما ملائكة السماوات والحجب والكرسي والعرش لمحض ودادهما لمحمد وعلي وموالاتهما لأوليائهما ومعاداتهما لأعدائهما لما عذب الله أحداً منهم بعذاب البتة.

وقال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام: لما نزلت هذه الآية ﴿**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة**﴾[2] في حق اليهود والنواصب فغلظ على اليهود ما وبخهم به رسول الله، فقال جماعة من رؤ سائهم وذوي الألسن والبيان منهم: يا محمد، إنَّك تهجونا وتدّعي على قلوبنا ما الله يعلم منها خلافه إنَّ فيها خيراً كثيراً، نصوم ونتصدق ونواسي الفقراء.

فقال رسول الله (ص): إنّما الخير ما أُريد به وجه الله وعمل على ما أمر الله تعالى، وأما ما أريد به الرياء والسمعة ومعاندة رسول الله وإظهار الغنى له والتمالك والتشرف عليه فليس بخير، بل هو الشر الخالص ووبال على صاحبه، ويعذبه الله به أشد العذاب.

فقالوا له: يا محّمد، أنت تقول هذا ونحن نقول: بل ما ننفقه إلا لإبطال أمرك ودفع رياستك ولتفريق أصحابك عنك، وهو الجهاد الأعظم، نأمل به من الله الثواب الأجل العظيم، فأقل أحوالنا أنَّك تساوينا في الدعاوى، فأي فضل لك علينا؟.

فقال رسول الله (ص): يا اخوة اليهود! إنَّ الدعاوى يتساوى فيها المحقون والمبطلون، ولكنَّ حجج الله ودلائله تفرق بينهم فتكشف عن تمويه المبطلين وتبينٍ عن حقائق المحقين، ورسول الله محمد لا يغتم بجهلكم ولا يكلفكم التسليم له بغير حجة، ولكن يقيم عليكم حجة الله التي لا يمكنكم دفاعها ولا تطيقون الإمتناع عن موجبها، ولو ذهب محمد ويريكم آية من عنده لشككتم وقلتم إنَّه متكلف مصنوع محتال فيه معمول أو متواطأ عليه، وإذا اقترحتم أنتم فأراكم ما تقترحون لم يكن لكم أن تقولوا معمول أو متواطأ عليه اومتأت بحيلة او مقدمات، فما الذي تقترحون؟ فهذا رب العالمين قد وعدني أن يظهر لكم ما تقترحون ليقطع معاذير الكافرين منكم ويزيد في بصائر المؤمنين منكم.

قالوا: قد أنصفتنا يا محمد، فإن وفيت بما وعدت من نفسك من الإنصاف فأنت أول راجع عن دعواك للنبوة

---

(١) البقرة: ٩٦

(٢) البقرة: ٧٤.

وداخل في غمار الأُمة ومسلم لحكم التوراة، لعجزك عما نقترحه عليك وظهور باطل دعواك فيما ترومه من حجتك.

فقال رسول الله (ص): الصدق ينبئ عنكم لا الوعيد، اقترحوا ما تقترحون ليقطع معاذيركم فيما تسألون فقالوا له: يا محمد، زعمت أنّه ما في قلوبنا شيئ من مواساة الفقراء ومعاونة الضعفاء والنفقة في إبطال الباطل وإحقاق الحق، وإنَّ الأَحجار ألين من قلوبنا وأطوع لله منا، وهذه الجبال بحضرتنا، فهلم بنا إليها أو إلى بعضها، فاستشهدها على تصديقك وتكذيبنا، فإن نطقت بتصديقك فأنت المحق يلزمنا اتباعك، وإن نطقت بتكذيبك أو صمتت فلم ترد جوابك فاعلم بأنّك المبطل في دعواك المعاند لهواك.

فقال رسول الله (ص): نعم هلموا بنا إلى أيما جبل شئتم استشهدوه ليشهد لي عليكم. فخرجوا إلى أوعر جبل رأوه، فقالوا: يا محمد، هذا الجبل فاستشهده.

فقال رسول الله (ص) للجبل: إنّي أسألك بجاه محمد وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم خفف الله العرش على كواهل ثمانية من الملائكة بعد أن لم يقدروا على تحريكه وهم خلق كثير لا يعرف عددهم غير الله عز وجل، وبحق محمد وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم تاب الله على آدم وغفر خطيئته وأعاده إلى مرتبته، وبحق محمد وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم وسؤ ال الله بهم رفع إدريس في الجنة مكاناً عليّاً، لما شهدتَ لمحمد بما أودعك الله بتصديقه على هؤ لاء اليهود في ذكر قساوة قلوبهم وتكذيبهم في جحدهم لقول محمد رسول الله (ص).

فتحرَّك الجبل وتزلزل وفاض عنه الماء ونادى: يا محمد: أشهد أنّك رسول رب العالمين وسيد الخلق أجمعين، وأشهد أنَّ قلوب هؤ لاء اليهود كما وصفت أقسى من الحجارة، لا يخرج منها خير كما قد يخرج من الحجارة الماء سيلاً أو تفجراً وأشهد أنَّ هؤلاء كاذبون عليك فيما به يقرفونك من الفرية على رب العالمين.

ثم قال رسول الله (ص): وأسألك أيها الجبل، أمرك الله بطاعتي فيما التمسه منك بجاه محمد وآله الطيبين الذين بهم نجّى الله نوحاً من الكرب العظيم وبرَّد الله النار على إبراهيم وجعلها عليه برداً وسلاماً ومكنه في جوف النار على سرير وفراش وثير لم ير تلك الطاغية مثله لأحد من ملوك الأرض أجمعين، وأنبت حواليه من الأشجار الخضرة النظرة النزهة وعما حوله من أنواع النور مما لا يوجد إلا في فصول أربعة من جميع السنة.

قال الجبل: بلى أشهد لك يا محمد بذلك، وأشهد أنّك لو اقترحت على ربِّك أن يجعل رجال الدنيا قروداً وخنازير لفعل، أو يجعلهم ملائكة لفعل، أو يقلب النيران جليداً أو الجليد نيراناً لفعل، أو يهبط السماء إلى الأرض أو يدفع الأرض إلى السماء لفعل، أو يصيِّر أطراف المشارق والمغارب والوهاد كلها صرة كصرة الكيس لفعل، وأنّه قد جعل الأرض والسماء طوعك، والجبال والبحار تتصرف بأمرك، وسائر ما خلق من الرياح والصواعق وجوارح الإنسان وأعضاء الحيوان لك مطيعة، وما أمرتها به من شيء ائتمرت.

فقالت اليهود: يا محمّد. علينا تلبِّس وتشبِّه؟! قد أجلست مردة من أصحابك خلف صخور من هذا الجبل، فهم ينطقون بهذا الكلام ونحن لا ندري أنسمع من الرجال أم من الجبل، لا يغتر بمثل هذا إلا ضعفاؤ ك الذين تبجبج في عقولهم[1]، فإن كنت صادقاً فتنح عن موضعك هذا إلى ذلك القرار وائمر هذا الجبل

---

(١) تبجبج في عقولهم: تلعب فيها، يقال «بجبج الصبيَّ» اذا لاعبه وسكّنه عن المناغاة.

أن ينقلع من أصله فيسير إليك إلى هناك ، فإذا حضرك ونحن نشاهده فائمره أن ينقطع نصفين من ارتفاع سمكه ثم ترتفع السفلى من قطعتيه فوق العليا وتنخفض العليا تحت السفلى ، فإذاً تجعل أصل الجبل قلّته وقلّته أصله لنعلم أنّه من الله ، لا يتفق مثله بمواطأة ولا بمعاونة مموّهين متمرِّدين .

فقال رسول الله (ص) ـ وأشار إلى حجر فيه قدر خمسة أرطال . : يا أيها الحجر تدحرج ! فتدحرج . ثم قال لمخاطبه : خذه وقربه من أُذُنك فسيعيد عليك ما سمعت ، فإنَّ هذا جزءٌ من ذلك الجبل ، فأخذه الرجل ، فأدناه إلى أذُنه فنطق الحجر بمثل ما نطق به الجبل أولاً من تصديق رسول الله (ص) فيما ذكره عن قلوب اليهود ومما غبر به[1] من أنَّ نفقاتهم في دفع أمر محمد (ص) باطل ووبال عليهم .

فقال له رسول الله (ص) : أسمعت هذا؟ أخلف هذا الحجر أحد يكلِّمك ويوهمك أنَّ الحجر يكلِّمك؟

قال : فائتني بما اقترحت في الجبل . فتباعد رسول الله (ص) إلى فضاء واسع ، ثم نادى الجبل وقال : يا أيها الجبل ، بحق محمّد وآله الطيبين ، بجاههم ومسائلة عباد الله بهم ، أرسل الله على قوم عاد ريحاً صرصراً عاتية لنزع الناس كأنَّهم أعجاز نخل خاوية ، وأمر جبرئيل أن يصيح صيحة هائلة في قوم صالح حتى صاروا كهشيم المحتضر ، لما انفصلت من مكانك بإذن الله وجئت إلى حضرتي هذه ـ ووضع يده على الأرض بين يديه .

فتزلزل الجبل وصار كالفارع الهملاج[2] حتى دنا من أصبعه أصله فلزق بها ، ووقف ونادى : ها أنا سامع لك مطيع يا رسول رب العالمين وإن رغمت أنوف هؤلاء المعاندين مرني بأمرك .

فقال رسول الله (ص) : إنَّ هؤلاء اقترحوا عليَّ أن آمرك أن تنقلع من أصلك فتصير نصفين ثم ينحط أعلاك ويرتفع أسفلك فتصير ذروتك أصلك وأصلك ذروتك .

فقال الجبل : اتأمرني بذلك يا رسول رب العالمين؟ قال : بلى . فانقطع نصفين وانحط أعلاه إلى الأرض وارتفع أسفله فوق أعلاه فصار فرعه أصله وأصله فرعه ، ثم نادى الجبل : يا معاشر اليهود ، هذا الذي ترون دون معجزات موسى الذي تزعمون أنَّكم به مؤمنون ؟

فنظر اليهود بعضهم إلى البعض ، فقال بعضهم : ما عن هذا محيص ، وقال آخرون منهم : هذا رجل منجوت مؤتى له ما يريد ـ والمنجوت يتأتى له العجائب ـ فلا يغرنَّكم ما تشاهدون .

فناداهم الجبل : يا أعداء الله ! قد أبطلتم بما تقولون نبوة موسى ، هلا قلتم لموسى : إنَّ قلب العصا ثعباناً وانفلاق البحر طرقاً ووقوف الجبل كالظلة فوقكم انما تأتى لك لأنَّك مؤتى لك يأتيك جدك بالعجائب فلا يغرنا ما نشاهده . فألقمتهم الجبال بمقالتها والصخور ولزمتهم حجة رب العالمين .

وعن معمر بن راشد ، قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : أتى يهودي إلى رسول الله (ص) فقام بين يديه يحدّ النظر إليه ، فقال : يا يهودي ما حاجتك؟

فقال : أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي كلّمه الله عز وجل وأنزل عليه التوراة والعصا وفلق له البحر

---

(١) غبر به : مضى به وذهب .

(٢) الفارع : الصاعد المرتفع ، والهملاج : السريع السير .

وأظلّه بالغمام؟

فقال له النبي (ص) : إنَّه يكره للعبد أن يزكي نفسه ، ولكنِّي أقول : إنَّ آدم لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال : «اللهم إنِّي أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي» فغفرها الله له ، وإنَّ نوحاً لما ركب السفينة وخاف الغرق قال : «اللهم إنِّي أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق» فأنجاه الله عز وجل ، وان ابراهيم لما ألقي في النار قال : «اللهم إنِّي أسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني» فجعلها برداً وسلاماً ، وإنَّ موسى لما ألقى عصاه وأوجس في نسفه خيفة قال : «اللهم إنِّي أسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني» قال الله تعالى : لا تخف إنَّك أنت الأعلى .

يا يهودي ، إنَّ موسى لو أدركني ثم لم يؤ من بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبوة يا يهودي ، ومن ذريتي «المهدي» إذا خرج نزل عيسى بن مريم (ع) لنصرته ، فقدمه ويصلِّي خلفه .

وعن ابن عباس قال : خرج من المدينة أربعون رجلاً من اليهود قالوا : انطلقوا بنا إلى هذا الكاهن الكذّاب حتى نوبِّخه في وجهه ونكذِّبه ، فإنَّه يقول : أنا رسول رب العالمين . وكيف يكون رسولاً وآدم خير منه ونوح خير منه ـ وذكروا الأنبياء (ع) ـ فقال النبي (ص) لعبد الله بن سلام : التوراة بيني وبينكم ، فرضيت اليهود بالتوراة .

فقال اليهود : آدم خير منك ، لأنَّ الله عز وجل خلقه بيده ونفخ فيه من روحه .

فقال النبي (ص) : آدم النبي أبي ، وقد أعطيت أنا أفضل مما أُعطي آدم . قالت اليهود : وما ذاك؟ قال : إنَّ المنادي ينادي كل يوم خمس مرات «أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله» ولم يقل آدم رسول الله ، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة وليس بيد آدم . فقالت اليهود : صدقت يا محمد ، وهو مكتوب في التوراة . قال هذه واحدة .

قالت اليهود : موسى خير منك . قال النبي (ص) : ولِمَ؟ قالوا : لأنَّ الله عز وجل كلَّمه بأربعة آلاف كلمة ولم يكلِّمك بشيء .

فقال النبي (ص) : لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك . قالوا : وما ذاك؟ قال (ص) : هو قوله عز وجل : **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾**[1] ، وحملت على جناح جبرئيل حتى انتهيت إلى السماء السابعة ، فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، حتى تعلَّقت بساق العرش ، فنوديت من ساق العرش «إنِّي أنا الله لا إله إلا أنا السلام المؤ من المهيمن العزيز الجبار المتكبر الرؤ ف الرحيم» ، ورأيته بقلبي وما رأيته بعيني ، فهذا أفضل من ذلك . قالت اليهود : صدقت يا محمد ، وهو مكتوب في التوراة قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله : هذه اثنتان .

قالوا : نوح أفضل منك . قال النبي (ص) : ولِمَ ذاك؟ قالوا : لأنَّه ركب السفينة فجرت على الجودي .

قال النبي صلَّى الله عليه وآله : لقد أُعطيت أنا أفضل من ذلك . قالوا : وما ذاك؟ قال : إنَّ الله عز وجل أعطاني

---

(١) الإسراء : ١ .

نهراً في السماء مجراه من العرش وعليه ألف ألف قصر لبنة من ذهب ولبنة من فضة، حشيشها الزعفران ورضراضها[1] الدر والياقوت، وأرضها المسك الأبيض، فذلك خير لي ولأمتي، وذلك قوله تعالى: «**إنا أعطيناك الكوثر**»[2]. قالوا: صدقت يا محمد، هو مكتوب في التوراة، وهذا خير من ذلك. قال النبي (ص): هذه ثلاثة.

قالوا: إبراهيم خير منك. قال: ولِمَ ذاك؟ قالوا: لأنَّ الله اتخذه خليلاً.

قال النبي صلّى الله عليه وآله: إن كان إبراهيم خليله فأنا حبيبه محمد. قالوا: ولِمَ سميت محمّداً؟ قال: سماني الله محمداً وشق اسمي من اسمه، هو المحمود وأنا محمد وأمتي الحامدون على كل حال. فقالت اليهود: صدقت يا محمد، هذا خير من ذلك. قال النبي صلّى الله عليه وآله: هذه أربعة.

قالت اليهود: عيسى خير منك. قال (ص): ولِمَ ذاك؟ قالوا: إنَّ عيسى بن مريم كان ذات يوم بعقبة بيت المقدس، فجاءه الشياطين ليحملوه، فأمر الله جبرئيل أن اضرب بجناحك الأيمن وجوه الشياطين وألقهم في النار، فضرب بأجنحته وجوههم وألقاهم في النار.

فقال رسول الله (ص): لقد أُعطيت أنا أفضل من ذلك.

قالوا: وما هو؟ قال (ص): أقبلت يوم بدر من قتال المشركين وأنا جائع شديد الجوع، فلما وردت المدينة استقبلتني امرأة يهودية وعلى رأسها جفنة وفي الجفنة جدي مشوي وفي كمها شيء من سكر، فقالت: الحمد لله الذي منحك السلامة وأعطاك النصر والظفر على الأعداء، وإنّي قد كنت نذرت لله نذراً إن أقبلت سالماً غانماً من غزاة بدر لأذبحنَّ هذا الجدي ولأشوينَّه ولأحملنَّه إليك لتأكله.

فقال النبي (ص): فنزلت عن بغلتي الشهباء، فضربت بيدي الى الجدي لآكله، فاستنطق الله الجدي، فاستوى على أربع قوائم وقال: يا محمد، لا تأكلني فإنّي مسموم قالوا: صدقت يا محمد، هذا خير من ذلك. قال النبي (ص): هذه خمسة.

قالوا: بقيت واحدة ثم نقوم من عندك. قال: هاتوا قالوا: سليمان خير منك. قال: ولِمَ ذاك؟ قالوا: لأنَّ الله عز وجل سخر له الشياطين والإنس والجن والطير والرياح والسباع.

فقال النبي (ص): فقد سخر الله لي البراق وهو خير من الدنيا بحذافيرها، وهي دابة من دواب الجنة، وجهها مثل وجه آدمي، وحوافرها مثل حوافر الخيل، وذنبها مثل ذنب البقر، وفوق الحمار ودون البغل، وسرجه من ياقوته حمراء، وركابه من درة بيضاء، مزمومة بألف زمام من ذهب، عليه جناحان مكللان بالدر والياقوت والزبرجد، مكتوب بين عينيه «لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإنَّ محمداً رسول الله».

قالت اليهود: صدقت يا محمد، وهو مكتوب في التوراة، وهذا خير من ذلك يا محمّد، نشهد أن لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله.

فقال لهم رسول الله (ص) لقد أقام نوح في قومه ودعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم وصفهم الله عز وجل

---

(١) الرضراض: ما دقَّ من الحصى.

(٢) الكوثر: ١.

فقللهم فقال: **﴿وما آمن معه الا قليل﴾**[١]،ولقد تبعني في سنيي القليلة وعمري اليسير مالم يتبع نوحاً في طول عمره وكبر سنه ، وإنَّ في الجنة عشرين ومائة صف أُمتي منها ثمانون صفاً ، وإنَّ الله عزوجل جعل كتابي المهيمن على كتبهم الناسخ لها ، ولقد جئت بتحليل ما حرَّموا وبتحريم ما أحلوا . من ذلك أنَّ موسى جاء بتحريم صيد الحيتان يوم السبت حتى أنَّ الله تعالى قال لمن اعتدى منهم في صيدها يوم السبت : «**كونوا قردة خاسئين**»[٢] فكانوا ، ولقد جئت بتحليل صيدها حتى صار صيدها حلالاً . قال الله تعالى : «**أُحلَّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم**»[٣] وجئت بتحليل الشحوم كلها وكنتم لا تأكلونها .

ثم إنَّ الله عز وجل صلّى عليَّ في كتابه العزيز ، قال الله عز وجل : «**إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**»[٤] ثم وصفني الله عز وجل بالرأفة والرحمة وذكر في كتابه : «**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنّتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**»[٥] ، وأنزل الله تعالى أن لا يكلموني حتى يتصدقوا بصدقة وما كان ذلك لنبي قط ، قال الله عز وجل : **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾**[٦] ثم وضعها عنهم بعد أن افترضها عليهم برحمته ومنّه .

وعن ثوبان ، قال : إنَّ يهودياً جاء إلى النبي (ص) فقال : يا محمّد أسألك فتخبرني ، فركض ثوبان برجله وقال : قل يا رسول الله . فقال : لا أدعوه إلا بما سماه أهله . فقال : أرأيت قوله عزوجل : «**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات**»[٧] أين الناس يومئذ؟ فقال : في الظلمة دون المحشر . فقال : فما أول ما يأكل أهل الجنة اذا دخلوها؟ قال : كبد الحوت . قال : فما طعامهم على أثر ذلك؟ قال : كبد الثور . قال : فما شرابهم على أثر ذلك؟ قال : السلسبيل . قال صدقت .أفلا أسألك عن شيء لا يعلمه إلا نبي ؟ قال : وما هو؟ قال : عن شبه الولد أباه وأمّه قال : ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق ، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً ، بإذن الله تعالى ومن تشبَّه أباه قبل ذلك يكون الشبه ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل خرج الولد أنثى بإذن الله عز وجل ومن تشبه أمَّه قبل ذلك يكون الشبه .

ثم قال النبي (ص) : والذي نفسي بيده ، ما كان عندي مما سألتني عنه حتى أنبأنيه الله عز وجل في مجلسي هذا على لسان أخي جبرئيل .

* * *

ذكر ما جرى لرسول الله (ص) من الإحتجاج على المنافقين في طريق تبوك وغير ذلك من كيدهم لرسول الله (ص) على العقبة بالليل .

قال ابو محمّد الحسن العسكري (ع) : لقد رامت الفجرة ليلة العقبة قتل رسول الله (ص) على العقبة[٨]،

(١) هود : ٤٠ . (٢) البقرة : ٦٥ . (٣) المائدة : ٩٦ .
(٤) الاحزاب : ٥٦ . (٥) التوبة : ١٢٨ . (٦) المجادلة : ١٢ .
(٧) إبراهيم : ٤٨ .

(٨) عقبة ـ بالتحريك ـ: هو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه ، وهو طويل صعب الى صعود الجبل . « والعقبة » منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة ، وهو ماء لبني عكرمة من بكر بن وائل . مراصد الاطلاع : ٢ ـ ٩٤٨ .

ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل علي بن أبي طالب (ع) فما قدروا على مغالبة ربِّهم ، حملهم على ذلك حسدهم لرسول الله (ص) في علي (ع) لما فخم من أمره وعظم من شأنه .

من ذلك أنَّه لما خرج النبي (ص) من المدينة ،وقد كان خلَّفه عليها وقال له : جبرئيل أتاني وقال لي : يا محمّد ، إنَّ العليَّ الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك : يا محمّد ، إما أن تخرج أنت ويقيم علي أو تقيم أنت ويخرج علي ، لا بد من ذلك ، فإنَّ علياً قد ندبته لإحدى اثنتين لا يعلم أحد كنه جلال من أطاعني فيهما وعظيم ثوابه غيري . فلما خلَّفه أكثر المنافقون الطعن فيه فقالوا : ملَّه وسئمه وكره صحبته ، فتبعه علي (ص) حتى لحقه ، وقد وجد غمّاً شديداً عما قالوا فيه .

فقال رسول الله (ص) : ما أشخصك يا علي عن مركزك؟ فقال : بلغني عن الناس كذا وكذا . فقال له (ص) : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لا نبي بعدي؟ فانصرف علي إلى موضعه ، فدبروا عليه أن يقتلوه وتقدَّموا في أن يحفروا له في طريقه حفيرة طويلة قدر خمسين ذراعاً ثم غطوها بخص رقاق ونثروا فوقها يسيراً من التراب بقدر ما غطوا به وجوه الخص ، وكان ذلك على طريق علي الذي لا بد له من سلوكه ليقع هو ودابته في الحفيرة التي قد عمَّقوها ، وكان ما حوالي المحفور أرض ذات حجارة ودبروا على أنَّه إذا وقع مع دابته في ذلك المكان كبسوه بالأحجار حتى يقتلوه .

فلما بلغ علي (ع) قرب المكان لوى فرسُه عنقه وأطاله الله فبلغت جحفلته[1] أذنيه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، قد حفر لك ها هنا ودبر عليك الحتف وأنت أعلم ، لا تمر فيه ، فقال له علي (ع) : جزاك الله من ناصح خيراً كما تدبر تدبيري ، وإنَّ الله عز وجل لا يخليك من صنعه الجميل . وسار حتى شارف المكان فوقف الفرس خوفاً من المرور على المكان . فقال علي (ع) : سر بإذن الله سالماً سويا عجيباً شأنك بديعاً أمرك ، فتبادرت الدابة ، فإنَّ الله عز وجل قد متَّن الأرض[2] وصلبها كأنَّها لم تكن محفورة وجعلها كسائر الأرض ، فلما جاوزها عليّ (ع) لوى الفرس عنقه ووضع جحفلته على أذنه ثم قال : ما أكرمك على رب العالمين ، أجازك على هذا المكان الخاوي [3] فقال أمير المؤمنين (ع) : جازاك الله بهذه السلامة عن نصيحتك التي نصحتني بها .

ثم قلب وجه الدابة إلى ما يلي كفلها ، والقوم معه بعضهم أمامه وبعضهم خلفه وقال : اكتشفوا عن هذا المكان فكشفوا فإذا هو خاو لا يسير عليه أحد إلا وقع في الحفرة ، فأظهر القوم الفزع والتعجب مما رأوا منه ، فقال علي (ع) للقوم : أتدرون من عمل هذا؟ قالوا : لا ندري .

قال (ع) : لكن فرسي هذا يدري . يا أيها الفرس كيف هذا ومن دبر هذا؟ فقال الفرس : يا أمير المؤمنين ، إذا كان الله عز وجل يبرم ما يروم جهال القوم نقضه أو كان ينقض ما يروم جهال الخلق إبرامه فالله هو الغالب والخلق هم المغلوبون ،فعل هذا يا امير المؤمنين فلان وفلان إلى أن ذكر العشرة ، بمواطأة من أربعة وعشرين هم

---

(١) الجحفلة لذي الحافر كالشفة للانسان .

(٢) متن الأرض : صلب متنه وقواه .

(٣) الخاوي : الخالي ، القفر .

مع رسول الله (ص) في طريقه، ثم دبروا رأيهم على أن يقتلوا رسول الله (ص) على العقبة والله عز وجل من وراء حياطة رسول الله وولي الله لا يغلبه الكافرون.

فأشار بعض أصحاب أمير المؤمنين (ص) بأن يكاتب رسول الله بذلك ويبعث رسولاً مسرعاً، فقال أمير المؤمنين (ع): إنَّ رسول الله إلى محمّد رسوله أسرع، وكتابه إليه أسبق، فلا يهمنكم هذا إليه.

فلما قرب رسول الله (ص) من العقبة التي بإزائها فضائح المنافقين والكافرين، نزل دون العقبة، ثم جمعهم فقال لهم: هذا جبرئيل الروح الأمين يخبرني أنَّ علياً دبر عليه كذا وكذا، فدفع الله عز وجل عنه من ألطافه وعجائب معجزاته بكذا وكذا، ثم إنَّه صلَّب الأرض تحت حافر دابته وأرجل أصحابه، ثم انقلب على ذلك الموضع علي وكشف عنه فرئيت الحفيرة، ثم إنَّ الله عز وجل لأمّها كما كانت لكرامته عليه، وإنَّه قيل له كاتب بهذا وأرسل إلى رسول الله (ص) فقال: رسول الله إلى رسول الله أسرع وكتابه إليه أسبق.

ثم لم يخبرهم رسول الله (ص) بما قال علي (ع) على باب المدينة: «إنَّ مع رسول الله منافقين سيكيدونه ويدفع الله عنه». فلما سمع الأربعة والعشرون أصحاب العقبة ما قاله رسول الله (ص) في أمر علي (ع) قال بعضهم لبعض: ما أمهر محمّداً بالمخرقة(١)، وإنَّ فيجاً(٢) مسرعاً أتاه أو طيراً من المدينة من بعض أهله وقع عليه، إنَّ علياً قتل بحيلة كذا وكذا وهو الذي واطأنا عليه أصحابنا، فهو الآن لما بلغه كتم الخبر وقلبه إلى ضده يريد أن يسكن من معه لئلا يمدوا أيديهم عليه، وهيهات والله ما لبّث علياً بالمدينة إلا حينه ولا أخرج محمّداً إلى ها هنا إلا حينه، وقد هلك علي وهو ها هنا هالك لا محالة. ولكن تعالوا حتى نذهب إليه ونظهر له السرور بأمر علي ليكون أسكن لقلبه إلينا إلى أن نمضي فيه تدبيرنا فحضروه وهنؤوه على سلامة علي من الورطة التي رامها أعداؤه.

ثم قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن علي (ع) أهو أفضل أم ملائكة الله المقربون؟

فقال رسول الله (ص): وهل شرفت الملائكة إلا بحبِّها لمحمد وعلي وقبولها لولا يتهما، وإنَّه لا أحد من محبِّي علي قد نظف قلبه من قذر الغش والدغل ونجاسات الذنوب إلا كان أطهر وأفضل من الملائكة، وهل أمر الله الملائكة بالسجود لآدم إلا لما كانوا قد وضعوه في نفوسهم إنَّه لا يصير في الدنيا خلق بعدهم إذا رفعوا عنها إلا وهم -يعنون أنفسهم- أفضل منه في الدين فضلاً وأعلم بالله وبدينه علماً، فأراد الله أن يعرِّفهم أنَّهم قد أخطأوا في ظنونهم واعتقاداتهم، فخلق آدم وعلّمه الأسماء كلها ثم عرضها عليهم فعجزوا عن معرفتها، فأمر آدم (ع) أن ينبّئهم بها، وعرَّفهم فضله في العلم عليهم.

ثم أخرج من صلب آدم ذريته، منهم الأنبياء والرسل والخيار من عباد الله أفضلهم محمّد ثم آل محمّد، والخيار الفاضلون منهم أصحاب محمّد وخيار أُمّة محمّد وعرَّف الملائكة بذلك أنَّهم أفضل من الملائكة إذا احتملوا ما حملوه من الأثقال وقاسوا ما هم فيه بعرض يعرض من أعوان الشياطين ومجاهدة النفوس واحتمال أذى ثقل العيال والإجتهاد في طلب الحلال ومعاناة مخاطرة الخوف من الأعداء من لصوص مخوفين ومن سلاطين

---

(١) خرق الكذب: صنعه. ومعنى هذه الجملة: ما أمهر محمداً بصنع الكذب ووضعه.

(٢) الفيج: السريع السير الذي يأتي بالأخبار.

جورة قاهرين وصعوبة في المسالك في المضائق والمخاوف والأجراع[1] والجبال والتلاع[2] لتحصيل أقوات الأنفس والعيال من الطيب الحلال، فعرَّفهم الله عز وجل أنَّ خيار المؤمنين يحتملون هذه البلايا ويتخلَّصون منها، ويحاربون الشياطين ويهزمونهم، ويجاهدون أنفسهم بدفعها عن شهواتها، ويغلبونها مع ما ركب فيهم من شهوات الفحولة وحب اللباس والطعام والعز والرياسة والفخر والخيلاء ومقاساة العناء والبلاء من إبليس وعفاريته وخواطرهم وإغوائهم واستهوائهم ودفع ما يكابدونه من أليم الصبر على سماعهم الطعن من أعداء الله وسماع الملاهي والشتم لأولياء الله، ومع ما يقاسونه في أسفارهم لطلب أقواتهم والهرب من اعداء دينهم، أو الطلب لمن يأملون معاملته من مخالفيهم في دينهم.

قال الله عز وجل: يا ملائكتي وأنتم من جميع ذلك بمعزل، لا شهوات الفحولة يزعجكم ولا شهوة الطعام تحفزكم[3] ولا خوف من أعداء دينكم ودنياكم تنجب[4] في قلوبكم، ولا لإبليس في ملكوت سماواتي وأرضي شغل على إغواء ملائكتي الذين قد عصمتهم منه. يا ملائكتي: فمن أطاعني منهم وسلم دينه من هذه الآفات والنكبات فقد احتمل في جنب محبتي ما لم تحتملوا واكتسب من القربات إليَّ ما لم تكتسبوا.

فلما عرَّف الله ملائكته فضل خيار أُمَّة محمد وشيعة علي وخلفائه عليهم السلام واحتمالهم في جنب محبة ربهم ما لا تحتمله الملائكة، أبان بني آدم الخيار المتقين بالفضل عليهم، ثم قال: فلذلك فاسجدوا الآدم، لما كان مشتملاً على أنوار هذه الخلائق الأفضلين ولم يكن سجودهم لآدم، إنَّما كان آدم قبلة لهم يسجدون نحوه لله عز وجل، وكان بذلك معظماً له مبجلا. ولا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد من دون الله ويخضع له خضوعه لله ويعظم بالسجود له كتعظيمه لله، ولو أمرت أحداً أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا وسائر المكلَّفين من شيعتنا أن يسجدوا لمن توسط في علوم علي وصي رسول الله ومحض وداد خير خلق الله علي بعد محمّد رسول الله واحتمل المكاره والبلايا في التصريح بإظهار حقوق الله ولم ينكر عليَّ حقاً أرقبه عليه[5] قد كان جهله أو غفله.

ثم قال رسول الله (ص): عصى الله إبليس فهلك لما كان معصيته بالكبر على آدم، وعصى آدم الله بأكل الشجرة فسلم ولم يهلك لما لم يقارن بمعصيته التكبر على محمّد وآله الطيبين، وذلك أنَّ الله تعالى قال له: يا آدم، عصاني فيك إبليس وتكبَّر عليك فهلك، ولو تواضع لك بأمري وعظم عز جلالي لأفلح كل الفلاح كما أفلحت، وأنت عصيتني بأكل الشجرة وعظَّمتني بالتواضع لمحمد وآل محّمد فتفلح كلَّ الفلاح وتزول عنك وصمة الزلة، فادعني بمحمد وآله الطيبين لذلك، فدعا بهم، فأفلح كل الفلاح لما تمسك بعروتنا أهل البيت.

ثم أنَّ رسول الله (ص) أمر بالرحيل في أول نصف الليل الأخير، وأمر مناديه فنادى: ألا لا يسبقن رسول الله (ص)

---

(١) الجرعة: رملة مستوية لا تنبت شيئاً.

(٢) التلاع: جمع التلعة، وهو ما علا من الأرض وما سفل وفي بعض النسخ «الطلاع» وهو جمع الطلع بكسر الطاء: المكان المشرف الذي يطلع منه.

(٣) الحفز: الدفع من الخلف، والحفز بالرمح: الطعن به.

(٤) النحب: السير السريع، وفي بعض النسخ «تنخب» ومعناه تجبن قلوبكم وتجعلكم بلا فؤاد. يقال: «رجل نخب» اي الجبان الذي لا فؤاد له.

(٥) ارقبه عليه: انظره منه.

أحد إلى العقبة ولا يطأها حتى يجاوزها رسول الله(ص) . ثم أمر حذيفه أن يقعد في أصل العقبة فينظر من يمر بها ويخبر رسول الله(ص)ـ وكان رسول الله أمره أن يتشبه بحجرـ فقال حذيفه : يا رسول الله ، إنِّي أتبيَّن الشرَّ في وجوه القوم من رؤ ساء عسكرك ، وإنِّي أخاف إن قعدت في أصل الجبل وجاء منهم من أخاف أن يتقدمك إلى هناك للتدبير عليك يحس بي ويكشف عني فيعرفني ويعرف موضعي من نصيحتك فيتهمني ويخافني فيقتلني .

فقال رسول الله(ص) : إنَّك إذا بلغت أصل العقبة فاقصد أكبر صخرة هناك إلى جانب أصل العقبة ، وقل لها : إنَّ رسول الله يأمرك أن تنفرجي لي حتى أدخل جوفك ، ثم يأمرك أن تثقبي فيك ثقبة أُبصر منها المارين وتدخل عليَّ منها الروح لئلا أكون من الهالكين ، فإنَّها تصير إلى ما تقول لها بإذن الله رب العالمين .

فأدى حذيفة الرسالة ، ودخل جوف الصخرة ، وجاء الأربعة والعشرون على جمالهم وبين أيديهم رجالتهم ، يقول بعضهم لبعض : من رأيتموه هنا كائناً من كان فاقتلوه لأن لا يخبروا محمّداً ، أنَّهم قد رأونا هاهنا فينكص محمّد ولا يصعد هذه العقبة إلا نهاراً فيبطل تدبيرنا عليه . وسمعها حذيفه ، واستقصوا فلم يجدوا أحداً وكان الله قد ستر حذيفة بالحجر عنهم . فتفرقوا ، فبعضهم صعد على الجبل وعدل عن الطريق المسلوك ، وبعضهم وقف على سفح الجبل عن يمين وشمال ، وهم يقولون : الآن ترون جبن محمّد كيف أغراه بأن يمنع الناس عن صعود العقبة حتى يقطعها هو لنخلو به هاهنا فنمضي فيه تدبيرنا وأصحابه عنه بمعزل ، وكل ذلك يوصله الله تعالى من قريب أو بعيد إلى أُذن حذيفة ويعيه حذيفة فلما تمكن القوم على الجبل حيث أرادوا كلَّمت الصخرة حذيفة وقالت له : انطلق الآن إلى رسول الله(ص) فأخبره بما رأيت وبما سمعت . قال حذيفة : كيف أخرج عنك وإن رآني القوم قتلوني مخافة على أنفسهم من نميمتي عليهم؟ قالت الصخرة : إنَّ الذي مكنك من جوفي وأوصل إليك الروح من الثقبة التي أحدثها فيَّ هو الذي يوصلك إلى نبي الله وينقذك من أعداء الله .

فنهض حذيفة ليخرج فانفرجت الصخرة بقدرة الله تعالى ، فحوَّله الله طائراً فطار في الهواء محلقاً حتى انقضَّ بين يدي رسول الله ، ثم أُعيد على صورته فأخبر رسول الله(ص) بما رأى وسمع .

فقال رسول الله : أوعرفتهم بوجوههم؟ فقال : يارسول الله كانوا متلثمين وكنت أعرف أكثرهم بجمالهم ، فلما فتشوا المواضع فلم يجدوا أحداً أحدروا اللثام فرأيت وجوههم وعرفتهم بأعيانهم واسمائهم فلان وفلان وفلان حتى عدّ أربعة وعشرين .

فقال رسول الله(ص) : يا حذيفة إذا كان الله يثبِّت محمّداً لم يقدر هؤ لاء ولا الخلق أجمعون أن يزيلوه ، إنَّ الله تعالى بالغ في محمّد أمره ولو كره الكافرون .

ثم قال : يا حذيفة فانهض بنا أنت وسلمان وعمار وتوكلوا على الله ، فإذا جزنا الثنية الصعبة فائذنوا للناس أن يتبعونا ، فصعد رسول الله(ص) وهو على ناقته وحذيفة وسلمان أحدهما آخذ بخطام ناقته يقودها والآخر خلفها يسوقها ، وعمار إلى جانبها ، والقوم على جمالهم ورجالتهم منبثون حوالي الثنية على تلك العقبات ، وقد جعل الذين فوق الطريق حجارة في دباب فدحرجوها من فوق لينفِّروا الناقة برسول الله(ص) ويقع به في المهوى الذي يهول الناظر إليه من بُعده ، فلما قربت الدباب من ناقة رسول الله(ص) أذن الله لها فارتفعت ارتفاعاً عظيماً فجاوزت ناقة رسول الله(ص) ثم سقطت في جانب المهوى ولم يبق منها شيء إلا صار كذلك وناقة

رسول الله كأنَّها لا تحس بشيء من تلك القعقعات التي كانت للدباب.

ثم قال رسول الله (ص) لعمار: إصعد إلى الجبل فاضرب بعصاك هذه وجوه رواحلهم فارم بها، ففعل ذلك عمار فنفرت بهم رواحلهم وسقط بعضهم فانكسر عضده ومنهم من انكسرت رجله ومنهم من انكسر جنبه واشتدت لذلك أوجاعهم، فلما انجبرت واندملت بقيت عليهم آثار الكسر إلى أن ماتوا، ولذلك قال رسول الله (ص) في حذيفة وأمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّهما أعلم الناس بالمنافقين» لقعوده في أصل الجبل ومشاهدته من مرّ سابقاً لرسول الله (ص).

وكفى الله رسوله أمر من قصد له، وعاد رسول الله (ص) إلى المدينة سالماً فكسى الله الذل والعار من كان قعد عنه، وألبس الخزي من كان دبر عليه وعلى علي ما دفع الله عنه عليه السلام.

* * *

إحتجاج النبي (ص) يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب (ع) ومن بعده من ولده من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

حدَّثني السيد العالم العابد أبو جعفر مهدي ابن أبي حرب الحسيني المرعشي رضي الله عنه[1] قال: أخبرنا الشيخ أبو علي الحسن بن الشيخ السعيد أبي جعفر محّمد بن الحسن الطوسي[2] رضي الله عنه، قال: أخبرني الشيخ السعيد الوالد أبو جعفر[3] قدس الله روحه، قال: أخبرني جماعة عن أبي محمّد هارون بن موسى التلعكبري[4]، قال: أخبرنا أبو علي محّمد بن همام.[5] قال: أخبرنا علي السوري[6] قال: أخبرنا أبو محّمد العلوي[7] من ولد الأفطس - وكان من عباد الله الصالحين - قال: حدثنا محّمد بن موسى الهمداني[8]، قال: حدثنا محمد بن خالد

---

(١) مضت ترجمته في هذا الكتاب ص ٦

(٢) الشيخ ابو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي، كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً جليلاً ثقة، له كتاب الأمالي وشرح النهاية، قرأ على والده جميع تصانيفه واليه ينتهي أكثر الاجازات عن الشيخ الطوسي تنقيح المقال ١ - ٣٠٦.

(٣) شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ولد في شهر رمضان سنة ٣٨٥ وقدم العراق سنة ٤٠٨ وبقي في بغداد مدة ثم هاجر الى النجف الأشرف وبقي إلى ان توفي ليلة الاثنين الثاني والعشرين من محرم سنة ٤٦٠، كان جهبذة من جهابذة الاسلام وعظيماً من عظماء امة محمد (ص) صنف في علوم عصره فكانت مصنفاته هي الام والمرجع، ولم يجرأ على الافتاء بعده احد من علماء الشيعة الى سنين متمادية لقوته في الفقه واضطلاعه في العلوم الاسلامية وكان فضلاء تلامذته الذين كانوا مجتهدين من الخاصة يزيدون على ثلاثمائة. الكنى والألقاب ٢/ ٣٥٧ - ٣٥٩

(٤) أبو محمد هارون بن موسى الشيباني ثقة جليل القدر عظيم المنزلة واسع الرواية عديم النظير وجه أصحابنا معتمد عليه لا يطعن عليه في شيء توفي سنة ٣٨٥. الكنى والالقاب ١٠٨/٢.

(٥) أبو علي محمد بن أبي بكر همام بن سهيل الكاتب الاسكافي شيخ أصحابنا ومتقدمهم، له منزلة عظيمة، كثير الحديث، ولد يوم الاثنين ٦ ذي الحجة سنة ٢٥٨ وتوفى يوم الخميس ١٩ جمادي الثانية سنة ٣٣٦ رجال النجاشي ص ٢٩٤.

(٦) لم نقف على ترجمة له - فليراجع.

(٧) يحيى المكنى أبا محمد العلوي من بني زبارة علوي سيد متكلم فقيه من أهل نيشابور له كتب كثيرة، منها كتاب في المسح على الرجلين في ابطال القياس وكتاب في التوحيد. رجال النجاشي ص ٣٤٥.

(٨) محمد بن موسى بن عيسى أبو جعفر الهمداني السمان، ضعفه القميون بالغلو له كتاب ما روى في أيام الأسبوع وكتاب الرد على الغلاة رجال النجاشي ص ٢٦٠ واقول: كيف يقال في محمد هذا انه غال مع العلم ان من مؤلفاته كتاب الرد على الغلاة - فلاحظ.

الطيالسي[١]، قال: حدثنا سيف بن عميرة[٢] وصالح بن عقبة[٣] جميعاً عن قيس بن سمعان[٤] عن علقمة بن محمّد الحضرمي[٥] عن أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام أنَّه قال: حج رسول الله (ص) من المدينة وقد بلَّغ جميع الشرايع قومه غير الحج والولاية، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا محمّد إنَّ الله جلَّ اسمه يقرؤك السلام ويقول لك: إنّي لم أقبض نبياً من أنبيائي ولا رسولاً من رسلي إلا بعد إكمال ديني وتأكيد حجتي وقد بقي عليك من ذاك فريضتان مما تحتاج أن تبلِّغهما قومك: فريضة الحج، وفريضة الولاية والخلافة من بعدك، فإني لم أخل أرضي من حجة ولن أُخليها أبداً، فإنَّ الله جل ثناؤه يأمرك أن تبلِّغ قومك الحج وتحج ويحج معك من استطاع إليه سبيلاً من أهل الحضر والأطراف والأعراب وتعلِّمهم من معالم حجهم مثل ما علَّمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وتوقفهم من ذلك على مثال الذي أوقفتهم عليه من جميع ما بلَّغتهم من الشرائع.

فنادى منادي رسول الله (ص) في الناس: ألا إنَّ رسول الله يريد الحج وأن يعلِّمكم من ذلك مثل الذي علَّمكم من شرائع دينكم ويوقفكم من ذاك على ما أوقفكم عليه من غيره، فخرج (ص) وخرج معه الناس وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله، فحج بهم وبلغ من حج مع رسول الله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتبعوا العجل والسامري، وكذلك أخذ رسول الله (ص) البيعة لعلي بالخلافة على عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامري سنة بسنة ومثلاً بمثل، واتصلت التلبية ما بين مكة والمدينة[٦]. فلما وقف بالموقف أتاه جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل فقال: يا محمّد إنَّ الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك: إنَّه قد دنا أجلك ومدتك وأنا مستقدمك على ما لا بد منه ولا عنه محيص، فاعهد عهدك وقدِّم وصيتك واعمد إلى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك والسلاح والتابوت وجميع ما عندك من آيات الأنبياء، فسلِّمه إلى وصيك وخليفتك من بعدك حجتي البالغة على خلقي علي بن أبي طالب عليه السلام، فأقمه للناس علماً وجدِّد عهده وميثاقه وبيعته، وذكرهم ما أخذت عليهم من بيعتي وميثاقي الذي واثقتهم وعهدي الذي عهدت إليهم من ولاية وليي ومولاهم ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنِّي لم أقبض نبياً من الأنبياء إلا من بعد إكمال ديني وحجتي وإتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي، وذلك كمال توحيدي وديني وإتمام نعمتي على خلقي باتباع وليي وطاعته وذلك أنِّي لا أترك أرضي بغير

---

(١) أو عبد الله محمد بن خالد الطيالسي التميمي كان يسكن بالكوفة في صحراء جرم، له كتاب نوادر، مات ليلة الأربعاء ٢٧ جمادي الثانية سنة ٢٥٩ وهو ابن ٩٧ سنة تنقيح المقال ٣/ ١١٤.

(٢) سيف بن عميرة النخعي عربي ثقة كوفي، روي عن أبي عبد الله وابي الحسن عليهما السلام له كتاب يرويه جماعات من أصحابنا رجال النجاشي ص ١٤٣.

(٣) صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيحة مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله، قيل انه روى عن أبي عبد الله عليه السلام، له كتاب يرويه جماعة منتهى المقال ص ١٦٣.

(٤) لم نقف على ترجمته.

(٥) علقمة بن محمد الحضرمي هو أخو عبد الله بن محمد الحضرمي. رجال الكشي ص ٣٥٤.

(٦) ذكر البحاثة الثبت الحجة الأميني في سفره القيم «الغدير» حديث الغدير بتفاصيله في الجزء الأول، وعد الراوين لحديث الغدير، فكانوا من الصحابة ١١٠ شخصاً، ومن التابعين ٨٤ شخصاً، ومن الرواة العلماء ابتداءاً من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر ٣٦٠ شخصاً وذكر من المؤلفين في حديث الغدير خصيصاً ٢٦ شخصاً. انظر الجزء الأول من الكتاب ص ١٤ - ١٥٧.

ولي ولا قيِّم ليكون حجة لي على خلقي ، فاليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإســـلام ديناً .

بولاية وليي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة عليٍّ عبدي ووصي نبي والخليفة من بعده وحجتي البالغة على خلقي ، مقرون طاعته بطاعة محمّد نبيي ومقرون طاعته مع طاعة محمّد بطاعتي ، من أطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني ، جعلته علماً بيني وبين خلقي ، من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ومن أشرك بيعته كان مشركاً ومن لقيني بولايته دخل الجنة ، ومن لقيني بعداوته دخل النار ، فأقم يا محمّد عليّاً علماً وخذ عليهم البيعة وجدِّد عهدي وميثاقي لهم الذي واثقتهم عليه ، فإنِّي قابضك إليّ ومستقدمك عليّ .

فخشي رسول الله (ص) من قومه وأهل النفاق والشقاق : أن يتفرَّقوا ويرجعوا إلى الجاهلية لما عرف من عداوتهم ولما ينطوي عليه أنفسهم لعلي من العدواة والبغضاء وسأل جبرئيل أن يسأل ربَّه العصمة من الناس وانتظر أن يأتيه جبرئيل بالعصمة من الناس عن الله جل اسمه ، فأخر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف[1] ، فأتاه جبرئيل عليه السلام في مسجد الخيف فأمره بأن يعهد عهده ويقيم عليّاً علماً للناس يهتدون به ، ولم يأته بالعصمة من الله جل جلاله بالذي أراد حتى بلغ كراع الغميم[2] بين مكة والمدينة ، فأتاه جبرئيل وأمره بالذي أتاه فيه من قبل الله ولم يأته بالعصمة .

فقال : يا جبرئيل إنِّي أخشى قومي أن يكذِّبوني ولا يقبلوا قولي في علي عليه السلام فرحل فلما بلغ غدير خم[3] قبل الجحفة[4] بثلاثة أميال أتاه جبرئيل عليه السلام على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والإنتهار والعصمة من الناس فقال . يا محّمد إنَّ الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك : ﴿**يا أيها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك- في علي- وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾[5] .

وكان أوائلهم قريب من الجحفة فأمر بأن يرد من تقدم منهم ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان ليقيم علياً علماً للناس ويبلغهم ما أنزل الله تعالى في عليٍّ ، وأخبره بأنَّ الله عز وجل قد عصمه من الناس ، فأمر رسول الله عندما جاءته العصمة منادياً ينادي في الناس بالصلاة جامعة ويرد من تقدَّم منهم ويحبس من تأخر وتنحى عن يمين الطريق إلى جنب مسجد الغدير أمره بذلك جبرئيل عن الله عز وجل ،وكان في الموضع سلمات[6] فأمر رسول

---

(١) الخيف هو المنحدر من غلظ الجبل قد ارتفع عن سيل الماء فليس شرفاً ولا حضيضاً ، وخيف منى هو الموضع الذي ينسب إليه مسجد الخيف . مراصد الاطلاع ١/٤٩٥ .

(٢) كراع الغميم : موضع بالحجاز بين مكة والمدينة امام عسفان بثمانية أميال وهذا الكراع جبل اسود في طرف الجرة يمتد اليه . مراصد الاطلاع ٣ ـ ١١٥٣ .

(٣) غدير: ما غودر من ماء المطر في مستنقع صغير او كبير غير انه لا يبقى في القيظ . وخم : قيل رجل ، وقيل غيظة ، وقيل موضع تصب فيه عين ، وقيل بئر قريب من المبثب حفرها مرة بن كعب ، نسب إلى ذلك غدير خم ، وهو بين مكة والمدينة، وقيل على ثلاثة أميال من الجحفة ، وقيل على ميل ، وهناك مسجد ، للنبي . مراصد الاطلاع ١/ ٤٨٢ ، ٢/ ٩٨٥ .

(٤) الجحفة : كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق مكة على أربع مراحل . . وكان اسمها مهيعة وسميت الجحفة لأن السيل جحفها ، وبينها وبين البحر ستة اميال . مراصد الاطلاع ١/ ٣١٥ .

(٥) المائدة : ٦٧ .

(٦) سلمات : أشجار .

الله(ص) أن يقمّ ما تحتهنّ[1] وينصب له حجارة كهيئة المنبر ليشرف على الناس، فتراجع الناس واحتبس أواخرهم في ذلك المكان لا يزالون، فقام رسول الله (ص) فوق تلك الأحجار ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه فقال:

الحمد لله الذي علا في توحده، ودنا في تفرده، وجلَّ في سلطانه، وعظم في أركانه، وأحاط بكلِّ شيء علماً وهو في مكانه، وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه مجيداً لم يزل محموداً لا يزال، باريء المسموكات[2] وداحي المدحوات وجبار الأرضين والسماوات، قدوس سبوح رب الملائكة والروح، متفضل على جميع من برأه متطول على جميع من أنشأه، يلحظ كل عين والعيون لا تراه، كريم حليم ذو أناة، قد وسع كلَّ شيء رحمته ومنَّ عليهم بنعمته، لا يعجل بانتقامه ولا يبادر إليهم بما استحقوا من عذابه، قد فهم السرائر وعلم الضمائر، ولم تخف عليه المكنونات، ولا اشتبهت عليه الخفيَّات، له الإحاطة بكلِّ شيء والغلبة على كل شيء والقوة في كلِّ شيء والقدرة على كلِّ شيء وليس مثله شيء، وهو منشيء الشيء حين لا شيء، دائم قائم بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، جلَّ عن أن تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، لا يلحق أحد وصفه من معاينة، ولا يجد أحد كيف هو من سر وعلانية إلا بما دل عز وجل على نفسه.

وأشهد أنَّه الله الذي ملأ الدهر قدسه، والذي يغشي الأبد نوره، والذي ينفذ أمره بلا مشاورة مشير ولا معه شريك في تقدير ولا تفاوت في تدبير، صوَّر ما أبدع على غير مثال، وخلق ما خلق بلا معونة من أحد ولا تكلف ولا احتيال، أنشأها فكانت، وبرأها فبانت، فهو الله الذي لا إلَه إلا هو المتقن الصنعة، الحسن الصنيعة، العدل الذي لا يجور، والأكرم الذي ترجع اليه الأُمور.

وأشهد أنَّه الذي تواضع كلُّ شيء لقدرته وخضع كل شيء لهيبته، ملك الأملاك ومفلك الأفلاك، ومسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى، يكوِّر الليل على النهار[3] ويكوِّر النَّهار على الليل يطلبه حثيثاً، قاصم كلِّ جبار عنيد ومهلك كل شيطان مريد، لم يكن معه ضد ولا ند، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، إله واحد ورب ماجد، يشاء فيمضي ويريد فيقضي، ويعلم فيحصي ويميت ويحيي، ويفقر ويغني، ويضحك ويبكي، ويمنع ويعطي.

له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كلِّ شيء قدير، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل لا إله إلا هو العزيز الغفار، مجيب الدعاء ومجزل العطاء، محصي الأنفاس ورب الجنة والناس، لا يشكل عليه شيء ولا يضجره صراخ المستصرخين ولا يبرمه الحاح الملحين، العاصم للصالحين والموفق للمفلحين ومولى العالمين الذي استحق من كلِّ من خلق أن يشكره ويحمده.

أحمده على السرَّاء والضراء والشدَّة والرخاء وأُؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله، أسمع أمره وأطيع وأُبادر إلى كلِّ ما يرضاه، وأستسلم لقضائه رغبة في طاعته وخوفاً من عقوبته، لأنَّه الله الذي لا يؤمن من مكره ولا يخاف

---

(١) أي يكنس ما تحتهن.

(٢) السمك: السقف، أو من أعلى البيت إلى أسفله، والغاية من كل شيء، والمقصود هنا السماوات وما فيها.

(٣) كور الشيء: إدارته، ضم بعضه الى بعض ككور العمامة، ويكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل: اشارة الى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما.

جوره، وأُقر له على نفسي بالعبودية وأشهد له بالربوبية وأؤدي ما أُوحي إليَّ حذراً من أن لا أفعل فتحلّ بي منه قارعة[1] لا يدفعها عني أحد وإن عظمت حيلته لا إله إلا هو، لأنَّه قد أعلمني أنِّي إن لم أُبلِّغ ما أُنزل إليَّ فما بلَّغت رسالته وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة، وهو الله الكافي الكريم، فأوحى إليَّ: ﴿**بسم الله الرَّحمن الرَّحيم**﴾ ﴿**يا أيُّها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربِّك- في علي**[يعني في الخلافة لعلي بن أبي طالب عليه السلام]**- وان لم تفعل فما بلَّغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾.

معاشر الناس ما قصَّرت في تبليغ ما أنزل الله تعالى إليَّ، وأنا مبيِّن لكم سبب نزول هذه الآية: إنَّ جبرئيل عليه السلام هبط إليَّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربي وهو السلام أن أقوم في هذا المشهد فأُعلم كلَّ أبيض وأسود أنَّ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام أخي ووصيي وخليفتي والإمام من بعدي، الذي محله مني محل هارون من موسى إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي وهو وليكم من بعد الله ورسوله، وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليَّ بذلك آية من كتابه: ﴿**إنَّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[2] وعلي بن أبي طالب عليه السلام أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع يريد الله عز وجل في كلِّ حال.

وسألت جبرئيل أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم- أيها الناس- لعلمي بقلَّة المتقين وكثرة المنافقين وإدغال[3] الآثمين وختل[4] المستهزئين بالإسلام الذين وصفهم الله في كتابه بأنَّهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونه هيِّناً وهو عند الله عظيم، وكثرة أذاهم لي في غير مرَّة حتَّى سمّوني أُذناً[5]، وزعموا أنِّي كذلك لكثرة ملازمته إياي وإقبالي عليه، حتى أنزل الله عز وجل في ذلك قرآناً ﴿**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذن قل أُذن** - على الذين يزعمون أنَّه اذن - **خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين**﴾ الآية[6].

ولو شئت أن أسمِّي بأسمائهم لسميت وأن أُومي إليهم بأعيانهم لأومأت وأن أدل عليهم لدللت، ولكنِّي والله في أمورهم قد تكرَّمت، وكل ذلك لا يرضى الله مني إلا أن أبلِّغ ما أنزل إليَّ، ثم تلا (ص): «**يا أيها الرَّسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربِّك- في علي- وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته والله يعصمك من الناس**».

فاعلموا معاشر الناس أنَّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين لهم بإحسان، وعلى البادي والحاضر وعلى الأعجمي والعربي والحر والمملوك والصغير والكبير وعلى الأبيض والأسود وعلى كل موحد ماض حكمه جائز قوله نافذ أمره، ملعون من خالفه مرحوم من تبعه مؤمن من صدَّقه فقد غفر الله له ولمن سمع منه وأطاع له.

معاشر الناس إنَّه آخر مقام أقومه في هذا المشهد فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربِّكم، فإنَّ الله عز وجل هو مولاكم وإلهكم ثم من دونه محمَّد (ص) وليكم القائم المخاطب لكم، ثم من بعدي علي وليكم وإمامكم بأمر

(١) القارعة: الداهية والنكبة المهلكة.
(٢) المائدة: ٥٥.
(٣) الإدغال: المخالفة والخيانة، وادغل في الأمر: ادخل فيه ما يفسده.
(٤) الختل: الخديعة.
(٥) الاذن بضمتين: الرجل المستمع لما يقال له.
(٦) التوبة: ٦١.

ربِّكم، ثم الإمامة في ذريتي من ولده إلى يوم تلقون الله ورسوله، لا حلال إلا ما أحلَّه الله ولا حرام إلا ما حرَّمه الله، عرَّفني الحلال والحرام وأنا أفضيت لما علَّمني ربِّي من كتابه وحلاله وحرامه إليه.

معاشر الناس ما من علم إلا وقد أحصاه الله فيَّ، وكل علم علِّمت فقد أحصيته في إمام المتقين، وما من علم إلا علَّمته عليّاً، وهو الإمام المبين.

معاشر الناس لا تضلوا عنه ولا تنفروا منه ولا تستكبروا [ولا تستنكفوا خ ل] من ولايته، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به ويزهق الباطل وينهى عنه ولا تأخذه في الله لومة لائم. ثم إنَّه أول من آمن بالله ورسوله، وهو الذي فدى رسوله بنفسه وهو الذي كان مع رسول الله ولا أحد يعبد الله مع رسوله من الرجال غيره.

معاشر الناس فضِّلوه فقد فضَّله الله، واقبلوه فقد نصبه الله.

معاشر الناس إنَّه إمام من الله ولن يتوب الله على أحد أنكر ولايته، ولن يغفر الله له، حتماً على الله أن يفعل ذلك بمن خالف أمره فيه وأن يعذِّبه عذاباً شديداً نكراً أبد الآباد ودهر الدهور، فاحذروا أن تخالفوه فتصلوا ناراً وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين.

أيها الناس بي والله بشر الأولون من النبيين والمرسلين، وأنا خاتم الأنبياء والمرسلين والحجة على جميع المخلوقين من أهل السماوات والأرضين، فمن شك في ذلك فهو كافر كفر الجاهلية الأُولى، ومن شك في شيء من قولي هذا فقد شك في الكل منه، والشاك في ذلك فله النار.

معاشر الناس حباني الله بهذه الفضيلة منّاً منه عليَّ وإحساناً منه إليَّ، ولا إله إلا هو، له الحمد مني أبد الآبدين ودهر الداهرين على كلِّ حال.

معاشر الناس فضِّلوا عليّاً فإنَّه أفضل الناس بعدي من ذكر وأُنثى، بنا أنزل الله الرزق وبقي الخلق، ملعون ملعون مغضوب مغضوب من ردعليَّ قولي هذا ولم يوافقه، ألا إنَّ جبرئيل خبَّرني عن الله تعالى بذلك ويقول: **«من عادى عليّاً ولم يتولَّه فعليه لعنتي وغضبي»** فلتنظر نفس ما قدَّمت لغد، واتقوا الله أن تخالفوه فتزلَّ قدم بعد ثبوتها إنَّ الله خبير بما تعملون.

معاشر الناس إنَّه جنب الله الذي ذكر في كتابه فقال تعالى: **«أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرَّطت في جنب الله»**[1].

معاشر الناس تدبروا القرآن وافهموا آياته وانظروا إلى محكماته ولا تتبعوا متشابهه، فوالله لن يبيِّن لكم زواجره ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده ومصعده إليَّ وشائل بعضده ومعلمكم أنَّ من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وهو علي بن أبي طالب (ع) أخي ووصيي، وموالاته من الله عز وجل أنزلها عليَّ.

معاشر الناس إنَّ عليّاً والطيبين من ولدي هم الثقل الأصغر، والقرآن الثقل الأكبر فكل واحد منبىء عن صاحبه وموافق له لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، هم أمناء الله في خلقه وحكماؤه في أرضه، ألا وقد أديت، ألا وقد بلَّغت ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، ألا وإنَّ الله عز وجل قال وأنا قلت عن الله عز وجل، ألا إنَّه ليس

(١) الزمر: ٥٦.

أمير المؤمنين غير أخي هذا ولا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره.

ثم ضرب بيده إلى عضده فرفعه، وكان منذ أول ما صعد رسول الله (ص) شال علياً حتى صارت رجله مع ركبة رسول الله (ص)، ثم قال:

معاشر الناس هذا علي أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على أمتي وعلى تفسير كتاب الله عز وجل والداعي إليه والعامل بما يرضاه والمحارب لأعدائه والموالي على طاعته والناهي عن معصيته، خليفة رسول الله وأمير المؤمنين والإمام الهادي وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بأمر الله.

أقول وما يبدَّل القول لدي بأمر ربِّي، أقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه والعن من أنكره واغضب على من جحد حقَّه، اللهم إنَّك أنزلت عليَّ أنَّ الإمامة بعدي لعليٍّ وليك عند تبياني ذلك ونصبي إياه بما أكملت لعبادك من دينهم وأتممت عليهم بنعمتك ورضيت لهم الإسلام ديناً، فقلت: «**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**»[1] اللهم إنِّي أشهدك وكفى بك شهيداً أنِّي قد بلَّغت.

معاشر الناس إنَّما أكمل الله عز وجل دينكم بإمامته، فمن لم يأتم به وبمن يقوم مقامه من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة والعرض على الله عز وجل فأولئك الذين حبطت أعمالهم وفي النار هم فيها خالدون، لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون.

معاشر الناس هذا علي أنصركم لي وأحقكم بي وأقربكم إليَّ وأعزكم عليَّ والله عز وجل وأنا عنه راضيان، وما نزلت آية رضىً إلا فيه، وما خاطب الله الذين آمنوا إلا بدأ به، ولا نزلت آية مدح في القرآن إلا فيه، ولا شهد بالجنة في هل أتى على الإنسان إلا له، ولا أنزلها في سواه ولا مدح بها غيره.

معاشر الناس هو ناصر دين الله والمجادل عن رسول الله، وهو التقي النقي الهادي المهدي، نبيكم خير نبي ووصيكم خير وصي وبنوه خير الأوصياء.

معاشر الناس ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من صلب علي.

معاشر الناس إنَّ إبليس أخرج آدم من الجنة بالحسد، فلا تحسدوه فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم، فإنَّ آدم أهبط إلى الأرض لخطيئة واحدة وهو صفوة الله عز وجل وكيف بكم وأنتم أنتم ومنكم أعداء الله، إنّه لا يبغض علياً إلا شقي ولا يتوالى علياً إلا تقي ولا يؤمن به إلا مؤمن مخلص، وفي عليٍّ والله نزلت سورة والعصر: «**بسم الله الرحمن الرحيم* والعصر إنَّ الإنسان لفي خسر**» إلى آخرها.

معاشر الناس قد استشهدت الله وبلَّغتكم رسالتي، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

معاشر الناس اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

معاشر الناس آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها.

معاشر الناس النور من الله عز وجل فيَّ مسلوك ثم في عليٍّ ثم في النسل منه إلى القائم المهدي الذي يأخذ بحق

---

(١) آل عمران ٨٥.

الله وبكلٍّ حق هولنا ، لأنَّ الله عز وجل قد جعلنا حجة على المقصرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين .

معاشر الناس انذركم أنِّي رسول الله قد خلت من قبلي الرسل أفإن متّ أو قتلت انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ، ألا وإنَّ عليّاً هو الموصوف بالصبر والشكر ثم من بعده ولدي من صلبه .

معاشر الناس لا تمنوا على الله إسلامكم فيسخط عليكم ويصيبكم بعذاب من عنده إنَّه لبالمرصاد .

معاشر الناس إنَّه سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون .

معاشر الناس إنَّ الله وأنا بريئان منهم .

معاشر الناس إنَّهم وأنصارهم وأتباعهم وأشياعهم في الدرك الأسفل من النار ولبئس مثوى المتكبرين ، ألا إنّهم أصحاب (الصحيفة) فلينظر أحدكم في صحيفته . قال : فذهب على الناس إلا شرذمة منهم أمر الصحيفة .

معاشر الناس إنِّي أدعها إمامة ووراثة في عقبي إلى يوم القيامة ، وقد بلَّغت ما أمرت بتبليغه حجة على كلِّ حاضر وغائب وعلى كل أحد ممن شهد أو لم يشهد ولد أو لم يولد ، فليبلغ الحاضر الغائب والوالد الولد إلى يوم القيامة ، وسيجعلونها ملكاً واغتصاباً ، ألا لعن الله الغاصبين والمغتصبين ، وعندها سنفرغ لكم أيها الثقلان فيرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران .

معاشر الناس إنَّ الله عز وجل لم يكن يذركم على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيِّب ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب .

معاشر الناس إنَّه ما من قرية إلا والله مهلكها بتكذيبها ، وكذلك يهلك القرى وهي ظالمة ، كما ذكر الله تعالى ، وهذا علي امامكم ووليكم ، وهو مواعيد الله ، والله يصدق ما وعده .

معاشر الناس قد ضل قبلكم أكثر الأولين ، والله لقد أهلك الأولين وهو مهلك الآخرين ، قال الله تعالى : **«ألم نهلك الأولين* ثم نتبعهم الآخرين* كذلك نفعل بالمجرمين* ويل يومئذ للمكذبين»**[1] .

معاشر الناس إنَّ الله قد أمرني ونهاني ، وقد أمرت عليّاً ونهيته ، فعلم الأمر والنهي من ربِّه عز وجل ، فاسمعوا لأمره تسلموا ، وأطيعوا تهتدوا ، وانتهوا لنهيه ترشدوا ، وصيروا إلى مراده ولا تتفرق بكم السبل عن سبيله .

معاشر الناس أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم باتباعه ، ثم علي من بعدي ، ثم ولدي من صلبه ، أئمة يهدون إلى الحق وبه يعدلون ، ثم قرأ : **«الحمد لله ربِّ العالمين»** إلى آخرها وقال : فيَّ نزلت وفيهم نزلت ، ولهم عمَّت وإياهم خصَّت ، اولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ألا إنَّ حزب الله هم الغالبون ، ألا إنَّ أعداء عليٍّ هم أهل الشقاق والنفاق ، والحادون ، وهم العادون ، وإخوان الشياطين الذين يوحي بعضهم إلى

---

(١) المرسلات : ١٦ - ١٩ .

بعض زخرف القول غروراً.

ألا إنَّ أولياءهم الذين ذكرهم الله في كتابه فقال عز وجل: **«لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد[١] الله ورسوله»[٢]** إلى آخر الآية.

ألا إنَّ أولياءهم الذين وصفهم الله عز وجل فقال: **«الذين آمنوا ولم يلبسوا[٣] إيمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون»[٤]** ألا إنَّ أولياءهم الذين وصفهم الله عز وجل فقال: **«الذين يدخلون الجنة آمنين»** تتلقاهم الملائكة بالتسليم أن طبتم فادخلوها خالدين[٥].

ألا إن أولياءهم الذين قال لهم الله عز وجل: **«يدخلون الجنة بغير حساب[٦]»**،

ألا إن أعداءهم يصلون سعيراً[٧]».

ألا إنَّ أعداءهم الذين يسمعون لجهنم شهيقاً وهي تفور ولها زفير[٨].

ألا إنَّ أعداءهم الذين قال الله فيهم: **«كلَّما دخلت أمَّة لعنت اختها»[٩]** الآية.

ألا إنَّ أعداءهم الذين قال الله عز وجل: **«كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذَّبنا وقلنا ما نزَّل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال مبين»[١٠]**.

ألا إنَّ أولياءهم **«الذين يخشون ربَّهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير»[١١]**.

معاشر الناس شتان ما بين السعير والجنة، عدونا من ذمه الله ولعنه، وولينا من مدحه الله وأحبه.

معاشر الناس ألا وإني منذر وعلي هاد[٤].

معاشر الناس إنِّي نبي وعلي وصي.

ألا إنَّ خاتم الأئمة منا القائم المهدي.

ألا إنَّه الظاهر على الدين.

---

(١) حاد بتضعيف الدال: خالفه ولم يطع أمره.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) اي يستروا ايمانهم بظلم، فان اللبس في الأصل بمعنى الستر.

(٤) الانعام: ٨٢.

(٥) هذا المضمون مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ الزمر: ٧٣.

(٦) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ غافر: ٤٠.

(٧) مأخوذ من قوله تعالى ﴿فسوف يدعو ثبوراً * ويصلى سعيراً﴾ الانشقاق ١٢.

(٨) اشارة الى قوله تعالى: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيُّضاً وزفيراً﴾ الفرقان: ١٢.

(٩) الأعراف: ٣٨.

(١٠) الملك: ٨ - ٩.

(١١) غرف الماء بيده: أخذه بها، وهذا اشارة الى ما أخذه علي عليه السلام من علوم النبي صلّى الله عليه وآله الكثيرة التي هي كالبحر العميق الذي لم يصل الناس الى أعماقه.

ألا إنَّه المنتقم من الظالمين.

ألا إنَّه فاتح الحصون وهادمها.

ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك.

ألا إنه مدرك بكل ثار لأولياء الله.

ألا إنَّه الناصر لدين الله.

ألا إنَّه الغرّاف في بحر عميق.

ألا إنَّه يسم[1] كل ذي فضل بفضله، وكل ذي جهل بجهله.

ألا إنَّه خيرة الله ومختاره.

ألا إنَّه وارث كلِّ علم والمحيط به.

ألا إنَّه المخبر عن ربِّه عز وجل والمنبه بأمر إيمانه.

ألا إنَّه الرشيد السديد.

ألا إنَّه المفوَّض إليه.

ألا إنَّه قد بشر به من سلف بين يديه.

ألا إنَّه الباقي حجة ولا حجة بعده، ولا حق إلا معه، ولا نور إلا عنده، ألا إنَّه لا غالب له ولا منصور عليه.

ألا وإنَّه ولي الله في أرضه، وحكمه في خلقه، وأمينه في سره وعلانيته.

معاشر الناس قد بينت لكم وأفهمتكم، وهذا علي يفهمكم بعدي.

ألا وإنِّي عند انقضاء خطبتي أدعوكم إلى مصافقتي[2] على بيعته، والإقرار به، ثم مصافقته بعدي.

ألا وإنِّي قد بايعت الله وعلي قد بايعني، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عز وجل، «**فمن نكث فإنَّما ينكث على نفسه**»[3] الآية.

معاشر الناس إنَّ الحج والصفا والمروة والعمرة من شعائر الله، «**فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما**»[4] **الآية**.

معاشر الناس حجوا البيت، فما ورده أهل بيت إلا استغنوا، ولا تخلَّفوا عنه إلا افتقروا.

---

(١) يسم الشيء: يجعل له علامة يعرف بها.

(٢) صفق يده بالبيعة، وصفق على يده: ضرب يده على يده، والمصافقة: المبايعة.

(٣) الفتح: ١٠، ونكث العهد والبيع: نقضه ونبذه.

(٤) البقرة: ١٥٨.

معاشر الناس ما وقف بالموقف مؤمن إلا غفر الله له ما سلف من ذنبه إلى وقته ذلك، فإذا انقضت حجته استؤنف عمله.[١]

معاشر الناس الحجاج معاونون[١] ونفقاتهم مخلفة، والله لا يضيع أجر المحسنين.

معاشر الناس حجوا البيت بكمال الدين والتفقه، ولا تنصرفوا عن المشاهد إلا بتوبة وإقلاع[٢].

معاشر الناس أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كما أمركم الله عز وجل، لئن طال عليكم الأمد فقصرتم أو نسيتم فعليٌّ وليكم ومبين لكم، الذي نصبه الله عز وجل بعدي، ومن خلفه الله مني ومنه يخبركم بما تسألون عنه، ويبين لكم ما لا تعلمون.

ألا إنَّ الحلال والحرام أكثر من أن أُحصيهما وأعرِّفهما، فآمر بالحلال وأنهى عن الحرام في مقام واحد، فأمرت أن آخذ البيعة منكم والصفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله عز وجل في عليٍّ أمير المؤمنين والأئمة من بعده، الذين هم مني ومنه أئمة قائمة منهم المهدي إلى يوم القيامة الذي يقضي بالحق.

معاشر الناس وكل حلال دللتكم عليه أو حرام نهيتكم عنه، فإنِّي لم أرجع عن ذلك ولم أبدل. ألا فاذكروا ذلك واحفظوه، وتواصوا به ولا تبدلوه، ولا تغيروه.

ألا وإني أجدد القول: ألا فأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وائمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر.

ألا وإنَّ رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن تنتهوا إلى قولي وتبلغوه من لم يحضر وتأمروه بقبوله، وتنهوه عن مخالفته، فإنَّه أمر من الله عز وجل ومني، ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلا مع إمام معصوم.

معاشر الناس القرآن يعرِّفكم أنَّ الأئمة من بعده ولده، وعرَّفتكم أنَّه مني وأنا منه، حيث يقول الله في كتابه: «**وجعلها كلمة باقية في عقبه**»[٣] وقلت: «لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما».

معاشر الناس التقوى! التقوى! احذروا الساعة كما قال الله عز وجل: «**إنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم**»[٤]! اذكروا الممات والحساب والموازين والمحاسبة بين يدي رب العالمين والثواب والعقاب، فمن جاء بالحسنة أثيب عليها، ومن جاء بالسيئة فليس له في الجنان نصيب.

معاشر الناس إنَّكم أكثر من أن تصافقوني بكف واحدة، وقد أمرني الله عز وجل أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعليٍّ من إمرة المؤمنين، ومن جاء بعده من الأئمة مني ومنه على ما أعلمتكم: أنَّ ذريتي من صلبه، فقولوا بأجمعكم «انا سامعون، مطيعون، راضون، منقادون لما بلَّغت عن ربِّنا وربِّك في أمر علي وأمر ولده من صلبه من الأئمة، نبايعك على ذلك بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وأيدينا، على ذلك نحيا ونموت ونبعث ولا نغيِّر ولا نبدل، ولا نشك ولا نرتاب، ولا نرجع عن عهد ولا ننقض الميثاق، نطيع الله ونطيعك وعليّاً أمير المؤمنين وولده الأئمة الذين ذكرتهم من ذريتك من صلبه بعد الحسن والحسين اللذين قد عرَّفتكم مكانهما مني

---

(١) ومعاونون: مساعدون، ومخلفة: معوضة.
(٢) الاقلاع: الترك، والمراد منه هنا ترك الذنوب.
(٣) الزخرف: ٢٨.
(٤) الحج: ١.

ومحلّهما عندي ومنزلتهما من ربِّي عز وجل فقد أديت ذلك إليكم وإنَّهما سيدا شباب أهل الجنة ، وإنَّهما الإمامان بعد أبيهما علي وأنا أبوهما قبله .

وقولوا : أطعنا الله بذلك وإياك وعليّاً والحسن والحسين والأئمة الذين ذكرت ، عهداً وميثاقاً مأخوذاً لأمير المؤمنين من قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا ومصافقة أيدينا من أدركهما بيده وأقرَّ بهما بلسانه[٢] ولا نبغي بذلك بدلاً ولا نرى من أنفسنا عنه حولاً أبداً ، أشهدنا الله وكفى بالله شهيداً وأنت علينا به شهيد ، وكل من أطاع ممن ظهر واستتر وملائكة الله وجنوده وعبيده والله أكبر من كل شهيد» .

معاشر الناس ما تقولون فإنَّ الله يعلم كلَّ صوت وخافية كلِّ نفس ، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلَّ فإنَّما يضل عليها ، ومن بايع فإنَّما يبايع الله يد الله فوق أيديهم .

معاشر الناس فاتقوا الله وبايعوا عليّاً أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة كلمة طيبة باقية ، يهلك الله من غدر ويرحم الله من وفى ، **﴿ومن نكث فإنَّما ينكث على نفسه﴾** الآية .

معاشر الناس قولوا الذي قلت لكم وسلِّموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين ، وقولوا : **«سمعنا وأطعنا غفرانك ربَّنا وإليك المصير»** وقولوا : **«الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»** الآية .

معاشر الناس إنَّ فضائل عليِّ بن أبي طالب (ع) عند الله عزوجل ، وقد أنزلها في القرآن أكثر من أن أُحصيها في مقام واحد ، فمن أنبأكم بها وعرفها فصدقوه .

معاشر الناس من يطع الله ورسوله وعليّاً والأئمة الذين ذكرتهم فقد فاز فوزاً عظيماً .

معاشر الناس السابقون السابقون إلى مبايعته وموالاته والتسليم عليه بإمرة المؤمنين ، اولئك هم الفائزون في جنات النعيم .

معاشر الناس قولوا ما يرضى الله به عنكم من القول ، **«فإن تكفروا انتم ومن في الأرض جميعاً فلن يضر الله شيئاً»**[١] اللهم اغفر للمؤمنين واغضب على الكافرين والحمد لله رب العالمين .

فناداه القوم : سمعنا وأطعنا على أمر الله وأمر رسوله بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا وتداكو[٣] على رسول الله وعلى عليٍّ (ع) فصافقوا بأيديهم ، فكان أول من صافق رسول الله (ص) الأول والثاني والثالث والرابع والخامس وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس على طبقاتهم وقدر منازلهم ، إلى أن صلِّيت المغرب والعتمة في وقت واحد ، ووصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً ورسول الله يقول كلما بايع قوم : **«الحمد لله الذي فضَّلنا على جميع العالمين»** . وصارت المصافقة سنة ورسماً ، وربما يستعملها من ليس له حق فيها .

وروي عن الصادق (ع) أنّه قال : لما فرغ رسول الله (ص) من هذه الخطبة رأى الناس رجلاً جميلاً بهيّاً طيِّب

---

(١) آل عمران : ١٤٤ .

(٢) الضمير في ادركهما وأقربهما عائدان على العهد والميثاق ، وتقدير الكلام : قولوا أطعنا الله بالذي ذكرت من العهد والميثاق المأخوذين لأمير المؤمنين (ع) ، فمن ادرك منا العهد والميثاق في هذا الاجتماع صافق بيده ، وأقرّ بالعهد والميثاق بلسانه . وفي العبارة ارتباك ربما يكون ناشئاً من سقوط بعض الألفاظ لدى النسخ .

(٣) تداكوا عليه : ازدحموا عليه .

الريح فقال: تالله ما رأيت محمّداً كاليوم قط، ما أشد ما يؤكد لابن عمه وإنّه يعقد عقداً لا يحله إلا كافر بالله العظيم وبرسوله، ويل طويل لمن حل عقده.

قال: والتفت إليه عمر بن الخطاب حين سمع كلامه فأعجبته هيأته، ثم التفت إلى النبي (ص) وقال: أما سمعت ما قال هذا الرجل، قال كذا وكذا؟ فقال النبي (ص) يا عمر أتدري من ذاك الرجل؟ قال: لا. قال: ذلك الروح الأمين جبرئيل، فإياك أن تحلّه، فإنّك إن فعلت فالله ورسوله وملائكته والمؤمنون منك براء.

***

ذكر تعيين الأئمة الطاهرة بعد النبي (ص) واحتجاج الله تعالى بمكانهم على كافة الخلق.

روى أبو بصير عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنّه قال: قال أبي محمّد بن عليٍّ لجابر بن عبد الله الأنصاري: إنَّ لي إليك حاجة متى يخفّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ قال له جابر: في أي الأحوال أحببت، فخلا به أبي في بعض الأوقات وقال له:

يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمّي فاطمة وما أخبرتك به أمّي أنّه في ذلك اللوح مكتوب.

فقال جابر: أشهد بالله أنّي دخلت على امك فاطمة صلوات الله عليها في حياة رسول الله (ص) فهنيتها بولادة الحسين عليه السلام ورأيت في يدها لوحاً أخضر فظننت أنّه من زمرّد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه نور الشمس، فقلت لها: بأمي وأبي أنت يابنت رسول الله ما هذا اللوح؟

فقالت(ع): هذا اللوح أهداه الله تعالى إلى رسول الله (ص) فيه إسم أبي واسم بعلي واسم ابنيَّ وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرَّني بذلك. قال جابر: فأعطتنيه أمك عليها السلام فقرأته واستنسخته.

قال له أبي: فهل لك يا جابر أن تعرضه عليَّ؟ قال: نعم، فمشى معه أبي حتى انتهى إلى منزل جابر وأخرج إلى أبي صحيفة من رق وقال: يا جابر أنظر في كتابك لأقرأ عليك، فنظر جابر في نسخته وقرأ أبي فما خالف حرف حرفاً. قال جابر: فأشهد بالله أنّي هكذا رأيت في اللوح مكتوباً:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيم

هذا كتاب من الله العزيز العليم لمحمد نبيه ورسوله ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين.

عظِّم يامحمّد أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي، فإنّي أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين ومذل الظالمين وديان يوم الدين، لا إله إلا أنا من رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذّبته عذاباً لا أُعذّبه أحداً من العالمين، فإياي فاعبد وعليَّ فتوكل، إنّي لم أبعث نبياً فأُكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً، وإنّي فضّلتك على الأنبياء وفضّلت وصيَّك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك بعده وسبطيك الحسن والحسين فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه، وجعلت حسيناً خازن علمي وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة، وهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة، وجعلت كلمتي التامة معه وحجتي البالغة عنده،

بعترته أُثيب وأُعاقب:

أولهم **عليّ سيد العابدين** وزين أوليائي الماضين، وابنه شبيه جده المحمود **محّمد الباقر** لعلمي والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في **جعفر الصادق** الراد عليه كالراد عليَّ، حق القول منّي لأكرمنَّ مثوى جعفر ولأُسرنّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، وانتجبت بعده **موسى**، واتيح بعده فتنة عمياء حندس[1] إلا أنَّ خيط فرضي لا ينقطع وحجتي لا تخفى وإنَّ أوليائي لا يشقون.

ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي ومن غيَّر آية من كتابي فقد افترى عليَّ، ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة عبدي موسى وحبيبي وخيرتي.

ألا إنَّ المكذِّب بالثامن مكذِّب بكل أوليائي **عليّ** وليي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوة وأمنحه بالإضطلاع بها يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلقي، حق القول مني لأُقرَّنَّ عينه **بمحمد** ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه، وهو معدن علمي وموضع سري وحجتي على خلقي، لا يؤمن به عبد إلا جعلت الجنة مثواه وشفعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجب النار. وأختم بالسعادة لابنه **علي** وليي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي، اخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي **الحسن العسكري**.

ثم أُكمل ديني بابنه **محّمد** رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب، سيد أوليائي سيذل أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم ويفشو الويل والرنة في نسائهم، اولئك أوليائي حقاً بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس وبهم أكشف الزلازل وأرفع الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون.

قال عبد الرحمن بن سالم[2]: قال أبو بصير[3]: لو لم تسمع في دهرك الا هذا الحديث لكفاك، فصنه إلا عن أهله.

وعن علي بن أبي حمزة[4] عن جعفر بن محّمد الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله (ص): حدَّثني جبرئيل عن ربِّ العزة جلَّ جلاله أنّه قال: من علم أن لا إله إلا أنا وحدي وأنَّ محّمداً عبدي ورسولي وأنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام وليي وخليفتي وأنَّ الأئمة من ولده حججي أدخلته الجنة برحمتي، ونجيته من النار بعفوي، وأبحت له جواري، فأوجبت له كرامتي، وأتممت عليه نعمتي وجعلته من خاصتي وخالصتي. إن ناداني لبيته وإن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وإن سكت ابتدأته، وإن أساء رحمته، وإن فرَّمني

---

(١) الحندس: الليل المظلم، والظلمة الشديدة.

(٢) عبد الرحمن بن سالم بن عبد الرحمن الأشل الكوفي العطار، وكان سالم بياع المصاحف، وعبد الرحمن بن سالم اخو عبد الحميد بن سالم له كتاب رجال النجاشي ص ١٧٧.

(٣) ابو بصير يحيى بن القسم الاسدي، مما اجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه وعن جماعة آخرين مذكورين في كتب التراجم وانقادوا اليهم بالفقه، توفي سنة ١٥٠ بعد أبي عبد الله الصادق عليه السلام الكنى والألقاب ١٧/١.

(٤) علي بن أبي حمزة مولى الأنصار الكوفي، روى عن أبي عبد الله الصادق وأبي الحسن موسى عليهما السلام، وصنف كتباً عدة منها كتاب جامع في أبواب الفقه. رجال النجاشي ص ١٨٨.

دعوته، وإن رجع إليَّ قبلته، وإن قرع بابي فتحته.

ومن لم يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي، أو شهد بذلك ولم يشهد أنَّ محمداً عبدي ورسولي، أو شهد بذلك ولم يشهد أنَّ عليَّ بن أبي طالب خليفتي، أو شهد بذلك ولم يشهد أنَّ الأئمة من ولده حججي فقد جحد نعمتي وصغَّر عظمتي وكفر بآياتي وكتبي، إن قصدني حجبته وإن سألني حرمته، وإن ناداني لم أسمع نداءه، وإن دعاني لم أستجب دعاءه، وإن رجاني خيَّبته، وذلك جزاؤه مني وما أنا بظلَّام للعبيد.

فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله ومن الأئمة من ولد عليٍّ بن أبي طالب؟

فقال: **الحسن والحسين** سيدا شباب أهل الجنة، ثم زين العابدين في زمانه **عليُّ بن الحسين**، ثم **الباقر محّمد ابن علي**، وستدركه يا جابر فإذا أدركته فاقرأه مني السلام، ثم **الصادق جعفر بن محّمد**، ثم **الكاظم موسى بن جعفر**، **ثم الرضا علي بن موسى**، **ثم التقي الجواد محمد بن علي**، **ثم النقي علي بن محمد**، **ثم الزكي الحسن بن عليّ**، ثم ابنه القائم بالحق مهديّ أُمتي **محمّد بن الحسن** صاحب الزمان ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي، من أطاعهم فقد أطاعني ومن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يمسك الله عز وجل السَّماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها.

وروي عن النبي (ص) أنَّه قال لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام: يا عليُّ لا يحبك إلا من طابت ولادته، ولا يبغضك إلا من خبثت ولادته، ولا يواليك إلا مؤمن ولا يعاديك إلا كافر.

فقام إليه عبد الله بن مسعود فقال: يارسول الله فقد عرفنا علامة خبث الولادة والكافر في حياتك ببغض عليٍّ وعداوته، فما علامة خبث الولادة والكافر بعدك إذا أظهر الإسلام بلسانه وأخفى مكنون سريرته؟

فقال رسول الله (ص): يا ابن مسعود إنَّ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام إمامكم بعدي وخليفتي عليكم، فإذا مضى فالحسن والحسين إبناي إماماكم بعده وخليفتي عليكم، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد أئمتكم وخلفائي عليكم، تاسعهم قائم أُمتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، لا يحبُّهم إلا من طابت ولادته ولا يبغضهم إلا من خبثت ولادته ولا يواليهم إلا مؤمن ولا يعاديهم إلا كافر من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، ومن أنكرني فقد أنكر الله عز وجلّ ومن جحد واحداً منهم فقد جحدني ومن جحدني فقد جحد الله عزَّ وجل، لأنَّ طاعتهم طاعتي وطاعتي طاعة الله ومعصيتهم معصيتي ومعصيتي معصية الله.

يا ابن مسعود إياك أن تجد في نفسك حرجاً مما أقضي فتكفر، فوعزة ربيِّ ما أنا متكلف ولا أنا ناطق عن الهوى في عليٍّ والأئمة عليهم السلام من ولده.

ثم قال (ص) ـ وهو رافع يديه إلى السما: اللهم وال من والى خلفائي وأئمة أُمتي من بعدي وعاد من عاداهم، وانصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، ولا تخل الأرض من قائم منهم بحجتك إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا يبطل دينك وحجتك وبيناتك.

ثم قال(ص) : يا ابن مسعود قد جمعت لكم في مقامي هذا ما إن فارقتموه هلكتم وإن تمسَّكتم به نجوتم . والسلام على من اتبع الهدى .

والأخبار في هذا المعنى متواترة لا تحصى كثرة ذكرنا طرفاً منها جلاءاً للأبصار وشفاءاً لما في الصدور وهدى لقوم ينصفون .

* * *

«ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله(ص) من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة من قبل من استحقَّها ومن لم يستحق ، والإشارة إلى شيء من إنكار من أنكر على من تأمَّر على عليِّ بن أبي طالب(ع) تأمُّره وكيد من كاده من قبل ومن بعد» .

عن أبي المفضل محّمد بن عبد الله الشيباني [1] باسناده الصحيح عن رجال ثقة أنَّ النبي(ص) خرج في مرضه الذي توفي فيه إلى الصَّلاة متوكئاً على الفضل بن عباس وغلام له يقال له ثوبان ، وهي الصلاة التي أراد التخلُّف عنها لثقله ثم حمل على نفسه وخرج ، فلما صلَّى عاد إلى منزله فقال لغلامه : أجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الأنصار وتجلَّاه الغشي وجاءت الأنصار فأحدقوا بالباب وقالوا : استأذن لنا على رسول الله(ص) . فقال : هو مغشي عليه وعنده نساؤه ، فجعلوا يبكون فسمع رسول الله(ص) البكاء فقال :

. من هؤلاء؟ قالوا : الأنصار . فقال : من ها هنا من أهل بيتي؟ قالوا : عليٌّ والعباس ، فدعاهما وخرج متوكئاً عليهما فاستند إلى جذع من أساطين مسجده ـ وكان الجذع جريد نخل ـ فاجتمع الناس وخطب فقال في كلامه :

﴿**معاشر الناس**﴾ إنَّه لم يمت نبي قط إلا خلَّف تركة ، وقد خلَّفت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي ، ألا فمن ضيَّعهم ضيَّعه الله ، ألا وإنَّ الأنصار كرشي وعيبتي [2] التي آوي إليها ، وإنِّي أُوصيكم بتقوى الله والإحسان إليهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم .

ثم دعا اسامة بن زيد فقال سر على بركة الله والنصر والعافية حيث أمرتك بمن أمَّرتك عليه وكان صلّى الله عليه وآله قد أمَّره على جماعة من المهاجرين والانصار فيهم ابو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين الأولين وأمره ان يغير على مؤتة [3] واد في فلسطين فقال له اسامة : بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله أتأذن لي في المقام أياماً حتى يشفيك الله ، فإنِّي متى خرجت وأنت على هذه الحالة خرجت وفي قلبي منك قرحة فقال : انفذ يا أسامة لما أمرتك فإنَّ القعود عن الجهاد لا يجب في حال من الأحوال .

قال : فبلغ رسول الله(ص) أنَّ الناس طعنوا في عمله ، فقال رسول الله(ص) : بلغني أنَّكم طعنتم في عمل اسامة وفي عمل أبيه من قبل ، وأيم الله إنَّه لخليق للإمارة وإنَّ أباه كان خليقاً لها ، وإنَّه وأباه من أحب الناس إليَّ فأُوصيكم به خيراً ، فلئن قلتم في إمارته لقد قال قائلكم في إمارة أبيه .

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن بهلول الشيباني كان سافر في طلب الحديث عمره ، أصله كوفي ، كان في أول عمره ثبتاً ثم خلط منتهى المقال ص ٢٨٠ .

(٢) الكرش :الجماعة من الناس ،وعيال الرجل ،وصغار اولاده والعيبة ما يجعل فيه الثياب ،وعيبة الرجل :موضع سره .

(٣) مؤتة : قرية من قرى البلقان في حدود الشام ، وقيل انها من مشارف الشام على اثني عشر ميلاً من أذرح بها قبر جعفر بن أبي طالب وزيد بن ابي حارثة وعبد الله بن رواحة على كل قبر منها بناء منفرد . مراصد الاطلاع ٣ ـ ١٣٣٠ .

ثم دخل رسول الله (ص) بيته، وخرج اسامة من يومه حتى عسكر على رأس فرسخ من المدينة، ونادى منادي رسول الله (ص): أن لا يتخلف عن اسامة أحد ممن أمَّرته عليه، فلحق الناس به، وكان أول من سارع إليه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، فنزلوا في رقاق[١] واحد مع جملة اهل العسكر.

قال: وثقل رسول الله (ص)، فجعل الناس ممن لم يكن في بعث اسامة يدخلون عليه أرسالا[٢] وسعد بن عبادة يومئذ شاك[٣] وكان لا يدخل أحد من الأنصار على النبي (ص) الا انصرف إلى سعد يعوده.

قال: وقبض رسول الله (ص) وقت الضحى من يوم الإثنين بعد خروج اسامة إلى معسكره بيومين، فرجع أهل العسكر والمدينة قد رجفت بأهلها،

فأقبل أبو بكر على ناقة حتى وقف على باب المسجد فقال: أيها الناس مالكم تموجون[٤] إن كان محّمد قد مات فرب محّمد لم يمت ﴿**وما محّمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً**﴾[٥].

قال ثم اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة وجاءوا به إلى سقيفة بني ساعدة[٦] فلما سمع بذلك عمر أخبر بذلك أبا بكر فمضيا مسرعين إلى السقيفة ومعهما أبو عبيدة بن الجراح، وفي السقيفة خلق كثير من الأنصار وسعد بن عبادة بينهم مريض فتنازعوا الأمر بينهم فآل الأمر إلى أن قال أبو بكر في آخر كلامه للأنصار: إنَّما ادعوكم إلى أبي عبيدة بن الجراح أو عمر وكلاهما قد رضيت لهذا الأمر وكلاهما أراهما له أهلا. فقال عمر وأبو عبيدة: ما ينبغي لنا أن نتقدَّمك يا أبا بكر وأنت أقدمنا إسلاماً وأنت صاحب الغار وثاني اثنين فأنت أحق بهذا الأمر وأولى به.

فقال الأنصار: نحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم، فنجعل منا أميراً ومنكم أميراً ونرضى به على أنَّه إن هلك اخترنا آخر من الأنصار فقال أبو بكر بعد أن مدح المهاجرين: وأنتم يا معاشر الأنصار ممن لا ينكر فضلهم ولا نعمتهم العظيمة في الإسلام، رضيكم الله أنصاراً لدينه وكهفاً لرسوله وجعل إليكم مهاجرته وفيكم محل أزواجه، فليس أحد من الناس بعد المهاجرين الأولين بمنزلتكم، فهم الأمراء وأنتم الوزراء.

فقال الحباب بن المنذر الأنصاري يا معشر الأنصار أمسكوا على أيديكم فإنَّما الناس في فيئكم وظلالكم، ولن يجتري مجترٍ على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم. وأثنى على الأنصار ثم قال: فإن أبى هؤلاء تأميركم عليهم فلسنا نرضى بتأميرهم علينا ولا نقنع بدون أن يكون منا أمير ومنهم أمير.

فقام عمر بن الخطاب فقال: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد، إنَّه لا ترضى العرب أن تؤمِّركم ونبيها من غيركم، ولكنَّ العرب لا تمتنع إلى توالي أمرها من كانت النبوة فيهم وأُلو الأمر منهم، ولنا بذلك على من خالفنا الحجة الظاهرة والسلطان البيِّن، فما ينازعنا سلطان محّمد ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو

---

(١) الرقاق: الصحراء الأرض المستوية اللينة التراب تحته صلابة، وقيل التي نضب عنها الماء، وقيل اللينة المتسعة.
(٢) اي: قطائع مجتمعين.
(٣) أي: مريض.
(٤) تموجون: تختلف اموركم وتضطربون.
(٥) آل عمران: ١٤٤.
(٦) سقيفة بني ساعدة: بالمدينة، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها. مراصد الاطلاع ٢ - ٧٢١.

متجانف بإثم[1] أو متورِّط في الهلكة محب للفتنة.

فقام الحباب بن المنذر ثانية فقال: يا معشر الأنصار أمسكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقال هذا الجاهل وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر وإن أبوا أن يكون منا أمير ومنهم أمير فاجلوهم عن بلادكم وتولّوا هذا الأمر عليهم فأنتم والله أحق به منهم، فقد دان بأسيافكم قبل هذا الوقت من لم يكن يدين بغيرها وأنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب[2]، والله لئن أحد رد قولي لأُحطمنّ أنفه بالسيف.

قال عمر بن الخطاب: فلما كان الحباب هو الذي يجيبني لم يكن لي معه كلام فارغ، فإنّه جرت بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله(ص) فنهاني رسول الله(ص) عن مهاترته[3] فحلفت أن لا اكلمه أبداً.

قال عمر لأبي عبيدة: تكلَّم. فقام أبوعبيدة بن الجراح وتكلَّم بكلام كثير وذكر فيه فضائل الأنصار، وكان بشير بن سعد سيِّداً من سادات الأنصار لما رأى اجتماع الأنصال على سعد بن عبادة لتأمير ه حسده وسعى في إفساد الأمر عليه وتكلَّم في ذلك ورضي بتأمير قريش وحثّ الناس كلَّهم لا سيما الأنصار على الرضا بما يفعله المهاجرون.

فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة شيخان من قريش فبايعوا أيهما شئتم.

فقال عمر وأبو عبيدة: ما نتولّى هذا الأمر عليك امدد يدك نبايعك فقال بشير بن سعد: وأنا ثالثكما.

وكان سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج، فلما رأت الأوس صنيع سيدها بشير وما ادعت اليه الخزرج من تأمير سعد أكبوا على أبي بكر بالبيعة وتكاثروا على ذلك وتزاحموا، فجعلوا يطؤ ون سعداً من شدة الزحمة وهو بينهم على فراشه مريض. فقال: قتلتموني. قال عمر: أُقتلوا سعداً قتله الله، فوثب قيس بن سعد فأخذ بلحية عمر وقال: والله يا ابن صهاك الجبان في الحرب والفرار الليث في الملأ والأمن لو حركت منه شعرة ما رجعت وفي وجهك واضحة[4]

فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر مهلاً فإنَّ الرفق أبلغ وافضل.

فقال سعد: يا ابن صهاك ـ وكانت جدة عمر ـ الحبشية أما والله لو أنَّ لي قوة على النهوض لسمعتها مني في سككها زئيراً أزعجك وأصحابك منها ولألحقتكما بقوم كنتما فيهم أذناباً أذلاء تابعين غير متبوعين لقد اجترأتما.

ثم قال للخزرج: احملوني من مكان الفتنة، فحملوه وأدخلوه منزله، فلما كان بعد ذلك بعث إليه أبوبكر أن قد بايع الناس فبايع. فقال: لا والله حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي وأخضب منكم سنان رمحي وأضربكم

---

(١) المدل: الذي يقيم الدليل على مدعاه، والمدل بباطل: الذي استدل بباطل والمتجانف: المائل عن الحق.

(٢) جذيل: تصغير جذل، وهو العود الذي ينصب للابل الجربى لتحتك به وهو تصغير تعظيم، اي: انا من يستشفى برأيه كما تستشفى الابل الجربى بالاحتكاك بهذا العود وعذيق: تصغير العذق: النخلة. والرجبة ان تعمد النخلة الكريمة ببناء من حجارة أو خشب اذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع، وقد يكون ترجيب النخلة بأن يجعل حولها شوك لئلا يرقى اليها. وملخص المراد من هذا الكلام: انني الذي يؤخذ برأيه وهو ستر وحفظ لما يخاف عليه من المكاره والاضرار.

(٣) المهاترة مأخوذة من الهتر، وهو السقط في الكلام والخطأ فيه.

(٤) الواضحة: الاسنان التي تبدو عند الضحك.

بسيفي ما اقلت يدي فأُقاتلكم بمن تبعني من أهل بيتي وعشيرتي، ثم وأيم الله لو اجتمع الجن والإنس عليَّ لما بايعتكما أيها الغاصبان حتى اعرض على ربي وأعلم ما حسابي.

فلما جاءهم كلامه قال عمر: لا بد من بيعته. فقال بشير بن سعد: إنَّه قد أبى ولج وليس بمبايع أو يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه الخزرج والأوس فاتركوه فليس تركه بضائر، فقبلوا قوله وتركوا سعداً، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يقضي بقضائهم، ولووجد أعواناً لصال بهم ولقاتلهم، فلم يزل كذلك مدة ولاية أبي بكر حتى هلك أبوبكر، ثم ولي عمر وكان كذلك، فخشي سعد غائلة عمر فخرج إلى الشام فمات بحوران[1] في ولاية عمر ولم يبايع أحداً.

وكان سبب موته أن رمي بسهم في الليل فقتله، وزعم أنَّ الجن رموه، وقيل أيضاً أنَّ محمّد بن سلمة الأنصاري تولّى ذلك بجعل جعل له عليه. وروي أنّه تولّى ذلك المغيرة بن شعبة وقيل خالد بن الوليد.

قال: وبايع جماعة الأنصار ومن حضر من غيرهم، وعلي بن أبي طالب مشغول بجهاز رسول الله (ص)، فلما فرغ من ذلك وصلّى على النبي (ص) والناس يصلون عليه من بايع أبا بكر ومن لم يبايع جلس في المسجد، فاجتمع عليه بنو هاشم ومعهم الزبير بن العوام، واجتمعت بنو امية إلى عثمان بن عفان وبنو زهرة إلى عبد الرحمن بن عوف، فكانوا في المسجد كلهم مجتمعين إذ أقبل أبوبكر ومعه عمر وأبوعبيدة بن الجراح فقالوا: مالنا نراكم حلقاً شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار والناس، فقام عثمان وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما فبايعوا، وانصرف علي وبنو هاشم إلى منزل علي (ع) ومعهم الزبير.

قال: فذهب إليهم عمر في جماعة ممن بايع فيهم اسيد بن حصين وسلمة بن سلامة فألفوهم مجتمعين، فقالوا لهم: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس، فوثب الزبير إلى سيفه فقال عمر: عليكم بالكلب العقور فاكفونا شرَّه، فبادر سلمة بن سلامة فانتزع السيف من يده فأخذه عمر فضرب به الأرض فكسره، وأحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم ومضوا بجماعتهم الى أبي بكر، فلما حضروا قالوا: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس، وأيم الله لئن أبيتم ذلك لنحاكمنَّكم بالسيف.

فلما رأى ذلك بنو هاشم أقبل رجل فجعل يبايع حتى لم يبق ممن حضر إلا عليّ بن أبي طالب، فقالوا له بايع أبا بكر.

فقال علي (ع): أنا أحق بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من الرسول وتأخذونه منا أهل البيت غصباً، ألستم زعمتم للأنصار أنَّكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله (ص) فأعطوكم المقادة وسلَّموا لكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، أنا أولى برسول الله حيّاً وميتاً، وأنا وصيه ووزيره ومستودع سره وعلمه، وأنا الصدِّيق الأكبر والفاروق الأعظم أول من آمن به وصدقه، وأحسنكم بلاءاً في جهاد المشركين وأعرفكم بالكتاب والسنة

(١) حوران بالفتح: كورة واسعة من أعمال دمشق في القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع، قصبتها بصرى، ومنها أذرعات وزرع وغيرهما مراصد الاطلاع ١ ـ ٤٣٥.

وأفقهكم في الدين وأعلمكم بعواقب الأمور، وأذربكم لساناً[1] وأثبتكم جناناً، فعلامَ تنازعونا هذا الأمر؟ أنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، وأعرفوا لنا الأمر مثل ما عرفته لكم الأنصار، وإلا فبوءوا بالظلم والعدوان وأنتم تعلمون.

فقال عمر: يا علي أما لك بأهل بيتك اسوة؟

فقال علي (ع): سلوهم عن ذلك، فابتدر القوم الذين بايعوا من بني هاشم فقالوا: والله ما بيعتنا لكم بحجة على علي، ومعاذ الله أن نقول إنا نوازيه في الهجرة وحسن الجهاد والمحل من رسول الله (ص).

فقال عمر: إنَّك لست متروكاً حتى تبايع طوعاً أو كرها.

فقال علي عليه السلام إحلب حلباً لك شطره، اشدد له اليوم ليرد عليك غداً، إذاً والله لا أقبل قولك ولا أحفل بمقامك ولا ابايع فقال أبو بكر: مهلاً يا أبا الحسن ما نشك فيك ولا نكرهك.

فقام أبو عبيدة إلى علي عليه السلام فقال: يا ابن عم لسنا ندفع قرابتك ولا سابقتك ولا علمك ولا نصرتك ولكنك حدث السن ـ وكان لعلي عليه السلام يومئذ ثلاث وثلاثون سنة ـ وأبو بكر شيخ من مشايخ قومك، وهو أحمل لثقل هذا الأمر، وقد مضى الأمر بما فيه فسلّم له، فإن عمَّرك الله يسلِّموا هذا الأمر إليك، ولا يختلف فيك اثنان بعد هذا إلا وأنت به خليق وله حقيق، ولا تبعث الفتنة في أوان الفتنة فقد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم عليك.

فقال امير المؤمنين عليه السلام: يا معاشر المهاجرين والأنصار الله الله لا تنسوا عهد نبيِّكم إليكم في أمري، ولا تخرجوا سلطان محمّد من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن حقه ومقامه في الناس.

فوالله معاشر الجمع إنَّ الله قضى وحكم ونبيه أعلم وأنتم تعلمون بأنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان القارىء منكم لكتاب الله الفقيه في دين الله المضطلع بأمر الرعية، والله إنَّه لفينا لا فيكم فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً وتفسدوا قديمكم بشر من حديثكم.

فقال بشير بن سعد الأنصاري الذي وطَّأ الأرض لأبي بكر وقالت جماعة من الأنصار: يا أبا الحسن لو كان هذا الأمر سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان.

فقال علي عليه السلام: يا هؤلاء كنت أدع رسول الله مسجى لا أُواريه وأخرج انازع في سلطانه، والله ما خفت أحداً يسمو له وينازعنا أهل البيت فيه ويستحل ما استحللتموه، ولا علمت أنَّ رسول الله (ص) ترك يوم غدير خم لأحد حجة ولا لقائل مقالا، فأُنشد الله رجلاً سمع النبي يوم غدير خم يقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» أن يشهد الآن بما سمع.

قال زيد بن أرقم: فشهد إثنا عشر رجلاً بدرياً بذلك وكنت ممن سمع القول من رسول الله (ص) فكتمت الشهادة يومئذ، فدعا علي عليَّ فذهب بصري.

---

(١) الذرب ككتف. حديدة الاسكاف التي يقطع بها، وذرب اللسان: حديده.

قال: وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت وخشي عمر أن يصغي الناس إلى قول علي عليه السلام، ففسح المجلس وقال: إنَّ الله يقلِّب القلوب، ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة، فانصرفوا يومهم ذلك.

وعن أبان بن تغلب قال: **قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام**: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله (ص) أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله (ص)؟ قال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر إثنا عشر رجلاً، من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أُمية وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وبريدة الأسلمي، ومن الأنصار أبو الهيثم بن التيِّهان، وسهل وعثمان إبنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأُبيّ بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري.

قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم، فقال بعضهم لبعض: والله لنأتينَّه ولننزلنَّه عن منبر رسول الله (ص)، وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك إذاً أعنتم على أنفسكم فقد قال الله عز وجل: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾[1] فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام لنستشيره ونستطلع رأيه.

فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين بأجمعهم فقالوا: يا امير المؤمنين تركت حقاً أنت أحق به وأولى به من غيرك، لأنا سمعنا رسول الله يقول «**علي مع الحق والحق مع علي يميل مع الحق كيف ما مال**» ولقد هممنا أن نصير إليه فننزله عن منبر رسول الله (ص)، فجئناك لنستشيرك ونستطلع رأيك فما تأمرنا؟

فقال أمير المؤمنين: وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً، ولكنَّكم كالملح في الزاد وكالكحل في العين، وأيم الله لو فعلتم ذلك لأتيتموني شاهرين بأسيافكم مستعدين للحرب والقتال واذاً لأتوني فقالوا لي: بايع وإلا قتلناك، فلا بد لي من أن أدفع القوم عن نفسي، وذلك انَّ رسول الله (ص) أوعز إليَّ قبل وفاته وقال لي: «**يا أبا الحسن إنَّ الأُمَّة ستغدر بك من بعدي وتنقض فيك عهدي وإنَّك مني بمنزلة هارون من موسى وإنَّ الأُمَّة من بعدي كهارون ومن اتبعه والسامري ومن اتبعه**» فقلت: يا رسول الله فما تعهد إليَّ إذا كان كذلك؟ فقال: «**إذا وجدت أعواناً فبادر اليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً كف يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً**».

فلما توفي رسول الله (ص) اشتغلت بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه ثم آليت على نفسي يميناً أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن، ففعلت ثم أُخذت بيد فاطمة وابنيَّ الحسن والحسين فدرت على أهل بدر وأهل السابقة فناشدتهم حقي ودعوتهم إلى نصرتي فما أجابني منهم إلا أربعة رهط: سلمان، وعمار، وأبوذر، والمقداد، ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي، فأبوا عليَّ إلا السكوت لما علموا من وغارة[2] صدور القوم وبغضهم لله ورسله ولأهل بيت نبيه، فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل فعرِّفوه ما سمعتم من قول نبيكم ليكون ذلك أوكد للحجة وأبلغ للعذر وأبعد لهم من رسول الله (ص) إذا وردوا عليه.

فسار القوم حتى أحدقوا بمنبر رسول الله (ص) وكان يوم الجمعة، فلما صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) الوغر: الحقد والضغن والعداوة والتوقد من الغيض.

للأنصار: تقدَّموا وتكلَّموا! فقال الأنصار للمهاجرين: بل تكلَّموا وتقدَّموا أنتم! فإنَّ الله عزَّوجل بدأ بكم في الكتاب إذ قال الله عزَّوجل: ﴿لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾[١].

قال أبان: قلت له يا ابن رسول الله إنَّ العامة لاتقرأ كما عندك. قال: وكيف تقرأ؟ قال: قلت إنَّها تقرأ: ﴿**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار**﴾ فقال: ويلهم فأي ذنب كان لرسول الله (ص) حتى تاب الله عليه عنه، إنَّما تاب الله به على امته فأول من تكلَّم به خالد بن سعيد بن العاص ثم باقي المهاجرين ثم بعدهم الأنصار.

وروي أنَّهم كانوا غيَّباً عن وفاة رسول الله (ص) فقدموا وقد تولَّى أبو بكر وهم يومئذ أعلام مسجد رسول الله (ص)، فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: إتق الله يا أبا بكر فقد علمت أنَّ رسول الله (ص) قال ونحن محتوشوه[٢] يوم بني قريظة حين فتح الله له باب النصر وقد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام يومئذ عدة من صناديد رجالهم وأُولي البأس والنجدة منهم:

يا معاشر المهاجرين والأنصار إنِّي موصيكم بوصية فاحفظوها وموعدكم أمراً فاحفظوهَ، ألا إنَّ عليَّ بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك أوصاني ربِّي، ألا وإنَّكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم ووليكم أشراركم، ألا وإنَّ أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعالمون لأمر امتي من بعدي اللهم من أطاعهم من أُمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي واجعل لهم نصيباً من مرافقتي يدركون به نور الآخرة، اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض.

فقال له عمر بن الخطاب: اسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا ممن يقتدى برأيه. فقال له خالد: بل اسكت أنت يا ابن الخطاب فإنَّك تنطق على لسان غيرك، وأيم الله لقد علمت قريش أنَّك من **ألأمها** حسباً وأدناها منصباً وأخسَّها قدراً وأخملها ذكراً وأقلهم عناءاً عن الله ورسوله، وأنَّك لجبان في الحروب بخيل بالمال لئيم العنصر، مالك في قريش من فخر ولا في الحروب من ذكر، وأنَّك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان «**اذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنِّي بريء منك إنِّي أخاف الله رب العالمين * فكان عاقبتهما أنَّهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين**»[٣] فأبلس[٤] عمر وجلس خالد بن سعيد.

ثم قام سلمان الفارسي وقال: «كرديد ونكرديد» أي فعلتم ولم تفعلوا، وقد كان امتنع من البيعة قبل ذلك حتى وجيء[٥] عنقه، فقال: يا أبا بكر إلى من تسند أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه، وإلى من تفزع إذا سئلت عما لا تعلمه، وما عذرك في تقدُّمك على من هو أعلم منك وأقرب إلى رسول الله وأعلم بتأويل كتاب الله عزوجل وسنة نبيه ومن قدَّمه النبي (ص) في حياته وأوصاكم به عند وفاته، فنبذتم قوله وتناسيتم وصيَّته وأخلفتم الوعد

---

(١) التوبة: ١١٧.

(٢) احتوشوه واحتوشوا به: احاطوا به.

(٣) الحشر: ١٦ - ١٧.

(٤) ابلس: سكت على مضض أو خوف..

(٥) وجيء عنقه: لوي وضرب.

ونقضتم العهد وحللتم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية اسامة بن زيد حذراً من مثل ما أتيتموه وتنبيهاً للأمّة على عظيم ما اجترمتموه من مخالفة أمره فعن قليل يصفو لك الأمر وقد أثقلك الوزر ونقلت إلى قبرك وحملت معك ما كسبت يداك ، فلو راجعت الحق من قريب وتلافيت نفسك وتبت إلى الله من عظيم ما اجترمت كان ذلك أقرب الى نجاتك يوم تفرد في حفرتك ويسلمك ذوو نصرتك ، فقد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا ، فلم يردعك ذلك عما أنت متشبث به من هذا الأمر الذي لا عذر لك في تقلده ولا حظ للدين ولا المسلمين في قيامك به ، فالله الله في نفسك ، فقد أعذر من أنذر ولا تكون كمن أدبر واستكبر.

ثم قام أبو ذر الغفاري فقال : يا معشر قريش أصبتم قباحة وتركتم قرابة ، والله ليرتدنَّ جماعة من العرب ولتشكنَّ في هذا الدين ، ولو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان ، والله لقد صارت لمن غلب ، ولتطمحنَّ إليها عين من ليس من أهلها ، وليسفكنَّ في طلبها دماء كثيرة ـ فكان كما قال أبو ذر .

ثم قال : لقد علمتم وعلم خياركم أنَّ رسول الله (ص) قال : «الأمر بعدي لعليٍّ ثم لابني الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي» فاطرحتم قول نبيكم وتناسيتم ما عهد به إليكم ، فأطعتم الدنيا الفانية ونسيتم الآخرة الباقية التي لا يهرم شابها ولا يزول نعيمها ولا يحزن أهلها ولا يموت سكانها بالحقير التافه الفاني الزائل ، فكذلك الأمم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها ونكصت على أعقابها[1] وغيَّرت وبدلت واختلفت ، فساويتموهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، وعما قليل تذوقون وبال أمركم وتجزون بما قدَّمت أيديكم ، وما الله بظلّام للعبيد .

ثم قام المقداد بن الأسود فقال : يا أبا بكر ارجع عن ظلمك ، وتب إلى ربِّك والزم بيتك ، وابك على خطيئتك ، وسلم الأمر لصاحبه الذي هو أولى به منك ، فقد علمت ما عقده رسول الله (ص) في عنقك من بيعته ، وألزمك من النفوذ تحت راية اسامة بن زيد وهو مولاه ، ونبه على بطلان وجوب هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه بضمه لكما الى علم النفاق ومعدن الشنآن والشقاق عمرو بن العاص الذي انزل الله على نبيه (ص) : ﴿إنَّ شانئك هو الأبتر﴾[2] فلا اختلاف بين أهل العلم أنَّها نزلت في عمرو ، وهو كان أميراً عليكما وعلى سائر المنافقين في الوقت الذي أنفذه رسول الله (ص) في غزاة ذات السلاسل ، وإنَّ عمراً قلد كما حرس عسكره . فأين الحرس إلى الخلافة ، اتق الله وبادر بالإستقالة قبل فوتها ، فإنَّ ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك ، ولا تركن إلى دنياك ولا تغرنَّك قريش وغيرها ، فعن قليل تضمحل عنك دنياك ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك ، وقد علمت وتيقنت أنَّ عليًّ بن أبي طالب عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله فسلمه إليه بما جعله الله له فإنَّه أتم لسترك وأخف لوزرك ، فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي وإلى الله ترجع الأمور.

ثم قام إليه بريدة الأسلمي فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا لقي الحق من الباطل ، يا أبا بكر أنسيت أم تناسيت وخدعت أم خدعتك نفسك أم سوَّلت لك الأباطيل ، أولم تذكر ما أمرنا به رسول الله (ص) من تسمية علي عليه السلام بإمرة المؤمنين والنبي (ص) بين أظهرنا ، وقوله في عدة أوقات : « هذا علي امير المؤمنين وقاتل القاسطين » ، اتق الله وتدارك نفسك قبل أن لا تدركها وأنقذها مما يهلكها واردد الأمر إلى من هو أحق به منك ،

---

(١) نكصت على أعقابها ، رجعت القهقري .

(٢) الكوثر : ٣ .

ولا تتماد في اغتصابه، وراجع وأنت تستطيع أن تراجع، فقد محضتك النصح ودللتك على طريق النجاة، فلا تكونن ظهيراً للمجرمين.

ثم قام عمار بن ياسر فقال: يا معاشر قريش ويا معاشر المسلمين إن كنتم علمتم وإلا فاعلموا أنَّ أهل بيت نبيِّكم أولى به وأحق بإرثه وأقوم بأُمور الدين وآمن على المؤمنين وأحفظ لملَّته وأنصح لأُمَّته، • فمروا صاحبكم فليرد الحق إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف أمركم ويظهر شتاتكم وتعظم الفتنة بكم وتختلفوا فيما بينكم ويطمع فيكم عدوكم، فقد علمتم أنَّ بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم، وعلي[أقرب منكم إلى نبيكم وهو]من بينهم وليكم بعد الله ورسوله وفرق ظاهر قد عرفتموه في حال بعد حال عند سد النبي (ص) أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلها غير بابه، وإيثاره إياه بكريمته فاطمة دون سائر من خطبها إليه منكم، وقوله (ص): «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها» وإنَّكم جميعاً مضطرون فيما أشكل عليكم من امور دينكم إليه وهو مستغن عن كل أحد منكم إلى ما له من السوابق التي ليست لأفضلكم عند نفسه، فما بالكم تحيدون عنه وتبتزون علياً حقه وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة بئس للظالمين بدلاً، اعطوه ما جعله الله له ولا تتولوا عنه مدبرين، ولا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين.

ثم قام أُبيّ بن كعب فقال: يا أبا بكر لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك، ولا تكن أول من عصى رسول الله (ص) في وصيه وصفيه وصدف عن أمره، أُردد الحق إلى أهله تسلم، ولا تتماد في غيك فتندم، وبادر الإنابة يخف وزرك، ولا تخصص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه وتصير إلى ربِّك، فيسألك عما جنيت وما ربك بظلام للعبيد.

ثم قام خزيمة بن ثابت فقال: أيها الناس ألستم تعلمون أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قالوا: بلى. قال: فأشهد أنِّي سمعت رسول الله (ص) يقول: «أهل بيتي يفرِّقون بين الحق والباطل وهم الأئمة الذين يقتدى بهم» وقد قلت ما علمت، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

ثم قام أبو الهيثم بن التيِّهان فقال: وأنا أشهد على نبينا (ص) أنَّه أقام علياً - يعني في يوم غدير خم - فقالت الأنصار: ما أقامه للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنَّه مولى من كان رسول الله (ص) مولاه، وكثر الخوض في ذلك فبعثنا رجالاً منا إلى رسول الله (ص) فسألوه عن ذلك فقال: قولوا لهم علي ولي المؤمنين بعدي وأنصح الناس لأُمتي، وقد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، إنَّ يوم الفصل كان ميقاتاً.

ثم قام سهل بن حنيف فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي محمّد وآله ثم قال: يا معاشر قريش إشهدوا عليَّ أنِّي أشهد على رسول الله وقد رأيته في هذا المكان - يعني الروضة - وقد أخذ بيد عليِّ بن أبي طالب (ع) وهو يقول: أيها الناس هذا علي إمامكم من بعدي، ووصيي في حياتي وبعد وفاتي، وقاضي ديني ومنجز وعدي، وأول من يصافحني على حوضي، فطوبى لمن اتبعه ونصره، والويل لمن تخلَّف عنه وخذله.

وقام معه أخوه عثمان بن حنيف وقال : سمعنا رسول الله (ص) يقول : أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدَّموهم وقدِّموهم فهم الولاة من بعدي ، فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله وأي أهل بيتك ؟ فقال عليٌّ والطاهرون من ولده . وقد بيَّن (ص) فلا تكن يا أبا بكر أول كافر به ، ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال : اتقوا عباد الله في أهل بيت نبيِّكم ، واردوا إليهم حقهم الذي جعله الله لهم ، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا (ص) ومجلس بعد مجلس يقول : « أهل بيتي أئمتكم بعدي » ويومىء إلى علي ويقول : « هذا أمير البررة وقاتل الكفرة مخذول من خذله منصور من نصره » فتوبوا إلى الله من ظلمكم إياه إنَّ الله تواب رحيم ، ولا تتولَّوا عنه مدبرين ولا تتولَّوا عنه معرضين .

قال الصادق عليه السلام : فأُفحم ابو بكر على المنبر حتى لم يحر جواباً ، ثم قال : ولِّيتكم ولست بخيِّركم أقيلوني أقيلوني . فقال له عمر بن الخطاب : إنزل عنها يا لكع[1] إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لِمَ أقمت نفسك هذا المقام ؟ والله لقد هممت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة .

قال : فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله (ص) ، فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل فقال لهم : ما جلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم ؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل ، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل ، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل ، فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله (ص) ، فقال عمر : والله يا أصحاب عليٍّ لئن ذهب منكم رجل يتكلَّم بالذي تكلَّم بالأمس لنأخذنَّ الذي فيه عيناه .

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال : يا ابن صهاك الحبشية أبأسيافكم تهددوننا أم بجمعكم تفزعوننا ، والله إنَّ أسيافنا أحدّ من أسيافكم وإنا لأكثر منكم وإن كنا قليلين لأنَّ حجة الله فينا ، والله لولا أنِّي أعلم أنَّ طاعة الله ورسوله وطاعة إمامي أولى بي لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن ابلي عذري .

فقال أمير المؤمنين : إجلس يا خالد فقد عرف الله لك مقامك وشكر لك سعيك ، فجلس وقام إليه سلمان الفارسي فقال : الله اكبر الله اكبر سمعت رسول الله (ص)بهاتين الأذنين وإلا صمّتا يقول : « بينما أخي وابن عمي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النار يريدون قتله وقتل من معه ، فلست أشك إلا وإنَّكم هم » فهمّ به عمر بن الخطاب فوثب إليه أمير المؤمنين (ع) وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الأرض ثم قال : يا ابن صهاك

(١) اللكع : اللئيم والعبد الأحمق .

الحبشية لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدَّم لأُريك أينا أضعف ناصراً وأقل عدداً .

ثم التفت إلى أصحابه فقال : انصرفوا رحمكم الله ، فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخواي موسى وهارون ، إذ قال له أصحابه : **﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هيهنا قاعدون ﴾**[1] والله لادخلته إلا لزيارة رسول الله (ص) أو لقضية أقضيها فإنَّه لا يجوز بحجة أقامها رسول الله (ص) أن يترك الناس في حيرة .

وعن عبد الله بن عبد الرَّحمان قال : ثم إنَّ عمر احتزم بأزاره وجعل يطوف بالمدينة وينادي : ألا إنَّ أبا بكر قد بويع له فهلموا إلى البيعة ، فينثال[2] الناس يبايعون ، فعرف أنَّ جماعة في بيوت مستترون ، فكان يقصدهم في جمع كثير ويكبسهم ويحضرهم المسجد فيبايعون حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل علي (ع) فطالبه بالخروج فأبى ، فدعا عمر بحطب ونار وقال : والذي نفس عمر بيده ليخرجن أو لأُحرقنَّه على ما فيه . فقيل له : إنَّ فاطمة بنت رسول الله وولد رسول الله وآثار رسول الله (ص) فيه ، وأنكر الناس ذلك من قوله .

فلما عرف انكارهم قال : ما بالكم أتروني فعلت ذلك إنَّما أردت التهويل ، فراسلهم علي أن ليس إلى خروجي حيلة لأنِّي في جمع كتاب الله الذي قد نبذتموه وألهتكم الدنيا عنه ، وقد حلفت أن لا أخرج من بيتي ولا أدع ردائي على عاتقي حتى أجمع القرآن .

قال : وخرجت فاطمة بنت رسول الله (ص) إليهم فوقفت خلف الباب ثم قالت : لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم ، تركتم رسول الله (ص) جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم فيما بينكم ولم تؤمِّرونا ولم تروا لنا حقاً ، كأنَّكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم ، والله لقد عقد له يومئذ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرجاء ولكنَّكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيِّكم ، والله حسيب بيننا وبينكم في الدنيا والآخرة .

وفي رواية سليم بن قيس الهلالي[3] عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنَّه قال : أتيت عليّاً (ع) وهو يغسِّل رسول الله (ص) ، وقد كان أوصى أن لا يغسِّله غير علي (ع) وأخبر أنَّه لا يريد أن يقلب منه عضواً إلا قلب له ، وقد قال أمير المؤمنين (ع) لرسول الله (ص) : من يعينني على غسلك يا رسول الله ؟ قال جبرئيل .

فلما غسَّله وكفَّنه أدخلني وأدخل أبا ذر والمقداد وفاطمة وحسناً وحسيناً (ع) فتقدَّم وصففنا خلفه فصلّى عليه وعائشة في الحجرة لا تعلم قد أخذ جبرئيل ببصرها ثم أدخل عشرة من المهاجرين وعشرة من الأنصار فيصلّون ويخرجون ، حتى لم يبق من المهاجرين والأنصار إلا صلّى عليه .

---

(١) المائدة : ١٤ . (٢) انثال الناس : انصبوا واجتمعوا .

(٣) أبو صادق سليم بن قيس الهلالي ، كان من أصحاب علي عليه السلام وكان هارباً من الحجاج لأنه طلبه ليقتله فلجأ إلى أبان بن عياش ، فآواه فلما حضرته الوفاة قال لأبان : « إنَّ لك عليَّ حقاً وقد حضرتني الوفاة يا ابن أخي إنَّه كان من أمر رسول الله كيت وكيت » واعطاه كتاباً وهوكتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور رواه عنه ابان بن عياش الفهرست للطوسي ص ٨١ .

وقلت لعلي (ع) حين يغسِّل رسول الله (ص) : إنَّ القوم فعلوا كذا وكذا وإنَّ أبا بكر الساعة لعلى منبر رسول الله (ص) وما يرضى الناس أن يبايعوا له بيد واحدة إنَّهم ليبايعون بيديه جميعاً يميناً وشمالاً .

فقال علي (ع) : يا سلمان فهل تدري من أول من يبايعه على منبر رسول الله (ص) ؟ فقلت : لا إلا أنِّي قد رأيته في ظلَّة بني ساعدة حين خصمت الأنصار ، وكان أول من بايعه بشير ابن سعد ثم أبو عبيدة بن الجراح ثم عمر بن الخطاب ثم سالم مولى أبي حذيفة [ومعاذ بن جبل] .

قال : لست أسألك عن هذا ، ولكن تدري من أول من بايعه حين صعد منبر رسول الله (ص) ؟ قلت : لا ، ولكنِّي رأيت شيخاً كبيراً متوكئاً على عصاه بين عينيه سجادة شديد التشمير وهو يبكي ويقول : الحمد لله الذي لم يمتني ولم يخرجني من الدنيا حتى رأيتك في هذا المكان ابسط يدك أبايعك ، فبسط يده فبايعه ثم نزل فخرج من المسجد .

فقال لي علي (ع) : يا سلمان وهل تدري من هو؟ قلت : لا ولكنِّي ساءتني مقالته كأنَّه شامت بموت رسول الله صلّى الله عليه وآله .

قال علي : إنَّ ذلك إبليس لعنه الله ، أخبرني رسول الله أنَّ إبليس ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول الله (ص) إياي بغدير خم بأمر الله تعالى ، فأخبرهم أن يبلِّغ الشاهد الغائب ، فأتاه أبالسة ومردة أصحابه فقالوا : إنَّ هذه أمَّة مرحومة معصومة وما لنا ولا لك عليهم من سبيل ، قد علموا إمامهم ومفزعهم بعد نبيِّهم ، فانطلق إبليس كئيباً حزيناً ، فأخبرني رسول الله (ص) أن لو قد قبض أنَّ الناس سيبايعون أبا بكر في ظلَّة بني ساعدة بعد أن تخاصمهم بحقك وحجتك ، ثم يأتون المسجد فيكون أول من يبايعه على منبري إبليس في صورة شيخ كبير مستبشر يقول كذا وكذا ، ثم تجتمع شياطينه وأبالسته فيخر ويكسع[1] ثم يقول كذا زعمتم أن ليس لي عليهم سبيل فكيف رأيتموني صنعت بهم حين تركوا أمر من أمرهم الله بطاعته وأمرهم رسوله .

فقال سلمان : فلما كان الليل حمل عليٌّ فاطمة على حمار وأخذ بيد ابنيه الحسن والحسين ، فلم يدع أحداً من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار إلا أتى منزله وذكر حقه ودعاه إلى نصرته ، فما استجاب له من جميعهم إلا أربعة وأربعون رجلاً ، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلِّقين رؤوسهم معهم سلاحهم وقد بايعوه على الموت ، فأصبح ولم يوافه منهم أحد غير أربعة .

قلت لسلمان : من الأربعة ؟

قال : أنا وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام .

---

(١) يكسع : يضرب دبره بيده أو بصدر قدمه .

ثم أتاهم من الليلة الثانية فناشدهم الله فقالوا : نصحبك بكرة ، فما منهم أحد وفى غيرنا ، ثم الليلة الثالثة فما وفى أحد غيرنا .

فلما رأى علي (ع) غدرهم وقلّة وفائهم لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلّفه ويجمعه ، فلم يخرج حتى جمعه كلّه فكتبه على تنزيله والناسخ والمنسوخ ، فبعث اليه أبو بكر أن اخرج فبايع ، فبعث إليه إنِّي مشغول فقد آليت بيمين أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أؤلف القرآن وأجمعه ، فجمعه في ثوب وختمه ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله (ص) فنادى (ع) بأعلى صوته : أيها الناس إنِّي لم أزل منذ قبض رسول الله (ص) مشغولاً بغسله ثم بالقرآن حتى جمعته كلّه في هذا الثوب ، فلم ينزل الله على نبيه آية من القرآن إلا وقد جمعتها كلها في هذا الثوب ، وليست منه آية إلا وقد أقرأنيها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وعلَّمني تأويلها .

فقالوا : لا حاجة لنا به عندنا مثله .

ثم دخل بيته فقال عمر لأبي بكر :أرسل إلى عليٍّ فليبايع فإنّا لسنا في شيء حتى يبايع ولو قد بايع أمنّاه وغائلته . فأرسل أبو بكر رسولاً أن أجب خليفة رسول الله (ص) ، فأتاه الرسول فأخبره بذلك .

فقال علي (ع) : ما أسرع ما كذبتم على رسول الله (ص) ، إنَّه ليعلم ويعلم الذين حوله أنَّ الله ورسوله لم يستخلفا غيري ، فذهب الرسول فأخبره بما قاله فقال : إذهب فقل أجب أمير المؤمنين أبا بكر ، فأتاه فأخبره بذلك .

فقال علي (ع) : سبحان الله والله ما طال العهد بالنبي منيِّ وإنَّه ليعلم أنَّ هذا الإسم لا يصلح إلا لي ، وقد أمره رسول الله (ص) سابع سبعة فسلَّموا عليَّ بإمرة المؤمنين ، فاستفهمه هو وصاحبه عمر من بين السبعة فقالا : أمر من الله ورسوله ؟ فقال لهما رسول الله (ص) : نعم حقاً من الله ورسوله إنَّه أمير المؤمنين وسيد المسلمين وصاحب لواء الغر المحجلين ، يقعده الله يوم القيامة على الصراط فيدخل أولياءه الجنة وأعداءه النار .

قال : فانطلق الرسول إلى أبي بكر فأخبره بما قال ، فكفوا عنه يومئذ ، فلما كان الليل حمل فاطمة (ع) على حمار ثم دعاهم إلى نصرته فما استجاب له رجل غيرنا أربعة ، فإنا حلقنا رؤ وسنا وبذلنا نفوسنا ونصرتنا .

وكان عليّ بن أبي طالب (ع) لما رأى خذلان الناس له وتركهم نصرته واجتماع كلمة الناس مع أبي بكر وطاعتهم له وتعظيمهم له جلس في بيته ، فقال عمر لأبي بكر : ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع ، فإنَّه لم يبق أحد إلا وقد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة معه . وكان أبو بكر أرق الرجلين وأرفقهما وأدهاهما وأبعدهما غوراً والآخر أفظّهما وأغلظهما وأخشنهما وأجفاهما .

فقال : من نرسل إليه ؟ فقال عمر أرسل إليه قنفداً ـ وكان رجلاً فظّاً غليظاً جافياً من

الطلقاء أحد بني تيم ـ فأرسله .وأرسل معه أعواناً ، فانطلق فاستأذن فأبى علي (ع) أن يأذن له ، فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر وهما في المسجد والناس حولهما فقالوا : لم يأذن لنا . فقال عمر : هو إن أذن لكم وإلا فادخلوا عليه بغير إذنه .

فانطلقوا فاستأذنوا فقالت فاطمة (ع) : احرِّج عليكم[1] أن تدخلوا بيتي بغير إذن ، فرجعوا وثبت قنفذ فقالوا : إنَّ فاطمة قالت كذا وكذا فحرّجتنا أن ندخل عليها البيت بغير إذن منها ، فغضب عمر وقال : ما لنا وللنساء . ثم أمر أُناساً حوله فحملوا حطباً وحمل معهم فجعلوه حول منزله وفيه علي وفاطمة وابناهما (ع) ، ثم نادى عمر حتى أسمع علياً (ع) : والله لتخرجنَّ ولتبايعنَّ خليفة رسول الله أو لأضرمنَّ عليك بيتك ناراً ، ثم رجع فقعد إلى أبي بكر وهو يخاف أن يخرج عليّ بسيفه لما قد عرف من بأسه وشدَّته . ثم قال لقنفذ : إن خرج وإلا فاقتحم عليه ، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم ناراً .

فانطلق قنفذ فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن ، وبادر عليّ إلى سيفه ليأخذه فسبقوه إليه فتناول بعض سيوفهم فكثروا عليه فضبطوه وألقوا في عنقه حبلاً أسود ، وحالت فاطمة (ع) بين زوجها وبينهم عند باب البيت فضربها قنفذ بالسوط على عضدها ، فبقي أثره في عضدها من ذلك مثل الدملوج[2] من ضرب قنفذ إياها ، فأرسل أبو بكر إلى قنفذ اضربها فألجأها إلى عضادة بيتها ، فدفعها فكسر ظلعاً من جنبها وألقت جنيناً من بطنها ، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت من ذلك شهيدة صلوات الله عليها .

ثم انطلقوا بعلي (ع) ملبباً بحبل حتى انتهوا به إلى أبي بكر وعمر قائم بالسيف على رأسه وخالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وسالم والمغيرة بن شعبة واسيد بن حصين وبشير بن سعد وسائر الناس قعود حول أبي بكر عليهم السلاح وهو يقول : أما والله لو وقع سيفي بيدي لعلمتم أنَّكم لن تصلوا إليَّ ، هذا جزاء مني وبالله لا ألوم نفسي في جهد ولو كنت في أربعين رجلاً لفرَّقت جماعتكم ، فلعن الله قوماً بايعوني ثم خذلوني .

فانتهره عمر فقال : بايع . فقال : وإن لم أفعل ؟ قال : إذاً نقتلك ذلاً وصغاراً . قال : إذن تقتلون عبد الله وأخا رسول الله (ص) . فقال أبو بكر : أما عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا نقرّ لك به . قال (ع) : أتجحدون أنَّ رسول الله (ص) آخى بين نفسه وبيني فأعادوا عليه ذلك ثلاث مرات ثم أقبل علي (ع) فقال :

يا معاشر المهاجرين والأنصار أُنشدكم بالله أسمعتم رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم كذا وكذا ، وفي غزاة تبوك كذا وكذا ؟ فلم يدع شيئاً قاله فيه (ع) علانية للعامة إلا ذكره . فقالوا : اللهم نعم .

---

(١) التحرج : التضييق وعدم الاذن والالجاء .

(٢) الدملوج : حلى يلبس في المعصم .

فلما خاف أبو بكر أن ينصروه ويمنعوه بادرهم فقال : كل ما قلته قد سمعناه بآذاننا ووعته قلوبنا ، ولكن سمعت رسول الله (ص) يقول بعد هذا : إنا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا واختار لنا الآخرة على الدنيا ، وإنَّ الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة .

فقال علي (ع): أما أحد من أصحاب رسول الله (ص) شهد هذا معك ؟ قال عمر : صدق خليفة رسول الله (ص) قد سمعنا منه هذا كما قال ، وقال أبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ ابن جبل : صدق قد سمعنا ذلك من رسول الله (ص) .

فقال لهم : لشدَّ ما وفيتم بصحيفتكم الملعونة التي تعاقدتم عليها في الكعبة : إن قتل الله محمداً أو أماته أن تزووا هذا الأمر عنا أهل البيت .

فقال أبو بكر : وما علمك بذلك أطلعناك عليها ؟ قال علي يا زبير ويا سلمان وأنت يا مقداد أُذكركم بالله وبالإسلام أسمعتم رسول الله (ص) يقول ذلك لي وعدَّ فلاناً وفلاناً حتى عدَّ هؤلاء الخمسة قد كتبوا بينهم كتاباً وتعاهدوا وتعاقدوا على ما صنعوا ؟ قالوا : اللهم نعم قد سمعناه يقول ذلك لك ، فقلت له بأبي أنت وأُمّي يا نبي الله فما تأمرني أن أفعل إذا كان ذلك ؟ فقال لك : إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم ونابذهم ، وإن لم تجد أعواناً فبايعهم واحقن دمك .

فقال علي (ع) : أما والله لو أنَّ اولئك الأربعين رجلاً الذين بايعوني ووفوا لجاهدتكم في الله ولله ، أما والله لا ينالها أحد من عقبكم إلى يوم القيامة .

ثم نادى قبل أن يبايع : « **يا ابن أُم إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني** »[١] ثم تناول يد أبي بكر فبايعه ، فقيل للزبير بايع الآن ، فأبى فوثب عليه عمر وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة في اناس فانتزعوا سيفه من يده فضربوا به الأرض حتى كسر ، فقال الزبير وعمر على صدره : يا ابن صهاك أما والله لو أنَّ سيفي في يدي لحدت عني ، ثم بايع .

قال سلمان : ثم أخذوني فوجؤوا عنقي حتى تركوها مثل السلعة[٢] ثم فتلوا يدي ، فبايعت مكرهاً ، ثم بايع أبو ذر والمقداد مكرهين ، وما من الامة أحد بايع مكرهاً غير علي وأربعتنا .

ولم يكن أحد منا أشد قولاً من الزبير ، فلما بايع قال : يا ابن صهاك أما والله لولا هؤلاء الطلقاء الذين أعانوك ما كنت لتقدم عليَّ ومعي السيف لما قد علمت من جبنك ولؤمك ، ولكنَّك وجدت من تقوى بهم وتصول بهم ، فغضب عمر فقال : أتذكر صهاك ؟ فقال الزبير : ومن صهاك وما يمنعني من ذلك ، وإنَّما كانت صهاك أمة حبشية لجدي عبد المطلب فزنى بها نفيل

---

(١) الأعراف : ١٥ .

(٢) السلعة : خراج كهيئة الغدة .

فولدت أباك الخطاب فوهبها عبد المطلب له بعدما ولدته ، فإنَّه لعبد جدي فولد زنا ، فأصلح بينهما أبو بكر وكف كل منهما عن صاحبه .

فقال سليم : فقلت يا سلمان بايعت أبا بكر ولم تقل شيئاً ؟ قال : قد قلت بعد ما بايعت : تبّاً لكم سائر الدهر ، أوتدرون ماذا صنعتم بأُناسكم ، أصبتم وأخطأتم ، أصبتم سنة الأولين ، وأخطأتم سنة نبيكم حتى أخرجتموها من معدنها وأهلها . فقال لي عمر : أما إذا بايع صاحبك وبايعت فقل ما بدا لك وليقل ما بدا له .

قال : قلت فإنِّي أشهد أنِّي سمعت رسول الله (ص) يقول : إنَّ عليك وعلى صاحبك الذي بايعته مثل ذنوب امته إلى يوم القيامة ومثل عذابهم . وقال : قل ما شئت أليس قد بايع ولم يقرّ الله عينيك بأن يليها صاحبك . قال : قلت فإنِّي أشهد أنِّي قرأت في بعض كتب الله المنزلة آية باسمك ونسبك وصفتك باب من أبواب جهنم . قال : قل ما شئت أليس قد عزلها الله عن أهل البيت الذين قد اتخذتموهم أرباباً .

قال : قلت : فأشهد أنِّي سمعت رسول الله (ص) يقول وقد سألته عن هذه الآية : **﴿فيومئذ لا يعذِّب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد﴾**[1] فقال : إنَّك أنت هو . فقال عمر : اسكت . قال : قلت أسكت الله نأمتك[2] أيها العبد يا ابن اللخناء[3] . فقال لي علي (ع) : اسكت يا سلمان ، فسكت فوالله لولا أنَّه أمرني بالسكوت لأخبرته بكلِّ شيء نزل فيه وفي صاحبه ، فلما رأى ذلك عمر أنَّه قد سكت قال . إنَّك له مطيع مسلِّم وإذاً لم يقل أبو ذر والمقداد شيئاً كما قال سلمان .

قال عمر : يا سلمان ألا تكف عنا كما كف صاحباك ، فوالله ما أنت بأشد حباً لأهل هذا البيت منهما ولا أشد تعظيماً لهم ولحقهم ، فقد كفّا كما ترى وبايعا . فقال أبو ذر : أفتعيِّرنا يا عمر بحب آل محمد وتعظيمهم ، لعن الله من أبغضهم وابتز عليهم وظلمهم حقهم وحمل الناس على رقابهم ورد الناس على أدبارهم القهقرى وقد فعل ذلك بهم .

فقال عمر : آمين فلعن الله من ظلمهم حقهم ،لا والله ما لهم فيها حق وما هم وعرض الناس في هذا الأمر الا سواء . قال أبو ذر : فلم خاصمتهم بحقهم وحجتهم ؟ فقال علي (ع) : يا ابن صهاك فليس لنا حق وهو لك ولابن آكلة الذباب .

فقال عمر : كف الآن يا أبا الحسن اذا بايعت ، فإنَّ العامة رضوا بصحابتي ولم يرضوا بك فما ذنبي . قال علي (ع) : لكنَّ الله ورسوله لم يرضيا إلا بي فأبشر أنت وصاحبك ومن اتبعكما

---

(١) الفجر : ٢٥ - ٢٦ .
(٢) النامة : الصوت ، يقال « اسكت الله نامته » أي نغمته وصوته .
(٣) اللخناء : المرأة المنتنة الفرج .

وآزركما بسخط من الله وعذابه وخزيه ، ويلك يا ابن الخطاب أوتدري مما خرجت وفيم دخلت وماذا جنيت على نفسك وعلى صاحبك ، فقال أبو بكر : يا عمر أما اذا بايع وأمنّا شره وفتكه وغائلته فدعه يقول ما شاء .

فقال علي (ع) : لست بقائل غير شيء واحد ، أُذكركم بالله أيها الأربعة - يعنيني والزبير وأبا ذر والمقداد - أسمعتم رسول الله يقول : إنّ تابوتاً من نار فيه اثنا عشر رجلاً ستة من الأولين وستة من الآخرين في جب في قعر جهنم في تابوت مقفل على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعّر نار جهنم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجب فاستعاذت جهنم من وهج ذلك الجب فسألناه عنهم وأنتم شهود ، فقال (ص) : أما الأولون فابن آدم الذي قتل أخاه ، وفرعون الفراعنة نمرود ، والذي حاج إبراهيم في ربه ، ورجلان من بني إسرائيل بدّلا كتابهم وغيّرا سنتهم ، أما أحدهما فهوّد اليهود والآخر نصّر النصارى[1] ، وإبليس سادسهم ، والدجال في الآخرين ، وهؤلاء الخمسة أصحاب الصحيفة الذين تعاهدوا وتعاقدوا على عداوتك يا أخي والتظاهر عليك بعدي هذا وهذا وهذا حتى عدَّهم وسماهم ؟.

قال سلمان : فقلنا صدقت نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله (ص) فقال عثمان : يا أبا الحسن أما عندك وعند أصحابك هؤلاء فيَّ حديث ؟ فقال : بلى قد سمعت رسول الله (ص) يلعنك ثم لم يستغفر الله لك مذ لعنك فغضب عثمان فقال : ما لي ولك أما تدعني على حالي على عهد رسول الله ولا بعده فقال الزبير : نعم فأرغم الله أنفك . فقال عثمان : فوالله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : إنَّ الزبير يقتل مرتداً عن الإسلام . قال سلمان : فقال لي علي (ع) فيما بيني وبينه : صدق عثمان ، وذلك أنَّه يبايعني بعد قتل عثمان ثم ينكث بيعتي فيقتل مرتداً عن الإسلام .

قال سليم : ثم أقبل عليّ سلمان فقال : إنَّ القوم ارتدوا بعد رسول الله (ص) إلا من عصمه الله بآل محمد ، إنَّ الناس بعد رسول الله (ص) بمنزلة هارون من موسى ومن تبعه وبمنزلة العجل ومن تبعه ، فعلي في سنة هارون وعتيق في سنة السامري ، وسمعت رسول الله (ص) يقول : « لتركبن امتي سنة بني إسرائيل حذو القِذة بالقذة وحذو النعل بالنعل شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع » .

وروي عن الصادق (ع) أنَّه قال : لما استخرج أمير المؤمنين (ع) من منزله خرجت فاطمة صلوات الله عليها خلفه فما بقيت امرأة هاشمية إلا خرجت معها حتى انتهت قريباً من القبر فقالت لهم : خلوا عن ابن عمّي فوالذي بعث محمّداً أبي (ص) بالحق إن لم تخلوا عنه لأنشرنَّ شعري ولأضعنَّ قميص رسول الله (ص) على رأسي ولأصرخنَّ الى الله تبارك وتعالى ، فما صالح بأكرم على الله من أبي ولا الناقة بأكرم مني ولا الفصيل بأكرم على الله من ولديّ . قال سلمان رضي الله

---

(١) يعني أحدهما غير دين موسى وحرف كتابه بعده ، والآخر غير دين عيسى وحرف كتابه بعده .

عنه : كنت قريباً منها ، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله (ص) تقلّعت من أسفلها حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ ، فدنوت منها فقلت : يا سيدتي ومولاتي إنَّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة ، فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها فدخلت في خياشيمنا .

وروي عن الباقر (ع) أنَّ عمر بن الخطاب قال لأبي بكر : اكتب إلى اسامة بن زيد يقدم عليك ، فإنَّ في قدومه قطع الشنيعة عنا . فكتب أبو بكر إليه : « من أبي بكر خليفة رسول الله (ص) إلى اسامة بن زيد . ـ **أما بعد** : فانظر إذا أتاك كتابي فاقبل إليَّ أنت ومن معك . فإنَّ المسلمين قد اجتمعوا عليَّ وولّوني أمرهم فلا تتخلفنَّ فتعصي ويأتيك منيّ ما تكره والسلام » .

قال : فكتب اسامة إليه جواب كتابه : « من اسامة بن زيد عامل رسول الله (ص) على غزوة الشام . **أما بعد** : فقد أتاني منك كتاب ينقض أوله آخره ، ذكرت في أوله أنَّك خليفة رسول الله ، وذكرت في آخره أنَّ المسلمين قد اجتمعوا عليك فولّوك أمرهم ورضوك ، فاعلم أنّي ومن معي من جماعة المسلمين والمهاجرين فلا والله ما رضيناك ولا ولّيناك أمرنا ، وانظر أن تدفع الحق إلى أهله وتخلّيهم وإياه فإنَّهم أحق به منك ، فقد علمت ما كان من قول رسول الله (ص) في عليٍّ يوم الغدير ، فما طال العهد فتنسى ، انظر مركزك ولا تخالف فتعصي الله ورسوله وتعصي من استخلفه رسول الله (ص) عليك وعلى صاحبك ، ولم يعزلني حتى قبض رسول الله (ص) وإنَّك وصاحبك رجعتما وعصيتما فأقمتما في المدينة بغير إذن » .

فأراد أبو بكر أن يخلعها من عنقه قال : فقال له عمر : لا تفعل قميص قمصك الله لا تخلعه فتندم ولكن ألح عليه بالكتب والرسائل ومر فلاناً وفلاناً أن يكتبوا إلى اسامة أن لا يفرّق جماعة المسلمين وأن يدخل معهم فيما صنعوا .

قال : فكتب إليه أبو بكر وكتب إليه الناس من المنافقين : «أن ارض بما اجتمعنا عليه وإياك أن تشتمل المسلمين فتنة من قبلك فإنَّهم حديثوا عهد بالكفر » .

قال : فلما وردت الكتب على اسامة انصرف بمن معه حتى دخل المدينة فلما رأى اجتماع الخلق على أبي بكر انطلق إلى عليٍّ بن أبي طالب (ع) فقال له : ما هذا ؟ قال له علي : هذا ما ترى . قال له اسامة : فهل بايعته ؟ فقال : نعم يا اسامة . فقال طائعاً أو كارهاً ؟ فقال : لا بل كارهاً قال : فانطلق اسامة فدخل على أبي بكر وقال له : السلام عليك يا خليفة المسلمين . قال : فرد عليه أبو بكر وقال : السلام عليك أيها الأمير .

وروي أنَّ أبا قحافة كان بالطائف لما قبض رسول الله (ص) وبويع لأبي بكر فكتب ابنه إليه كتاباً عنوانه : « من خليفة رسول الله إلى أبي قحافة . **أما بعد** : فإنَّ الناس قد تراضوا بي ، فإنّي اليوم خليفة الله ، فلو قدمت علينا كان أقر لعينك » .

قال : فلما قرأ ابو قحافة الكتاب قال للرسول : ما منعكم من عليٍّ ؟ قال : هو حدث السن وقد أكثر القتل في قريش وغيرها وأبو بكر أسن منه . قال أبو قحافة ، إن كان الأمر في ذلك بالسن فأنا أحق من أبي بكر ، لقد ظلموا علياً حقه وقد بايع له النبي (ص) وأمرنا ببيعته .

ثم كتب إليه : « من أبي قحافة إلى ابنه أبي بكر . **أما بعد** : فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق ينقض بعضه بعضاً ، مرَّة تقول خليفة رسول الله (ص) ومرَّة تقول خليفة الله ومرَّة تقول تراضى بي الناس، وهو أمر ملتبس فلا تدخلنَّ في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً ويكون عقباك منه إلى النار والندامة وملامة النفس اللوامة لد ى الحساب بيوم القيامة ، فإنَّ للامور مداخل ومخارج وأنت تعرف من هو أولى بها منك ، فراقب الله كأنَّك تراه ولا تدعنَّ صاحبها ، فإنَّ تركها اليوم أخفُّ عليك وأسلم لك » .

وعن عامر انشعبي عن عروة بن الزبير بن العوام قال : لما قال المنافقون إنَّ أبا بكر تقدَّم عليّاً وهو يقول أنا أولى بالمكان منه ، قام أبو بكر خطيباً فقال : صبراً على من ليس يؤول إلى دين ولا يحتجب برعاية ولا يرعوي لولاية ، اظهر الإيمان ذلة وأسرَّ النفاق غلة ، هؤلاء عصبة الشيطان وجمع الطغيان يزعمون أنِّي أقول إنِّي أفضل من عليٍّ ، وكيف أقول ذلك ومالي سابقته ولا قرابته ولا خصوصيته ، وحَّد الله وأنا ملحده ، وعبده عليٌّ قبل أن أعبده ، ووالى الرسول وأنا عدوه ، وسبقني بساعات لو انقطعت لم ألحق شأوه ولم أقطع غباره ، وإنَّ علي بن أبي طالب فاز والله من الله بمحبة ومن الرسول بقرابة ومن الإيمان برتبة ، لو جهد الأولون والآخرون إلا النبيين لم يبلغوا درجته ولم يسلكوا منهجه ، بذل في الله مهجته ولابن عمه مودته كاشف الكرب ودامغ الريب وقاطع السبب الا سبب الرشاد ، وقامع الشرك ومظهر ما تحت سويداء حبة النفاق .

محنة لهذا العالم ، لحق قبل أن يلاحق وبرز قبل أن يسابق ، جمع العلم والحلم والفهم فكان جميع الخيرات لقلبه كنوزاً لا يدخر منها مثقال ذرة إلا أنفقه في بابه ، فمن ذا يؤمل أن ينال درجته وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين ولياً وللنبي وصياً وللخلافة راعياً وبالإمامة قائماً ، أفيغتر الجاهل بمقام قمته إذ أقامني وأطعته إذ أمرني ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « الحق مع علي وعلي مع الحق ، من أطاع عليّاً رشد ومن عصى علياً فسد ، ومن أحبه سعد ومن أبغضه شقي » .

والله لو لم يحب ابن أبي طالب إلا لأجل أنَّه لم يواقع لله محرماً ولا عبد من دونه صنماً ، ولحاجة الناس إليه بعد نبيِّهم لكان في ذلك ما يجب ، فكيف لأسباب أقلها موجب وأهونها مرغب ، للرحم الماسة بالرسول والعلم بالدقيق والجليل والرضا بالصبر الجميل والمواساة في الكثير والقليل ، وخلال لا يبلغ عدّها ولا يدرك مجدها ودّ المتمنون أن لو كانوا تراب أقدام ابن أبي طالب ، أليس هو صاحب لواء الحمد والساقي يوم الورود وجامع كلِّ كرم وعالم كلِّ علم والوسيلة إلى الله وإلى رسوله .

وعن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن أبي رافع قال : إنّي لعند أبي بكر إذ طلع عليّ

والعباس يتدافعان ويختصمان في ميراث النبي (ص)، فقال أبو بكر: يكفيكم القصير الطويل - يعني بالقصير علياً وبالطويل العباس - فقال العباس: أنا عم النبي (ص) ووارثه، وقد حال علي بيني وبين تركته.

فقال أبو بكر: فأين كنت يا عباس حين جمع النبي (ص) بني عبد المطلب وأنت أحدهم فقال: «أيكم يوازرني ويكون وصيي وخليفتي في أهلي ينجز عدتي ويقضي ديني» فأحجمتم عنها إلا علي، فقال النبي (ص): أنت كذلك.

فقال العباس: فما أقعدك في مجلسك هذا تقدَّمته وتأمَّرت عليه؟ قال أبو بكر: اعذروني يا بني عبد المطلب.

وروى رافع بن أبي رافع الطائي عن أبي بكر وقد صحبه في سفر قال: قلت له: يا أبا بكر علِّمني شيئاً ينفعني الله به. قال: قد كنت فاعلاً ولو لم تسألني لا تشرك بالله شيئاً، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم شهر رمضان، وحج البيت واعتمر، ولا تأمّرنَّ على اثنين من المسلمين.

قال: قلت له: أما ما أمرتني به من الإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة فأنا أفعله، وأما الإمارة فإنِّي رأيت الناس لا يصيبون هذا الشرف وهذا الغنى والعز والمنزلة عند رسول الله إلا بها. قال: إنَّك استنصحتني فأجهدت نفسي لك.

فلما توفي رسول الله (ص) واستخلف أبو بكر جئته وقلت له: يا أبا بكر ألم تنهني أن أتأمَّر على اثنين؟ قال: بلى قلت: فما بالك تأمَّرت على أُمَّة محمد (ص) قال: اختلف الناس وخفت عليهم الضلالة ودعوني فلم أجد من ذلك بداً.

وروي أنَّ أبا بكر وعمر بعثا إلى خالد بن الوليد فواعداه وفارقاه على قتل عليٍّ (ع) وضمن ذلك لهما، فسمعت ذلك الخبر أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر في خدرها، فأرسلت خادمة لها وقالت: ترددي في دار عليٍّ وقولي له: «الملأ يأتمرون بك ليقتلوك»[1] ففعلت الجارية وسمعها علي (ع) فقال: «رحمها الله قولي لمولاتك فمن يقتل الناكثين والمارقين والقاسطين»؟

ووقعت المواعدة لصلاة الفجر إذ كان أخفى، واختيرت للسدفة[2] والشبهة [فإنَّهم كانوا يغلسون[3] بالصلاة حتى لا تعرف المرأة من الرجل] ولكنَّ الله بالغ أمره، وكان أبو بكر قال لخالد ابن الوليد: إذا انصرفت من صلاة الفجر فاضرب عنق عليٍّ. فصلّى إلى جنبه لأجل ذلك وأبو بكر في الصلاة يفكر في العواقب فندم فجلس في صلاته حتى كادت الشمس تطلع يتعقب الآراء ويخاف الفتنة ولا يأمن على نفسه. فقال قبل أن يسلِّم في صلاته: يا خالد لا تفعل ما أمرتك به - ثلاثاً -

(١) القصص: ٢٠.
(٢) السدفة: ظلمة فيها ضوء من أول النهار وآخره.
(٣) الغلس: ظلمة آخر الليل، يغلسون بالصلاة: يصلون الغلس.

وفي رواية أُخرى لا يفعلنَّ خالد ما أُمر به .

فالتفت علي (ع) فاذاً خالد مشتمل على السيف إلى جانبه فقال : يا خالد ما الذي أمرك به ؟ قال : بقتلك يا أمير المؤمنين قال : أوكنت فاعلاً ؟ فقال : إي والله لولا أنَّه نهاني لوضعته في أكثرك[١] شعراً فقال له علي (ع) : كذبت لا ام لك من يفعله أضيق حلقة است منك ، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا ما سبق به القضاء لعلمت أي الفريقين شر مكاناً وأضعف جنداً .

وفي رواية أُخرى لأبي ذر رحمه الله أنَّ أمير المؤمنين (ع) أخذ خالداً بإصبعيه السبابة والوسطى في ذلك الوقت ، فعصره عصراً فصاح خالد صيحة منكرة ، ففزع الناس وهمَّتهم أنفسهم وأحدث خالد في ثيابه وجعل يضرب برجليه الأرض ولا يتكلَّم . فقال أبو بكر لعمر : هذه مشورتك المنكوسة ، كأنِّي كنت أنظر إلى هذا وأحمد الله على سلامتنا ، وكلَّما دنا أحد ليخلِّصه من يده لحظة تنحى عنه رعباً فبعث أبو بكر وعمر إلى العباس فجاء وتشفع إليه وأقسم عليه فقال : بحق هذا القبر ومن فيه وبحق ولديه وامهما إلا تركته ، ففعل ذلك وقبل العباس بين عينيه .

* * *

« إحتجاج أمير المؤمنين (ع) على أبي بكر وعمر لما منعا فاطمة الزهراء (ع) فدك بالكتاب والسنة » .

عن حماد بن عثمان[٢] عن أبي عبد الله (ع) قال : لما بويع أبو بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فدك[٣] من أخرج وكيل فاطمة (ع) بنت رسول الله منها ،

---

(١) يريد الرأس لأنَّه أكثر الأعضاء شعراً .

(٢) قال العلامة الحلي في خلاصته ص ٥٦ : حماد بن عثمان بن عمرو بن خالد الفزاري مولاهم كوفي وكان يسكن عرزم فذهب اليها واخوه عبد الله ثقتان رويا عن ابي عبد الله عليه السلام وروى حماد عن ابي الحسن الرضا (ع) ومات حماد في الكوفة رحمه الله سنة تسعين ومائة ذكرهما أبو العباس في كتابه .

(٣) « فدك » : قرية في الحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة وهي أرض يهودية ، كان يسكنها طائفة من اليهود حتى السنة السابعة حيث قذف الله بالرعب في قلوب أهليها فصالحوا رسول الله (ص) على النصف من فدك ، وروي أنَّه صالحهم عليها كلها فصارت ملكاً لرسول الله (ص) خاصة ، لأنَّها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ثم قدمها لابنته الزهراء (ع) وكانت بيدها في عهد أبيها وبعد وفاته (ص) وكانت وضعت عليها وكيلاً عنها فانتزعها الخليفة الأول وطرد وكيلها ولما تولى عمر الخلافة ردها إلى ورثة رسول الله (ص) فلما ولي عثمان بن عفان أقطعها مروان بن الحكم فلما صار الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان ثلثها ، وعمر بن عثمان ثلثاً ، ويزيد ابنه ثلثها الآخر ، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت لمروان بن الحكم أيام ملكه ثم صفت لعمر بن عبد العزيز بن مروان ، فلما ولي الأمر ردها لولد فاطمة (ع) ، ثم انتزعها يزيد بن عبد الملك من أولاد فاطمة وظلَّت في أيدي بني مروان حتى انقرضت دولتهم .

فلما تقلَّد الخلافة أبو العباس السفاح ردها على عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي (ع) ثم قبضها أبو جعفر المنصور في خلافته من بني الحسن ، وردها المهدي بن المنصور على الفاطميين ، ثم انتزعها موسى بن المهدي من أيديهم ، ثم ردها المأمون عليهم سنة مائتين وعشرة ولما بويع المتوكل انتزعها منهم وأقطعها عبد الله بن عمر البازيار من أهل=

فجاءت فاطمة الزهراء (ع) إلى أبي بكر ثم قالت : لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله (ص) وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله (ص) بأمر الله تعالى ؟

فقال : هاتي على ذلك بشهود ، فجاءت بأُمّ أيمن ، فقالت له أُمّ أيمن : لا أشهد يا أبا بكر حتى احتج عليك بما قال رسول الله (ص) ، انشدك بالله ألست تعلم أنَّ رسول الله (ص) قال : «ام أيمن امرأة من أهل الجنة»[1] فقال : بلى قالت : « فأشهد : أنَّ الله عز وجل أوحى إلى رسول الله (ص) : « وآت ذا القربى حقَّه »[2] فجعل فدكاً لها طعمة بأمر الله ، فجاء علي (ع) فشهد بمثل ذلك ، فكتب لها كتاباً ودفعه إليها ، فدخل عمر فقال : ما هذا الكتاب ؟ فقال : إنَّ فاطمة (ع)

= طبرستان وردها المعتضد ، وحازها المكتفي ، وقيل أنَّ المقتدر ردها عليهم وكان فيها بضعة عشر نخلة غرسها رسول الله بيده قال ابن أبي الحديد : - في شرح النهج - وقلت لمتكلم من متكلمي الإمامية يعرف بعلي بن تقي من بلدة النيل . وهل كانت فدك إلا نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير ؟ فقال لي ليس الأمر كذلك بل كانت جليلة جداً وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا أن لا يتقوّى عليّ بحاصلها وغلّتها على المنازعة في الخلافة الخ .

وقال أيضاً : وسألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟ قال نعم قلت : فلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدكا وهي عنده صادقة فتبسم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته قال : لو أعطاها اليوم فدكا بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الإعتذار بشيء لأنَّه يكون قد سجل على نفسه بأنَّها صادقة فيما تدعي . راجع : معجم البلدان لياقوت الحموي ص ٣٤٢ ج٦ ، اعيان الشيعة ص ٥٩٠ ج٢ ، فدك في التاريخ للسيد الصدر ، فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٦ ، شرح النهج لابن أبي الحديد ج٣ .

(١) أم أيمن : مولاة النبي صلَّى الله عليه وآله وحاضنته . اسمها : بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان ، مهاجرة جليلة هاجرت الهجرتين إلى أرض الحبشة ، وإلى المدينة ، وشهدت حنيناً واحداً وخيبراً وكانت في أُحد تسقي الماء وتداوي الجرحى . وكان النبي (ص) يخاطبها يا امه ويقول : « هي أُمي بعد أُمي » وكان إذا نظر إليها يقول : « هذه بقية أهل بيتي » .

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب : « روت عن النبي (ص) وعنها أنس بن مالك وحنش بن عبد الله الصنعاني وأبو يزيد المدني » .

وكنيت بابنها أيمن بن عبيدو هي ام اسامة بن زيد بن حارثة تزوجها زيد بعد عبيد الحبشي قيل كانت لعبد الله بن عبد المطلب (ع) صارت للنبي (ص) ميراثاً وقيل إنها كانت لامه (ص) وروي انها كانت لاخت خديجة فوهبتها للنبي (ص) فلما تزوج من خديجة (ع) أعتقها وفي الإصابة : إنَّ النبي (ص) قال : « من سرَّه أن يتزوَّج امرأة من أهل الجنة فليتزوج ام أيمن » . . . وتوفيت في أوائل عهد عثمان وروى البخاري أنَّها توفيت بعد النبي بخمسة أشهر .

راجع الاصابة ص ٤١٥ ج ٤ ، تهذيب التهذيب ص ٤٥٩ ج ١٢ ، أعلام النساء ص ١٠٧ ج١ ، طبقات ابن سعد ، البخاري قاموس الرجال أعيان الشيعة اسد الغابة ج ٥ ص ٥٦٧ .

(٢) قال الطبرسي في مجمع البيان : « وأخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزال الحسيني قراءة قال حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن الحسكاني قال حدثنا الحاكم الوالد أبو محمد قال حدثنا عبد الله عن عمر بن عثمان ببغداد شفاهاً قال : أخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك ، قال : حدثنا جعفر بن محمد الأحمسي قال حدثنا حسن بن حسين قال : حدثنا ابو معمر سعيد بن خثيم وعلي بن القاسم الكندي ويحيى بن يعلى وعلي بن مسهر عن فضل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال : لما نزل قوله : ﴿آت ذا القربى حقه﴾ أعطى رسول الله (ص) فاطمة فدكاً . قال عبد الرحمن بن صالح كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى يسأله عن قصة فدك فكتب إليه عبد الله بهذا الحديث رواه الفضل بن مرزوق عن عطية فرد المأمون فدكاً إلى ولد فاطمة انتهى .

ادعت في فدك ، وشهدت لها أم أيمن وعلي (ع) ، فكتبته لها ، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ومزّقه فخرجت فاطمة (ع) تبكي ، فلما كان بعد ذلك جاء علي (ع) إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال : يا أبا بكر لِمَ منعت فاطمة ميراثها من رسول الله (ص) ؟ وقد ملكته في حياة رسول الله (ص) ؟

فقال أبو بكر : هذا فيء للمسلمين ، فإن أقامت شهوداً أنَّ رسول الله جعله لها وإلا فلا حق لها فيه .

فقال أمير المؤمنين (ع) : يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين . قال : لا . قال : فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه ، ثم ادعيت أنا فيه من تسأل البينة ؟ قال : إياك أسأل البينة ، قال : فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يديها ؟ وقد ملكته في حياة رسول الله (ص) وبعده ، ولم تسأل المسلمين بينة على ما ادعوها شهوداً ، كما سألتني على ما ادعيت عليهم ؟[١] فسكت أبو بكر فقال عمر : يا علي دعنا من كلامك ، فإنا لا نقوى على حجتك ، فإن أتيت بشهود عدول ، وإلا فهو فيء للمسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه .

فقال أمير المؤمنين(ع) : يا أبا بكر تقرأ كتاب الله ؟ قال : نعم . قال : أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾[٢] فيمن نزلت فينا أم في غيرنا ؟ قال : بل فيكم . قال : فلو أنَّ شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله (ص) بفاحشة ما كنت صانعاً بها ؟ قال كنت اقيم عليها الحد ، كما اقيمه على نساء المسلمين ، قال : إذن كنت عند الله من الكافرين ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنَّك رددت شهادة الله لها بالطهارة ، وقبلت شهادة الناس عليها ، كما رددت حكم الله وحكم رسوله ، أن جعل لها فدكاً قد قبضته في حياته ، ثم قبلت شهادة أعرابي بائل على عقبيه عليها ، وأخذت منها فدكاً ، وزعمت أنَّه فيء للمسلمين ، وقد قال رسول الله (ص) : « البينة على المدَّعي ، واليمين على المدَّعىٰ عليه » فرددت قول رسول الله (ص) : البينة على من ادعى ، واليمين على من ادعي عليه ، قال : فدمدم الناس وأنكروا ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : « صدق والله عليُّ بن أبي طالب (ع) » ورجع إلى منزله .

قال : ثم دخلت فاطمة المسجد وطافت بقبر أبيها وهي تقول :

قـد كـان بعـدك أنبـاء وهنبثـة لـو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

---

(١) إذ أنَّها عليها السلام كانت صاحبة اليد والمسلمون يمثلون دور المدَّعي .

(٢) روى محب الدين الطبري في ذخائر العقبى عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله (ص) قال نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) ﴿**إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً**﴾ سورة الأحزاب آية : ٣٣ في بيت ام سلمة رضي الله عنها فدعى النبي (ص) فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً﴾ . قالت ام سلمة وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : « أنت على مكانك وأنت على خير » .

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلَّ قومك فاشهدهم ولا تغب[1]
قد كان جبريل بالآيات يونسنا ... فغاب عنا فكل الخير محتجب
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به ... عليك ينزل من ذي العزَّة الكتب
تجهَّمتنا رجال واستخف بنا ... إذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت ... منا العيون بتهمال لها سكب

قال : فرجع أبو بكر وعمر إلى منزلها ، وبعث أبو بكر إلى عمر فدعاه ثم قال له : أما رأيت مجلس علي منا في هذا اليوم ؟ والله لئن قعد مقعداً آخر مثله ليفسدنَّ علينا أمرنا ، فما الرأي ؟ فقال عمر : الرأي أن تأمر بقتله ، قال : فمن يقتله ؟ قال « خالد بن الوليد »[2] .

---

(١) في كشف الغمة : ثم التفتت إلى قبر أبيها متمثلة بقول هند ابنة اثاثة :

وقد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك لما غبت وانقلبوا

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي .

قال ابن حجر ـ في الاصابة ـ: « وشهد مع كفار قريش الحروب إلى غزوة الحديبية ، كما ثبت في الصحيح : أنَّه كان على خيل قريش طليعة ، ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر وقيل قبلها ، ووهم من زعم أنَّه أسلم سنة خمس » .

وقال ابن الأثير ـ في أسد الغابة ـ: « ولا يصح لخالد مشهد مع رسول الله (ص) قبل فتح مكة ولما فتح رسول الله (ص) مكة بعثه الى بني جذيمة من بني عامر بن لؤي فقتل منهم من لم يجز قتله . فقال النبي (ص): « اللهم إنِّي أبرأ إليك مما صنع خالد » . فأرسل مالاً مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فودى القتلى وأعطاهم ثمن ما أُخذ منهم حتى ثمن ميلغة الكلب ، وفضل معه فضلة من المال فقسمها فيهم فلما اخبر رسول الله (ص) بذلك استحسنه . . » . .

و (قال) فيه أيضاً : « ثم إنَّ أبا بكر أمره بعد رسول الله (ص) على قتال المرتدين منهم مسيلمة الحنفي في اليمامة، وله في قتالهم الأثر العظيم ، و(منهم): مالك ابن نويرة من بني يربوع من تميم وغيرهم إلا أنَّ الناس اختلفوا في قتل مالك بن نويرة فقيل : (إنَّه قتل مسلماً) لظن ظنه خالد به ، وكلام سمعه منه ، وأنكر عليه أبو قتادة وأقسم أنَّه لا يقاتل تحت رايته ، وأنكر عليه ذلك عمر بن الخطاب . . » . .

و (قال) في اسد الغابة أيضاً ـ في ترجمة مالك بن نويرة ـ: « فلما فرغ خالد من بني أسد وغطفان ، سار إلى مالك وقدم البطاح فلم يجد به أحداً كان مالك قد فرَّقهم ونهاهم عن الاجتماع فلما قدم خالد البطاح بث سراياه فأتي بمالك بن نويرة ونفر من قومه فاختلف السرية فيهم ، وكان فيهم أبو قتادة وكان فيمن شهد أنَّهم أذَّنوا او أقاموا وصلُّوا فحبسهم في ليلة باردة ، وأمر خالد فنادى : ادفنوا أسراكم ـ وهي في لغة كنانة : القتل ـ فقتلوهم فسمع خالد الواعية ، فخرج وقد قتلوا ، فتزوج خالد امرأته ، فقال عمر لأبي بكر : سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه فقال أبو بكر : تأول فأخطأ ولا اشيم سيفاً سلَّه الله على المشركين ، وودى مالكاً ، وقدم خالد على أبي بكر ، فقال له عمر : يا عدو الله قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته لأرجمنَّك » .

(قال) : « وقيل : إنَّ المسلمين لما غشوا مالكاً وأصحابه ليلاً، أخذوا السلاح فقالوا : نحن المسلمون ، فقال أصحاب مالك : ونحن المسلمون ، فقالوا لهم ، ضعوا السلاح فوضعوه وصلُّوا وكان خالد يعتذر في قتله ، أنَّ مالكاً قال : ما أخال صاحبكم إلا قال كذا فقال أو ما تعده لك صاحباً ؟ فقتله ، فقدم متمم على أبي بكر ، يطلب بدم أخيه وأن يرد عليهم سبيهم فأمر أبو بكر برد السبي ، وودى مالكاً من بيت المال ، فهذا جميعه ذكره الطبري وغيره من الأئمة ويدل على أنَّه لم يرتد . . » انتهى .

وجعله أبو بكر والياً من قبله على الشام فلما ولي عمر الخلافة عزله ومات فيها بحمص في خلافة عمر . =

فبعثا إلى خالد بن الوليد فأتاهما ، فقالا : نريد أن نحملك على أمر عظيم ، قال : احملاني على ما شئتما ، ولو على قتل عليٍّ بن أبي طالب ، قالا : فهو ذلك ، قال خالد : متى أقتله ؟ قال أبو بكر : إحضر المسجد وقم بجنبه في الصلاة ، فإذا سلَّمت فقم إليه واضرب عنقه ، قال : نعم .

فسمعت أسماء بنت عميس[1] وكانت تحت أبي بكر . فقالت ـ لجاريتها ـ : إذهبي إلى منزل عليٍّ وفاطمة (ع) ، واقرئيهما السلام ، وقولي لعلي : « إنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنِّي لك من الناصحين » فجاءت فقال أمير المؤمنين (ع) : « قولي لها : إنَّ الله يحول بينهم وبين ما يريدون » .

ثم قام وتهيَّأ للصلاة ، وحضر المسجد ، وصلى خلف أبي بكر ، وخالد بن الوليد يصلِّي بجنبه ، ومعه السيف ، فلما جلس أبو بكر في التشهد ، ندم على ما قال وخاف الفتنة، وعرف شدَّة عليٍّ وبأسه ، فلم يزل متفكراً لا يجسر أن يسلِّم ، حتى ظنَّ الناس أنَّه قدسها .

= راجع الإصابة لابن حجر ج١ ص٤١٢ ، اسد الغابة لابن الأثير ج٢ ص ٩٣ ابن أبي الحديد ج٤ من شرح النهج الإستيعاب) .

(١) أسماء بنت عميس الخثعمية : هي اخت ميمونة زوج النبي (ص) واخت لبابة زوج العباس بن عبد المطلب وام الفضل وعبد الله .

هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب (ع) إلى الحبشة .

ذكر ابن الأثير في (اسد الغابة): « أنَّ عمر بن الخطاب قال لها : نعم القوم لولا أننا سبقناكم إلى الهجرة ، فذكرت ذلك للنبي (ص) فقال : « بل لكم هجرتان : إلى أرض الحبشة ، وإلى المدينة انتهى » وأعقبت أسماء من جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنان (ع) ثمانية بنين وهم : عبد الله ، وعون ، ومحمد الأكبر ، ومحمد الأصغر وعبد الله الأكبر ، وعبد الله الأصغر ، وحميد ، وحسين .

أما (محمد الأكبر) فقتل مع عمه امير المؤمنين (ع) بصفين .

وأما (عون) و (محمد الأصغر فقتلا مع ابن عمهما الحسين عليه السلام يوم الطف .

أما (عبد الله الأكبر) فهو أحد أجواد بني هاشم الأربعة وهم : « الحسن والحسين (ع) وعبد الله بن العباس وهو الرابع » ولم يبايع رسول الله (ص) طفلاً غير هؤلاء الأربعة .

ولد بأرض الحبشة ، وله في الجود أخبار كثيرة حتى لقب بقطب السخاء ، حضر مع عمه صفين ، وعقد له يوم الجمل على عشرة آلاف ، وليس لجعفر عقب إلا منه .

فلما قتل جعفر بن أبي طالب (ع) تزوجها أبو بكر فأولدت له محمداً حبيب علي (ع) وربيب حجره وواليه على مصر ، قتله معاوية بن أبي سفيان ، وللإمام (ع) عند قتل محمد بن أبي بكر خطبة موجودة في النهج ولما مات أبو بكر ، تزوجها امير المؤمنين (ع) فأولدت له « يحيى » بإجماع ، واختلف في عون بن علي بن أبي طالب فقيل إنَّه منها .

وروي أنَّها كانت تحت حمزة بن عبد المطلب فأولدت له بنتاً اسمها أمامة .

في كشف الغمة : « عن أسماء بنت عميس قالت : أوصتني فاطمة (ع) أن لا يغسلها إلا أنا وعلي فغسلتها أنا وعلي (ع) راجع : الاصابة ج ٤ ص ٢٢٥ ، اسد الغابة ج٥ ص ٣٩٥ ، أعلام النساء ج١ ص ٤٦ ريحانة الأدب شرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ كشف الغمة للإربلي أعيان الشيعة .

ثم التفت إلى خالد ، فقال : « يا خالد لا تفعلنَّ ما أمرتك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

فقال أمير المؤمنين (ع): يا خالد ما الذي أمرك به ؟ فقال : أمرني بضرب عنقك . قال : أوكنت فاعلاً ؟! قال : إي والله ، لولا أنّه قال لي لا تقتله قبل التسليم لقتلتك .

قال : فأخذه عليٌّ (ع) فجلد به الأرض فاجتمع الناس عليه ، فقال عمر : يقتله ورب الكعبة ، فقال الناس : يا أبا الحسن الله ، بحق صاحب القبر ، فخلّى عنه ، ثم التفت إلى عمر ، فأخذ بتلابيبه وقال : يا ابن صهاك والله لولا عهد من رسول الله ، وكتاب من الله سبق ، لعلمت أينا أضعف ناصراً وأقل عدداً ، ودخل منزله .

* * *

رسالة لأمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي بكر لما بلغه عنه كلام بعد منع الزهراء (ع) فدك .

شقوا متلاطمات أمواج الفتن بحيازيم سفن النجاة ، وحطوا تيجان أهل الفخر بجميع أهل الغدر ، واستضاؤا بنور الأنوار ، واقتسموا مواريث الطاهرات الأبرار ، واحتقبوا[1] ثقل الأوزار ، بغصبهم نحلة النبي المختار ، فكأنّي بكم تترددون في العمى ، كما يتردد البعير في الطاحونة . أما والله لو اذن لي بما ليس لكم به علم لحصدت رؤوسكم عن أجسادكم كحب الحصيد ، بقواضب من حديد ، ولقلعت من جماجم شجعانكم ما أُقرح به آماقكم ، وأُوحش به محالكم ، فإنّي ـ مذ عرفت ـ : مردي العساكر ، ومفني الجحافل ، ومبيد خضرائكم ، ومخمد ضوضائكم ، وجرار الدوارين إذ أنتم في بيوتكم معتكفون ، وإنّي لصاحبكم بالأمس ، لعمر أبي وأُمّي لن تحبوا أن يكون فينا الخلافة والنبوة ، وأنتم تذكرون أحقاد بدر ، وثارات احد .

أما والله لو قلت ما سبق من الله فيكم ، لتداخلت أضلاعكم في أجوافكم كتداخل أسنان دوارة الرحى ، فإن نطقت يقولون حسداً ، وإن سكت فيقال ابن أبي طالب جزع من الموت ، هيهات هيهات !! الساعة يقال لي هذا ؟!! وأنا المميت المائت ، وخواض المنايا في جوف ليل حالك ، حامل السيفين الثقيلين ، والرمحين الطويلين ، ومنكس الرايات في غطامط الغمرات[2] ، ومفرِّج الكربات عن وجه خير البريات ، أيهنوا فوالله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل إلى محالب أُمّه هبلتكم الهوابل[3] لو بحت بما أنزل الله سبحانه في كتابه فيكم ، لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة[4] ولخرجتم من بيوتكم هاربين ، وعلى وجوهكم هائمين ، ولكنّي أُهوِّن وجدي حتى ألقى ربّي ، بيد جذاء صفراء من لذاتكم ، خلو من طحناتكم ، فما مثل دنياكم

(١) احتقبوا : حملوا على ظهورهم .

(٢) غطامط : عظيم الأمواج والغمرات جمع غمرة وهي : الشدة وغمرة الشيء شدته ومزدحمة .

(٣) هبلت فلاناً أمه : ثكلته فهي هابل .

(٤) الارشية جمع رشاء : هو حبل الدلو ، والطوى السقاء الذي يجعلون فيها الماء .

عندي إلا كمثل غيم علا فاستعلى ثم استغلظ فاستوى ، ثم تمزّق فانجلى .

رويداً فعن قليل ينجلي لكم القسطل[١] وتجنون ثمر فعلكم مراً ، وتحصدون غرس أيديكم ذعافاً ممقراً[٢] وسمّاً قاتلاً وكفى بالله حكيماً ، وبرسول الله خصيماً ، وبالقيامة موقفاً ، فلا أبعد الله فيها سواكم ، ولا أتعس فيها غيركم ، والسلام على من اتبع الهدى .

فلما أن قرأ أبو بكر الكتاب رعب من ذلك رعباً شديداً ، وقال : يا سبحان الله ما أجرأه عليَّ وأنكله عن غيري !

معاشر المهاجرين والأنصار تعلمون أنّي شاورتكم في ضياع فدك بعد رسول الله (ص) ، فقلتم : إنّ الأنبياء لا يورثون ، وإنَّ هذه أموال يجب أن تضاف إلى مال الفيء ، وتصرف في ثمن الكراع والسلاح ، وأبواب الجهاد ومصالح الثغور ، فأمضينا رأيكم ولم يمضه من يدَّعيه ، وهوذا يبرق وعيداً ، ويرعد تهديداً ، إيلاء بحق محمد (ص) أن يمضحها[٣] دماً ذعافاً ، والله لقد استقلت منها فلم اقل واستعزلتها عن نفسي فلم اعزل ، كل ذلك كراهية مني لابن أبي طالب ، وهرباً من نزاعه . ما لي ولابن أبي طالب أهل نازعه أحد ففلج[٤] عليه ؟

فقال له عمر : أبيت أن تقول إلا هكذا ؟ فأنت ابن من لم يكن مقداماً في الحروب ولا سخيّاً في الجدوب سبحان الله ! ما أهلع[٥] فؤادك وأصغر نفسك ! قد صفَّيت لك سجالاً[٦] لتشربها فأبيت إلا أن تظمأ كظمائك ، وأنخت لك رقاب العرب ، وثبت لك الإشارة والتدبير ولولا ذلك لكان ابن أبي طالب قد صيَّر عظامك رميماً ، فاحمد الله على ما قد وهب لك مني ، واشكره على ذلك ، فإنّه من رقى منبر رسول الله (ص) كان حقيقاً عليه أن يحدث لله شكراً ، وهذا علي بن أبي طالب الصخرة الصماء التي لا ينفجر ماؤها إلا بعد كسرها ، والحية الرقشاء التي لا تجيب إلا بالرقى ، والشجرة المرَّة التي لو طليت بالعسل لم تنبت إلا مرّاً ، قتل سادات قريش فأبادهم ، وألزم آخرهم العار ففضحهم ، فطب عن نفسك نفساً ، ولا تغرنَّك صواعقه ، ولا يهولنَّك رواعده وبوارقه ، فإنّي أسد بابه قبل أن يسد بابك .

فقال له أبو بكر : ناشدتك الله يا عمر لما أن تركتني من أغاليطك وتربيدك ، فوالله لو همَّ ابن أبي طالب بقتلي وقتلك لقتلنا بشماله دون يمينه ، وما ينجينا منه إلا إحدى ثلاث خصال : **أحدها** : أنّه وحيد ولا ناصر له ، **والثانية** : أنّه يتتهج فينا وصية رسول الله (ص) ، **والثالثة** : أنّه

---

(١) القسطل : الغبار الساطع في الحرب .
(٢) الذعاف : السم الذي يقتل من ساعته . والممقر : المر .
(٣) وفي نسخة يمضخها .
(٤) فلج عليه : فاز .
(٥) الهلع : الجبن عند اللقاء .
(٦) السجال جمع سجل وهو : دلو عظيم فيه ماء .

ما من هذه القبائل أحد إلا وهو يتخضمه[١] كتخضم الثنية الإبل أوان الربيع ، فتعلم لولا ذلك رجع الأمر إليه وإن كنا له كارهين ، أما إنَّ هذه الدنيا أهون إليه من لقاء أحدنا للموت ، أنسيت له يوم احد ؟ وقد فررنا بأجمعنا وصعدنا الجبل ، وقد أحاطت به ملوك القوم وصناديدهم موقنين بقتله ، لا يجد محيصاً للخروج من أوساطهم ، فلما أن سدد عليه القوم رماحهم نكس نفسه عن دابته حتى جاوزه طعان القوم ، ثم قام قائماً في ركابيه وقد طرق عن سرجه وهو يقول : « يا الله يا الله يا جبرئيل يا جبرئيل يا محمّد يا محمّد النجاة النجاة » ثم عمد إلى رئيس القوم فضربه ضربة على ام رأسه فبقي على فك واحد ولسان ، ثم عمد إلى صاحب الراية العظمى فضربه ضربة على جمجمته ففلقها ، ومر السيف يهوي في جسده فبراه ودابته بنصفين ، ولما أن نظر القوم إلى ذلك انجفلوا من بين يديه ، فجعل يمسحهم بسيفه مسحاً حتى تركهم جراثيم جموداً على تلعة من الأرض ، يتمرغون في حسرات المنايا ، يتجرعون كؤوس الموت ، قد اختطف أرواحهم بسيفه ، ونحن نتوقع منه أكثر من ذلك ولم نكن نضبط من أنفسنا من مخافته حتى ابتدأت منك إليه التفاتة ، وكان منه إليك ما تعلم ، ولولا أنَّه نزلت آية من كتاب الله لكنا من الهالكين ، وهو قوله تعالى : ﴿ولقد عفا عنكم[٢]﴾ .

فاترك هذا الرجل ما تركك ، ولا يغرنَّك قول خالد أنَّه يقتله ، فإنَّه لا يجسر على ذلك ، ولو رام لكان أول مقتول بيده ، فإنَّه من ولد عبد مناف ، إذا هاجوا هيبوا ، وإذا غضبوا أدموا ، ولا سيما علي بن أبي طالب (ع) نابها الأكبر ، وسنامها الأطول ، وهامتها الأعظم ، والسلام على من اتبع الهدى .

* * *

« إحتجاج فاطمة الزهراء (ع) على القوم لما منعوها فدك وقولها لهم عند الوفاة بالإمامة » .

روى عبد الله بن الحسن[٣] بإسناده عن آبائه (ع) : أنَّه لما أجمع[٤] أبو بكر وعمر على منع

---

(١) في بعض النسخ « يتهضمه كتهضم » .

(٢) آل عمران / ١٢٥ .

(٣) هو عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في عمدة الطالب وإنَّما سمي المحض لأنَّ أباه الحسن بن الحسن (ع) وأُمه فاطمة بنت الحسين (ع) وكان يشبه برسول الله (ص) .

وكان شيخ بني هاشم في زمانه ، وقيل له : بما صرتم أفضل الناس ؟ قال : لأنَّ الناس كلهم يتمنون أن يكونوا منا ولا نتمنى أن نكون من أحد . وقال أبو الفرج الاصفهاني ـ في مقاتل الطالبيين ـ عند ذكر من قتل أيام أبي جعفر المنصور : « وكان أبو جعفر المنصور قد طلب محمداً وإبراهيم فلم يقدر عليهما فحبس عبد الله بن الحسن وإخوته وجماعة من أهل بيته بالمدينة ثم أحضرهم إلى الكوفة فحبسهم بها ، فلما ظهر محمد قتل عدة منهم في الحبس . . ـ إلى أن قال ـ: وعبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب (ع) يكنى أبا محمد . . ـ إلى أن قال ـ: وقتل عبد الله بن الحسن في محبسه بالهاشمية ، وهو ابن خمس وسبعين ، سنة خمس وأربعين ومائة » .

وفي معجم البلدان : والهاشمية أيضاً مدينة بناهاالسفاح بالكوفة إلى أن قال وبالهاشمية هذه حبس المنصور عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن كان معه من أهل بيته .

(٤) أجمع : أحكم النية والعزيمة .

فاطمة (ع) فدكاً وبلغها ذلك[١] لاثت خمارها[٢] على رأسها ، واشتملت بجلبابها[٣] ، وأقبلت في لمة[٤] من حفدتها ونساء قومها ، تطأ ذيولها[٥] ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (ص)[٦] حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم[٧] ، فنيطت دونها ملاءة[٨] ، فجلست ثم أنَّت أنَّة أجهش[٩] القوم لها بالبكاء ، فارتج المجلس ، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم ، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ، فعاد القوم في بكائهم ، فلما أمسكوا عادت في كلامها ، فقالت عليها السلام :

الحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدم ، من عموم نعم ابتداها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام منن أولاها ، جم عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت عن الإدراك أبدها ، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها واستحمد إلى الخلائق بإجزالها ، وثنى بالندب إلى أمثالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الإخلاص تأويلها ، وضمَّن القلوب موصولها ، وأنار في التفكر معقولها ، الممتنع من الأبصار رؤيته ، ومن الألسن صفته ، ومن الأوهام كيفيته ، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها كوّنها بقدرته ، وذرأها بمشيته ، من غير حاجة منه إلى تكوينها ، ولا فائدة له في تصويرها ، إلا تثبيتاً لحكمته ، وتنبيهاً على طاعته ، وإظهاراً لقدرته ، تعبداً لبريته وإعزازاً لدعوته ، ثم جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ، ذيادة لعباده من نقمته ،

---

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : قال أبو بكر - يعني : الجوهري فحدثني محمد بن زكريا قال : حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي قال : حدثني أبي عن الحسين بن صالح بن حي قال : حدثني رجلان من بني هاشم عن زينب بنت علي بن أبي طالب (ع) .

قال : وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه .

قال أبو بكر : وحدثني عثمان بن عمران العجفي عن نائل بن نجيح بن عمير بن شمر بن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) .

قال أبو بكر : وحدثني أحمد بن محمد بن يزيد عن عبد الله بن محمد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن حسن قالوا جميعاً لما بلغ فاطمة ... الخ .

(٢) اللوث : الطي والجمع ، ولاث العمامة شدها وربطها ، ولاثت خمارها لفته والخمار - بالكسر - : المقنعة ، سميت بذلك لأنَّ الرأس يخمر بها أي يغطى .

(٣) الإشتمال بالشيء : جعله شاملاً ومحيطاً لنفسه - والجلباب : الرداء والإزار .

(٤) في لمة : أي جماعة ، وفي بعض النسخ « في مليمة » بصيغة التصغير ، أي جماعة قليلة ، والحفدة - بالتحريك - : الأعوان والخدم .

(٥) أي إنَّ أثوابها كانت طويلة تستر قدميها فكانت تطأها عند المشي ، وفي بعض النسخ « تجر أدراعها » والمعنى واحد .

(٦) الخرم - بضم الخاء وسكون الراء - : الترك ، والنقص ، والعدول .

(٧) الحشد : الجماعة .

(٨) نيطت : علقت وناط الشيء : علقه ، والملاءة الإزار .

(٩) أجهش القوم : تهيئوا .

وحياشته[١] لهم إلى جنته .

وأشهد أنَّ أبي محمّداً عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله ، وسمّاه قبل أن اجتباه ، واصطفاه قبل أن ابتعثه ، إذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأهاويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة علماً من الله تعالى بمآيل الامور ، واحاطة بحوادث الدهور ، ومعرفة بمواقع الامور .

ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزيمة على إمضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير رحمته ، فرأى الامم فرقاً في أديانها ، عكفاً على نيرانها ، عابدة لأوثانها ، منكرة لله مع عرفانها فأنار الله بأبي محمّد (ص) ظلمها ، وكشف عن القلوب بهمها[٢] ، وجلى عن الأبصار غممها[٣] ، وقام في الناس بالهداية ، فأنقذهم من الغواية ، وبصرهم من العماية ،وهداهم إلى الدِّين القويم ، ودعاهم إلى الطريق المستقيم .

ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار ، ورغبة وايثار ، فمحمد (ص) من تعب هذه الدار في راحة ، قد حف بالملائكة الأبرار ، ورضوان الرب الغفار ، ومجاورة الملك الجبار ، صلَّى الله على أبي نبيّه وأمينه ، وخيرته من الخلق وصفيه ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت : أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه ، وحملة دينه ووحيه ، وامناء الله على أنفسكم ، وبلغاءه إلى الامم ، زعيم حق له فيكم ، وعهد قدّمه إليكم ، وبقية استخلفها عليكم : كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بيِّنة بصائره ، منكشفة سرائره ، منجلية ظواهره ، مغتبطة به أشياعه ، قائداً إلى الرضوان اتباعه ، مؤد إلى النجاة استماعه ، به تنال حجج الله المنوَّرة وعزائمه المفسرة ، ومحارمه المحذرة ، وبيناته الجالية ، وبراهينه الكافية ، وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعه المكتوبة ، .

فجعل الله الإيمان : تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة : تنزيها لكم عن الكبر ، والزكاة : تزكية للنفس ، ونماء في الرزق ، والصيام : تثبيتاً للإخلاص ، والحج : تشييداً للدين ، والعدل : تنسيقاً للقلوب ، وطاعتنا : نظاماً للملَّة ، وإمامتنا : أماناً للفرقة والجهاد : عزاً للإسلام ، والصبر : معونة على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة ، وبر الوالدين : وقاية من السخط ، وصلة الأرحام : منسأة في العمر[٤] ومنماة للعدد ، والقصاص : حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر : تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكائيل والموازين : تغييراً للبخس ، والنهي عن شرب الخمر : تنزيهاً عن الرجس واجتناب القذف : حجاباً عن اللعنة ، وترك السرقة : إيجاباً للعفة، وحرَّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية فاتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ، فإنَّه إنَّما يخشى الله من عباده العلماء .

---

(١) حاش الإبل : جمعها وساقها .
(٢) بهمها : أي مبهماتها : وهي المشكلات من الامور .
(٣) الغمم : جمع غمة وهي : المبهم والملتبس وفي بعض النسخ (عماها)
(٤) منسأة للعمر : مؤخرة .

ثم قالت : أيها الناس اعلموا : أنّي فاطمة وأبي محمّد (ص) أقول عوداً وبدواً ولا أقول ما أقول غلطاً ، ولا أفعل ما أفعل شططاً[١] ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم[٢] حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فإن تعزوه[٣] وتعرفوه : تجدوه أبي دون نسائكم ، وأخا ابن عمّي دون رجالكم[٤] ولنعم المعزى إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة[٥] مائلاً عن مدرجة المشركين[٦] ضارباً ثبجهم[٧] آخذاً بأكظامهم[٨] داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، يجف الأصنام[٩] وينكث الهام ، حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر ، حتى تفرّى الليل عن صبحه[١٠] وأسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقاشق الشياطين[١١] وطاح وشيظ النفاق[١٢] وانحلّت عقد الكفر والشقاق ، وفهتم بكلمة الإخلاص[١٣] في نفر من البيض الخماص[١٤] وكنتم على شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب[١٥] ونهزة الطامع[١٦] وقبسة العجلان ، وموطىء الأقدام[١٧] تشربون الطرق[١٨] وتقتاتون القد[١٩] أذلّة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد (ص) بعد اللتيا والّتي ، وبعد أن مني ببهم[٢٠] الرجال وذؤبان العرب ، ومردة أهل الكتاب ، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، أو نجم قرن الشيطان[٢١] أو فغرت فاغرة من المشركين[٢٢] قذف أخاه في لهواتها[٢٣] فلا ينكفىء

---

(١) الشطط ـ بالتحريك ـ وهو البعد عن الحق ومجاوزة الحد في كل شيء .

(٢) عنتم : أنكرتم وجحدتم .

(٣) تعزوه : تنسبوه .

(٤) سيأتي قول النبي (ص) لعليّ (ع) أنت أخي وحديث المؤاخاة مفصلاً .

(٥) صادعاً : الصدع هو الإظهار ، والنذارة ـ بالكسر ـ الإنذار وهو الإعلام على وجه التخويف .

(٦) المدرجة : هي المذهب والمسلك .

(٧) ثبجهم ، الثبج ـ بالتحريك ـ : وسط الشيء ومعظمه .

(٨) أكظامهم ، الكظم ـ بالتحريك ـ : مخرج النفس من الحلق .

(٩) يجف الأصنام وفي بعض النسخ « يكسر الأصنام » وفي بعضها « يجذ » أي يكسر .

(١٠) تفرّى الليل عن صبحه : أي انشق حتى ظهر وجه الصباح .

(١١) شقاشق الشياطين ، الشقاشق ـ جمع شقشقة بالكسر ـ وهي : شيء كالربة يخرجها البعير من فيه إذا هاج .

(١٢) طاح : هلك ، والوشيظ : السفلة والرذل من الناس .

(١٣) كلمة الإخلاص : كلمة التوحيد .

(١٤) البيض الخماص : المراد بهم أهل البيت عليهم السلام .

(١٥) مذقة الشارب : شربته .

(١٦) نهزة الطامع ـ بالضم ـ : الفرصة أي محل نهزته .

(١٧) قبسة العجلان : مثل في الإستعجال ، وموطىء الأقدام : مثل مشهور في المغلوبية والمذلة .

(١٨) الطرق : بالفتح ماء السماء الذي تبول به الإبل وتبعر .

(١٩) القد ـ بكسر القاف وتشديد الدال ـ : سير يقد من جلد غير مدبوغ .

(٢٠) بهم الرجال : شجعانهم .

(٢١) نجم : ظهر ، وقرن الشيطان : امته وتابعوه .

(٢٢) فغر فاه : أي فتحه ، والفاغرة من المشركين الطائفة منهم .

(٢٣) قذف رمى ، واللهوات ـ بالتحريك ، جمع لهات ـ : وهي اللحمة في أقصى شفة الفم .

حتى يطأ جناحها بأخمصه[١] ويخمد لهبها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في أمر الله قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، مشمراً ناصحاً ، مجداً كادحاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأنتم في رفاهية من العيش ، وادعون[٢] فاكهون[٣] آمنون ، تتربصون بنا الدوائر[٤] وتتوكفون الأخبار[٥] وتنكصون عند النزال ، وتفرون من القتال .

فلما اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ، ومأوى أصفيائه ، ظهر فيكم حسكة النّفاق[٦] ، وسمل جلباب الدين[٧] ونطق كاظم الغاوين[٨] ونبغ خامل الأقلّين[٩] وهدر فنيق المبطلين[١٠] فخطر في عرصاتكم[١١] وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم[١٢] فألفاكم لدعوته مستجيبين ، وللعزة فيه ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحمشكم فألفاكم غضاباً[١٣] فوسمتم غير إبلكم[١٤] ووردتم غير مشربكم[١٥].

هذا والعهد قريب والكلم رحيب[١٦] والجرح لما يندمل[١٧] والرسول لما يقبر ، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإنَّ جهنّم لمحيطة بالكافرين ، فهيهات منكم ، وكيف بكم ، وأنّى تؤفكون ! وكتاب الله بين أظهركم ، اموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة ، وزواجره لايحة ، وأوامره واضحة ، وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون[١٨] ؟ أم بغيره تحكمون ؟ بئس للظالمين بدلاً ، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها[١٩] ويسلس قيادها[٢٠] ثم أخذتم تورون

---

(١) ينكفىء : يرجع ، والأخمص : ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .

(٢) وادعون: ساكنون (٣) فاكهون : ناعمون .

(٤) الدوائر : صروف الزمان ، أي كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا .

(٥) تتوقعون أخبار المصائب والفتن النازلة بنا .

(٦) في بعض النسخ « حسيكة » وحسكة النفاق عداوته .

(٧) وسمل جلباب الدين، سمل : صار خلقاً ، والجلباب : الإزار .

(٨) الكظوم : السكوت .

(٩) الخامل : من خفي ذكره وكان ساقطاً لا نباهة له .

(١٠) الهدير : ترديد البعير صوته في حنجرته ، والفنيق : الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان .

(١١) خطر البعير بذنبه : إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه .

(١٢) مغرزه : أي ما يختفي فيه تشبيهاً له بالقنفذ فإنّه يطلع رأسه بعد زوال الخوف .

(١٣) أي : حملكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه .

(١٤) الوسم : أثر الكي .

(١٥) الورود : حضور الماء للشرب .

(١٦) الكلم ـ بالضم ـ: الجرح ، والرحب ـ بالضم ـ: السعة .

(١٧) أي : لم يصلح بعد .

(١٨) في بعض النسخ « تدبرون » .

(١٩) نفرتها ، نفرت الدابة : جزعت وتباعدت .

(٢٠) يسلس : يسهل .

وقدتها[١] وتهيجون جمرتها ، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي ، وإطفاء أنوار الدين الجلي وإهمال سنن النبي الصفي ، تشربون حسواً في ارتغاء[٢] وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء[٣] ويصير[٤] منكم على مثل حز المدى[٥] ووخز السنان في الحشا ، وأنتم الآن تزعمون : أن لا إرث لنا ، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟!! أفلا تعلمون ؟ بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية : أنِّي ابنته .

أيها المسلمون أأُغلب على إرثي[٦] ؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئاً فرياً ! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ إذ يقول : **﴿وورث سليمان داوود[٧]﴾** ، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال : **﴿فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب[٨]﴾** وقال : **﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله[٩]﴾** وقال : **﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثلُ حظ الانثيين[١٠]** وقال : **﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾**[١١] وزعمتم : أن لا حظوة[١٢] لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا ، أفخصَّكم الله بآية أخرج أبي منها ؟ أم هل تقولون : إنَّ أهل ملَّتين لا يتوارثان ؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملَّة واحدة ؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟ فدونكها مخطومة مرحولة[١٣] تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم إذ تندمون ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم .

ثم رمت بطرفها[١٤] نحو الأنصار فقالت : يا معشر النقيبة وأعضاد الملة[١٥] وحضنة

---

(١) أي : لهبها .

(٢) الحسو : هو الشرب شيئاً فشيئاً ، والإرتغاء : هو شرب الرغوة وهي اللبن المشوب بالماء وحسواً في ارتغاء : مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره .

(٣) الخمر ـ بالفتح ـ: ما واراك من شجر وغيره ، والضراء بالفتح : الشجر الملتف بالوادي .

(٤) وفي بعض النسخ «يصبر» .

(٥) الحز : القطع ، والمدى : السكاكين .

(٦) في بعض النسخ « ارثه » .

(٧) النمل : ١٦ .

(٨) مريم : ٦ .

(٩) الأنفال : ٧٥ .

(١٠) النساء : ١١ .

(١١) البقرة : ١٨٠ .

(١٢) الحظوة : المكانة .

(١٣) مخطومة : من الخطام ـ بالكسر ـ: وهو كل ما يدخل في أنف البعير ليقاد به والرحل ـ بالفتح ـ: هو للناقة كالسرج للفرس .

(١٤) في بعض النسخ « رنت » .

(١٥) النقيبة : الفتية .

الإسلام ، ما هذه الغميزة في حقي[١] والسنة عن ظلامتي[٢] ؟ أما كان رسول الله (ص) أبي يقول : « المرء يحفظ في ولده » ؟ سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ذا إهالة[٣] ولكم طاقة بما احاول ، وقوّة على ما أطلب وازاول ، أتقولون مات محمّد (ص) ؟ فخطب جليل : استوسع وهنه واستنهر فتقه[٤] وانفتق رتقه ، واظلمت الأرض لغيبته ، وكسفت الشمس والقمر ، وانتثرت النجوم لمصيبته ، وأكدت[٥] الآمال ، وخشعت الجبال ، واضيع الحريم ، وازيلت الحرمة عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة[٦] عاجلة ، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه ، في أفنيتكم ، وفي ممساكم ، ومصبحكم ، يهتف في أفنيتكم هتافاً ، وصراخاً ، وتلاوة ، وألحاناً ، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله ، حكم فصل وقضاء حتم : **« وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين »**[٧] إيهاً بني قيلة[٨] ءأهضم تراث أبي ؟ وأنتم بمرءىً مني ومسمع ، ومنتدىً[٩] ومجمع ، تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعدة ، والأداة والقوة وعندكم السلاح والجنة[١٠] توافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح ، والنخبة التي انتخبت ، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت .

قاتلتم العرب ، وتحمّلتم الكد والتعب ، وناطحتم الامم ، وكافحتم[١١] البهم ، لا نبرح أو تبرحون[١٢] نأمركم فتأتمرون ، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام ، ودرَّ حلب الأيام ، وخضعت ثغرة الشرك ، وسكنت فورة الإفك ، وخمدت نيران الكفر ، وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق نظام الدين[١٣] فأنّى حزتم بعد البيان ؟ وأسررتم بعد الإعلان ؟ ونكصتم بعد الإقدام ؟ وأشركتم بعد الإيمان ؟ بؤساً لقوم نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم ، وهموا بإخراج الرسول ، وهم بدءوكم أول مرة ، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين .

---

(١) الغميزة : ـ بفتح الغين المعجمة والزاي ـ ضعفة في العمل .

(٢) السنة ـ بالكسر ـ: النوم الخيف .

(٣) إهالة : بكسر الهمزة الدسم . وسرعان ذا إهالة مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته .

(٤) الوهن : الخرق ، واستنهز : اتسع .

(٥) أكدت: قل خيرها .

(٦) بائقة : داهية .

(٧) آل عمران : ١٤٤ .

(٨) بنو قيلة ، قبيلتا الأنصار : الأوس والخزرج .

(٩) المنتدى : المجلس .

(١٠) الجنة ـ بالضم ـ: ما استترت به من السلاح .

(١١) وفي بعض النسخ « كالحتم » .

(١٢) لا نبرح : لا نزال .

(١٣) استوسق : اجتمع .

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض[١] وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض ، وخلوتم بالدعة[٢] ونجوتم بالضيق من السعة ، فمججتم ما وعيتم ، ودسعتم الذي تسوغتم[٣] فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنَّ الله لغني حميد .

ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجذلة التي خامرتكم[٤] والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ، ولكنَّها فيضة النفس ، ونفثة الغيظ ، وخور القناة[٥] وبثة الصدر ، وتقدمة الحجة ، فدونكموها فاحتقبوها دبرة[٦] الظهر نقبة الخف[٧] باقية العار ، موسومة بغضب الجبار ، وشنار الأبد ، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون ، وانتظروا إنا منتظرون .

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان . وقال : يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً ، رؤوفاً رحيماً ، وعلى الكافرين عذاباً أليماً ، وعقاباً عظيماً ، إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء ، وأخا إلفك دون الأخلّاء[٨] آثره على كل حميم ، وساعده في كل أمر جسيم ، لا يحبكم إلا سعيد ، ولا يبغضكم إلا شقي[٩] بعيد ، فأنتم عترة رسول الله الطيبون ، الخيرة المنتجبون ، على الخير أدلَّتنا ، وإلى الجنة مسالكنا ، وأنت يا خيرة النساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في وفور عقلك ، غير مردودة عن حقك ، ولا مصدودة عن صدقك والله ما عدوت رأي رسول الله ، ولا عملت إلا بإذنه ، والرائد لا يكذب أهله ، وإنِّي اشهد الله وكفى به شهيداً ، أنِّي سمعت رسول الله (ص) يقول : « نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً وإنَّما نورِّث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلو لي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه »[١٠] وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون

---

(١) أخلدتم : ملتم . والخفض : السعة والخصب واللين .

(٢) الدعة : الراحة والسكون .

(٣) الدسغ : القيء ، وتسوغ الشراب : شربه بسهولة .

(٤) الجذلة : ترك النصر ، خامتكم : خالطتكم .

(٥) الخور : الضعب ، والقناة : الرمح .والمراد من ضعف القناة هنا : ضعف النفس عن الصبر على الشدة .

(٦) فاحتقبوها : أي احملوها على ظهوركم ، ودبر البعير : أصابته الدبرة بالتحريك وهي جراحة تحدث من الرحل .

(٧) نقب خف البعير : رق وتثقب .

(٨) الإلف : هو الأليف بمعنى المألوف ، والمراد هنا ، الزوج لأنَّه إلف الزوجة وفي بعض النسخ « ابن عمك » .

(٩) في ذخائر العقبى ،- لمحب الدين الطبري - قال : قال رسول الله (ص) « لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضنا إلا منافق شقي » أخرجه الملا .

(١٠) نقل الإمام المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين « قدس سره » في كتابه الجليل « النص والاجتهاد » عن الاستاذ المصري المعاصر محمود أبو رية ما يلي :

«قال»: بقي أمر لا بد أن نقول فيه كلمة صريحة ، ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله (ص) وما فعل معها في ميراث أبيها ، لأنا إذا سلَّمنا بأنَّ خبر الآحاد الظني يخصص الكتاب القطعي ، وأنَّه قد ثبت أنَّ النبي=

الكفار ، ويجالدون المردة الفجار ، وذلك بإجماع من المسلمين ، لم أنفرد به وحدي ، ولم أستبد بما كان الرأي عندي[1] وهذه حالي ومالي ، هي لك وبين يديك ، لا تزوى عنك ، ولا ندخر دونك ، وإنَّك وأنت سيدة أُمَّة أبيك ، والشجرة الطيبة لبنيك ، لا ندفع ما لك من فضلك ، ولا يوضع في فرعك وأصلك ، حكمك نافذ فيما ملكت يداي فهل ترين أن اخالف في ذاك أباك صلّى الله عليه وآله وسلم .

=(ص) قد قال إنَّه لا يورث ، وأنَّه لا تخصيص في عموم هذا الخبر ، فإنَّ أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة رضي الله عنها بعض تركة أبيها (ص) كأن يخصها بفدك ، وهذا من حقه الذي ليس يعارضه فيه أحد ، إذ يجوز للخليفة أن يخص من يشاء بما يشاء .

قال : وقد خص هو نفسه الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبي (ص) على أنَّ فدكاً هذه التي منعها ابو بكر لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان ، هذا كلامه بنصه .

ثم عقَّب السيد « ره» قائلاً : ونقل ابن أبي الحديد عن بعض السلف كلاماً مضمونه العتب على الخليفتين والعجب منهما في مواقفهما مع الزهراء بعد أبيها (ص) قالوا في آخره : « وقد كان الأجل أن يمنعهما التكرم عما ارتكباه من بنت رسول الله (ص) فضلاً عن الدين» فذيله ابن أبي الحديد بقوله : « هذا الكلام لا جواب عنه » النص والاجتهاد ص ١٢٣/ ١٢٤ .

(١) خطر ببالي وأنا افكر في قول الخليفة ، « وذلك بإجماع المسلمين لم أنفرد به » وقوله في آخر الحديث الذي تفرد بنقله عن النبي (ص) « وما كان من طعمة فلو لي الأمر أن يحكم فيه بحكمه » نعم خطر ببالي وأنا افكر في هاتين الفقرتين وما اذا كانت فدك من حق المسلمين حتى يؤخذ رأيهم فيها أم من حقه الخاص حتى يحكم فيه بحكمه كما جاء في ذيل الحديث الذي استنكرته الصديقة الطاهرة (ع) واعتبرته كذباً وزوراً وافتراء على الرسول (ص) اعتلالاً منهم لما أجمعوا على الغدر بذريته كما اعتبرته طعناً في عصمته (ص) لو صدر ذلك منه ، واسمع ذلك كله في جوابها لأبي بكر ، « سبحان الله ! ما كان أبي رسول الله (ص) عن كتاب الله صادفاً ، ولا لأحكامه مخالفاً ، بل كان يتبع أثره ، ويقفو سوره أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته » ثم إن كان من حقه الخاص فلماذا لم يعطها سيدة النساء وبنت سيد الأنبياء إكراماً لمقام أبيها (ص) وإذا كان من حق المسلمين فكيف تداولتها الأيدي بالأهواء بعد ذلك دون أخذ رأيهم فيها .

نعم خطر ببالي وأنا اجيل الفكر في هذا وشبهه قول الشريف قتادة بن ادريس من قصيدته العصماء في رثاء سيدة النساء (ع) والتي يقول في أولها :

ما لعينيَّ غاب عنها كراها ... وعراها من عبرة ما عراها
ألدار نعِّمت فيها زماناً ... ثم فارقتها فلا أغشاها

إلى أن يقول :

بل بكائي لمن خصها ... الله تعالى بلطفه واجتباها
وحباها بالسيِّدين الجليلـ ... ـين العظيمين منه حين حباها
ولفكري في الصاحبين اللذين ... استحسنا ظلمها وما راعياها
منعا بعلها من الحلِّ والعقـ ... ـد وكان المنيب والأواها

والتي يقول فيها :

وأتت فاطم تطالب بالإر ... ث من المصطفى فما ورِّثاها

إلى أن قال ـ وهو محل الشاهد ـ:

اترى المسلمين كانوا يلومو ... نها في العطاء لو أعطياها
كان تحت الخضراء بنت نبي ... ناطق صادق أمين سواها
بنت من؟ أم من؟ حليلة من؟ ... .من سنَّ ظلمها وأذاها

فقالت (ع) : سبحان الله ما كان أبي رسول الله (ص) عن كتاب الله صادفاً[١] ولا لأحكامه مخالفاً ! بل كان يتبع أثره ، ويقفو سوره ، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل[٢] في حياته هذا كتاب الله حكماً عدلاً ، وناطقاً فصلاً يقول : « **يرثني ويرث من آل يعقوب** »[٣] ويقول : « **وورث سليمان داوود** »[٤] وبيّن عز وجل فيما وزع من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظ الذكران والإناث ، ما أزاح به علّة المبطلين ، وأزال التظني والشبهات في الغابرين ، كلا بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

فقال أبو بكر : صدق الله ورسوله ، وصدقت ابنته ، معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجة ، لا أُبعد صوابك ، ولا أُنكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك ، قلّدوني ما تقلّدت ، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر ولا مستبد ، ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود[٥] .

فالتفتت فاطمة (ع) الى الناس وقالت :

معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل[٦] المغضية على الفعل القبيح الخاسر ، أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟ كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم ، فأخذ بسمعكم وأبصاركم ، ولبئس ما تأولتم ، وساء ما به أشرتم ، وشر ما منه اغتصبتم ! لتجدنّ والله محمله ثقيلاً ، وغبه وبيلاً ، إذا كشف لكم الغطاء ، وبان بإورائه الضراء . وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون ، وخسر هنالك المبطلون .

ثم عطفت على قبر النبي (ص) وقالت :

قد كان بعدك أنباء وهنبثة   لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها   واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

---

(١) صادفاً : معرضاً .

(٢) الغوائل : المهالك ، فهي صلوات الله عليها رأت في هذا التعليل والاستدلال بوضع حديث مزور على لسان الرسول (ص) مؤامرة استهدفت شخصه الكريم كما استهدفت رسالته من خلال أهل بيته حيث سلبته أعظم امتياز تستند إليه الرسالة وهي العصمة بمخالفته أحكام الكتاب في منع أهل بيته من الإرث ورأت (ع) في هذا التهجم على شخصه الكريم بعد الوفاة شبهاً بما كان يحاك ضدّه من المؤامرات في حياته (ص) إذ هي الاخرى استهدفت شخصه للقضاء على رسالته .

(٣) سورة مريم ٦ .

(٤) سورة النمل ١٦ .

(٥) حقاً إنّه لمن الملفت للنظر لجوء أبي بكر إلى رأي المسلمين بعد انهزامه أمام حجج الصدّيقة الدامغة الثابتة اليقينة من صريح المحكم من كتاب الله العظيم مما لم يدع مجالاً للشك والشبهة في بطلان الحديث المزعوم وسقوطه عن الإعتبار ومخالفته لاصول الإسلام والنبي (ص) منزه عن التفوه بمثله .

(٦) في بعض النسخ « قبول الباطل » .

وكـل أهـل لـه قـربى ومنـزلـة عنـد الإله عـلى الأدنـين مقتـرب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم[١] لما مضيت وحالت دونـك الترب
تجهمتنـا رجـال واستخـف بنـا لما فقدت وكـل الأرض مغتصب
وكنت بـدراً ونـوراً يستضـاء بـه عليك ينزل من ذي العزة الكتب
وكـان جبريـل بـالآيات يـونسنـا فقـد فقدت وكـل الخير محتجب
فليت قبلك كـان الموت صـادفنـا لما مضيت وحالت دونك الكثب[٢]

ثم انكفأت (ع) ، وأمير المؤمنين (ع) يتوقع رجوعها إليه ، ويتطلّع طلوعها عليه ، فلما استقرت بها الدار ، قالت لأمير المؤمنين (ع) :

يا ابن أبي طالب ، اشتملت شملة الجنين ، وقعدت حجرة الظنين ، نقضت قادمة الأجدل[٣] فخانك ريش الأعزل[٤] هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة أبي وبلغة[٥] ابنيّ ! لقد أجهد[٦] في خصامي ، وألفيته ألدَّ في كلامي[٧] حتى حبستني قيلة نصرها ، والمهاجرة وصلها ، وغضت الجماعة دوني طرفها ، فلا دافع ولا مانع ، خرجت كاظمة ، وعدت راغمة ، أضرعت خدَّك[٨] يوم أضعت حدَّك إفترست الذئاب ، وافترشت التراب ، ما كففت قائلاً ، ولا أغنيت طائلاً[٩] ولا خيار لي ، ليتني مت قبل هنيئتي ، ودون ذلّتي عذيري الله منه عادياً[١٠] ومنك حامياً ، ويلاي في كل شارق ! ويلاي في كل غارب ! مات العمد ، ووهن العضد[١١] شكواي إلى أبي ! وعدواي[١٢] إلى ربِّي ! اللهم إنَّك أشد منهم قوَّة وحولاً ، وأشد بأساً وتنكيلاً .

فقال أمير المؤمنين (ع) : لا ويل لك بل الويل لشانئك[١٣] ثم نهنهي عن وجدك[١٤] يا ابنة

---

(١) النجوى : السر .
(٢) الكثب ـ بضمتين ـ: جمع الكثيب وهو : الرمل .
(٣) قوادم الطير : مقادم ريشه وهي عشرة ـ والأجدل : الصقر .
(٤) الأعزل من الطير : ما لا يقدر على الطيران .
(٥) يبتزني : يسلبني والبلغة ما يتبلَّغ به من العيش .
(٦) في بعض النسخ « أجهر » .
(٧) الفيته : وجدته ، والألد : شديد الخصومة .
(٨) ضرع : خضع وذل .
(٩) أي ما فعلت شيئاً نافعاً ، وفي بعض النسخ « ولا أغنيت باطلاً » : أي كففته .
(١٠) العذير : النصير . وعادياً : متجاوزاً .
(١١) الوهن : الضعف في العمل أو الأمر أو البدن .
(١٢) العدوى : طلبك إلى وال لينتقم لك من عدوك .
(١٣) الشانىء : المبغض .
(١٤) أي : كفي عن حزنك وخففي من غضبك .

الصفوة ، وبقية النبوَّة ، فما ونيت[١] عن ديني ، ولا أخطأت مقدوري[٢] ، فإن كنت تريدين البلغة ، فرزقك مضمون ، وكفيلك مأمون ، وما اعدلك أفضل مما قطع عنك ، فاحتسبي الله .

فقالت : حسبي الله وأمسكت .

وقال سويد بن غفلة :[٣] لما مرضت فاطمة سلام الله عليها ، المرضة التي توفيت فيها[٤] دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها ، فقلن لها : كيف أصبحت من علَّتك يا ابنة رسول الله ؟ فحمدت الله ، وصلَّت على أبيها ، ثم قالت :

أصبحت والله : عائفة لدنياكنَّ ، قالية لرجالكنَّ ، لفظتهم بعد أن عجمتهم[٥] وسئمتهم بعد أن سبرتهم[٦] فقبحاً لفلول الحد ، واللعب بعد الجد ، وقرع الصفاه وصدع القناة ، وختل الآراء[٧] وزلل الأهواء ، وبئس ما قدَّمت لهم أنفسهم : أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ! لا جرم لقد قلَّدتهم ربقتها وحمَّلتهم أوقتها[٨] وشننت عليهم غاراتها[٩] ، فجدعاً وعقراً وبعداً للقوم الظالمين .

ويحهم أنّى زعزعوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين ، والطبين بأمور الدنيا[١٠] والدين ؟! ألا ذلك هو الخسران المبين ! وما الذي نقموا من أبي الحسن (ع) ؟! نقموا والله منه نكير سيفه ، وقلَّة مبالاته لحتفه ، وشدة وطأته ، ونكال[١١] وقعته ، وتنمره في ذات الله[١٢] وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة ، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة ، لردهم

---

(١) ما كللت ولا ضعفت ولا عييت .

(٢) ما تركت ما دخل تحت قدرتي ، أي لست قادراً على الإنتصاف لك لما أوصاني به الرسول (ص) .

(٣) قال العلامة في الخلاصة : سويد بن غفلة الجعفي قال البرقي : إنَّه من أولياء امير المؤمنين عليه السلام وفي أسد الغابة « أدرك الجاهلية كبيراً وأسلم في حياة رسول الله (ص) ولم يره وأدى صدقته إلى مصدق النبي (ص) ثم قدم المدينة فوصل يوم دفن النبي (ص) وكان مولده عام الفيل وسكن الكوفة . . . » وفي تهذيب التهذيب وثقه ابن معين والعجلي مات سنة ٨٠ وقيل ٨١ وقيل ٨٨ .

(٤) قال ابن أبي الحديد في المجلد الرابع من شرحه على النهج « قال أبو بكر وحدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبي عن عبد الله بن حماد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن حسن عن امه فاطمة بنت الحسين (ع) قالت : لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله (ص) الوجع وثقلت وفي علتها دخلت عليها . . . الخ .

(٥) لفظتهم : رميت بهم وطرحتهم بعد أن عجمتهم : أي بعد أن اختبرتهم وامتحنتهم .

(٦) سئمتهم : مللتهم ، وسبرتهم : جرَّبتهم واختبرتهم واحداً واحداً .

(٧) ختل الآراء : زيفها وخداعها .

(٨) أوقتها : ثقلها .

(٩) شننت الغارة عليهم : وجهتها عليهم من كل جهة .

(١٠) الطبين : الفطن الحاذق العالم بكل شيء .

(١١) النكال : ما نكلت به غيرك كائناً ما كان .

(١٢) تنمو : عبس وغضب .

إليها ، وحملهم عليها ولسار بهم سيراً سجحاً[١] لا يكلم حشاشه[٢] ولا يكل سائره[٣] ولا يمل راكبه ، ولأوردهم منهلاً نميراً ، صافياً ، روياً ، تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطاناً ، ونصح لهم سراً وإعلاناً ، ولم يكن يتحلّى من الدنيا بطائل ، ولا يحظى منها بنائل ، غير ري الناهل ، وشبعة الكافل ، ولبان لهم : الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب ، ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذَّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين !

ألا هلمَّ فاسمع ! وما عشت أراك الدهر عجباً !! وإن تعجب فعجب قولهم !! ليت شعري إلى أي سناد استندوا ؟! وإلى أي عماد اعتمدوا ؟! وبأية عروة تمسَّكوا ؟! وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا[٤] لبئس المولى ولبئس العشير ، وبئس للظالمين بدلا ! استبدلوا والله الذنابى بالقوادم[٥] والعجز بالكاهل[٦] فرغماً لمعاطس[٧] قوم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعا ، ألا إنَّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدِّي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ؟! أما لعمري لقد لقحت ، فنظرة ريثما تنتج ، ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً[٨] وذعافاً مبيداً ، هنالك يخسر المبطلون ، ويعرف الباطلون غب[٩] ما أسس الأولون ، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً ، واطمئنوا للفتنة جاشاً ، وأبشروا بسيف صارم ، وسطوة معتد غاشم ، وبهرج شامل ، واستبداد من الظالمين : يدع فيئكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فيا حسرتا لكم ! وأنّى بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون !.

قال سويد بن غفلة : فأعادت النساء قولها عليها السلام على رجالهنَّ فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين ، وقالوا : يا سيدة النساء ، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر قبل أن يبرم العهد ، ويحكم العقد ، لما عدلنا عنه إلى غيره ، فقالت (ع) : إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم ، ولا أمر بعد تقصيركم .

* * *

---

(١) سجحا : سهلا .
(٢) كلمه : جرحه .
(٣) يكل : يتعب .
(٤) احتنكه : استولى عليه .
(٥) الذنابى : ذنب الطائر ، وقوادمه : مقادم ريشه .
(٦) العجز : مؤخر الشيء ، والكاهل : مقدم اعلى الظهر مما يلي العنق .
(٧) المعطس : لأنف .
(٨) القعب : القدح ، والدم العبيط : الخالص الطري .
(٩) الذعاف : السم الذي يقتل من ساعته، الغب : العاقبة .

« إحتجاج سلمان الفارسي رضي الله عنه[1] في خطبة خطبها بعد وفاة رسول الله (ص) على القوم لما تركوا أمير المؤمنين (ع) واختاروا غيره ونبذوا العهد المأخوذ عليهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه (ع) قال : خطب الناس سلمان الفارسي رحمة الله

(١) أبو عبد الله سلمان الفارسي أو المحمدي ويلقب أيضاً بسلمان الخير أصله من رامهرمز وقيل من إصفهان من بلدة يقال لها : جي .

كان من أوصياء عيسى عليه السلام ، وهذا هو السبب الذي جعل أمير المؤمنين عليه السلام يحضر عنده بالمدائن حين حضرته الوفاة ، ويتولى تغسيله بيده الشريفة ، إذ أنَّ الوصي لا يغسله إلا وصي مثله .

هرب سلمان عليه السلام من فارس لأنَّ أهلها كانوا يعبدون النار وصادف ذلك سفر قافلة إلى الشام فذهب معها ، ونزل بحمص وكان يجتمع بالقسس والرهبان ويجادلهم في الدين برهة من الزمن .

ثم صحب جماعة من التجار وسار معهم قاصداً مكة المكرمة ليحظى بالتشرف بحضرة النبي الأمي وصحبته ، وكان سلمان عليه السلام يعلم أنَّه سيبعث من هناك لأنَّه كما مر كان من أوصياء عيسى (ع) .

واعتدى عليه هؤلاء الذين سار بصحبتهم وأساءوا الصحبة فانتبهوا ما كان عنده وأسروه ثم باعوه من يهودي في المدينة على أنَّه رق .

وبقي عند ذلك اليهودي إلى أن هاجر النبي (ص) إلى المدينة وكان سلمان (ع) كاتَبَ ذلك اليهودي على أن يدفع له مبلغاً من المال ليحرره من الرق ، فأعانه رسول الله (ص) على ذلك فتحرر .

ولما زحف الجيش بقيادة أبي سفيان لقتل النبي (ص) وأصحابه وهدم المدينة على أهلها ، في غزوة الأحزاب ـ أشار سلمان بحفر الخندق ، فقال أبو سفيان لما رآه هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها .

وكان إذا قيل له ابن من أنت ؟ يقول أنا سلمان بن الإسلام ، أنا من بني آدم .

وقد روي عن رسول الله (ص) من وجوه أنَّه قال : لو كان الدين في الثريا لناله سلمان ، وفي رواية اخرى لناله رجل من فارس

وروي عنه (ص) أنَّه قال : « إنَّ الله يحب من أصحابي أربعة ـ فذكره منهم »

وقال (ص): « ثلاثة تشتاق إليهم الحور العين : علي ، وسلمان ، وعمار » .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله (ص) : « أنا سابق ولد آدم ، وسلمان سابق أهل فارس » .

وعنه أيضاً ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنَّ الجنة تشتاق إلى أربعة : عليّ وسلمان ، وعمار ، والمقداد » .

ودخل ذات يوم مجلس رسول الله (ص) فوجد وجهاء قريش فتخطاهم وجلس في صدر المجلس ، فغلى الدم في عروقهم ، وقال له بعضهم : ـ من أنت حتى تتخطانا ؟ ـ وقال له آخر :ـ ما حسبك ونسبك ؟! ـ

قال سلمان : أنا إبن الإسلام ، كنت عبداً فأعتقني الله بمحمد (ص) ووضيعاً فرفعني بمحمد (ص) وفقيراً فأغناني بمحمد (ص) فهذا حسبي ونسبي .

فقال رسول الله (ص) : صدق سلمان ، صدق سلمان ، من أراد أن ينظر إلى رجل نوَّر الله قلبه بالإيمان ، فلينظر إلى سلمان .

وتنافس المهاجرون والأنصار كل يقول : (سلمان منا) فقال رسول الله (ص): « بل سلمان منّا أهل البيت » .

وروي عن أبي الأسود الدؤلي قال كنا عند علي ذات يوم فقالوا : ـ يا أمير المؤمنين (ع) حدثنا عن سلمان ـ .

قال (ع): من لكم بمثل لقمان الحكيم ، ذلك امرؤ منا أهل البيت أدرك العلم الأول والعلم الآخر ، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر ، بحر لا ينزف .

ولي المدائن في عهد عمر بن الخطاب ، وكان يسف الخوص وهو أمير عليها ويبيعه ويأكل منه ، ويقول : لا احب أن آكل إلا من عمل يدي .

عليه ، بعد أن دفن النبي (ص) بثلاثة أيام ، فقال فيها :

ألا أيها الناس ، اسمعوا عني حديثي ، ثم اعقلوه عني ، ألا وإنِّي أُوتيت علماً كثيراً ، فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضايل أمير المؤمنين (ع) ، لقالت طائفة منكم : هو مجنون ، وقالت طائفة أُخرى : اللهم اغفر لقاتل سلمان .

ألا إنَّ لكم منايا ، تتبعها بلايا ، ألا وإنَّ عند علي (ع) علم المنايا والبلايا ، وميراث الوصايا وفصل الخطاب ، وأصل الأنساب ، على منهاج هارون بن عمران من موسى (ع) إذ يقول له رسول الله (ص) : أنت وصيي في أهل بيتي ، وخليفتي في أُمتي ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ، ولكنكم أخذتكم سنة بني إسرائيل ، فأخطأتم الحق فأنتم تعلمون ولا تعلمون .

أما والله لتركبن طبقاً عن طبق ، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة أما والذي نفس سلمان بيده : لو ولَّيتموها علياً لأكلتم من فوقكم ، ومن تحت أقدامكم ، ولو دعوتم الطير لأجابتكم في جو السماء ، ولو دعوتم الحيتان من البحار لأتتكم ، ولما عال[1] ولي الله ، ولا طاش لكم سهم من فرائض الله[2] ولا اختلف اثنان في حكم الله ، ولكن أبيتم فولَّيتموها غيره ، فابشروا بالبلايا ، واقنطوا من الرخاء ، وقد نابذتكم على سواء ، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء .

عليكم بآل محمّد (ص) ، فإنَّهم القادة إلى الجنة ، والدعاة إليها يوم القيامة .

عليكم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، فوالله لقد سلَّمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين ، مراراً جمة[3] مع نبينا ، كل ذلك يأمرنا به ، ويؤكده علينا فما بال القوم عرفوا فضله فحسدوه ؟! وقد حسد هابيل قابيل فقتله ، وكفاراً قد ارتدت أُمة موسى بن عمران ، فأمر هذه الأُمة كأمر بني إسرائيل، فأين يذهب بكم .

أيها الناس ويحكم ما لنا وأبو فلان وفلان ؟! أجهلتم أم تجاهلتم ؟ أم حسدتم أم تحاسدتم ؟ والله لترتدن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف ، يشهد الشاهد على الناجي بالهكة ، ويشهد الشاهد على الكافر بالنجاة ، ألا وإنِّي أظهرت أمري ، وسلَّمت لنبيي، واتبعت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة علياً امير المؤمنين (ع) وسيد الوصيين ، وقائد الغر المحجلين ، وإمام

= وتوفي في المدائن سنة ٣٦ ، وقيل ٣٧ ، وقيل بل ٣٣ .

ولما حضرته الوفاة بكى فقيل ما يبكيك ؟ قال : عهد عهده إلينا رسول الله (ص) قال :- ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب - فلما مات نظروا في بيته فلم يجدوا إلا اكافاً ووطاء ومتاعاً ، قوِّم نحواً من عشرين درهماً .

راجع صفة الصفوة ج١ ص٢١٠ تهذيب التهذيب ج٤ ص١٣٧ اسد الغابة ج٢ ص٣٢٨ تنقيح المقال ج٢ ص٤٥ وكتاب نفس الرحمن في أخبار سلمان والمجلد الرابع من ابن أبي الحديد وكتاب مع علماء النجف الأشرف للشيخ محمد جواد مغنية .

(١) عال : افتقر .

(٢) طاش السهم : مال عن الهدف .

(٣) جمة : كثيرة .

الصديقين ، والشهداء والصالحين .

إحتجاج لأبيّ بن كعب[1] على القوم مثل ما احتج به سلمان رضي الله عنه .

عن محمّد و يحيى (٢-٣) ابني عبد الله بن الحسن عن أبيهما عن جدِّهما عن علي بن أبي طالب (ع)

---

(١) أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك النجار .

عده الشيخ رحمه الله في رجاله بهذا العنوان من أصحاب رسول الله (ص) وقال يكنى أبا المنذر شهد العقبة مع السبعين ، وكان يكتب الوحي ، آخى رسول الله (ص) بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . شهد بدراً والعقبة وبايع لرسول الله (ص) .

ومثله بحذف اسم آبائه إلى كنيته ما في الخلاصة في قسم المعتمدين وكذا في رجال ابن داوود ، وعن المجالس ما يظهر منه جلالته وإخلاصه لأهل البيت . . .

وقال العلامة الطباطبائي : إنَّه من الإثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر تقدمه وجلوسه في مجلس رسول الله (ص) قال له : يا أبا بكر لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك ، ولا تكن أول من عصى رسول الله (ص) في وصيته ، وأول من صدف عن أمره ، ورد الحق إلى أهله تسلم ، ولا تتمادى في غيِّك تستندم ، وبادر بالإنابة يخف وزنك ، ولا تخصص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك ، فعن قليل تفارق ما أنت فيه ، وتصير إلى ربِّك فيسألك عما جئت وما ربك بظلام للعبيد ، وعن تقريب بن حجر متصلاً بنسبه المذكور ما لفظه : الأنصارى الخزرجي ، أبو المنذر سيد القراء ، يكنى أبا الطفيل أيضاً ، من فضلاء الصحابة ، مات في زمن عمر فقال عمر : مات اليوم سيد المسلمين ، شهد العقبة مع السبعين ج١ ص ٤٤ من رجال المامقاني .

(٢ -٣) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) ذو النفس الزكية ، ويكنى أبا عبد الله ، وقيل أبا القاسم ولد سنة (١٠٠) وقتل سنة (١٤٥) .

بايعه المنصور مع جماعة من بني هاشم ، فلما بويع لبني العباس اختفى محمد وإبراهيم مدة خلافة العباس ، فلما ملك المنصور وعلم أنهما على عزم الخروج عليه جد في طلبهما وقبض على أبيهما كما مر ذلك في هامش ص٩٧ .

وأتيا اباهما وهو في السجن فقالا له يقتل رجلان من آل محمد خير من ان يقتل ثمانية ، فقال لهما : ان منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعككما أن تموتا كريمين ولما عزم محمد على الخروج ، وأعد أخاه إبراهيم على الظهور في يوم واحد ، وذهب محمد إلى المدينة ، وإبراهيم الى البصرة ، فاتفق أنَّ إبراهيم مرض ، فخرج أخوه بالمدينة وهو مريض بالبصرة ، ولما خلص من مرضه وظهر أتاه خبر أخيه أنَّه قتل وهو على المنبر فقال :

سأبكيك بالبيض الصفاح وبالقنا	فإنَّ بها ما يدرك الطالب الوترا
ولست كمن يبكي أخاه بعبرة	يعصرها من ماء مقلته عصرا
ولكن اروي النفس مني بغارة	تلهب في قطرى كتائبها جمرا
وانا اناس لا تفيض دموعنا	على هالك منا وإن قصم الظهرا

ولما بلغ المنصور خروج محمد بن عبد الله خلا ببعض أصحابه فقال له : ويحك ! قد ظهر محمد فماذا ترى ؟ فقال : وأين ظهر ؟ قال : بالمدينة ، فقال : غلبت عليه ورب الكعبة ، قال : وكيف ؟!! قال لأنَّه خرج بحيث لا مال ولا رجال ، فعاجله بالحرب فأرسل إليه عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن العباس في جيش كثيف ، فحاربهم محمد خارج المدينة وتفرق أصحابه عنه حتى بقي وحده فلما أحس بالخذلان دخل داره وأمر بالتنور فسجر ، ثم عمد إلى الدفتر الذي أثبت فيه أسماء الذين بايعوه فألقاه في التنور فاحترق .

ثم خرج فقاتل حتى قتل بأحجار الزيت ومن هنا لقب بذي النفس الزكية لأنَّه صدق عليه ما روي عن النبي (ص) أنَّه قال : تقتل بأحجار الزيت من ولدي نفس زكية . راجع عمدة الطالب ص٨٩ ومقاتل الطالبيين ٢٣٢ .

ويحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) « صاحب الديلم » الشهيد ، ويكنى أبا الحسن ، وأمه قريبة بنت عبد الله .

كان مقدماً في أهل بيته ، بعيداً مما يعاب على مثله وقد روى الحديث وأكثر الرواية عن جعفر بن محمد (ع) وروى عن أبيه وعن أخيه محمد راجع ابن داوود ص١٢٩ ومقاتل الطالبيين ص٣٣٧ .

قال : لما خطب أبو بكر قام إليه أُبي بن كعب وكان يوم الجمعة أول يوم من شهر رمضان وقال :

يا معشر المهاجرين الذين اتبعوا مرضات الله ، وأثنى الله عليهم في القرآن ويا معشر الأنصار الذين تبؤوا الدار والإيمان ، وأثنى الله عليهم في القرآن ، تناسيتم أم نسيتم ، أم بدلتم ، أم غيرتم ، أم خذلتم ، أم عجزتم ؟ ألستم تعلمون أنَّ رسول الله (ص) قام فينا مقاماً أقام فيه عليّاً فقال : « من كنت مولاه فهذا مولاه يعني عليّاً ومن كنت نبيه فهذا أميره » ؟

ألستم تعلمون أنَّ رسول الله (ص) قال : « يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، طاعتك واجبة على من بعدي كطاعتي في حياتي غير أنَّه لا نبي بعدي » ؟

ألستم تعلمون أنَّ رسول الله (ص) قال : « أوصيكم بأهل بيتي خيراً فقدِّموهم ولا تقدَّموهم ، وأمِّروهم ولا تأمَّروا عليهم » ؟

ألستم تعلمون أنَّ رسول الله (ص) قال : « أهل بيتي منار الهدى ، والدالون على الله » ؟

أولستم تعلمون أنَّ رسول الله (ص) قال لعليٍّ (ع) : « أنت الهادي لمن ضل » ؟

ألستم تعلمون أنَّ رسول الله (ص) قال : « علي المحيي لسنتي ، ومعلم امتي ، والقائم بحجتي وخير من اخلف من بعدي ، وسيد أهل بيتي ، وأحب الناس إليَّ طاعته كطاعتي على امتي » ؟

ألستم تعلمون أنَّه كان منزلهما في أسفارهما واحداً وارتحالهما واحداً ؟

ألستم تعلمون أنَّه لم يولّ على علي أحداً منكم وولاه في كل غيبته عليكم ؟

ألستم تعلمون أنَّه قال : « إذا غبت فخلفت عليكم عليّاً فقد خلَّفت فيكم رجلاً كنفسي » ؟

ألستم تعلمون أنَّ رسول الله (ص) قبل موته قد جمعنا في بيت ابنته فاطمة (ع) فقال لنا : إنَّ الله أوحى إلى موسى بن عمران أن اتخذ أخاً من أهلك فاجعله نبيّاً ، واجعل أهله لك ولداً ، أطهرهم من الآفات ، واخلِّصهم من الريب فاتخذ موسى هارون أخاً ، وولده أئمة لبني إسرائيل من بعده ، الذين يحل لهم في مساجدهم ما يحل لموسى ، وأنَّ الله تعالى أوحى إليَّ أن اتخذ عليّاً أخاً ، كما أنَّ موسى اتخذ هارون أخاً ، واتخذ ولده ولداً ، فقد طهرتهم كما طهرت ولد هارون ، ألا إنِّي قد ختمت بك النبيين فلا نبي بعدك » فهم الأئمة الهادية .

أفما تبصرون أفما تفهمون أفما تسمعون ؟!! ضرب عليكم الشبهات ، فكان مثلكم كمثل رجل في سفر فأصابه عطش شديد حتى خشي أن يهلك ، فلقي رجلاً هادياً في الطريق ، فسأله عن الماء ، فقال له : أمامك عينان : إحداهما مالحة ، والأُخرى عذبة ، فإن أصبت المالحة ضللت ، وإن أصبت العذبة هديت ورويت ، فهذا مثلكم أيتها الأُمة المهملة كما زعمتم ، وأيم

الله ما أهملتم ، لقد نصب لكم علم ، يحل لكم الحلال ، ويحرم عليكم الحرام ، ولو أطعتموه ما اختلفتم ، ولا تدابرتم ، ولا تقاتلتم ولا برىء بعضكم من بعض ، فوالله إنّكم بعده لناقضون عهد رسول الله (ص) ، وإنّكم على عترته لمختلفون ، وإن سئل هذا عن غير ما يعلم أفتى برأيه ، فقد أبعدتم ، وتخارستم وزعمتم أنّ الخلاف رحمة ، هيهات أبى الكتاب ذلك عليكم ، يقول الله تعالى جده[1] : **﴿ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾**[2] .

ثم أخبرنا باختلافكم ، فقال سبحانه : **﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾**[3] اي : للرحمة وهم آل محمّد سمعت رسول الله (ص) يقول : يا علي أنت وشيعتك على الفطرة والناس منها براء ، فهلا قبلتم من نبيِّكم كيف وهو خبَّركم بانتكاصتكم[4] عن وصيه علي بن أبي طالب وأمينه ، ووزيره ، وأخيه ، ووليه دونكم أجمعين ! وأطهركم قلباً ، وأقدمكم سلماً وأعظمكم وعياً من رسول الله (ص) أعطاه تراثه ، وأوصاه بعداته ، فاستخلفه على امته ، ووضع عنده سره ، فهو وليه دونكم أجمعين ، وأحق به منكم أكتعين[5] سيد الوصيين ، ووصي خاتم المرسلين ، أفضل المتقين ، وأطوع الأمة لرب العالمين سلمتم عليه بإمرة المؤمنين في حياة سيد النبيين وخاتم المرسلين ، فقد أعذر من أنذر ، وأدى النصيحة من وعظ وبصر من عمى ، فقد سمعتم كما سمعنا ، ورأيتم كما رأينا ، وشهدتم كما شهدنا .

فقام إليه عبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل فقالوا : يا أُبيّ أصابك خبل ؟ أم بك جنة ؟ فقال : بل الخبل فيكم ، والله كنت عند رسول الله (ص) يوماً فألفيته يكلِّم رجلاً أسمع كلامه ولا أرى شخصه ، فقال فيما يخاطبه : ما أنصحه لك ولامتك ! وأعلمه بسنتك ! فقال رسول الله (ص) : أفترى أُمتي تنقاد له من بعدي ؟ قال : يا محمّد يتبعه من امتك أبرارها ، ويخالف عليـه من امتك فجارها ، وكذلك أوصياء النبيين من قبلك ، يا محمّد إنّ موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون ، وكان أعلم بني إسرائيل وأخوفهم لله ، وأطوعهم له ، فأمره الله عز وجل أن يتخذه وصيّاً كما اتخذت عليّاً وصيّاً ، وكما امرت بذلك ، فحسده بنو إسرائيل ، سبط موسى خاصة ، فلعنوه وشتموه وعنفوه ووضعوا له ، فإن أخذت امتك سنن بني إسرائيل كذَّبوا وصيَّك ، وجحدوا إمرته ، وابتزوا خلافته ، وغالطوه في علمه .

فقلت : يا رسول الله من هذا ؟ فقال رسول الله (ص) : « هذا ملك من ملائكة ربِّي عز وجل ، ينبئني أنَّ امتي تتخلَّف على وصيِّي عليِّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وإنِّي اوصيك يا أُبَيّ بوصية إن حفظتها لم تزل بخير ، يا أُبَيّ عليك بعلي ، فإنّه الهادي المهدي ، الناصح لامتي ، المحيي لسنتي ، وهو إمامكم بعدي ، فمن رضي بذلك لقيني على ما فارقته عليه ، يا أُبَيّ ومن غيّر

---

(١) جده : عظمته
(٢) آل عمران ١٠٥
(٣) هود ١١٨ .
(٤) أي برجوعكم القهقرى .
(٥) اكتعين : كلكم .

أو بدَّل لقيني ناكثاً لبيعتي ، عاصياً أمري ، جاحداً لنبوّتي ، لا أشفع له عند ربِّي ، ولا أسقيه من حوضي » .

فقامت إليه رجال من الأنصار فقالوا : « أقعد رحمك الله يا أُبَيّ ، فقد أدَّيت ما سمعت الذي معك ووفيت بعهدك » .

* * *

إحتجاج أمير المؤمنين (ع) على أبي بكر لما كان يعتذر إليه من بيعة الناس له ويظهر الإنبساط له .

عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه (ع) ، قال : لما كان من أمر أبي بكر وبيعة الناس له وفعلهم بعلي ، لم يزل أبو بكر يظهر له الإنبساط ويرى منه الإنقباض فكبر ذلك على أبي بكر ، وأحب لقاءه واستخراج ما عنده والمعذرة إليه مما اجتمع الناس عليه ، وتقليدهم إياه أمر الأُمَّة وقلَّة رغبته في ذلك وزهده فيه .

أتاه في وقت غفلة وطلب منه الخلوة ، فقال : يا أبا الحسن والله ما كان هذا الأمر عن مواطاة منِّي ولا رغبة فيما وقعت عليه ولا حرص عليه ، ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الأُمَّة ، ولا قوة لي بمال ولا كثرة لعشيرة ، ولا استيثار به دون غيري فما لك تضمر عليَّ ما لم أستحقه منك ، وتظهر لي الكراهة لما صرت فيه وتنظر إليَّ بعين الشنآن ؟

قال : فقال أمير المؤمنين (ع) : فما حملك عليه إذ لم ترغب فيه ولا حرصت عليه ولا وثقت بنفسك في القيام به ؟!!

قال : فقال أبو بكر : حديث سمعته من رسول الله (ص) : « إنَّ الله لا يجمع أُمَّتي على ضلال » ولما رأيت إجماعهم اتبعت قول النبي (ص) ، وأحلت أن يكون إجماعهم على خلاف الهدى من ضلال ، فأعطيتهم قود الإجابة ، ولو علمت أنَّ أحداً يتخلف لامتنعت .

فقال علي (ع) : أما ما ذكرت من قول النبي (ص) : « إنَّ الله لا يجمع أُمَّتي على ضلال » فكنت من الأُمَّة أم لم أكن ؟ قال : بلى .

قال : وكذلك العصابة الممتنعة عنك : من سلمان ، وعمار، وأبي ذرّ ، والمقداد ، وابن عبادة ومن معه من الأنصار؟ قال : كل من الأُمَّة .

قال علي (ع) : فكيف تحتج بحديث النبي وأمثال هؤلاء قد تخلَّفوا عنك ؟! وليس للأُمَّة فيهم طعن ولا في صحبة الرسول لصحبته منهم تقصير ، قال : ما علمت بتخلفهم إلا بعد إبرام الأمر ، وخفت إن قعدت عن الأمر أن يرجع الناس مرتدين عن الدين ، وكان ممارستهم إليَّ إن أجبتهم أهون مؤنة على الدين وإبقاء له من ضرب الناس بعضهم ببعض فيرجعون كفاراً ،

وعلمت أنَّك لست بدوني في الإبقاء عليهم وعلى أديانهم .

فقال علي (ع): أجل ولكن أخبروني عن الذي يستحق هذا الأمر بما يستحقه ؟

فقال أبو بكر : بالنصيحة ، والوفاء ، ودفع المداهنة ، وحسن السيرة ، وإظهار العدل ، والعلم بالكتاب والسنة ، وفصل الخطاب ، مع الزهد في الدنيا ، وقلَّة الرغبة فيها ، وانتصاف المظلوم من الظالم للقريب والبعيد ، ثم سكت .

فقال علي (ع) : والسابقة ، والقرابة .

فقال أبو بكر : والسابقة والقرابة .

فقال علي (ع): أُنشدك بالله يا أبا بكر أفي نفسك تجد هذه الخصال أو فيّ ؟ فقال أبو بكر : بل فيك يا أبا الحسن .

قال : فأُنشدك بالله أنا المجيب لرسول الله (ص) قبل ذكران المسلمين أم أنت ؟ قال : بل أنت[١] .

قال (ع) : فأُنشدك بالله ، أنا صاحب الأذان لأهل الموسم والجمع الأعظم للأُمَّة بسورة براءة أم أنت ؟ قال : بل أنت[٢] .

---

(١) في « ذخائر العقبى » عن زيد بن أرقم قال : « كان أول من أسلم علي بن أبي طالب » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « علي أول من أسلم بعد خديجة » .

وذكر الحجة الأميني في ج٣ من كتاب الغدير ص ٢١٩ مائة حديث من طرق مختلفة ، رواها أئمة الحديث وحفاظه ، في أنَّ عليّاً أول من أسلم .

وروى محب الدين الطبري في « ذخائر العقبى » عن عمر بن الخطاب قال : « كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة ، إذ ضرب رسول الله (ص) منكب علي بن أبي طالب فقال : « يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً ، وأنت أول المسلمين إسلاماً ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى » وبعد أن نقل عدَّة روايات في الموضوع عقَّبها بقوله :

وقد وردت أحاديث في أنَّ أبا بكر أول من أسلم وهي محمولة على أنَّه أول من أظهر إسلامه ، وعلي (ع) أول من بدر إلى الإسلام . ذخائر العقبى ص ٥٨ .

(٢) عن أبي سعيد وأبي هريرة قال : بعث رسول الله (ص) أبا بكر على الحج فلما بلغ ضجنان ، سمع بغام ناقة علي ، فعرفه فأتاه ، فقال : ما شأنك ؟ فقال : خيراً ، إنَّ رسول الله (ص) بعثني ببراءة .

فلما رجعا ، انطلق أبو بكر إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله ما لي ؟ قال : خيراً أنت صاحبي في الغار ، غير أنَّه لا يبلِّغ عني غيري أو رجل مني يعني عليّاً أخرجه أبو حاتم .

وفي رواية عنده من حديث جابر : إنَّ أبا بكر قال له : أمير أم رسول ؟ فقال : بل رسول ، أرسلني رسول الله (ص) ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج .

وفي رواية من حديث أحمد عن علي إنَّ النبي (ص) لما راجعه أبو بكر قال له : « جبريل جائني فقال : لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك »/ ذخائر العقبى ص ٩٦ .

=

قال : فانشدك بالله أنا وقيت رسول الله (ص) بنفسي يوم الغار أم أنت ؟ قال : بل أنت[١] .

قال : فأُنشدك بالله أنا المولى لك ولكلِّ مسلم بحديث النبي (ص) يوم الغدير أم أنت ؟ قال : بل أنت[٢] .

= وذكر الشيخ الأميني في ج٦ من الغدير ص ٣٣٨ (٧٣) مصدراً قدم لها بقوله :

« هذه الأثارة أخرجها كثير من أئمة الحديث وحفاظه بعده طرق صحيحة يتأتى التواتر بأقل منها عند جمع من القوم ، وإليك أُمَّة ممن أخرجها . . . الخ » ويقول الشيعة : إنَّ حصر التبليغ في النبي (ص) أو علي (ع) من قبل السماء دليل واضح على حصر الإمامة في علي بعد النبي (ص) كما أنَّ عزل أبي بكر هو الآخر دليل صريح على عدم صلاحيته لخلافة النبي (ص) والتبليغ عنه فلما منعه الوحي عن الهيمنة على جزءٍ من الشريعة امتنع بالأولى من الهيمنة على الشريعة كلها بالقطع واليقين .

(١) وذلك أنَّ رسول الله (ص) لما أراد الهجرة خلف عليَّ بن أبي طالب (ع) بمكة لقضاء ديونه ورد الودايع التي كانت عنده ، وأمره ليلة خرج إلى الغار ـ وقد أحاط المشركون بالدار ـ أن ينام على فراشه ، وقال له : (إتشح ببردي الحضرمي الأخضر ، فإنَّه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله تعالى) ففعل ذلك فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائل (ع) : إني آخيت بينكما ، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر ، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختارا كلاهما الحياة ، فأوحى الله عزَّ وجل إليهما : أفلا كنتما مثل عليِّ بن أبي طالب ، آخيت بينه وبين نبيّ محمد (ص) فبات على فراشه ، يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة ، اهبطا إلى الأرض ، فاحفظاه من عدوه ، فنزلا فكان جبرئيل عند رأس علي وميكائيل عند رجليه ، وجبريل ينادي : بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله عز وجل به الملائكة ؟!! فأنزل الله عز وجل إلى رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي :« ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله » اسد الغابة ج٤ ص٩٥ .

(٢) مر في ص٦٦ من هذا الكتاب حديث الغدير كما اشير في الهامش إلى ما ذكره الحجة الأميني في الجزء الأول من (كتاب الغدير) من عدد رواته من الصحابة والتابعين ومن أئمة الحديث وحفاظه والأساتذة وما استعرضه من أسماء من ألَّفوا فيه من الفريقين كتباً مستقلة فبلغ عددهم (٣٦) مؤلفاً .

وبالمناسبة احببنا ذكر ما نقله صاحب ينابيع المودة في ص ٢٦ منه إذ قال : حكى العلامة عليّ بن موسى وعلي بن محمد أبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين استاذ أبي حامد الغزالي يتعجب ويقول : رأيت مجلداً في بغداد في يد صحاف فيه روايات خبر غدير خم مكتوباً عليه المجلدة الثامنة والعشرون من طرق قوله (ص) من كنت مولاه فعليّ مولاه ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون .

وفي واقعة الغدير هذه يقول حسان بن ثابت ـ بعد أن استأذن النبي (ص) فأذن له ـ:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم وأسمع بالنبي مناديا
وقد جاء جبرائيل عن أمر ربه ... بأنك معصوم فلا تك وانيا
وبلّغهم ما أنزل الله ربهم ... إليك ولا تخش هناك الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفه ... بكف علي معلن الصوت عاليا
فقال : فمن مولاكم ووليكم ؟ ... فقالوا ولم يبدو هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا ... ولن تجدن فينا لك اليوم عاصيا
فقال له : قم يا علي فانني ... رضيتك من بعدي اماماً وهاديا
(فمن كنت مولاه فهذا وليه) ... فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا : اللهم وال وليّه ... وكن للذي عادى عليّاً معاديا
فيا رب انصر ناصريه لنصرهم ... إمام هدىً كالبدو يجلو الدياجيا

=

ويقول ـ مشيراً إليها ـ قيس بن سعد بن عبادة :

قال : فانشدك بالله ألي الولاية من الله مع رسوله في آية الزكاة بالخاتم[١] أم لك ؟ قال : بل لك .

قال : فانشدك بالله ألي الوزارة مع رسول الله (ص) والمثل من هارون من موسى أم لك ؟ قال : بل لك[٢].

قال : فانشدك بالله أبي برز رسول الله (ص) وبأهلي وولدي في مباهلة المشركين أم بك

=

وعليٌّ إمامنا وإمام لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي : من كنت مولاه فهذا خطب جليل
إنما قاله النبي على الامة حتم ما فيه قال وقيل

(١) عن أنس بن مالك : إنَّ سائلاً أتى المسجد وهو يقول : (من يقرض الملي الوفي) وعلي عليه السلام راكع ، يقول بيده خلفه للسائل أي اخلع الخاتم من يدي قال رسول الله (ص) : يا عمر وجبت . قال : بأبي أنت وامي يا رسول الله ما وجبت ؟ قال : وجبت له الجنة والله وما خلعه من يده حتى خلعه الله من كل ذنب ومن كل خطيئة قال : فما خرج أحد من المسجد حتى نزل جبرئيل بقوله عز وجل : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » .

وذكر الأميني في ج٣ من الغدير ص(١٥٦ - ١٦٢) ٦٦ طريقاً ممن رواه من الحفاظ والثقاة من الرواة .

ولحسان بن ثابت :

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي وكل بطيء في الهدى ومسارع
أيذهب مدحي والمحبين ضايعاً وما المدح في ذات الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راكع فدتك نفوس القوم يا خير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيد ويا خير شار ثم يا خير بايع
فأنزل فيك الله خير ولاية وبيَّنها في محكمات الشرايع

(٢) إنَّ قول النبي (ص) لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى قد تكرر منه (ص) في مناسبات شتى ، ففي حديث تبوك عندما قال علي (ع): يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان ؟! قال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنَّه لا نبي بعدي . راجع الصواعق المحرقة ص ١١٩ .

وحين آخى النبي (ص) بين أصحابه ، فقال علي (ع): آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال : والذي بعثني بالحق نبيّاً ما أخرتك إلا لنفسي فأنت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنَّه لا نبي بعدي . ينابيع المودة ص ٥٦ .

وعن عبد الله بن عباس ، سمعت عمر وعنده جماعة فتذاكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر : أمّا علي فسمعت رسول الله (ص) يقول فيه ثلاث خصال لوددت أن تكون لي واحدة منهن ، وكانت أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس ، كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه ، إذ ضرب (ص) على منكب علي رضي الله عنه فقال له يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً ، وأول المسلمين إسلاماً ، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج٣ ص٢٥٨.

وعن سعد بن أبي وقاص : إنَّ النبي (ص) قال لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لا نبي بعدي » أخرجه البخاري ومسلم . ذخائر العقبى ص ٦٣ .

وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول : « اللهم إنِّي أقول كما قال أخي موسى واجعل لي وزيراً من أهلي أخي عليّاً اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنَّك كنت بنا بصيراً » أخرجه أحمد في المناقب . كما في ذخائر العقبى ص ٦٣ إلى غير ذلك من المواطن المتعددة .

وبأهلك وولدك ؟ قال : بل بكم[١] .

قال فأُنشدك بالله ألي ولأهلي وولدي آية التطهير من الرجس ام لك ولأهل بيتك ؟ قال : بل لك ولأهل بيتك[٢] .

قال فانشدك بالله أنا صاحب دعوة رسول الله (ص) وأهلي وولدي يوم الكساء « اللهم هؤلاء أهلي إليك لا إلى النار » أم أنت ؟ قال : بل أنت وأهلك وولدك[٣] .

قال : فانشدك بالله أنا صاحب آية : **﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾** أم أنت ؟ قال : بل أنت[٤] .

---

(١) وقد رويت هذه القصة على وجوه عن جماعة من التابعين وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال . قدم على النبي (ص) العاقب والسيد ، فدعاهما إلى الإسلام ، فقالا : أسلمنا يا محمد فقال : كذبتما إن شئتما أخبرتكما ما يمنعكما من الإسلام قالا: فهات ؟ قال : حب الصليب ، وشرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير .

قال جابر : فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على الغد فغدا رسول الله (ص) وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيباه وأقرّا له ، فقال : والذي بعثني بالحق لو فعلا لأُمطر الوادي عليهما ناراً . قال جابر : فيهم نزلت **﴿تعالوا ندع أبنائنا﴾** الآية قال جابر : « أنفسنا وأنفسكم » رسول الله (ص) وعلي و « أبناءنا» الحسن والحسين ، و« نساءنا» فاطمة ورواه أيضاً الحاكم من وجه آخر عن جابر وصححه واخرج مسلم ، والترمذي ، وابن منذر ، والحاكم ، والبيهقي ، عن سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية **﴿قل تعالوا﴾** دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : « اللهم هؤلاء أهلي » .

عن الفتح القدير للشوكاني في تفسير قوله تعالى : **﴿تعالوا ندع﴾**

(٢) أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري أنَّها نزلت في خمسة : النبي (ص) وعلي وفاطمة ، والحسن ، والحسين .

وأخرجه ابن جرير مرفوعاً بلفظ : انزلت هذه الآية في خمسة : فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة . وأخرجه الطبراني أيضاً. راجع الصواعق المحرقة « لابن حجر » : ص١٤١ .

وفي ينابيع المودة ص«١٠٧» : حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا محمد بن سليمان الإصبهاني عن يحيى بن عبيد عن عطا عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي (ص) قال : نزلت **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾** في بيت ام سلمة ، فدعى النبي (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فجللهم بكساء ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » ، قالت ام سلمة : « وانا معهم يا نبي الله ؟» قال : « أنت على مكانك وأنت إلى خير» .

وفي ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري ص٢٢ : عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله (ص) كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول : « الصلاة يا أهل بيتي ـ إنّما يريد الله ـ الآية . أخرجه أحمد .

وعن أبي الحمراء قال صحبت رسول الله (ص) تسعة أشهر فكان إذا أصبح أتى على باب علي وفاطمة وهو يقول : (يرحمكم الله ـ إنما يريد الله ـ الآية) . أخرجه عبد بن حميد .

(٣) عن ام سلمة قالت : بينما رسول الله (ص) في بيته يوماً إذ قالت الخادم : (إنَّ علياً وفاطمة بالسدة) قالت : فقال لي : (قومي فتنحي عن أهل بيتي) ، قالت : فقمت فتنحيت في البيت قريباً ، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران ، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره وقبلهما واعتنق بإحدى يديه علياً وفاطمة بالاخرى ، وقبّل فاطمة وقبل علياً ، فأغدق خميصة سوداء ، ثم قال : (اللهم ـ إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي) قالت : وأنا يا رسول الله صلَّى الله عليك ؟ قال وأنت . أخرجه أحمد وخرج الدولابي معناه مختصراً. عن ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري ص ٢١ ـ ٢٢ .

(٤) ينابيع المودة ص ٩٣ قال :

=

قال : فانشدك بالله أنت الذي ردت عليه الشمس لوقت صلاته فصلاها ثم توارت أم أنا ؟
قال : بل أنت[١] .

قال فانشدك بالله أنت الفتى نودي من السماء : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتىً إلا علي » أم أنا ، قال : بل أنت[٢] .

= أيضاً الحمويني أخرجه عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ قال : مرض الحسن والحسين رضي الله عنهما فعادهما جدهما (ص) وعادهما بعض الصحابة ، فقالوا : (يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك) فقال علي رضي الله عنه : ان برأ ولداي مما بهما ، صمت لله ثلاثة أيام شكراً لله ، وقالت فاطمة رضي الله عنها مثل ذلك ، وقالت جارية يقال لها فضة مثل ذلك ، وقال الصبيان نحن نصوم ثلاثة أيام فألبسهما الله العافية ، وليس عندهم قليل ولا كثير ، فانطلق علي رضي الله عنه إلى رجل من اليهود يقال له : (شمعون بن حابا) فقال له : (هل تؤتيني جزة من صوف تغزلها لك بنت محمد (ص) بثلاثة أصواع من شعير) قال : نعم . فأعطاه ، ثم قامت فاطمة رضي الله عنها إلى صاع فطحنته واختبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرص وصلّى عليّ رضي الله عنه مع النبي (ص) المغرب ، ثم أتى فوضع الطعام بين يديه ، إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد (ص) أنا مسكين أطعموني شيئاً فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح . وفي الليلة الثانية أتاهم يتيم فقال : أطعموني فأعطوه الطعام ، وفي الليلة الثالثة أتاهم أسير فقال : أطعموني فأعطوه ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح ، فلما أن كان في اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم ، أخذ علي بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين رضي الله عنهم ، وأقبل نحو رسول الله (ص) وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع ، فلما أبصرهم (ص) انطلق إلى ابنته فاطمة رضي الله عنها فانطلقوا إليها وهي في محرابها تصلي وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع ، وغارت عيناها ـ فلما رآها رسول الله (ص) قال : (واغوثاه أهل بيت محمد يموتون جوعاً) فهبط جبرئيل عليه السلام فأقرأه : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » إلى آخر السورة وهذا الخبر مذكور في تفسير البيضاوي ، وروح البيان ، والمسامرة .

أقول : وذكر الحجة الأميني في ج٣ من الغدير ص ١٠٧ ـ ١١١ من رواة هذا الحديث (٣٤) طريقاً فراجع .

(١) جاء في ينابيع المودة ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

وفي كتاب الإرشاد أنَّ أُم سلمة وأسماء بنت عميس وجابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدري وغيرهم من جماعة الصحابة (رض) قالوا : إنَّ رسول الله (ص) كان في المنزل فلما تغشاه الوحي توسَّد فخذ علي فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس ، وصلّى عليّ صلاة العصر بالإيماء ، فلما أفاق النبي (ص) قال : (اللهم اردد الشمس لعلي) فردت عليه الشمس حتى صارت في السماء وقت العصر ، فصلّى عليّ العصر ، ثم غربت .

فأنشأ حسان بن ثابت :

يا قوم من مثل عليٍّ وقد	ردت عليه الشمس من غائب
أخو رسول الله وصهره	والأخ لا يعدل بالصاحب

قال الحجة الأميني : في ج٣ من الغدير ص (١٢٧) :

إنَّ حديث رد الشمس أخرجه جمع من الحفاظ الأثبات ، بأسانيد جمة ، صحح جمع من مهرة الفن بعضها ، وحكم آخرون بحسن آخر ، وشدد جمع منهم النكير على من غمز فيه وضعفه ، وهم الأبناء الأربعة حملة الروح الأموية الخبيثة ألا وهم : ابن حزم ابن الجوزي ابن تيمية ابن كثير . وجاء آخرون من الأعلام وقد عظم عليهم الخطب بإنكار هذه المأثرة النبوية ، والمكرمة العلوية الثابتة فأفردوها بالتأليف وجمعوا فيه طرقها وأسانيدها ، وعدَّ منهم (٩) ثم قال : ولا يسعنا ذكر تلكم المتون وتلكم الطرق والأسانيد إذ يحتاج إلى تأليف ضخم يخص به ، غير أنا نذكر نماذج ممن أخرجه من الحفاظ والأعلام بين من ذكره من غير غمز فيه ، وبين من تكلَّم حوله وصححه ، وفيها مقنع وكفاية وعد من ذلك (١٩) سنداً فراجع .

(٢) وذلك في غزوة «أحد» ذكر الطبري في ج ١٧/٣ عن عبيد الله بن أبي رافع قال: لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية=

قال: فأُنشدك بالله أنت الذي حباك رسول الله (ص) برايته يوم خيبر، ففتح الله له أم أنا؟ قال: بل أنت[١].

قال: فأُنشدك بالله أنت الذي نفَّست عن رسول الله وعن المسلمين بقتل عمرو بن عبدود أم أنا؟ قال: بل أنت[٢].

= أبصر رسول الله (ص) جماعة من مشركي قريش فقال لعلي «احمل عليهم» فحمل عليهم ففرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي قال: ثم أبصر رسول الله (ص) جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم، فحمل عليهم، ففرق جماعتهم، وقتل شيبة ابن مالك أحد بني عامر بن لؤي فقال جبريل: يا رسول الله إنَّ هذا للمواسات. فقال رسول الله (ص) إنَّه مني وأنا منه فقال جبريل: وأنا منكما قال: فسمعوا صوتاً

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتىً إلا علي

واخرج ابن هشام في سيرته ج٣/ ص٥٢ عن إبن أبي نجيح: قال نادى منادٍ من السماء:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

قال حسان بن ثابت:

جبريل نادى معلناً والنقع ليس بمنجلي
والمسلمون قد احدقوا حول النبي المرسل
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

راجع سنن البيهقي ٣/٢٧٦ والمستدرك ٢/٣٨٥ ومناقب الخوارزمي ص١٠٣ والرياض النضرة ٢/١٩٠ وذخائر العقبى ٧٤ وكفاية الطالب ٢٧٧ وميزان الاعتدال ٢/٣١٧ وشرح النهج لإبن أبي الحديد ٣/٣٨٠ ومناقب ابن المغازلي ص ١٩٧ فما بعدها وغير ذلك من كتب التاريخ والفضائل.

(١) عن سهل بن سعيد إنَّ رسول الله (ص) قال: لأعطين غداً الراية رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطى، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (ص) كلهم يرجو أن يعطاها فقال (ص)أين علي ابن أبي طالب فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله (ص) قال: فأرسلوا إليه؛ فلما جاء بصق (ص) في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع وأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم. أخرجه البخاري ومسلم، راجع ذخائر العقبى ص ٧٢ وطبقات ابن سعد ٢/١١١ ومسند ابن حنبل ٤/٥٢ ومستدرك الحاكم ٣/٣٨ وسنن البيهقي ٩/١٣١ ومناقب ابن المغازلي ص ١٧٨ ومسند أبي داود ص ٢٦ والحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام ٢/١٩٣ والنسائي في الخصائص ص ٧ وابن حجر في تهذيب التهذيب ٧/٤٨٠ ومجمع الزوائد ٩/١٢٤ وسيرة ابن هشام ٢/٣٣٤ وكفاية الطالب ٩٨ وغير ذلك من كتب التاريخ والفضائل.

(٢) وكان عمرو بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم احد، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه وقف هو وخيله قال من يبارز، فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو إنَّك قد كنت عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى احدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل. قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإنِّي أدعوك إلى النزال فقال له: لِمَ يَا ابن أخي؟ فوالله ما احب أن أقتلك. قال له علي: ولكنِّي والله احب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك، فأقحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت ربَّ محمد بصوابي
فصدرت حين تركته متجدلا كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني كنت المقنطر بزَّني أثوابي
لا تحسبنَّ الله خاذل دينه ونبيِّه يا معشر الأحزاب

=

قال: فأُنشدك بالله أنت الذي ائتمنك رسول الله (ص) على رسالته إلى الجن فأجابت أم أنا؟ قال: بل أنت(١).

قال: فأُنشدك بالله أنا الذي طهَّره الله من السِّفاح من لدن آدم إلى أبيه بقول رسول الله (ص): «خرجت أنا وأنت من نكاح لا من سفاح (٢) من لدن آدم إلى عبد المطلب» أم أنت؟ قال: بل أنت.

= ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج أنَّ النبي (ص) قال: «ضربة عليّ يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين» وأخرج الحاكم في المستدرك ٣٢/٣ عنه (ص) «لمبارزة عليّ بن أبي طالب لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من أعمال أُمتي إلى يوم القيامة» ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣ / ١٩ والرازي في تفسير سورة القدر.

(١) في ج ٦ من بحار الأنوار ص ٣١٥ عن عيون المعجزات من كتاب الأنوار مسنداً عن سلمان قال: كان النبي (ص) ذات يوم جالساً بالأبطح وعنده جماعة من أصحابه وهو مقبل علينا بالحديث، إذ نظرنا إلى زوبعة قد ارتفعت فأثارت الغبار، وما زالت تدنو والغبار يعلو إلى أن وقفت بحذاء النبي (ص) ثم برز منها شخص كان فيها، ثم قال: يا رسول الله (ص) إنّي وافد قوم وقد استجرنا بك فأجرنا، وابعث معي من قبلك من يشرف على قومنا فإنَّ بعضهم قد بغى علينا، ليحكم بيننا وبينهم بحكم الله وكتابه، وخذ عليَّ العهود والمواثيق المؤكدة أن أرده إليك في غداة غد سالماً إلا أن تحدث عليَّ حادثة من عند الله، فقال النبي (ص): من أنت ومن قومك؟ قال: أنا عطرفة بن شمراخ أحد بني نجاح، وأنا وجماعة من أهلي كنا نسترق السمع فلما منعنا من ذلك آمنا ولما بعثك الله نبيّاً آمنا بك، وعلى ما علمته وقد صدَّقناك وقد خالفنا بعض القوم، وأقاموا على ما كانوا عليه فوقع بيننا الخلاف، وهم أكثر منا عدداً وقوة، وقد غلبوا على الماء والمرعى، وأضروا بنا وبدوابنا، فابعث معي من يحكم بيننا بالحق، فقال له النبي (ص): فاكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتك التي أنت عليها، قال: فكشف لنا عن صورته فنظرنا فإذا شخص عليه شعر كثير، وإذا رأسه طويل، طويل العينين، عيناه في طول رأسه، صغير الحدقتين، وله أسنان كأنها أسنان السباع، ثم أنَّ النبي (ص) أخذ عليه العهد والميثاق على أن يرد عليه في غد من يبعث به معه، فلما فرغ من ذلك التفت إلى أبي بكر فقال: سر مع أخينا عطرفة وانظر إلى ما هم عليه، واحكم بينهم بالحق، فقال: يا رسول الله وأين هم؟ قال: هم تحت الأرض، فقال أبو بكر وكيف اطيق النزول تحت الأرض؟ وكيف أحكم بينهم ولا احسن كلامهم؟ ثم التفت إلى عمر بن الخطاب فقال له مثل قوله لأبي بكر، فأجاب مثل جواب أبي بكر. ثم أقبل على عثمان وقال له مثل قولهما فأجابه كجوابهما. ثم استدعى عليّاً وقال له: يا علي سر مع أخينا عطرفة، وتشرف على قومه، وتنظر إلى ما هم عليه وتحكم بينهم بالحق فقام أمير المؤمنين مع عطرفة وقد تقلد سيفه، قال سلمان: فتبعتهما إلى أن صارا إلى الوادي فلما توسطاه نظر إليَّ أمير المؤمنين (ع) وقال: قد شكر الله تعالى سعيك يا أبا عبد الله فارجع، فوقفت أنظر إليهما، فانشقت الأرض ودخلا فيها ورجعت، وتداخلني من الحسرة ما الله أعلم به كل ذلك إشفاقاً على أمير المؤمنين وأصبح النبي (ص) وصلّى بالناس الغداة وجاء وجلس على الصفا وما زال يحدِّث أصحابه، إلى أن وجبت صلاة العصر وأكثر القوم الكلام، وأظهروا اليأس من أمير المؤمنين (ع) فصلّى النبي (ص) صلاة العصر وجاء وجلس على الصفا، وأظهر الفكر في أمير المؤمنين (ع) وظهرت شماتة المنافقين بأمير المؤمنين (ع) وكادت الشمس تغرب، فتيقَّن القوم أنَّه قد هلك وإذا قد انشق الصفا، وطلع أمير المؤمنين (ع) منه وسيفه يقطر دماً، ومعه عطرفة، فقام إليه النبي وقبّل بين عينيه وجبينه، وقال له: ما الذي حبسك عني إلى هذا الوقت؟ فقال (ع) صرت إلى جن كثير قد بغوا على عطرفة وقومه من المنافقين، فدعوتهم إلى ثلاث خصال فأبوا عليَّ، وذلك أنّي دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى والإقرار بنبوتك ورسالتك «فأبوا» فدعوتهم إلى أداء الجزية فأبوا، فسألتهم أن يصالحوا عطرفة وقومه فيكون بعض المرعى لعطرفة وقومه وكذلك الماء فأبوا ذلك كلَّه، فوضعت سيفي فيهم وقتلت منهم ثمانين ألفاً، فلما نظروا إلى ما حلَّ بهم طلبوا الأمان والصلح ثم آمنوا وزال الخلاف بينهم، وما زلت معهم إلى الساعة. فقال عطرفة: يا رسول الله جزاك الله وأمير المؤمنين عنا خيراً.

(٢) ينابيع المودة ص ١٦ قال «وفي الشفاء وروي عن علي كرّم الله وجهه عنه (ص) في قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ قال: نسباً وصهراً وحسباً، ليس في آبائي من لدن آدم (ع) سفاح كلنا بنكاح».

وفي كنز العمال ج ٦ ص ١٠٠ الحديث ١٤٩٤. عن النبي (ص) قال في حديث له رواه البيهقي في الدلائل عن أنس: «وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً». والحديث ١٤٩٥ منه أيضاً عن عائشة عنه (ص): «خرجت من نكاح غير سفاح». والحديث ١٤٩٧ عن ابن عباس عنه (ص): «خرجت من لدن آدم من =

قال: فأُنشدك بالله أنا الذي اختارني رسول الله وزوجني ابنته فاطمة (ع)، وقال: «الله زوجك إياها في السماء» أم أنت؟ قال: بل أنت[١].

قال: فأُنشدك بالله أنا والد الحسن والحسين سبطيه وريحانتيه إذ يقول: «هما سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما» أم أنت؟ قال: بل أنت[٢].

قال فأُنشدك بالله أخوك المزين بالجناحين يطير في الجنة مع الملائكة أم أخي؟ قال: بل أخوك [٣].

= نكاح غير سفاح». والحديث ١٤٩٨ في ص ١٠١ منه عن علي (ع): «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وامي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»

وفي ص ١٦ من ينابيع المودة: وفي جمع الفوائد: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي - للأوسط.»..

ابن عباس: «ما ولدني في سفاح الجاهلية شيء وما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام - للكبير». وهذا أمر مفروغ منه عند الشيعة الإمامية فهو شرط عندهم في النبي والإمام أيضاًبل إنهم يشترطون في المرجع الديني في زمن غيبة الإمام أن لا يكون مولوداً من الزنا.

(١) مناقب الخوارزمي ص ٢٣٤ بسنده عن البيهقي والحموبني في فرائد السمطين ١/٩٠ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٩/٤٧٩ وينابيع المودة ص ١٧٥ عن أنس قال: كنت عند النبي (ص) فغشيه الوحي فلما أفاق قال: يا أنس أتدري بما جاءني به جبريل من عند صاحب العرش عز وجل، قلت: بأبي وأمي بما جاءك جبرئيل؟ قال: قال جبرئيل: إنَّ الله يأمرك أن تزوِّج فاطمة بعلي، فانطلق فادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ونفراً من الأنصار، قال: فانطلقت فدعوتهم فلما أن أخذوا مقاعدهم قال رسول الله (ص): الحمد لله المحمود بنعمته.. وذكر الخطبة المشتملة على التزويج وفي آخرها: فجمع الله شملهما، وأطاب نسلهما، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة، ومعادن الحكمة، وأمن الأمة ثم حضر علي وكان غائباً، فتبسَّم رسول الله (ص) وقال: يا علي إنَّ الله أمرني أن أزوجك فاطمة (ع) وإنِّي قد زوجتكها على أربعمائة مثقال فضة، فقال علي قد رضيتها يا رسول الله (ص) ثم أنَّ علياً خرَّ لله ساجداً شاكراً، فلما رفع رأسه قال له رسول الله (ص): بارك الله لكما، وبارك فيكما، وأسعد جدكما، وأخرج منكما الكثير الطيِّب قال أنس: والله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيِّب. أخرجه أبو علي الحسن بن شاذان فيما نقله عنه الحافظ جمال الدين الزرندي في نظم درر السمطين وقد أورده المحب الطبري في ذخائره وأخرجه أبو الخير القزويني الحاكمي. وحديث زواج علي بفاطمة بأمر من السماء مما أجمع عليه المسلمون وأخرج أحاديثه الحفاظ الثقات وذكروا أنَّ الله سبحانه زوجه إياها من فوق سبع سماوات وكان الخاطب لها جبرئيل وكان ميكائيل وإسرافيل في سبعين ألفاً من الملائكة من شهودها، وأنَّ الله سبحانه أوحى إلى شجرة طوبى فنثرت ما فيها من الدر والجوهر وأمر الحور العين فلقطن فهنَّ يتهادين بينهنَّ إلى يوم القيامة راجع مناقب الخوارزمي ٢٣٥ وكفاية الطالب للكنجي ٣٠١ وتاريخ بغداد ٢/٢١٠ وابن الأثير في اسد الغابة ١/٢٠٦ ونزهة المجالس للصفوري ٢/٢٢٣ وابن المغازلي في المناقب ٣٤١ - ٣٤٤ الى غير ذلك من كتب التاريخ والمناقب.

(٢) ابن ماجة عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله (ص): «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما».

(وفي الإصابة) مالك بن الحويرث الليثي قال: قال رسول الله (ص): «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما». وأخرج ابن عساكر عن عليّ، وعن ابن عمر؛ وابن ماجة والحاكم عن ابن عمر؛ والطبراني عن قرة، وعن مالك بن الحويرث والحاكم عن ابن مسعود:

أنَّ النبي (ص) قال: إبناي هذان: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما». راجع الترمذي ٢/ومسند بن حنبل ٣/٣ و ٨٢/٦٢ وحلية الأولياء ٥/٧١ وتاريخ بغداد ٩/٢٣١ و ٢٣٢ و ١٠/٩٠ والينابيع ١٦٦ والصواعق المحرقة ص ١٨٩ وابن ماجة باب فضائل أصحاب رسول الله (ص) والمستدرك ٣/١٦٧ وكنز العمال ٦/٢١٧ الى كثير من المصادر والحديث أشهر من أن يحتاج إلى إشارة لمصادره.

(٣) هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، كنيته أبو عبد الله، ابن عم الرسول، وأخو علي بن أبي=

قال فأُنشدك بالله أنا ضمنت دَين رسول الله وناديت في المواسم بإنجاز موعده أم أنت؟ قال: بل أنت[1].

قال: فأُنشدك بالله أنا الذي دعاه رسول الله (ص) والطَّير عنده يريد أكله يقول: «اللهم إيتني بأحبِّ خلقك إليَّ وإليك بعدي يأكل معي من هذا الطير» فلم يأته غيري أم أنت؟ قال: بل أنت[2].

=طالب لأبويه، أسلم قديماً بعد إسلام أخيه علي بن أبي طالب بقليل.

هاجر الهجرتين إلى أرض الحبشة ـ في الهجرة الثانية، مع زوجته أسماء بنت عميس ـ فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه، وأقام جعفر عنده: ثم هاجر منها إلى المدينة قدم والنبي (ص) بخيبر. فقال النبي (ص): «ما أدري بأيهما أنا أفرح بقدوم جعفر أم بفتح خيبر».

وكان أشبه الناس برسول الله خَلقاً وخُلُقاً وقال له النبي (ص): «أشبهت خَلْقي وخُلُقي».

ومرَّ أبو طالب (ع) يوماً فرأى النبي (ص) وعليّاً (ع) يصلِّيان، وعليٌّ عن يمينه فقال لجعفر: صِلْ جناح ابن عمِّك وصلِّ عن يساره.

استشهد بمؤته في أرض الشام مقبلاً غير مدبر مجاهداً الروم في حياة النبي (ص) سنة ثمان في جمادى الأُولى. وكان أسنَّ من عليٍّ بعشرة سنين، فاستوفى أربعين سنة وزاد عليها.

عن ابن عمر قال: وجد فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه تسعين ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف.

ـ وعن أنس بن مالك: إنّ النبي (ص) نعى جعفراً وزيداً نعاهما قبل أن يجيء خبرهما نعاهما وعيناه تذرفان.

ودخل رسول الله (ص) لما أتاه نعي جعفر (ع) على امرأته أسماء بنت عميس (ع) فعزّاها فيه، ودخلت فاطمة (ع) تبكي وتقول: وا عماه! فقال رسول الله (ص) (على مثل جعفر فلتبك البواكي) ودخله همٌّ شديد حتى أتاه جبرئيل، فأخبره أنَّ الله قد جعل لجعفر جناحين مضرَّجين بالدَّم يطير بهما مع الملائكة.

وقال (ص): رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة.

وعن ابن عمر: أنَّه كان إذا سلَّم على عبد الله بن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين. راجع: الإصابة ج ١ص٢٣٩/ ٢٤٠، صفة الصفوة ج ١ ص ٢٠٥ / ٢٠٩ أسد الغابة ج ٢ ص ٢٨٦ / ٢٨٩.

(١) ينابيع المودة ص ١٠٥: وفي مسند أحمد بسنده عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي (رض) قال: لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين جمع النبي (ص) أهل بيته، فاجتمع ثلاثون نفراً فأكلوا وشربوا ثلاثاً، ثم قال لهم: من يضمن عنّي ديني ومواعيدي يكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي، فقال علي: أنا يا رسول الله (ص) أيضاً الثعلبي ذكر هذا الحديث في تفسير هذه الآية.

(٢) عن أنس بن مالك: اهدي لرسول الله (ص) طير فقال: «اللهم ائتني برجل يحبه الله ويحبه رسوله». قال أنس: فأتى عليّ فقرع الباب، فقلت: إنَّ رسول الله (ص) مشغول، وكنت أحب أن يكون رجلاً من الأنصار، ثم إنَّ عليّاً فعل مثل ذلك، ثم أتى الثالثة فقال رسول الله (ص): أدخله فقد عنيته.

وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن سفينة مولى النبي (ص) قال: أهدت امرأة من الأنصار طيرين مشويين بين رغيفين فقال النبي (ص): «اللهم ايتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك» فجاء علي فأكل معه من الطيرين حتى كفيا. راجع اسد الغابة ج ٤ ص ٣٠ وفي المستدرك ج ٣ ص ١٣٠ / ١٣١.

عن أنس بن مالك أيضاً قال: كنت أخدم رسول الله (ص) فقدم لرسول الله (ص) فرخ مشوي فقال: «اللهم ايتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» قال: فقلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء علي رضي الله عنه فقلت إنَّ رسول الله (ص) على حاجة، ثم جاء، فقلت: إنَّ رسول الله (ص) على حاجة، ثم جاء فقال رسول الله (ص) افتح فدخل فقال رسول الله (ص)=

قال فأُنشدك بالله أنا الذي بشّرني رسول الله (ص) بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، على تأويل القرآن أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال: فأُنشدك بالله أنا الذي دلَّ عليه رسول الله (ص) بعلم القضاء وفصل الخطاب بقوله: «علي أقضاكم» أم أنت؟ قال بل أنت[٢].

قال: فأُنشدك بالله أنا الذي أمر رسول الله (ص) أصحابه بالسلام عليه بالإمرة في حياته أم أنت؟

=ما حبسك يا علي؟ فقال: إنَّ هذه آخر ثلاث كرّات يردني أنس، يزعم أنَّك على حاجة، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي فقال رسول الله (ص): «إنَّ الرجل قد يحب قومه». ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١) في ج ٢ من الرياض النضرة ص ٣٢٠:

وعن ابن مسعود أنَّ رسول الله (ص) أتى أم سلمة فجاء علي فقال رسول الله (ص): «يا أم سلمة هذا قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي» وفي ج ٦ من كنز العمال ص ١٥٥ الحديث ٢٥٨٥ «إنَّ منكم من يقاتل على تأول القرآن كما قاتلت على تنزيله قيل: أبو بكر وعمر؟ قال: لا ولكنّه خاصف النعل - يعني عليّاً». وفي مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٢.

عن أبي سعيد قال: كنا مع رسول الله (ص) فانقطعت نعله فتخلّف عليٌ يخصفها فمشى قليلاً فقال: «إنَّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: «لا» قال عمر: أنا هو؟ قال: «لا» ولكن خاصف النعل - يعني عليّاً» فأتيناه فبشّرناه، فلم يرفع به رأسه، كأنَّه قد كان سمعه من رسول الله (ص) ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفيه النص ١٣٩ / ١٤٠ عن الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري (رض) قال: سمعت النبي (ص) يقول لعلي بن أبي طالب: «تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات وبالشعفات» قال أبو أيوب، قلت: يا رسول الله مع من نقاتل هؤلاء الأقوام؟ قال: مع عليِّ بن أبي طالب.

(٢) في الإستيعاب ٢ ص ٤٦١ وروي عن النبي (ص) أنَّه قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابه فمن أراد العلم فليأته من بابه». وقال (ص) في أصحابه: «أقضاكم عليُّ بن أبي طالب». وقال عمر بن الخطاب: «علي أقضانا وأُبَيّ أقرؤ نا وإنا لنترك أشياء من قراءة أُبَيّ» وعن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن وقال في المجنونة التي أمر برجمها، وفي التي وضعت لستة أشهر فأراد عمر رجمها فقال له علي: «إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ الحديث» وقال له: «إنَّ الله رفع القلم عن المجنون الحديث». فكان عمر يقول: «لولا علي لهلك عمر». وفي ص ٤٦٢ عن زر بن حبيش قال: جلس رجلان يتغذيان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغذاء بين أيديهما مرَّ بهما رجل فسلَّم فقالا: إجلس للغداء فجلس وأكل معهما واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال خذا هذا عوضاً مما أكلت لكما ونلته من طعامكما، فتنازعا وقال صاحب الخمسة الأرغفة لي خمسة دراهم ولك ثلاث فقال صاحب الثلاثة الأرغفة لا أرضى إلاّ أن تكون الدراهم بيننا نصفين، وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقصّا عليه قصّتهما فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بثلاثة فقال: لا والله لا رضيب منه إلا بمرِّ الحق. فقال علي رضي الله عنه: «ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد وله سبعة» فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين هو يعرض عليَّ ثلاثة فلم أرض، وأشرت عليَّ بأخذها فلم أرض - وتقول لي الآن: إنَّه لا يجب في مرِّ الحق إلاّ درهم واحد؟! فقال له علي: «عرض عليك صاحبك الثلاثة صلحاً فقلت لم أرض إلا بمرِّ الحق، ولا يجب لك بمرِّ الحق إلا واحد» فقال الرجل: فعرِّفني بالوجه في مرِّ الحق حتى أقبله. فقال علي رضي الله عنه: أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً، أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقل فتحملون في أكلكم على السواء؟ قال: بلى. قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث وإنَّما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثاً أكل منها ثمانية وبقي له سبعة ولك واحدة من تسعة فلك واحد بواحدك، وله سبعة بسبعته. فقال له الرجل رضيت الآن.

قال: بل أنت[١].

قال: فأُنشدك بالله أنا الذي شهدت آخر كلام رسول الله (ص) ووليت غسله ودفنه أم أنت؟ قال بل أنت[٢].

قال فأُنشدك بالله أنت الذي سبقت له القرابة من رسول الله (ص) أم أنا؟ قال: بل أنت[٣].

قال: فأُنشدك بالله أنت الذي حباك الله بالدينار عند حاجته إليه وباعك جبرئيل وأضفت محمّداً فأطعمت ولده أم أنا؟ قال: فبكى أبو بكر وقال: بل أنت[٤]

(١) في ص ١٢٥ من كتاب (اليقين في إمرة أمير المؤمنين «ع») قال:

فيما نذكره من كتاب الرسالة الموضحة تأليف المظفر بن جعفر بن الحسين... وهو ممن يروي عنه محمد بن جرير الطبري نقل ذلك من خط مصنفه من الخزانة العتيقة بالنظامية ببغداد فقال ما هذا لفظه: «وعنه قال: حدثنا محمد بن همام عن علي بن عباس ومحمد ابن الحسين بن حفص قالا: حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال: حدثنا يحيى بن سالم عن صباح بن يحيى عن العلاء بن المسيب عن أبي داوود عن بريدة الأسلمي قال: كنا نسلم على علي بن أبي طالب (ع) بحضرة رسول الله (ص) بإمرة المؤمنين نقول: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» ويرد علينا. وفي ج ٩ من بحار الأنوار ص ٢٤٦ عن بريدة وعن يحيى بن سالم قالا: أمرنا النبي (ص) أن نسلّم على عليّ بإمرة المؤمنين وفيه أيضاً عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال لي بريدة: أمرنا رسول الله (ص) أن نسلّم على أبيك بإمرة المؤمنين» وفيه أيضاً عن عمرو بن حصيب أخي بريدة بن حصيب قال: بينا أخي بريدة عند النبي (ص) إذ دخل أبو بكر فسلّم على رسول الله فقال له: انطلق فسلّم على أمير المؤمنين، فقال: يا رسول الله ومن أمير المؤمنين؟ قال: علي بن أبي طالب (ع) قال: عن أمر الله وأمر رسوله؟ قال: نعم، ثم دخل عمر فسلّم فقال: انطلق فسلّم على أمير المؤمنين فقال: يا رسول الله ومن أمير المؤمنين؟ قال (ص): علي ابن أبي طالب (ع) قال: عن أمر الله ورسوله؟ قال: نعم.

(٢) في ذخائر العقبى ص ٧٢ والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٣٧ للطبري

عن عائشة قال: قال رسول الله (ص) ـ لما حضرته الوفاة ـ «إدعوالي حبيبي» فدعوا له أبا بكر فنظر إليه ثم وضع رأسه فقال: «ادعوا لي حبيبي» فدعوا له عمر فلما نظر إليه وضع رأسه ثم قال: «ادعوا لي حبيبي» فدعوا له عليّاً (رض) فلما رآه أدخله معه الثوب الذي كان عليه فلم يزل يحتضنه حتى قبض (ص) ـ أخرجه الرازي.

وفيها أيضاً وفي ج ٣ من المستدرك عن أم سلمة (رض) قالت: والذي أحلف به إن كان علي أقرب الناس عهداً برسول الله (ص) عدنا رسول الله (ص) غداة بعد غداة يقول: «جاء علي؟» ـ مراراً ـ وأظنه كان بعثه في حاجة فجاء بعد فظننت أنَّ له حاجة فخرجنا من البيت وقعدنا عند الباب فكنت من أدناه الى الباب فأكب عليه علي فجعل يساره ويناجيه ثم قبض (ص) يومه ذلك فكان من أقرب الناس به عهداً. أخرجه الإمام أحمد.

وفي ج ٣ من المستدرك ص ١١١ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعلي أربع خصال ليست لأحد، هو أول عربي وعجمي صلّى مع رسول الله (ص) وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم المهراس، وهو الذي غسّله وأدخله قبره.

(٣) عن الشعبي: إنَّ أبا بكر نظر إلى علي بن أبي طالب فقال: من سرّه أن ينظر إلى أقرب الناس قرابة من رسول الله (ص) وأعظمهم عنه غناء، وأحظهم عنده منزلة، فلينظر ـ وأشار إلى علي بن أبي طالب ـ أخرجه ابن السمان ـ الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٥

(٤) أخرج الخوارزمي الحنفي في ص ٢٢٤ من مناقبه، عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد قال: أنقض علي وفاطمة، فقالت له فاطمة: ليس في الرحل شيء، فخرج علي يبتغي، قال: فوجد ديناراً فعرفه فلم يجد له طالباً، ولم يصب شيئاً، ورجع، فقالت له فاطمة: ما صنعت؟ قال: ما أصبت شيئاً إلا أنّي وجدت ديناراً فعرَّفت حتى سئمت فلم أجد له طالباً باغياً، فقالت: هل لك في خير هل لك في أن نقترضه فنتعشى به؟ فإذا جاء صاحبه أعطيته ديناراً، فإنما هو دينار مكان دينار، فقال علي (ع): أفعل فأخذ الدينار وأخذ وعاءاً ثم خرج إلى السوق فإذا رجل عنده طعام يبيعه، فقال علي (ع) كيف تبيع من طعامك هذا؟ قال: كذا وكذا بدينار، فناوله علي=

قال: فأُنشدك بالله أنت الذي جعلك رسول الله (ص) على كتفه في طرح صنم الكعبة وكسَّره حتى لو شئت أن أنال أُفق السَّماء لنلتها أم أنا؟ قال: بل أنت(١).

قال: فأُنشدك بالله أنت الذي قال لك رسول الله (ص) «أنت صاحب لواي في الدنيا والآخرة» أم أنا؟ قال: بل أنت(٢).

=(ع) الدينار ثم فتح وعاءه وذهب ليقوم ردّ عليه الدينار وقال: لتأخذنَّه والله، فأخذه ورجع إلى فاطمة فحدَّثها حديثه، فقالت فاطمة (ع): هذا رجل عرف حقنا وقرابتنا من رسول الله (ص) فأكلوه حتى أنفذوه ولم يصيبوا ميسرة، فقالت له فاطمة (ع): هل لك في خير تستقرضه فتتعشى به؟ مثل قولها الأول قال: أفعل. فخرج إلى السوق فإذا صاحبه فقال له مثل قوله الأول، وفعل الرجل مثل فعله الأول، فرجع فأخبر فاطمة (ع) فدعت له مثل دعائها الأول، فأكلوا حتى أنفذوا فلما كان الثالثة، قالت له فاطمة: إن ردّ عليك الدينار فلا تقبله، فذهب علي عليه السلام فوجده فلما كال له. ذهب يردّه عليه فقال له علي (ع): والله لا آخذه، فسكت عنه.

قال أبو هارون: فقمت فانصرفت من عنده فمررت برجل من الأنصار له صحبة يطين بيته، فسلَّمت عليه، فرد علي وسايلني، فقال: ما حدثكم اليوم أبو سعيد؟ فقلت: حدثنا بكذا وكذا. فقال الأنصاري: من كان الذي اشترى منه علي (ع) فقلت: لا أعلم! قال: كتمتم أبو سعيد؟ قلت: ومن كان البايع؟ قال: لما ذهب علي (ع) إلى رسول الله (ص) قال له: يا علي تخبرني أو أُخبرك؟ قال: أخبرني يا رسول الله قال: صاحب الطعام جبرئيل، والله لو لا تحلف لوجدته ما دام الدينار في يدك.

(١) في ج٢ من الرياض النضرة ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ عن علي قال: انطلقت أنا والنبي (ص) حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله (ص): اجلس وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به فرأى مني ضعفاً فنزل، وجلس لي نبي الله (ص) وقال: إصعد على منكبي فصعدت على منكبيه، قال: فنهض قال: فتخيل إليَّ أن لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفراء ونحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنت منه. قال لي رسول الله (ص): إقذف به فقذفت به فتكسَّر كما تتكسر القوارير ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله (ص) نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس. أخرجه أحمد وصاحب الصفوة. وأخرجه الحاكمي وقال ـ بعد قوله فصعدت على الكعبة ـ فقال لي: إلق صنمهم الأكبر وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال رسول الله (ص): عالجه فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه. فقال: اقذفه فقذفته ثم ذكر باقي الحديث وزاد فما صعد حتى الساعة.

وإلى هذه المكرمة الجليلة يشير الإمام الشافعي بقوله:

قيل لي: قل في علي مدحاً	ذكره يخمد ناراً موصدة
قلت: لا أقدم في مدح امرءٍ	ضلَّ ذو اللب إلى أن عبده
والنبي المصطفى قال لنا	ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده	فأحس القلب مما برده
وعلي واضع أقدامه	في محلٍّ وضع الله يده

(٢) في ذخائر العقبى ص ٧٥ عن علي قال: كسرت يد علي (رض) يوم أحد فسقط اللواء من يده فقال رسول الله (ص) ضعوه في يده اليسرى فإنَّه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة. أخرجه ابن الحضرمي.

وعن مالك بن دينار سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القراء: من كان حامل راية رسول الله (ص)؟ قالوا: كان حاملها علي (رض). أخرجه أحمد في المناقب. وفي الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٧ عن جابر قالوا: يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: من عسى أن يحملها يوم القيامة إلا من كان يحملها في الدنيا (علي بن أبي طالب). أخرجه نظام الملك في أماليه وفي ص ٧٥ من ذخائر العقبى عن مخدوع الذهلي:

إنَّ النبي (ص) قال لعلي: أما علمت يا علي أنِّي أول من يدعى به يوم القيامة فأقوم عن يمين العرش في ظله، فاكسى حلَّة خضراء من حلل الجنة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على إثر بعض، فيقومون سماطين عن يمين العرش، ويكسون حللاً خضراء من حلل الجنة،

قال: فانشدك الله أنت الذي أمرك رسول الله (ص) بفتح بابه في مسجده عندما اُمر بسد أبواب جميع أهل بيته وأصحابه وأحلَّ لك فيه ما أحلَّ الله له أم أنا؟ قال: بل أنت(١).

قال: فأُنشدك بالله أنت الذي قدَّمت بين يدي نجوى رسول الله (ص) صدقة(٢) فناجيته إذ عاتب الله قوماً فقال: «أأشفقتم أن تقدِّموا بين يدي نجواكم صدقات» أم أنا؟ قال: بل أنت(٣).

قال: فأُنشدك بالله أنت قال رسول الله (ص) لفاطمة: «زوَّجتكِ أول الناس إيماناً، وأرجحهم إسلاماً في كلام له» أم أنا؟ قال: بل أنت(٤).

=ألا وإنّي أخبرك يا علي: أنَّ امتي أول الأمم يحاسبون يوم القيامة ثم أبشر أنّك أول من يدعى بك لقرابتك مني، وميزتك ومنزلتك عندي فيدفع إليك لوائي وهو: (لواء الحمد) تسير به بين السماطين، آدم وجميع خلق الله تعالى مستظلون بظل لوائي يوم القيامة، فتسير باللواء، الحسن عن يمينك، والحسين عن يسارك، حتى تقف بيني وبين إبراهيم في ظل العرش، نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك يا علي، أبشر يا علي إنك تكسى إذا كسيت، وتدعى إذا دعيت، وتحيا إذا حييت. أخرجه أحمد في المناقب.

(١) في ج ٣ ص ١٢٥ من مستدرك الحاكم، وفي كنز العمال ج ٦ ص ١٥٢ الحديث ٢٤٦٥ عن بن أرقم قال: كانت لنفر من أصحاب رسول الله (ص) أبواب شارعة في المسجد، فقال يوماً: «سدوا هذه الأبواب إلا باب علي» قال: فتكلم في ذلك ناس فقام رسول الله (ص) فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد فإنّي اُمرت بسدِّ هذه الأبواب غير باب عليّ فقال فيه قائلكم، والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن اُمرت بشيء فاتبعته» ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وفي الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٥٣/٢٥٤ عن أبي هريرة قال: قال عمر: ثلاث خصال لعليّ لأن يكون لي خصلة منهنَّ أحب إليَّ من أن يكون لي حمر النعم: تزويجه فاطمة بنت النبي (ص) وسكناه في المسجد مع رسول الله (ص) والراية يوم خيبر. أخرجه ابن السمان في الموافقة. وعن أبي سعيد عنه قال: قال رسول الله (ص): يا عليّ لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك. وأيضاً عن ابن عمر قال: لقد اُوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنَّ أحب إلي من حمر النعم: زوَّجه رسول الله (ص)بابنته وولدت له، وسد الأبواب إلا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر أخرجه أحمد.

وفي كنز العمال ص ١٥٩ ج ٦ الحديث ٢٦٧٠. عن أم سلمة لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلا أنا وعليّ والحديث ٢٦٧١ عن أبي سعيد: يا عليّ لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيرك.

(٢) الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٥ عن عليّ (ع) أنَّه قال: آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد بعدي: آية النجوى. كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فلما أردت أن أناجي رسول الله (ص) قدمت درهماً، فنسختها الآية الأُخرى **﴿أأشفقتم ـ الآية﴾** أخرجه ابن الجوزي في أسباب النزول.

قال الحافظ محمد بن أحمد بن جزي الكلبي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ص ١٠٥ ج ٤: روي أنَّه كان له دينار فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات تصدق في كل مرَّة منها بدرهم وقيل: تصدق في كلِّ مرَّة بدينار... الخ.

وفي تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٣٠٢ قال: وقد روي عن مجاهد: أنَّ أول من تصدّق في ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وناجى الرسول (ص). روي أنَّه تصدّق بخاتم. وذكر القشيري وغيره عن علي بن أبي طالب أنَّه قال: في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، وهي **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرَّسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾** كان لي دينار فبعته، فكنت إذا ناجيت الرَّسول تصدَّقت بدرهم حتى نفد فنسخت بالآية الأُخرى **﴿أأشفقتم أن تقدِّموا بين يدي نجواكم صدقات﴾**. كذلك قال ابن عباس: نسخها الله بالآية التي بعدها. وقال ابن عمر: لقد كان لعليّ (رض) ثلاث لو كانت لي واحدة منهنَّ كان أحب إلي من حمر النعم، تزويجه فاطمة، وإعطائه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

(٣) المجادلة: ١٣

(٤) كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣ الحديث ٢٥٤٣ عن أبي هريرة وعن ابن عباس أما ترضين أنّي زوَّجتك أول المسلمين إسلاما، =

قال: فأنشدك بالله يا أبا بكر أنت الذي سلمت عليه ملائكة سبع سماوات يوم القليب أم أنا؟

قال: بل أنت(١).

قال: فلم يزل يورد مناقبه التي جعل الله له ورسوله دونه، ودون غيره، ويقول له أبو بكر: بل أنت.

قال: فبهذا وشبهه تستحق القيام بأمور أمة محمّد، فما الذي غرَّك عن الله وعن رسوله ودينه وأنت خلو مما يحتاج إليه أهل دينه.

قال: فبكى أبو بكر وقال: صدقت يا أبا الحسن أنظرني قيام يومي فأُدبِّر ما أنا فيه وما سمعت منك.

فقال عليّ (ع): لك ذلك يا أبا بكر.

فرجع من عنده وطابت نفسه(٢) يومه ولم يأذن لأحد إلى الليل، وعمر يتردد في الناس لما بلغه من خلوته بعليٍّ، فبات في ليلته فرأى في منامه كأنَّ رسول الله (ص) تمثَّل له في مجلسه فقام إليه أبو بكر يسلِّم عليه فولّى عنه وجهه، فصار مقابل وجهه فسلَّم عليه فولّى وجهه عنه، فقال أبو بكر: يا رسول الله امرت بأمر لم أفعله؟ فقال: أرد عليك السلام وقد عاديت من والاه الله ورسوله؟! رد الحق إلى أهله. فقلت: من أهله؟ قال: من عاتبك عليه عليٌّ، قلت: فقد رددته عليه يا رسول الله ثم لم يره.

=وأعلمهم علما، فإنَّك سيدة نساء امتي كما سادت مريم قومها، أما ترضين يا فاطمة أنَّ الله أطلع على أهل الأرض فاختار منهم رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك. وأيضاً الحديث ٢٥٤٢ عن معقل بن يسار: «أما ترضين أنِّي زوَّجتك أقدم أُمتي سلما وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما» والحديث ٢٥٤٤ عن بريدة:

«زوّجتك خير أهلي أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأولهم سلماً». والحديث ٢٥٤٥ عن أبي إسحاق: «لقد زوجتك وإنَّه لأول أصحابي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً».

وفي ينابيع المودة ص ٨٠ ـ ٨١. موفق بن احمد بسنده عن أبي أيوب الأنصاري قال: إنَّ فاطمة (رض) أتت في مرض أبيها (ص) وبكت فقال: يا فاطمة إنَّ لكرامة الله إياك زوَّجك من هو أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، إنَّ الله عز وجل أطلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاختارني منهم فبعثني نبيّاً مرسلًا، ثم أطلع اطلاعة فاختار منهم بعلك فأوحى إلي أن أُزوجه إياك واتخذه وصيّاً.

(١) في ص ٢٨ من تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: قال أحمد في الفضائل ـ: حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، حدثنا إسحاق بن إبراهيم النهشلي، حدثنا سعيد بن الصلت، حدثنا أبو الجارود الرحبي عن أبي إسحاق الهمداني عن الحرث عن عليٍّ قال: لما كانت ليلة بدر قال رسول الله (ص): من يستقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس، قال: فقمت فاحتضنت قربة، ثم أتيت قليباً بعيد القعر مظلماً، فانحدرت فيه فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل: تأهبوا لنصرة محمد (ص) وحزبه، فهبطوا من السماء لهم دوي يذهل من يسمعه، فلما حاذوا القليب وقفوا وسلموا عليٌّ من عند آخرهم، إكراماً، وتبجيلاً وتعظيماً وذكره أرباب المغازي وفي ذخائر العقبى ص ٦٨ ـ ٦٩ قال:

لما كان ليلة يوم بدر قال رسول الله (ص): من يستقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس، فقام عليٌّ فاحتضن قربة فأتى بئراً بعيدة القعر مظلمة، فانحدر فيها فأوحى الله عز وجل إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل: تأهبوا لنصر محمد (ص) وحزبه فهبطوا من السماء لهم لغط يذهل من سمعه، فلما حاذوا بالبئر سلَّموا عليه من عند آخرهم إكراماً وتبجيلاً.

(٢) طاب عن الشيء نفساً: تركه وفارقه.

فأصبح وبكّر(١) إلى عليٍّ (ع) وقال: ابسط يدك يا أبا الحسن أُبايعك وأخبره بما قد رأى، قال: فبسط عليٌّ يده فمسح عليها أبو بكر وبايعه وسلّم إليه وقال له: أخرج إلى مسجد رسول الله (ص) فأخبرهم بما رأيت من ليلتي وما جرى بيني وبينك، وأُخرج نفسي من هذا الأمر وأُسلّمه إليك، قال: فقال علي (ع): نعم.

فخرج من عنده متغيِّراً لونه عاتباً نفسه، فصادفه عمر ـ وهو في طلبه ـ فقال له: ما لك يا خليفة رسول الله؟ فأخبره بما كان وما رأى وما جرى بينه وبين عليٍّ، فقال له: أُنشدك بالله يا خليفة رسول الله والإغترار بسحر بني هاشم والثقة بهم فليس هذا بأول سحر منهم، فما زال به حتى رده عن رأيه وصرفه عن عزمه ورغبه فيما هو بالثبات عليه، والقيام به.

قال: فأتى عليٌّ المسجد على الميعاد فلم ير فيه منهم أحداً فأحس بشيء منهم، فقعد إلى قبر رسول الله (ص) قال: فمر به عمر، فقال: يا عليّ دون ما تريد خرط القتاد(٢) فعلم (ع) بالأمر ورجع إلى بيته.

* * *

احتجاج سلمان الفارسي على عمر بن الخطاب في جواب كتاب كتبه إليه حين كان عامله على المداين بعد حذيفة بن اليمان(٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

من سلمان مولى رسول الله (ص) إلى عمر بن الخطاب.

---

(١) بكّر: أتاه بكرة وسبق إليه في أول أحواله.

(٢) القتاد شجر صلب له شوك كالإبر. وخرط القتاد: هو انتزاع قشره أو شوكه باليد يقال: «من دون ذلك خرط القتاد» أي إنّه لا ينال إلا بمشقة عظيمة.

(٣) أبو عبد الله: حذيفة بن اليمان، واسم اليمان: حسل أو حسيل، وإنّما سمي باليمان لأنّه: أصاب دماً فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل، فسمّاه قومه اليمان لكونه حالف اليمانية.

كان رحمه الله من كبار صحابة النبي (ص) هاجر إليه، فخيَّره النبي (ص) بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، وكان يقول: خيرني رسول الله (ص) بين الهجرة والنصرة فاخترت النصرة. وشهد مع النبي (ص) أُحداً وقتل أبوه بها.

وهو صاحب سر رسول الله (ص) في المنافقين. أعلمه بهم رسول الله (ص) وقد قيل إنّ عمر بن الخطاب كان إذا مات ميِّت يسأل عن حذيفة فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإن لم يحضر الصلاة، لم يحضر عمر. وفي الصحيحين: إنّ أبا الدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة.

وروى مسلم عن عبد الله بن يزيد الخطمي عن حذيفة قال: لقد حدّثني رسولُ الله (ص) ما كان وما يكون حتى تقوم الساعة.

وسئل يوماً: أي الفتن أشد؟ قال: أن يعرض عليك الخير والشر لا تدري أيهما تركب.

وقال أبو إدريس الخولاني: سمعت حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. =

أما بعد: فإنَّه أتاني منك كتاب يا عمر، تؤنبني[١] وتعيِّرني، وتذكر فيه: أنَّك بعثتني أميراً على أهل المدائن، وأمرتني أن أقص إثر حذيفة[٢] وأستقصي أيام أعماله وسيره، ثم أُعلمك قبيحها، وقد نهاني الله عن ذلك يا عمر في محكم كتابه حيث قال: **﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنَّ بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إنَّ الله توّاب رحيم﴾**[٣] وما كنت لأعصي الله في إثر حذيفة واطيعك.

وأما ما ذكرت: أنِّي أقبلت على سف الخوص[٤] وأكل الشعير، فما هما مما يعيَّر به مؤمن ويؤنَّب عليه، وأيم الله يا عمر لأكل الشعير وسف الخوص، والإستغناء عن رفيع المطعم والمشرب، وعن غصب مؤمن حقه وادعاء ما ليس له بحق، أفضل وأحب إلى الله عز وجل وأقرب للتقوى، ولقد رأيت رسول الله (ص) إذا أصاب الشعير أكل وفرح به ولم يسخطه.

وأما ما ذكرت من إعطائي: فإنِّي قدَّمته ليوم فاقتي وحاجتي، ورب العزة يا عمر، ما أُبالي إذا جاز طعامي لهواتي وانساغ[٥] في حلقي ألباب البر ومخ المعزة كان أو خشارة الشعير[٦].

وأما قولك: إنِّي ضعَّفت سلطان الله وهنته، وأذللت نفسي وامتهنتها[٧] حتى جهل أهل المدائن إمارتي، واتخذوني جسراً يمشون فوقي، ويحملون عليَّ ثقل حمولتهم[٨] وزعمت أنَّ ذلك مما يوهن سلطان الله ويذله.

فاعلم: أنَّ التذلل في طاعة الله أحب إليَّ من التعزز في معصيته، وقد علمت أنَّ رسول الله (ص) يتألَّف الناس[٩] ويتقرب منهم ويتقربون منه في نبوته وسلطانه، حتى كأنَّه بعضهم في الدنو منهم، وقد

= وعداده في الأنصار وهو أحد الأركان الأربعة من أصحاب أمير المؤمنين (ع) وممن صلى على سيدة النساء فاطمة، وحضر تشييعها.

روي عن زرارة عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عن عليٍّ عليهم السلام قال: ضاقت الأرض بسبعة، بهم ترزقون، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون، ومنهم: سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة، رحمهم الله تعالى وكان عليٌّ (ع) يقول: وأنا إمامهم.

استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتى مات بعد مقتل عثمان وبيعة أمير المؤمنين عليه السلام بأربعين يوماً سنة (٣٦).

راجع: رجال الشيخ الطوسي ص ١٦، جامع الرواة ج ١ ص ١٨٢، رجال الكشي ص ٢٧ أسد الغابة ج ١ ص ٢٩١، الاصابة ج ١ ص ٣١٦، صفة الصفوة ج ١ ص ٢٤٩ تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢١٩.

(١) أنبه: عنفه ولامه.
(٢) قص إثره: تتبعه شيئاً فشيئاً.
(٣) الحجرات: ١٢.
(٤) سف الخوص: نسجه.
(٥) انساغ: مر في حلقه.
(٦) الخشارة: ما لا لب له من الشعير.
(٧) أي وضعتها موضع الإهانة.
(٨) كل ما له قدر، ووزن: فهو ثقل. والحمولة - بالفتح - الإبل التي تطيق أن يحمل عليها.
(٩) التألف: المداراة والإستيناس.

كان يأكل الجشب[١] ويلبس الخشن، وكان الناس عنده قرشيهم، وعربيهم، وأبيضهم، وأسودهم، سواء في الدين وأشهد أنِّي سمعته يقول: «من ولي سبعة من المسلمين بعدي ثم لم يعدل فيهم لقي الله وهو عليه غضبان» فليتني يا عمر أسلم من عمارة المدائن[٢] مع ما ذكرت أني أذللت نفسي وامتهنتها، فكيف يا عمر حال من ولي الأُمة بعد رسول الله (ص)؟ وإنِّي سمعت الله يقول: **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين[٣]﴾**.

إعلم: أنِّي لم أتوجه أسوسهم وأُقيم حدود الله فيهم إلا بإرشاد دليل عالم فنهجت فيهم بنهجه، وسرت فيهم بسيرته[٤].

واعلم: أنَّ الله تبارك وتعالى لو أراد بهذه الأُمة خيراً أو أراد بهم رشداً لولّى عليهم أعلمهم وأفضلهم، ولو كانت هذه الأُمة من الله خائفين، ولقول نبي الله متبعين وبالحق عاملين، ما سموك أمير المؤمنين، فاقض ما أنت قاض، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، ولا تغتر بطول عفو الله عنك وتمديده بذلك من تعجيل عقوبته.

واعلم: أنَّك سيدركك عواقب ظلمك في دنياك وآخرتك، وسوف تسأل عما قدَّمت وأخرت، والحمد لله وحده.

* * *

احتجاج أمير المؤمنين (ع) على القوم لما مات عمر بن الخطاب وقد جعل الخلافة شورى بينهم[٥].

---

(١) الجشب ـ بفتح الجيم وسكون الشين ـ: الغليظ الخشن.

(٢) العمارة بالفتح: الحي العظيم. والمدائن هي: مدينة كسرى وقيل هي عدة مدن متقاربة، تقع على سبع فراسخ من بغداد، وهي دار مملكة الفرس، وأول من نزلها أنوشيروان، وبها أيوانه، ولم تزل آثاره باقية حتى يومنا هذا، وبها قبرا سلمان وحذيفة وهما مشيدان ويعرف المكان باسم: «سلمان باك».

(٣) القصص ـ ٣٨

(٤) يريد علياً عليه السلام

(٥) في ج ٢ من شرح النهج لابن أبي الحديد ص ٦١ قال: ونحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى وتعديده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم، قد روى الناس ذلك فأكثروا. . . إلى أن قال: ـ في كلام قد ذكره أهل السيرة وقد أوردنا بعضه فيما تقدم، ثم قال لهم: أُنشدكم الله أفيكم أحد آخى رسول الله (ص) بينه وبين نفسه حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غيري؟ فقالوا: لا فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله (ص): من كنت مولاه فهذا مولاه غيري؟ فقالوا: لا. قال: أفيكم أحد قال له رسول الله (ص): أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لا نبي بعدي غيري قالوا: لا. قال: أفيكم من أؤتمن على سورة براءة وقال له رسول الله (ص): إنَّه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني غيري؟ قالوا: لا. قال: ألا تعلمون أنَّ أصحاب رسول الله (ص) فروا عنه في مأقط الحرب في غير موطن وما فررت قط. قالوا: بلى، قال: ألا تعلمون أنِّي أول الناس إسلاماً، قالوا: بلى. قال: فأينا أقرب إلى رسول الله نسباً. قالوا: أنت. فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف. . . الخ.

وفي الصواعق المحرقة ص ٢٤ ـ: واخرج الدار قطني: أنَّ علياً قال للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته: أُنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيري؟ قالوا: اللهم لا.

وفي ج ٢ من لسان الميزان ص ١٥٦/١٥٧ عن ابن أبي الطفيل قال: كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات، فسمعت علياً يقول: (بايع الناس لأبي بكر، وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به، فسمعت وأطعت، مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم =

=رقاب بعض. ثم بايع الناس عمر وأنا والله أولى بالأمر منه، فسمعت وأطعت، مخافة أن يضرب الناس بعضهم رقاب بعض، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان... إلى أن قال: وأيم الله لو أشاء أن أتكلم فثمَّ لا يستطيع عربيهم ولا عجميهم رده: نشدتكم بالله أفيكم من آخى رسول الله (ص) غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله أفيكم أحد له مثل عمي حمزة؟ قالوا: أللهم لا. قال نشدتكم بالله أفيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر ذي الجناحين يطير بهما في الجنة؟ قالوا: لا. قال: أفيكم أحد له مثل سبطي الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة؟ قالوا: لا. قال: أفيكم أحد له زوجة مثل زوجتي، قالوا: لا. قال: أفيكم أحد كان أقتل لمشركي قريش عند كل شديدة تنزل برسول الله (ص) مني قالوا: لا.

وفي مناقب الخوارزمي ص ٢١٧-: أخبرني الشيخ الإمام شهاب الدين أفضل الحفاظ أبو النجيب سعد بن عبد الله بن الحسن الهمداني المعروف بالمروزي فيما كتب إليَّ من همدان، أخبرني الحافظ أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسين فيما أذن لي في الرواية عنه أخبرني الشيخ الأديب أبو يعلي عبد الرزاق بن عمر بن إبراهيم الطهراني سنة ٤٧٣، أخبرني الإمام الحافظ طراز المحدثين أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الإصبهاني وقال الشيخ الإمام شهاب الدين أبو نجيب سعد بن عبد الله الهمداني. وأخبرني بهذا الحديث عالياً الإمام الحافظ سليمان بن إبراهيم الإصبهاني في كتابه إليَّ من إصبهان سنة ٤٨٨ عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه، حدثني سليمان بن محمد بن أحمد، حدّثني يعلي بن سعد الرازي، حدَّثني محمد بن حميد، حدّثني زافر بن سليمان بن الحرث بن محمد عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: كنت على الباب يوم الشورى مع عليٍّ وسمعته يقول: لأحتجنَّ بما لا يستطيع عربيكم ولا عجميكم تغييرذلك ثم قال: انشدكم الله أيها النفر جميعاً أفيكم أحد وحّد الله قبلي؟ قالوا: لا. قال فانشدكم الله هل منكم أحد له مثل جعفر الطيار في الجنة مع الملائكة؟ قالوا: أللهم لا. قال: أُنشدكم الله هل فيكم أحد له عم كعمي حمزة أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: أُنشدكم الله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنة غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: أُنشدكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأُنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله (ص) مرات قدم بين يدي نجواه صدقة قبلي؟ قالوا اللهم لا. قال: فأُنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): من كنت مولاه فعلي مولاه أللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره ليبلّغ الشاهد الغائب غيري؟ قالوا أللهم لا. قال: فأُنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإليَّ وأشدّهم لك حبّاً ولي حبّاً يأكل معي من هذا الطير فأتاه وأكل معه غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: فأُنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله علي يده إذ رجع غيري منهزماً غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: فأُنشدكم الله هل فيكم أحد قال فيه رسول الله (ص) لوفد بني ربيعة: لتؤمننَّ أو لأبعثن إليكم رجلاً نفسه كنفسي وطاعته كطاعتي ومعصيته كمعصيتي يقتلكم بالسيف غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال فأُنشدكم الله هل فيكم أحد قال رسول الله (ص): كذب من زعم أنَّه يحبني ويبغض هذا غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: فأُنشدكم بالله هل فيكم أحد سلَّم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف ملك من الملائكة منهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل حيث جئت بالماء إلى رسول الله من القليب غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأُنشدكم الله هل فيكم أحد قال له جبرئيل: هذه هي المواساة فقال له رسول الله (ص): إنَّه مني وأنا منه وقال جبرئيل وأنا منكما غيري؟ قالوا أللهم لا. قال: فأُنشدكم الله هل فيكم أحد نودي من السماء لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتىً إلا علي غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: فأُنشدكم الله هل فيكم أحد يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين على لسان النبي (ص) غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: فأُنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): قاتلت على تنزيل القرآن وتقاتل على تأويل القرآن غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: فأُنشدكم الله هل فيكم أحد ردت عليه الشمس حتى صلَّى العصر في وقتها غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: فأُنشدكم بالله هل فيكم أحد أمره رسول الله أن يأخذ براءة من أبي بكر فقال أبو بكر: يا رسول الله (ص) نزل في شيء؟ فقال: إنَّه لا يؤدي عني إلا علي غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: فأُنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا كافر غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: فأُنشدكم بالله أتعلمون أنَّه أمر بسد أبوابكم وفتح بابي فقلتم في ذلك فقال رسول الله (ص): ما سددت أبوابكم ولا فتحت بابه بل الله سد أبوابكم وفتح بابه غيري؟ قالوا: أللهم نعم. قال فأُنشدكم بالله أتعلمون أنَّه ناجاني يوم الطائف دون الناس فأطال ذلك فقلتم ناجاه دوننا فقال: ما أنا انتجيته بل الله انتجاه غيري؟ قالوا: أللهم نعم. قال: فأنشدكم الله أتعلمون أنَّ رسول الله (ص) قال: الحق مع علي وعلي مع الحق يدور الحق مع علي كيف ما دار؟ قالوا: أللهم نعم. قال: فأُنشدكم بالله أتعلمون أنَّ رسول الله (ص) قال: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض قالوا: أللهم نعم. قال: =

روى عمرو بن شمر(١) عن جابر الجعفي(٢) عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه وعلى آبائه السلام.

قال: إنَّ عمر بن الخطاب لما حضرته الوفاة وأجمع على الشورى، بعث إلى ستة نفر من قريش: إلى عليٍّ بن أبي طالب، وإلى عثمان بن عفان، وإلى الزبير بن العوام، وإلى طلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأمرهم أن يدخلوا إلى البيت ولا يخرجوا منه حتى يبايعوا لأحدهم، فإن اجتمع أربعة على واحد، وأبى واحد أن يبايعهم قتل، وإن امتنع اثنان وبايع ثلاثة قتلا فأجمع رأيهم على عثمان.

فلما رأى أمير المؤمنين (ع) ما همَّ القوم به من البيعة لعثمان، قام فيهم ليتخذ عليهم الحجة فقال (ع) لهم:

=فأُنشدكم الله هل فيكم أحد وقى رسول الله من المشركين بنفسه واضطجع في مضجعه غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: فأُنشدكم الله هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبدود العامري حيث دعاكم إلى البراز غيري؟ قالو: أللهم لا. قال: فأُنشدكم بالله هل فيكم أحد نزَّل الله فيه آية التطهير حيث قال: ﴿إنما يريد.. الخ﴾ غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: فأُنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) أنت سيد العرب غيري؟ قالوا: أللهم لا. قال: فأُنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): ما سألت الله شيئاً إلا سألت لك غيري؟ قالوا: أللهم لا.

وارتفعت الأصوات بينهم فسمعت علياً (ع) يقول: بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر وأحق به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً ويضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع أبو بكر لعمر وأنا والله أحق بالأمر منه فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً ثم أنتم تريدون أن تبايعوا لعثمان الخ.

(١) عمرو بن شمر: قال العلامة الحلي في خلاصته عمرو بن شمر ـ بالشين المعجمة والراء أخيراً ـ أبو عبد الله الجعفي كوفي ـ روى عن أبي عبد الله (ع) وعن جابر وهو ضعيف جداً، زيد أحاديث في كتب جابر بن يزيد الجعفي، ينسب إليه بعضها، فالأمر ملتبس، فلا أعتمد على شيء مما يرويه وكذا النجاشي ضعفه وعده الشيخ الطوسي في أصحاب الإمامين الباقر والصادق (ع) وقال في الفهرس: له كتاب.

(٢) في خلاصة العلامة: جابر بن يزيد، روى الكشي فيه مدحاً وبعض الذم والطريقان ضعيفان ذكرناهما في الكتاب الكبير.

وقال السيد علي بن أحمد العقيقي العلوي: روى عن أبي عمار بن أبان عن الحسين بن أبي العلا: أنَّ الصادق (ع) ترحم عليه وقال: إنَّه كان يصدق علينا وقال ابن عقدة روى أحمد بن محمد بن البراء الصايغ عن أحمد بن الفضل بن حنان بن سدير عن زياد بن أبي الجلال، أنَّ الصادق (ع) ترحم على جابر وقال: إنَّه كان يصدق علينا، ولعن المغيرة وقال: إنَّه كان يكذب علينا. وقال ابن الغضايري، إنَّ جابر بن يزيد الجعفي ـ الكوفي ثقة في نفسه، ولكنَّ جل من روى عنه ضعيف، فممن أكثر عنه من الضعفاء عمرو بن شمر الجعفي ومفضل بن صالح والسكوني ومنخل بن جميل الأسدي. وأرى الترك لما روى هؤلاء عنه والوقف في الباقي إلا ما خرج شاهداً.

وقال النجاشي: جابر بن يزيد الجعفي لقي أبا جعفر وأبا عبد الله (ع) ومات في أيامه سنة ثمان وعشرين ومائة، وروى عنه جماعة غمز فيهم وضعفوا، منهم عمرو بن شمر، ومفضل بن صالح، ومنخل بن جميل، ويوسف بن يعقوب، وكان نفسه مختلطاً وكان شيخنا محمد بن محمد بن النعمان ينشدنا أشعاراً كثيرة في معناه تدل على الإختلاط ليس هذا موضعاً لذكرها والأقوى عندي التوقف فيما يرويه هؤلاء كما قاله الشيخ الغضائري (ره).

وفي أصحاب الإمام الباقر (ع) من رجال الشيخ الطوسي (ره) جابر بن يزيد بن الحرث بن عبد يغوث الجعفي. توفي سنة ثمان وعشرين ومائة على ما ذكر ابن حنبل، وقال ابن معين: مات سنة اثنين وثلاثين ومائة، وقال القتيبي هو من الأزد ـ.

وفي أصحاب الإمام الصادق (ع) جابر بن يزيد أبو عبد الله الجعفي تابعي أُسند عنه روى عنهما (ع).

اسمعوا مني كلامي فإن يك ما أقول حقاً فاقبلوا، وإن يك باطلاً فأنكروا،

ثم قال: أنشدكم بالله الذي يعلم صدقكم إن صدقتم، ويعلم كذبكم إن كذبتم، هل فيكم أحد صلّى القبلتين[١] كلتيهما غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم من بايع البيعتين كلتيهما: الفتح، وبيعة الرضوان غيري؟ قالوا: لا

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخوه المزيّن بالجناحين في الجنة غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد عمه سيد الشهداء غيري؟ قالوا: لا[٢].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد زوجته سيدة نساء العالمين غيري؟ قالوا: لا.

قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد إبناه إبنا رسول الله (ص) وهما سيدا شباب أهل الجنة غيري؟ قالوا: لا.

---

(١) القبلة الأولى هي: بيت المقدس وكانت قبلة المسلمين حتى بعد الهجرة بـ (١٦) أو (١٧) شهراً فلما نزل قوله تعالى: «ولقد نعلم تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها... الخ» توجه النبي (ص) إلى القبلة الثانية «شطر المسجد الحرام» وهي قبلة إبراهيم (ع).

(٢) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة. وهي ابنة عم آمنة بنت وهب أم النبي (ص) رضيع رسول الله (ص) أرضعتهما ثويبة امرأة أبي لهب. وكان أسنّ من رسول الله (ص) بسنتين. كنيته أبو عمارة، وقيل أبو يعلى. أسلم في السنة الثانية من المبعث.

قال محمد بن كعب القرظي: قال أبو جهل في رسول الله فبلغ حمزة فدخل المسجد مغضباً فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة أوضحته وأسلم حمزة فعز به رسول الله (ص) والمسلمون.

آخى رسول الله صلّى الله عليه وآله بينه وبين زيد بن حارثة وهاجر الى المدينة وأول لواء عقده رسول الله (ص) حين قدم المدينة لحمزة، وشهد بدراً وأبلى فيها بلاءاً عظيماً مشهوراً، وشهد أحداً وقتل بها ومثل به المشركون وبقرت هند بطن حمزة سلام الله عليه فأخرجت كبده، فجعلت تلوكها فلما شهده النبي (ص) اشتد وجده عليه، وروي أنه (ص) وقف عليه وقد مثّل به فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه منه، فقال: رحمك الله أي عم فلقد كنت وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات. وروي عن جابر قال: لما رأى رسول الله (ص) حمزة قتيلاً بكى فلما رأى ما مثّل به شهق.

ولما عاد (ص) إلى المدينة سمع النوح على قتلى الأنصار قال، لكنّ حمزة لا بواكي له فسمع الأنصار فأمروا نساءهم أن يندبن حمزة قبل قتلاهم. ففعلن ذلك. قال الواقدي فلم يزلن يبدأن بالندب لحمزة. وبهذا استدلّ الشيعة الإمامية على جواز البكاء على الميّت لا سيّما الشهداء من أهل البيت (ع) بل على استحبابه لأنّ النبي (ص) ندب إليه، واستدلوا ببكاء النبي (ص) على ولده إبراهيم (ع) أيضاً مضافاً إلى ما تواتر من طريق أهل البيت من استحباب البكاء على مصائبهم خصوصاً ماجرى على أبي عبد الله الحسين وأصحابه وعياله في واقعة الطف.

وقال (ص): كل نادبة كاذبة إلا نادبة حمزة. وقال: سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب. وقال: والذي نفسي بيده إنّه لمكتوب عند الله سبحانه وتعالى في السماء السابعة: «حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله».

وكان مقتله للنصف من شوال من سنة ثلاث وكان عمره سبعاً وخمسين سنة. وصلّى النبي على حمزة ثم لم يؤت بقتيل إلا وصلّى عليه معه حتى صلّى عليه «٧٢» صلاة.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد عرف الناسخ من المنسوخ غيري؟ قالوا: لا[١].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أذهب الله عنه الرجس وطهَّره تطهيراً غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد عاين جبرئيل في مثال دحية الكلبي غيري؟ قالوا: لا[٢].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أدى الزكاة وهو راكع غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد مسح رسول الله (ص) عينيه وأعطاه الراية يوم خيبر فلم يجد حرّاً ولا برداً غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نصبه رسول الله (ص) يوم غدير خم بأمر الله تعالى فقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه أللهم وال من والاه وعاد من عاداه غيري؟» قالوا لا[٣].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد هو أخو رسول الله في الحضر ورفيقه في السفر غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبدود يوم الخندق وقتله غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لا نبي بعدي» غيري؟ قالوا: لا.

---

(١) أخرج ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال: قال علي: سلوني عن كتاب الله فإنَّه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم جبل.

وأخرج ابن سعد أيضاً عن ابن عباس عنه (ع) قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت. إنَّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً. الصواعق المحرقة ص ١٢٥ / ١٢٦.

(٢) في ج ٩ من بحار الأنوار ص ٥٤٩ عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) عن آبائه عليهم السلام قال: دخل علي (ع) على رسول الله (ص) في مرضه وقد أُغمي عليه، ورأسه في حجر جبرئيل، وجبرئيل في صورة دحية الكلبي فلما دخل علي (ع) قال جبرئيل: دونك رأس ابن عمك أنت أحق به مني، لأنَّ الله يقول في كتابه **﴿واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾** فجلس علي (ع) وأخذ رأس رسول الله (ص) فوضعه في حجره، فلم يزل رأس رسول الله في حجره حتى غابت الشمس، وإنَّ رسول الله (ص) أفاق فرفع رأسه فنظر إلى عليٍّ (ع) فقال: يا علي أين جبرئيل؟ فقال: يا رسول الله ما رأيت إلا دحية الكلبي، دفع إليَّ رأسك، قال: يا علي دونك رأس ابن عمك فأنت أحق به مني... الخ.

(٣) في ج ٢ من الرياض النضرة ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥: عن عمر بن الخطاب ـ وقد جاءه إعرابيان يختصمان ـ فقال لعليٍّ: إقض بينهما يا أبا الحسن فقضى عليٌّ بينهما. فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟ فوثب إليه عمر فأخذ بتلبيبه وقال: ويحك ما تدري من هذا!! هذا مولاي ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن. وعن زيد بن أرقم قال: استنشد عليّ الناس فقال: أُنشد الله رجلاً سمع النبي (ص) يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، أللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا. وعن زياد بن أبي زياد قال: سمعت عليَّ بن أبي طالب ينشد الناس فقال: أُنشد الله رجلاً مسلماً سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم ما قال، فقام إثنا عشر رجلاً بدرياً فشهدوا. وعن رباح بن الحارث قال، جاء رهط إلى عليٍّ بالرحبة فقالوا: (السلام عليك يا مولانا). قال: وكيف أكون مولاكم وأنتم عرب؟! قالوا: سمعنا رسول الله (ص) ـ يقول ـ يوم غدير خم ـ: من كنت مولاه فعلي مولاه. قال رباح، فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار ـ فيهم أبو أيوب الأنصاري ـ خرجه أحمد.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سماه الله في عشر آيات من القرآن مؤمناً غيري؟ قالوا: لا[1].

---

(١) أخرج موفق بن أحمد عن مجاهدوعكرمة وهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ص): ما أنزل الله في القرآن آية يقول فيها: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلا وعلي رئيسها وأميرها.

وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن الأعمش عن أصحاب ابن عباس رضي الله عنه قال: ما أنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد (ص) في غير مكان، وما ذكر علياً إلا بخير.

ينابيع المودة ص ١٢٥ ١٢٦

والآيات العشرة هي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ السجدة: ١٨.

ذكر الطبري في ٢١ ص ٦٢ من تفسيره عن عطاء بن يسار قال: نزلت بالمدينة في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط، كان بين الوليد وعلي كلام فقال الوليد أنا أبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأرد منك للكتيبة. فقال علي: اسكت فإنك فاسق فأنزل الله فيهما: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ قال: لا والله ما استووا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ الأنفال: ٦٤.

قال المجلسي (ره) في الجزء التاسع من البحار ص ٩٤ روى أبو نعيم بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: نزلت في علي بن أبي طالب (ع) وقال العلامة قدس الله روحه: روى الجمهور: أنها نزلت في عليٍّ.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ التوبة: ١٩.

ذكر الطبري في تفسيره ج ١٠ ص ٥٩ مسنداً عن أبي صخر قال: سمعت محمد بن أبي كعب القرظي يقول: افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار، وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه، لو اشاء بت فيه. وقال عباس: أنا صاحب السقاية، والقائم، ولو أشاء بت في المسجد وقال علي: ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام.. الآية﴾

رابعاً: قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الجاثية: ٢١.

روى سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ١١ عن ابن عباس: نزلت في علي يوم بدر «فالذين اجترحوا السيئات» عتبة، وشيبة، والوليد بن المغيرة. «والذين آمنوا وعملوا الصالحات»: علي عليه السلام.

خامساً: قوله تعالى: ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ مريم: ٩٦.

في ص ١٠ من تذكرة الخواص: قال ابن عباس: هذا الود جعله الله لعلي في قلوب المؤمنين. وقد روى أبو إسحاق الثعلبي. هذا المعنى مسنداً في تفسيره إلى البراء بن عازب قال: قال رسول الله (ص) لعلي: قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله: هذه الآية.

سادساً: قوله تعالى: ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية﴾ البينة: ٧.

ذكر ابن حجر في الصواعق ص ١٩٥: عن ابن عباس: أنّ هذه الآية لما نزلت قال (ص) لعلي: هو أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضابا مقمحين قال: ومن عدوي؟ قال: من تبرأ منك ولعنك.

سابعاً: قوله تعالى: ﴿والعصر إنّ الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ سورة العصر.

في ج ٦ من تفسير الدر المنثور ص ٣٩٢: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: «والعصر إنّ الإنسان لفي خسر» - يعني: أبا جهل بن هشام. «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» ذكر علياً وسلمان.

ثامناً: قوله تعالى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا﴾ فقال: اللهم غفراً هذه الآية نزلت فيَّ، وفي عمي حمزة، وفي عمي عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب. فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم=

قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد ناول رسول الله (ص) قبضة من التراب فرمى بها في وجوه الكفار فانهزموا غيري؟ قالو: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد وقفت الملائكة معه يوم أُحد حتى ذهب الناس غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قضى دين رسول الله (ص) غيري؟ قالوا: لا.

قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد شهد وفاة رسول الله (ص) غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد غسَّل رسول الله وكفّنه ولحَّده غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد ورث سلاح رسول الله (ص) ورايته وخاتمه غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد جعل رسول الله (ص) طلاق نسائه بيده غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد حمله رسول الله (ص) على ظهره حتى كسّر الأصنام على باب الكعبة غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نودي باسمه من السماء يوم بدر: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتىً إلا عليّ» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أكل مع رسول الله (ص) من الطائر المشوي الذي أُهدي إليه غيري؟ قالوا: لا.

قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت صاحب رايتي في الدنيا وصاحب لوائي في الآخرة» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قدَّم بين يدي نجواه صدقة غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد خصف نعل رسول الله (ص) غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنا أخوك وأنت أخي» غيري؟ قالوا: لا.

=بدر، وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أُحد، وأما أنا فأنتظر أشقاها، يخضب هذه من هذه ـ وأشار بيده إلى لحيته ورأسه، عهد عهد أليَّ حبيبي أبو القاسم (ص).

تاسعاً: قوله تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ الأنفال: ٦٢

في ينابيع المودة ص ٩٤: أبو نعيم الحافظ بسنده عن أبي هريرة. أيضاً عن أبي صالح عن ابن عباس. أيضاً عن جعفر الصادق (ع) في قوله تعالى: ﴿هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين﴾ قالوا: نزلت في عليٍّ وإنَّ رسول الله (ص) قال: رأيت مكتوباً على العرش، «لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبدي ورسولي أيدته ونصرته بعلي ابن أبي طالب».

عاشراً ـ قوله تعالى: ﴿إنَّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾. المائدة: ٥٥.

راجع هامش ص ١٦١ من هذا الكتاب.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله(ص): «أنت أحبّ الخلق إليَّ وأقولهم بالحق غيري؟» قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد وجد رسول الله (ص) جايعاً فاستقى مائة دلو بمائة تمرة وجاء بالتمر فأطعمه رسول الله غيري وهو جائع؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سلَّم عليه جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في ثلاثة آلاف من الملائكة يوم بدر غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد غمض عين رسول الله (ص) غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد وحد الله قبلي غيري؟ قالوا: لا.

قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان أول داخل على رسول الله (ص) وآخر خارج من عنده غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد مشى مع رسول الله (ص) فمرَّ على حديقة فقلت: ما أحسن هذه الحديقة! فقال رسول الله (ص) «وحديقتك في الجنة أحسن من هذه» حتى مررت على ثلاث حدائق كل ذلك يقول رسول الله: «حديقتك في الجنة أحسن من هذه» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله(ص): «أنت أول من آمن بي وصدَّقني وأول من يرد عليَّ الحوض يوم القيامة». غيري؟ قالوا: لا[1].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله (ص) بيده ويد امرأته وابنيه حين أراد أن يباهل نصارى أهل نجران غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أول طالع يطلع عليكم من هذا الباب يا أنس فإنَّه أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وأولى الناس بالناس»[2] فقال أنس: أللهم اجعله رجلًا من الأنصار، فكنت أنا الطالع فقال رسول الله (ص) لأنس: «ما أنت بأول رجل أحبَّ قومه» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية **﴿إنَّما وليُّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾** غيري؟ قالو: لا.

---

(١) في الإستيعاب ص ٤٥٧ ج٢ قال، وروي عن سلمان أنَّه قال: أول هذه الأُمة وروداً على نبيها (ص) الحوض أولها إسلاماً علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد روى هذا الحديث عن سلمان عن النبي (ص) أنَّه قال: أول هذه الأُمة وروداً على الحوض أولها إسلاماً علي بن أبي طالب.

(٢) حلية الأولياء ج١/ ٦٣ عن أنس قال: قال رسول الله (ص) يا أنس اسكب لي وضوءاً، ثم قام فصلّى ركعتين ثم قال يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين. قال أنس قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار وكتمته إذ جاء علي فقال: من هذا يا أنس؟ فقلت: علي فقام مستبشراً فاعتنقه، ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، ويمسح عرق علي بوجهه، قال علي: يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل. قال: وما يمنعني وأنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبيِّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه وفي ولده ﴿**إنَّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً**﴾ إلى آخر السورة غيري؟ قالوا: لا[١].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه ﴿**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله**﴾ غيري؟ قالوا: لا[٢].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد علَّمه رسول الله (ص) ألف كلمة كل كلمة مفتاح ألف كلمة غيري؟ قالوا: لا[٣].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد ناجاه رسول الله يوم الطائف فقال أبو بكر وعمر «يا رسول الله ناجيت علياً دوننا» فقال لهما النبي (ص): «ما أنا ناجيته بل الله أمرني بذلك» غيري؟ قالوا: لا[٤].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سقاه رسول الله (ص) من المهراس غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت أقرب الخلق منّي يوم القيامة يدخل بشفاعتك الجنّة أكثر من عدد ربيعة ومضر» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «يا علي أنت تكسى حين أُكسى» غيري؟ قالوا: لا[٥].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت وشيعتك الفائزون يوم القيامة» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) «كذب من زعم أنَّه يحبّني ويبغض هذا» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «من أحبَّ شطراتي هذه فقد أحبَّني ومن أحبَّني فقد أحبَّ الله - فقيل له: وما شطراتك؟ - قال: عليّ، والحسن، والحسين، وفاطمة» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت خير البشر بعد النبيين» غيري؟ قالوا: لا[٦].

---

(١) الدهر: ٥.

(٢) راجع هامش ص ١٩٨

(٣) ينابيع المودة ص ٧٦ وفي المناقب عن الأصبغ بن نباتة قال كنت مع أمير المؤمنين (ع) فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنّي احبك في الله قال: إنَّ رسول الله (ص) «حدثني ألف حديث وكل حديث مفتاح ألف باب... الخ».

(٤) الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٥ عن جابر قال: دعا النبي (ص) علياً يوم الطائف فانتجاه فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال (ص): ما انتجيته ولكنَّ الله انتجاه. أخرجه الترمذي.

(٥) الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٧: وأخرج المخلص الذهبي عن أبي سعيد: أنَّ النبي (ص) كسى نفراً من أصحابه، ولم يكس علياً، فكأنّه رأى في وجه علي فقال: يا علي ما ترضى أنّك تكسى إذا كسيت، وتعطي إذا أُعطيت.

(٦) كنز العمال ج ٦ ص ١٥٩ عن جابر عن النبي (ص): علي خير البشر من أبى فقد كفر، وأخرج الخطيب في تاريخ بغداد ٧/=

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت الفاروق تفرِّق بين الحق والباطل» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله(ص): «أنت أفضل الخلايق عملاً يوم القيامة بعد النبِّيين» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله (ص) كساه عليه وعلى زوجته وعلى ابنيه ثم قال: «أللهم أنا وأهل بيتي إليك لا إلى النار» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول الله (ص) الطعام وهو في الغار ويخبره بالأخبار غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت أخي ووزيري وصاحبي من أهلي» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله(ص): «أنت أقدمهم سلماً وأفضلهم علماً وأكثرهم حلماً» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل مرحباً اليهودي فارس اليهود مبارزة غيري؟ قالوا: لا[٢].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد عرض عليه النبي (ص) الإسلام فقال له: «أنظرني حتّى ألقى والدي» فقال له النبي (ص): «فإنَّها أمانة عندك» فقلت: فإن كانت أمانة عندي فقد أسلمت» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد احتمل باب خيبر حين فتحها فمشى به مائة ذراع ثم عالجه بعده أربعين رجلاً فلم يطيقوه غيري؟ قالوا: لا.

=٤٢١ بسنده عن جابر أيضاً عن النبي (ص): عليّ خير البشر فمن امترى فقد كفر وفي ج ٣ ص ١٩٢ عن علي (ع) وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ٩ / ٤١٩ عنه عن النبي (ص): من لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر.

(١) في ذخائر العقبى: عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي «أنت الصدِّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب الدين»

(٢) مر في ص ١٦٧ قصة إعطاء الراية لعليٍّ (ع) في غزوة خيبر. وفي هذه الواقعة نفسها خرج مرحب ملك خيبر يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنِّي مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلتهب

فأجابه علي (ع) مرتجزاً أيضاً:

أنا الذي سمتني أُمي حيدره ضرغام آجام وليث قسورة

ثم ضرب مرحباً فشقه نصفين، وفتح باب خيبر وقلعها ثم مشى بها مائة ذراع ورمى بها أربعين ذراعاً وكانت لضخامتها قد وكل بها أربعون بطلاً من شجعان اليهود يقول ابن أبي الحديد في عينيته:

يا قالع الباب الذي عن هزِّه عجزت أكف أربعون وأربع

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرَّسول فقدِّموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ فكنت أنا الذي قدَّم الصدقة غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) «من سبَّ علياً فقد سبَّني ومن سبَّني فقد سبَّ الله» غيري؟ قالوا: لا.[1].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «منزلي مواجه منزلك في الجنة» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «قاتل الله من قا تلك وعادى الله من عاداك» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد اضطجع على فراش رسول الله (ص) حين أراد أن يسير إلى المدينة ووقاه بنفسه من المشركين حين أرادوا قتله غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) «أنت أولى الناس بأُمَّتي بعدي» غيري؟ قالوا: لا[2].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت يوم القيامة عن يمين العرش والله يكسوك ثوبين: أحدهما أخضر والآخر وردي» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد صلّى قبل الناس بسبع سنين وأشهر غيري؟ قالوا: لا[3].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنا يوم القيامة آخذ بحجزة ربِّي والحجزة النور وأنت آخذ بحجزتي وأهل بيتي آخذ بحجزتك» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت كنفسي وحبك حبِّي وبغضك بغضي»؟ قالوا: لا[4].

---

(١) سمعت أبا اسحاق التميمي يقول: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم، فدخلوا على «أم سلمة» زوج النبي (ص) فسمعتها تقول: «يا شبيب بن ربعي». فأجابها رجل جلف جاف: «لبيك يا أُمّتاه» قالت: «يسب رسول الله (ص) في ناديكم؟!!» قال: «وأنّى ذلك؟!» قالت: «فعلي بن أبي طالب (ع)» قال: «إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا» قالت: فإنِّي سمعت رسول الله (ص) يقول: «من سبَّ علياً فقد سبَّني ومن سبَّني فقد سبَّ الله تعالى».

(٢) كنز العمال ج ٦ ص ١٥٥ الحديث ٢٥٧٩ عن وهب بن حمزة: لا تقل هذا فهو أولى الناس بكم بعدي ـ يعني علياً.

(٣) الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٩ عن رافع قال: صلّى النبي (ص) يوم الإثنين، وصلَّت خديجة آخر يوم الإثنين، وصلّى يوم الثلاثاء من الغد قبل أن يصلي مع رسول الله (ص) أحد سبع سنين وأشهر. وعنه قال: صلَّيت قبل أن تصلِّي الناس بسبع سنين. وعنه، انه كان يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله (ص)، وأنا الصدِّيق الأكبر، ولقد صلَّيت قبل الناس بسبع سنين خرجهن الخلعي.

(٤) الإستيعاب ج ٢ ص ٤٦٤ عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: قال رسول الله (ص) لوفد ثقيف حين جاءه: لتسلمنَّ أو لأبعثنَّ رجلاً منِّي أو قال: مثل نفسي فليضربنَّ أعناقكم، وليسبينَّ ذراريكم، وليأخذنَّ أموالكم. قال عمر: فوالله ما تمنيت الإمارة إلا يومئذ، وجعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول: هو هذا قال: فالتفت إلى علي رضي الله عنه، فأخذ بيده، ثم قال: هو هذا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) «ولايتك كولايتي عهد عهده إليَّ ربِّي وأمرني أن أُبلِّغكموه» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) «أللهم اجعله لي عوناً وعضداً وناصراً» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «المال يعسوب الظلمة وأنت يعسوب المؤمنين» غيري؟ قالوا: لا[1].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «لأبعثنَّ إليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان» غيري؟ قالوا: لا.

قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد أطعمه رسول الله (ص) رمانة وقال: «هذه من رمان الجنة لا ينبغي أن يأكل منه إلا نبي أو وصي نبي» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «ما سألت ربِّي شيئاً إلا أعطانيه ولم أسأل ربِّي شيئاً إلا سألت لك مثله» غيري؟ قالوا: لا[2].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت أقومهم بأمر الله وأوفاهم بعهد الله وأعلمهم بالقضية وأقسمهم بالسوية وأعظمهم عند الله مزية» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «فضلك على هذه الأُمَّة كفضل الشمس على القمر وكفضل القمر على النجوم» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) «يدخل الله وليَّك الجنة وعدوَّك النار» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «الناس من أشجار شتّى وأنا وأنت من شجرة واحدة» غيري؟ قالوا: لا[3].

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنا سيِّد ولد آدم وأنت سيد العرب والعجم ولا فخر» غيري؟ قالوا: لا[4].

---

(١) كنز العمال ج ٢ ص ١٥٣ الحديث ٢٥٣٦: «علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين».

(٢) كنز العمال ج ٦ ص ٢٥٩ الحديث ٢٦٦٧ قم يا علي فقد برئت. ما سألت الله شيئاً إلا سألت لك مثله، إلا أنَّه قيل لي: لا نبوَّة بعدك.

(٣) كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ الحديث ٢٥٦١ عن جابر: أنا وعلي من شجرة واحدة والناس من أشجار شتى والحديث ٢٥٦٢ عنه: «يا علي الناس من شجر شتّى وأنا وأنت من شجرة واحدة».

(٤) الصواعق المحرقة ص ١٢٠: روى البيهقي: أنَّه ظهر علي من البعد فقال (ص): «هذا سيد العرب». فقالت عائشة: ألستَ سيِّد العرب؟ فقال: «أنا سيِّد العالمين، وهو سيِّد العرب». ورواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس بلفظ: أنا سيِّد ولد آدم وعلي سيِّد العرب وقال: إنَّه صحيح ولم يخرجاه.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد رضي الله عنه في الآيتين من القرآن غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «موعدك موعدي وموعد شيعتك عند الحوض إذا خافت الأُمم ووضعت الموازين» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أللهم إنِّي أُحبّه فأحبَّه أللهم إنِّي أستودعكه» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) «أنت تحاج الناس فتحجحجهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وإقام الحدود، والقسم بالسوية» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله (ص) بيده (يوم بدر) فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه وهو يقول: «ألا إنَّ هذا ابن عمِّي ووزيري فوازروه وناصحوه وصدِّقوه فإنَّه وليّكم» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله فهل فيكم أحد كان جبرئيل أحد ضيفانه غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد أعطاه رسول الله (ص) حنوطاً من حنوط الجنة ثم أقسمه أثلاثاً ثلثاً لي تحنطني به، وثلثاً لابنتي. وثلثاً لك، غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد كان إذا دخل على رسول الله (ص) حيّاه وأدناه ورحب به وتهلّل له وجهه غيري؟ فقالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنا أفتخر بك يوم القيامة إذا افتخرت الأنبياء بأوصيائها» غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد سرَّحه رسول الله (ص) بسورة براءة إلى المشركين من أهل مكة غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «إنِّي لأرحمك من ضغائن في صدور أقوام عليك لا يظهرونها حتى يفقدوني فإذا فقدوني خالفوا فيها» غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أدَّى الله عن أمانتك أدَّى الله عن ذمتك» غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت قسيم النار تخرج منها من زكا وتذر فيها كلَّ كافر» غيري؟ قالوا: لا[١].

قال: فهل فيكم أحد فتح حصن خيبر وسبى بنت مرحب فأداها إلى رسول الله (ص) غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «ترد عليَّ الحوض أنت وشيعتك رواءً مرويين مبيضةً وجوههم، ويرد عليَّ عدوك ظماءً مظمئين مقتحمين مسودةً وجوههم» غيري؟ قالوا لا[٢].

قال لهم أمير المؤمنين (ع): أمّا إذا أقررتم على أنفسكم، واستبان لكم ذلك من قول نبيِّكم، فعليكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأنهاكم عن سخطه ولا تعصوا أمره، وردوا الحق إلى أهله، واتبعوا سنة نبيِّكم، فإنَّكم إن خالفتم خالفتم الله فادفعوها إلى من هو أهله وهي له.

قال: فتغامزوا فيما بينهم وتشاوروا وقالوا: «قد عرفنا فضله، وعلمنا أنَّه أحق الناس بها، ولكنَّه رجل لا يفضِّل أحداً على أحد، فإن ولَّيتموها إياه جعلكم وجميع الناس فيها شرعاً سواء، ولكن ولُّوها عثمان فإنَّه يهوى الذي تهوون» فدفعوها إليه.

* * *

احتجاجه (ع) على جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار لما تذاكروا فضلهم بما قال رسول الله (ص) من النص عليه وغيره من القول الجميل.

روي عن سليم بن قيس الهلالي[٣] أنَّه قال: «رأيت عليّاً (ع) في مسجد رسول الله (ص)، في خلافة عثمان وجماعة يتحدَّثون ويتذاكرون العلم، فذكروا قريشاً وفضلها وسوابقها وهجرتها، وما قال فيها رسول الله (ص) من الفضل، مثل قوله: «الأئمة من قريش» وقوله: «الناس تبع لقريش وقريش أئمة العرب» وقوله: «لا تسبقوا[٤] قريشاً» وقوله: «إنَّ للقريشي مثل قوَّة رجلين من غيرهم» وقوله: «من أبغض قريشاً أبغضه الله» وقوله: «من أراد هوان قريش أهانه الله».

وذكروا الأنصار وفضلها وسوابقها ونصرتها، وما أثنى الله عليهم في كتابه، وما قال فيهم رسول الله

---

(١) ينابيع المودة ص ٨٤ قال: أخرج ابن المغازلي الشافعي بسنده عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله (ص): «يا علي إنَّك قسيم الجنة والنار، أنت تقرع باب الجنة وتدخلها أحباءك بغير حساب».

(٢) راجع هامش ص ١٩٩ في تفسير قوله تعالى: ﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾. وفي بعض النسخ «ظماء مفحمين».

(٤) قال الأميني - في ج ١ ص ١٦٣ من الغدير: روى شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الدين بن حمويه باسناده في فرائد السمطين في السمط الأول في الباب الثامن والخمسين، عن التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي قال: رأيت عليّاً وساق الرواية... ثم قال: هذا لفظ الحمويني وفي كتاب سليم بن قيس نفسه اختلاف يسير وزيادات.

(٥) وفي نسخة «لا تسبوا».

من الفضل مثل قوله: «الأنصار كرشي وعيبتي» ومثل قوله: «من أحبَّ الأنصار أحبَّه الله، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله» ومثل قوله (ص): «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله وبرسوله» وقوله: «لو سلك الناس شعباً لسلكت شعب الأنصار».

وذكروا ما قال في سعد بن معاذ في جنازته وأنَّ العرش اهتز لموته، وقوله (ص) لما جيء إليه بمناديل من اليمن فأُعجب الناس بها، فقال: «لمناديل سعد في الجنة أحسن منها» والذي غسلته الملائكة، والذي حمته الدبر، فلم يدعوا شيئاً من فضلهم، حتى قال كلّ حي منها. «منا فلان وفلان» وقالت قريش: «منا رسول الله، ومنا حمزة، ومنا جعفر، ومنا عبيدة بن الحارث، وزيد بن حارثة، ومنا أبو بكر، وعمر، وسعد، وأبو عبيدة، وسالم وابن عوف» فلم يدعوا من الحيين أحداً من أهل السابقة إلا سمَّوه، وفي الحلقة أكثر من مائتي رجل، فيهم علي بن أبي طالب (ع) وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وعمار، والمقداد، وأبوذر، وهاشم بن عتبة، وابن عمر، والحسن، والحسين (ع)، وابن عباس، ومحمّد بن أبي بكر، وعبد الله بن جعفر، ومن الأنصار أُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو أيوب الأنصاري وأبو هيثم بن التّيهان، ومحمّد بن سلمة، وقيس بن سعد بن عبادة، وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وعبد الله بن أبي أوفى، وأبو ليلى ومعه ابنه، وعبد الرحمن قاعد بجنبه غلام أمرد الوجه مديد القامة، فجاء أبو الحسن البصري ومعه ابنه الحسن غلام أمرد صبيح الوجه معتدل القامة، قال: فجعلت أنظر إليه وإلى عبد الرحمن بن أبي ليلى فلا أدري أيهما أجمل، غير أنَّ الحسن أعظمهما وأطولهما. .

وأكثر القوم في الحديث: وذلك من بكرة الى حين الزوال، وعثمان في داره لا يعلم بشيءٍ مما هم فيه، وعلي بن أبي طالب لا ينطق هو ولا أحد من أهل بيته فأقبل القوم عليه فقالوا: يا أبا الحسن ما يمنعك أن تتكلم؟

فقال (ع) لهم: ما من الحيين أحد إلا وقد ذكر فضلاً، وقال حقاً، فأنا أسألكم يا معشر قريش والأنصار، بمن أعطاكم الله هذا الفضل، أبأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم أم بغيركم؟

قالوا: بل أعطانا الله ومنَّ به علينا بمحمد وعشيرته، لا بأنفسنا وعشائرنا ولا بأهل بيوتنا.

قال: صدقتم، يا معشر قريش والأنصار، أتعلمون الذي نلتم به من خير الدنيا والآخرة منا أهل البيت خاصة دون غيرهم؟ فإنَّ ابن عمي رسول الله قال: «إنّي وأهل بيتي كنا نوراً بين يدي الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف سنة، فلما خلق الله آدم وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض، ثم حمله في السفينة في صلب نوح (ع)، ثم قذف به في النار في صلب إبراهيم (ع)، ثم لم يزل الله عزَّ وجل ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الكريمة، من الآباء والأُمَّهات، لم يلتق واحد منهم على سفاح قط».

فقال أهل السابقة، وأهل بدر، وأهل أُحد: نعم قد سمعنا ذلك من رسول الله .

ثم قال: أُنشدكم بالله أتعلمون أنّي أول الأُمّة إيماناً بالله وبرسوله؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: فأُنشدكم بالله أتعلمون أنَّ الله عزَّ وجل فضَّل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية، وأنّي لم يسبقني إلى الله عزَّ وجل وإلى رسول الله (ص) أحد من هذه الأُمَّة؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: فأُنشدكم بالله أتعلمون حيث نزلت: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار**[1]﴾. ﴿**والسابقون السابقون أولئك المقربون**[2]﴾ وسئل عنها رسول الله (ص) فقال: «أنزله الله عز وجل في الأنبياء وأوصيائهم فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعليّ بن أبي طالب (ع) وصيي أفضل الأوصياء» قالوا: اللهم نعم.

قال: فأُنشدكم بالله أتعلمون حيث نزلت: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسول وأُولي الأمر منكم**[3]﴾ وحيث نزلت: ﴿**إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصَّلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**[4]﴾ وحيث نزلت: ﴿**ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة**[5]﴾ قال الناس: «يا رسول الله أخاصة في بعض المؤمنين أم عامة لجميعهم؟» فأمر الله عز وجل نبيه أن يعلمهم ولاة أمرهم، وأن يفسِّر لهم من الولاية ما فسَّر لهم من صلاتهم، وزكاتهم وصومهم، وحجهم، فنصبني للناس علماً بغدير خم.

ثم خطب فقال: «أيّها الناس إنَّ الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري فظننت أنَّ الناس مكذِّبيَّ فأوعدني لأُبلِّغنَّها أو ليعذِّبني». ثم أمر فنودي بالصلاة جامعة، ثم خطب فقال:

«أيها الناس أتعلمون أنَّ الله عزَّ وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: قم يا علي، فقمت فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فقام سلمان فقال: «يا رسول الله ولاه كماذا؟» فقال: « لا كولائي فمن كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه» فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا**[6]﴾ فكبَّر رسول الله (ص) فقال: «الله أكبر على تمام نبوَّتي، وتمام دين الله ولاية عليٍّ بعدي».

فقام أبو بكر وعمر فقالا: «يا رسول الله هؤلاء الآيات خاصة في عليٍّ؟»

قال (ص): «بلى، فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة».

قالا: «يا رسول الله بيِّنهم لنا».

---

(١) التوبة: ١٠٠
(٢) الواقعة: ١٠
(٣) النساء ٥٩
(٤) راجع هامش ص ١٦١
(٥) التوبة ١٦
(٦) المائدة ٣

قال: أخي ، ووزيري ، ووارثي ، ووصيّي ، وخليفتي ، في أُمَّتي ، وولي كلّ مؤمن بعدي ، ثم ابنيَّ الحسن والحسين، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم، حتى يردوا عليَّ الحوض.

فقالوا كلهم: «اللهم نعم، قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت سواء» وقال بعضهم: «قد حفظنا جلَّ ما قلت ولم نحفظ كلَّه وهؤلاء الذين حفظوا أخيارنا وأفاضلنا».

فقال علي (ع): «صدقتم ليس كل الناس يستوي في الحفظ». أُنشدكم بالله من حفظ ذلك من رسول الله لما قام وأخبر به؟

فقام زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، فقالوا: «نشهد لقد حفظنا قول رسول الله (ص) وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه وهو يقول: أيها الناس أمرني الله أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيي وخليفتي، والذي فرض على المؤمنين في كتابه طاعته، وقرنه بطاعته وطاعتي، وأمركم بولايته وإنِّي راجعت ربِّي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم، فأوعدني لأُبلِّغنَّها أو ليعذِّبني.

أيّها الناس إنَّ الله أمركم في كتابه بالصَّلاة فقد بيَّنتها لكم والزكاة، والصوم، والحج. فقد بيّنتها لكم وفسَّرتها، وأمركم بالولاية وإنِّي أُشهدكم أنّها لهذا خاصة - ووضع يده على يد عليٍّ بن أبي طالب - ثم لابنيه من بعده، ثم للأوصياء من بعدهم، ومن ولدهم (ع) لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم القرآن، حتى يردوا عليَّ الحوض، أيّها الناس قد بيَّنت لكم مفزعكم[1] بعدي، وإمامكم، ودليلكم، وهاديكم، وهو: أخي ﴿علي بن أبي طالب﴾ وهو فيكم بمنزلتي فيكم، فقلِّدوه دينكم، وأطيعوه في جميع أُموركم، فإنَّ عنده جميع ما علَّمني الله عزَّ وجل من علمه وحكمته، فاسألوه وتعلَّموا منه ومن أوصيائه بعده، ولا تعلِّموهم، ولا تتقدَّموهم، ولا تخلَّفوا عنهم، فإنَّهم مع الحق والحق معهم لا يزايلهم[2]» ثم جلسوا.

قال سليم: ثم قال عليٌّ (ع):

أيُّها الناس أتعلمون أنَّ الله عزّ وجل أنزل في كتابه: **﴿إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً﴾** فجمعني وفاطمة وابنيه حسناً وحسيناً ثم ألقى علينا كساءً فدكيّاً وقال: «أللهم هؤلاء أهل بيتي ولحمي ، يؤلمني ما يؤلمهم، ويجرحني ما يجرحهم، فأذهب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيراً» فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: «أنت إلى خير، إنَّما نزلت فيَّ، وفي أخي عليّ، وفي ابنتي فاطمة، وفي ابنيَّ، وفي تسعة من ولد الحسين خاصة، وليس معنا أحد غيرنا»؟

فقالوا كلهم: «نشهد أنَّ أُمَّ سلمة حدَّثتنا بذلك، فسألنا رسول الله (ص) فحدَّثنا كما حدَّثتنا به أُم سلمة».

قال عليّ (ع): أُنشدكم بالله أتعلمون أنَّ الله أنزل **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع**

---

(١) المفزع: الملجأ.

(٢) زايله : فارقه.

الصّادقين[١]﴾ فقال سلمان: «يا رسول الله عامة هذه الآية أم خاصة؟» فقال: «أما المأمورون فعامة المؤمنين أُمروا بذلك، وأما الصّادقون خاصة لأخي عليٍّ وأوصيائي بعده إلى يوم القيامة؟ فقالوا: اللهم نعم.

قال أُنشدكم بالله أتعلمون أنّي قلت لرسول الله (ص) في غزاة تبوك: لم تخلفني؟ فقال: «إنَّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي»؟ قالوا: اللهم نعم.

قال أُنشدكم بالله أتعلمون أنَّ الله عزَّ وجل أنزل في سورة الحج: **﴿يا أيّها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير لعلّكم تفلحون[٢]﴾** إلى آخر السورة، فقام سلمان فقال: «يا رسول الله من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد، وهم شهداء على الناس، الذين اجتباهم، ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم؟» قال: «عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصة دون هذه الأُمَّة» فقال سلمان: «بيِّنهم لنا يا رسول الله» فقال: «أنا، وأخي عليّ وأحد عشر من ولدي»؟ قالوا: اللهم نعم.

قال أُنشدكم بالله أتعلمون أنَّ رسول الله (ص) قام خطيباً ولم يخطب بعد ذلك فقال: «يا أيها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين[٣] كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فتمسَّكوا بهما، لا تضلوا، فإنَّ اللطيف الخبير أخبرني وعهد إليَّ أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض». فقام عمر بن الخطاب ـ وهو شبه المغضب ـ فقال: «يا رسول الله أكلّ أهل بيتك؟» قال: لا. ولكن أوصيائي منهم، أوّلهم أخي، ووزيري، وخليفتي في أُمتي، وولي كلِّ مؤمن ومؤمنة بعدي، هو أولهم، ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين، واحد بعد واحد حتى يردوا عليَّ الحوض، شهداء الله في أرضه، وحججه على خلقه، وخزّان علمه، ومعادن حكمته، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله».

فقالوا كلّهم: «نشهد أن رسول الله (ص) قال ذلك».

---

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) الحج: ٧٧.

(٣) قال السيد شرف الدين: في المراجعة «٨» ص ٥١:

والصحاح الحاكمة بوجوب التمسك بالثقلين متواترة، وطرقها عن بضع وعشرين صحابياً متضافرة وقد صدع بها رسول الله «ص» في مواقف له شتى: تارة يوم غدير خم كما سمعت، وتارة يوم عرفة في حجة الوداع، وتارة بعد انصرافه من الطائف ومرة على منبره في المدينة، وأُخرى في حجرته المباركة في مرضه، والحجرة غاصة بأصحابه إذ قال: «أيها الناس يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إنّي مخلّف فيكم كتاب الله عزَّ وجل، وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد عليٍّ فرفعها فقال: هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض» الحديث وقد اعترف بذلك جماعة من أعلام الجمهور، حتى قال ابن حجر ـ إذ أورد ـ حديث الثقلين ـ: «ثم اعلم أنَّ لحديث التمسك بهما طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً» «قال» ومر له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنَّه قال ذلك: بحجة الوداع بعرفة، وفي أُخرى إنَّه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أُخرى إنَّه قال ذلك بغدير خم، وفي أُخرى إنَّه قال ذلك لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مر» «قال» «ولا تنافي إذ لا مانع من أنَّه كرَّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة» إلى آخر كلامه انتهى ما أردنا نقله من كتاب المراجعات وتجد ما نقله السيد «قدس سره» من كلام ابن حجر في ص ٧٥ و ٨٩ من صواعقه.

ثم تمادى بعليٍّ (ع) السؤال والمناشدة، فما ترك شيئاً إلا ناشدهم الله فيه وسألهم عنه، حتى أتى عليٌّ على أكثر مناقبه، وما قال له رسول الله (ص)، كل ذلك يصدِّقونه ويشهدون أنَّه حق.

ثم قال حين فرغ: «اللهم اشهد عليهم» وقالوا: «اللهم اشهد أنا لم نقل إلا ما سمعناه من رسول الله (ص)، وما حدَّثنا من نثق به من هؤلاء وغيرهم أنَّهم سمعوه من رسول الله (ص)».

قال: أتقرّون بأنَّ رسول الله (ص) قال: «من زعم أنَّه يحبني ويبغض عليّاً فقد كذب وليس يحبني» ووضع يده على رأسي فقال له قائل: «كيف ذلك يا رسول الله؟» قال: «لأنَّه مني وأنا منه ومن أحبَّه فقد أحبَّني، ومن أحبَّني فقد أحبَّ الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله؟» قال نحو عشرين رجلاً من أفاضل الحيين: اللهم نعم، وسكت بقيتهم.

فقال للسكوت: ما لكم سكتم؟ قالوا: «هؤلاء الذين شهدوا عندنا ثقاة في قولهم وفضلهم وسابقتهم» فقال: اللهم اشهد عليهم.

فقال طلحة بن عبد الله ـ وكان يقال له: «داهية قريش» ـ: فكيف نصنع بما ادعى أبو بكر وأصحابه الذين صدَّقوه، وشهدوا على مقالته يوم أتوه بك بعتل[1] وفي عنقك حبل، فقالوا لك: «بايع» فاحتججت بما احتججت به، فصدَّقوك جميعاً ثم ادعى أنَّه سمع رسول الله يقول: أبى الله أن يجمع لنا أهل البيت النبوَّة والخلافة فصدَّقه بذلك عمر، وأبو عبيدة، وسالم، ومعاذ. ثم قال طلحة: كل الذي قلت وادعيت واحتججت به من السابقة والفضل حق نقر به ونعرفه، وأما الخلافة فقد شهد أولئك الأربعة بما سمعت.

فقام علي (ع) عند ذلك، وغضب من مقالته، فأخرج شيئاً قد كان يكتمه وفسَّر شيئاً قال له عمر يوم مات لم يدر ما عنى به، فأقبل على طلحة ـ والناس يسمعون ـ فقال: أما والله يا طلحة ما صحيفة ألقى الله بها يوم القيامة أحب إليّ من صحيفة الأربعة الذين تعاهدوا على الوفاء بها في الكعبة، إن قتل الله محمّداً أو توفاه أن يتوازروا دون عليٍّ ويتظاهروا فلا تصل إليَّ الخلافة».

والدليل والله على باطل ما شهدوا وما قلت يا طلحة: قول نبي الله يوم غدير خم: «من كنت أولى به من نفسه فعليٌّ أولى به من نفسه». فكيف أكون أولى بهم من أنفسهم وهم أُمراء عليَّ وحكام؟ وقول رسول الله (ص): «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوَّة» فلو كان مع النبوَّة غيرها لاستثناه رسول الله (ص).

وقوله: «إنّي تركت فيكم أمرين كتاب الله وعترتي، لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، لا تقدّموهم ولا تخلّفوا عنهم، ولا تعلّموهم، فإنَّهم أعلم منكم أفينبغي أن لا يكون الخليفة على الأُمّة إلا أعلمهم بكتاب الله وسنة نبيه؟ !وقد قال الله عز وجل: **﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتَّبع أم من لا يهدِّي إلا أن يهدى فما**

---

(١) العتل: الجذب العنيف تقول عتلت الرجل إذا جذبته جذباً عنيفاً.

لكم كيف تحكمون[1]﴾؟! وقال تعالى: ﴿**إنَّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم**[2]﴾ وقال: ﴿**ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم**[3]﴾ وقال رسول الله (ص): «ما ولت أُمَّة قط أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل يذهب أمرهم سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا» فما الولاية غير الإمارة؟

والدليل على كذبهم وباطلهم وفجورهم: أنَّهم سلَّموا عليَّ بإمرة المؤمنين بأمر رسول الله. ومن الحجة عليهم وعليك خاصة، وعلى هذا معك ـ يعني: الزبير ـ وعلى الأُمَّة، وعلى سعد بن أبي وقاص، وابن عوف، وخليفتكم هذا القائم ـ يعني عثمان ـ فإنا معشر الشورى أحياء كلنا، ان جعلني عمر بن الخطاب في الشورى إن كان قد صدق وأصحابه على رسول الله (ص): أجعلنا في الشورى في الخلافة أم في غيرها؟ فإن زعمتم أنَّه جعلها شورى في غير الإمارة، فليس لعثمان إمارة وإنَّما أمرنا أن نتشاور في غيرها، وإن كانت الشورى فيها، فلم أدخلني فيكم، فهلا أخرجني وقد قال: إنَّ رسول الله (ص) أخرج أهل بيته من الخلافة وأخبر أنَّه ليس لهم فيها نصيب؟! ولِمَ قال عمر حين دعانا رجلاً رجلاً ـ.

فقال عليّ (ع): لعبد الله ابنه، وها هوذا، أُنشدك بالله يا عبد الله بن عمر ما قال لك حين خرجت؟

قال: أما إذ ناشدتني بالله فإنَّه قال: إن يتبعوا أصلع قريش يحملهم على المحجة البيضاء، وأقامهم على كتاب ربِّهم وسنَّة نبيِّهم.

قال: يا ابن عمر فما قلت له عند ذلك؟

قال: قلت له: فما يمنعك أن تستخلفه؟

قال: وما ردَّ عليك؟

قال: ردَّ عليَّ شيئاً أكتمه.

قال عليٌّ: فإنَّ رسول الله (ص) خبَّرني به في حياته، ثم أخبرني به ليلة مات أبوك في منامي، ومن رأى رسول الله (ص) مناماً فقد رآه. قال: فما أخبرك به؟

قال (ع): فأُنشدك بالله يا ابن عمر لئن أخبرتك به لتصدقنّ؟ قال: إذن سكت. قال: فإنَّه قال لك حين قلت له: فما يمنعك أن تستخلفه؟ قال: الصحيفة التي كتبناها بيننا، والعهد في الكعبة، فسكت ابن عمر.

فقال أسألك بحق رسولك لم سكت عنِّي؟

قال سليم: فرأيت ابن عمر في ذلك المجلس خنقته العبرة وعيناه تسيلان.

---

(١) يونس: ٣٥.
(٢) البقرة: ٢٤٧.
(٣) الأحقاف: ٤.

وأقبل أمير المؤمنين (ع) على طلحة، والزبير، وابن عوف، وسعد، فقال: لئن كان أولئك الخمسة أو الأربعة كذبوا على رسول الله (ص) ما يحل لكم ولايتهم وإن كانوا صدقوا ما حلَّ لكم أيها الخمسة أو الأربعة أن تدخلوني معكم في الشورى لأنَّ إدخالكم إياي فيها خلاف على رسول الله (ص) ورد عليه.

ثم أقبل على الناس فقال: أخبروني عن منزلتي فيكم وما تعرفوني به أصادق أنا فيكم أم كاذب؟ قالوا: صدوق لا والله ما علمناك كذبت قط في الجاهلية ولا الإسلام قال: فوالله الذي أكرمنا أهل البيت بالنبوَّة، وجعل منا محمّداً وأكرمنا بعده بأن جعلنا أئمة للمؤمنين، لا يبلّغ عنه غيرنا، ولا تصلح الإمامة والخلافة إلا فينا، ولم يجعل لأحد من الناس فيها معنا أهل البيت نصيباً ولا حقاً، أما رسول الله (ص) خاتم النبيين ليس بعده نبي ولا رسول، ختم برسول الله الأنبياء إلى يوم القيامة، وجعلنا من بعد محمّد خلفاء في أرضه وشهداء على خلقه فرض طاعتنا في كتابه وقرننا بنفسه ونبيه، في غير آية من القرآن، فالله عزَّ وجل جعل محمّداً نبياً، وجعلنا خلفاء من بعده في كتابه المنزل، ثم إنَّ الله عزَّ وجل أمر نبيَّه أن يبلّغ ذلك أُمَّته فبلّغهم كما أمره الله، فأيكما أحق بمجلس رسول الله (ص) ومكانه؟ وقد سمعتم رسول الله (ص) حين بعثني ببراءة فقال: «لا يبلّغ عني إلا رجل منّي». أنشدتكم بالله أسمعتم ذلك من رسول الله (ص)؟ قالوا: «اللهم نعم، نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله (ص) حين بعثك ببراءة».

فقال أمير المؤمنين (ع): لا يصلح لصاحبكم أن يبلّغ عنه صحيفة[1] أربع أصابع، ولن يصلح أن يكون المبلّغ عنه غيري، فأيّهما أحق بمجلسه ومكانه الذي سمي بخاصة أنه من رسول الله (ص) أو من حضر مجلسه من الأمة؟

فقال طلحة: قد سمعنا ذلك من رسول الله (ص)، ففسِّر لنا كيف لا يصلح لأحد أن يبلّغ عن رسول الله غيرك؟ وقد قال - لنا ولسائر الناس -: «ليبلغ الشاهد الغائب» فقال - بعرفة من حجة الوداع -: «نصر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها غيره، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يحل عليهنَّ قلب امرء مسلم أخلص العمل لله عز وجل: السمع، والطاعة، والمناصحة لولاة الأمر ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم». وقال - في غير موطن -: «ليبلغ الشاهد الغائب».

فقال عليّ (ع): إنَّ الذي قال رسول الله (ص) يوم غدير خم، ويوم عرفة في حجة الوداع في آخر خطبة خطبها حين قال: «إنّي قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسَّكتم بهما، كتاب الله، وأهل بيتي، فإنَّ اللطيف الخبير قد عهد إليَّ أنَّهما لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض، كهاتين ولا أقول كهاتين - فأشار إلى سبابته وإبهامه - لأنَّ أحدهما قدام الآخر فتمسَّكوا بهما لن تضلوا ولا تزالوا، ولا تقدّموهم، ولا تخلّفوا عنهم، ولا تعلّموهم، فإنّهم أعلم منكم» إنّما أمر الله العامة جميعاً أن يبلغوا من لقوا من العامة إيجاب طاعة الأئمة من آل محمّد (ص) وإيجاب حقّهم، ولم يقل ذلك في شيءٍ من الأشياء غير

---

(١) يريد الصحيفة التي كتبت بها سورة براءة.

ذلك، وإنَّما أمر العامة أن يبلغوا العامة حجة من لا يبلغ عن رسول الله جميع ما بعثه الله به غيرهم، ألا ترى يا طلحة أنَّ رسول الله (ص) قال لي ـ وأنتم تسمعون ـ: «يا أخي إنَّه لا يقضي عنّي ديني ولا يبرىء ذمتي غيرك، تبرىء ذمتي، وتؤدي ديني وغراماتي، وتقاتل على سنتي» فلما ولي أبو بكر قضى عن رسول الله (ص) عداته ودينه، فاتبعتموه جميعاً، فقضيت دينه وعداته، وقد أخبرهم أنَّه لا يقضي عنه دينه وعداته غيري، ولم يكن ما أعطاهم أبو بكر قضاء لدينه وعداته، وإنَّما كان الذي قضيت من الدين والعدة هو الذي أبرأه منه، وإنَّما بلغ عن رسول الله (ص) جميع ما جاء به من عند الله من بعد الأئمة الذين فرض الله في الكتاب طاعتهم وأمر بولايتهم، الذين من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله.

فقال طلحة: «فرَّجت عنّي، ما كنت أدري ما عنى بذلك رسول الله (ص) حتى فسَّرته لي، فجزاك الله يا أبا الحسن عن جميع أُمَّة محمّد الجنة، يا أبا الحسن شيئاً أُريد أن أسألك عنه، رأيتك خرجت بثوب مختوم، فقلت: أيها الناس إنّي لم أزل مشتغلاً برسول الله بغسله، وكفنه، ودفنه، ثم اشتغلت بكتاب الله حتى جمعته، فهذا كتاب الله عندي مجموعاً لم يسقط حتى حرف واحد، ولم أر ذلك الذي كتبت وألفت، وقد رأيت عمر بعث إليك أن ابعث به إليَّ فأبيت أن تفعل فدعا عمر الناس فإذا شهد رجلان على آية كتبها، وإن لم يشهد عليها غير رجل واحد أرجأها[1] فلم يكتب، فقال عمر: وأنا أسمع أنَّه قد قتل يوم اليمامة قوم كانوا يقرؤون قرآناً لا يقرؤه غيرهم، فقد ذهب وقد جاءت شاة إلى صحيفة وكتاب يكتبون فأكلتها وذهب ما فيها والكاتب يومئذ عثمان، وسمعت عمر وأصحابه الذين ألفوا ما كتبوا على عهد عمر وعلى عهد عثمان يقولون: إنَّ الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، وإنَّ النور ستون ومائة آية، والحجر تسعون ومائة آية، فما هذا؟ وما يمنعك يرحمك الله أن تخرج كتاب الله إلى الناس، وقد عهد عثمان حين أخذ ما ألف عمر فجمع له الكتاب، وحمل الناس على قراءة واحدة، فمزق مصحف أُبيّ بن كعب، وابن مسعود، وأحرقهما بالنار؟

فقال له عليّ (ع): يا طلحة إنَّ كل آية أنزلها الله جلَّ وعلا على محمّد عندي بإملاء رسول الله وخط يدي، وتأويل كل آية أنزلها الله على محمّد وكل حرام وحلال أو حدّ أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأُمة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول الله (ص) وخط يدي، حتى أرش الخدش[2].

قال طلحة: كل شيء من صغير وكبير أو خاص أو عام كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك مكتوب؟

قال: نعم، وسوى ذلك، إنَّ رسول الله (ص) أسرَّ إليَّ في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب، ولو أنَّ الأُمَّة منذ قبض رسول الله (ص) اتبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، يا طلحة ألست قد شهدت رسول الله (ص) حين دعا بالكتف ليكتب فيه ما لا تضل أُمّته، فقال صاحبك إنَّ نبي الله يهجر[3]، فغضب رسول الله (ص) وتركها؟ فقال: بلى قد شهدته.

---

(١) أرجأها: أخرها. (٢) الأرش: الدية.

(٣) في شرح النهج لابن أبي الحديد ص ٢ من ج ٢ مسنداً عن عليٍّ بن عبد الله بن العباس عن أبيه قال:ـ =

قال: فإنّكم لما خرجتم أخبرني رسول الله (ص) بالذي أراد أن يكتب ويشهد عليه العامة، فأخبره جبرئيل أنَّ الله قضى على أُمَّتك الإختلاف والفرقة ثم دعا بصحيفة فأملى عليَّ ما أراد أن يكتب في الكتف، وأشهد على ذلك ثلاثة رهط: سلمان، وأبا ذر، والمقداد. وسمى من يكون من أئمة الهدى الذين أمر الله بطاعتهم إلى يوم القيامة[1] فسمّاني أولهم، ثم ابنيَّ هذين ـ وأشار بيده إلى الحسن والحسين ـ ثم تسعة من ولد ابني الحسين، وكذلك كان يا أبا ذر ويا مقداد؟ فقاما ثم قالا: نشهد بذلك على رسول الله (ص).

فقال طلحة: والله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: «ما أقلَّت الغبراء ولا أظلَّت الخضراء على ذي لهجة أصدق ولا أبر عند الله من أبي ذر، وأنا أشهد أنّهما لم يشهدا الا بالحقّ، ولأنت عندي أصدق وأبرّ منهما».

ثم أقبل عليٌّ (ع) فقال: اتق الله يا طلحة، وأنت يا زبير، وأنت يا سعد، وأنت يا ابن عوف. إتقوا الله وآثروا رضاه، واختاروا ما عنده، ولا تخافوا في الله لومة لائم

ثم قال طلحة: لا أراك يا أبا الحسن أجبتني عما سألتك عنه من أمر القرآن ألا تظهره للناس؟

قال: يا طلحة عمداً كففت عن جوابك، فأخبرني عما كتب عمر وعثمان أقرآن كله أم فيه ما ليس بقرآن؟ قال طلحة: بل قرآن كله.

قال: إن أخذتم بما فيه، نجوتم من النار ودخلتم الجنة، فإنَّ فيه حجتنا وبيان حقنا، وفرض طاعتنا.

قال طلحة: حسبي أما إذا كان قرآنا فحسبي. ثم قال طلحة: فأخبرني عما في يدك من القرآن وتأويله، وعلم الحلال والحرام، إلى من تدفعه ومن صاحبه بعدك؟ قال: إنَّ الذي أمرني رسول الله

= لما حضرت رسول الله (ص) الوفاة ـ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ـ قال رسول الله (ص): إئتوني بكتاب وصحيفة، أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدي» فقال عمر: كلمة معناها أنَّ الوجع قد غلب على رسول الله (ص) ثم قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف من في البيت واختصموا فمن قائل يقول: «القول ما قال رسول الله (ص) ومن قائل يقول القوم ما قال عمر، فلما اكثروا اللغط واللغو والاختلاف غضب رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: «قوموا إنَّه لا ينبغي لنبي أن يختلف عنده هكذا» فقاموا فمات رسول الله (ص) في ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول إنَّ الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله (ص).

قال ابن أبي الحديد قلت: هذا الحديث قد خرجه الشيخان: محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحيهما، واتفق المحدثون كافة على روايته.

(١) ينابيع المودة ص ٤٤٠ قال: وفي فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قدم يهودي يقال له: «الأعتل» فقال: يا محمد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يديك، قال: «سل يا أبا عمارة» فقال: يا محمد صف لي ربك... إلى أن قال: صدقت فأخبرني عن وصيك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصي، وإنَّ نبينا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون فقال: «إنَّ وصيي عليّ بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين». قال: يا محمد فسمِّهم لي قال: «إذا مضى الحسين فابنه علي فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه محمد فإذا مضى محمد فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي فهؤلاء اثنا عشر» الخ.

(ص) أن أدفعه إليه وصيي وأولى الناس بعدي بالناس ابني الحسن، ثم يدفعه ابني الحسن إلى ابني الحسين، ثم يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين حتى يرد آخرهم حوضه، هم مع القرآن لا يفارقونه والقرآن معهم لا يفارقهم، أما إنَّ معاوية وابنه سليمان بعد عثمان، ثم يليها سبعة من ولد الحكم بن أبي العاص، واحد بعد واحد، تكملة اثني عشر إمام ضلالة وهم الذين رأى رسول الله (ص) على منبره، يردّون الأُمة على أدبارهم القهقرى[١] عشرة منهم من بني أُمية ورجلان أسسا ذلك لهم وعليهما مثل جميع أوزار هذه الأُمة إلى يوم القيامة.

وفي رواية أبي ذر الغفاري[٢] أنَّه قال: لما توفي رسول الله (ص) جمع علي (ع) القرآن وجاء به الى

---

(١) تفسير الطبري ج ١٥ ص ٧٣ والقرطبي ج ١٠ ص ٢٨٣ من طريق سهل بن سعد قال: رأى رسول الله (ص) بني أُمية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتى مات. وأنزل الله تعالى **﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً﴾** الإسراء - ٦٠

(٢) أبو ذر الغفاري - واسمه جندب - بالجيم المضمومة والنون الساكنة والدال غير المعجمة المفتوحة والباء المنقطة تحتها نقطة - ابن جنادة - بالجيم المضمومة والنون والدال بعد الألف غير المعجمة - وقيل جندب بن السكن وقيل بريده بن جنادة عبد الله بن الصامت قال: قال لي أبو ذر: «يا ابن أخي صلّيت قبل الإسلام بأربع سنين» قلت له من كنت تعبد؟ قال: «إله السماء» قلت فأين كانت قبلتك؟ قال: «حيث وجهني الله عزَّ وجل».

وهو رابع من أسلم من الرجال فأول من أسلم علي بن أبي طالب، ثم أخوه جعفر الطيار، ثم زيد بن حارثة، وكان أبو ذر رحمه الله رابعهم.

وأمره رسول الله (ص) بالرجوع إلى أهله وقال له: «انطلق إلى بلادك حتى يظهر أمرنا» فرجع إليها حتى ظهر أمر رسول الله (ص) فهاجر إلى المدينة وآخى النبي (ص) بينه وبين المنذر بن عمرو في المؤاخاة الثانية، وهي مؤاخاة الأنصار مع المهاجرين بعد الهجرة بثمانية أشهر، ثم شهد مشاهد رسول الله (ص).

وفيه قال رسول الله (ص): ما أظلّت الخضراء وما أقلّت الغبراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذرّ، يعيش وحده ويموت وحده ويحشر وحده ويدخل الجنة وحده وقال (ص): أبو ذرّ، في أمتي شبيه عيسى بن مريم في زهده وورعه.

وقال أمير المؤمنين (ع): وعى أبو ذر علماً عجز الناس عنه، ثم أولى عليه فلم يخرج شيئاً.

وعن أبي عبد الله (ع): دخل أبو ذر على رسول الله (ص) ومعه جبرئيل فقال جبرئيل: من هذا يا رسول الله (ص)؟ قال أبو ذر. قال: أما أنه في السماء أعرف منه في الأرض سل عن كلمات يقولهن إذا أصبح قال: فقال يا أبا ذر كلمات تقولهنَّ إذا أصبحت فما هنَّ؟ قال: يا رسول الله: «اللهم إنِّي أسألك الإيمان بك والتصديق بنبيك، والعافية من جميع البلايا، والشكر على العافية، والغنى عن شرار الناس».

وبعد وفاة رسول الله (ص) لم يرتد أبو ذر، وامتنع عن البيعة لأبي بكر، وأنكر عليه قيامه مقام النبي (ص) وغصبه للخلافة، وهو أحد الأركان الأربعة وهم: سلمان والمقداد، وحذيفة، وأبو ذر، وممن حضر تشييع فاطمة، ولزم عليّاً (ع) وجاهر بذكر مناقب أهل البيت، ومثالب أعدائهم، وصبر على المشقة والعناء.

وما كانت تأخذه في الله لومة لائم. وكان يقول: أوصاني خليلي بست:

حب المساكين، وأن أنظر إلى من هو فوقي، وأن أقول الحق وإن كان مرّاً، وأن لا تأخذني في الله لومة لائم.

وقال له فتىً من قريش مرة: أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا؟ فقال: أرقيب أنت عليَّ؟ فوالذي نفسي بيده لو وضعتم الصمامة هاهنا، ثم ظننت أنِّي منفذ كلمة سمعتها من رسول الله (ص) قبل أن تحتزوا لأنفذتها.

وبينا هو واقف مع رسول الله (ص) يوماً إذ قال له رسول الله (ص): «يا أبا ذر أنت رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدي». قال أبو ذر: في الله؟ قال: «في الله» فقال أبو ذر: مرحباً بأمر الله. =

المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله (ص)، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه (ع) وانصرف ثم أحضروا زيد بن ثابت ـ وكان قارياً للقرآن ـ فقال له عمر: إنَّ علياً جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فضيحة وهتكاً للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر عليّ القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم؟ قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر: ما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك، وقد مضى شرح ذلك.

فلما استخلف عمر، سأل علياً (ع) أن يدفع إليهم القرآن فيحرِّفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسن إن جئت بالقرآن الذي كنت قد جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه، فقال (ع): هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنَّما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم، ولا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: ما جئتنا به، إنَّ القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهَّرون والأوصياء من ولدي، قال عمر: فهل لإظهاره وقت معلوم. فقال (ع) نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه، فتجري السنة به صلوات الله عليه[1].

وقال سليم بن قيس: بينا أنا وحبش بن معمر بمكة إذ قام أبو ذر وأخذ بحلقة الباب ثم نادى بأعلى

= ولما قام ثالث القوم نافجاً حضنيه ـ كما قال أمير المؤمنين (ع) ـ بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع. كان من الطبيعي أن يشتد نكير أبي ذر على الدولة الأموية، والسلالة الخبيثة، والشجرة الملعونة.

فأرسل إليه عثمان «٢٠٠» دينار بيد موليين له وقال لهما انطلقا إلى أبي ذر وقولا له: إنَّ عثمان يقرؤك السلام ويقول: هذه «٢٠٠» دينار فاستعن بها على ما نابك. فقال أبو ذر: هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قالا: لا. فردها عليه.

ودخل يوماً على عثمان، وكانوا يقتسمون مال عبد الرحمن بن عوف وكان عنده كعب فقال عثمان لكعب: ما تقول فيمن جمع هذا المال فكان يتصدق منه، ويعطي في السبل ويفعل ويفعل؟ قال كعب: إني لأرجو له خيراً، فغضب أبو ذر ورفع العصا على كعب وقال: «يابن اليهودية أنت تعلمنا معالم ديننا، وما يدريك ليودنَّ صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه».

ولما اشتد إنكاره على عثمان نفاه إلى الشام، فواصل النكير على عثمان ومعاوية، وكان يقول: والله إنِّي لأرى حقاً يطمى، وباطلاً يحيى، وصادقاً مكذباً، وإثرة بغير تقى وصالحاً مستأثراً عليه.

فكتب معاوية بذلك إلى عثمان فكتب إليه أن احمل أبا ذر على باب صعبة، وقتب ثم ابعث من ينجش به نجشاً عنيفاً حتى يدخل به عليّ.

ثم نفاه عثمان إلى الربذة وشيعه عند خروجه إلى الربذة أمير المؤمنين، والحسن والحسين (ع) ومات رحمه الله في الربذة سنة (٣٢) وصلّى عليه ابن مسعود.

خلاصة العلامة ص ٣٦، رجال الكشي ص ٢٧ تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٩٠ حلية الأولياء ج١ ص ١٥٦، صفة الصفوة ج ١ ص ٢٣٨ وج ١ من رجال المامقاني، ورجال الشيخ الطوسي ص ١٣ ـ ٣٦.

(١) ذكر المجلسي في بحار الأنوار ج ٨ ص ٤٦٣ بعد نقل هذه الرواية عن الإحتجاج ما يلي:

أقول: روى الصدوق (ره) مختصراً من هذا الإحتجاج عن أبيه وابن الوليد معاً عن سعد بن يزيد عن حماد بن عيسى عن اذينة عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس.

صوته في الموسم: «أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن جهلني فأنا جندب بن جنادة، أنا أبو ذر، أيها الناس إنّي قد سمعت نبيَّكم يقول: «إنَّ مثل أهل بيتي في أُمتي كمثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا ومن تركها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل» أيها الناس إنّي سمعت نبيّكم يقول: «إنّي تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وأهل بيتي» إلى آخر الحديث فلما قدم إلى المدينة بعث إليه عثمان وقال له: «ما حملك على ما قمت به في الموسم»؟ قال: عهد عهده إليَّ رسول الله (ص) وأمرني به فقال: من يشهد بذلك، فقام عليٌّ والمقداد فشهدا، ثم انصرفوا يمشون ثلاثتهم فقال عثمان: «إنَّ هذا وصاحبيه يحسبون أنَّهم في شيء».

وروي: أنَّ يوماً من الأيام قال عثمان بن عفان لعليٍّ بن أبي طالب (ع) «إن تربصت بي فقد تربصت بمن هو خير مني ومنك» قال عليّ (ع): ومن هو خير منّي؟ قال: أبو بكر وعمر. فقال عليّ (ع): كذبت أنا خير منك ومنهما عبدت الله قبلكم وعبدته بعدكم.

قال سليم بن قيس: حدَّثني سلمان والمقداد، وحدَّثنيه بعد ذلك أبو ذر، ثم سمعته من عليٍّ بن أبي طالب (ع)، قالوا: إنَّ رجلاً فاخر عليَّ بن أبي طالب (ع) فقال رسول الله ـ لما سمع به لعليٍّ بن أبي طالب ـ: فاخر العرب وأنت أكرمهم ابنَ عمٍّ، وأكرمهم صهراً، وأكرمهم زوجة، وأكرمهم ولداً، وأكرمهم أخاً، وأكرمهم عماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً، وأقدمهم سلماً، وأعظمهم غنىً بنفسك ومالك، وأقرأهم بكتاب الله، وأعلمهم بسنتي، وأشجعهم لقاء، وأجودهم كفاً، وأزهدهم في الدنيا، وأشهدهم اجتهاداً، وأحسنهم خلقاً، وأصدقهم لساناً، وأحبَّهم إلى الله وإليَّ، وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله وتصبر على ظلم قريش لك، تجاهدهم في سبيل الله إذا وجدت أعواناً، فتقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت معي على تنزيله، ثم تقتل شهيداً تخضب لحيتك من دم رأسك، قاتلك يعدل عاقر الناقة في البغض إلى الله والبعد منه.

قال سليم بن قيس: جلست إلى سلمان وأبي ذر والمقداد فجاء رجل من أهل الكوفة فجلس إليهم مسترشداً، فقال له سلمان: «عليك بكتاب الله فالزمه، وعليَّ بن أبي طالب فإنَّه مع القرآن لا يفارقه، فأنا أشهد أنّا سمعنا رسول الله (ص) يقول «إنَّ عليّاً يدور مع الحق حيث دار، وإنَّ عليّاً هو الصدِّيق والفاروق يفرق بين الحق والباطل»[1].

قال: فما بال القوم يسمون أبا بكر الصديق وعمر الفاروق قال: نحلهما الناس اسم غيرهما كما نحلوهما خلافة رسول الله (ص) وإمرة المؤمنين لقد أمرنا رسول الله (ص) وأمرهما معنا فسلَّمنا جميعاً على عليٍّ بإمرة المؤمنين.

---

(١) أخرج الطبري في الرياض النضرة ٢ / ١٥٥ بسنده عن أبي ذر: سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي (ع): أنت الصدِّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل. وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٠٢ والمناوي في فيض القدير ٤/٣٥٨ عن الطبراني والبزار والمتقي الهندي في كنز العمال ٦/١٥٦ عن الطبراني جميعاً عن سلمان وأبي ذر والبيهقي وابن عدي عن حذيفة قالوا: أخذ النبي (ص) بيد علي (ع) فقال: إنَّ هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصدِّيق الأكبر وهذا فاروق هذه الأمة يفرِّق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين.

وروى القاسم بن معاوية[١] قال: قلت لأبي عبد الله (ع): هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنّه لما أُسري برسول الله رأى على العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمّد رسول الله أبو بكر الصديق: فقال: «سبحان الله غيّروا كلَّ شيء حتى هذا» قلت: نعم.

قال: «إنّ الله عزَّ وجل لما خلق العرش كتب عليه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، عليٌّ أمير المؤمنين، ولما خلق الله عزّ وجل الماء كتب في مجراه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، عليٌّ أمير المؤمنين ولما خلق الله عزّ وجلّ الكرسي كتب على قوائمه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين ولما خلق الله عزّ وجلّ اللوح كتب فيه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولما خلق الله اسرافيل كتب على جبهته: لا إله الا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولما خلق الله جبرئيل كتب على جناحيه: لا إله الا الله، محمد رسول الله علي أمير المؤمنين ولما خلق الله عز وجل السماوات كتب في أكنافها: لا إله إلا الله محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين، ولما خلق الله عزّ وجل الأرضين كتب في أطباقها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الجبال كتب في رؤوسها: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الشمس كتب عليها: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين. ولما خلق الله عز وجل القمر كتب عليه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين، وهو السواد الذي ترونه في القمر فإذا قال أحدكم: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، فليقل عليّ أمير المؤمنين(ع).

وعن عبد الله بن الصامت[٢] قال: رأيت أبا ذر آخذاً بحلقة باب الكعبة مقبلاً بوجهه للناس وهو يقول:

أيّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فسأُنبئه باسمي أنا جندب بن السكن بن عبد الله أنا أبو ذر الغفاري أنا رابع أربعة ممن أسلم مع رسول الله (ص) سمعت رسول الله (ص) يقول ـ وذكر الحديث بطوله إلى قوله ـ: ألا أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها، لو قدَّمتم من قدّمه الله وأخرتم من أخره الله، وجعلتم الولاية حيث جعلها الله، لما عال ولي الله، ولما ضاع فرض من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم من أحكام الله، إلا كان علم ذلك عند أهل بيت نبيّكم، فذوقوا وبال ما كسبتم، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

---

(١) لم أعثر في كتب الرجال على صاحب هذا الاسم ولعله القاسم بن بريد بن معاوية العجلي عده الشيخ الطوسي في أصحاب الصادق والكاظم (ع) وفي خلاصة العلامة: القاسم بن بريد ـ بالباء المنقطة تحتها نقطة مضمومة ـ ابن معاوية العجلي ثقة روى عن أبي عبد الله (ع).

(٢) عبد الله بن الصامت، ابن أخي أبي ذر عنونه ابن داوود في الباب الأول كذلك، ونسب إلى الشيخ (ره) في رجاله عده من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام مضيفاً إلى ما في العنوان قوله: ممن أقام بالبصرة وكان شيعياً. ولكني لم أقف على ذلك في رجال الشيخ (ره) وعندي نسخ عديدة مصححة، ليس من ذلك في شيء منها أثر وإنما الموجود فيها: عبادة بن صامت إلى آخر ما نسبه في رجال الشيخ (ره) فهو سهو من قلمه الشريف. رجال المامقاني ج ٢ ص ١٨٩

وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال: إنَّ العلم الذي هبط به آدم من الجنة وما فضلت به النبيون (ع) في عترة نبيِّكم، فأين يتاه بكم؟

قال سليم بن قيس: سأل رجل عليَّ بن أبي طالب (ع) فقال ـ وأنا أسمع ـ: أخبرني بأفضل منقبة لك، قال: ماأنزل الله في كتابه، قال: وما أنزل الله فيك قال: ﴿**أفمن كان على بينة من ربِّه ويتلوه شاهد منه**﴾[1] أنا الشاهد من رسول الله (ص) وقوله: ﴿**ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾[2] إياي عني بمن عنده علم الكتاب فلم يدع شيئاً أنزله الله فيه إلا ذكره، مثل قوله: ﴿**إنَّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ وقوله: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم**﴾[3] وغير ذلك، قال: قلت: فأخبرني بأفضل منقبة لك من رسول الله (ص)، فقال: نصبه إياي يوم غدير خم فقال لي بالولاية بأمر الله عزَّ وجل وقوله أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى، وسافرت مع رسول الله (ص) ليس له خادم غيري، وكان له لحاف ليس له لحاف غيره، ومعه عائشة وكان رسول الله ينام بيني وبين عائشة ليس علينا ثلاثتنا لحاف غيره، فإذا قام إلى صلاة الليل يخط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتنا، فأخذتني الحمّى ليلة فأسهرتني فسهر رسول الله (ص) لسهري، فبات ليلته بيني وبين مصلاه يصلِّي ما قدِّر له، ثم يأتيني يسألني وينظر إليَّ فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح فلما صلّى بأصحابه الغداة قال: «اللهم اشف عليّاً وعافه، فإنَّه أسهرني الليلة مما به» ثم قال رسول الله (ص) ـ بمسمع من أصحابه ـ: «أبشر يا عليّ» قلت: بشرك الله بخير يا رسول الله وجعلني فداك، قال:

«**إنِّي لم أسأل الله الليلة شيئاً الا أعطانيه ولم أسأله لنفسي شيئاً الا سألت لك مثله وإنِّي دعوت الله عزَّ وجل أن يؤاخي بيني وبينك ففعل، وسألته أن يجعلك وليَّ كلِّ مؤمن ومؤمنة ففعل، وسألته أن يجمع عليك أُمّتي بعدي فأبى عليَّ**» فقال رجلان أحدهما لصاحبه: «أرأيت ما سأل؟

---

(١) هود ١٧.

ينابيع المودة والحمويني في فرائد السمطين ص ٣٣٨ أخرج بسنده عن ابن عباس وعن زاذان وهما عن عليٍّ كرّم الله وجهه قال: إنَّ رسول الله (ص) كان على بينة من ربه وأنا التالي الشاهد منه.

وابن المغازلي أخرج بسنده في المناقب ص ٢٧٠ عن عباد بن عبد الله قال: سمعت علياً كرّم الله وجهه يقول في خطبته ـ: ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد علمت متى أُنزلت، وفيمن أُنزلت، وما من قريش رجل إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله عز وجل تسوقه إلى جنّه أو نار. قال رجل: يا أمير المؤمنين فما نزلت فيك؟ قال: أما تقرأ ﴿**أفمن كان على بينة من ربِّه ويتلوه شاهد منه**﴾ الآية فرسول الله على بينة من ربه وأنا التالي الشاهد منه. وأخرجه بهذا اللفظ والسند في ينابيع المودة ص ٩٩ وأخرجه في الدر المنثور ٣/٣٢٤ عن ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة وأخرجه الطبري في تفسيره ١٢ / ١٠ الى غير ذلك من المصادر.

(٢) الرعد: ٤٣.

عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله (ص) عن هذه الآية: «**الذي عنده علم من الكتاب**» قال: ذاك وزير أخي سليمان بن داوود (ع). وسألته عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ قال: ذاك أخي عليّ بن أبي طالب. ينابيع المودة ص ١٠٣

(٣) النساء: ٥٩.

في ص ١١٤ من ينابيع المودة قال: في المناقب في تفسير مجاهد: إنَّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين (ع) حين خلفه رسول الله (ص) بالمدينة فقال: أما ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى حين قال موسى: اخلفني في قومي وأصلح.

فوالله لصاع من تمر خير مما سأل أولو كان سأل ربّه أن ينزل عليه ملكاً يعينه على عدوه، أو ينزل عليه كنزاً ينفقه وأصحابه فإنَّ بهم حاجة كان خيراً مما سأل» وما دعا علياً قط إلى خير إلا استجاب له.

❊ ❊ ❊

احتجاجه (ع) على الناكثين بيعته في خطبة خطبها حين نكثوها.

فقال: إنَّ الله ذا الجلال والإكرام لما خلق الخلق، اختار خيرة من خلقه واصطفى صفوة من عباده، وأرسل رسولاً منهم، وأنزل عليه كتابه، وشرع له دينه وفرض فرائضه، فكانت الجملة قول الله عزَّ وجل ذكره حيث أمر فقال: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسول وأُولي الأمر منكم**﴾ فهو لنا أهل البيت خاصة دون غيرنا، فانقلبتم على أعقابكم، وارتددتم ونقضتم الأمر، ونكثتم العهد، ولم تضروا الله شيئاً، وقد أمركم الله أن تردوا الأمر إلى الله وإلى رسوله وإلى أُولي الأمر منكم المستنبطين للعلم، فأقررتم ثم جحدتم، وقد قال الله لكم: ﴿**أوفوا بعهدي أُوف بعهدكم وإياي فارهبون**﴾[١].

إنَّ أهل الكتاب والحكمة والإيمان آل إبراهيم (ع) بينه الله لهم فحسدوا، فأنزل الله جل ذكره: ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً* فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً**﴾[٢] فنحن آل إبراهيم فقد حسدنا كما حسد آباؤ نا، وأول من حسد آدم الذي خلقه الله عز وجل بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلَّمه الأسماء كلَّها واصطفاه على العالمين، فحسده الشيطان فكان من الغاوين، ثم حسد قابيل هابيل فقتله فكان من الخاسرين، ونوح حسده قومه فقالوا: ﴿**ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون * ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنَّكم إذاً لخاسرون**﴾[٣] ولله الخيرة يختار من يشاء ويختص برحمته من يشاء ويؤتي الحكمة والعلم من يشاء ثم حسدوا نبينا محمّداً (ص)، ألا ونحن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، ونحن المحسودون كما حسد آباؤ نا، قال الله عز وجل: ﴿**إنَّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي**﴾[٤] وقال: ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾[٥].

فنحن أولى الناس بإبراهيم، ونحن ورثناه ونحن أُولوا الأرحام الذين ورثنا الكعبة، ونحن آل إبراهيم، أفترغبون عن ملَّة إبراهيم؟ وقد قال الله تعالى: ﴿**ومن تبعني فإنَّه مني**﴾[٦] يا قوم أدعوكم إلى الله وإلى رسوله، وإلى كتابه، وإلى ولي أمره، وإلى وصيِّه ووارثه من بعده، فاستجيبوا لنا، واتبعوا آل إبراهيم، واقتدوا بنا، فإنَّ ذلك لنا آل إبراهيم فرضاً واجباً والأفئدة من الناس تهوي إلينا، وذلك دعوة إبراهيم (ع) حيث قال: ﴿**فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم**﴾[٧] فهل نقمتم منا إلا أن آمنا بالله وما

---

(١) البقرة: ٤٠
(٢) النساء ٤ / ٥٥
(٣) المؤمنون - ٣٣ - ٣٤
(٤) آل عمران - ٦٨
(٥) الأحزاب - ٦
(٦) إبراهيم - ٣٦
(٧) إبراهيم - ٣٧

أُنزل علينا ولا تتفرّقوا فتضلوا، والله شهيد عليكم، قد أنذرتكم، ودعوتكم، وأرشدتكم، ثم أنتم وما تختارون.

* * *

احتجاج أمير المؤمنين (ع) على الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله لما أزمعا على الخروج عليه والحجة في أنهما خرجا من الدنيا غير تائبين من نكث البيعة.

روي عن ابن عباس رحمه الله أنَّه قال: كنت قاعداً عند عليٍّ (ع) حين دخل عليه طلحة والزبير فاستأذناه في العمرة فأبى أن يأذن لهما، وقال: قد اعتمرتما فأعاداعليه الكلام فأذن لهما، ثم التفت إليَّ فقال: والله ما يريدان العمرة، وإنَّما يريدان الغدرة، قلت له: فلا تأذن لهما، فردهما ثم قال لهما: والله ما تريدان العمرة وما تريدان إلا نكثاً لبيعتكما، وفرقة لأمتكما، فحلفا له فأذن لهما ثم التفت إليّ فقال والله ما يريدان العمرة قلت: فلِمَ أذنت لهما؟ قال: حلفا لي بالله، قال: فخرجا إلى مكة فدخلا على عائشة فلم يزالا بها حتى أخرجاها.

وروي أنَّه (ع) قال ـ عند توجههما إلى مكة للإجتماع مع عائشة للتأليب عليه بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه ـ:

أمّا بعد؛ فإنَّ الله عز وجل بعث محمّداً (ص) للناس كافة، وجعله رحمة للعالمين فصدع بما أُمر به[١] وبلّغ رسالات ربِّه، فلمَّ به الصدع[٢] ورتق به الفتق[٣] وأمّن به السبل[٤] وحقن به الدماء[٥] وألف بين ذوي الإحن[٦] والعداوة والوغر في الصدور والضغائن الراسخة في القلوب.

ثم قبضه الله إليه حميداً لم يقصر في الغاية التي إليها أدى الرسالة، ولا بلغ شيئاً كان في التقصير عنه عند الفقد، وكان من بعده ما كان من التنازع في الإمرة، وتولّى أبو بكر، وبعده عمر، ثم عثمان، فلما كان من أمره ما كان أتيتموني فقلتم: «بايعنا» فقلت: «لا أفعل» فقلتم: «بلى» فقلت: «لا» وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم فجذبتموها، وتداككتم عليَّ تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنكم قاتليَّ وأنَّ بعضكم قاتل بعض، فبسطت يدي فبايعتموني مختارين، وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين، ثم لم يلبثا أن استأذناني في العمرة، والله يعلم أنَّهما أرادا الغدرة، فجدَّدت عليهما العهد في الطاعة، وأن لا يبغيا للأُمة الغوائل، فعاهداني، ثم لم يفيا لي، ونكثا بيعتي، ونقضا عهدي، فعجباً من انقيادهما لأبي بكر وعمر، وخلافهما لي، ولست بدون أحد الرجلين، ولو شئت أن أقول لقلت: «اللهم اغضب عليهما بما صنعا وظفرني بهما».

وقال ـ (ع) في أثناء كلام آخر ـ:

---

(١) صدع بالأمر: أبانه وأظهره

(٢) الصدع: الكسر

(٣) الرتق: ضد الفتق وهو: الإلتيام.

(٤) السبل: الطرق.

(٥) حقنت دمه: خلاف هدرته، كأنَّك جمعته في صاحبه.

(٦) الإحن: الضغائن.

وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل النبوة، ولا من ذرية الرسول، حين رأيا أن قدرد علينا حقنا، بعد أعصر فلم يصبرا حولاً كاملاً، ولا شهراً كاملاً، حتى وثبا عليَّ، دأب الماضين قبلهما، ليذهبا بحقي ويفرِّقا جماعة المسلمين عنِّي، ثم دعا عليهما.

وعن سليم بن قيس الهلالي قال: لما التقى أمير المؤمنين (ع) بأهل البصرة يوم الجمل. نادى الزبير يا أبا عبد الله اخرج إليَّ فخرج الزبير ومعه طلحة، فقال لهما: والله إنّكما لتعلمان وأُولوا العلم من آل محمّد وعائشة بنت أبي بكر: أنَّ كلَّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمّد (ص) وقد خاب من افترى.

قالا: كيف نكون ملعونين ونحن أصحاب بدر وأهل الجنة؟! فقال (ع): لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم، فقال له الزبير: أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروي: أنَّه سمع من رسول الله (ص) يقول: «عشرة من قريش في الجنة»؟ قال عليّ (ع): سمعته يحدِّث بذلك عثمان في خلافته، فقال الزبير أفترى كذب على رسول الله (ص)؟ فقال له علي (ع): «لست أُخبرك بشيء حتى تسمِّيهم» قال الزبير: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن عمرو بن نفيل.

فقال له عليّ (ع): «عددت تسعة فمن العاشر؟» قال له: أنت.

قال عليّ (ع): قد أقررت أنِّي من أهل الجنة وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين، قال له: أفتراه كذب على رسول الله (ص)؟ قال (ع): ما أراه كذب، ولكنَّه والله اليقين.

فقال علي (ع): والله إنَّ بعض من سميته لفي تابوت في شعب في جب في أسفل درك من جهنم، على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنَّم رفع تلك الصخرة، سمعت ذلك من رسول الله (ص) وإلا أظفرك الله بي وسفك دمي على يديك، وإلا أظفرني الله عليك وعلى أصحابك وسفك دماءكم على يدي وعجل أرواحكم إلى النار، فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي.

وروى نصر بن مزاحم[1] أنَّ أمير المؤمنين (ع) حين وقع القتال وقتل طلحة، تقدم على بغلة رسول الله (ص) الشهباء بين الصفين، فدعا الزبير فدنى إليه حتى اختلف أعناق دابتيهما، فقال: يا زبير أُنشدك بالله أسمعت رسول الله (ص) يقول: إنَّك ستقاتل عليّاً وأنت له ظالم؟ قال: نعم، قال: فلم جئت؟ قال: جئت لأُصلح بين الناس فأدبر الزبير وهو يقول:

ترك الأُمور التي تخشى عواقبها ... لله أجمل في الدنيا وفي الدين
أتى عليٌّ بأمر كنت أعرفه ... قد كان عمر أبيك الخير مذ حين

(١) نصر بن مزاحم المنقري العطار، أبو الفضل كوفي مستقيم الطريقة صالح الأمر، غير أنه يروي عن الضعفاء، كتبه حسان كما في خلاصة العلامة.

فقلت حسبك من عذل أبا حسن | بعض الذي قلت هذا اليوم يكفيني
فاخترت عاراً على نار مؤججة | أنّى يقوم لها خلق من الطين
نبئت طلحة وسط النقع منجدلاً | مأوى الضيوف ومأوى كلّ مسكين
قد كنت أنصر أحياناً وينصرني | في النائبات ويرمي من يراميني
حتى ابتلينا بأمر ضاق مصدره | فأصبح اليوم ما يعنيه يعنيني

قال: وأقبل الزبير على عائشة، فقال: يا أُمّة ما لي في هذا بصيرة، وإنّي منصرف. فقالت عائشة: يا أبا عبد الله أفررت من سيوف ابن أبي طالب؟ فقال: إنّها والله طوال حداد، تحملها فتية أنجاد[1]، ثم خرج راجعاً فمر بوادي السباع وفيه الأحنف بن قيس قد اعتزل من بني تميم، فأخبر الأحنف بانصرافه فقال: ما أصنع به إن كان الزبير ألقى بين غارتين من المسلمين وقتل أحدهما بالآخر ثم هو يريد اللحاق بأهله. فسمعه ابن جرموز فخرج هو ورجلان معه ـ وقد كان لحق بالزبير رجل من كليب ومعه غلامه ـ فلما أشرف ابن جرموز وصاحباه على الزبير، فحرك الرجلان رواحلهما، وخلفا الزبير وحده، فقال لهما الزبير: ما لكما هم ثلاثة ونحن ثلاثة؟! فلما أقبل ابن جرموز قال له الزبير: إليك عني فقال ابن جرموز: يا أبا عبد الله إنّي جئتك لأسألك عن أُمور الناس. قال: تركت الناس يضرب بعضهم وجوه بعضهم بالسيف. قال ابن جرموز: أخبرني عن أشياء أسألك عنها؟ قال: هات!

قال: أخبرني عن خذلك عثمان، وعن بيعتك عليّاً وعن نقضك بيعته، وعن إخراجك عائشة، وعن صلاتك خلف ابنك، وعن هذا الحرب التي جنيتها، وعن لحوقك بأهلك؟

فقال: أما خذلي عثمان فأمر قدم الله فيه الخطية، وأخر فيه التوبة، وأما بيعتي عليّاً، فلم أجد منها بداً، إذ بايعه المهاجرون والأنصار، وأما نقضي بيعته، فإنّما بايعته بيدي دون قلبي، وأما إخراجي أُم المؤمنين، فأردنا أمراً وأراد الله أمراً غيره، وأما صلاتي خلف ابني فإنّ خالته قدّمته. فتنحى ابن جرموز عنه وقال: قتلني الله إن لم أقتلك.

وروي أنّه جيء إلى أمير المؤمنين برأس الزبير وسيفه، فتناول سيفه وقال: طالما والله جلى به الكرب عن وجه رسول الله (ص) ولكنّ الحين ومصارع السوء.

وروي أنّه (ع) لما مر على طلحة من بين القتلى قال: أقعدوه فاقعد فقال: إنّه كانت لك سابقة من رسول الله، لكنّ الشيطان دخل في منخريك فأوردك النار.

وروي أنّه (ع) مرَّ عليه فقال: هذا ناكث بيعتي، والمنشيء للفتنة في الأُمّة والمجلب عليَّ الداعي إلى قتلي وقتل عترتي، أجلسوا طلحة! فأُجلس. فقال أمير المؤمنين: يا طلحة بن عبيد الله قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ ثم قال: أضجعوا طلحة! وسار فقال له بعض من

(١) انجاد: أشداء شجعان.

كان معه: يا أمير المؤمنين أتكلم طلحة بعد قتله؟ فقال أما والله سمع كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله (ص) يوم بدر.

وهكذا فعل (ع) بكعب بن شور القاضي لما مرَّ به قتيلاً، وقال: هذا الذي خرج علينا في عنقه مصحف، يزعم أنَّه ناصر أُمِّه[١] يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه، ثم استفتح وخاب كل جبار عنيد أما إنَّه دعا الله أن يقتلني فقتله الله.

وروي أن مروان بن الحكم هو الذي قتل طلحة بسهم رماه به. وروي أيضاً أنَّ مروان بن الحكم يوم الجمل كان يرمي بسهامه في العسكرين معاً، ويقول: من أصبت منهما فهو فتح، لقلة دينه، وتهمته للجميع.

وقيل: أنَّ اسم الجمل الذي ركبته يوم الجمل عائشة «**عسكر**» من ولد إبليس اللعين ورؤي منه ذلك اليوم كل عجيب، لأنَّه كلما بتر منه قائمة من قوائمه ثبت على أُخرى حتى نادى أمير المؤمنين (ع) اقتلوا الجمل فإنه شيطان، وتولى محمّد بن أبي بكر وعمار بن ياسر رحمة الله عليهما عقره بعد طول دمائه.

وروى الواقدي[٢] أنَّ عمار بن ياسر رحمة الله عليه، لما دخل على عائشة فقال: كيف رأيت ضرب بنيك على الحق؟ فقالت: استبصرت من أجل أنَّك غلبت.

فقال عمّار: أنا أشد استبصاراً من ذلك. والله لو ضربتمونا حتى تبلِّغونا سعيفات هجر لعلمنا أنا على الحق، وأنَّكم على الباطل فقالت عائشة: هكذا يخيَّل إليك يا عمار. أذهبت دينك لابن أبي طالب.

وروي عن الباقر (ع) أنَّه قال: لما كان يوم الجمل وقد رشق هودج عائشة بالنبل قال أمير المؤمنين (ع): والله ما أراني إلا مطلِّقها فأُنشد الله رجلاً سمع من رسول الله (ص) يقول: «يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي» لما قام فشهد؟ فقال: فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدريان فشهدوا: أنَّهم سمعوا رسول الله (ص) يقول لعليٍّ بن أبي طالب (ع): «يا عليّ أمر نسائي بيدك من بعديْ».

قال: فبكت عائشة عند ذلك حتى سمعوا بكاءها فقال عليّ (ع): لقد أنبأني رسول الله (ص) بنبإ فقال: إنَّ الله تعالى يمدك يا عليّ يوم الجمل بخمسة آلاف من الملائكة مسوَّمين.

وروي عن ابن عباس[٣] قال لأمير المؤمنين (ع) ـ حين أبت عائشة الرجوع ـ: دعها في البصرة ولا

---

(١) أي ناصر عائشة.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد المدني كان إماماً عالماً له التصانيف، والمغازي وفتوح الأمصار، وله كتاب الردة وغير ذلك تولى القضاء بشرقي بغداد وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي، وهي المحلة المعروفة بالرصافة بالجانب الشرقي من بغداد عمَّرها المنصور لولده المهدي فنسب إليه. قال ابن النديم إنَّ الواقدي كان يتشيع، حسن المذهب، يلزم التقية وهو الذي روى: أنَّ عليّاً (ع) كان من معجزات النبي (ص) كالعصا لموسى (ع) وإحياء الموتى لعيسى بن مريم. ولد سنة (١٣٠) وتوفي سنة (٢٠٧) وصلّى عليه محمد بن سماعة، ودفن بمقابر خيزران عن الكنى والألقاب للقمي ج ٣ ص ٢٣٠ - ٢٣٣.

(٣) عبد الله بن العباس من أصحاب رسول الله (ص) كان محباً لعليٍّ (ع) وتلميذه، حاله في الجلالة والإخلاص لأمير المؤمنين=

ترحلها. فقال عليّ (ع): إنّها لا تألوا شرّاً، ولكنّي أردها إلى بيتها.

وروى محمّد بن إسحاق[1] أنَّ عائشة لما وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة لم تزل تحرِّض الناس على أمير المؤمنين، وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن البختري، تحرِّضهم عليه (ع).

وروي أنَّ عمرو بن العاص قال لعائشة: لوددت أنَّك قتلت يوم الجمل! فقالت: ولِمَ لا أبا لك؟ قال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة، ونجعلك أكثر للتشنيع على عليٍّ (ع).

* * *

احتجاج أُم سلمة (رض)[2] زوجة رسول الله على عائشة في الإنكار عليها بخروجها على عليٍّ أمير المؤمنين (ع).

روى الشعبي[3] عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي[4] قال: كنت بمكة مع عبد الله بن الزبير

=(ع) أشهر من أن يخفى، وقد ذكر الكشي أحاديث تتضمن قدحاً فيه. وهو أجل من ذلك. وقد ذكرناها في كتابنا الكبير وأجبنا عليها رضي الله تعالى عنه. خلاصة العلامة ص ١٠٢.

(١) محمد بن إسحاق أخو يزيد شعر ـ بالشين المعجمة والعين المهملة والراء ـ.

روى الكشي عن حمدويه عن الحسن بن موسى قال: حدّثني يزيد بن إسحاق شعر أنَّ محمداً أخاه كان يقول بحياة الكاظم (ع) فدعا له الرضا عليه السلام حتى قال بالحق. خلاصة العلامة ص ١٥١.

(٢) أُم المؤمنين أُم سلمة: بنت أبي أُمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، وأُمها عاتكة بنت عبد المطلب زوج النبي (ص) واسمها هند، وكان أبوها يعرف بزاد الركب، من المهاجرات إلى الحبشة، وإلى المدينة.

وكانت مستودعة لبعض الوصايا وميراث النبوة وكان عندها البساط الذي سار به أمير المؤمنين إلى أصحاب الكهف ولما سار أمير المؤمنين (ع) إلى الكوفة استودعها كتبه والوصية، فلما رجع الحسن (ع) دفعتها إليه، ولما توجه الحسين عليه السلام الى العراق استودعها كتبه والوصية واوصاها ان تدفعها الى عليٍّ بن الحسين ففعلت.

وفي الدر النظيم للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي قال بعد خطبة فاطمة (ع) وكلام أبي بكر فقالت أُم سلمة رضي الله عنها، حيث سمعت ما جرى لفاطمة (ع) ألمثل فاطمة بنت رسول الله (ص) يقال هذا القول؟

هي والله الحوراء بين الإنس، والنفس للنفس، ربيت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير نشأ، وربيت خير مربى، أتزعمون أنَّ رسول الله (ص) حرم عليها ميراثه ولم يعلمها، وقد قال الله تعالى «وأنذر عشيرتك الأقربين» أفأنذرها وخالفت متطلبه وهي خير النسوان، وأُم سادة الشبان، وعديلة ابنة عمران، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، ويوسدها يمينه، ويلحفها بشماله، رويداً ورسول الله (ص) بمرأى منكم وعلى الله تردون! واهاً لكم فسوف تعلمون، قال: فحرمت أُم سلمة عطاها تلك السنة.

نعم، وفي بيتها نزلت آية التطهير وهي آخر من مات من نساء النبي (ص) ماتت في زمن يزيد سنة (٦٣)

راجع أسد الغابة ج ٥ ص ٥٨٨ سفينة البحار ج ١ ص ٦٤٢ ـ ٦٤٣.

(٣) الشعبي ـ بفتح الأول وسكون الثاني ـ: أبو عمر عامر بن شراحيل الكوفي ينسب إلى شعب بطن من همدان. يعد من كبار التابعين وجلتهم، وكان فقيهاً شاعراً روى عن خمسين ومائة من أصحاب رسول الله (ص) كذا عن السمعاني. مات فجأة بالكوفة سنة ١٠٤ ويظهر من ابن خلكان أنَّ الشعبي كان قاضياً على الكوفة. الكنى والألقاب ج ٢ ص ٣٢٧ / ٣٢٨

(٤) صحابي مجهول.

وطلحة بن الزبير فأرسلا عبد الله بن الزبير فقالا له: إنَّ عثمان قتل مظلوماً، وإنّا نخاف أمر أُمَّة محمّد (ص) أن يختل، فإن رأت عائشة أن تخرج معنا لعلَّ الله أن يرتق بها فتقاً ويشعب بها صدعاً.

فخرجنا نمشي حتى انتهينا إليها فدخل عبد الله بن الزبير في سترها وجلست على الباب فأبلغها ما أُرسلا به إليها فقالت: سبحان الله ما أمرت بالخروج، وما تحضرني من أُمَّهات المؤمنين إلا أُم سلمة، فإن خرجت خرجت معها.

فرجع إليهما فبلغهما ذلك فقالا: إرجع إليها فلتأتها فهي أثقل عليها منا، فرجع إليها فبلغها، فأقبلت حتى دخلت أُم سلمة فقالت أُم سلمة: مرحباً بعائشة، والله ما كنت لي بزوارة فما بدا لك؟ قالت: قدم طلحة والزبير فخبرا أنَّ أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً. فصرخت أُم سلمة صرخة أسمعت من في الدار فقالت: يا عائشة بالأمس أنت تشهدين عليه بالكفر، وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوماً!! فما تريدين؟! قالت: تخرجين معنا فعلَّ الله أن يصلح بخروجنا أمر أُمّة محمّد (ص).

قالت: يا عائشة تخرجين وقد سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وآله ما سمعنا نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقك إن صدقت أتذكرين يوماً كان نوبتك من رسول الله (ص)، فصنعت حريرة في بيتي فأتيته بها وهو (ص) يقول: والله لا تذهب الليالي والأيام حتى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له: «الحوأب» امرأة من نسائي في فئة باغية، فسقط الإناء من يدي، فرفع رأسه إليَّ وقال: ما بالك يا أُم سلمة؟ فقلت: يا رسول الله (ص) ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول ما يؤمنني أن أكون هي أنا؟ فضحكت أنت فالتفت إليك فقال (ص): مما تضحكين يا حميراء الساقين؟ إني أحسبك هي؟

ونشدتك بالله يا عائشة أتذكرين ليلة أُسري بنا مع رسول الله (ص) من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين عليٍّ بن أبي طالب (ع) يحدثنا، فأدخلت جملك فحال بينه وبين عليٍّ فرفع مقرعة كانت معه يضرب بها وجه جملك وقال: أما والله ما يومه منك بواحدة، أما إنّه لا يبغضه إلا منافق كذّاب؟ وأُنشدك بالله أتذكرين مرض رسول الله (ص) الذي قبض فيه فأتاه أبوك يعوده ومعه عمر ـ وقد كان عليٌّ بن أبي طالب (ع) بتعاهد ثوب رسول الله (ص) ونعله وخفه ويصلح ما وهى منها فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله وهي حضرمية فهو يخصفها خلف البيت ـ فاستأذنا عليه فأذن لهما، فقالا:

يا رسول الله كيف أصبحت؟

قال: أصبحت أحمد الله.

قالا: لا بد من الموت؟ قال: أجل لا بد من الموت.

قالا: يا رسول الله فهل استخلفت أحداً؟ قال: ما خليفتي فيكم إلا خاصف النعل.

فخرجا فمرّا على عليٍّ بن أبي طالب (ع) وهو يخصف نعل رسول الله (ص)، كل ذلك تعرفينه يا عائشة وتشهدين عليه!

ثم قالت أُم سلمة : يا عائشة أنا اخرج على عليٍّ بعد الذي سمعته من رسول الله (ص) ؟! فرجعت عائشة إلى منزلها فقالت يا ابن الزبير أبلغهما أني لست بخارجة من بعد الذي سمعت من أُم سلمة ، فرجع فبلغهما قال : فما انتصف الليل حتى سمعت رغاء إبلهما ترتحل فارتحلت معهما .

وروي عن الصادق (ع) أنّه قال: دخلت أُم سلمة بنت أبي أُمية على عائشة لما أزمعت الخروج إلى البصرة فحمدت الله وصلّت على النبي (ص) ثم قالت: يا هذه إنّك سدة بين رسول الله وبين أُمته، وحجابه عليك مضروب وعلى حرمته، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه[١] وضم ظفرك فلا تنشريه، وشد عقيرتك فلا تصحريها[٢] إنَّ الله من وراء هذه الأُمَّة وقد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد إليك فعل بل نهى عن الفرطة في البلاد[٣] إنَّ عمود الدِّين لن يثاب بالنساء إن مال[٤] ولا يرأب بهنَّ إن انصدع[٥]، جمال النساء غض الأطراف، وضم الذيول والأعطاف وما كنت قائلة لو أنَّ رسول الله (ص) عارضك في بعض هذه الفلوات وأنت ناصه قعوداً من منهل إلى منهل، ومنزل إلى منزل، ولغير الله مهواك، وعلى رسول الله تردين، وقد هتكت عنك سجافه، ونكثت عهده، وبالله أحلف أن لو سرتُ مسيرك ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت من رسول الله أن ألقاه هاتكة حجاباً ضربه عليَّ فاتقي الله، واجعليه حصناً، وقاعة الستر منزلاً، حتى تلقيه. إنَّ أطوع ما تكونين لربك ما قصرت عنه، وأنصح ما تكونين لله ما لزمته، وأنصر ما تكونين للدين ما قعدت عنه، وبالله أحلف لو حدثتك بحديث سمعته من رسول الله (ص) لنهشتني نهش الرقشاء المطرقة[٦].

فقالت لها عائشة: ما أعرفني بموعظتك، وأقبلني نصحك، ليس مسيري على ما تظنين، ما أنا بالمغترة، ولنعم المطلع تطلعت فيه، فرقت بين فئتين متشاجرتين، فإن أقعد ففي غير حرج، وإن أخرج ففي ما لا غنىً بي عنه من الإزدياد في الأُجرة.

قال الصادق (ع): فلما كان من ندمها أخذت أُم سلمة تقول:

لو كان معتصماً من زلة أحد	كانت لعائشة الرتبى على الناس
من زوجة لرسول الله فاضلة	وذكر آي من القرآن مدراس
وحكمة لم تكن إلا لهاجسها	في الصدر يذهب عنها كل وسواس
يستنزع الله من قوم عقولهم	حتى يمر الذي يقضي على الرأس
ويرحم الله أُم المؤمنين لقد	تبدَّلت لي إيحاشاً بإيناس

---

(١) أي: لا توسعيه وتنشريه.

(٢) العقيرة: الصوت. وصحر الحمار: نهق.

(٣) الفرطة ـ بالضم ـ : الخروج والتقدم يقال: (فلان ذو فرطة في البلاد) أي : أسفار كثيرة.

(٤) ثاب: رجع بعد ذهابه.

(٥) رأب الصدع: أصلحه.

(٦) الرقشاء من الحيات: المنقطة بسواد وبياض. وفي المثل «نهشني نهش الرقشاء المطرق».

فقالت لها عائشة: شتمتني يا أُخت. فقالت أُم سلمة: ولكنَّ الفتنة إذا أقبلت غضت عيني البصير، وإذا أدبرت أبصرها العاقل والجاهل.

***

احتجاج أمير المؤمنين (ع) بعد دخوله البصرة بأيام على من قال من أصحابه انه ما قسم الفيء فينا بالسوية ولا عدل في الرعية وغير ذلك من المسائل التي سئل عنها في خطبة خطبها.

روى يحيى بن عبد الله[1] بن الحسن عن أبيه عبد الله بن الحسن قال كان أمير المؤمنين (ع) يخطب بالبصرة بعد دخوله بأيام فقام إليه رجل فقال:

يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة، ومن أهل الفرقة؟ ومن أهل البدعة، ومن أهل السنة؟

فقال: ويحك أما إذا سألتني فافهم عنّي ولا عليك أن تسأل عنها أحداً بعدي أما أهل الجماعة: فأنا ومن تبعني وإن قلّوا، وذلك الحق عن أمر الله تعالى وعن أمر رسوله.

وأهل الفرقة: المخالفون لي ولمن اتبعني وإن كثروا.

وأما أهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله لهم ورسوله وإن قلّوا.

وأما أهل البدعة: فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ولرسوله العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا، وقد مضى منهم الفوج الأول وبقيت أفواج، وعلى الله قبضها واستيصالها عن جدد الأرض.

فقام إليه عمار فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ الناس يذكرون الفيء ويزعمون أنَّ من قاتلنا فهو وماله وولده فيء لنا.

فقام إليه رجل من بكر بن وائل، ويدعى عباد بن قيس، وكان ذا عارضة ولسان شديد، فقال: يا أمير المؤمنين والله ما قسمت بالسوية، ولا عدلت بالرعية.

فقال: ولِمَ ويحك؟؟!!

قال: لأنّك قسمت ما في العسكر وتركت الأموال والنساء والذرية.

فقال: أيّها الناس من كانت به جراحة فليداوها بالسمن.

فقال عباد: جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترّهات! فقال له أمير المؤمنين (ع) إن كنت كاذباً فلا أماتك الله حتى يدركك غلام ثقيف، قيل: ومن غلام ثقيف؟ فقال: رجل لا يدع لله حرمة إلا انتهكها، فقيل أفيموت أو يقتل؟ فقال: يقصمه قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه.

يا أخا بكر أنت امرؤ ضعيف الرأي، أوما علمت أنّا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير، وأنّ الأموال كانت

---

(١) راجع هامش ص ١٥٤

لهم قبل الفرقة، وتزوجوا على رشدة، وولدوا على فطرة، وإنَّما لكم ما حوى عسكركم، وما كان في دورهم فهو ميراث. فإن عدا أحد منهم أخذناه بذنبه، وإن كف عنّا لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله (ص) في أهل مكة، فقسم ما حوى العسكر، ولم يتعرَّض لما سوى ذلك وإنَّما اتبعت أثره حذو النعل بالنعل.

يا أخا بكر أما علمت أنَّ دار الحرب يحل ما فيها، وأنَّ دار الهجرة يحرّم ما فيها إلا بالحق، فمهلاً مهلاً رحمكم الله فإن لم تصدِّقوني وأكثرتم عليَّ - وذلك أنَّه تكلَّم في هذا غير واحد - فأيكم يأخذ عائشة بسهمه؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين أصبت وأخطأنا، وعلمت وجهلنا، فنحن نستغفر الله تعالى، ونادى الناس من كلِّ جانب: أصبت يا أمير المؤمنين، أصاب الله بك الرشاد والسداد، فقام عباد فقال:

أيها الناس، إنَّكم والله لو اتبعتموه وأطعتموه لن يضلَّ بكم عن منهل نبيِّكم حتى قيد شعرة، وكيف لا يكون ذلك وقد استودعه رسول الله (ص) علم المنايا والقضايا وفصل الخطاب على منهاج هارون وقال له: أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي، فضلاً خصه الله به وإكراماً منه لنبيه (ص) حيث أعطاه ما لم يعط أحداً من خلقه.

ثم قال أمير المؤمنين (ع): انظروا رحمكم الله ما تؤمرون فامضوله، فإنَّ العالم أعلم بما يأتي به من الجاهل الخسيس الأخس، فإنِّي حاملكم إنشاء الله إن أطعتموني على سبيل النجاة، وإن كان فيه مشقة شديدة، ومرارة عديدة، والدنيا حلوة الحلاوة لمن اغترّ بها من الشقاوة والندامة عما قليل.

ثم إنِّي أُخبركم أنَّ جيلاً من بني إسرائيل أمرهم نبيهم أن لا يشربوا من النهر فلجوا في ترك أمره فشربوا منه إلا قليل منهم، فكونوا رحمكم الله من أولئك الذين أطاعوا نبيَّهم ولم يعصوا ربَّهم وأما عائشة فأدركها رأي النساء، ولها بعد ذلك حرمتها الأُولى والحساب على الله يعفو عمَّن يشاء، ويعذِّب من يشاء.

عن الأصبغ بن نباتة[1] قال: كنت واقفاً مع أمير المؤمنين (ع) يوم الجمل فجاء رجل حتى وقف بين يديه

---

(١) الأصبغ بن نباتة - بضم النون - المجاشعي الحنظلي كان من خاصة أمير المؤمنين ومن ذخائره وقد بايعه على الموت.

وكان من ثقاته (ع) روي أنَّه دعا يوماً كاتبه عبيد الله بن أبي رافع فقال: أدخل عشرة من ثقاتي، فقال: سمِّهم يا أمير المؤمنين فسمّاه في أولهم.

وكان رحمه الله من فرسان أهل العراق، وكان يوم صفين على شرطة الخميس، **وقال** لأمير المؤمنين (ع): قدمني في البقية من الناس فإنَّك لا تفقد لي اليوم صبراً ولا نصراً، قال علية السلام: تقدّم باسم الله والبركة، وأخذ رايته وسيفه، فمضى بالراية مرتجزاً فرجع وقد خضب سيفه ورمحه دماً، وكان إذا لقي القوم لا يغمد سيفه.

وكان شيخاً ناسكاً عابداً، قال: كنت أركع عند باب أمير المؤمنين (ع) وأنا أدعو الله عزَّ وجل إذ خرج أمير المؤمنين (ع) فقال: يا أصبغ، قلت: لبيك، قال: أي شيء كنت تصنع؟ قلت: ركعت وأنا أدعو الله، قال: أفلا أعلمك دعاءاً سمعته من رسول الله (ص)؟ قلت بلى. قال: قل: الحمد لله على ما كان والحمد لله على كلِّ حال، ثم ضرب بيده اليمنى على منكبي الأيسر وقال: يا أصبغ لئن ثبتت قدمك، وتمت ولايتك، وانبسطت يدك. فالله أرحم بك من نفسك.

روى عن أمير المؤمنين (ع) عهده للأشتر ووصيته لمحمد بن الحنفية، وعمر بعد أمير المؤمنين (ع) ومات مشكوراً.

رجال الطوسي ص ٣٤، رجال العلامة ص ٢٤، سفينة البحار ج ٢ ص ٧، ٨، ١٠.

فقال: يا أمير المؤمنين كبَّر القوم وكبَّرنا وهلَّل القوم وهلَّلنا، وصلَّى القوم وصلَّينا، فعلى ما تقاتلهم؟

فقال أمير المؤمنين (ع): على ما أنزل الله جل ذكره في كتابه.

فقال: يا أمير المؤمنين (ع) ليس كل ما أنزل الله في كتابه أعلمه فعلمنيه.

فقال عليٌّ (ع): ما أنزل الله في سورة البقرة. فقال يا أمير المؤمنين ليس كل ما أنزل الله في سورة البقرة أعلمه فعلِّمنيه.

فقال عليٌّ (ع): هذه الآية: **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلَّم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جائتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾**[١] فنحن الذين آمنا وهم الذين كفروا. فقال الرجل: كفر القوم وربِّ الكعبة. ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمه الله.

عن المبارك بن فضالة عن رجل ذكره قال: أتى رجل أمير المؤمنين (ع) بعد الجمل، فقال: يا أمير المؤمنين رأيت في هذه الواقعة أمراً هالني: من روح قد بانت وجثة قد زالت، ونفس قد فاتت، لا أعرف فيهم مشركا بالله تعالى، فالله الله ما يجللني من هذا! إن يك شراً فهذا نتلقى بالتوبة، وإن يك خيراً ازددنا منه، أخبرني عن أمرك هذا الذي أنت عليه، أفتنة عرضت لك فأنت تنفح الناس بسيفك[٢] أم شيء خصك به رسول الله؟؟.

فقال (ع): إذن أُخبرك، إذن أُنبئك، إذن أُحدِّثك، إنَّ ناساً من المشركين أتوا رسول الله (ص) وأسلموا، ثم قالوا لأبي بكر: استأذن لنا على رسول الله (ص) حتى نأتي قومنا فنأخذ أموالنا ثم نرجع. فدخل أبو بكر على رسول الله (ص) فاستأذن لهم، فقال عمر: يا رسول الله أنرجع من الإسلام إلى الكفر؟

فقال (ص): وما علمك يا عمر أن ينطلقوا فيأتوا بمثلهم معهم من قومهم، ثم أنَّهم أتوا أبا بكر في العام المقبل فسألوه أن يستأذن لهم على النبي فاستأذن لهم، وعنده عمر فقال مثل قوله فغضب رسول الله (ص) ثم قال:

والله ما أراكم تنتهون حتى يبعث الله عليكم رجلاً من قريش يدعوكم إلى الله فتختلفون عنه اختلاف الغنم الشرود.

فقال له أبوبكر: فداك أبي وأُمِّي يا رسول الله أنا هو؟ قال: لا. قال عمر: فمن هو يا رسول الله؟ فأومى إليَّ وأنا أخصف نعل رسول الله (ص) وقال: «هو خاصف النعل عندكما، ابن عمي، وأخي، وصاحبي، ومبرىء ذمَّتي، والمؤدِّي عني ديني وعداتي، والمبلِّغ عنِّي رسالاتي، ومعلِّم الناس من بعدي، ومبيِّنهم من تأويل القرآن مالا يعلمون» فقال الرجل: أكتفي منك بهذا يا أمير المؤمنين ما بقيت. فكان ذلك الرجل أشد أصحاب عليٍّ (ع) فيما بعد على من خالفه.

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) أي: تأخذهم بطرف سيفك من بعيد.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما فرغ عليٌّ (ع) من قتال أهل البصرة وضع قتباً على قتب[١] ثم صعد عليه فخطب، فحمد الله وأثنى عليه فقال:

يا أهل البصرة، يا أهل المؤتفكة[٢] يا أهل الداء العضال[٣]، أتباع البهيمة[٤]، يا جند المرأة[٥] رغا فأجبتم[٦] وعقر فهربتم، ماؤكم زعاق[٨] ودينكم نفاق، وأخلاقكم دقاق. ثم نزل يمشي بعد فراغه من خطبته فمشينا معه فمر بالحسن البصري وهو يتوضأ فقال:

يا حسن إسبغ الوضوء. فقال: يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أُناساً يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمّداً عبده ورسوله، يصلّون الخمس، ويسبغون الوضوء، فقال له أمير المؤمنين (ع): فقد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدونا؟!

فقال: والله لأُصدقنك يا أمير المؤمنين لقد خرجت في أول يوم فاغتسلت وتحنطت وصببت عليَّ سلاحي وأنا لا أشك في أنَّ التخلف عن أُم المؤمنين عائشة هو الكفر، فلما انتهيت إلى موضع من الخريبة ناداني مناد: «يا حسن إلى أين إرجع فإنَّ القاتل والمقتول في النار» فرجعت ذعراً وجلست في بيتي، فلما كان في اليوم الثاني لم أشك أنَّ التخلف عن أُمِّ المؤمنين عائشة هو الكفر، فتحنطت، وصببت عليَّ سلاحي وخرجت أُريد القتال، حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة فناداني مناد من خلفي: «يا حسن إلى أين ارجع فإنّ القاتل والمقتول في النار، فرجعت ذعراً وجلست في بيتي فلما كان في اليوم الثاني لم أشك أنّ التخلف عن أُمّ المؤمنين عائشة هو الكفر فتحنّطت وصببت عليّ سلاحي وخرجت أُريد القتال حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة فناداني مناد من خلفي يا حسن إلى أين مرَّة بعد أُخرى فإنَّ القاتل والمقتول في النار».

قال عليّ (ع) صدقك أفتدري من ذلك المنادي؟ قال: لا.

قال (ع): ذاك أخوك إبليس، وصدقك إن القاتل والمقتول منهم[٨] في النار، فقال الحسن البصري الآن عرفت يا أمير المؤمنين أنَّ القوم هلكى.

وعن أبي يحيى الواسطي[٩] قال: لما افتتح أمير المؤمنين (ع) اجتمع الناس عليه وفيهم الحسن البصري

---

(١) القتب ـ بالتحريك ـ رحل البعير.

(٢) المؤتفكة: المنقلبة قال تعالى ـ في قرى قوم لوط التي انقلبت بأهلها ـ: والمؤتفكة أهوى، وفي الحديث: البصرة إحدى المؤتفكات.

(٣) الداء العضال ـ بعين مضمومة ـ: المرض الصعب الشديد الذي يعجز عنه الطبيب.

(٤) يريد: الجمل الذي ركبته عائشة.

(٥) يريد عائشة.

(٦) رغا فأجبتم أي الجمل رغا والرغا ـ كغراب ـ: صوت ذوات الخف وقد رغا البعير يرغو رغاءاً إذا ضج ورغت الناقة صوتت فهي راغية.

(٧) الزعاق ـ كغراب ـ: الماء المر الغليظ الذي لا يطاق شربه.

(٨) أي: **القاتل** والمقتول من أصحاب الجمل في النار.

(٩) أبو يحيى الواسطي واسمه سهيل بن زياد الواسطي له كتاب لقي أبا محمد العسكري. أمه بنت محمد بن نعمان أبي جعفر لأحول الملقب بمؤمن الطاق المتكلم المشهور. رجال الشيخ ص ٤٧٦ رجال النجاشي ص ١

ومعه الألواح، فكان كلما لفظ أمير المؤمنين (ع) بكلمة كتبها، فقال له أمير المؤمنين (ع) - بأعلى صوته -: ما تصنع؟ فقال نكتب آثاركم لنحدِّث بها بعدكم، فقال أمير المؤمنين (ع): أما إنَّ لكلِّ قوم سامري وهذا سامري هذه الأُمَّة، أما إنَّه لا يقول لا مساس ولكن يقول لا قتال.

* * *

احتجاجه (ع) على قومه في الحث على المسير إلى الشام لقتال معاوية وفيما أخذ عليهم من العهد والميثاق بالطاعة له حال بيعتهم إياه.

روي أنَّه (ع) لما عزم على المسير إلى الشام لقتال معاوية قال - بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله (ص) -: اتقوا الله عباد الله وأطيعوه، وأطيعوا إمامكم، فإنَّ الرَّعية الصالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإنَّ الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر، وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقي، ناكثاً لبيعتي، طاغياً في دين الله عزوجل، وقد علمتم أيها المسلمون ما فعل الناس بالأمس، فجئتموني راغبين إليَّ في أمركم، حتى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني، فالتويت عليكم لأبلو [١] ما عندكم فرادتموني القول مراراً ورادتكم وتداككتم عليَّ تداكَّ الإبل الهيم على حياضها حرصاً على بيعتي، حتى خفت أن يقتل بعضكم بعضاً.

فلما رأيت ذلك منكم روَّيت في أمركم وأمري، وقلت إن أنا لم أُجبهم إلى القيام بأمرهم لم يصيبوا أحداً منهم يقوم فيهم مقامي ويعدل فيهم عدلي، وقلت والله لآلينَّهم وهم يعلمون حقِّي وفضلي أحب إلي من أن يلوني وهم لا يعرفون حقي وفضلي، فبسطت لكم يدي فبايعتموني يا معشر المسلمين، وفيكم المهاجرون والأنصار، والتابعون بإحسان، فأخذت عليكم عهد بيعتي، وواجب صفقتي، عهد الله وميثاقه واشد ما اخذ على النبيين من عهد وميثاق لتفُرّنّ لي، ولتسمعنّ لأمري، ولتطيعوني، وتناصحوني، وتقاتلون معي كلَّ باغ عليَّ أو مارق إن مرق، فأنعمتم لي بذلك جميعاً، وأخذت عليكم عهد الله وميثاقه، وذمة الله وذمة رسوله فأجبتموني الى ذلك جميعاً، وأشهدت الله عليكم، وأشهدت بعضكم على بعض، فقمت فيكم بكتاب الله، وسنة نبيه (ص)، فالعجب من معاوية بن أبي سفيان ينازعني الخلافة، ويجحد لي الإمامة، ويزعم أنَّه أحق بها منِّي، جرأة منه على الله وعلى رسول الله (ص)، بغير حق له فيها ولا حجة، ولم يبايعه المهاجرون ولا سلم له الأنصار والمسلمون.

يا معشر المهاجرين والأنصار وجماعة من سمع كلامي، أما أوجبتم لي على أنفسكم الطاعة، أما بايعتموني على الرغبة، أما أخذت عليكم العهد بالقبول لقولي؟ أما بيعتي لكم يومئذ أوكد من بيعة أبي بكر وعمر، فما بال من خالفني لم ينقض عليهما حتى مضيا ونقض عليَّ ولم يف لي؟! أما يجب عليكم نصحي ويلزمكم أمري؟ أما تعلمون أنَّ بيعتي يلزم الشاهد منكم والغائب؟ فما بال معاوية وأصحابه طاغون في بيعتي؟ ولِمَ لم يفوا لي وأنا في قرابتي وسابقتي وصهري أولى بالأمر ممن تقدمني؟ أما سمعتم قول رسول الله يوم الغدير في ولايتي وموالاتي؟

فاتقوا الله أيّها المسلمون وتحاثوا على جهاد معاوية القاسط الناكث، وأصحابه القاسطين الناكثين،

---

(١) أي: لأختبر ما عندكم.

اسمعوا ما أتلوا عليكم من كتاب الله المنزل على نبيه المرسل لتتعظوا، فإنَّه والله أبلغ عظة لكم، فانتفعوا بموعظة الله، وازدجروا عن معاصي الله، فقد وعظكم الله بغيركم فقال لنبيه (ص): **﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيٍّ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا قالوا وما لنا لا نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولّوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين﴾**[1] وقال لهم نبيّهم: **﴿إنَّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إنَّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾**[2].

أيّها الناس إنَّ لكم في هذه الآيات عبرة، لتعلموا أنَّ الله جعل الخلافة والإمرة من بعد الأنبياء في أعقابهم، وأنَّه فضَّل طالوت وقدَّمه على الجماعة باصطفائه إياه وزيادة بسطة في العلم والجسم، فهل تجدون أنَّ الله اصطفى بني امية على بني هاشم وزاد معاوية عليَّ بسطة في العلم والجسم.

واتقوا الله عباد الله وجاهدوا في سبيله قبل أن ينالكم سخطه بعصيانكم له قال الله سبحانه: **﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يعملون إنَّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون﴾**[3] وقال سبحانه: **﴿يا أيّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم﴾**[4].

اتقوا الله عباد الله وتحاثوا على الجهاد مع إمامكم فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر إذا أمرتهم أطاعوني وإذا استنهضتهم نهضوا معي لاستغنيت بهم عن كثير منكم، وأسرعت النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه فإنَّه الجهاد المفروض.

ومن كلامه (ع) يجري مجرى الإحتجاج مشتملاً على التوبيخ لأصحابه على تثاقلهم عن قتال معاوية والتفنيد متضمناً اللوم والوعيد:

أيّها الناس إنّي استنفرتكم لجهاد هؤلاء فلم تنفروا[5] وأسمعتكم فلم تجيبوا ونصحت لكم فلم تقبلوا، شهوداً بالغيب[6] أتلوا عليكم الحكمة فتعرضون عنها وأعظكم بالموعظة البالغة فتنفرون عنها، كأنَّكم حمر مستنفرة فرت من قسورة، وأحثكم على جهاد أهل الجور فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبا، ترجعون إلى مجالسكم تتربعون حلقاً، تضربون الأمثال وتنشدون الأشعار، وتجسسون الأخبار، حتى إذا تفرَّقتم تسألون عن الأخبار جهلاً من غير علم، وغفلة من غير ورع، وتتبعاً من غير خوف، ونسيتم الحرب

---

(١) البقرة: ٢٤٦

(٢) البقرة: ٢٤٧.

(٣) المائدة: ٧٨.

(٤) الصف: ١٠.

(٥) النفر: الخروج الى الغزو واصله الفزع.

(٦) الشهود: الحضور.

والإستعداد لها فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأعاليل والأضاليل، فالعجب كل العجب، وكيف لا أعجب من اجتماع قوم على باطلهم، وتخاذلكم عن حقكم.

يا أهل الكوفة أنتم كأمِّ مجالد حملت فأملصت[١] فمات قيمها وطال أيِّمها[٢] وورثها أبعدها، والذي فلق الحبة وبرىء النسمة، إنَّ من ورائكم الأغبر الأدبر جهنم الدنيا لا تبقي ولا تذر، ومن بعده النّهاش الفراس، الجموع المنوع ثم ليتوارثنَّكم من بني امية عدة ما الآخر منهم بأرق بكم من الأول، ما خلا واحد[٣] بلاء قضاه الله على هذه الأمَّة لا محالة كائن، يقتلون أخياركم ويستعبدون أرذالكم، ويستخرجون كنوزكم وذخايركم في جوف حجالكم، نقمة بما صنعتم من أموركم، وصلاح أنفسكم ودينكم.

يا أهل الكوفة أُخبركم بما يكون قبل أن يكون، لتكونوا منه على حذر ولتنذروا به من اتعظ واعتبر، كأنِّي بكم تقولون: إنَّ عليّاً يكذب، كما قالت قريش لنبيِّها (ص) وسيِّدها نبي الرَّحمة، محمّد بن عبد الله فيا ويلكم فعلى من أكذب أعلى الله فأنا أول من عبده ووحَّده؟! أم على رسوله فأنا أول من آمن به وصدَّقه ونصره؟؟! كلا ولكنَّها لهجة خدعة! كنتم عنها أغنياء.

والذي فلق الحبة وبرىء النسمة لتعلمنَّ نبأها بعد حين، وذلك إذ صيَّركم إليها جهلكم، ولا ينفعكم عندها علمكم، فقبحاً لكم يا أشباه الرِّجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال[٤].

أما والله أيّها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤ هم[٥] ما أعز الله نصر من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم[٦] ولا قرت عين من آواكم، كلامكم يوهن الصم الصلاب[٧] وفعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب، ويحكم أي دار بعد داركم تمنعون ومع أي امام بعدي تقاتلون، المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب! أصبحت لا أطمع في نصرتكم، ولا أصدقكم قولكم، فرق الله بيني وبينكم واعقبني بكم من هو خيراً لي منكم، واعقبكم بي من هو شراً لكم مني، امامكم يطيع الله وانتم تعصونه وامام اهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، والله لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم، والله لوددت أني لم أعرفكم، ولم تعرفوني، فانها معرفة جرت ندماً لقد وريتم صدري غيظاً وأفسدتم عليّ أمري بالخلاف والعصيان، حتى لقد قالت قريش إن علياً رجل شجاع لكن لا علم له بالحروب، لله درهم! هل كان فيهم أحد أطول لها مراساً مني واشد بها مقاساة[٨]؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، ثم ها أنا قد ذرفت على الستين، لكن لا أمر لمن لا يطاع، أما والله لوددت أن ربي قد أخرجني من بين

---

(١) املصت المرأة: اسقطت.
(٢) الأيم: التي مات زوجها.
(٣) هو عمر بن عبد العزيز.
(٤) الحجال ـ جمع حجلة ـ وهي الغرفة وربات الحجال النساء.
(٥) الأهواء ـ جمع هوى ـ وهو ما تميل اليه النفس محموداً كان أو مذموماً ثم غلب في الاستعمال على غير المحمود.
(٦) قاساكم: قهركم.
(٧) الصم ـ جمع أصم ـ وهو من الحجارة. الصلب المصمت والصلاب ـ جمع صليب ـ وهو الشديد.
(٨) أي: أطول ممارسة وأشد معالجة.

أظهركم الى رضوانه، وان المنية لترصدني فما يمنع أشقاها أن يخضبها؟ - وترك يده على رأسه ولحيته - عهداً عهده إليّ النبي الأمي وقد خاب من افترى، ونجا من اتقى وصدق بالحسنى.

يا أهل الكوفة قد دعوتكم الى جهاد هؤلاء ليلاً ونهاراً، وسراً واعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم فانه ما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا، فتواكلتم[1] وتخاذلتم وثقل عليكم قولي، واستصعب عليكم امري، واتخذتموه ورائكم ظهرياً، حتى شنت عليكم الغارات، وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات، تمسيكم وتصبحكم، كما فعل بأهل المثلات من قبلكم، حيث أخبر الله عز وجل عن الجبابرة العتاة الطغاة، المستضعفين الغواة، في قوله تعالىٰ: ﴿**يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**﴾[2] اما والذي فلق الحبة وبرىء النسمة لقد حل بكم الذي توعدون.

عاتبتكم يا اهل الكوفة بمواعظ القرآن فلم انتفع بكم، وأدبتكم بالدرة فلم تستقيموا لي، وعاقبتكم بالسوط الذي يقام به الحدود فلم ترعووا، ولقد علمت ان الذي يصلحكم هو السيف، وما كنت متحرياً صلاحكم بفساد نفسي[3] ولكن سيسلط عليكم سلطان صعب، لا يوقر كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ولا يكرم عالمكم، ولا يقسم الفيء بالسوية بينكم، وليضربنكم، وليذلنكم، وليجرنكم في المغازي، وليقطعن سبلكم، وليجمعنكم على بابه حتى يأكل قويكم ضعيفكم ثم لا يبعد الله الا من ظلم، ولقل ما أدبر شيء فأقبل، واني لأظنكم على فترة، وما عليّ الا النصح لكم.

يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين[4] صم ذوي اسماع، وبكم ذوي السن، وعمي ذوي ابصار، لا اخوان صدق عند اللقاء، ولا اخوان ثقة عند البلاء.

اللهم اني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني[5] اللهم لا ترض عنهم أميراً ولا ترضهم عن أمير، وأمث قلوبهم كما يماث الملح بالماء[6] أما والله لو اجد بداً[7] من كلامكم ومراسلتكم ما فعلت، ولقد عاتبتكم في رشدكم حتى لقد سئمت الحياة، كل ذلك تراجعون بالهزء من القول، فراراً من الحق، والحاداً الى الباطل الذي لا يعز الله بأهله الدين، واني لأعلم أنكم لا تزيدونني غير تخسير، كلما أمرتكم بجهاد عدوكم أثاقلتم الى الأرض وسألتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول،[8] إن قلت لكم في القيظ سيروا، قلتم الحر شديد، وإن قلت لكم في البرد سيروا، قلتم القر شديد[9] كل ذلك فراراً عن الحرب

---

(١) أي احال كل منكم الأمر الى صاحبه ووكله اليه ولم يتوله احد منكم.

(٢) البقرة : ٤٩.

(٣) أي : متطلباً صلاحكم بفساد ديني.

(٤) منيت به : امتحنت واختبرت به.

(٥) سئمه : مله.

(٦) يماث الملح : يذوب.

(٧) لم تجد لك بداً من كذا أي : مخلصاً منه.

(٨) المطول: الكثير المطل، وهو : تأخير اداء الدين بلا عذر.

(٩) القر ـ بالضم ـ : البرد.

اذا كنتم عن الحر والبرد تعجزون، فأنتم عن حرارة السيف أعجز، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

يا أهل الكوفة قد أتاني الصريح يخبرني: أن ابن عمر قد نزل الأنبار[١] على أهلها ليلاً في أربعة آلاف، فأغار عليهم كما يغار على الروم والخزر، فقتل بها عاملي ابن حسان، وقتل معه رجالاً صالحين، ذوي فضل وعبادة ونجدة، بوأ الله لهم جنات النعيم، وانه أباحها، ولقد بلغني ان العصبة من أهل الشام[٢] كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فيهتكون سترها ويأخذون القناع من رأسها والخرص من أذنها والأوضاح من يديها ورجليها وعضديها، والخلخال والميزر عن سوقها، فما تمتنع الا بالاسترجاع والنداء: «يا للمسلمين!» فلا يغيثها مغيث، ولا ينصرها ناصر، فلو أن مؤمناً مات دون هذا ما كان عندي ملوماً، بل كان عندي باراً محسناً، وا عجباً كل العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلكم عن حقكم! قد صرتم غرضاً يرمى[٣] ولا ترمون، وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون! فتربت أيديكم يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما اجتمعت من جانب تفرقت من جانب.

* * *

احتجاجه (ع) على معاوية في جواب كتاب كتب إليه في غيره من المواضع وهو من أحسن الحجاج وأصوبها*.

أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله تعالى محمّداً (ص) لدينه، وتأييده إياه بمن أيده من أصحابه، فلقد خبأ[٤] لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت[٥] تخبرنا ببلاء الله عندنا، ونعمته علينا في نبينا، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر[٦]، أو داعي مسدده إلى النضال[٧] وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان[٨] فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك ثلمه، وما أنت والفاضل والمفضول، والسايس والمسوس، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم،وتعريف طبقاتهم، هيهات لقدحن قدح ليس منها[٩] وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها! ألا تربع أيها الانسان على ظلعك! وتعرف قصور ذرعك[١٠]! وتتأخر حيث أخرك القدر! فما عليك غلبة

---

(١) الأنبار: بلدة على الشاطىء الشرقي للفرات ويقابلها على الجانب الغربي هيت.

(٢) العصبة ـ بضم العين ـ : جماعة من الرجال نحو العشرة، وقيل: ومن العشرة الى الأربعين.

(٣) الغرض ـ بالتحريك ـ : الهدف الذي يرمى اليه.

(*) تجد هذا الكتاب في ج ٣ ص ٣٤ من نهج البلاغة.

(٤) خبأه: ستره واخفاه.

(٥) طفق : جعل.

(٦) مثل يضرب لمن يحمل الشيء الى معدنه لينتفع به فيه، وهجر معروفة بكثرة التمر.

(٧) المناضلة: المرامات،يقال:ناضله اذا راماه،ومسدده:الذي يعلمه الرمي وهو مثل يضرب لمن يتعالم على معلمه ومثله قوله:

اعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رماني

(٨) يريد أبا بكر وعمر.

(٩) القدح: السهم وهذا المثل يضرب لمن يفتخر بشيء ليس فيه.

(١٠) أربع: توقف وانتظر يقال: «أربع على نفسك أو على ظلعك» أي: توقف ولا تستعجل والظلع العيب: أي أنت ضعيف فانته عما لا تطيقه ويقصر عنه باعك

المغلوب ولا لك ظفر الظافر، فإنك لذاهب في التيه، رواغ عن القصد[١] ألا ترى ـ غير مخبر لك لكن بنعمة الله أحدث ـ : أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل: «سيد الشهداء» وخصه رسول الله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه[٢]؟ أو لا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل، حتى إذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل: «الطيار في الجنة وذو الجناحين»[٣] ولولا ما نهى الله عن تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجها آذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية[٤] فإنا صنايع ربنا، والناس بعد صنايع لنا[٥] لم يمنعنا قديم عزنا، ولا عادي طولنا[٦] على قومك ان خلطناكم بأنفسنا، فنكحنا وأنكحنا، فعل الأكفاء، ولستم هناك وأنى يكون ذلك كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب[٧] ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف[٨] ومنا سيدا شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار[٩] ومنا خير نساء العالمين،ومنكم حمالة الحطب[١٠]! في كثير

---

(١) أي: حائد عن القصد.

(٢) هو «حمزة بن عبد المطلب» عم الرسول «ص» وقد مر ذكره في هامش ص ١٩٤ فراجعه.

(٣) هو جعفر بن أبي طالب (ع) وقد مر ذكره في هامش ص ١٧٢ من هذا الكتاب فراجع.

(٤) الرمية: الصيد وهو مثل يضرب لمن أعوج غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه والمراد هنا بمن مالت به الرمية الأول والثاني.

(٥) قال العلامة المجلسي في ج ٨ ص ٥٣٦ من بحار الأنوار:

قوله (ع): «فأنا صنايع ربنا» هذا كلام مشتمل على أسرار عجيبة من غرائب شأنهم التي تعجز عنها العقول، ولنتكلم على ما يمكننا اظهاره والخوض فيه فنقول.

صنيعة الملك: من يصطنعه ويرفع قدره، ومنه قوله تعالى: «واصطنعتك لنفسي» أي: اخترتك واخذتك صنيعتي، لتتصرف عن ارادتي ومحبتي.

فالمعنى: انه ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنايعنا فنحن الوسائط بينهم وبين الله سبحانه.

ويحتمل أن يريد بالناس بعض الناس أي المختار من الناس، نصطنعه ونرفع قدره

وفي ج ٣ من النهج لابن أبي الحديد ص ٤٥١ قال:

هذا كلام عظيم عال على الكلام، ومعناه عال على المعاني، وصنيعة الملك من يصطنعه الملك ويرفع قدره، يقول: ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى، وهذا مقام جليل، ظاهره ما سمعت وباطنه أنهم عبيد الله، وان الناس عبيدهم.

وقال محمد عبده في ص ٣٦ من ج ٣ من نهج البلاغة:

آل النبي: أسراء احسان الله عليهم والناس أسراء فضلهم بعد ذلك.

(٦) الطول: الفضل. قال العلامة المجلسي في ص ٥٣٦ من ج ٨ من بحار الأنوار «أقول: قد ظهر لك مما سبق ان بني أمية لم يكن لهم نسب صحيح ليشاركوا في الحسب. آباءه (ع) مع ان قديم عزهم لم ينحصر في النسب بل أنوارهم (ع) أول المخلوقات ومن بدو خلق أنوارهم الى خلق أجسادهم وظهور آثارهم كانوا معروفين بالعز والشرف والكمالات، في الارضين والسماوات، يخبر بفضلهم كل سلف خلفاً، ورفع الله ذكرهم في كل امة عزاً وشرفاً.

(٧) المكذب: أبو سفيان كان المكذب لرسول الله وعدوه المجلب عليه وقيل المراد به أبو جهل.

(٨) أسد الله: حمزة وأسد الأحلاف، قيل: هو أسد بن عبد العزى، وقيل: عتبة بن ربيعة، وقيل: أبو سفيان لأنه حزب الأحزاب، وحالفهم على قتال النبي (ص) في غزوة الخندق.

(٩) وصبية النار: اشارة الى الكلمة التي قالها النبي (ص) لعقبة بن أبي معيط حين قتله يوم بدر وقال ـ كالمستعطف له صلّى الله عليه وآله ـ : «من للصبية يا محمد» قال: النار.

(١٠) حمالة الحطب: أم جميل بنت حرب بن أمية امرأة أبي لهب.

مما لنا عليكم فإسلامنا ما قد سمع، وجاهليتكم لا تدفع[١] وكتاب الله يجمع لنا ما شذعنا، وهو قوله تعالى: **﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾** وقوله تعالى: **﴿إنَّ أولى النّاس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾** فنحن مرة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة.

ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله (ص) فلجوا عليهم فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم[٢].

وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت، فإين يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك.

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها[٣]

وقلت: إني كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أُبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت. وما على المسلم من غضاضة[٤] في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً في يقينه، وهذه حجتي إلى غيرك قصدها، ولكني اطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها.

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه فأينا كان أعدى له وأهدى الى مقاتلته، أم من بذل له نصرته فاستقعده واستكفه؟ أم من استنصره فتراخى عنه وبث المنون إليه حتى أتى عليه قدره؟ كلا والله لقد علم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا، ولا يأتون البأس إلا قليلاً، وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً، فإن كان الذنب إليه ارشادي وهدايتي له، فرب ملوم لا ذنب له، وقد يستفيد الظنة المتنصح، وما أردت إلا الاصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وذكرت أنه ليس لي ولا لأصحابي عندك إلا السيف، ولقد أضحكت بعد استعبار، متى الفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين[٥] وبالسيوف مخوفين فالبث قليلاً يلحق الهيجا[٦] حمل، فسيطلبك من

---

(١) لا تدفع أي: لا تنكر وفي بعض النسخ «وجاهليتنا» وحينئذ يكون المعنى شرفنا وفضلنا في الجاهلية لا ينكره أحد.

(٢) وذلك ان المهاجرين احتجوا يوم السقيفة بأنهم شجرة الرسول ففلجوا أي: ظفروا بهم، وظفر المهاجرين بهذه الحجة ظفر لأمير المؤمنين على معاوية وإلا فالأنصار على حقهم من دعوى الخلافة وفي كلا الحالين ليس لمعاوية فيها من نصيب. والفلْج ـ بسكون اللام ـ: الظفر.

(٣) الشكاة ـ بالفتح ـ: النقيصة، واصلها المرض. وصد البيت:

وعيّرها الواشون أني احبّها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

(٤) المخشوش: الموضوع في أنفه. الخشاش ككتاب: ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد. الغضاضة: النقص.

(٥) ناكلين: متأخرين.

(٦) لبث ـ بتشديد الباء ـ فعل أمر من «لبث» إذا استزاد لبثه ـ أي: مكثه، والهيجاء: الحرب، وحمل ـ بالتحريك ـ: هو حمل بن بدر، رجل من قشير أُغير على إبله في الجاهلية فاستنقذها وقال

لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل ... لا بأس بالموت إذا الموت نزل

فصار مثلاً يضرب للتهديد بالحرب.

تطلب، ويقرب منك ما تستبعد وأنا مرقل[١] نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتامهم[٢] متسربلين سرابيل الموت[٣] أحب اللّقاء إليهم لقاء ربهم، وقد صحبتهم ذرية بدرية، وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها[٤] في أخيك، وخالك، وجدك[٥] وأهلك، وما هي من الظالمين ببعيد.

وكتب أيضاً (ع)[٦] - إلى معاوية - :

أما بعد، فإنا كنا نحن وأنت على ما ذكرت من الإلفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم بالأمس: أنا آمنا وكفرتم، واليوم: أنا استقمنا وفتنتم، وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً[٧] وبعد أن كان أنف الإسلام كلّه لرسول الله حزباً[٨].

وذكرت أنّي قتلت طلحة والزبير، وشردت بعايشة، ونزلت بين المصرين[٩] وذلك أمر غبت عنه، فلا الجناية عليك، ولا العذر فيه إليك، وذكرت أنك زائري في المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجرة يوم أُسر أخوك[١٠] فإن كان فيك عجل فاسترفه[١١] فإني إن أزرك فذلك جدير أن يكون الله عز وجل إنّما بعثني للنقمة منك، وإن تزرني فكما قال أخو بني أسد:

مستقبلين رياح الصّيف تضربهم   بحاصبٍ بين أغوار وأنجاد

وعندي السّيف الّذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد[١٢]، وإنك والله ما علمت، الأغلف القلب المقارب للعقل[١٣] والأولى أن يقال لك: إنك رقيت سلّماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك، لأنك نشدت في غير ضالتك[١٤] ورعيت غير سائمتك[١٥] وطلبت أمراً لست من أهله، ولا في

---

(١) مرقل: مسرع، والجحفل الجيش العظيم.

(٢) الساطع: المنتشر. والقتام - بالفتح - الغبار.

(٣) السربال: اللباس، أي: لابسين لباس الموت كأنهم في أكفانهم.

(٤) النصال: السهام.

(٥) اخوه: حنظلة، وخاله: الوليد بن عتبة، وجده: عتبة بن ربيعة وهو جده لامه.

(٦) تجد هذا الكتاب في ص ١٣٤ من ج ٣ من نهج البلاغة.

(٧) وذلك أن أبا سفيان لم يسلم حتى قبل فتح مكة وإنما دخل الإسلام خوف القتل.

(٨) أنف الإسلام: اشراف العرب الذين دخلوا فيه قبل الفتح.

(٩) المصران: الكوفة والبصرة.

(١٠) اخوه: عمرو بن أبي سفيان، أسر يوم بدر.

(١١) أي: إستح ولا تستعجل وفي بعض النسخ «فاسترقه» بالقاف فيكون المعنى فأخفه ولا تظهره.

(١٢) أعضضته: جعلته يعضه والمراد ضربته به. وهؤلاء قتلهم أمير المؤمنين (ع) يوم بدر.

(١٣) أي: أنت الذي أعرفه، والأغلف القلب: الذي لا يدرك كأنّ قلبه في غلاف لا تنفذ إليه المعاني، ومقارب العقل ناقصه وضعيفه. كأنه يكاد يكون عاقلاً وليس به.

(١٤) الضالة: ما فقدته من مال وغيره، ونشدت طلبت، وهذا مثل يضرب لمن يطلب حقاً ليس له.

(١٥) السائمة: الماشية من الحيوان.

معدنه، فما أبعد قولك من فعلك!! وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال حملتهم الشقاوة وتمني الباطل، على الجحود بمحمد (ص)، فصرعوا بمصارعهم حيث علمت لم يدفعوا عظيماً، ولم يمنعوا حريماً، بوقع سيوف ما خلا منها الوغا، فلم يماشها الهوينا[١] وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس[٢] ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله.

واما تلك التي تريد[٣] فانها خدعة الصَّبي عن اللّبن في أول الفصال، والسلام لأهله.

وكتب (ع) إلى معاوية في كتاب آخر[٤]:

فسبحان الله ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعة، والحيرة المتبعة[٥]، مع تضييع الحقايق، واطراح الوثايق، التي هي لله طلبة، وعلى عباده حجة، فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته، فانّك إنّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له، والسلام.

وروى أبو عبيدة[٦] قال: كتب معاوية إلى أمير المؤمنين (ع): إنّ لي فضائل كثيرة، كان أبي سيداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله (ص)، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي.

فقال أمير المؤمنين (ع): **أبالفضائل** يبغي عليّ ابن آكلة **الأكباد؟!**[٧] اكتب إليه يا غلام:

محمّد النبي أخي وصنوي	وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الّذي يمسي ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أُمي
وبنت محمّد سكني وعرسي	مسوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها	فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرّاً	غلاماً ما بلغت أوان حلمي
وصلّيت الصّلاة وكنت طفلاً	مقرّاً بالنبي في بطن أُمي
وأوجب لي ولايته عليكم	رسول الله يوم غدير خمٍّ

(١) الوغى: الحرب. أي إنَّ تلك السيوف باقية لم تخل منها الحروب ولم ترافقها المساهلة.

(٢) أي: البيعة له (ع).

(٣) أي: الذي تريده من إبقائك والياً في الشام.

(٤) تجد هذا الكتاب في ج ٣ من نهج البلاغة ص ٦٩.

(٥) وفي نسخة: «والحيرة المتبعة».

(٦) أبو عبيدة معمر ـ كجعفر ـ البصري النحري اللغوي كان متبحراً في علم اللغة وأيام العرب وأخبارها ويحكى أنه كان يقول ما التقى فرسان في جاهلية وإسلام إلا عرفتها وعرفت فارسها، وهو أول من صنف غريب الحديث.

وفي مروج الذهب وفي سنة ٢١١ مات أبو عبيدة العمري معمر بن المثنى كان يرى رأي الخوارج، وبلغ نحواً من مئة سنة ولم يحضر جنازته أحد من الناس بالمصلّى حتى اكتري لها من يحملها، وله مصنفات حسان في أيام العرب وغيرها منها كتاب المثالب الخ عن الكنى والألقاب ج ١ ص ١٤ .

(٧) آكلة الأكباد هند أم معاوية وهي التي أخرجت كبد حمزة وجعلت تلوكها كما مر ص ١٩٤.

فويل ثم ويل ثم ويل لمن يلقى الإله غداً بظلمي[١]
انا الرّجل الذي لا تنكروه اليوم كريهه أو يوم سلم

فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب لا يقرؤه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب (ع).

وروي عن الصادق (ع) أنه قال: لما قتل عمار بن ياسر[٢] ارتعدت فرائص خلق كثير، وقالوا:

---

(١) وفي بعض النّسخ: «لمن يريد القيامة وهو خصمي».

(٢) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة المذحجي ثم العنسي، أبو اليقظان حليف بني مخزوم، وأمه سمية وهي أول من استشهد في سبيل الله طعنها أبو جهل في قلبها فاستشهدت وهو وأبوه وأمه من السابقين الأولين إلى الإسلام.

كان من المستضعفين، وعذب في الله عذاباً شديداً. أحرقه المشركون بالنار فكان رسول الله (ص) يمر به ويمر يده على رأسه ويقول: «يا نار كوني برداً وسلاما على عمار، كما كنت على أبراهيم (ع)».

عن عثمان بن عفان قال: أقبلت أنا ورسول الله (ص) آخذ بيدي نتماشى في البطحاء حتى أتينا على أبي عمار وعمار وأمه وهم يعذبون، فقال ياسر: الدهر هكذا!!». فقال له النبي (ص): «إصبر أللّهم اغفر لآل ياسر، وقال وقد فعلت» وروى أنّ رسول الله (ص) مر بعمار وأهله وهم يعذبون في الله فقال: «إبشروا آل عمار فان موعدكم الجنة».

قال الطبرسي في قوله تعالى: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» إنها نزل في جماعة أُكرهوا وهم عمار وياسر وأبوه وأُمه سمية وصهيب وبلال وخباب عذبوا وقتل أبو عمار وأُمه فأعطاهم بلسانه ما أرادوا منه، ثم أخبر بذلك رسول الله (ص) فقال قوم: «كفر عمار» فقال (ص): «كلا إنّ عماراً ملىء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه».

وجاء عمار إلى رسول الله (ص) وهو يبكي فقال (ص): ما وراك؟ قال يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، فجعل رسول الله (ص) يمسح عينيه ويقول: «إن عادوا لك فعد لهم» فنزلت الآية.

وشهد بدراً ولم يشهدها ابن مؤمنين غيره وشهد أُحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله (ص).

وقال له رسول الله (ص): «إبشر يا أبا اليقظان فإنك أخو علي في ديانته ومن أفاضل أهل ولايته ومن المقتولين في محبته تقتلك الفئة الباغية وآخر زادك من الدنيا ضياح من لبن».

وعن علي (ع) قال: جاء عمار يستأذن على النبي (ص) فقال: «ائذنوا له مرحباً بالطيب المطيب» وقال علي (ع) فيه: ذاك امرؤ حرّم الله لحمه ودمه على النار وأن تمس شيئاً منهما.

وكان رحمه الله من كبار الفقهاء، وكان طويل الصمت، طويل الحزن والكآبة، وكان عامة كلامه عائذاً بالله من فتنة.

وقال له رسول الله (ص): يا عمار ستكون بعدي فتنة فاذا كان كذلك فاتبع علياً (ع) وحزبه فانه مع الحق والحق معه، يا عمار إنك ستقاتل مع عليّ صنفين الناكثين والقاسطين ثم تقتلك «الفئة الباغية» قلت: يا رسول الله أليس ذلك على رضا الله ورضاك قال: نعم على رضا الله ورضاي، ويكون آخر زادك شربة من لبن تشربه، فلما كان يوم صفين خرج عمار بن ياسر إلى أمير المؤمنين (ع) فقال له يا أخا رسول الله (ص) أتأذن لي في القتال؟ قال: مهلاً رحمك الله، فلما كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام، فأجابه بمثله، فأعاده ثالثاً فبكى أمير المؤمنين (ع) فنظر إليه عمار فقال: يا أمير المؤمنين إنه اليوم الذي وصف لي رسول الله (ص)؟ فنزل أمير المؤمنين عن بغلته وعانق عماراً وودعه، ثم قال: يا أبا اليقظان جزاك الله عن الله وعن نبيك خيراً فنعم الأخ كنت ونعم الصاحب كنت، ثم بكى وبكى عمار ثم برز إلى القتال فقاتل حتىّ قتل رحمه الله فأتاه أمير المؤمنين (ع) وقال: انّا لله وانّا إليه راجعون ان امرءاً لم يدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو في الإسلام من شيء ثم صلّى عليه ثم قال:

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي أرحني فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيراً بالذين أحبهم كأنك تمضي نحوهم بدليل

وفي خبر انه اتى يومئذ بلبن فضحك ثم قال: قال لي رسول الله (ص): آخر شراب تشربه من الدنيا مذقة من لبن حتى تموت وقال: والله لو ضربونا حتى بلغونا سعفات هجر لعلمت اننا على الحق وانهم على الباطل. ثم قتل رضي الله عنه قتله ابو العادية (لع) واحتز رأسه ابو الجوى السكسكي وكان عمره «ره» يوم قتل (٩٤) سنة.

راجع صفة الصفوة ج ١ ص ١٧٥ اسد الغابة ج ٤ ص ٤٣ سفينة البحار ج ٢ ص ٢٧٥

قال رسول الله (ص): «عمار تقتله الفئة الباغية» فدخل عمرو على معاوية وقال: يا أمير المؤمنين قد هاج النّاس واضطربوا، قال: لماذا؟ قال: قتل عمار. فقال: قتل عمّار فماذا؟

قال: أليس قال رسول الله (ص): «تقتله الفئة الباغية».

فقال معاوية: دحضت في قولك أنحن قتلناه؟ إنّما قتله علي بن أبي طالب (ع) لما ألقاه بين رماحنا، فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب (ع) قال:

فإذاً رسول الله (ص) هو الذي قتل حمزة لما ألقاه بين رماح المشركين.

وكتب (ع)[1] إلى عمرو بن العاص في أثناء كتاب:

فانك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرىءٍ ظاهر غيّه، مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته، فاتبعت أثره، وطلبت فضله، اتباع الكلب للضرغام[2] يلوذ إلى مخالبه، وينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته، فأذهبت دنياك وآخرتك ولو أخذت بالحق أدركت ما طلبت، فإن يمكنّي الله منك ومن ابن أبي سفيان أخبرتكما بما قدمتما[3] فإن نعجز أو تبقيا فما أمامكما شرّ لكما والسلام.

وقال (ع) ـ في عمرو جواباً عما قال فيه ـ: عجباً لابن النابغة[4] يزعم لأهل الشام أنَّ فيَّ دعابة[5] وأنِّي امرؤ تلعابة[6] أعانس[7] وامارس[8]، لقد قال باطلاً، ونطق آثماً، أما وشر القول الكذب، إنّه يقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويسأل فيحلف، ويسأل فيبخل ويخون العهد، ويقطع الإل[9] فاذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها أكبر مكيدته أن يمنح القوم أُسته[10] أما والله إني ليمنعني من اللّعب ذكر الموت، وإنّه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة، وإنه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتيه على البيعة آية[11] ويرضخ له على ترك الدين رضيخة[12].

* * *

---

(١) تجد هذا الكتاب في ج ٣ من نهج البلاغة ص ٧١.

(٢) الضرغام: الأسد.

(٣) وفي بعض النسخ: اجزكما

(٤) نبغ الشيء ظهر وانما سميت أم عمرو: (النابغة) لشهرتها بالفجور وتظاهرها به.

(٥) الدعابة ـ بالضم ـ: المزاح.

(٦) تلعابة ـ بالكسر ـ: أي كثير اللعب

(٧) العفاس ـ بالكسر ـ: اللعب، وفي بعض النسخ (أعارس) من أعرس الرجل إذا دخل بامرأته.

(٨) الممارسة: المزاولة والملاعبة.

(٩) الإل ـ بالكسر ـ العهد والقرابة.

(١٠) الأست: العجز او حلقة الدبر، أشار (ع) إلى ما ذكر أرباب السير وصار مضرباً للأمثال من كشفه سوأته شاخراً برجليه حين لقيه أمير المؤمنين (ع) في بعض أيام صفين، وقد اختلطت السيوف، واشتد نار الحرب فانصرف عنه أمير المؤمنين (ع).

(١١) أي: العطية.

(١٢) الرضخ: العطاء القليل.

وكتب محمد بن أبي بكر[١] إلى معاوية احتجاجاً عليه.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

من محمّد بن أبي بكر، إلى الغاوي معاوية بن صخر، سلام الله على أهل طاعة الله ممّن هو أهل دين الله وأهل ولاية الله.

أمّا بعد، فإن الله بجلاله وسلطانه خلق خلقاً بلا عبث منه، ولا ضعف به في قوة، ولكنّه خلقهم

---

(١) محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة. وأمه أسماء بنت عميس مر لها ذكر فيما مضى ولد بالبيداء في حجة الوداع.

روي أن أبا بكر خرج في حياة رسول الله (ص) في غزاة فرأت أسماء بنت عميس وهي تحته كأن أبا بكر متخضب بالحناء رأسه ولحيته، وعليه ثياب بيض، فجاءت الى عائشة فأخبرتها، فبكت عائشة وقالت ان صدقت رؤ ياك فقد قتل أبو بكر ان خضابه الدم وان ثيابه اكفانه، فدخل النبي (ص) وهي كذلك فقال: ما ابكاها؟ فذكروا الرؤ يا. فقال: ليس كما عبرت عائشة ولكن يرجع ابو بكر، فتحمل منه اسماء بغلام تسميه محمّداً يجعله الله تعالى غيظاً على الكافرين والمنافقين.

قال ابن ابي الحديد: ونشؤه في حجر أمير المؤمنين (ع) وانه لم يكن يعرف أباً غير عليّ، حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام محمد ابني من صلب أبي بكر، وكان يكنى (أبا القاسم) وكان من نساك قريش، وكان ممن اعان في يوم الدار، ومن ولده (القاسم بن محمد) فقيه اهل الحجاز وفاضلها، ومن ولد القاسم عبد الرحمن من فضلاء قريش ويكنى (أبا محمد) ومن ولد القاسم أيضاً أم فروة تزوجها الإمام الباقر أبو جعفر محمد بن علي (ع).

وكان من حواري أمير المؤمنين (ع)، وخواصه واحد المحامدة التي تأبى ان يعصى الله.

وروى عن حمزة بن محمد الطيار قال: ذكرنا محمد بن ابي بكر عند ابي عبد الله (ع) فقال ابو عبد الله (ع): رحمه الله وصلّى عليه، قال لأمير المؤمنين (ع) ـ يوماً من الأيام ـ: ابسط يدك أبايعك، فقال: أو ما فعلت؟ قال: بلى، فبسط يده فقال: أشهد انك إمام مفترض طاعتك وان أبي في النار. فقال ابو عبد الله (ع): كان النجابة من امه اسماء بنت عميس رحمة الله عليها لا من قبل ابيه. وعن زرارة بن اعين عن جعفر (ع): ان محمد بن ابي بكر بايع علياً (ع) على البراءة من ابيه.

وعن شعيب عن أبي عبد الله (ع) قال: سمعته يقول: ما من أهل بيت الا ومنهم نجيب من انفسهم، وانجب النجباء من اهل (بيت سوء) محمد بن ابي بكر.

وينسب اليه قوله:

يا أبانا قد وجدنا ما صلح	خاب من أنت أبوه وافتضح
انما انقذني منك الذي	انقذ الدر من الماء الملح
يا بني الزهراء انتم عدتي	وبكم في الحشر ميزاني رجح
وإذا صح ولائي فيكم	لا أبالي أي كلب قد نبح

وقتل بمصر قتله معاوية بن خديج ـ وكان فيها والياً من قبل امير المؤمنين (ع) ـ ثم وضعه في جوف حمار ميت واحرقه.

ولما بلغ أمير المؤمنين (ع) قتل محمد بن ابي بكر حزن لذلك حزناً شديداً حتى ظهر ذلك عليه وتبين في وجهه، وقام خطيباً فحمد الله واثنى عليه الى ان قال: ألا وان محمد بن ابي بكر قد استشهد رحمة الله عليه وعند الله نحتسبه..

وقيل له (ع) قد جزعت على محمد جزعاً شديداً يا أمير المؤمنين؟ فقال: وما يمنعني انه كان لي ربيباً وكان لبني أخاً، وكنت له والداً، أعده ولداً.

ولما سمعت امه اسماء بقتله كظمت غيظها حتى شخبت ثدياها دماً.

وكان استشهاده سنة (٣٧) هجرية.

سفينة البحار ج ١ ص ٣١٢، رجال الكشي ص ٦٠، خلاصة العلامة ص ١٣٨، النجوم الزاهرة ج ١ ص ١١٠.

عبيداً فمنهم شقي وسعيد، وغوي ورشيد، ثم اختارهم على علمٍ منه، واصطفى وانتجب منهم محمّداً (ص) واصطفاه لرسالته، وائتمنه على وحيه فدعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب، وأسلم وسلم، أخوه وابن عمّه علي بن أبي طالب (ع) فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلِّ حميم، ووقاه من كلِّ مكروه، وواساه بنفسه في كلِّ خوف، وقد رأيتك تساويه وأنت أنت وهو هو، المبرز والسابق في كلِّ خير، وأنت اللَّعين ابن اللَّعين لم تزل أنت وأبوك تبغضان وتبغيان في دين الله الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله، تجمعان الجموع على ذلك، وتبذلان فيه الأموال، وتحالفان عليه القبائل.

على ذلك مات أبوك، وعليه خلفته أنت.

فكيف لك الويل تعدل عن علي وهو وارث علم رسول الله ووصيه، وأول الناس له اتباعاً وآخرهم به عهداً؟ وأنت عدوه وابن عدوه، فتمتع بباطلك ما استطعت، وتبدد بابن العاص في غوايتك فكأن أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، ثم تستبين لك لمن تكون العاقبة العليا، والسّلام على من اتبع الهدى.

فأجابه معاوية هذا: إلى الزاري[1] على أبيه محمّد بن أبي بكر، سلام على أهل طاعة الله، **أما بعد:**

فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه مع كلام ألفته ورصفته لرأيك فيه[2] وذكرت حقَّ عليٍّ وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله (ص) ونصرته ومواساته إياه في كلِّ خوف وهول، وتفضيلك علياً وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك، فالحمد لله الذي صرف ذلك عنك وجعله لغيرك.

وقد كنا وأبوك معنا في زمن نبيّنا (ص) نرى حقّ عليٍّ (ع) لازماً لنا، وسبقه مبرزاً علينا فلما اختار الله لنبيه ما عنده وأتم له ما وعده، قبضه الله إليه، وكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه[3] وخالفه على ذلك، واتفقا ثم دعواه على أنفسهما، فأبطأ عليهما فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلَّم لأمرهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرّهما، حتى قضى الله من أمرهما ما قضى.

ثم قام بعدهما ثالثهما يهدي بهداهما، ويسير بسيرتهما، فعتبه أنت وأصحابك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي حتى بلغتما منه منا كما، وكان أبوك مهد مهاده فان يك ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن يك جوراً فأبوك سنّه، ونحن شركاؤه وبهذا اقتدينا ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا علياً ولسلمنا له، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك فأخذنا بمثاله، فعب أباك أو دعه، والسلام على من تاب وأناب.

* * *

---

(١) زرى عليه عمله: عابه عليه.

(٢) رصف الحجارة: ضم بعضها الى بعض.

(٣) ابتز منه الشيء: استلبه قهراً.

احتجاجه (ع) على الخوارج * لما حملوه على التحكم ثم أنكروا عليه ذلك ونقموا عليه أشياء فأجابهم (ع) عن ذلك بالحجة وبيّن لهم أنّ الخطأ من قبلهم بل وإليهم يعود.

روي أنَّ رجلاً من أصحابه قام إليه فقال: إنَّك نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فما ندري أيّ الأمرين أرشد!!

فصفق (ع) إحدى يديه على الأُخرى ثم قال:

هذا جزاء من ترك العقدة[١]، أما والله لو أنّي حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي جعل الله فيه خيراً كثيراً[٢] فإن استقمتم هديتكم وإن اعوججتم قوّمتكم، وإن أبيتم تداركتكم[٣] لكانت الوثقى، ولكن بمن وإلى من[٤] أُريد أن أُداوي بكم وأنتم دائي؟! كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أنّ ضلعها معها[٥]، أللّهم قد ملّت أطباء هذا الداء الدويّ[٦]، وكلّت النَزَعة بأشطان الرَّكيّ[٧].

فقال (ع)[٨]. ـ وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة بعد كلام طويل ـ:

ألم تقولوا ـ عند رفعهم المصاحف حيلة، وغيلة، [٩] ومكراً، وخديعة ـ: إخواننا، وأهل دعوتنا،

(*) قال الشهرستاني ـ في الملل والنحل ـ:

الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين باحسان، والأئمة في كل زمان (قال) اعلم: ان اول من خرج على أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب (ع) جماعة ممن كان معه في حرب صفين، وأشدهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين «الأشعث بن قيس» و «مسعود بن فدكي التميمي» و «زيد بن حصين الطائي» حين قالوا: «القوم يدعوننا الى كتاب الله وأنت تدعونا الى السيف» حتى قال: أنا أعلم بما في كتاب الله انفروا الى بقية الأحزاب انفروا الى من يقول: كذب الله ورسوله وانتم تقولون: صدق الله ورسوله قالوا: لترجعن الأشتر عن قتال المسلمين والا لنفعلن بك كما فعلنا بعثمان فاضطر الى رد الأشتر بعد ان هزم الجمع وولوا مدبرين، وما بقي منهم الا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة، فامتثل الأشتر أمره، وكان من أمر الحكمين ان الخوارج حملوه على التحكيم أولاً، وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس فما رضي الخوارج بذلك وقالوا: هو منك، فحملوه على بعث أبي موسى الأشعري ـ على أن يحكما بكتاب الله تعالى ـ فجرى الأمر على خلاف ما رضي به فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا: لم حكمت الرجال؟ ولا حكم الاّ الله.

(١) العقدة: الرأي والحزم أي هذا جزاؤكم حين تركتم الرأي الحازم الذي أمرتكم به فوقعتم في الحيرة والشك من جراء عنادكم واتباعكم أهواءكم.

(٢) المكروه: الحرب اشارة الى قوله تعالى: فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.

(٣) يريد (ع) بالإعوجاج العصيان وبالتقويم الارشاد فان ابيتم ولم تسمعوا النصيحة تداركتكم بالاستنجاد بغيركم واخذتكم بالقوة والقهر.

(٤) هذا هو الطريق ولكن بمن أستعين في هذا الأمر، والى من أرجع.

(٥) نقش الشوكة: اذا استخرجها من جسمه ومنه سمي «المنقاش» الذي ينقش به والضلع ـ بالتّحريك ـ الميل والطبع. يريد (ع) أن طباع بعضهم تشبه طباع بعضهم الآخر وميولهم متماثلة، كما تميل الشوكة لمثلها وهذا مثل للعرب: «لا تنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعها معها» أي اذا استخرجت الشوكة بمثلها فسوف تنكسر في رجلك كما انكسرت الأُولى.

(٦) الداء الدوي: الشديد.

(٧) النزعة: جمع نازع وهو: الذي يستقي الماء، والشطن هو: الحبل، والركى جمع ركية وهي: للبئر.

(٨) تجد هذا الكلام له (ع) في نهج البلاغة ج ٢ ص ٢.

(٩) الغيلة ـ بالكسر ـ الخديعة.

استقالونا، واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرّأي القبول منهم، والتنفيس عنهم،[١] فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان، وباطنه عدوان وأوله رحمة، وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقتكم، وعضوا على الجهاد بنواجذكم[٢] ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق[٣]، إن أُجيب أضل وإن ترك ذل، فلقد كنا مع رسول الله وإنَّ القتل ليدور بين الآباء والأبناء، والإخوان والقرابات، فما نزداد على كلٍّ مصيبة وشدة إلا إيماناً، ومضيّاً على الحق، وتسليماً للأمر، وصبراً على مضض الجراح[٤] ولكنا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والإعوجاج[٥] والشبهة والتأويل، فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا، ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا، رغبنا فيها وأمسكنا عما سواها.

وقال (ع) - في التّحكيم[٦] - :

إنا لم نحكم الرِّجال[٧] وإنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال ولما أن دعانا القوم إلى أن يحكم بيننا القرآن، لم نكن الفريق المتولِّي عن كتاب الله عزَّ وجل وقد قال الله سبحانه: **﴿وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر[٨]﴾** فرده إلى الله أن نحكم بكتابه، ورده إلى الرّسول أن نأخذ بسنته، فإذا حكم بالصِّدق في كتاب الله فنحن أحق الناس به وإذا حكم بسنة رسوله فنحن أولاهم به[٩].

وأما قولكم لم جعلت بينك وبينهم أجلاً في التحكيم؟ فإنّما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل[١٠] ويتثبت العالم[١١] ولعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة ولا تؤخذ بأكظامها[١٢] فتعجل عن تبين الحق

---

(١) نفس عنه: فرج عنه.
(٢) النواجذ من الأسنان - بالذال المعجمة - : الضواحك وهي : التي تبدو عند الضحك
(٣) النعيق: صوت الراعي بغنمه يريد (ع) لا تتبعوا كل داع الى ضلالة.
(٤) المضض: وجع المصيبة.
(٥) الزيغ: الميل عن الحق.
(٦) تجد هذا الكلام في ج ٢ ص ٧ من نهج البلاغة.
(٧) هذا رد على قولهم - بعد ان حملوه على التحكيم - : «لم حكمت الرجال لا حكم الا لله» فردهم (ع) بهذا القول، لأنّ القوم انما دعوه لتحكيم القرآن، لا لتحكيم الرجلين، وحيث ان القرآن صامت يحتاج الى ترجمان اضطر (ع) الى تحكيم الرجال، والقرآن في الواقع هو الحكم، وقد اشترط على الحكمين ان يحكما بكتاب الله وسنّة رسوله فلما خالفا الشرط بطل تحكيمهما ولم يلزمه اتباع قولهما.
(٨) الآية ٥٩ النساء -
حين دعاه القوم لتحكيم القرآن لم يكن (ع) ليتخلف حتى ينطبق عليه قوله تعالى **﴿وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم وهم معرضون﴾**.
(٩) أي: أحق بكتاب الله وأولى برسوله (ص).
(١٠) أي ليظهر له وجه الحق.
(١١) أي: يطمئن قلبه بدفع الشبه.
(١٢) الإكظام جمع كَظَمَ - بالتحريك - وهو : مخرج النفس من الحلق.

وتنقاد لأول الغيّ[1]؟

ورُوي أنَّ أمير المؤمنين (ع) أرسل عبد الله بن العباس إلى الخوارج وكان بمرأىً منهم ومسمع، قالوا له في الجواب:

إنا نقمنا يا ابن عباس على صاحبك خصالاً كلها مكفرة، موبقة، تدعو إلى النّار **أما أولها**: فانه محى اسمه من إمرة المؤمنين[2] ثم كتب بينه وبين معاوية فاذا لم يكن أمير المؤمنين ونحن المؤمنون لسنا نرضى بأن يكون أميرنا.

وأما الثانية: فانه شك في نفسه حين قال للحكمين: «انظرا فإن كان معاوية أحقّ بها فأثبتاه، وإن كنت أولى بها فأثبتاني» فإذا هو شك في نفسه ولم يدر أهو المحق أم معاوية، فنحن فيه أشد شكاً.

والثالثة: أنه جعل الحكم إلى غيره وقد كان عندنا أحكم النّاس.

والرابعة: أنه حكم الرجال في دين الله ولم يكن ذلك إليه.

والخامسة: أنه قسم بيننا الكراع والسلاح يوم البصرة ومنعنا النساء والذرية

والسادسة: أنه كان وصياً فضيع الوصية.

قال ابن عباس: قد سمعت يا أمير المؤمنين مقالة القوم، وأنت أحق بجوابهم فقال: نعم.

ثم قال: يا ابن عباس قل لهم ألستم ترضون بحكم الله وحكم رسوله؟ قالوا: نعم.

قال: أبدأ على ما بدأتم به[3] في بدء الأمر.

ثم قال: كنت أكتب لرسول الله (ص) الوحي، والقضايا، والشروط والأمان يوم صالح أبا سفيان، وسهيل بن عمرو فكتبت:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اصطلح عليه محمّد رسول الله وأبو سفيان صخر بن حرب، وسهيل بن عمرو

فقال سهيل: لا نعرف الرَّحمن الرَّحيم، ولا نقرّ أنّك رسول الله، ولكنا نحسب ذلك شرفاً لك أن

---

(١) أي: حين عرضت لهم الشبهة من رفع المصاحف.

(٢) حين أمر أمير المؤمنين (ع) كاتبه أن يكتب: (إنَّ هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين (ع) علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان) قال عمرو بن العاص: (أكتب اسمه واسم أبيه ولا تسميه بإمرة المؤمنين فانما هو امير هؤلاء وليس هو بأميرنا) ولما أصرّوا على ذلك قال أمير المؤمنين: الله اكبر سنة بسنة ومثل بمثل وذكر قول النبي (ص) له يوم الحديبية: لك مثلها ثم أمر فكتبوا. (هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب..)

(٣) أي: أبدأ في الرد على إشكالاتكم مما بدأتم به في عرضها حسب التسلسل، او أبدأ معكم بتحكيم القرآن كما بدأتم في أول الأمر.

تقدم اسمك على أسمائنا وإن كنا أسنّ منك وأبي أسنّ من أبيك.

فأمرني رسول الله (ص) فقال: اكتب - مكان بسم الله الرّحمن الرّحيم -: «باسمك اللّهم» فمحوت ذلك وكتبت: «باسمك اللّهم» ومحوت «رسول الله» وكتبت «محمّد بن عبد الله» فقال لي: «إنك تدعى إلى مثلها فتجيب وأنت مكره[١]»

وهكذا كتبت بيني وبين معاوية وعمرو بن العاص: «هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين ومعاوية وعمرو بن العاص» فقالا: لقد ظلمناك بأن أقررنا بأنك أمير المؤمنين وقاتلناك، ولكن اكتب: «علي بن أبي طالب» فمحوت كما محى رسول الله (ص)، فإن أبيتم ذلك فقد جحدتم، فقالوا: هذه لك خرجت منها.

قال: وأما قولكم: «إنّي شككت في نفسي حيث قلت للحكمين: انظرا فان كان معاوية أحق بها مني فأثبتاه» فإنَّ ذلك لم يكن شكاً مني، ولكن أنصفت في القول، قال الله تعالى: ﴿**وأنا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين**[٢]﴾ ولم يكن ذلك شكاً وقد علم الله أنّ نبيه على الحق، قالوا: وهذه لك.

قال: وأما قولكم. «إنّي جعلت الحكم إلى غيري وقد كنت عندكم أحكم الناس» فهذا رسول الله (ص) قد جعل الحكم الى سعد يوم بني قريظة وقد كان من أحكم الناس وقد قال الله تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة**[٣]﴾ فتأسيت برسول الله (ص)، قالوا: وهذه لك بحجتنا.

قال: وأما قولكم: «إنّي حكمت في دين الله الرّجال» فما حكمت الرّجال وإنّما حكمت كلام ربّي، الذي جعله الله حكماً بين أهله، وقد حكم الله الرّجال في طائر فقال: ﴿**ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ما قتل من النّعم يحكم به ذوا عدلٍ منكم**[٤]﴾ فدماء المسلمين أعظم من دم طائر. قالوا: وهذه لك بحجتنا.

قال: وأما قولكم: «إنّي قسمت يوم البصرة لما ظفرني الله بأصحاب الجمل الكراع والسلاح، ومنعتكم النساء والذرية»[٥] فاني مننت على أهل البصرة كما منّ رسول الله على أهل مكة، فان عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم، ولم نأخذ صغيراً بكبير، فأيكم كان يأخذ عائشة في سهمه؟ قالوا. وهذه لك بحجتنا.

قال: وأما قولكم: «إنّي كنت وصياً فضيعت الوصية فأنتم كفرتم وقدمتم عليّ، وأزلتم الأمر عنّي، وليس على الأوصياء الدعاء إلى أنفسهم، إنّما يبعث الله الأنبياء(ص) فيدعون إلى أنفسهم، وأما الوصي

---

(١) جاء في قصة الحديبية أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال:
(يا علي إنك أبيت أن تمحو اسمي من النبوة والذي بعثني بالحق نبيّاً لتجيبن أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد).

(٢) ٢٤ : سبأ.

(٣) الأحزاب: ٢١.

(٤) المائدة ٩٥.

(٥) الكراع: جمعه أكرع وأكارع، اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير.

فمدلول عليه مستغن عن الدعاء إلى نفسه، وذلك لمن آمن بالله ورسوله، ولقد قال الله جلَّ ذكره: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً[١]» فلو ترك الناس الحج لم يكن البيت ليكفر بتركهم إياه، ولكن كانوا يكفرون بتركهم، لأنّ الله تعالى قد نصبه لهم علماً وكذلك نصبني علماً حيث قال رسول الله (ص):«يا عليّ أنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت مني بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي» فقالوا: وهذه لك بحجتنا فأذعنوا فرجع بعضهم وبقي منهم أربعة آلاف لم يرجعوا ممن كانوا قعدوا عنه فقاتلهم وقتلهم.

* *** *

احتجاجه (ع) في الإعتذار من قعوده عن قتال من تآمر عليه من الأولين وقيامه إلى قتال من بغي عليه من الناكثين والقاسطين والمارقين.

روي أنَّ أمير المؤمنين (ع) كان جالساً في بعض مجالسه بعد رجوعه من نهروان[٢] فجرى الكلام حتى قيل له: لم لا حاربت أبا بكر وعمر كما حاربت طلحة والزبير ومعاوية؟

فقال عليّ (ع): إنِّي كنت لم أزل مظلوماً مستأثراً على حقّي[٣] فقام إليه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين لِمَ لم تضرب بسيفك، ولم تطلب بحقّك؟ فقال: يا أشعث قد قلت قولاً فاسمع الجواب وعِهِ، واستشعر الحجة، إنّ لي أسوة بستة من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

أولهم: نوح حيث قال: ﴿**ربِّ إنِّي مغلوب فانتصر**[٤]﴾ فان قال قائل: إنَّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، والا فالوصي أعذر.

وثانيهم: لوط حيث قال: ﴿**ولو أنَّ لي بكم قوَّة أو آوي إلى ركنٍ شديد**[٥]﴾ فان قال قائل: إنَّه قال هذا لغير خوف فقد كفر. وإلا فالوصي أعذر.

وثالثهم: إبراهيم خليل الله حيث قال: ﴿**وأعتزلكم وما تدعون من دون الله**[٦]﴾ فإن قال قائل: إنَّه قال هذا لغير خوفٍ فقد كفر، والا فالوصي أعذر.

ورابعهم: موسى (ع) حيث قال: ﴿**ففررت منكم لما خفتكم**[٧]﴾ فإن قال قائل: إنَّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، والا فالوصي أعذر.

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) النهروان: وهي ثلاث نهروانات، أعلى وأوسط وأسفل، وهو: كورة واسعة أسفل من بغداد من شرقي تامرا، منحدراً إلى واسط، فيها عدة بلاد متوسطة منها اسكاف وجرجرايا، والصافية، وديرقنى وغير ذلك. مراصد الإطلاع ج ٣ ص ١٤٠٧

(٣) استأثر بالشيء على الغير: استبد به وخصَّ به نفسه.

(٤) القمر: ١٠.

(٥) هود: ٨٠.

(٦) مريم: ٤٨.

(٧) الشعراء: ٢١

وخامسهم: أخوه هارون حيث قال: ﴿يا ابن أم إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[١]﴾ فان قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، والا فالوصي أعذر.

وسادسهم: أخي محمّد خير البشر (ص) حيث ذهب إلى الغار ونوَّمني على فراشه فان قال قائل: إنّه ذهب إلى الغار لغير خوف فقد كفر، والا فالوصي أعذر.

فقام إليه الناس بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين قد علمنا أنَّ القول لك ونحن المذنبون التائبون، وقد عذرك الله.

وعن إسحاق بن موسى[٢] عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّد عن آبائه (ع) قال: خطب أمير المؤمنين (ع) خطبة بالكوفة فلما كان في آخر كلامه قال: ألا وإنِّي لأولى الناس بالناس وما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله (ص).

فقام إليه أشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق الا وقلت: «والله إنِّي لأولى الناس بالناس فما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله» ولما ولي تيم[٣] وعدي[٤] ألا ضربت بسيفك دون ظلامتك؟

فقال أمير المؤمنين: يا ابن الخمارة قد قلت قولاً فاسمع مني! والله ما منعني من ذلك إلا عهد أخي رسول الله (ص) أخبرني وقال لي: «يا أبا الحسن إنَّ الأمة ستغدر بك وتنقض عهدي، وإنَّك مني بمنزلة هارون من موسى» فقلت: يا رسول الله فما تعهد إليّ إذا كان ذلك كذلك، فقال: «إن وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم وإن لم تجد أعواناً فكفَّ يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً» فلما توفي رسول الله (ص) اشتغلت بدفنه والفراغ من شأنه ثم آليت يميناً[٥] أنِّي لا أرتدي إلا للصلاة حتى أجمع القرآن ففعلت، ثم أخذته وجئت به فاعرضته عليهم قالوا: لا حاجة لنا به.

ثم أخذت بيد فاطمة، وابنيَّ الحسن والحسين، ثم درت على أهل بدر، وأهل السابقة، فأنشدتهم حقي، ودعوتهم إلى نصرتي، فما أجابني منهم إلا أربعة رهط: سلمان وعمار والمقداد وأبو ذر، وذهب من كنت أعتضد بهم على دين الله من أهل بيتي، وبقيت بين حفيرين قريبي العهد بجاهلية: عقيل والعباس.

فقال له الأشعث: كذلك كان عثمان لما لم يجد أعواناً كف يده حتى قتل.

---

(١) الأعراف: ١٥٠

(٢) إسحاق بن موسى عده الشيخ في أصحاب الإمام الرضا (ع) وكان يلقب بالأمين كما في عمدة الطالب وتوفي سنة (٢٤٠) كما في منتهى الآمال للشيخ عباس القمي

(٣) تيم: في قريش رهط أبي بكر وهو تيم بن مرة.

(٤) عدي: قبيلة من قريش وهم رهط عمر بن الخطاب.

(٥) آليت: أقسمت.

فقال له أمير المؤمنين: يا ابن الخمارة ليس كما قست، إنَّ عثمان جلس في غير مجلسه، وارتدى بغير ردائه، صارع الحق فصرعه الحق، والذي بعث محمّداً بالحق لو وجدت يوم بويع أخو تيم أربعين رهطاً لجاهدتهم في الله إلى أن أبلي عذري ثم قال:

أيها الناس إنَّ الأشعث لا يزن عند الله جناح بعوضة، وإنَّه أقل في دين الله من عفطة عنز[١].

وروى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس قال: كنت عند أمير المؤمنين بالرحبة[٢] فذكرت الخلافة وتقدم من تقدم عليه فتنفس الصعداء[٣] ثم قال:

أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة[٤] وإنَّه ليعلم أنَّ محلِّيَ منها محل القطب من الرحى[٥] ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطَّير، فسدلت دونها ثوباً[٦] وطويت عنها كشحاً[٧] وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء أو أصبر على طخية عمياء[٨]، يشيب فيها الصَّغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها

---

(١) العفطة من الشاة: كالعطاس من الإنسان.

(٢) تجد هذه الخطبة في ج ١ من نهج البلاغة ص ٢٥ وهي الخطبة المعروفة بـ «الشقشقية» لقوله (ع) في جواب ابن عباس: «هيهات هيهات تلك شقشقة هدرت ثم قرت» وتعرف أيضاً «بالمقمصة» لقوله (ع): «أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة» تسمية الشيء بأشهر ألفاظه كما هو الحال في أسماء سور القرآن الكريم كسورة آل عمران، والرّحمن، والواقعة، ويّس وغيرها.

وهذه الخطبة الجليلة في حسن اسلوبها، وبديع نظمها، وفصاحة الفاظها، دليل لا يقبل التردد، ولا يتطرق إليه الشك في كونها صادرة عن مركز الثقل الإلهي، ومعدن الوصاية والإمامة، فهي حقّاً كما قيل: «فوق كلام المخلوق دون كلام الخالق».

وقد رواها الشيخ المفيد في الإرشاد ص ١٢٧ وقال ابن أبي الحديد في شرحه على النهج ص ٦٩ ج ١: حدّثني شيخي أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي في سنة «٦٠٣» قال: قرأت على الشيخ أبي محمد بن عبد الله بن احمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة.. إلى أن قال: فقلت له: أتقول إنها منحولة؟ فقال: لا والله، وإنِّي لأعلم صدورها منه كما أعلم أنك «مصدق» قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون: إنها من كلام الرضي رحمه الله تعالى، فقال: أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الأسلوب؟ قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور، وما يقع مع هذا الكلام في «خل ولا خمر».

ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر ابن قبة أحد متكلمي الإمامية، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب «الإنصاف» وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً.

(٣) تنفس الصعداء ـ بضم الصاد وفتح المهملتين ـ: المدفوع من التنفس يصعده المتلهف الحزين.

(٤) ابن أبي قحافة: أبو بكر واسمه «عبد الله» وفي الجاهلية «عتيق» واسم أبيه «عثمان» والضمير في تقمصها عائد إلى الخلافة، وإنما لم يذكرها للعلم بها، وتقمصها جعلها مشتملة عليه كالقميص كناية عن تلبسه بها.

(٥) قطب الرحى مسمارها الذي عليه تدور فكما ان الرحى لا تدور الا على القطب وبغيره لا يستقيم لها دوران، فكذلك الخلافة محله منها محل القطب من الرحى: لا تستقيم حركتها ولا تأخذ استقامتها بغيره، وهو وحده القادر على تدبير شؤونها وادارتها حسب المصلحة العامة ووفق الخطة الإلهية الحكيمة.

(٦) سدلت: ارخيت كناية عن اعراضه عنها، واحتجابه عن طلبها.

(٧) الكشح: ما بين الخاصرة والجنب، أنزل الخلافة منزلة المأكول الذي منع نفسه عنه، فلم يشتمل عليه كشحه.

(٨) طفقت: جعلت، واخذت، وشرعت، وارتأى افكر طلباً للرأي الصائب وصال: حمل نفسه على الأمر بقوة. والطخية: =

مؤمن حتى يلقى ربه[١]، فرأيت أنَّ الصَّبر على هاتا أَحجى[٢]، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا[٣] أرى تراثي نهباً[٤] حتى اذا مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى عمر من بعده، فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته[٥]، لشدّ ما تشطّرا ضرعيها[٦]! ثم تمثل بقول الأعشى[٧]:

شتان ما يومي على كورها ... ويوم حيان أخي جابر

فصيرها في ناحية خشناء يجفو مسها، ويغلظ كلمها[٦]، ويكثر العثار فيها، والإعتذار منها[١]،

=قطعة من الغيم. والجذاء: المقطوعة.

أي جعلت أدير الفكر واجيله في امر الخلافة، وارادده في طرفي نقيض: أما ان اشهر السيف واصول على الغاصبين للخلافة، والمعتدين على حقّي، او اترك واصبر، وفي كلا الحالين خطر، فاما القيام والثورة فبيد مقطوعة من غير ناصر ولا معين، واما الثاني فلما يؤول اليه الحال: من اختلاط الامور، وعدم انتظام الحياة، والتمييز بين الحق والباطل، فكما ان الظلمة والعمى لا يهتدي معهما للتمييز بين الأشياء، فكذلك اضطراب الهيئة الاجتماعية، وتشابك المشاكل وازدحامها لا يهتدي معه لوجه الحق.

(١) الهرم: شدة كبر السن والكدح: سعى المجهود.

وتلك الشدة، وذلك الاضطراب، وهاتيك الاحوال المظلمة وطول مدتها ادت الى أن: يهرم فيها الكبير، ويشيب الصغير، ويتعب المؤمن في تمييز الحقائق وتمحيصها وما يبذله من جهد في سبيل الدفاع عن الحق حتى يلقى ربه.

(٢) هاتا: هذه واحجى: اقرب للحجى وهو العقل

فرأيت الصبر على هذه الحال وترك المقاومة اقرب للعقل، والصق بنظام الاسلام واحفظ لبيضته سيما وهو بعد غض لم ترسخ له قدم في نفوس اتباعه، والثورة في هذه الحال ربما تؤدي الى خلاف الغرض، وتعكس النتيجة، وستكون سببا للردة، والرجوع عن الدين، فترك المقاومة احجى واضمن لسلامة الاسلام، وتحمل الشر الحادث من جراء ذلك اهون.

(٣) القذى: الرمد. والشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

أي صبرت ولكن على مضض كما يصبر الأرمد وهو يحس بوجع العين، وكما يصبر من غص بشيء فهو يكابد الخنق.

(٤) يريد بتراثه: الخلافة.

(٥) ادلى بها: القى بها اليه. والاقالة: فك العهد والاستقالة: طلب ذلك.

أشار بقوله (ع): «يستقيلها» الى قول أبي بكر: «اقيلوني لست بخيركم»

(٦) شد الأمر: صعب وعظم. وتشطرا: اقتسما والضرع للحيوانات ـ مثل الثدي للمرأة.

(٧) هو اعشى قيس واسمه ميمون بن جندل من بني قيس من قصيدة أولها:

علقم ما أنت الى عامر ... الناقص الأوتار والواتر

(٨) الكلم: الجرح

كنى عن طباع عمر بن الخطاب «بالناحية الخشناء» لأنه كان يوصف بالجفاوة وسرعة الغضب، وغلظ الكلام، حتى روى انه امر أن يؤتى بامرأة لحال اقتضت ذلك ـ وكانت حاملاً ـ فلما دخلت عليه اجهزت جنيناً لما شاهدته من غلظ طبيعة أبي حفص وظهور القوة الغضبية على قسمات وجهه وشدته في الكلام، وذلك ما اراده امير المؤمنين من قوله: «في ناحية خشناء» ثم انه (ع) وصف تلك الطبيعة بوصفين:

أحدهما: غلظ المواجهة بالكلام وقد قيل: جرح اللسان أشد من وخز السّنان.

وثانيهما: جفاوة المس المانعة من ميل الطّباع إليه.

(٩) عثر: إذا أصابت رجله حجراً ونحوه.

فيه إشارة إلى ما كان عليه عمر بن الخطاب من التسرع في إصدار الأحكام غير الصائبة كأمره برجم المرأة الحامل وطلاق الحائض، وغيرها من الأُمور التي كانت تدعوه للإعتذار بعد أن يتبين له الخطأ بارشاد أمير المؤمنين (ع)، وقد تكرر قوله: «لولا عليّ لهلك عمر» و «لا كنت لمعضلةٍ ليس لها أبو الحسن» و «لا عشت لمعضلة لا تكون لها يا أبا الحسن».

فصاحبها كراكب الصعبة: إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم[١]، فمني الناس لَعمر الله بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض[٢]، فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله، فجعلها شورى في جماعة زعم أنّي أحدهم[٣] فيا لله وللشورى، متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر، لكنّي أسففت إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا[٤]، فصبرت على طول المحنة، وانقضاء المدة، فمال رجل منهم لضغنه، وصغى الآخر لصهره، مع هنٍ وهن[٥] إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه[٦]، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع[٧]، إلى

---

(١) الصعبة من الإبل: الغير المذللة. وأشنق لها بالزّمام: إذا جذبه إلى نفسه وهو راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة والخرم الشق وأسلس لها: أرخى لها وتقحم في الأمر: ألقى نفسه فيه بقوة. فصاحبها أي: صاحب تلك الطّباع الخشنة مثله. وهو يتولّى شؤون الرعية وتدبير أمورهم ـ كمثل راكب الناقة الصّعبة التي لم تذلل، فهو بين خطرين: إن جذبها إليه شق أنفها، وإن أرخى لها القياد ألقت به في المهالك، والناقة الصعبة أراد الرعية لأنها لم تألفه وتنفر من طباعه فلا تستقيم له بحال، أو هي صاحب تلك الطّباع، وحينئذ يكون المقصود من قوله (ع) إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم، أنّ الذي يريد إصلاح صاحب تلك الطباع واقع بين خطرين فان أنكر عليه عمله وقع الانشقاق والاختلاف بينهما، وإن تركه وشأنه أدى به الأمر إلى الإخلال بالواجب.

ووجه ثالث: يمكن أن يكون المقصود بالناقة الخلافة، فاذا استرجعها بالقوة شقَّ عصا المسلمين وأوقع الخلاف في صفوفهم مما يؤدي بالنتيجة إلى الردة، وإن تركها وسكت عنها، سارت في غير اتجاهها فهو منها بين خطرين.

(٢) مني الناس: ابتلوا. والخبط الحركة على غير استقامة، والشماس ـ بكسر ـ الشين ـ كثرة النفار والإضطراب. والتلون: اختلاف الأحوال والإعتراض ضرب من التلون وأصله المشي في عرض الطريق.

(٣) خلاصة حديث الشورى: أنّ عمر بن الخطاب لما طعنه أبو لؤلؤة وأيقن بالموت دعا وجوه الصحابة، وعرض عليهم موضوع الخلافة، وأُشير فيما أُشير عليه بابنه عبد الله فقال. لا، لا يليها رجلان من ولد الخطاب حسب عمر ما حمل، حسب عمر ما احتقب! لا أتحملها حيّاً وميتاً، ثم قال: إنَّ رسول الله مات وهو راض عن هذه الستة «عليّ، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف» فأما سعد فلا يمنعني منه إلاعنفه وفضاضته، وأما من عبد الرحمن فلأنه قارون هذه الأمة وأما من طلحة فتكبره ونخوته، وأما من الزبير فحشه، ولقد رأيته بالبقيع يقاتل على صاع من شعير، ولا يصلح لهذا الأمر إلا رجل واسع الصدر وأما من عثمان فحبه لقومه وعصبيته لهم، وأما من علي فحرصه على هذا الأمر ودعابة فيه. ثم قال: يصلي صهيب بالناس ثلاثة أيام، وتخلوا الستة نفر في البيت ثلاثة أيام ليتفقوا على رجل منهم، فان استقام أمر خمسة وأبى رجل فاقتلوه، وإن استقر أمر ثلاثة وأبى ثلاثة فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف.

(٤) أسفَّ الطائر: إذا دنى من الأرض في طيرانه.

(٥) صغا: مال بسمعه إليه. والضغن: الحقد. والهن: على وزن أخ كناية عن شيء قبيح الذي مال لحقده هو: سعد بن أبي وقاص. والذي مال لصهره عبد الرحمن بن عوف حيث مال إلى عثمان لمصاهرة بينهما.

روى الشيخ المفيد في الإرشاد عن جيش الكفاني قال: لما صفق عبد الرحمن على يد عثمان بالبيعة في يوم الدار قال له أمير المؤمنين (ع): حركك الصهر وبعثك على ما صنعت، والله ما أمّلت منه الا ما أمل صاحبك من صاحبه، دق الله بينكما عطر منشم ـ وعطر منشم هو عطر صعب الدق والمراد به هنا الموت ـ. وهكذا كان فقد بلغ الحال في الخلاف بينهما أن أعلن عثمان تحريم مجالسة عبد الرحمن، ووجوب نبذه، وأبرأ الذمة ممن يكلمه أو يعاطيه معاطاة أي مواطن يتمتع بحقوقه الإجتماعية.

(٦) النفج: النفخ. والنثيل: الروث. والمعتلف: موضع الاعتلاف.

(٧) الخضم: الأكل بجميع الفم وقيل: المضغ بأقصى الأضراس.

قال ابن أبي الحديد ـ في شرحه على النهج ج ١ ص ٦٦ ـ:

وصحت فيه فراسة عمر بن الخطاب، اذ قد أوطأ بني امية رقاب الناس، وأولاهم الولايات واقطعهم القطايع، وافتتحت ارمينيا في ايامه، فاخذ الخمس كله فوهبه لمروان الى ان قال: وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه اربعمائة ألف درهم واعاد الحكم بن أبي العاص بعد ان سيره رسول الله (ص) ثم لم يرده ابو بكر ولا عمر، وأعطاه مائة ألف درهم وتصدّق رسول الله صلّى الله عليه وآله بموضع سوق بالمدينة يعرف «بنهروز» على المسلمين، فاقطعه عثمان الحارث بن=

أن انتكث عليه فتله، وكبت به بطنته، وأجهز عليه عمله[1]، فما راعني إلا والنّاس رسل إليّ كعرف الضبع ينثالون عليّ من كلِّ جانب[2]، حتى لقد وطيء الحسنان، وشق عطفاي[3] مجتمعين حولي كربيضة الغنم[4] فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أُخرى، وفسق آخرون[5]، كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه وتعالى يقول: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين[6]» بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكن حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها[7].

أما والذي فلق الحبة وبرىء النسمة، لو لا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على أولياء الأمر: أن لا يقروا على كِظّة ظالم، ولا سغب مظلوم[8]، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم عندي أهون من عفطة عنز.

قال: فقام إليه رجل من أهل السواد فناوله كتاباً فقطع كلامه، فأقبل ينظر إليه فلما فرغ من قراءته، قال ابن عباس: قلت له: يا أمير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث أفضيتها.

قال: يا ابن عباس هيهات هيهات!! تلك شقشقة هدرت ثم قرت.

قال ابن عباس: فما أسفت على شيء ولا تفجعت كتفجعي على ما فاتني من كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمثال هذه الأخبار من كلام أمير المؤمنين (ع) كثيرة، أوردنا طرفاً منها للإيجاز والإختصار.

ومما يوضح ما أثبتناه ما روي عن أُم سلمة زوجة رسول الله (ص) أنها قالت:

كنا عند رسول الله تسع نسوة، وكانت ليلتي ويومي من رسول الله (ص) فأتيت الباب فقلت: أدخل يا رسول الله (ص)؟ فقال: لا.

=الحكم اخا مروان بن الحكم، واقطع مروان فدكاً وقد كانت فاطمة طلبتها بعد وفاة أبيها رسول الله تارة بالميراث، وتارة بالنحلة، فدفعت عنها الى آخر ما ذكره ابن أبي الحديد فاليراجع وعمل الحجة الاميني في ج ٩ من كتاب الغدير قائمة بمصر وفاته على قومه وذوبه فالتراجع أيضاً.

(١) انتكث: انتقض. والفتل: برم الحبل. وكبا الفرس: أسقط لوجهه.

والبطنة: شدة الامتلاء من الطعام. واجهز ـ على المريض ـ: قتله واسرع.

والعرف: الشعر النابت في محدب رقبة الفرس.

(٢) الروع: الخلد والذهن راعني: أفزعني، والعرف: الشعر النابت في محدب رقبة الفرس. وامثال ـ الشيء ـ: اذا وقع يتلو بعضه بعضاً

(٣) العطاف: الرداء، وعطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه الى وركيه. أي شق قميصه من جانبيه من شدة الازدحام عليه.

(٤) ربيضة الغنم: المجتمعة برعاتها.

(٥) مروق السهم: خروجه من الرمية.

المراد بالناكثين للبيعة هم: طلحة والزبير وأصحابهم بايعوا ثم نكثوا البيعة. والمارقين هم: الخوارج، والفاسقين هم: القاسطون وأصحاب معاوية.

(٦) القصص: ٨٣

(٧) الزبرج ـ بكسر الزاء والراء ـ: الزينة.

(٨) الكظّة: البطنة، ما يعتري الإنسان بعد الإمتلاء من الطعام. والسغب: الجوع.

قالت فكبوت كبوة شديدة، مخافة أن يكون ردني من سخط أو نزل فيّ شيء من السماء، ثم لم البث أن أتيت الباب ثانية فقلت: أدخل يا رسول الله (ص)؟ فقال: لا. فكبوت كبوة أشد من الأولى. ثم لم ألبث أن أتيت الباب ثالثة فقلت: أدخل يا رسول الله (ص)؟

فقال: ادخلي يا أُم سلمة، فدخلت وعليّ جاث بين يديه وهو يقول: فداك أبي وأُمي يا رسول الله (ص) إذا كان كذا وكذا فما تأمرني؟ فقال: آمرك بالصبر، ثم أعاد عليه القول ثانية، فأمره بالصبر، ثم أعاد عليه القول ثالثة، فأمره بالصبر، ثم أعاد عليه القول رابعة، فقال له:

يا علي يا أخي إذا كان ذلك منهم فسلَّ سيفك وضعه على عاتقك، واضرب به قدماً حتى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم.

ثم التفت إليّ وقال: ما هذه الكآبة يا أُم سلمة، قلت: للذي كان من ردك إياي يا رسول الله، فقال لي والله ما رددتك لشيءٍ خبرت من الله ورسوله، لكن أتيتني وجبرئيل يخبرني بالأحداث التي تكون من بعدي، وأمرني أن أوصي بذلك عليّاً، يا أُم سلمة اسمعي واشهدي، هذا عليّ بن أبي طالب (ع) وزيري في الدنيا، ووزيري في الآخرة، يا أُم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب وصيي، وخليفتي من بعدي، وقاضي عداتي، والذائد عن حوضي، اسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب، سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين.

قلت: يا رسول الله من الناكثون؟

قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب نهروان.

* * *

وروي أنّ أمير المؤمنين (ع) قال في أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بأيام.

حاكياً عن رسول الله (ص) قوله: يا عليّ إنك باقٍ بعدي، ومبتلىً بأُمتي ومخاصم بين يدي الله، فأعدد للخصومة جواباً، فقلت: بأبي وأُمي أنت بيّن ليَ ما هذه الفتنة التي أبتلى بها؟ وعلى ما أُجاهد بعدك؟ فقال لي: إنَّك ستقاتل بعدي الناكثة والقاسطة والمارقة، وجلاهم وسماهم رجلاً رجلاً، وتجاهد من امتي كلّ من خالف القرآن وسنتي، ممن يعمل في الدين بالرأي، ولا رأي في الدين إنما هو أمر الرّب ونهيه.

فقلت: يا رسول الله فأرشدني إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة.

فقال: نعم، إذا كان ذلك كذلك فاقتصر على الهدى، إذا قومك عطفوا الهدى على الهوى، وعطفوا القرآن على الرأي، فتأولوه برأيهم بتتبع الحجج من القرآن لمشتهيات الأشياء الطارية عند الطمأنينة إلى الدنيا، فاعطف أنت الرأي على القرآن، وإذا قومك حرفوا الكلمة عن مواضعه عند

الأهوال الساهية، والأُمراء الطامحة، والقادة الناكثة، والفرقة القاسطة، والأُخرى المارقة أهل الإفك المردي والهوى المطغي، والشبهة الخالفة، فلا تنكلنّ عن فضل العاقبة، فان العاقبة للمتقين.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت: «يا أيّها النبي جاهد الكفار والمنافقين الخ[1]» قال النبي (ص): لأُجاهدنَّ العمالقة، يعني الكفار والمنافقين فأتاه جبرئيل فقال: أنت أو علي (ع).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري: [2] قال: إنّي كنت لأدناهم من رسول الله (ص) في حجة الوداع بمنى فقال: لأعرفكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لو فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم، ثم التفت إلى خلفه، فقال: أو علي، أو علي، أو علي، ثلاث مرات، فرأينا على أثر ذلك أن جبرئيل (ع) غمزه، فأنزل الله تعالى على أثر ذلك: **﴿فإما نذهبنّ بك فإنا منهم منتقمون أو نريك الّذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون[3]﴾**.

وعن ابن عباس: إنَّ علياً (ع) كان يقول ـ في حياة رسول الله ـ: إنّ الله يقول: **﴿وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم[4]﴾** والله لانقلب على أعقابنا بعد اذ هدانا الله، والله لئن مات او قتل لاقاتلنّ على ما قاتل عليه حتى أموت، لأني أخوه وابن عمه، ووارثه، فمن أحق به مني.

وعن أحمد بن همام قال: أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر، فقلت: يا عبادة أكان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف؟ فقال: يا أبا ثعلبة اذا سكتنا عنكم فاسكتوا، ولا تبحثونا، فوالله لعليّ بن أبي طالب كان أحق بالخلافة من أبي بكر، كما كان رسول الله (ص) أحقّ بالنبوة من أبي جهل، قال: وأزيدكم إنا كنا ذات يوم عند رسول الله (ص) فجاء علي (ع)، وأبو بكر وعمر إلى باب رسول الله (ص)، فدخل أبو بكر، ثم دخل عمر، ثم دخل علي (ع) على أثرهما، فكأنما سفي على وجه رسول الله الرماد، ثم قال: يا علي أيتقدمانك هذان، وقد أمرك الله عليهما؟!!

فقال أبو بكر: نسيت يا رسول الله، وقال عمر: سهوت يا رسول الله.

فقال رسول الله: ما نسيتما ولا سهوتما، وكأنّي بكما قد سلبتماه ملكه، وتحاربتما عليه، وأعانكما على

---

(١) التوبة / ٧٣.

(٢) جابر بن عبد الله من أصحاب رسول الله (ص) شهد بدراً وأدرك الامام محمد الباقر (ع) وبلّغه سلام رسول الله (ص)، وكان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وممن انقطع لأهل البيت (ع).

روي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: إن جابر بن عبد الله كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ص) وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت، وكان يقعد في مسجد رسول الله (ص) وهو معتم بعمامة سوداء، وكان ينادي يا باقر العلم، يا باقر العلم! وكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول لا والله لا أهجر ولكنّي سمعت رسول الله (ص) يقول: «إنك ستدرك رجلاً من أهل بيتي، اسمه إسمي، وشمائله شمائلي، يبقر العلم بقراً» فذاك الذي دعاني إلى ما أقول. رجال العلامة ص ٣٤ رجال الكشي ص ٤٢ ـ ٤٥

(٣) الزخرف ـ ٤١.

(٤) آل عمران ـ ١٤٤

ذلك أعداء الله، وأعداء رسوله، وكأنّي بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف على الدنيا ولكأنّي بأهل بيتي وهم المقهورون المشتتون في أقطارها، وذلك لأمر قد قضي، ثم بكى رسول الله (ص) حتى سالت دموعه، ثم قال: يا علي الصبر! الصبر! حتى ينزل الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فان لك من الأجر في كل يوم ما لا يحصيه كاتباك، فاذا أمكنك الأمر: فالسَّيف السَّيف!! القتل القتل!! حتى يفيئوا إلى أمر الله، وأمر رسوله، فانك على الحق ومن ناواك على الباطل وكذلك ذريتك من بعدك إلى يوم القيامة.

وعن جعفر بن محمّد الصادق (ع) عن أبيه عن آبائه عن علي (ع) قال: كنت أنا ورسول الله (ص) في المسجد بعد أن صلَّى الفجر، ثم نهض ونهضت معه، وكان رسول الله (ص) اذا أراد أن يتجه إلى موضع أعلمني بذلك، وكان إذا أبطأ في ذلك الموضع صرت إليه لأعرف خبره، لأنّه لا يتصابر قلبي على فراقه ساعة واحدة فقال لي: أنا متجه إلى بيت عائشة، فمضى (ص) ومضيت إلى بيت فاطمة الزهراء (ع) فلم أزل مع الحسن والحسين فأنا وهي مسروران بهما، ثم أنّي نهضت وسرت إلى باب عائشة، فطرقت الباب: فقالت: من هذا؟ فقلت لها: أنا علي. فقالت: إنَّ النبي راقد، فانصرفت.

ثم قلت: النبي راقد وعائشة في الدار، فرجعت وطرقت الباب فقالت لي: من هذا؟ فقلت لها: أنا علي. فقالت: إنَّ النبي (ص) على حاجة فانثنيت مستحيياً من دق الباب، ووجدت في صدري ما لا أستطيع عليه صبراً، فرجعت مسرعاً فدققت الباب دقّاً عنيفاً، فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت أنا علي فسمعت رسول الله (ص) يقول: يا عائشة افتحي له الباب، ففتحت ودخلت، فقال لي: اُقعد يا أبا الحسن أحدثك بما أنا فيه، أو تحدثني بابطائك عني.

فقلت:يا رسول الله حدّثني فإنَّ حديثك أحسن.

فقال:يا أبا الحسن كنت في أمر كتمته من ألم الجوع، فلما دخلت بيت عائشة، وأطلت القعود ليس عندها شيء تأتي به. فمددت يدي وسألت: الله القريب المجيب، فهبط عليّ حبيبي جبرئيل (ع) ومعه هذا الطّير ووضع اصبعه على طائر بين يديه، فقال: إنَّ الله عز وجل أوحى إليّ: أن آخذ هذا الطّير وهو أطيب طعام في الجنة فآتيك به يا محمّد، فحمدت الله عز وجل كثيراً، وعرج جبرئيل فرفعت يدي إلى السماء فقلت: «اللّهم يسر عبداً يحبك ويحبني يأكل معي من هذا الطّير» فمكثت ملياً فلم أر أحداً يطرق الباب، فرفعت يدي ثم قلت: «اللّهم يسر عبداً يحبك ويحبني وتحبه واُحبه يأكل معي من هذا الطير» فسمعت طرق الباب وارتفاع صوتك، فقلت لعائشة: أدخلي علياً فدخلت، فلم أزل حامداً لله حتى بلغت إليّ إذ كنت تحب الله وتحبني، ويحبك الله واُحبك، فكل يا علي.

فلما أكلت أنا والنبي الطائر، قال لي: يا علي حدثني فقلت: يا رسول الله لم أزل منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين مسرورين جميعاً، ثم نهضت اُريدك فجئت فطرقت الباب فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت: أنا عليّ. فقالت: إنَّ النبي راقد، فانصرفت، فلما أن صرت إلى بعض الطريق الذي سلكته رجعت فقلت: النبي (ص) راقد وعائشة في الدار، لا يكون هذا، فجئت فطرقت الباب فقالت

لي: من هذا؟ فقلت لها: أنا عليّ. فقالت: إنّ النبي (ص) على حاجة، فانصرفت مستحيياً، فلما انتهيت إلى الموضع الذي رجعت منه أول مرة، وجدت في قلبي ما لا أستطيع عليه صبراً وقلت: النبي (ص) على حاجة وعائشة في الدار، فرجعت فدققت الباب الدق الذي سمعته، فسمعتك يا رسول الله وأنت تقول لها: أدخلي عليّاً.

فقال النبي (ص): أبى الله إلا أن يكون الأمر هكذا، يا حميراء ما حملك على هذا؟!

قالت: يا رسول الله اشتهيت أن يكون أبي يأكل من هذا الطّير فقال لها: ماهو بأول ضغن بينك وبين عليّ، وقد وقفت لعلي ـ إن شاء الله ـ لتقاتلنه.

فقالت: يا رسول الله وتكون النساء يقاتلن الرجال؟

فقال لها: يا عائشة إنك لتقاتلين عليّاً، ويصحبك ويدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتي وأصحابي، (١) فيحملونك عليه، وليكوننَّ في قتالك له أمر يتحدث به الأولون والآخرون، وعلامة ذلك أنك تركبين الشيطان، ثم تبتلين قبل أن تبلغي إلى الموضع الذي يقصد بك إليه، فتنبح عليك كلاب الحوأب، فتسألين الرجوع فتشهد عندك قسامة أربعين رجلاً: ما هي كلاب الحوأب، فتنصرفين إلى بلد أهله أنصارك، (١) وهو أبعد بلاد على الأرض من السماء، وأقر بها إلى الماء ولترجعنّ وأنت صاغرة غير بالغة ما تريدين ويكون هذا الذي يردك مع من يثق به من أصحابه، وإنه لك خير منك له، ولينذرنك بما يكون الفراق بينيّ وبينك في الآخرة، وكل من فرّق عليّ بيني وبينه بعد وفاتي ففراقه جائز.

فقالت: يا رسول الله ليتني مت قبل أن يكون ما تعدني.

فقال لها: هيهات هيهات!! والذي نفسي بيده ليكوننَّ ما قلت، حق كأنّي أراه.

ثم قال لي: قم يا عليّ فقد وجبت صلاة الظهر، حتى آمر بلالاً بالأذان، فأذّن بلال وأقام وصلّى وصليت معه ولم يزل في المسجد.

* * *

احتجاجه عليه السلام فيما يتعلق بتوحيد الله وتنزيهه عما لا يليق به من صفات المصنوعين من الجبر والتشبيه والرؤية والمجيء والذهاب والتغيير والزوال والانتقال من حال إلى حال في أثناء خطبه ومجاري كلامه ومخاطباته ومحاوراته.

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعمه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون(٣)

---

(١) يريد بأهل بيته المعنى العام لأهل بيت الرجل أي: أقاربه والمقصود هنا هو «الزبير بن العوام» وليس المقصود من أهل البيت المعنى الخاص المقصور على الخمسة من أصحاب الكساء، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

(٢) وفي نسخة «فتصيرين» بدل تنصرفين.

(٣) الحمد: هو الثناء على الجميل من نعمة وغيرها، والبلوغ: هو الوصول أو المشارفة. والمدحة: فعلة من المدح وهي: =

الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن،[١] الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود،[٢] فطر الخلايق بقدرته ونشر الرياح برحمته، ووتّد بالصخور مَيدان أرضه،[٣]، أول الدين معرفته، وكمال معرفته: التصديق به، وكمال تصديقه توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه،[٤] لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، [٥] ومن أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عدّه، ومن قال: «فيم؟» فقد ضمنه، ومن قال: «على م؟» فقد أخلى منه،[٦] كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمزايلة

«الهيئة» كالجلسة للجالس، والركبة للراكب والاحصاء: إنهاء العدد والإحاطة بالمعدود والمجتهد من اجتهد في الأمر إذا بذل وسعه وطاقته في طلبه.

في الجملة الأُولى: إشارة إلى العجز عن القيام بالثناء عليه سبحانه كما يستحقه وكما هو أهله، وهي في معنى قول النبي (ص): «لا أُحصي ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»

وفي الجملة الثانية: اعتراف بالقصور عن القدرة على حصر أنعم الله على تعددها وكثرتها بحيث لا يحيط بها حصر الإنسان، وهذه الجملة مقتبسة من قوله تعالى «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها».

وفي الثالثة اعتراف بالعجز عن أداء شكر المنعم، وأداء حقه اللازم على العباد مهما بذلوا من جهد، فكل حركة وسكون يصدران من الإنسان مستندان إلى وجوده تعالى وهي نعمة منه تعالى على عباده ولذا جاء في الأثر: أنّ موسى (ع) سأل ربه قائلاً: «يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكر إلا بنعمة ثانية من نعمك» فأوحى الله تعالى إليه: «إذا عرفت هذا فقد شكرتني».

(١) الهمم ـ جمع الهمة ـ: وهي العزم والجزم الثابت الذي لا يعتريه فتور.

والنيل: الاصابة والفطن جمع فطنة بالكسر ـ: وهي الحذق وجودة استعداد الذهن لتصور ما يريد عليه.

بعد الهمم علوها وتعلقها بالأُمور العالية أي: إنَّ الهمم وإن علت وبعدت لا يمكن أن تدركه مهما حلقت في سماء المدارك العالية، كما أنّ الفطن الغائصة في بحار الأفكار هي الأُخرى لا تصل إلى كنه حقيقته.

(٢) حد الشيء: منتهاه، والنعت: الصفة، والأجل: المدة المضروبة للشيء. أي ليس لصفاته الذاتية من القدرة، والإختيار، والعلم، والحياة، حد معين ينتهي إليه ويقف عنده كما هو الحال في الموجودات الممكنة فإنها جميعاً لها حد تنقطع إليه وتقف عنده، كما أنها لا تنعت بنعوت، وموجودة أي: زائدة متغيرة، فعلمه مثلاً لا ينعت بالزيادة والنقصان ـ كما هو الحال بالنسبة لنا ـ وقدرته لا توصف بالقوة والضعف بل هو منزه عن كلّ هذه النعوت وصفاته عين ذاته، كما أنها أزلية فليس لها وقت معدود، وأبدية فليس لها أجل ممدود.

(٣) فطر: خلق والنشر: البسط. ووتد ـ بالتخفيف والتشديد ـ ثبت. والمَيدان ـ بفتح الميم والياء ـ الحركة.

أي: سكن الأرض بعد اضطرابها وهي من قوله تعالى: «وجعلنا الجبال أوتاداً» وقوله: «وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم».

(٤) أول الدين معرفته أي أن معرفته سبحانه أساس الطاعة والعبادة، فما لم يعرف لا يمكن أن يطاع، ولا تتم معرفته، ما لم يذعن العبد ويحكم: بوجوب وجوده ولا يذعن ويحكم بوجوب وجوده ما لم يؤمن ويحكم له بالوحدانية، وأنه لا شريك له في ذاته، لأنّ الواجب لا يتعدد، ثم أن كمال هذا التوحيد يكون بالإخلاص له، وهو: اما جعله خالياً عن النقائص وسلب الجسمية والعرضية وأمثالها عنه، او الاخلاص له بالعمل وكما هذا الاخلاص هو: نفي الصفات الزائدة عنه تعالى فصفاته تعالى عين ذاته علمه، وقدرته، وإرادته، وحياته، وسمعه، وبصره، كلها موجودة بوجود ذاته الأحدية وذاته جامعة ومستوعبة لها وهي عينها، وليست هي على كثرتها وتعدد معانيها وتغاير مفهوماتها زائدة على الذات خارجة عنها.

(٥) أي: من وصف الله سبحانه بصفة زائدة على ذاته خارجة عنها، «فقد قرنه» بغيره في الوجود ومن «قرنه» بغيره فقد صيّره ثانياً لقديمين يصدق عليهما: «واجب الوجود» وحينئذ يكون قد «جزأه» لأنّ كل واحد من القديمين جزء لذلك الواجب، و «من جزأه» فقد «جهله» اذ جعله في عداد الممكنات، ولم يعرف الوجود الواجب فهو لا يتعدد ولا يتجزأ كما هو ثابت في علم الكلام.

(٦) ضمنه: جعله محتوياً عليه وأخلى منه: جعله خالياً منه.

فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده،(١) أنشأ الخلق إنشاءاً: وابتدأه ابتداءاً بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطراب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولائم بين مختلفاتها، وغرّز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها(٢).

وقال عليه السلام في خطبة أُخرى: (٣)

أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه، جل أن تحله الصفات بشهادة العقول: أنَّ كل من حلّته الصفات فهو مصنوع وشهادة العقول: أنه جلّ جلاله صانع ليس بمصنوع، بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفكر تثبت حجته، جعل الخلق دليلاً عليه، فكشف به ربوبيته هو الواحد الفرد في أزليته، لا شريك له في إلٰهيته، ولا ندّ له في ربوبيته، بمضادته بين الأشياء المتَضادة عُلم أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأُمور المقترنة علم أن لا قرين له.

= «ومن أشار إليه» سواء بالإشارة العقلية كأن يجعل له حداً منطقياً مركباً من جنس وفصل، أو بالإشارة الحسية «فقد حدّه» وذلك أنّ كل مشار إليه لا بد أن يكون في جهة ما، وكل ما هو في جهة فلا بد له من أطواف وأقطار هي حدوده وينتهي عندها و«من» فعل ذلك و«حده» «فقد عده» في عداد الممكنات. ومن قال «فيم» هو فقد جعله ضمن شيء ومن قال: «على م» هو فقد جعله مستعلٍ على شيء وغير مستعل على غيره وحينئذ يكون قد «أخلى منه» ذلك الغير.

(١) حدث الشيء: تجدد وجوده. والمزايلة: المفارقة. والسكن ـ بفتحتين ـ: ما يسكن إليه من أهل ومال.

هذه الفقرات كل منها مركبة من قضيتين، إحداهما موجبة، والأُخرى، سالبة، والفرق بين الفقرتين الأوليتين «كائن لا عن حدث» و«موجود لا عن عدم» اذ يبدو ان معناهما واحد في نفيهما تجدد الوجود، هو: أنّ الفقرة الأولى تنفي تجدد الحدوث الزماني يعني أنه كائن منذ الأزل، والثانية تنفي التجدد الذاتي وتثبت وجوب وجوده «مع كلّ شيء لا بمقارنة» كما أنه «غير كل شيء» ولكن «لا بمزايلة» ومفارقة، فالمقارنة والمفارقة من الصفات الجسمانية وذاته المقدسة منزهة عن الجسمانيات فهو مع كل شيء بمعنى أنه عالم بكل شيء محيط به، شاهد عليه، غير غائب عنه، ولكن هذه المعية وتلك الغيرية ليست كما هي بالنسبة لنا من المقارنة والمفارقة التي هي من خصائص الجسمية ولوازمها، وذاته المجردة لا تشبه شيئاً من ذوات الموجودات الممكنة فهو «فاعل» ولكن «لا بمعنى الحركات والآلة» ومن ضيق الألفاظ نعبر عن صفاته القدسية بهذه الألفاظ المتعارفة بيننا، والتي نطلقها عليه كما نطلقها على سائر الممكنات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، «بصير» منذ الأزل «إذ لا منظور إليه من خلقه» «متوحد» في سلطانه وملكوته «إذ لا سكن يستأنس به» و (لا) أنيس (يستوحش لفقده) فالوحشة والأُنس من لوازم الطبيعة الحيوانية، وهو منزه عنها.

(٢) نشأ الشيء: حدث وتجدد. والابتداء: بمعنى الإنشاء، والروية: الفكر والتدبر، وأجال به: إذا أداره، والتجربة: الاختبار. والهمامة: التردد. وأحال الأشياء: صرفها وحولها، ولائم: أصلح. والغريزة: الطبيعة ـ والأشباح: الأشخاص والاحاطة: الاستدارة والشمول. والأحناء ـ جمع الحنوء ـ: الجانب والناحية. (أنشأ الخلق إنشاءاً) من غير مادة (وابتدأهم) ابتداءاً من دون مثال سبق (بلا روية أجالها) ولا فكر أداره (ولا تجربة استفادها) ولا خبرة اكتسبها من قبل (ولا أحدثها) كالحركة الحادثة لنا إذا أردنا فعل شيء ما (ولا همامة نفس اضطراب فيها) كما تتردد نفوسنا وتضطرب فكل هذه الأُمور من لوازم الجسمية تقدست ذاته عنها (أحال الأشياء) ونقلها وصرفها حسب مقتضيات الحكمة والمصلحة (لأوقاتها) للقضاء والقدر وأصلح (ولائم بين) ما كان من عالم الغيب، كالأرواح المجردة، وما كان من عالم الشهود كالأجسام المركبة، وغير ذلك من (مختلفاتها) كتوفيقه في سائر العناصر (وغرّز) للاشياء (غرائزها) ثم خص كل جنس او نوع بغرائزه الخاصة به (وألزمها أشباحها) وأشخاصها (عالماً بها قبل ابتدائها) كما هو عالم بها بعد إيجادها من غير فرق بين الحالين (محيطاً بحدودها وانتهائها) شاملاً بقدرته وعلمه جميع أطرافها.

(٣) ارشاد الشيخ المفيد (قده) أبو الحسن الهذلي عن الزهري وعيسى بن زيد عن صالح بن كيسان عن امير المؤمنين (ع) قال ـ في الحث على معرفة الله ـ: أول عبادة الله معرفته... الخ.

وقال (ع) في خطبة أُخرى:

دليله آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة، إنّه رب خالق غير مربوب مخلوق، كل ما تصور فهو بخلافه.

ثم قال ـ بعد ذلك ـ :

ليس بإله من عرف بنفسه هو الدال بالدليل عليه، والمؤدي بالمعرفة إليه.

وقال (ع) في خطبة أُخرى:[1].

لا يشمل بحد، ولا يحسب بعد، وإنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها، منعتها منذ القدمة، وحمتها قد الأزلية، وجنبتها لولا التكملة، بها تجلّى صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون[2] لا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ماهو أجراه، ويعود إليه ما هو أبداه، ويحدث

(١) تجد هذه الخطبة الجليلة ـ التي هي حقاً من معجزات امير المؤمنين (ع) ولو لم تكن له معجزة سواها لكفى، كما لو لم يكن لرسول الله (ص) معجزة سوا امير المؤمنين (ع) لكفى ـ في ج ٢ ص ١٤٢ من نهج البلاغة قال السيد الرضي (قدس سره) (وتجمع هذه الخطبة من أُصول العلوم ما لا تجمعه خطبة) وأولها كما هي مثبتة في النهج:

«ما وحده من كيفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شبهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول فاعل لا باضطراب آلة، مقدور لا بجول فكرة، غني لا باستفادة، لا تصحبه الأوقات ولا ترفده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبمضادته بين الأُمور عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والوضوح بالبهمة، والجمود بالبلل والحرور بالصرد، مؤلف بين متعادياتها، مقارن بين متبايناتها، مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها، لا يشمل بحد. . . الخ.

(٢) (لا يشمل بحد) من الحدود المنطقية، المركبة من الجنس والفصل، وذاته خالية من التركيب أو من الحدود والأبعاد الهندسية التي هي من لوازم الأجسام وذاته تعالى ليست بجسم.

(ولا يحسب بعد) لعدم المماثل له وواجب الوجود لا يتعدد كما هو ثابت في محله كما أن صفاته عين ذاته غير زائدة عليها فلا تدخل تحت العدد، ولا بداية لوجوده حتى يقال: كان منذ كذا وكذا (وإنما تحد الأدوات أنفسها) لتركيبها من جنس وفصل ولكونها من الأجسام فتشملها الحدود والأبعاد الهندسية.

(وتشير الآلات إلى نظائرها) فتدخل تحت العدد وقد (منعتها ـ إطلاق لفظة: ـ منذ ـ عليها ـ القدمة) في قولنا وجدت هذه الآلات والأدوات منذ كذا، ومتى كان للشيء ابتداء فهو غير قديم.

(وحمتها ـ إطلاق لفظة ـ قد ـ عليها ـ الأزلية، في قولنا قد وجدت هذه الآلات والأدوات منذ كذا لأنّ قد تفيد تقريب الزمان الماضي من الحال، ومتى تعين زمن وجود الشيء انتفت أزليته.

(وجنبتها ـ إطلاق كلمة: لولا ـ عليها ـ التكملة) في قولنا: ما أحسن هذه الآلات والأدوات لولا أنّ فيها كذا لدلالتها على امتناع كمال الشيء لوجود نقص فيه.

ويمكن أن يكون المعنى: إنّ قدمه وأزليته وكماله منعت من إطلاق لفظة (منذ وقد، ولولا) على ذاته المقدسة، لدلالة هذه الألفاظ على الحدوث والابتداء والنقص.

(بها) بتلك الآلات والأدوات ببديع صنعها، باتقانها، بحكمة تدبيرها (تجلى صانعها للعقول) التي هي طبعاً بعض تلك الآلات لدلالة الأثر على المؤثر (وامتنع) بدليل تجرده وتنزهه عن المادة والجسمية واللون والجهة التي هي من لوازم المرئيات (عن نظر العيون).

فيه ما هو أحدثه، إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء اذا وجد له أمام، ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان، وإذاً لقامت آية المصنوع فيه، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه،[1] وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره،[1] الذي لا يحول، ولا يزول، ولا يجوز عليه الأُفول،[1] لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً[2] جل عن اتخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء، لا تناله الأوهام فتقدره، ولا تتوهمه الفطن فتصوره، ولا تدركه الحواس فتحسه، ولا تلمسه الأيدي فتمسه، ولا يتغير بحال، ولا يتبدل بالأحوال، ولا تبليه اللّيالي والأيام، ولا يغيره الضياء والظلام ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا الجوارح والأعضاء، ولا بعرض من الأعراض ولا بالغيرية والأبعاض، ولا يقال له حد ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية، ولا أنّ الأشياء تحويه، فتقله أو تهويه، ولا أنّ شيئاً يحمله فيميله أو يعدله،[3] ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج، يخبر لا بلسان ولهوات،

---

(١) الحركة سواء كانت بمعناها الفلسفي الذي هو: (الخروج من القوة إلى الفعل) أو بمعناها الفيزيائي الذي هو: (الانتقال من مكان إلى آخر) فهي تتقوم بالتدرج والإنتقال من حال الى حال ومن مكان إلى آخر وتخلع صورة وتلبس أُخرى وتصل الى جزء وتنفصل عن سابقه وهكذا، ويقابلها السكون الذي هو: (التوقف والخمود فيما يقبل الحركة): والحركة والسكون كلاهما من الحوادث المستندة في وجودها إلى علة، وحيث ثبت أن لا موجد الا الله ولا خالق سواه فيكون هو الذي خلقهما وأجراهما على نفسه، وأحدثهما في ذاته، ولاستحالة أن يكون مخلوقه جزء ذاته، نفى امير المؤمنين (ع) ذلك في صورة استفهام إنكاري في قوله: (وكيف يجري عليه ما هو أجراه ويعود إليه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه؟!!) ثم أنه (ع) شرع في إقامة الأدلة على استحالة هذه النسبة فقال:

١ ـ «إذاً لتفاوتت ذاته» أي: تغيرت. لأنها تكون متحركة تارة وساكنة أُخرى فالحركة والسكون من الحوادث المتغيرة، فيكون محلاً للحوادث، وذلك من لوازم الإمكان فيكون واجب الوجود ممكن الوجود، وهو مستحيل.

٢ ـ (ولتجزأ كنهه) لأن الحركة والسكون من لوازم الأجسام والأجسام مركبة فيلزم حقيقته التركيب وهو باطل.

٣ ـ (ولامتنع من الأزل معناه) لأنّ الحركة والسكون من لوازن الأجسام الحادثة والحادث لا يكون أزلياً.

٤ ـ (ولكان له وراء إذ وجد له أمام) إذ لو جرت عليه الحركة لكان له أمام يتحرك نحوه وحينئذ يلزم أن يكون له وراء لأنهما أمران إضافيان لا ينفك أحدهما عن الآخر وحينئذ يكون له وجهان وكل ذي وجهين منقسم وكل منقسم ممكن.

٥ ـ (ولا التمس التمام إذ لزمه النقصان) إذ هو في حركته يتوجه نحو غاية اما لجلب نفع او لدفع ضرر، وذلك كمال مطلوب له لنقصان لازم لذاته وذلك يستلزم الامكان فهو باطل.

و «إذاً لقامت آية المصنوع فيه» وثبت إمكانه وحدوثه «ولتحول دليلاً» يستدل بوجوده على خالقه «بعد أن كان مدلولاً عليه»

(١) أي خرج بسلطان امتناعه التجردي، وعدم شموله بحد، ودخوله تحت العدد وامتناعه عن نظر العيون، وعدم جريان الحركة والسكون عليه خرج بهذا السلطان من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من الممكنات.

(١) لا يحول: لا يتغير. والأفول: الغيبة.

(٢) الولادة تحصل بانفصال شيء عن آخر من جنسه ونوعه، فالوالد والولد يشتركان في النوع والصنف والعوارض، ولا يكون هذا الانفصال والتجزي الا بواسطة المادة القابلة للتجزئة، واذا كان كذلك فهو متولد من مادة وصورة ويحتمل أن يكون المراد بالمولود المخلوق، فيكون المعنى لم يلد فيثبت كونه جسماً مخلوقاً. وعلى كلا التقديرين سواء كان مولوداً من مادة وصورة، أو كان جسماً مخلوقاً، فإنه يكون محدوداً بالحدود المنطقية، والأبعاد الهندسية.

(٣) لا تناله الأوهام فتقدره بمقدار وكم وشكل وكيف، والفطنة سرعة الفهم ولا تتوهمه الفطن فتصوره بصور خيالية اوعقلية، ولا تدركه الحواس بنحو المباشرة ولا تلمسه وتحسه الأيدي بنحو المماسة، ولا يتغير أبداً ولا يوصف بالغيرية والابعاض فصفاته لا يغاير=

ويسمع لا بخروق وأدوات، يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضمر، يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويغضب من غير مشقة، يقول ـ لما أراد كونه ـ : «كن فيكون» لا بصوت يقرع، ولا نداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً،[1] ولا يقال له: «كان بعد أن لم يكن» فتجري عليه صفات المحدثات، ولا يكون بينه وبينها فصل، ولا له عليها فضل، فيستوي الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبتدع والبديع[2] خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره[3] ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه.

أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار[4] وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأود والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج[5] أرسى أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عيونها، وخد أوديتها[6] فلم يهن ما بناه، ولا ضعف ما قواه، هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته، والباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالي على كل شيء منها بجلالته وعزته، لا يعجزه شيء منها طلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منها فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه، خضعت الأشياء له، وظلت مستكينة لعظمته[7] لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره، فتمتنع من نفعه وضره، ولا كفؤ له فيكافئه[8] ولا نظير له فيساويه، هو المفني لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمفقودها، وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها، وكيف!! ولو اجتمع جميع حيوانها: من طيرها، وبهائمها، وما كان من مراحها وسائمها، وأصناف أشباحها واجناسها، ومتلبدة اممها وأكياسها[9] على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها، ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت، وعجزت قواها وتناهت، ورجعت خاسئة حسيرة[10] عارفة بأنها مقهورة مقرّة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها.

=بعضها بعضاً، وليس هو بذي مكان يحويه، فيرتفع بارتفاعه وينخفض بانخفاضه، كما أنه غير محمول على شيء فيميله إلى جانب، أو يعدله على ظهره من غير ميل.

(١) يحفظ عباده ويحرسهم، ولا يتحرز ولا يخاف ويبغض ويغضب ولا يستلزم بغضه وغضبه مشقة وانزعاجاً، كما هو الحال بالنسبة لنا مما يستلزمانه فينا من فوران دم القلب واضطرابه. يقول ـ لما أراد كونه ـ : كن فيكون، وليس المراد بالقول هو التكلم الحقيقي حتى يكون له صوت يقرع الآذان فيسمع وإنما كلامه سبحانه هو نفس فعله، وخلقه للأشياء وتصويرها ينشؤه ويمثله لجبرئيل في اللوح وليس هو بقديم ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً.

(٢) في بعض النسخ: «الصفات المحدثات».

(٣) خلا : أي مضى.

(٤) أرساها: أثبتها على غير قرار.

(٥) الأود ـ بالتحريك ـ الإعوجاج والتهافت: التساقط قطعة قطعة.

(٦) الأسداد ـ جمع السد ـ بمعنى الجبل أو الحاجز وبالضم بمعنى السحاب الأسود. وخد : بمعنى شق.

(٧) الاستكانة: الخضوع.

(٨) أي : يساويه في وجوب الوجود.

(٩) المتلبدة: ذو البلادة ضد الأكياس.

(١٠) الخاسىء الذليل الصاغر. والحسير : الكلل المعي.

وإنّه يعود سبحانه بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه، كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها، لا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلّا الواحد القهّار الذي إليه مصير جميع الأمور، بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤ ها، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤ ها، لم يتكأده صنع شيء منها إذ صنعه، ولم يؤوده منها خلق ما براه وخلقه، ولم يكوّنها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ند مكاثر، ولا للإحتراز بها من ضد مساور[١]، ولا للازدياد بها في ملكه ولا لمكاثرة شريك في شركته، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها.

ثم هو ينفيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه من تصريفها وتدبيرها ولا لراحة واصلة إليه، ولا لثقل شيء منها عليه، لا يمله طول بقائها فيدعوه إلى نزعة إفنائها، لكنه سبحانه دبرها بلطفه، وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا استعانة بشيء منها عليها، ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استيناس، ولا من حال جهل وعمى إلى حال علم والتماس، ولا من فقر ولا حاجة إلى غنى وكثرة، ولا من ذل وضعة الى عزّ وقدرة.

ومن خطبة له (ع): [٢].

الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد[٣] ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم على أن لا شبه له، الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه، مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه،

واحد لا بعدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد، تتلقاه الأذهان لا بمشاعرة[٤] وتشهد له المرائي لا بمحاضرة[٥] لم تحط به الأوهام بل تجلّى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها[٦] ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً، بل كبر شأناً، وعظم سلطاناً.

ومنها في الاستدلال عليه تعالى بعجيب خلقه من أصناف الحيوان وغيرها:

ولو فكروا في عظيم القدرة، وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلة، والأبصار مدخولة، أفلا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه، وأتقن تركيبه، وفلق له السمع والبصر، وسوّى له العظم والبشر.

---

(١) لم يتكأده: لم يشق عليه. لم يؤوده: لم يثقله. الند: المثل المكاثرة لمغالبة بالكثرة. المساورة: المواثبة.

(٢) ج ٢ ص ١٣٧ من نهج البلاغة.

(٣) المراد بالشواهد: الحواس

(٤) أي: لا بطريق المشاعر والأحاسيس.

(٥) أي: المرئيات تشهد له بالوجود من غير أن يكون محسوساً معها.

(٦) أي: لم تحط به العقول بل بها تجلّى وظهر وثبت وجوده لها وبالنظر والتعقل علمنا أنه ممتنع من أن تدركه العقول وجعل العقول السقيمة المدعية بالاحاطة به تعالى خصمه، ثم حاكمها إلى العقول السليمة فحكمت عليها.

انظروا إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى حجرها، وتعدها في مستقرها، تجمع في حرها لبردها، وفي ورودها لصدورها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوفقها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان، ولو في الصفاء اليابس، والحجر الجامس، ولو فكرت في مجاري أكلها، وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأُذنها، لقضيتَ من خلقتها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، ولم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه على خلقها قادر، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلا على أنّ فاطر النملة هو فاطر النحلة لدقيق تفصيل كلّ شيء، وغامض اختلاف كلّ حي، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه الا سواء، كذلك السماء والهواء، والريح والماء:

فانظر إلى الشمس والقمر، والنبات والشجر، والماء والحجر، واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجر هذه البحار والأنهار، وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال، وتفرق هذه اللغات والألسن المختلفات.

فالويل لمن أنكر المقدر، أو جحد المدبر وزعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع، لم يلجؤوا إلى حجة فيما ادعوا، ولا تحقيق فيما أوعوا، وهل يكون بناء من غير بان، أو جناية من غير جان؟؟

وإن شئت قلت في الجرادة: إذ خلق لها عينين حمراوين، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونابين بهما تقرض ومنجلين بهما تقبض ترهبها الزراع في زرعهم، ولا يستطيعون ذبها ولو أجمعوا بجمعهم، حتى ترد الحرث من نزواتها، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون اصبعاً مستدقة.

فتبارك الله الذي يسجد له من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً، ويعفّر له خداً ووجهاً، ويلقي بالطاعة له سلماً وضعفاً، ويعطي له القيادة رهبة وخوفاً، والطّير مسخرة لأمره، أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرسى قوائمها على الندى واليبس قدر أقواتها وأحصى أجناسها، فهذا غراب، وهذا عقاب وهذا حمام، وهذا نعام، دعا كل طائر باسمه، وكفل برزقه، وأنشأ السّحاب الثقال فأهل ديمها، وعدد قسمها، فبلّ الأرض بعد جفوفها، وأخرج نبتها بعد جدوبها.

وروي أنه وفد وفد من بلاد الروم إلى المدينة على عهد أبي بكر وفيهم راهب من رهبان النصارى فأتى مسجد رسول الله (ص) ومعه بختي موقر ذهباً وفضة وكان أبو بكر حاضراً وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار.

فدخل عليهم وحياهم ورحب بهم وتصفح وجوههم، ثم قال:

أيكم خليفة رسول الله وأمين دينكم؟

فأومى إلى أبي بكر فأقبل إليه بوجهه ثم قال:

أيها الشيخ ما اسمك؟ قال: عتيق. قال ثم ماذا؟ قال: صديق. قال: ثم ماذا؟ قال: لا أعرف لنفسي اسماً غيره.

فقال: لست بصاحبي.

فقال له: وما حاجتك؟ قال: انا من بلاد الروم جئت منها ببختي موقر ذهباً وفضة، لأسأل أمين هذه الأُمة مسألة إن أجابني عنها أسلمت، وبما أمرني أطعت، وهذا المال بينكم فرقت وإن عجز عنها رجعت إلى الوراء بما معي ولم أُسلم.

فقال له أبو بكر: سل عما بدا لك.

فقال الراهب: والله لا أفتح الكلام ما لم تؤمني من سطوتك وسطوة أصحابك.

فقال أبو بكر: أنت آمن، وليس عليك بأس، قل ما شئت.

فقال الراهب: أخبرني عن شيء: ليس لله، ولا من عند الله، ولا يعلمه الله.

فارتعش أبو بكر ولم يحر جواباً، فلما كان بعد هنيئة قال ـ لبعض أصحابه ـ: ائتني بأبي حفص عمر. فجاء به فجلس عنده ثم قال:

أيها الراهب سله. فأقبل بوجهه إلى عمر وقال له مثل ما قال لأبي بكر فلم يحر جواباً.

ثم أُتي بعثمان، فجرى بين الراهب وعثمان مثل ما جرى بينه وبين أبي بكر وعمر فلم يحر جواباً.

فقال الراهب: أشياخ كرام، ذووا فجاج لاسلام. ثم نهض ليخرج.

فقال أبو بكر: يا عدو الله لولا العهد لخضبت الأرض بدمك.

فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه، وأتي علي بن أبي طالب (ع) وهو جالس في صحن داره مع الحسن والحسين (ع)، وقص عليه القصة.

فقام علي (ع) وخرج ومعه الحسن والحسين (ع) حتى أتى المسجد، فلما رأى القوم علياً (ع) كبروا الله، وحمدوا الله، وقاموا إليه أجمعهم، فدخل علي (ع) وجلس فقال أبو بكر: أيها الراهب سله فانه صاحبك وبغيتك.

فأقبل الراهب بوجهه إلى علي (ع) ثم قال: يا فتى ما اسمك؟
قال: اسمي عند اليهود «اليا» وعند النصارى «ايليا» وعند والدي «علي» وعند أُمي «حيدرة».

قال: ما محلك من نبيكم؟
قال: أخي وصهري وابن عمي لحاً.

قال الراهب: أنت صاحبي ورب عيسى، أخبرني عن شيء ليس لله، ولا من عند الله، ولا يعلمه الله.

قال (ع): على الخبير سقطت!

أما قولك «ما ليس لله»: فإنّ الله تعالى أحد ليس له صاحبة ولا ولد.

وأما قولك «ولا من عند الله»: فليس من عند الله ظلم لأحد.

وأما قولك «لا يعلمه الله»: فإنَّ الله لا يعلم له شريكاً في الملك.

فقام الراهب، وقطع زناره، وأخذ رأسه وقبل ما بين عينيه، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمّداً رسول الله، وأشهد أنك أنت الخليفة وأمين هذه الأُمة ومعدن الدين والحكمة، ومنبع عين الحجة، لقد قرأت اسمك في التوراة اليا، وفي الانجيل ايليا، وفي القرآن علياً، وفي الكتب السابقة حيدرة، ووجدتك بعد النبي وصياً، وللامارة ولياً، وأنت أحق بهذا المجلس من غيرك، فأخبرني ما شأنك وشأن القوم؟

فأجابه بشيء، فقام الراهب وسلّم المال إليه بأجمعه، فما برح علي (ع) مكانه حتى فرقه في مساكين أهل المدينة، ومحاويجهم، وانصرف الراهب إلى قومه مسلماً.

وروي أنه اتصل بأمير المؤمنين (ع) أنّ قوماً من أصحابه خاضوا في التعديل والتجريح فخرج حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيّها الناس إنَّ الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه، أراد أن يكونوا على آداب رفيعة، وأخلاق شريفة، فعلم أنهم لم يكونوا كذلك الا بأن يعرفهم ما لهم وما عليهم، والتعريف لا يكون إلا بالأمر والنهي، والأمر والنهي لا يجتمعان الا بالوعد والوعيد، والوعد لا يكون الا بالترغيب، والوعيد لا يكون الا بالترهيب والترغيب لا يكون الا بما تشتهيه أنفسهم، وتلذ أعينهم، والترهيب لا يكون الا بضد ذلك ثم خلقهم في داره وأراهم طرفاً من اللذات، ليستدلوا به على ما وراءهم من اللذات الخالصة التي لا يشوبها ألم، ألا وهي الجنة، وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلوا به على ما وراءهم من الآلام الخالصة التي لا يشوبها لذة، ألا وهي النار فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنها، وسرورها ممزوجاً بكدرها وهمومها.

قيل: فحدث الجاحظ[1] بهذا الحديث، فقال: هو جماع الكلام الذي دونه الناس في كتبهم، وتحاوره بينهم.

---

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب اللّيثي البصري اللغوي النحوي كان من غلمان النظام، وكان مائلاً إلى النصب والعثمانية، وله كتب منها: «العثمانية» التي نقض عليها أبو جعفر الاسكافي، والشيخ المفيد، والسيد أحمد بن طاووس، وطال عمره وأصابه الفالج في آخر عمره ومات في البصرة سنة ٢٥٥. الكنى والألقاب ج ٢ ص ١٢١.

قيل: ثم سمع أبو علي الجبائي[1] بذلك، فقال صدق الجاحظ هذا ما لا يحتمله الزيادة والنقصان.

وروي عن علي بن محمّد العسكري (ع) - في رسالته إلى أهل الأهواز في نفي الجبر والتفويض[2] - أنه قال:

روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه سأله رجل بعد انصرافه من الشام فقال:

يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام أبقضاءٍ وقدر؟

فقال له امير المؤمنين (ع): نعم يا شيخ ما علوتم تلعة[3] ولا هبطتم بطن واد الا بقضاء من عند الله وقدر.

فقال الرجل: عند الله أحتسب عنائي، والله ما أرا لي من الأجر شيئاً.

فقال علي (ع): بلى فقد عظّم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون وعلى منصرفكم وأنتم منقلبون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليه مضطرين.

فقال الرجل: وكيف لا نكون مضطرين والقضاء والقدر ساقانا، وعنهما كان مسيرنا؟!

فقال أمير المؤمنين (ع): لعلك أردت قضاءاً لازماً، وقدراً حتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من الله والنهي، وما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب، ولا محمدة لمحسن، ولا كان المحسن أولى بثواب الاحسان من المذنب، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرحمن، وشهداء الزور والبهتان، وأهل العمى والطغيان[4] هم قدرية هذه الأمة ومجوسها، إنَّ الله تعالى أمر تخييراً، وكلّف يسيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل هزلاً، ولم ينزل القرآن عبثاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظنّ الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

ثم تلى عليهم: **﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾**[5] قال: فنهض الرجل مسروراً وهو يقول:

---

(١) الجبائي: أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان «ويطلق» على ابنه أبي هاشم عبد السلام بن محمد ويقال لهما: الجبائيان وكلاهما من رؤساء المعتزلة، ولهما مقالات على مذهب الاعتزال، والكتب الكلامية مشحونة بمذاهبها واعتقادهما، توفي أبو علي الجبائي سنة ٣٠٣. الكنى والألقاب ج ٢ ص ١٢٦

(٢) تتلخص عقيدتنا نحن الشيعة الامامية الاثني عشرية في «القضاء والقدر» بما يلي: لما كان الله سبحانه وتعالى مفيض الوجود ومعطيه، فالافعال الصادرة منا تكون «داخلة تحت سلطانه، ومن جملة مقدوراته، ومن ناحية كونها صادرة منا ونحن اسبابها الطبيعية فهي داخلة تحت قدرتنا واختيارنا، وهو لم يجبرنا عليها، بل اعطانا القدرة والاختيار في افعالنا ولذا فهو حين يعاقبنا على المعاصي لا يكون ظالماً لنا. ولا فوض خلقها الينا حتى تخرج عن سلطانه وخلاصة الكلام اننا نقول بالطريق الوسط في القول بين القولين كما علمنا أئمتنا عليهم السلام وكما قال إمامنا الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين».

(٣) التلعة: ما علا من الأرض.

(٤) في بعض النسخ «أهل الغي والطغيان».

(٥) الإسراء - ٢٣.

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته — يوم النشور من الرّحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً — جزاك ربك عنا فيه إحسانا
وليس معذرة في فعل فاحشة — قد كنت راكبها فسقاً وعصيانا
كلا ولا قائلاً ناهيه أوقعه — فيه عبدت إذاً يا قوم شيطانا
ولا أحب ولا شاء الفسوق ولا — قتل الولي له ظلماً وعدوانا
أنّى يحب وقد صحت عزيمته — على الذي قال أعلن ذاك إعلانا

وروي أنّ رجلاً قال: فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا امير المؤمنين؟

قال: الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية، والمعونة على القربة إليه والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب كل ذلك قضاء الله في أفعالنا، وقدره لأعمالنا، وأما غير ذلك فلا تظنه فان الظّن له محبط للأعمال.

فقال الرجل: فرجت عني يا امير المؤمنين فرج الله عنك.

وروي أنه سئل عن القضاء والقدر فقال:

لا تقولوا: وكلهم الله على أنفسهم فتوهنوه، ولا تقولواأجبرهمعلى المعاصي فتظلموه، ولكن قولوا: الخير بتوفيق الله، والشر بخذلان الله، وكل سابق في علم الله.

وروى أهل السير : أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين (ع) فقال :

يا أمير المؤمنين خبرني عن الله أرأيته حين عبدته ؟

فقال له أمير المؤمنين (ع) : لم أك بالذي أعبد من لم أره .

فقال له : كيف رأيته يا أمير المؤمنين ؟

فقال له : يا ويلك لم تره العيون بمشاهدة العيان ، ولكن رأته العقول بحقايق الإيمان ، معروف بالدلالات ، منعوت بالعلامات ، لا يقاس بالناس ، ولا يدرك بالحواس .

فانصرف الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وروي أنّ بعض الأحبار جاء إلى أبي بكر فقال له : أنت خليفة نبي هذه الأمة ؟ فقال : نعم .

قال : فإنا نجد في التوراة أنّ خلفاء الأنبياء أعلم أممهم ، فخبرني عن الله أين هو أفي السماء أم في الأرض ؟

فقال له أبو بكر : في السماء على العرش .

قال اليهودي : فأرى الأرض خالية منه ، وأراه ـ على هذا القول ـ في مكان دون مكان .

فقال أبو بكر : هذا كلام الزنادقة اعزب عني[1] والا قتلتك .

فولّى الرجل متعجباً يستهزىء بالإسلام ، فاستقبله أمير المؤمنين (ع) فقال له : يا يهودي قد عرفت ما سألت عنه ، وما أجبت به ، وإنا نقول :

إنَّ الله عزّ وجل أيّن الأين فلا أين له ، وجل عن أن يحويه مكان ، وهو في كلِّ مكان ، بغير مماسة

(١) عزب: غاب وخفي فهو «عازب».

ولا مجاورة ، يحيط علماً بها ،[١] ولا يخلق شيء من تدبيره تعالى ، وإنّي مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم يصدق ما ذكرته لك فان عرفته أتؤمن به ؟ قال اليهودي : نعم . قال :

ألستم تجدون في بعض كتبكم: أنَّ موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق، فقال له: من أين جئت؟ قال: من عند الله وجاءه ملك آخر من المغرب فقال له: من أين جئت؟ فقال: من عند الله. ثم جاءه ملك فقال: من أين جئت؟ فقال: قد جئتكم من السماء السابعة من عند الله عز وجل وجاء ملك آخر قال: قد جئتك من الأرض السابعة السفلى من عند الله عز وجل.

فقال موسى (ع) : سبحان من لا يخلو منه مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان.

فقال اليهودي: أشهد أنّ هذا هو الحق المبين، وأنك أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه.

وروى الشعبي: أنه سمع أمير المؤمنين (ع) رجلاً يقول: «والذي احتجب بسبع طباق» فعلاه بالدرة ثم قال له:

يا ويلك! إنَّ الله أجل من أن يحتجب عن شيء، أو يحتجب عنه شيء، سبحان الذي لا يحويه مكان، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء!

فقال الرجل: فأكفّر عن يميني يا امير المؤمنين؟

قال: لم تحلف بالله فيلزمك كفارة، فانما حلفت بغيره.

وعن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: جاء حبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: يا أمير المؤمنين متى كان ربك؟

فقال له: ثكلتك اُمك ومتى لم يكن حتى يقال: متى كان؟!! كان ربي قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، ولا غاية ولا منتهى لغايته، انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كل غاية.

فقال: يا امير المؤمنين أفنبيّ أنت؟

فقال: ويلك إنما أنا عبد من عبيد محمّد.

* * *

احتجاجه (ع) على اليهود من أحبارهم ممن قرأ الصحف والكتب في معجزات النبي (ص) وكثير من فضائله.

روي عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه (ع) عن الحسين بن علي (ع) قال: إنَّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم كان قد قرأ التوراة والانجيل والزبور وصحف الأنبياء (ع) وعرف دلائلهم، جاء إلى مجلس فيه أصحاب رسول الله (ص) وفيهم علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وأبو سعيد الجهني.

(١) وفي بعض النسخ: «بما فيها».

فقال: يا أُمة محمّد ما تركتم لنبي درجة، ولا لمرسل فضيلة، الا أنحلتموها نبيكم، فهل تجيبوني عما أسألكم عنه؟ فكاع القوم عنه[١].

فقال علي بن أبي طالب (ع): نعم ما أعطى الله نبياً درجة، ولا مرسلاً فضيلة، إلا وقد جمعها لمحمد (ص) وزاد محمّداً على الأنبياء أضعافاً مضاعفة.

فقال له اليهودي: فهل أنت مجيبي؟

قال له: نعم، سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله (ص) ما يقر الله به عين المؤمنين، ويكون فيه إزالة لشك الشاكين في فضائله (ص) إنّه كان اذا ذكر لنفسه فضيلة قال: «ولا فخر»[٤] وأنا أذكر لك فضائله غير مزر بالأنبياء، ولا منتقص لهم، ولكن شكراً لله على ما أعطى محمّداً (ص) مثل ما أعطاهم، وما زاده الله وما فضله عليهم.

قال له اليهودي: إنّي أسألك فأعد له جواباً.

قال له علي (ع): هات!

قال اليهودي: هذا آدم (ع) أسجد الله له ملائكته، فهل فعل لمحمد شيئاً من هذا؟

فقال له علي (ع): لقد كان كذلك، أسجد الله لآدم ملائكته فان سجودهم له لم يكن سجود طاعة، وإنهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل، ولكن اعترافاً بالفضيلة، ورحمة من الله له، ومحمّد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا، إنّ الله عزّ وجل صلّى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبد المؤمنين بالصلاة عليه فهذه زيادة يا يهودي.

قال له اليهودي: فان آدم (ع) تاب الله عليه بعد خطيئته؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد نزل فيه ما هو أكبر من هذا من غير ذنب أتى، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾[٢] إنّ محمّداً غير موافٍ يوم القيامة بوزر، ولا مطلوب فيها بذنب.

قال اليهودي: فإنّ هذا إدريس رفعه الله عزّ وجلّ مكاناً علياً، وأطعمه من تحف الجنة بعد وفاته؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا إنّ الله جل ثناؤه قال فيه: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾[٣] فكفى بهذا من الله رفعة، ولئن أطعم إدريس من تحف الجنة بعد وفاته، فإنّ محمّداً أُطعم في الدنيا في حياته: بينما يتضور جوعاً فأتاه جبرئيل (ع) بجام من الجنة فيه تحفة، فهلّل الجام وهلّلت التحفة في يده، وسبّحا، وكبّرا، وحمدا، فناولها أهل بيته، ففعلت الجام مثل ذلك، فهمّ أن يناولها بعض أصحابه فتناولها جبرئيل (ع) وقال له: كلها فانها تحفة من الجنة أتحفك الله بها، وإنها

(١) كاع القوم عنه: هابوه وجنبوا.
(٢) الفتح - ٢.
(٣) الشرح - ٤.

لا تصلح الا لنبي أو وصي نبي، فأكل منها (ص) وأكلنا معه، وإنّي لأجد حلاوتها ساعتي هذه.

قال اليهودي: فهذا نوح (ع) صبر في ذات الله تعالى، وأعذر قومه إذ كذِّب؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) صبر في ذات الله عز وجل فأعذر قومه إذ كذِّب، وشرد، وحصب بالحصا، وعلاه أبو لهب بسلا ناقة وشاة، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جابيل ملك الجبال: أن شق الجبال وانته إلى أمر محمّد! فأتاه فقال: إنّي أُمرت لك بالطاعة فان أمرت أن اطبق عليهم الجبال فأهلكتهم بها،قال (ص): «إنما بعثت رحمة، رب اهد أُمتي فانهم لا يعلمون» ويحك يا يهودي إنّ نوحاً لما شاهد غرق قومه رق عليهم رقة القربة، وأظهر عليهم شفقة فقال: ﴿**رب إن ابني من أهلي**[1]﴾ فقال الله تعالى: ﴿**إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح**[2]﴾ أراد جل ذكره أن يسليه بذلك، ومحمّد (ص) لما غلبت عليه من قومه المعاندة شهر عليهم سيف النقمة، ولم تدركه فيهم رقة القرابة، ولم ينظر إليهم بعين رحمة.

فقال اليهودي: فان نوحاً دعا ربه، فهطلت السماء بماء منهمر؟

قال له (ع): لقد كان كذلك، وكانت دعوته دعوة غضب، ومحمّد (ص) هطلت له السماء بماء منهمر رحمة، وذلك أنه (ص) لما هاجر إلى المدينة أتاه أهلها في يوم جمعة فقالوا له: يا رسول الله (ص) احتبس القطر، واصفر العود، وتهافت الورق، فرفع يده المباركة حتى رئي بياض إبطه، وما ترى في السماء سحابة، فما برح حتى سقاهم الله حتى أنّ الشاب المعجب بشبابه لهمّته نفسه في الرجوع إلى منزله فما يقدر على ذلك من شدة السيل، فدام اسبوعاً، فأتوه في الجمعة الثانية فقالوا: يا رسول الله تهدمت الجدر، واحتبس الركب والسفر، فضحك (ص) وقال: هذه سرعة ملالة ابن آدم، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم في اصول الشيح ومراتع البقع»[3] فرئي حوالي المدينة المطر يقطر قطراً، وما يقع بالمدينة قطرة لكرامته (ص) على الله عز وجل.

قال له اليهودي: فإنّ هذا هود قد انتصر الله له من أعدائه بالريح، فهل فعل لمحمد (ص) شيئاً من هذا؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) اعطي ما هو أفضل من هذا إنّ الله عز وجل قد انتصر له من أعدائه بالريح يوم الخندق، إذ أرسل عليهم ريحاً تذرو الحصى، وجنوداً لم يروها، فزاد الله تعالى محمّداً (ص) بثمانية ألف ملك، وفضله على هود: بأن ريح عاد ريح سخط، وريح محمّد ريح رحمة، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الّذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً**

---

(١) هود - ٤٥.

(٢) هود - ٤٦.

(٣) الشيح نبات أنواعه كثيرة، كل طيب الرائحة. والمراتع جمع مرتع وهو موضع الرتع أي: الخصب. والبقع جمع بقعة: القطعة من الأرض.

وجنوداً لم تروها[1]﴾.

قال له اليهودي: فهذا صالح أخرج الله له ناقة جعلها لقومه عبرة؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) أُعطي ما هو أفضل من ذلك، إنّ ناقة صالح لم تكلّم صالحاً، ولم تناطقه، ولم تشهد له بالنبوة، ومحمّد (ص) بينما نحن معه في بعض غزواته إذ هو ببعير قد دنا، ثم رغا فأنطقه الله عز وجل فقال: «يا رسول الله فلان استعملني حتى كبرت، ويريد نحري، فأنا أستعيذ بك منه» فأرسل رسول الله (ص) إلى صاحبه فاستوهبه منه، فوهبه له وخلاه، ولقد كنا معه فاذا نحن بأعرابي معه ناقة له يسوقها، وقد استسلم للقطع لما زور عليه من الشهود فنطقت الناقة فقالت: «يا رسول الله إنّ فلاناً مني بريء، وإنّ الشهود يشهدون عليه بالزور، وإنّ سارقي فلان اليهودي».

قال له اليهودي: فان هذا إبراهيم قد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله تعالى وأحاطت دلالته بعلم الإيمان؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، وأُعطي محمّد أفضل منه، وتيقظ إبراهيم وهو ابن خمسة عشر سنة ومحمّد ابن سبع سنين، قدم تجار من النصارى فنزلوا بتجارتهم بين الصفا والمروة، فنظر إليه بعضهم فعرفه بصفته ورفعته، وخبر مبعثه وآياته، فقالوا:

يا غلام ما اسمك؟ قال: محمّد. قالوا: ما اسم أبيك؟ قال: عبد الله.

قالوا: ما اسم هذه؟ - وأشاروا بأيديهم إلى الأرض - قال: الأرض. قالوا: وما اسم هذه؟ - وأشاروا بأيديهم إلى السماء - قال: السماء. قالوا: فمن ربهما؟ قال: الله. ثم انتهرهم وقال: أتشككوني في الله عز وجل؟!

ويحك يا يهودي لقد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله عز وجل مع كفر قومه إذ هو بينهم: يستقسمون بالأزلام، ويعبدون الأوثان، وهو يقول: لا إله إلا الله.

قال له اليهودي: فان إبراهيم (ع) حجب عن نمرود بحجب ثلاث؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) حجب عمن أراد قتله بحجب خمس، فثلاثة بثلاثة واثنان فضل، قال الله عز وجل - وهو يصف أمر محمّد (ص) -: ﴿**وجعلنا من بين أيديهم سدا**﴾ فهذا الحجاب الأول ﴿**ومن خلفهم سداً**﴾ فهذا الحجاب الثاني ﴿**فأغشيناهم فهم لا يبصرون**[2]﴾ فهذا الحجاب الثالث ثم قال: ﴿**إذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً**﴾[3] فهذا الحجاب الرابع ثم قال: ﴿**فهي إلى الأذقان فهم مقمحون**﴾ فهذه حجب خمس.

قال له اليهودي: فان هذا إبراهيم قد بهت الذي كفر ببرهان نبوته؟

---

(١) التوبة - ٢٦.
(٢) يس - ٩.
(٣) الإسراء - ٤٥.

قال علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) أتاه مكذب بالبعث بعد الموت وهو : أبيّ بن خلف الجمحي معه عظم نخر ففركه ثم قال: يا محمّد ﴿**من يحيى العظام وهي رميم**[١]﴾؟ فأنطق محمّداً بمحكم آياته، وبهته ببرهان نبوته، فقال: ﴿**يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكلّ خلق عليم**[٢]﴾ فانصرف مبهوتاً.

قال له اليهودي: فهذا إبراهيم جذّ أصنام[٣] قومه غضباً لله عزّ وجل؟

قال علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) قد نكس عن الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً، ونفاها عن جزيرة العرب، وأذل من عبدها بالسيف.

قال له اليهودي: فان إبراهيم قد أضجع ولده وتلّه للجبين[٤]؟

فقال علي (ع) : لقد كان كذلك، ولقد أُعطي إبراهيم بعد الاضطجاع الفداء، ومحمّد أُصيب بأفجع منه فجيعة إنّه وقف على عمه حمزة أسد الله، وأسد رسوله وناصر دينه، وقد فرق بين روحه وجسده، فلم يبن عليه حرقة، ولم يفض عليه عبرة، ولم ينظر إلى موضعه من قلبه وقلوب أهل بيته ليرضي الله عز وجل بصبره ويستسلم لأمره في جميع الفعال، وقال (ص) : لولا أن تحزن صفية لتركته حتى يحشر من بطون السباع، وحواصل الطّير، ولولا أن يكون سنة بعدي لفعلت ذلك.

قال له اليهودي : فإن إبراهيم (ع) قد أسلمه قومه إلى الحريق فصبر فجعل الله عز وجل عليه برداً وسلاماً[٥] فهل فعل بمحمد شيئاً من ذلك؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) لما نزل بخيبر سمته الخيبرية فصير الله السم في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله، فالسم يحرق إذا استقر في الجوف كما أنَّ النار تحرق، فهذا من قدرته لا تنكره.

قال له اليهودي: فان هذا يعقوب (ع) أعظم في الخير نصيباً إذ جعل الأسباط من سلالة صلبه، ومريم بنت عمران من بناته؟

قال علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) أعظم في الخير نصيباً إذ جعل فاطمة سيدة نساء العالمين من بناته، والحسن والحسين من حفدته.

قال له اليهودي: فإن يعقوب (ع) قد صبر على فراق ولده حتى كاد يحرض[٦] من الحزن.

---

(١) يس - ٧٨.

(٢) يس - ٧٩.

(٣) جذ أصنامهم استأصلها إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**فجعلهم جذاذاً**﴾ أي فتاتاً مستأصلين.

(٤) تلّه: قال تعالى: ﴿**وتلّه للجبين**﴾ أي صرعه، وهو كقولهم كبه لوجهه.

(٥) قال تعالى: ﴿**وقلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وآل إبراهيم**﴾

(٦) يحرض: يهلك.

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك، حزن يعقوب حزناً بعده تلاق، ومحمّد (ص) قبض ولده إبراهيم (ع) قرة عينه في حياته منه، فخصه بالإختيار، ليعلم له الإدخار فقال (ص) : يحزن النفس، ويجزع القلب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون، ولا نقول ما يسخط الرَّب، في كلّ ذلك يؤثر الرضا عن الله عز وجل والاستسلام له في جميع الفعال.

قال له اليهودي : فان هذا يوسف قاسى مرارة الفرقة، وحبس في السجن توقياً للمعصية، وأُلقي في الجب وحيداً؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) قاسى مرارة الغربة، وفراق الأهل والأولاد والمال، مهاجراً من حرم الله تعالى وأمنه، فلما رأى الله عز وجل كآبته واستشعاره والحزن، أراه تبارك اسمه رؤياً توازي رؤيا يوسف في تأويلها وأبان للعالمين صدق تحقيقها، فقال ﴿**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام إنشاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون**[1]﴾ ولئن كان يوسف (ع) حبس في السجن، فلقد حبس رسول الله نفسه في الشعب ثلاث سنين، وقطع منه أقاربه وذوو الرَّحم وألجأوه إلى أضيق المضيق، ولقد كادهم الله عز ذكره له كيداً مستبيناً إذ بعث أضعف خلقه فأكل عهدهم الذي كتبوه بينهم في قطيعة رحمه، ولئن كان يوسف أُلقي في الجب، فلقد حبس محمّد نفسه مخافة عدوه في الغار حتى قال لصاحبه: لا تحزن إنَّ الله معنا، ومدحه إليه بذلك في كتابه.

فقال له اليهودي : فهذا موسى بن عمران آتاه الله عز وجل التوراة التي فيها حكمه؟

قال له علي (ع) : فلقد كان كذلك، ومحمد (ص) أُعطي ما هو أفضل منه أُعطي محمّد البقرة وسورة المائدة، بالانجيل، وطواسين وطه ونصف المفصل والحواميم بالتوراة، وأُعطي نصف المفصل والتسابيح، بالزبور، وأُعطي سورة بني إسرائيل وبراءة، بصحف إبراهيم وموسى (ع)، وزاد الله عز وجل محمّداً السبع الطوال[2] وفاتحة الكتاب[3] وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وأُعطي الكتاب والحكمة.

قال له اليهودي : فان موسى ناجاه الله على طور سيناء؟

فقال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ولقد أوحى الله إلى محمّد (ص) عند سدرة المنتهى، فمقامه في السماء محمود، وعند منتهى العرش مذكور.

قال اليهودي : فلقد ألقى الله على موسى بن عمران محبة منه؟

قال علي (ع) : لقد كان كذلك، وقد أُعطي محمّد (ص) ما هو أفضل من هذا، لقد ألقى الله محبة

---

(١) الفتح - ٢٧.

(٢) السبع الطوار من البقرة إلى الأعراف، والسابعة سورة يونس، أو «الأنفال وبراءة» لأنها سورة واحدة عند بعض.

(٣) هي سورة الحمد.

منه فمن هذا الذي يشركه في هذا الاسم إذ تم من الله به الشهادة فلا تتم الشهادة الا أن يقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله» ينادى به على المنابر فلا يرفع صوت بذكر الله الا رفع بذكر محمّد (ص) معه.

قال له اليهودي: فلقد أوحى الله إلى أُم موسى لفضل منزلة موسى (ع) عند الله.

قال له علي: (ع) لقد كان كذلك، ولقد لطف الله جل ثناؤه لأم محمّد (ص) بأن أوصل إليها اسمه، حتى قالت: أشهد والعالمون أنَّ محمّداً رسول الله منتظر، وشهد الملائكة على الأنبياء أنهم أثبتوه في الأسفار، وبلطف من الله ساقه إليها، وأوصل إليها اسمه لفضل منزلته عنده، حتى رأت في المنام أنه قيل لها: إنَّ ما في بطنك سيد فاذا ولدته فسميه محمّداً، فاشتق الله له اسماً من أسمائه، فالله المحمود وهذا محمّد.

قال له اليهودي: فإنّ هذا موسى بن عمران قد أرسله الله إلى فرعون وأراه الآية الكبرى؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد أُرسل إلى فراعنة شتى، مثل أبي جهل بن هشام، وعتبة ابن ربيعة، وشيبة، وأبي البختري، والنضر بن الحرث، وأُبيّ بن خلف، ومنبه ونبيه ابني الحجاج، وإلى الخمسة المستهزئين: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب، والحرث بن أبي الطلالة، فأراهم الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق.

قال له اليهودي: لقد انتقم الله عز وجل لموسى من فرعون؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ولقد انتقم الله جل اسمه لمحمد (ص) من الفراعنة، فأما المستهزئون فقال الله: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾[١] فقتل الله خمستهم كلّ واحد منهم بغير قتلة صاحبه في يوم واحد.

فأما الوليد بن المغيرة: فمر بنبل لرجل من خزاعة قد راشه[٢] ووضعه في الطريق فأصابه شظية[٣] منه فانقطع أكحله[٤] حتى أدماه، فمات وهو يقول: «قتلني رب محمّد».

وأما العاص ابن وائل السهمي: فانه خرج في حاجة له إلى موضع فتدهده[٥] تحته حجر، فسقط فتقطع قطعة قطعة، فمات وهو يقول: «قتلني رب محمّد».

وأما الأسود بن عبد يغوث: فانه خرج يستقبل ابنه زمعة، فاستظل بشجرة، فأتاه جبرئيل فأخذ رأسه فنطح به الشجرة، فقال لغلامه: امنع هذا عني! فقال: ما أرى أحداً يصنع شيئاً الا نفسك، فقتله وهو يقول: «قتلني رب محمّد».

---

(١) الحجر - ٩٥.

(٢) راش السهم: الزق عليه الريش.

(٣) الشظية: الفلقة من العصا ونحوها.

(٤) الأكحل: عرق في اليد يفصد.

(٥) تدهده: تدحرج.

وأما الأسود بن الحرث: فانَّ النبي (ص) دعاعليه أن يعمي الله بصره، وأن يثكله ولده، فلما كان في ذلك اليوم خرج حتى صار إلى موضع أتاه جبرئيل بورقة خضراء فضرب بها وجهه فعمي فبقي حتى أثكله الله ولده.

وأما الحرث بن أبي الطلالة: فانه خرج من بيته في السموم فتحول حبشياً، فرجع إلى أهله فقال: أنا الحرث، فغضبوا عليه فقتلوه وهو يقول: «قتلني رب محمّد».

وروي أنَّ الأسود بن الحرث أكل حوتاً مالحاً فأصابه غلبة العطش، فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه، فمات وهو يقول: «قتلني رب محمّد»[١].

كل ذلك في ساعة واحدة، وذلك أنهم كانوا بين يدي رسول الله (ص) فقالوا له: يا محمّد ننتظر بك إلى الظهر فان رجعت عن قولك والا قتلناك، فدخل النبي (ص) منزله فأغلق عليه بابه مغتمّاً لقولهم، فأتاه جبرئيل عن الله من ساعته فقال:

يا محمّد السلام يقرأ عليك السلام وهو يقول لك: ﴿**إصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾[٢] يعني أظهر أمرك لأهل مكة، وادعهم إلى الإيمان، قال: يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدوني؟ قال له: ﴿**إنا كفيناك المستهزئين**﴾ قال: يا جبرئيل كانوا الساعة بين يدي قال: كفيتهم، وأظهر أمره عند ذلك.

وأما بقية الفراعنة: قتلوا يوم بدر بالسيف،[٣] فهزم الله الجميع وولوا الدبر.

قال له اليهودي: فإنّ هذا موسى بن عمران قد أُعطي العصا فكان تحوّل ثعبانا؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا، إنَّ رجلاً كان يطالب أبا جهل بدَين ثمن جزور قد اشتراه، فاشتغل عنه وجلس يشرب، فطلبه الرجل فلم يقدر عليه، فقال له بعض المستهزئين: من تطلب؟ فقال: عمرو بن هشام - يعني أبا جهل - لي عليه دَين، قال: فأدلك على من يستخرج منه الحقوق؟ قال: نعم.

فدله على النبي (ص) وكان أبو جهل يقول: ليت لمحمد إليّ حاجة فأسخر به وأرده، فأتى الرجل النبي (ص) فقال: يا محمّد بلغني أنَّ بينك وبين عمرو بن هشام حسن صداقة، وأنا استشفع بك إليه، فقام معه رسول الله (ص) فأتى بابه، فقال له: قم يا أبا جهل فأدّ إلى الرجل حقه، وإنما كناه بأبي جهل ذلك اليوم، فقام مسرعاً حتى أدى إليه حقه، فلما رجع إلى مجلسه قال له بعض أصحابه: فعلت ذلك فرقاً

---

(١) الظاهر ان هذا الكلام للمؤلف رحمه الله ادخله في الخبر.

(٢) الحجر - ٩٤.

(٣) روي عن ابن مسعود قال: كنا مع النبي (ص) فصلى في ظل الكعبة، وناس من قريش وأبو جهل نحروا جزوراً في ناحية مكة، فبعثوا وجاءوا بسلاء فطرحوه بين كتفيه، فجاءت فاطمة (ع) فطرحته عنه، فلما انصرف قال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بأبي جهل، وبعتبة، وشيبة، ووليد بن عتبة، وامية بن خلف، وبعقبة بن أبي معيط» قال عبد الله ولقد رأيتهم قتلى في قليب بدر.

من محمّد[١] قال: ويحكم اعذروني، إنه لما أقبل رأيت عن يمينه رجالاً معهم[٢] حراب تتلألأ، وعن يساره ثعابين تصطك أسنانها، وتلمع النيران من أبصارها، لو امتنعت لم آمن أن يبعجوا بالحراب بطني[٣] وتقضمني الثعبانان.

هذا أكبر مما أُعطي موسى، وزاد الله محمداً ثعباناً وثمانية املاك معهم الحراب، ولقد كان النبي (ص) يؤذي قريشاً بالدعاء، فقام يوماً فسفه أحلامهم، وعاب دينهم، وشتم أصنامهم، وضلّل آباءهم فاغتنموا من ذلك غماً شديداً، فقال أبو جهل: والله للموت خير لنا من الحياة، فليس فيكم معاشر قريش أحد يقتل محمّداً فيقتل به، قالوا: لا. قال: فأنا أقتله فان شاءت بنو عبد المطلب قتلوني به، والا تركوني، قال: إنك إن فعلت ذلك اصطنعت إلى أهل الوادي معروفاً لا تزال تذكر به، قال: إنه كثير السجود حول الكعبة، فاذا جاء وسجد أخذت حجراً فشدخته[٤] به.

فجاء رسول الله (ص) فطاف بالبيت أُسبوعاً، ثم صلّى وأطال السجود، فأخذ أبو جهل حجراً فأتاه من قبل رأسه، فلما أن قرب منه أقبل فحل من قبل رسول الله (ص) فاغراً فان نحوه، فلما أن رآه أبو جهل فزع منه وارتعدت يده، وطرح الحجر فشدخ رجله، فرجع مدمى، متغير اللّون، يفيض عرقاً.

فقال له أصحابه: ما رأيناك كاليوم؟! قال: ويحكم اعذروني! فانه أقبل من عنده فحل فاغراً فاه فكاد يبتلعني، فرميت بالحجر فشدخت رجلي.

قال اليهودي: فإنّ موسى قد أُعطي اليد البيضاء، فهل فعل بمحمد شيئاً من ذلك؟

قال له عليّ (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا، إنَّ نوراً كان يضيء عن يمينه حيثما جلس، وعن يساره حيثما جلس، وكان يراه الناس كلهم.

قال له اليهودي: فإنّ موسى (ع) قد ضرب له طريق في البحر، فهل فعل بمحمد شيء من هذا؟

فقال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد أُعطي ما هو أفضل من هذا، خرجنا معه إلى حنين فاذا نحن بواد يشخب، فقدرناه فاذا هو أربعة عشر قامة، فقالوا: يا رسول الله العدو وراءنا والوادي أمامنا، كما قال أصحاب موسى، ﴿انا لمدركون﴾ فنزل رسول الله ثم قال: «اللهم إنّك جعلت لكلّ مرسل دلالة، فأرني قدرتك» وركب صلوات الله عليه فعبرت الخيل لا تندى حوافرها، والابل لا تندى أخفافها، فرجعنا فكان فتحنا.

قال له اليهودي: فإنّ موسى (ع) قد أُعطي الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً.

قال علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) لما نزل الحديبية وحاصره أهل مكة، قد أعطي ما هو أفضل من ذلك، وذلك: أنّ أصحابه شكوا إليه الظمأ وأصابهم ذلك حتى التقت خواصر الخيل،

---

(١) فرقا: فزعا.

(٢) يبعجوا - بفتح العين - يشقوا.

(٣) في بعض النسخ: «بأيديهم».

(٤) الشدخ: كسر الشيء الأجوف.

فذكروا له (ص)، فدعا بركوة يمانية ثم نصب يده المباركة فيها، فتفجرت من بين أصابعه عيون الماء، فصدرنا وصدرت الخيل رواء، وملأنا كل مزادة وسقاء.

ولقد كنا معه بالحديبية فاذا ثم قليب جافة، فأخرج (ع) سهماً من كنانته، فناوله البراء بن عازب وقال له: اذهب بهذا السهم إلى تلك القليب الجافة فاغرسه فيها، ففعل ذلك فتفجرت اثنتا عشرة عيناً من تحت السهم.

ولقد كان يوم الميضاة عبرة وعلامة للمنكرين لنبوته، كحجر موسى حيث دعا بالميضاة فنصب يده فيها فغاضت الماء وارتفع، حتى توضأ منه ثمانية آلاف رجل فشربوا حاجتهم، وسقوا دوابهم، وحملوا ما أرادوا.

قال اليهودي: فإنّ موسى (ع) أُعطي المنَّ والسلوى فهل أُعطي لمحمّد نظير هذا.

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا، إنَّ الله عز وجل أحل له الغنائم ولأُمته، ولم تحل الغنائم لأحد غيره قبله، فهذا أفضل من المن والسلوى، ثم زاده أن جعل النية له ولأُمته بلا عمل عملاً صالحاً ولم يجعل لأحد من الأُمم ذلك قبله، فاذا همَّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فان عملها كتبت له عشرة.

قال له اليهودي: إنَّ موسى (ع)قد ظلل عليه الغمام؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، وقد فعل ذلك بموسى في التيه، وأُعطي محمّد (ص) أفضل من هذا، إنَّ الغمامة كانت تظله من يوم ولد إلى يوم قبض في حضره وأسفاره. فهذا أفضل مما أُعطي موسى.

قال له اليهودي: فهذا داوود (ع) قد ليّن الله له الحديد، فعمل منه الدروع؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) قد أُعطي ما هو أفضل من هذا، إنّه ليَّن الله له الصمَّ الصخور الصلاب وجعلها غاراً،[1] ولقد غارت الصخرة تحت يده ببيت المقدس لينة حتى صارت كهيئة العجين،[2] وقد رأينا ذلك والتمسناه تحت رايته.

قال له اليهودي: هذا داوود بكى على خطيئته حتى سارت الجبل معه لخوفه.

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) أُعطي ما أفضل من هذا إنه كان إذا قام إلى الصلاة سمع لصدره وجوفه أريز كأريز المرجل على الأثافي من شدة البكاء،[3] وقد آمنه الله عز وجل من عقابه، فأراد أن يتخشع لربه ببكائه فيكون إماماً لمن اقتدى به، ولقد قام (ص) عشر سنين على أطراف

---

(١) يظهر من هذا الكلام أنّ الغار أحدث لرسول الله (ص) ولم يكن من قبل.

(٢) وذلك ليلة المعراج.

(٣) الأريز: وهو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء. والمرجل ـ كمنبر ـ : القدر والأثافي: الأحجار التي يوضع عليها القدر.

أصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه، يقوم الليل أجمع، حتى عوتب في ذلك فقال الله عز وجل: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾(١) بل لتسعد به، ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه، فقيل له: يا رسول الله أليس الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: بلى، أفلا أكون عبداً شكوراً.

ولئن سارت الجبال وسبحت معه لقد عمل بمحمّد (ص) ما هو أفضل من هذا: إذ كنا معه على جبل حراء إذ تحرك الجبل فقال له: ﴿قر فانه ليس عليك الا نبي أو صديق شهيد﴾ فقر الجبل مطيعاً لأمره ومنتهياً إلى طاعته، ولقد مررنا معه بجبل وإذ الدموع تخرج من بعضه، فقال له النبي (ص): «ما يبكيك يا جبل؟» فقال: يا رسول الله كان المسيح مر بي وهو يخوف الناس من نار وقودها الناس والحجارة، وأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة، قال له: «لا تخف تلك الحجارة الكبريت» فقر الجبل وسكن وهدأ وأجاب لقوله (ص).

قال له اليهودي: فان هذا سليمان أُعطي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده؟

فقال علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا إنه هبط إليه ملك لم يهبط إلى الأرض قبله، وهو: ميكائيل فقال له: يا محمّد عش ملكاً منعماً وهذه مفاتيح خزائن الأرض معك، ويسير معك جبالها ذهباً وفضة، ولا ينقص لك مما ادخر لك في الآخرة شيء، فأومى إلى جبرئيل - وكان خليله من الملائكة - فأشار عليه: أن تواضع فقال له: بل أعيش نبياً عبداً آكل يوماً ولا آكل يومين، وألحق باخواني من الأنبياء، فزاده الله تبارك وتعالى الكوثر وأعطاه الشفاعة، وذلك أعظم من ملك الدنيا من أولها إلى آخرها سبعين مرة، ووعده المقام المحمود، فاذا كان يوم القيامة أقعده الله عز وجل على العرش، فهذا أفضل مما أُعطي سليمان.

قال له اليهودي: فإنّ هذا سليمان قد سخرت له الرياح، فسارت به في بلاده غدوها شهر ورواحها شهر؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا: إنه سري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام، في أقل من ثلث ليلة، حتى انتهى إلى ساق العرش، فدنى بالعلم فتدلّى من الجنة رفرف أخضر، وغشى النور بصره فرأى عظمة ربه عز وجل بفؤاده، ولم يرها بعينه، فكان كقاب قوسين بينه وبينها أو أدنى، فأوحى الله إلى عبده ما أوحى، وكان فيما أوحى إليه: الآية التي في سورة البقرة قوله: ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كلّ شيء قدير﴾(٢).

وكانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم (ع) الى أن بعث الله تبارك وتعالى محمّداً، وعرضت على الأُمم فأبوا أن يقبلوها من ثقلها، وقبلها رسول الله وعرضها على أُمته فقبلوها، فلما رأى

---

(١) طه - ١.

(٢) البقرة - ٢٨٤.

الله تبارك وتعالى منهم القبول علم أنهم لا يطيقونها فلما أن سار إلى ساق العرش كرّر عليه الكلام ليفهمه، فقال: ﴿**آمن الرّسول بما أُنزل إليه من ربه - فأجاب (ص) مجيباً عنه وعن أمته - والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحدٍ من رسله**﴾[1] فقال جلّ ذكره: لهم الجنة والمغفرة على أن فعلوا ذلك، فقال النبي (ص): أما اذا فعلت ذلك بنا، فغفرانك ربنا واليك المصير، يعني المرجع في الآخرة.

قال: فأجابه الله عز وجل قد فعلت ذلك بك وبأُمتك، ثم قال عز وجل: أما إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الأمم فأبوا أن يقبلوها وقبلتها أُمتك حق عليّ أن أرفعها عن أُمتك وقال: ﴿**لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت - من خير - وعليها ما اكتسبت**﴾[2] من شر فقال النبي (ص) - لما سمع - ذلك: أما إذا فعلت ذلك بي وبأُمتي فزدني قال: سل، قال: ﴿**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**﴾[3] قال الله عز وجل: لست اؤ اخذ أُمتك بالنسيان والخطأ لكرامتك عليّ، وكانت الأُمم السالفة اذا نسوا ما ذكروا به فتحت عليهم أبواب العذاب، وقد دفعت ذلك عن أُمتك وكانت الأُمم السالفة إذا أخطأوا أُخذوا بالخطأ وعوقبوا عليه. وقد رفعت ذلك عن أُمتك لكرامتك عليّ.

فقال (ص): «اللهم إذا أعطيتني ذلك فزدني» قال الله تبارك وتعالى له: سل، قال: ﴿**ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا**﴾[4] يعني بالإصر: الشدائد التي كانت على من كان من قبلنا، فأجابه الله عز وجل إلى ذلك، وقال تبارك اسمه: قد رفعت عن أُمتك الآصار التي كانت على الأُمم السالفة كنت لا أقبل صلاتهم إلا في بقاع معلومة من الأرض اخترتها لهم وإن بعدت، وقد جعلت الأرض كلها لأُمتك مسجداً وطهوراً، فهذه من الآصار التي كانت على الأُمم قبلك فرفعتها عن أُمتك، وكانت الأُمم السالفة إذا أصابهم أذى من نجاسة قرضوه من أجسادهم، وقد جعلت الماء لأُمتك طهوراً، فهذا من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمتك، وكانت الأُمم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس، فمن قبلت ذلك منه أرسلت عليه ناراً فأكلته فرجع مسروراً، ومن لم أقبل منه ذلك رجع مثبوراً[5] وقد جعلت قربان أُمتك في بطون فقرائها ومساكينها فمن قبلت ذلك منه أضعفت ذلك له أضعافاً مضاعفة، ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن أُمتك، وهي من الآصار التي كانت على الأُمم من كان من قبلك، وكانت الأُمم السالفة صلواتها مفروضة عليها في ظلم اللّيل وأنصاف النهار، وهي من الشدائد التي كانت عليهم، فرفعتها عن أُمتك وفرضت صلاتهم في أطراف اللّيل والنهار، وفي أوقات نشاطهم.

وكانت الأُمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتاً وهي من الآصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن أُمتك وجعلتها خمساً في خمسة أوقات، وهي إحدى وخمسون ركعة، وجعلت لهم أجر خمسين صلاة، وكانت الأُمم السالفة حسنتهم بحسنة وسيئتهم بسيئة وهي من الآصار التي كانت

---

(١) البقرة - ٨٥. *(٢، ٣، ٤) البقرة - ٢٨٦.

(٥) المثبور: الخائب.

عليهم، فرفعتها عن اُمتك وجعلت الحسنة بعشرة والسيئة بواحدة وكانت الاُمم السالفة إذا نوى أحدهم حسنة فلم يعملها لم تكتب له، وإن عملها كتبت له حسنة، وإنّ اُمتك إذا همّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له عشرة، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن اُمتك، وكانت الاُمم السالفة إذا همّ أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت عليه سيئة، وإن اُمتك إذا همّ أحدهم بسيئة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، وهذه من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن امتك.

وكانت الاُمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم، وجعلت توبتهم من الذنوب: أن حرمت عليهم بعد التوبه أحب الطعام إليهم، وقد رفعت ذلك عن اُمتك وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم وجعلت عليهم ستوراً كثيفة، وقبلت توبتهم بلا عقوبة، ولا اُعاقبهم بأن اُحرم عليهم أحب الطعام إليهم، وكانت الاُمم السالفة يتوب أحدهم إلى الله من الذنب الواحد مائة سنة، أو ثمانين سنة، أو خمسين سنة، ثم لا أقبل توبته دون أن اُعاقبه في الدنيا بعقوبة، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن اُمتك، وان الرجل من اُمتك ليذنب عشرين سنة، أو ثلاثين سنة، أو أربعين سنة، أو مائة سنة ثم يتوب ويندم طرفة عين فأغفر ذلك كله.

فقال النبي (ص): إذا أعطيتني ذلك كله فزدني قال: سل، قال: ﴿**ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾[١] قال تبارك اسمه: قد فعلت ذلك بأُمتك، وقد رفعت عنهم عظم بلايا الاُمم، وذلك حكمي في جميع الاُمم: أن لا أكلف خلقاً فوق طاقتهم، فقال النبي (ص): ﴿**واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا**﴾[٢] قال الله عز وجل: قد فعلت ذلك بتائبي اُمتك ثم قال (ص): ﴿**فانصرنا على القوم الكافرين**﴾[٣] قال الله جل اسمه: إنّ اُمتك في الأرض كالشامة البيضاء في الثور الأسود، هم القادرون، وهم القاهرون، يستخدمون ولا يُستخدمون، لكرامتك عليّ، وحق عليَّ أن اُظهر دينك على الأديان، حتى لا يبقى في شرق الأرض وغربها دين الا دينك، ويؤدون إلى أهل دينك الجزية.

قال اليهودي: فإنّ هذا سليمان سخرت له الشياطين، يعملون له ما يشاء: من محاريب، وتماثيل؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ولقد اُعطي محمّد (ص) أفضل من هذا إنّ الشياطين سخرت لسليمان وهي مقيمة على كفرها، ولقد سخرت لنبوة محمّد (ص) الشياطين بالايمان، فأقبل إليه من الجنة التسعة من أشرافهم، واحد من جن نصيبين، والثمان من بني عمرو بن عامر من الأحجة[٤] منهم شضاه، ومضاه[٥] والهملكان، والمرزبان، والمازمان، ونضاه، وهاضب، وهضب وعمرو، وهم الذين يقول الله تبارك اسمه فيهم: ﴿**واذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن**﴾[٦] وهم التسعة،

(١، ٢، ٣) البقرة - ٢٨٦.

(٤) الاحجة - جمع حجيج - أي الذين يقيمون الحج وفي بعض النسخ: «الأجنحة» أي: الرؤساء.

(٥) وفي بعض النسخ: «شضاة ومضاة»

(٦) الأحقاف - ٢٩.

فأقبل إليه الجن والنبي (ص) ببطن النخل فاعتذروا بأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً، ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم فبايعوه على: الصوم، والصلاة، والزكاة، والحج، والجهاد، ونصح المسلمين، واعتذروا بأنهم قالوا على الله شططاً، وهذا أفضل مما أُعطي سليمان، فسبحان من سخرها لنبوة محمّد (ص) بعد أن كانت تتمرد، وتزعم أنَّ لله ولداً، ولقد شمل مبعثه من الجن والإنس ما لا يحصى.

قال له اليهودي: هذا يحيى بن زكريا (ع) يقال: إنه أُوتي الحكم صبياً والحلم، والفهم، وأنه كان يبكي من غير ذنب، وكان يواصل الصوم؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا. إنَّ يحيى بن زكريا كان في عصر لا أوثان فيه ولا جاهلية، ومحمّد (ص) أُوتي الحكم والفهم صبياً بين عبدة الأوثان، وحزب الشيطان، فلم يرغب لهم في صنم قط ولم ينشط لأعيادهم، ولم ير منه كذب قط، وكان أميناً، صدوقاً، حليماً، وكان يواصل الصوم الأُسبوع والأقل والأكثر فيقال له في ذلك فيقول: إنِّي لست كأحدهم إنِّي أظل عند ربي، فيطعمني، ويسقيني، وكان يبكي (ص) حتى تبتل مصلاه خشية من الله عز وجل من غير جرم.

قال له اليهودي: فإنّ هذا عيسى بن مريم يزعمون: أنه تكلم في المهد صبياً؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) سقط من بطن أُمه واضعاً يده اليسرى على الأرض، ورافعاً يده اليمنى إلى السماء، يحرك شفتيه بالتوحيد وبدا من فيه نور رأى أهل مكة منه قصور بصرى من الشام وما يليها، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من إسطخر وما يليها، ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبي (ص) حتى فزعت الجن والإنس والشياطين، وقالوا حدث في الأرض حدث، ولقد رأى الملائكة ليلة ولد تصعد وتنزل، وتسبح وتقدس، وتضطرب النجوم وتتساقط، علامة لميلاده.

ولقد همّ إبليس بالظعن في السماء لما رأى من الأعاجيب في تلك الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة والشياطين يسترقون السمع، فلما رأوا العجائب أرادوا أن يسترقوا السمع، فإذا هم قد حجبوا من السماوات كلها، ورموا بالشهب، دلالة[1] لنبوته (ص).

قال له اليهودي: فإنّ عيسى (ع) يزعمون أنه قد أبرأ الأكمة والأبرص باذن الله؟

فقال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) أُعطي ما هو أفضل من ذلك: أبرأ ذا العاهة من عاهته، وبينما هو جالس عن (ص) إذ سأل رجل من أصحابه فقالوا: يا رسول الله إنّه قد صار من البلاء كهيئة الفرخ الذي لا ريش عليه فأتاه (ص) فاذا هو كهيئة الفرخ من شدة البلاء، فقال له: قد كنت تدعو في صحتك دعاء؟ قال: نعم كنت أقول: «يا رب أيما عقوبة أنت معاقبي بها في الآخرة فاجعلها لي

---

(١) في بعض النسخ: «جلالة».

في الدنيا» فقال له النبي (ص) ألا قلت: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» فقالها الرجل فكأنما نشط من عقال، وقام صحيحاً وخرج معنا.

ولقد أتاه رجل من جهينة أجذم يتقطع من الجذام فشكا إليه (ص)، فأخذ قدحاً من ماء فتفل عليه، ثم قال: امسح جسدك ففعل فبرىء حتى لم يوجد عليه شيء ولقد أُتي النبي بأعرابي أبرص فتفل (ص) من فيه عليه فما قام من عنده الا صحيحاً.

ولئن زعمت أنَّ عيسى أبرأ ذا العاهات من عاهاتهم، فإنَّ محمّداً (ص) بينما هو في أصحابه إذ هو بامرأة فقالت: يا رسول الله إنَّ ابني قد أشرف على حياض الموت كلما أتيته بطعام وقع عليه التثاؤب، فقام النبي (ص) وقمنا معه فلما أتيناه قال له: جانبْ يا عدو الله ولي الله، فأنا رسول الله، فجانبه الشيطان فقام صحيحاً وهو معنا في عسكرنا.

ولئن زعمت أنَّ عيسى أبرأ العميان فإنَّ محمّداً قد فعل ما هو أكبر من ذلك: إنَّ قتادة بن ربيع كان رجلاً صحيحاً فلما أن كان يوم أُحد أصابته طعنة في عينه فبدرت حدقته،[1] فأخذها بيده ثم أتى بها إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله إنَّ امرأتي الآن تبغضني، فأخذها رسول الله من يده ثم وضعها مكانها فلم تكن تعرف إلا بفضل حسنها وفضل ضوئها على العين الأُخرى، ولقد جرح عبد الله بن عبيد[2] وبانت يده يوم حنين، فجاء إلى النبي (ص) فمسح عليه يده فلم تكن تعرف من اليد الأُخرى، ولقد أصاب محمّد بن مسلم يوم كعب بن أشرف مثل ذلك في عينه ويده، فمسحه رسول الله (ص) فلم تستبينا، ولقد أصاب عبد الله بن أنيس مثل ذلك في عينه، فمسحها فما عرفت من الأُخرى، فهذه كلها دلالة لنبوته (ص).

قال له اليهودي: فان عيسى يزعمون: أنه أحيى الموتى باذن الله؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد سبحت في يده تسع حصيات تسمع نغماتها في جمودها، ولا روح فيها لتمام حجة نبوته، ولقد كلمه الموتى من بعد موتهم، واستغاثوه مما خافوا تبعته، ولقد صلّى بأصحابه ذات يوم فقال: ما هاهنا من بني النجار أحد وصاحبهم محتبس على باب الجنة بثلاثة دراهم لفلان اليهودي ـ وكان شهيداً ـ؟ ولئن زعمت: أنَّ عيسى كلّم الموتى، فلقد كان لمحمّد ما هو أعجب من هذا: إنَّ النبي لما نزل بالطايف وحاصر أهلها، بعثوا إليه بشاة مسلوخة مطلية بسم، فنطق الذراع منها فقالت: يا رسول الله لا تأكلني فإني مسمومة فلو كلمته البهيمة وهي حية لكانت من أعظم حجج الله على المنكرين لنبوته، فكيف وقد كلمته من بعد ذبح وسلخ وشي[3]!

ولقد كان رسول الله (ص) يدعو بالشجرة فتجيبه، وتكلمه البهيمة، وتكلمه السباع، وتشهد له بالنبوة، وتحذر هم عصيانه فهذا أكثر مما أُعطي عيسى (ع).

---

(١) الحدقة: سواد العين الأعظم.
(٢) في بعض النسخ «بن عتيك».
(٣) أي: من بعد ما صار مشوياً مطبوخاً.

قال له اليهودي : إنَّ عيسى يزعمون أنه أنبأ قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمّد كان له أكثر من هذا: إنَّ عيسى أنبأ قومه بما كان من وراء الحايط ومحمّد أنبأ عن مؤتة[1] وهو عنها غائب ووصف حربهم ومن استشهد منهم وبينه وبينهم مسيرة شهر، وكان يأتيه الرجل يريد أن يسأله عن شيء فيقول (ص) : تقول أو أقول؟ فيقول: بل قل يا رسول الله فيقول: جئتني في كذا وكذا حتى يفرغ من حاجته، ولقد كان (ص) يخبر أهل مكة بأسرارهم بمكة حتى لا يترك من أسرارهم شيئاً.

منها: ما كان بين صفوان بن أُمية وبين عمير بن وهب، إذ أتاه عمير فقال: جئت في فكاك ابني فقال له: كذبت بل قلت لصفوان بن امية وقد اجتمعتم في الحطيم وذكرتم قتلى بدر وقلتم: والله للموت أهون علينا من البقاء مع ما صنع محمّد بنا، وهل حياة بعد أهل القليب، فقلت أنت: لولا عيالي، ودين عليَّ لأرحتك من محمّد، فقال صفوان: عليّ أن أقضي دينك، وأن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهنَّ ما يصيبهنَّ من خير أو شر، فقلت أنت: فاكتمها عليَّ وجهزني حتى أذهب فأقتله، فجئت لقتلي، فقال: صدقت يا رسول الله فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأشباه هذا مما لا يحصى.

قال له اليهودي :فان عيسى يزعمون :أنه خلق من الطِّين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طيراً باذن الله؟

فقال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) قد فعل ما هو شبيه لهذا إذ أخذ يوم حنين حجراً فسمعنا للحجر تسبيحاً وتقديساً، ثم قال للحجر: انفلق فانفلق ثلاث فلق، يسمع لكل فلقة منها تسبيحاً لا يسمع للأُخرى، ولقد بعث إلى شجرة يوم البطحاء فأجابته، ولكل غصن منها تسبيح وتهليل وتقديس ، ثم قال لها : انشقي ، فانشقت نصفين ، ثم قال لها : التزقي فالتزقت ، ثم قال لها : اشهدي بالنبوة ، فشهدت ثم قال لها : ارجعي إلى مكانك بالتسبيح والتهليل والتقديس ففعلت ، وكان موضعها حيث الجزارين بمكة .

قال له اليهودي: فان عيسى يزعمون أنه كان سياحاً؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمّد كانت سياحته في الجهاد، واستنفر في عشر سنين ما لا يحصى من حاضر وباد، وأفنى فئاماً من العرب[2] من منعوت بالسيف لا يداري بالكلام[3] ولا ينام الا عن دم، ولا يسافر الا وهو متجهز لقتال عدوه.

قال له اليهودي: فان عيسى يزعمون : أنّه كان زاهداً؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمّد (ص) أزهد الأنبياء (ع) : كان له ثلاثة عشر زوجة

---

(١) مؤتة ـ بضم الميم وسكون الهمزة وفتح التاء ـ : اسم موضع قتل فيه جعفر ابن أبي طالب (ع) والنبي (ص) في المدينة فأخبر أصحابه بقتله وهو من على المنبر وقد مر ذكره في هامش ص ١٧٢.

(٢) الفئام ـ بالكسر مهموزاً ـ : الجماعة الكثيرة وقد فسر في بعض الأخبار بمائة ألف.

(٣) في بعض النسخ: «لا يبالي».

سوى من يطيف به من الإماء، ما رفعت له مائدة قط وعليها طعام، ولا أكل خبز بر قط، ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليال متواليات قط توفي رسول الله (ص) ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم، ما ترك صفراء ولا بيضاء مع ما وطّيء له من البلاد،[١] ومكن له من غنائم العباد، ولقد كان يقسم في اليوم الواحد الثلثمائة ألف وأربعمائة ألف ويأتيه السائل بالعشي فيقول: والذي بعث محمّداً بالحق ما أمسي في آل محمّد صاع من شعير، ولا صاع من بر، ولا درهم، ولا دينار.

قال له اليهودي، فاني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله وأشهد أنه ما أعطى الله نبياً درجة ولا مرسلاً فضيلة الا وقد جمعها لمحمّد (ص)، وزاد محمّداً على الأنبياء أضعاف ذلك درجات.

فقال ابن عباس لعلي بن أبي طالب (ع): أشهد يا أبا الحسن أنَّك من الراسخين في العلم.

فقال ويحك وما لي لا أقول ما قلت في نفس من استعظمه الله عز وجل في عظمته فقال: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**[٢].

* * *

احتجاجه (ع) على بعض اليهود وغيره في أنواع شتى من العلوم [٣]

عن صالح بن عقبة[٤] عن الصادق (ع) قال: لما هلك أبو بكر واستخلف عمر، خرج عمر إلى المسجد فقعد، فدخل عليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنِّي رجل من اليهود، وأنا علاّمتهم، وقد أردت أن أسألك عن مسائل إن أخبرتني بها أسلمت قال: وما هي؟ قال: ثلاث، وثلاث، وواحدة، فان شئت سألتك، وإن كان في القوم أحد أعلم منك فأرشدني، قال: عليك بذاك الشاب - يعني علي بن أبي طالب (ع).

فأتى علياً (ع)، فسأل فقال له: قلت: ثلاثاً وثلاثاً وواحدة ألا قلت سبعاً؟ قال إني إذاً لجاهل، إن لم تجبني في الثلاث اكتفيت، قال: فان أجبتك تسلم؟ قال: نعم. قال: سل. قال: أسألك عن أول حجر وضع على وجه الأرض، وأول عين نبعت وأول شجرة نبتت؟

قال: يا يهودي أنتم تقولون: أول حجر وضع على وجه الأرض الحجر الذي في بيت المقدس، وكذبتم، هو: «الحجر الأسود» الذي نزل مع آدم (ع) من الجنة

---

(١) وطيء له: مهد وذلل ويسر.

(٢) القلم - ٤.

(٣) في ج ٤ من بحار الأنوار ص ٩٤ عن عيون أخبار الرضا والخصال للصدوق: أبي عن سعد عن ابن أبي الخطاب عن الحكم ابن‌مسكين الثقفي عن صالح بن عقبة عن جعفر بن محمّد (ص) قال لما هلك أبو بكر... الخ ثم قال: قال الصدوق في الخصال وقد أخرجت هذا الحديث من طرق في كتاب: «الأوايل»، أيضاً عن كمال الدين وتمام النعمة: أبي وابن الوليد معاً عن سعد مثله.

(٤) صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان مولى رسول الله (ص) عده الشيخ في أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام وذكره العلامة في القسم الثاني من الخلاصة.

قال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى (ع).

قال امير المؤمنين (ع) : وأما العين فأنتم تقولون: إنَّ أول عين نبعت على وجه الأرض: العين التي ببيت المقدس، وكذبتم وهي: «عين الحياة» التي غسل فيها النون موسى، وهي العين التي شرب منها الخضر، وليس يشرب منها أحد الا حي. قال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى.

قال علي (ع) : وأما الشجرة فأنتم تقولون: إنَّ أول شجرة نبتت على وجه الأرض الزيتون وكذبتم، وهي : «العجوة» نزل بها آدم (ع) من الجنة. قال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى (ع)

قال: والثلاث الأُخرى، كم لهذه الأُمة من إمام هدى لا يضرهم من خذلهم؟

قال: إثنا عشر إماماً. قال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى.

قال: وأين يسكن نبيكم من الجنة؟ قال: أعلاها درجة، وأشرفها مكاناً: في جنات عدن. قال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى.

قال: فمن ينزل معه في منزله؟

قال: إثنا عشر إماماً. قال : صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى.

قال: قد بقيت السابعة.

قال: كم يعيش وصيه بعده؟ قال ثلاثين سنة.

قال: ثم هو يموت أو يقتل؟ قال: يضرب على قرنه فتخضب لحيته. قال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى ثم أسلم وحسن إسلامه.

وعن أصبغ بن نباتة قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين (ع) فجاء ابن الكوا[1] فقال:

يا أمير المؤمنين من البيوت في قول الله عز وجل: **﴿وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرّ من اتقى وأْتوا البيوت من أبوابها[2]﴾**؟

قال علي (ع) : نحن البيوت التي أمر الله بها أن تؤتى من أبوابها، نحن باب الله وبيوته التي يؤتى منه، فمن تابعنا وأقر بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ومن خالفنا وفضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها.

---

(١) ابن الكوا اسمه عبد الله، وهو خارجي ملعون، قرأ خلف امير المؤمنين عليه السلام جهراً: **﴿ولقد أوحي إليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنَّ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين﴾** وكان علي (ع) يؤم الناس وهو يجهر بالقراءة فسكت (ع) حتى سكت ابن الكواء، ثم عاد في قراءته فعاد حتى فعل ذلك ثلاثاً فلما كان في الثالثة قرأ امير المؤمنين (ع) **﴿فاصبر إنَّ وعد الله حق ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون﴾**.

(٢) البقرة - ١٨٩.

فقال أمير المؤمنين وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم؟

فقال علي (ع) : نحن أصحاب الأعراف: نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف يوم القيامة بين الجنة والنار، ولا يدخل الجنة الا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار الا من أنكرنا وأنكرناه، وذلك بأنَّ الله عز وجل لو شاء عرَّف للناس نفسه حتى يعرفوه وحده ويأتوه من بابه، ولكنَّه جعلنا أبوابه وصراطه وبابه الذي يؤتى منه، فقال ـ فيمن عدل عن ولايتنا وفضل علينا غيرنا ـ : ﴿**فانهم عن الصراط لناكبون**﴾[1].

وعن الأصبغ بن نباتة أيضاً قال أتى ابن الكوا أمير المؤمنين فقال:
والله إنَّ في كتاب الله آية اشتدت على قلبي، ولقد شككت في ديني.
فقال أمير المؤمنين (ع) : ثكلتك أُمك وعدمتك! ما هي؟

قال: قول الله تبارك وتعالى: ﴿**والطير صافات كلّ قد علم صلاته وتسبيحه**﴾[2] فما هذا الصف؟ وما هذه الطيور وما هذه الصلاة؟ وما هذا التسبيح؟

فقال علي (ع): ويحك يا ابن الكوا! إنَّ الله خلق الملائكة على صور شتى ألا وإنَّ لله ملكاً في صورة ديك أبح أشهب، براثنه في الأرضين السفلى، وعرفه مثنى تحت عرش الرحمن، له جناح بالمشرق من نار، وجناح بالمغرب من ثلج فاذا حضر وقت كل صلاة قام على براثنه، ثم رفع عنقه من تحت العرش، ثم صفق بجناحيه كما تصفق الديكة في منازلكم، فلا الذي من نار يذيب الثلج، ولا الذي من الثلج يطفىء النار، ثم ينادي: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله سيد النبيّين، وأنَّ وصيه خير الوصيين، سبوح، قدوس، رب الملائكة والروح» قال: فتصفق الديكة بأجنحتها في منازلكم بنحو من قوله، وهو قول الله تعالى: ﴿**كل قد علم صلاته وتسبيحه**﴾ من الديكة في الأرض.

وعن الأصبغ بن نباتة أيضاً قال: سأل ابن الكوا امير المؤمنين (ع) فقال: أخبرني عن بصير باللّيل وبصير بالنهار؟ وعن أعمى باللّيل وأعمى بالنّهار؟ وعن أعمى بالليل بصير بالنهار؟ وعن أعمى بالنهار بصير بالليل؟

فقال له امير المؤمنين (ع) : ويلك سل عما يعنيك، ولا تسأل عما لا يعنيك. ويلك أما بصير بالليل وبصير بالنهار: فهو رجل آمن بالرسل والأوصياء الذين مضوا، وبالكتب والنبيّين، وآمن بالله ونبيه محمّد (ص)، وأقر لي بالولاية فأبصر في ليله ونهاره.

وأما أعمى بالليل أعمى بالنهار: فرجل جحد الأنبياء والأوصياء، والكتب التي مضت، وأدرك النبي فلم يؤمن به، ولم يقر بولايتي، فجحد الله عز وجل ونبيه (ص) فعمي بالليل وعمي بالنهار.

---

(١) المؤمنون ـ ٧٤.

(٢) النور ـ ٤١.

وأما بصير بالليل أعمى بالنهار: فرجل آمن بالأنبياء والكتب، وجحد النبي (ص) وأنكر حقي، فأبصر بالليل وعمي بالنهار.

وأما أعمى بالليل وبصير بالنهار: فرجل جحد الأنبياء الذين مضوا. والأوصياء والكتب، وأدرك محمّداً (ص)، فآمن بالله وبرسوله محمّد (ص)، وآمن بامامتي وقبل ولايتي، فعمي بالليل وأبصر بالنهار.

ويلك يا ابن الكوا، فنحن بنو أبي طالب بنا فتح الله الاسلام وبنا يختمه.

قال الأصبغ فلما نزل امير المؤمنين (ع) من المنبر تبعته فقلت: يا سيدي يا أمير المؤمنين قويت قلبي بما بينت.

فقال لي: يا أصبغ من شك في ولايتي فقد شك في إيمانه، ومن أقر بولايتي فقد أقر بولاية الله عز وجل، ولايتي متصلة بولاية الله كهاتين ـ وجمع بين اصبعيه ـ يا أصبغ من أقر بولايتي فقد فاز، ومن أنكر ولايتي فقد خاب وخسر وهوى في النار، ومن دخل في النار لبث فيها أحقاباً.

وعن الأصبغ أيضاً قال: قام ابن الكوا إلى علي بن أبي طالب (ع) وهو على المنبر فقال:

يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟ وأخبرني عن قرنيه أمن ذهب كان أم من فضة؟

فقال: لم يكن نبياً، ولا ملكاً، ولم يكن قرناه من ذهب ولا فضة، ولكنه كان عبداً أحبّ الله فأحبّه الله، ونصح لله فنصح الله له، وإنما سمي «ذا القرنين» لأنه دعا قومه إلى الله عز وجل فضربوه على قرنه، فغاب عنهم حيّاً ثم عاد إليهم فضرب على قرنه الآخر وفيكم مثله[١].

عن الصادق عن آبائه (ع)[٢] إنَّ امير المؤمنين كان ذات يوم جالساً في الرحبة، والناس حوله مجتمعون، فقام اليه رجل فقال:

---

(١) يعني بذلك نفسه سلام الله عليه، فقد ضربه عمرو بن عبدود الضربة الأُولى والضربة الثانية هي ضربة ابن ملجم لعنه الله، التي كانت شهادته (ع) فيها.

(٢) ذكر هذا الحديث العلامة المجلسي في ج ٩ من بحار الأنوال ص ١٥ وذكر له مصدرين هما: الاحتجاج وهو الكتاب الذي بين يديك، والثاني أمالي ابن الشيخ بهذا السند: عن الحسين بن عبيد الله عن هارون بن موسى عن محمد بن همام عن علي بن الحسين الهمداني عن محمد ابن البرقي عن محمّد بن سنان عن المفضل بن عمر عن الصادق (ع) عن آبائه (ع) ... الخ.

وذكره الامام شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي في كتابه الجليل: «الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب» فقال:

وبالاسناد عن الشيخ أبي الفتح الكراجكي ـ رحمه الله ـ قال: حدثنا الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن احمد بن علي بن الحسين بن شاذان القمي ـ رضي الله عنه ـ قال حدثني القاضي أبو الحسين محمد بن عثمان بن عبد الله النصيبي في داره، قال: حدثنا جعفر بن محمد العلوي، قال: حدثنا عبيد الله احمد، قال: حدثنا محمد بن زياد، قال حدثنا مفضل بن عمر عن جعفر بن محمد الصادق (ع) عن أبيه عن آبائه (ع) ... الخ.

وذكره الحجة الأميني في ج ٧ / ٣٨٧ من كتاب الغدير وذكر له عدة مصادر فراجع.

يا امير المؤمنين انت بالمكان الذي أنزلك الله به وأبوك معذب في النار؟

فقال له علي بن أبي طالب: مه فض الله فاك![١] والذي بعث محمّداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم، أبي معذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار ؟!! والذي بعث محمّداً بالحق نبياً إنّ نور أبي يوم القيامة ليطفىء أنوار الخلايق كلهم الا خمسة أنوار: نور محمّد (ص)، ونوري، ونور الحسن، ونور الحسين، ونور تسعة من ولد الحسين، فإنّ نوره من نورنا خلقه الله تعالى قبل ان يخلق آدم (ع) بالفي عام[٢].

* * *

(١) «مه» اسم مبني على السكون بمعنى: اسكت. ويقال: فضّ الله فاه: نثر أسنانه، وهو دعاء عليه، ويقال في الدعاء لمن أجاد في الكلام: «لا فضّ فوك» أي لا نثرت اسنانك ولا فرقت.

(٢) شيخ البطحاء، ورئيس مكة، وشيخ قريش، أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم الرسول وكافله، وأبو الأئمة سلام الله عليهم أجمعين.

اسمه الشريف عبد مناف، وقيل: «عمران» وقيل اسمه: «كنيته» والأول أصح لقول عبد المطلب وهو يوصيه برسول الله (ص) بعده:

أُوصيك يا عبد مناف بعدي ... بواحد بعد أبيه فرد

وقوله أيضاً:

وصيت من كنيته بطالب ... عبد مناف وهو ذو تجارب
بابن الحبيب الأكرم الأقارب ... بابن الذي قد غاب غير آيب

وأُمه فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم، وهي أم عبد الله والد النبي وأُم الزبير بن عبد المطلب وقد انقرض.

وأولد أبو طالب أربعة بنين: طالباً، وعقيلاً، وجعفر، وعليّاً امير المؤمنين (ع)، وكان كل واحد منهم أكبر من الآخر بعشر سنين، وأُمهم جميعاً فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي.

كان أبو طالب (ع): شيخاً، وسيماً، جسيماً، عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء، وكانت قريش تسميه: «الشيخ» وكانوا يهابونه، ويخافون سطوته، وكانوا يتجنبون أذية رسول الله (ص) في أيامه، فلما توفي سلام الله عليه، اجترؤا عليه واضطر إلى الهجرة من وطنه مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

قيل لأكثم بن صيفي حكيم العرب ممن تعلمت الحكمة والرياسة، والحلم والسيادة؟ قال: من حليف الحلم والأدب، سيد العجم والعرب، أبو طالب بن عبد المطلب.

وجرى ذات يوم كلام خشن بين معاوية بن أبي سفيان وصعصعة وابن الكواء، فقال معاوية: لولا أني أرجع إلى قول أبي طالب لقتلتكم وهو:

قابلت جهلهم حلماً ومغفرة ... والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

وكان سلام الله عليه مستودعاً للوصايا فدفعها إلى رسول الله (ص)، وهو الذي كفله وحماه من قريش ودافع عنه.

روي عن فاطمة بنت أسد: أنه لما ظهر إمارة وفاة عبد المطلب قال لأولاده من يكفل محمداً؟ قالوا: هو أكيس منا، فقل له يختار لنفسه، فقال عبد المطلب: يا محمّد جدك على جناح السفر الى القيامة، أي عمومتك وعماتك تريد أن يكفلك؟ فنظر في وجوههم ثم=

زحف إلى عند أبي طالب، فقال له عبد المطلب: يا أبا طالب إني قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له.

وروي: أنه قال له: يا بني قد علمت شدة حبي لمحمد ووجدي به، انظر كيف تحفظني فيه، قال أبو طالب: يا أبه لا توصني بمحمد فانه ابني وابن أخي، فلما توفي عبد المطلب، كان أبو طالب يؤثره بالنفقة والكسوة على نفسه، وعلى جميع أهله.

فلما بعث النبي (ص) وصدع بالأمر امتثالاً لقوله تعالى «فاصدع بما تؤمر» ونزل قوله تعالى: **﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾** أجمعت قريش على خلافه فحدب عليه أبو طالب (ع) ومنعه وقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد بالتراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقرّ منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ... فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه ... من خير أديان البرية دينا

وروي عن زين العابدين (ع): أنه اجتمعت قريش إلى أبي طالب ورسول الله (ص) عنده فقالوا: نسألك من ابن أخيك النصف. قال: وما النصف منه؟ قالوا: يكف عنا ونكف عنه، فلا يكلمنا ولا نكلمه، ولا يقاتلنا ولا نقاتله، ألا إن هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب، وزرعت الشحناء، وأنبتت البغضاء. فقال: يا ابن أخي أسمعت؟ قال: يا عم لو أنصفني بنو عمي لأجابوا دعوتي، وقبلوا نصيحتي، إنَّ الله تعالى أمرني أن أدعو إلى دينه الحنيفية ملة إبراهيم، فمن أجابني فله عند الله: الرضوان والخلود في الجنان، ومن عصاني قاتلته حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، فقالوا: قل له: يكف عن شتم آلهتنا فلا يذكرها بسوء، فنزل: **﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد﴾** قالوا: إن كان صادقاً فاليخبرنا من يؤمن منا، ومن يكفر، فان وجدناه صادقاً آمنا به فنزل: **﴿وما كان الله ليذر المؤمنين﴾** قالوا: والله لنشتمنّك وإلهك فنزل: **﴿وانطلق الملأ منهم﴾** قالوا: قل له: فليعبد ما نعبد، ونعبد ما يعبد، فنزلت سورة الكافرين. فقالوا: قل له أرسله الله إلينا خاصة، أم إلى الناس كافة؟ قال بل إلى الناس أُرسلت كافة: إلى الأبيض والأسود، ومن على رؤوس الجبال، ومن في لجج البحار، ولأدعون ألسنة فارس والروم، **﴿يا أيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً﴾** فتجبرت قريش واستكبرت وقالت: والله لو سمعت بهذا فارس والروم لاختطفتنا من أرضنا، ولقلعت الكعبة حجراً حجراً، فنزلت **﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾** وقوله تعالى: **﴿ألم تر كيف فعل ربك﴾** فقال المطعم بن عدي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على أن يتخلصوا مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً.

فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت على خذلاني، ومظاهرة القوم علي، فاصنع ما بدا لك، فوثبت كل قبيلة على ما فيها من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ويستهزؤون بالنبي (ص) ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب منهم، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله (ص) والقيام دونه الا أبا لهب.

وله في الدفاع عن رسول الله (ص) مواقف شهيرة وشعر رواه الفريقان، نذكر فيما يلي نموذجاً منها:

منها: ما روي من أبا جهل بن هشام جاء إلى رسول الله (ص) وهو ساجد وبيده حجر يريد أن يرميه به، فلما رفع يده لصق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد، فقال أبو طالب:

أفيقوا بني غالب وانتهوا ... عن الغي من بعض ذا المنطق
والا فاني إذن خائف ... بوائق في داركم تلتقي
تكون لغيركم عبرة ... ورب المغارب والمشرق
كما نال من لان من قبلكم ... ثمود وعاد وماذا بقي
غداة أتاهم بها صرصر ... وناقة ذي العرش قد تستقي
فحل عليهم بها سخطه ... من الله في ضربة الأزرق
غداة يعض بعرقوبها ... حساماً من الهند ذا رونق
وأعجب من ذاك في أمركم ... عجائب في الحجر الملصق

= بكف الذي قام من خبثه إلى الصابر الصادق المتقي
فأثبته الله في كفه على رغمه الجائر الأحمق
أحيمق مخزومكم إذ غوى لغي الغواة ولم يصدق

ومنها: ما روي عن ابن عباس، أن النبي (ص) دخل الكعبة، وافتتح الصلاة فقال أبو جهل: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبعرى، وتناول فرثاً ودماً وألقى ذلك عليه (ص) فجاء أبو طالب ـ وقد سل سيفه ـ فلما رأوه جعلوا ينهضون فقال: والله لئن قام أحد جللته بسيفي، ثم قال: يا ابن أخي من الفاعل بك؟ قال: هذا «عبد الله» فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً وألقى ذلك عليه.

ومنها: قوله عليه السلام يخاطب الرسول (ص) مسكناً جأشه طالباً منه إظهار دعوته

لا يمنعنك من حق تقوم به أيد تصول ولا سلق بأصوات
فان كفك كفي إن عليت بهم ودون نفسك نفسي في الملمات

ومنها: قوله يؤنب قريشاً ويحذرهم الحرب:

ألا من لهم آخر الليل معتم طواني وأخرى النجم لما تقحم
طواني وقد نامت عيون كثيرة وسامر أخرى ساهر لم ينوم
لأحلام قوم قد أرادوا محمداً بظلم ومن لا يتقي البغي يظلم
سعوا سفهاً واقتادهم سوء أمرهم على خائل من أمرهم غير محكم
رجاء أمور لم ينالوا انتظامها ولو حشدوا في كل بدو وموسم
يرجون منه خطة دون نيلها ضراب وطعن بالوشيج المقوم
يرجون أن نسخى بقتل محمد ولم تختضب سمر العوالي من الدم
كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا جماجم تلقى بالحطيم وزمزم
وتقطع أرحام وتنسى حليلة حليلاً ويغشى محرم بعد محرم
هم الأسد أسد الزارتين إذا غدت على حنق لم تخش إعلام معلم
فيا لبني فهر أفيقوا ولم تقم نوائح قتلى تدعى بالتندم
على ما مضى من بغيكم وعقوقكم وإتيانكم في أمركم كل مأثم
وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى وأمر أتى من عند ذي العرش قيم
فلا تحسبونا مسلميه ومثله إذا كان في قوم فليس بمسلم
فهذي معاذير وتقدمة لكم لئلا تكون الحرب قبل التقدم

ومنها: لما رأى المشركون موقف أبي طالب (ع) من نصرة الرسول وسمعوا أقواله، اجتمعوا بينهم وقالوا نتا في بني هاشم، ونكتب صحيفة ونودعها الكعبة: أن لا نبايعهم، ولا نشاريهم، ولا نحدثهم، ولا نستحدثهم، ولا نجتمع معهم في مجمع ولا نقضي لهم حاجة، ولا نقضيها منهم، ولا نقتبس منهم ناراً حتى يسلموا إلينا محمداً ويخلوا بيننا وبينه، أو ينتهي عن تسفيه آبائنا، وتضليل آلهتنا، وأجمع كفار مكة على ذلك.

فلما بلغ ذلك أبا طالب (ع) قال: يخبرهم باستمراره على مناصرة الرسول (ص) ومؤازرته له، ويحذرهم الحرب، وينهاهم عن متابعة السفهاء:

ألا أبلغا عني على ذات بينها لؤياً وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة ولا حيف فيمن خصه الله بالحب =

=

وأنّ الذي لفقتم في كتابكم ... يكون لكم يوماً كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبى ... ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما ... أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبيت الله نسلم أحمداً ... لعزاء من عض الزمان ولا حرب
ولما تبن منا ومنكم سوالف ... وأيد أبيدت بالمهندة الشهب
بمعترك ضنك ترى كسر القنا ... به والضباع العرج تعكف كالسرب
كأنّ مجال الخيل في حجراته ... وغمغمة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره ... وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ومنها: أنه كان اذا نامت العيون وأخذ النبي (ص) مضجعه، جاءه فأنهضه وأضجع عليّاً مكانه، فقال له عليّ (ع) ـ ذات ليلة ـ: يا أبتاه إني مقتول، فقال أبو طالب

إصبرن يا بني فالصّبر أحجى ... كل حي مصيره لشعوب
قد بلوناك والبلاء شديد ... لفداء النجيب وابن النجيب
لفداء الأعز ذي الحسب الثاقب ... والباع والفناء الرحيب
إن تصبك المنون بالنبل تترى ... مصيب منها وغير مصيب
كل حي وإن تطاول عمراً ... آخذ من سهامها بنصيب

فقال عليّ (ع):

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ... ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني أحببت أن تر نصرتي ... وتعلم أني لم أزل لك طائعاً
وسعيي لوجه الله في نصر احمد ... نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعا

هذا نزر يسير من مواقف أبي طالب (ع) ومؤازرته الرسول (ص) ومقاومته للمشركين، وله كثير من أمثالها في دفاعه عن محمّد، وعن دين محمد، وعن قرآن محمد، وعن أتباع محمد، فهلا يأخذك العجب بعد اطلاعك على هذا وشبهه من أقوال أبي طالب وأفعاله، الا تستغرب بعد هذا لو سمعت بعصابة اثرت فيها الروح الاموية الخبيثة، فدفعها خبث عنصرها، ورداءة نشئتها، وجرها الحقد إلى القول بأن أبا طالب (ع) مات كافراً؟!! وإن تعجب فعجب قولهم: أبو طالب يموت كافراً؟!!

أبو طالب الذي يقول:

ولقد علمت بأنّ دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

يموت كافراً؟

أبو طالب الذي يقول:

ليعلم خيار الناس أنّ محمداً ... وزير لموسى والمسيح بن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به ... فكلّ بأمر الله يهدي ويعصم

يا لله ويال للعجب قائل هذا يموت كافراً؟

أبو طالب الذي يقول:

الا تعلموا أنا وجدنا محمداً ... رسولاً كموسى خط في اول الكتب

ويقول مخاطباً رسول الله (ص):

أنت النبي محمد ... قرم أغر مسود

=

= ويقول:

قل لمن كان من كنانة في العز وأهل الندى وأهل المعالي
قد أتاكم من المليك رسول فاقبلوه بصالح الأعمال

ويقول:

فخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترة

وهو الذي يقول:

لقد أكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

ويقول:

صدق ابن آمنة النبي محمد فتميزوا غيظاً به وتقطعوا
ان ابن آمنة النبي محمد سيقوم بالحق الجلي ويصدق

أبو طالب الذي يقول:

يا شاهد الله عليّ فاشهد آمنت بالواحد رب أحمد
من ظلّ في الدين فاني مهتدي

كل هذا وأبو طالب مات كافراً.

اذا كان الايمان بالتوحيد والاقرار بنبوة محمد لا تكفي في إيمان الرجل، ويكون معتقدها والمقر بها كافراً، فما هو الاسلام؟؟

إذا كان الذب عن الرسول والاعتراف بنبوته كفراً فما هو الاسلام؟ طبعاً يقول لسان حال تلك العصابة في الجواب:

الايمان أن تتمكن في نفسك مبادىء أبي سفيان، وتؤمن بالذي يحلف به أبو سفيان، وتقول كما قال: «ما من جنة ولا نار»

أبو طالب مات كافراً، وأبو سفيان مات مسلماً.
هكذا يقولون كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا.
ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا.
وإنهم ليقولون منكراً من القور وزوراً.

أبو سفيان الذي حزب الأحزاب ضد النبي (ص) والذي ما قامت راية كفر لحرب رسول الله (ص) الا وهو قائدها وناعقها، والذي لم يزل يعلن الحرب والعداء لمحمد، ودين محمد، وإله محمد، وكتاب محمد، حتى فتح مكة فدخل الاسلام عليه رغم أنفه، ولم يدخل في قلبه، وأظهر الإسلام وأبطن الكفر، على العكس مما كان عليه أبو طالب تماماً.

أبو سفيان الذي أصر على محو اسم محمد رسول الله يوم صلح الحديبية يموت مسلماً وأبو طالب الذي يعترف برسالة محمد ويقول: هو رسول كموسى وعيسى يموت كافراً.

أبو سفيان الذي يقول ـ حين انتهت إليهم الخلافة بمحضر من عثمان ـ :
يا بني امية تلقفوها تلقف الكرة؛ والذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار يموت مسلماً، والذي يعترف بالبعث والنشور يموت كافراً.

روي عن ابن عباس قال: والله ما كان أبو سفيان الا منافقاً، ولقد كنا في محفل فيه أبو سفيان وقد كف بصره، وفينا عليّ (ع)، فأذن المؤذن فلما قال: أشهد أنّ محمداً رسول الله (ص)، قال: هاهنا من يحتشم؟ قال واحد من القوم: لا. قال: لله در أخي هاشم انظروا أين وضع اسمه، فقال عليّ (ع): أسخن الله عينيك يا أبا سفيان الله فعل ذلك بقوله عز من قائل: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ فقال =

احتجاجه (ع) على من قال بزوال الادواء بمداوات الاطباء دون الله سبحانه وعلى من قال بأحكام النجوم من المنجمين وغيرهم من الكهنة والسحرة.

وبالاسناد المقدم ذكره عن أبي محمّد العسكري عن علي بن الحسين زين العابدين (ع) أنه قال: كان امير المؤمنين (ع) قاعداً ذات يوم، فأقبل إليه رجل من اليونانيين المدعين للفلسفة والطب، فقال له:

يا أبا الحسن بلغني خبر صاحبك وأنّ به جنوناً، وجئت لاعالجه فلحقته قد مضى لسبيله، وفاتني ما أردت من ذلك، وقد قيل لي أنك ابن عمه وصهره وأرى بك صفاراً قد علاك، وساقين دقيقين، ولما أراهما تقلانك، فأما الصفار فعندي دواؤه وأما الساقان الدقيقان فلا حيلة لي لتغليظهما، والوجه أن ترفق بنفسك في المشي تقلله ولا تكثره، وفيما تحمله على ظهرك وتحتضنه بصدرك، أن تقللهما ولا تكثرهما فان ساقيك دقيقان لا يؤمن عند حمل ثقيل انقصافهما، واما الصفار فدواؤه عندي وهو هذا، وأخرج دواءه وقال:

=أبو سفيان: أسخن الله عين من قال: ليس هاهنا من يحتشم.

والعجيب أنهم يقولون عنه أنه مات مسلماً، وأبو طالب مات كافراً.

لعنوا بما قالوا، نحن أعلم بما يقولون، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فاصبر على ما يقولون.

وأكثر من هذا عجباً، وأبعد منه غرابة، ما لفقته تلك العصابة، وافترته على الرسول من أنه (ص) ـ وحاشاه ـ قال عنه أنه في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، وأنه منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه.

ولا أدري وليتني أبداً لا أدري لماذا يستحق أبو طالب هذا العذاب؟

ألأنه دافع عن رسول الله (ص) أم هو الحقد، والبغض لابن أبي طالب الذي

لعنته بالشام سبعين عاماً لعن الله كهلها وفتاها

ثم هل تريد أن أزيدك وأزودك من أمثال هذه الأضاليل والأباطيل، فأذكر لك ما رواه الزهري عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: كنت عند رسول الله (ص) إذ أقبل العباس وعلي فقال: يا عائشة إنّ هذين يموتان على غير ملتي، أو قال: ديني

وفي أُخرى بنفس السند عنها أيضاً قالت كنت عند النبي فقال: يا عائشة إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا، فنظرت فاذا العباس وعلي بن أبي طالب.

أسمعت هذا وبعد فهلا ترفع يدك إلى الدعاء وتقول معي:

«اللهم أدخلني النار التي يقطن فيها علي بن أبي طالب، واجعلني في الضحضاح الذي فيه أبو طالب، ولا تدخلني الجنة التي يدخل فيها أبو سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية فسلام على تلك النار، ولعنة الله على هذه الجنة».

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وذاك بيثرب خاض الحماما
فلله ذا فاتحاً للهدى ولله ذا للمعالي ختاما

توفي سلام الله عليه في (٢٦) رجب في آخر السنة العاشرة من مبعث النبي (ص) ورثاه امير المؤمنين (ع) بقوله:

أبا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلم
لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ فصلّى عليك ولي النعم
ولقاك ربك رضوانه فقد كنت للطهر من خير عم

هذا لا يؤذيك ولا يخيسك[١] ولكنه تلزمك حمية من اللّحم أربعين صباحاً ثم يزيل صفارك.

فقال له علي بن أبي طالب (ع) : قد ذكرت نفع هذا الدّواء لصفاري فهل تعرف شيئاً يزيد فيه ويضره؟ فقال الرجل : بلى حبة من هذا ـ وأشار إلى دواء معه ـ وقال: إن تناوله إنسان وبه صفار أماته من ساعته، وإن كان لا صفار به صار به صفار حتى يموت في يومه.

فقال علي (ع) فأرني هذا الضار، فأعطاه إياه.

فقال له: كم قدر هذا؟ قال: قدره مثقالين سم ناقع، قدر كل حبة منه يقتل رجلاً..

فتناوله علي (ع) فقمحه[٢] وعرق عرقاً خفيفاً، وجعل الرجل يرتعد ويقول في نفسه: الآن اوخذ بابن أبي طالب، ويقال: قتلته ولا يقبل مني قولي إنّه هو الجاني على نفسه.

فتبسم علي بن أبي طالب(ع)وقال: يا عبد الله أصح ما كنت بدناًالآن لم يضرني ما زعمت أنه سم.

ثم قال: فغمض عينيك، فغمض، ثم قال: افتح عينيك ففتح، ونظر إلى وجه علي بن أبي طالب (ع) فإذا هو أبيض أحمر مشرب حمرة فارتعد الرجل لما رآه وتبسم عليّ (ع) وقال : أين الصفار الذي زعمت أنه بي .

فقال: والله لكأنك لست من رأيت، قبل كنت مضاراً، فانك الآن مورد.

فقال عليّ (ع) : فزال عني الصفار الذي تزعم أنه قاتلي.

وأما ساقاي هاتان ومد رجليه وكشف عن ساقيه، فانك زعمت أنّي أحتاج إلى أن أرفق ببدني في حمل ما أحمل عليه، لئلا ينقصف الساقان،[٣] وأنا أريك أنّ طب الله عز وجل على خلاف طبك، وضرب بيده إلى اسطوانة خشب عظيمة، على رأسها سطح مجلسه الذي هو فيه، وفوقه حجرتان، إحداهما فوق الأُخرى وحركها فاحتملها، فارتفع السطح والحيطان وفوقهما الغرفتان، فغشي على اليوناني.

فقال علي (ع) : صبوا عليه ماءً فصبوا عليه ماءً فأفاق وهو يقول: والله ما رأيت كاليوم عجباً.

فقال له علي (ع) : هذه قوة الساقين الدقيقين واحتمالهما أفي طبك هذا يا يوناني؟

فقال اليوناني: أمثلك كان محمّد؟

فقال علي (ع) : وهل علمي إلا من علمه، وعقلي إلا من عقله، وقوتي إلا من قوته، ولقد أتاه ثقفي وكان أطب العرب، فقال له:

إن كان بك جنون داويتك؟

(١) أي لا ينقصك كناية عن عدم النفع.

(٢) قمحت السويق ـ بالكسر اذا سففته.

(٣) أي : تنكسر.

فقال له محمّد (ص): أتحب أن أريك آية تعلم بها غناي من طبك وحاجتك إلى طبي؟ قال: نعم.

قال أي آية تريد؟

قال: تدعو ذلك العذق ـ وأشار إلى نخلة سحوق ـ فدعاه، فانقلع أصلها من الأرض وهي تخد الأرض خداً حتى وقفت بين يديه.

فقال له: أكفاك؟ قال: لا.

قال: فتريد ماذا؟ قال: تأمرها أن ترجع إلى حيث جاءت منه، وتستقر في مقرها الذي انقلعت منه.

فأمرها، فرجعت، واستقرت في مقرها.

فقال اليوناني ـ لأمير المؤمنين (ع) ـ: هذا الذي تذكره عن محمّد (ص) غائب عني، وأنا أُريد أن أقتصر منك على أقل من ذلك، أتباعد عنك فادعني وأنا لا أختار الاجابة، فان جئت بي إليك فهي آية.

قال أمير المؤمنين (ع): إنما يكون آية لك وحدك، لأنك تعلم من نفسك أنك لم ترده، وأني أزلت اختيارك من غير أن باشرت مني شيئاً، أو ممن أمرته بأن يباشرك، أو ممن قصد إلى اختيارك وإن لم آمره، الا ما يكون من قدرة الله القاهرة، وأنت يا يوناني يمكنك أن تدعي ويمكن غيرك أن يقول: أنّي واطأتك على ذلك، فاقترح إن كنت مقترحاً ما هو آية لجميع العالمين.

قال له اليوناني: إن جعلت الاقتراح أليّ فأنا أقترح: أن تفصل أجزاء تلك النخلة، وتفرقها وتباعد ما بينها، ثم تجمعها وتعيدها كما كانت.

فقا علي (ع): هذه آية وأنت رسولي إليها ـ يعني إلى النخلة ـ فقل لها: إنَّ وصيّ محمّد رسول الله يأمر أجزاءك: أن تتفرق وتتباعد.

فذهب فقال لها ذلك، فتفاصلت، وتهافتت، وتنثرت، وتصاغرت أجزاؤ ها حتى لم ير لها عين ولا أثر، حتى كأن لم تكن هناك نخلة قط.

فارتعدت فرائص اليوناني وقال: يا وصي محمّد رسول الله، قد أعطيتني اقتراحي الأول، فأعطني الآخر، فأُمُرها أن تجتمع وتعود كما كانت، فقال: أنت رسولي إليها فعد فقل لها: يا أجزاء النخلة إنَّ وصي محمّد رسول الله يأمرك أن تجتمعي كما كنت وأن تعودي.

فنادى اليوناني فقال ذلك، فارتفعت في الهواء كهيئة الهباء المنثور، ثم جعلت تجتمع جزو جزو منها، حتى تصور لها القضبان، والأوراق، وأُصول السعف وشماريخ الأعذاق، ثم تألفت، وتجمعت، وتركبت، واستطالت، وعرضت، واستقر أصلها في مقرها، وتمكن عليها ساقها، وتركب على الساق قضبانها، وعلى القضبان أوراقها، وفي أمكنتها أعذاقها، وكانت في الابتداء شماريخها متجردة لبعدها من أوان الرطب، والبسر، والخلال.

فقال اليوناني: وأُخرى أُحب أن تخرج شماريخها أخلالها، وتقلبها من خضرة إلى صفرة وحمرة، وترطيب وبلوغ، لتأكل وتطعمني ومن حضرك منها.

فقال علي (ع): أنت رسولي إليها بذلك، فمرها به.

فقال لها اليوناني: ما أمره امير المؤمنين (ع) فأخلّت، وأبسرت، واصفرت واحمرت، وترطبت، وثقلت أعذاقها برطبها.

فقال اليوناني: وأُخرى أُحبها أن تقرب من بين يدي أعذاقها، أو تطول يدي لتنالها، وأحب شيء إليَّ: أن تنزل إليّ إحداهما، وتطول يدي إلى الأُخرى التي هي أُختها.

فقال أمير المؤمنين (ع): مد اليد التي تريد أن تنالها وقل: يا مقرِّب البعيد قرب يدي منها، واقبض الأُخرى التي تريد أن ينزل العذق إليها وقل: يا مسهل العسير سهل لي تناول ما يبعد عني منها.

ففعل ذلك فقاله، فطالت يمناه فوصلت الى العذق، وانحطت الأعذاق الأُخر فسقطت على الأرض وقد طالت عراجينها.

ثم قال امير المؤمنين (ع) إنك إن أكلت منها ولم تؤمن بمن أظهر لك من عجائبها، عجل الله عز وجل إليك من العقوبة التي يبتليك بها ما يعتبر به عقلاء خلقه وجهاله.

فقال اليوناني: إنّي إن كفرت بعد ما رأيت فقد بالغت في العناد، وتناهيت في التعرض للهلاك، أشهد أنك من خاصة الله، صادق في جميع أقاويلك عن الله فائمرني بما تشاء أُطعك.

قال علي (ع): آمرك: أن تقر لله بالوحدانية، وتشهد له بالجود والحكمة وتنزهه عن العبث والفساد، وعن ظلم الإماء والعباد، وتشهد أنَّ محمّداً الذي أنا وصيه سيد الأنام، وأفضل رتبة في دار السلام، وتشهد أنّ عليّاً الذي أراك ما أراك، وأولاك من النعم ما أولاك، خير خلق الله بعد محمّد رسول الله، وأحق خلق الله بمقام محمّد (ص) بعده، وبالقيام بشرايعه وأحكامه، وتشهد أنَّ أولياءه أولياء الله، وأعداءه أعداء الله، وأنَّ المؤمنين المشاركين لك فيما كلفتك، المساعدين لك على ما أمرتك به، خير أُمة محمّد (ص)، وصفوة شيعة علي.

وآمرك: أن تواسي إخوانك المطابقين لك على تصديق محمّد (ص) وتصديقي والانقياد له ولي، مما رزقك الله وفضلك على من فضلك به منهم، تسد فاقتهم، وتجبر كسرهم وخلتهم، ومن كان منهم في درجتك في الإيمان ساويته من مالك بنفسك، ومن كان منهم فاضلاً عليك في دينك آثرته بمالك على نفسك، حتى يعلم الله منك أنَّ دينه آثر عندك من مالك، وأنَّ أولياءه أكرم عليك من أهلك وعيالك.

وآمرك: أن تصون دينك، وعلمنا الذي أودعناك، وأسرارنا التي حملناك ولا تبد علومنا لمن يقابلها بالعناد، ويقابلك من أهلها بالشتم، واللعن، والتناول من العرض والبدن، ولا تفش سرّنا إلى من يشنع علينا، وعن الجاهلين بأحوالنا ولا تعرض أولياءنا لبوادر الجهال.

وآمرك: أن تستعمل التقية في دينك، فان الله عزَّ وجل يقول: **﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾**[1] وقد أذنت لك في تفضيل أعدائنا إن لجأك الخوف إليه وفي إظهار البراءة منا إن حملك الوجل عليه، وفي ترك الصلاة المكنونات إن خشيت على حشاشتك[2] الآفات والعاهات، فان تفضيلك أعداءَنا علينا عند خوفك لا ينفعهم ولا يضرنا، وإنَّ إظهارك براءتك منا عند تقيتك لا يقدح فينا ولا ينقصنا، ولان تبرأت منا ساعة بلسانك وأنت موال لنا بجنانك لتبقي على نفسك روحها التي بها قوامها، ومالها الذي به قيامها، وجاهها الذي به تماسكها، وتصون من عرف بذلك وعرفت به من أوليائنا وإخواننا من بعد ذلك بشهور وسنين إلى أن يفرّج الله تلك الكربة، وتزول به تلك الغمة، فإنّ ذلك أفضل من أن تتعرض للهلاك، وتنقطع به عن عمل الدين وصلاح إخوانك المؤمنين، وإياك ثم إياك أن تترك التقية التي أمرتك بها، فانك شائط بدمك ودم إخوانك، معرض لنعمتك ونعمهم على الزوال مذل لك ولهم في أيدي أعداء دين الله، وقد آمرك الله باعزازهم، فانك إن خالفت وصيتي كان ضررك على نفسك وإخوانك أشد من ضرر المناصب لنا، الكافر بنا.

وعن سعيد بن جبير[3] قال: استقبل أمير المؤمنين (ع) دهقان من دهاقين الفرس فقال له ـ بعد التهنية ـ :

يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات، وتناحست السعود بالنحوس، واذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء، ويومك هذا صعب، قد اتصلت فيه كوكبان، وانقدح من برجك النيران، وليس لك الحرب بمكان، فقال امير المؤمنين (ع): ويحك يا دهقان المنبىء بآثار، والمحذر من الاقدار، ما قصة صاحب الميزان، وقصة صاحب السرطان، وكم المطالع من الأسد والساعات في

---

(١) آل عمران ـ ٢٨.

(٢) الحشاشة: بقية الروح في المريض.

(٣) سعيد بن جبير ـ بالجيم المضمومة ـ بن هشام الأسدي الوالبي مولى بني والبة أصله الكوفة نزل مكة تابعي.

عدّه الشيخ الطوسي في أصحاب الإمام زين العابدين (ع) والعلامة في القسم الأول من خلاصته، روي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: إن سعيد بن جبير كان يأتم بعلي بن الحسين(ع) وكان علي (ع) يثني عليه، وما كان سبب قتل الحجاج له الا على هذا الأمروكان مستقيماً، وذكر أنه لما دخل على الحجّاج بن يوسف قال له: أنت شقي بن كسير قال: أُمي كانت أعرف باسمي سمتني «سعيد بن جبير». قال: ما تقول في أبي بكر وعمر هما في الجنة أو النار؟ قال: لو دخلت الجنة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها، ولو دخلت النار ورأيت أهلها لعلمت من فيها، قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل، قال: أيهم أحب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي؛ قال: فأيهم أرضى للخالق قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرّهم ونجواهم، قال: أبيت أن تصدقني قال: بل لم احب أن اكذبك.

وكان ثقة مشهوراً بالفقه، والزهد والعبادة وعلم التفسير وكان أخذ العلم عن ابن عباس، وكان ابن عباس اذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أُم الدهماء؟ يعني: سعيد بن جبير، وكان يسمى جهبذ العلماء (بالكسر ـ أي النقاد الخبير) وكان يقرأ القرآن في ركعتين، قيل: وما من أحد على الأرض إلا وهو محتاج إلى علمه. قتله الحجاج سنة «٩٥» وهو ابن «٤٩» سنة ولم يبق بعده الحجاج الا «١٥» ليلة، ولم يقتل أحداً بعده لدعائه عليه حين قتله: «اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي».

رجال الطوسي ص ٩٠ العلامة ص ٧٩ الكشي ص ١١٠ تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١١ سفينة البحار ج ١ ص ٦٢١.

المحركات، وكم بين السراري والذراري؟

قال: سأنظر - وأومى بيده الى كمه واخرج منه اصطرلاباً ينظر فيه - .

فتبسم علي (ع) وقال: أتدري ما حدث البارحة؟ وقع بيت بالصين، وانفرج برج ماجين، وسقط سور سرنديب، وانهزم بطريق الروم بأرمينية، وفقد ديان اليهود بابلة، وهاج النمل بوادي النمل، وهلك ملك افريقية، أكنت عالماً بهذا؟

قال: لا، يا امير المؤمنين.

فقال البارحة سعد سبعون الف عالم، وولد في كل عالم سبعون ألفاً، والليلة يموت مثلهم، وهذا منهم - وأومى بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي «لعنه الله» وكان جاسوساً للخوارج في عسكر امير المؤمنين (ع) - فظنّ الملعون: أنه يقول: خذوه، فأخذ بنفسه فمات، فخر الدهقان ساجداً.

فقال له امير المؤمنين (ع): ألم أروك من عين التوفيق؟

قال: بلى، يا امير المؤمنين.

فقال امير المؤمنين (ع): أنا وأصحابي لا شرقيون ولا غربيون، نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك، وأما قولك انقدح من برجك النيران، فكان الواجب عليك أن تحكم لي به لا علي، أما نوره وضياؤه فعندي، وأما حريقه ولهبه فذاهب عني، وهذه مسألة عميقة إحسبها إن كنت حاسباً.

وروي أنه (ع) لما أراد المسير إلى الخوارج، قال له بعض أصحابه: إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم.

فقال (ع): أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء وتخوف الساعة التي من سار فيها حاق به الضر، فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه، وينبغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه، لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن الضر.

أيها الناس إياكم وتعلم النجوم، إلا ما يهتدى به في بر أو بحر، فانه يدعو الى الكهانة، المنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار. سيروا على اسم الله وعونه، ومضى فظفر بمراده صلوات الله عليه.

* * *

احتجاجه (ع) على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة، تحتاج إلى التأويل، على أنها تقتضي التناقض والاختلاف فيه، وعلى أمثاله في أشياء اخرى.

جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين علي (ع) وقال له: لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض

لدخلت في دينكم.

فقال له (ع) : وما هو؟

قال: قوله تعالى: ﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾[١] وقوله: ﴿**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**﴾[٢] وقوله: ﴿**وما كان ربك نسيّاً**﴾[٣] وقوله: ﴿**يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**﴾[٤] وقوله: ﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿**يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا**﴾[٦] وقوله: ﴿**إنَّ ذلك لحق تخاصم أهل النار**﴾[٧] وقوله: ﴿**لا تختصموا لدي**﴾[٨] وقوله: ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾[٩] وقوله تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة**﴾[١٠] وقوله: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾[١١] وقوله: ﴿**ولقد رآه نزلة أُخرى عند سدرة المنتهى**﴾[١٢] وقوله: ﴿**لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرّحمن وقال صواباً**﴾ الآيتين[١٣] وقوله: ﴿**ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً**﴾[١٤] وقوله: ﴿**كلا إنهم يومئذ لمحجوبون**﴾[١٥] وقوله: ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك**﴾[١٦] وقوله: ﴿**بل هم بلقاء ربِّهم كافرون**﴾[١٧] وقوله: ﴿**فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه**﴾[١٨] وقوله: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه**﴾[١٩] وقوله: ﴿**ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها**﴾[٢٠] وقوله: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾[٢١] وقوله: ﴿**فمن ثقلت موازينه، ومن خفت موازينه**﴾[٢٢].

فقال له امير المؤمنين (ع) فأما قوله تعالى: ﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾ إنما يعني نسوا الله في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة أي: لم يجعل لهم من ثوابه شيئاً، فصاروا منسيين من الخير، وكذلك تفسير قوله عز وجل: ﴿**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**﴾ يعني بالنسيان: أنه لم يثبهم كما يثيب أولياءه، والذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسوله وخافوه بالغيب.

وأما قوله: ﴿**وما كان ربك نسياً**﴾ فان ربك تبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذي ينسى، ولا يغفل، بل هو الحفيظ العليم، وقد تقول العرب: نسينا فلان فلا يذكرنا: أي أنه لا يأمر لهم بخير، ولا يذكرهم به.

---

(١) التوبة - ١٩٧.

(٢) الأعراف - ٥١ .

(٣) مريم - ٦٤ .

(٤ - النبأ - ٣٨ .

(٥) الأنعام - ٢٣ .

(٦) العنكبوت - ٢٥.

(٧) ص - ٦٤ .

(٨) ق ٢٨ .

(٩) يس - ٦٥ .

(١٠) القيامة - ٢٢ .

(١١) الأنعام - ١٠٣ .

(١٢) النجم - ١٤ .

(١٣) النبأ - ٣٨ .

(١٤) الشورى - ٥١

(١٥) المطففين - ١٥ .

(١٦) الأنعام - ١٥٨ .

(١٧) السجدة - ١٠ .

(١٨) التوبة - ٧٧ .

(١٩) الكهف - ١١٠ .

(٢٠) الكهف - ٥٣ .

(٢١) الأنبياء - .

(٢٢) المؤمنون - و١٠٣ .

قال علي (ع) : وأما قوله عز وجل: ﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلَّمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً**﴾ وقوله: ﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾ وقوله عز وجل: ﴿**يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً**﴾ وقوله عز وجل يوم القيامة: ﴿**إنَّ ذلك لحق تخاصم أهل النار**﴾ وقوله: ﴿**لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد**﴾ وقوله: ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾ فان ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة، المراد، يكفر أهل المعاصي بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً، والكفر في هذه الآية: «البراءة» يقول: فيبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة إبراهيم قول الشيطان: ﴿**إني كفرت بما أشركتمون من قبل**﴾ وقول إبراهيم خليل الرحمن: ﴿**كفرنا بكم**﴾ يعني تبرأنا منكم.

ثم يجتمعون في مواطن أُخر يبكون فيها، فلو أنَّ تلك الأصوات فيها بدت لأهل الدنيا لأزالت جميع الخلق عن معايشهم، وانصدعت قلوبهم إلا ما شاء الله ولا يزالون يبكون حتى يستنفذوا الدموع، ويفضوا إلى الدماء.

ثم يجتمعون في مواطن أُخر فيستنطقون فيه، فيقولون: ﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾ وهؤلاء خاصة هم: المقرّون في دار الدنيا بالتوحيد، فلا ينفعهم إيمانهم بالله لمخالفتهم رسله، وشكهم فيما اتوا به عن ربهم ونقضهم عهودهم في أوصيائهم واستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير، فكذبهم الله فيما انتحلوه من الايمان بقوله: ﴿**انظر كيف كذبوا على أنفسهم**﴾ فيختم الله على أفواههم، ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود، فتشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم: لم شهدتم علينا؟ قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كلَّ شيء.

ثم يجتمعون في موطن آخر فيفر بعضهم من بعض لهول ما يشاهدونه من صعوبة الأمر، وعظم البلاء فذلك قوله عز وجل: ﴿**يوم يفر المرء من أخيه وأُمه وأبيه وصاحبته وبنيه..**﴾ الآية.

ثم يجتمعون في موطن آخر يستنطق فيه أولياء الله وأصفياؤه، فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرَّحمن وقال صواباً، فيقام الرسل فيسألون عن تأدية الرسالة التي حملوها إلى أُممهم، وتسئل الأُمم فتجحد كما قال الله تعالى: ﴿**فلنسئلنَّ الذين أُرسل إليهم ولنسئلنَّ المرسلين**﴾ فيقولون: ﴿**ما جاءنا من بشير ولا نذير**﴾ فتشهد الرسل رسول الله (ص) فيشهد بصدق الرسل، وتكذيب من جحدها من الأُمم، فيقول - لكلِّ أُمة منهم -: ﴿**بلى قد جاءكم بشير ونذير والله على كلِّ شيءٍ قدير**﴾ أي: مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل إليكم رسالاتهم، كذلك قال الله - لنبيِّه -: «فكيف إذا جئنا من كلِّ أُمة بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» فلا يستطيعون رد شهادته، خوفاً من أن يختم الله على أفواههم، وأن تشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون، ويشهد على منافقي قومه، وأُمته، وكفارهم بالحادهم، وعنادهم، ونقضهم عهده، وتغييرهم سنه، واعتدائهم على أهل بيته، وانقلابهم على أعقابهم، وارتدادهم على أدبارهم، واحتذائهم في ذلك سنة من تقدمهم من الأُمم الظالمة، الخائنة لأنبيائها، فيقولون بأجمعهم: ﴿**ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ظالمين**﴾.

ثم يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمّد (ص) وهو : (المقام المحمود) فيثني على الله بما لم يثن عليه أحد قبله، ثم يثني على الملائكة كلهم، فلا يبقى ملك إلا أثنى عليه محمّد، ثم يثني على الأنبياء بما لم يثن عليهم أحد قبله، ثم يثني على كلِّ مؤمن ومؤمنة، يبدأ بالصديقين والشهداء، ثم الصالحين، فيحمده أهل السماوات وأهل الأرضين، فذلك قوله تعالى: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾ فطوبى لمن كان له في ذلك المكان حظ ونصيب، وويل لمن لم يكن له في ذلك المقام حظ ولا نصيب.

ثم يجتمعون في موطن آخر ويزال بعضهم عن بعض، وهذا كله قبل الحساب فاذا اخذ في الحساب شغل كل إنسان بما لديه، نسأل الله بركة ذلك اليوم.

قال علي (ع) : وأما قوله: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عز وجل، بعدها يفرغ من الحساب، إلى نهر يسمى: «نهر الحيوان» فيغتسلون منه. ويشربون من آخر فتبيض وجوههم، فيذهب عنهم كل أذى وقذى ووعث، ثم يؤمرون بدخول الجنة، فمن هذا المقام ينظرون إلى ربهم كيف يثيبهم، ومنه يدخلون الجنة فذلك قول الله عز وجل - في تسليم الملائكة عليهم - : ﴿**سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾ فعند ذلك قوله تعالى: أثيبوا بدخول الجنة والنظر إلى ما وعدهم الله عز وجل، فلذلك قوله تعالى: ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ والناظرة في بعض اللغة هي : المنتظرة، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿**فناظرة بم يرجع المرسلون**﴾ أي: منتظرة بم يرجع المرسلون؟ وأما قوله: ﴿**ولقد رآه نزلة أُخرى عند سدرة المنتهى**﴾ يعني : محمّداً كان عند سدرة المنتهى حيث لا يجاوزها خلق من خلق الله عز وجل، وقوله - في آخر الآية - : ﴿**ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾ رأى جبرئيل في صورته مرتين: هذه مرة ومرة أُخرى، وذلك أنّ خلق جبرئيل خلق عظيم، فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم، ولا صفتهم الا الله رب العالمين.

قال علي (ع) : وأما قوله: ﴿**ما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء**﴾ كذلك قال الله تعالى: قد كان الرسول يوحي إليه رسل من السماء فتبلغ رسل السماء إلى الأرض، وقد كان الكلام بين رسل أهل الأرض وبينه من غير أن يرسل بالكلام مع رسل أهل السماء، وقد قال رسول الله (ص) : «يا جبرئيل هل رأيت ربك؟» فقال جبرئيل «إنَّ ربي لا يُرى».

فقال رسول الله (ص) : «من أين تأخذ الوحي؟» قال: «آخذه من إسرافيل» قال: «ومن أين يأخذه إسرافيل؟» قال: «يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين» قال: «ومن أين يأخذ ذلك الملك؟» قال: «يقذف في قلبه قذفاً».

فهذا وحي، وهو كلام الله عز وجل، وكلام الله ليس بنحو واحد ، منه: ما كلم الله به الرسل، ومنه: ما قذف في قلوبهم، ومنه: رؤياً يراها الرسل، ومنه: وحي وتنزيل يتلى ويقرأ فهو كلام الله عز وجل.

قال علي (ع) : وأما وقوله: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ فانما يعني به يوم القيامة عن

ثواب ربهم لمحجوبون. وقوله تعالى: ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك**﴾ يخبر محمّداً عن المشركين والمنافقين، الذين لم يستجيبوا لله ولرسوله. فقال: ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة**﴾ وحيث لم يستجيبوا لله ولرسوله، ﴿**أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك**﴾ يعني بذلك: العذاب، يأتيهم في دار الدنيا كما عذب القرون الأُولى، فهذا خبر يخبر به النبي (ص) عنهم، ثم قال: ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل**﴾ الآية يعني: لم تكن آمنت من قبل أن تأتي هذه الآية، وهذه الآية هي: طلوع الشمس من مغربها، وقال ـ في آية أُخرى ـ: ﴿**فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا**﴾ يعني: أرسل عليهم عذاباً، وكذلك إتيانه بنيانهم حيث قال: ﴿**فأتى بنيانهم من القواعد**﴾ يعني: أرسل عليهم العذاب.

قال علي (ع): وأما قوله عز وجل: ﴿**بل هم بلقاء ربهم كافرون**﴾ وقوله: ﴿**الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم**﴾ وقوله: ﴿**إلى يوم يلقونه**﴾ وقوله: ﴿**فمن كان يرجو لقاءَ ربه فليعمل عملاً صالحاً**﴾ يعني: البعث، فسماه ار لقاءً، كذلك قوله: ﴿**من كان يرجو لقاءَ الله فإنَّ أجل الله لآت**﴾ يعني: من كان يؤمن أنه مبعوث فان وعد الله لآت: من الثواب، والعقاب، فاللّقاء هاهنا ليس بالرؤية، واللّقاء هو البعث، وكذلك: ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام**﴾ يعني: أنه لا يزول الايمان عن قلوبهم يوم يبعثون.

قال علي (ع): وأما قوله عز وجل: ﴿**ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها**﴾ يعني: تيقنوا أنهم يدخلونها، وكذلك قوله: ﴿**إنّي ظننت أنّي ملاقٍ حسابيه**﴾ وأما قوله عز وجل ـ للمنافقين ـ: ﴿**ويظنون بالله الظنونا**﴾ فهو ظنّ شك وليس ظنّ يقين، والظن ظنان: ظن شك، وظن يقين، فما كان من أمر المعاد من الظن فهو ظن يقين، وما كان من أمر الدنيا فهو ظن شك.

قال علي (ع): وأما قوله عز وجل: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً**﴾ فهو: ميزان العدل، يؤخذ به الخلايق يوم القيامة بدين الله تبارك وتعالى، الخلايق بعضهم من بعض، ويجزيهم بأعمالهم ويقتص للمظلوم من الظالم، ومعنى قوله: ﴿**فمن ثقلت موازينه، ومن خفت موازينه**﴾ فهو: قلة الحساب وكثرته، والناس يومئذ على طبقات ومنازل، فمنهم: من يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً، ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، لأنهم لم يتلبسوا من أمر الدنيا، وإنما الحساب هناك على من تلبس بها هاهنا، ومنهم من يحاسب على النقير والقطمير ويصير إلى عذاب السعير، ومنهم أئمة الكفر وقادة الضلالة فأولئك لا يقيم لهم وزناً، ولا يعبؤ بهم بأمره ونهيه يوم القيامة، وهم في جهنم خالدون، وتلفح وجوههم النار، وهم فيها كالحون.

ومن سؤال هذا الزنديق أن قال: أجد الله يقول: ﴿**قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم**﴾[١].

ومن موضع آخر يقول: ﴿**والله يتوفَّى الأنفس حين موتها**﴾[٢] ﴿**والذين تتوفاهم الملائكة**

---

(١) السجدة ـ ١١.　(٢) الزمر ـ ٤٢.

طيبين﴾[١] وما أشبه ذلك: فمرة يجعل الفعل لنفسه، ومرة لملك الموت، ومرة للملائكة.

وأجده يقول: ﴿**ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه**﴾[٢] ويقول: ﴿**وإنّي لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى**﴾[٣] أعلم في الآية الأُولى: أنّ الأعمال الصالحة لا تكفر، وأعلم في الثانية: أنَّ الايمان والأعمال الصالحات لا تنفع الا بعد الاهتداء.

وأجده يقول: ﴿**واسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا**﴾[٤] فكيف يسأل الحي من الأموات قبل البعث والنشور.

وأجده يقول: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً**﴾[٥] فما هذه الأمانة ومن هذ الإنسان؟ وليس من صفته العزيز العليم التلبيّس على عباده.

وأجده قد شهر هفوات أنبيائه بقوله: ﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾[٦] وبتكذيبه نوحاً لما قال: ﴿**إنّ ابني من أهلي**﴾[٧] بقوله: ﴿**إنه ليس من أهلك**﴾[٨] وبوصفه إبراهيم: بأنه عبد كوكباً مرّة، ومرّة قمراً، ومرّة شمساً، وبقوله في يوسف: ﴿**ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه**﴾[٩] وبتهجينه موسى حيث قال: ﴿**رب أرني أنظر إليك قال لن تراني**﴾ الآية[١٠] وببعثه على داوود جبرئيل وميكائيل حيث تسور المحراب، وبحبسه يونس في بطن الحوت حيث ذهب مغضباً وأظهر خطأ الأنبياء وزللهم، ووارى اسم من اغتر وفتن خلقاً وضل وأضل، وكنى عن أسمائهم في قوله: ﴿**ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جائني**﴾[١١] فمن هذا الظالم الذي لم يذكر من اسمه ما ذكر من أسماء الأنبياء؟

وأجده يقول: ﴿**وجاءَ ربك والملك صفاً صفاً**﴾[١٢] ﴿**وهل ينظرون إلا أن يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك**﴾[١٣] ﴿**ولقد جئتمونا فرادى**﴾[١٤] فمرة يجيئهم، ومرة يجيئونه.

وأجده يخبر: أنه يتلو نبيه شاهد منه، وكان الذي تلاه عبد الأصنام برهة من دهره.

وأجده يقول: ﴿**ولتسئلنَّ يومئذ عن النَّعيم**﴾[١٥] فما هذا النعيم الذي يسأل العباد عنه؟

وأجده يقول: ﴿**بقية الله خير لكم**﴾[١٦] ما هذه البقية؟

---

(١) النحل - ٣٢ .
(٢) الأنبياء - ٩٤ .
(٣) طه - ٨٢ .
(٤) الزخرف - ٤٥ .
(٥) الأحزاب - ٧٢ .
(٦) طه - ١٢١ .
(٧) هود - ٤٥ .
(٨) هود - ٤٦ .
(٩) يوسف - ٢٤ .
(١٠) الأعراف - ١٤٣ .
(١١) الفرقان - ٢٧ .
(١٢) الفجر - ٣٢ .
(١٣) الأنعام - ١٥٨ .
(١٤) الأنعام - ٩٤ .
(١٥) التكاثر - ٨ .
(١٦) هود - ٨٦ .

وأجده يقول: ﴿يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله﴾ ﴿وأينما تولوا فثم وجه الله﴾[١] ﴿وكلّ شيء هالك الا وجهه﴾[٢] ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾[٣] ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾[٤] ما معنى: الجنب، والوجه واليمن، والشمال؟ فإنّ الأمر في ذلك ملتبس جداً؟

وأجده يقول: ﴿الرَّحمن على العرش استوى﴾[٥] ويقول: ﴿أأمنتم من في السماء﴾[٦] ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾[٧] ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[٨] ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[٩] ﴿وما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم﴾[١٠] الآية.

وأجده يقول: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾[١١] وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كلّ النساء أيتام فما معنى ذلك؟

وأجده يقول: ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[١٢] فكيف يظلم الله ومن هؤلاء الظلمة؟

وأجده يقول: ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾[١٣] فما هذه الواحدة؟

وأجده يقول: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[١٤] وقد أرى مخالفي الإسلام معتكفين على باطلهم، غير مقلعين عنه، وأرى غيرهم من أهل الفساد مختلفين في مذاهبهم، يلعن بعضهم بعضاً، فأي موضع للرحمة العامة لهم المشتملة عليهم؟

وأجده قد بين فضل نبيه على سائر الأنبياء، ثم خاطبه في أضعاف ما أثنى عليه في الكتاب من الازراء عليه، وانتقاص محله، وغير ذلك من تهجينه وتأنيبه ما لم يخاطب أحداً من الأنبياء، مثل قوله ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونَنَّ من الجاهلين﴾[١٥] وقوله: ﴿لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾[١٦] ﴿إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾[١٧] وقوله: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾[١٨] وقوله: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾[١٩] وقال: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ ﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[٢٠] فإذا كانت الأشياء تحصى في الإمام وهو وصي النبي فالنبي أولى أن يكون بعيداً من الصفة التي قال فيها: ﴿ما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ وهذه كلها صفات مختلفة، وأحوال

---

(١) البقرة - ١١٥.
(٢) القصص ٢٨.
(٣) الواقعة - ٢٧.
(٤) الواقعة - ٤١.
(٥) طه - ٥
(٦) الملك - ١٦.
(٧) الزخرف - ٨٤.
(٨) الحديد - ٤.
(٩) ق - ١٦.
(١٠) المجادلة - ٧.
(١١) النساء - ٣.
(١٢) الأعراف - ١٦٠
(١٣) سبأ - ٤٦.
(١٤) الأنبياء - ١٠٧.
(١٥) الأنعام - ٣٥.
(١٦) الاسراء - ٧٤.
(١٧) الاسراء - ٧٥.
(١٨) الأحزاب - ٢٧.
(١٩) الأحقاف - ٩.
(٢٠) يس - ١٢.

متناقضة، وأُمور مشكلة، فان يكن الرسول والكتاب حقاً فقد هلكت لشكي في ذلك، وإن كانا باطلين فما عليّ من بأس.

فقال أمير المؤمنين (ع): سبوح قدوس، رب الملائكة والروح، تبارك وتعالى، هو الحي الدائم، القائم على كل نفس بما كسبت، هات أيضاً ما شككت فيه

قال: حسبي ما ذكرت يا أمير المؤمنين.

قال: سأنبئك بتأويل ما سألت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أُنيب، وعليه فليتوكل المتوكلون.

فأما قوله: **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾** وقوله: **﴿يتوفيكم ملك الموت﴾** **﴿وتوفته رسلنا﴾** **﴿والذين تتوفيهم الملائكة طيبين﴾** **﴿والذين تتوفيهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾** فهو تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يتولى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنهم بأمره يعملون، فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم: **﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾** فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكل ما يأتون منسوب إليه وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله، لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل أُمناؤه فعله، فما يشاؤون إلا أن يشاء الله.

وأما قوله: **﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه﴾** وقوله: **﴿وإنّي لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾** فان ذلك كله لا يغني إلا مع الاهتداء، وليس كل من وقع عليه اسم الإيمان كان حقيقاً بالنجاة مما هلك به الغواة، ولو كان ذلك كذلك لنجت اليهود مع اعترافها بالتوحيد، وإقرارها بالله ونجى ساير المقرين بالوحدانية، من إبليس فمن دونه في الكفر، وقد بين الله ذلك بقوله: **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ اولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾** وبقوله: **﴿الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾**.

وللإيمان حالات ومنازل يطول شرحها، ومن ذلك: أن الإيمان قد يكون على وجهين: إيمان بالقلب، وإيمان باللِّسان، كما كان إيمان المنافقين على عهد رسول الله، لما قهرهم بالسيف وشملهم الخوف فانهم آمنوا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم، فالإيمان بالقلب هو التسليم للرب، ومن سلم الأُمور لمالكها لم يستكبر عن أمره، كما استكبر إبليس عن السجود لآدم، واستكبر أكثر الأُمم عن طاعة أنبيائهم، فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل، فانه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام، ولم يرد بها غير زخرف الدنيا، والتمكين من النظرة، فلذلك لا تنفع الصلاة والصدقة الا مع الاهتداء إلى سبيل النجاة، وطرق الحق.

وقطع الله عذر عباده بتبيين آياته، وإرسال رسله، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ولم يخل أرضه من عالم بما يحتاج إليه الخليقة، ومتعلم على سبيل النجاة، اولئك هم الأقلّون عدداً، وقد بين الله ذلك في أُمم الأنبياء وجعلهم مثلاً لمن تأخر، مثل قوله ـ في قوم نوح ـ : ﴿**وما آمن معه إلا قليل**﴾ وقوله ـ فيمن آمن من أُمة موسى ـ : ﴿**ومن قوم موسى أُمة يهدون بالحق وبه يعدلون**﴾ وقوله ـ في حواري عيسى حيث قال لسائر بني إسرائيل ـ : ﴿**من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون**﴾ يعني: بأنهم مسلّمون لأهل الفضل فضلهم ولا يستكبرون عن أمر ربهم، فما أجابه منهم الا الحواريون، وقد جعل الله للعلم أهلاً، وفرض على العباد طاعتهم بقوله: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم**﴾ وبقوله: ﴿**ولو ردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾ وبقوله: ﴿**اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ وبقوله: ﴿**وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم**﴾ ﴿**واتوا البيوت من أبوابها**﴾ والبيوت هي: بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء، وأبوابها أوصياؤهم، فكل من عمل من أعمال الخير فجرى على غير أيدي أهل الاصطفاء وعهودهم، وشرائعهم، وسننهم، ومعالم دينهم، مردود وغير مقبول، وأهله بمحل كفر، وإن شملتهم صفة الإيمان، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿**وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون**﴾؟

فمن لم يهتد من أهل الإيمان إلى سبيل النجاة لم يغن عنه إيمانه بالله مع دفع حق أوليائه، وحبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين، وكذلك قال الله سبحانه: ﴿**فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رؤوا بأسنا**﴾ وهذا كثير في كتاب الله عز وجل، والهداية هي: الولاية، كما قال الله عز وجل: ﴿**ومن يتولى الله ورسوله والذي آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون**﴾ والذين آمنوا في هذا الموضع: هم المؤتمنون على الخلائق من الحجج، والأوصياء في عصر بعد عصر.

وليس كلّ من أقر أيضاً من أهل القبلة بالشهادتين كان مؤمناً إنَّ المنافقين كانوا يشهدون: أن لا إله إلا الله وأنَّ محمّداً رسول الله، ويدفعون عهد رسول الله بما عهد به من دين الله، وعزائمه، وبراهين نبوته، إلى وصيه ويضمرون من الكراهة لذلك، والنقض لما أبرمه منه، عند إمكان الأمر لهم، فيما قد بينه الله لنبيه بقوله: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً**﴾ وبقوله: ﴿**وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾ ومثل قوله: ﴿**لتركبنَّ طبقاً عن طبق**﴾ أي: لتسلكنَّ سبيل من كان قبلكم من الأُمم: في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء، وهذا كثير في كتاب الله عز وجل، وقد شق على النبي ما يؤول إليه عاقبة أمرهم، وإطلاع الله إياه على بوارهم، فأوحى الله عز وجل إليه: ﴿**فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولا تأس على القوم الكافرين**﴾

وأما قوله: ﴿**واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا**﴾ فهذا من براهين نبينا التي آتاه إياها، وأوجب به الحجة على سائر خلقه، لأنه لما ختم به الأنبياء، وجعله الله رسولاً إلى جميع الأُمم، وسائر الملل، خصه

الله بالارتقاء إلى السماء عند المعراج وجمع له يومئذ الأنبياء، فعلم منهم ما أرسلوا به وحملوه من: عزائم الله وآياته وبراهينه، وأقروا أجمعون بفضله، وفضل الأوصياء والحجج في الأرض من بعده، وفضل شيعة وصيه من المؤمنين والمؤمنات، الذين سلموا لأهل الفضل فضلهم، ولم يستكبروا عن أمرهم، وعرف من أطاعهم وعصاهم من أُممهم، وسائر من مضى ومن غبر، أو تقدم أو تأخر.

وأما هفوات الأنبياء (ع) وما بينه الله في كتابه، ووقوع الكناية من أسماء من اجترم أعظم مما اجترمته الأنبياء، ممن شهد الكتاب بظلمهم، فان ذلك من أدل الدلائل على: حكمة الله عز وجل الباهرة، وقدرته القاهرة، وعزته الظاهرة، لأنه علم: أنَّ براهين الأنبياء تكبر في صدور أُممهم، وأنَّ منهم من يتخذ بعضهم إلٰهاً، كالذي كان من النصارى في ابن مريم، فذكرها دلالة على تخلفهم عن الكمال الذي تفرد به عز وجل، ألم تسمع إلى قوله في صفة عيسى حيث قال ـ فيه وفي أُمه ـ: **﴿كانا يأكلان الطعام﴾** يعني: أنَّ من أكل الطعام كان له ثقل، ومن كان له ثقل فهو بعيد مما ادعته النصارى لابن مريم، ولم يكنّ عن اسماء الأنبياء تبجراً وتعرراً[1] بل تعريفاً لأهل الاستبصار.

إنَّ الكناية عن أسماء أصحاب الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن ليست من فعله تعالى، وإنها من فعل المغيرين والمبدلين، الذين جعلوا القرآن عضين واعتاضوا الدنيا من الدين، وقد بين الله تعالى قصص المغيرين بقوله: **﴿الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾** وبقوله: **﴿وإنَّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾** وبقوله: **﴿إذ يبيتون ما لا يرضى من القول﴾** بعد فقد الرسول مما يقيمون به أود باطلهم[1] حسب ما فعلته اليهود والنصارى بعد فقد موسى وعيسى من: تغيير التوراة والإنجيل، وتحريف الكلم عن مواضعه، وبقوله: **﴿ يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون﴾** يعني: أنهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليقة فأعمى الله قلوبهم حتى تركوا فيه ما دل على ما أحدثوه فيه، وبين إفكهم، وتلبيسهم وكتمان ما عملوه منه، ولذلك قال لهم: **﴿لم تلبسون الحق بالباطل﴾**

وضرب مثلهم بقوله: **﴿فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾** فالزبد في هذا الموضع كلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن، فهل يضمحل، ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والذي ينفع الناس منه: فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع فهي: محل العلم وقراره.

وليس يسوغ مع عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين، ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب، لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر، والملل المنحرفة عن قبلتنا، وإبطال هذا العلم الظاهر الذي قد استكان له الموافق والمخالف بوقوع الاصطلاح على الايتمار لهم، والرضا بهم، ولأنَّ أهل الباطل في القديم والحديث أكثر عدداً من أهل الحق، فلأنَّ الصبر على ولاة الأمر

---

(١) البجر: العيب. والتعزير: اللوم والتأديب.

(٢) الأود: الاحتجاج.

مفروض لقول الله عز وجل لنبيه (ص): ﴿**فاصبر كما صبر أُولوا العزم من الرسل**﴾ وإيجابه مثل ذلك على أوليائه، وأهل طاعته، بقوله: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة**﴾ فحسبك من الجواب عن هذا الموضع ما سمعت، فان شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه.

وأما قوله: ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفا**﴾ وقوله: ﴿**ولقد جئتمونا فرادى**﴾ وقوله: ﴿**هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك**﴾ فذلك كله حق، وليست جيئته جل ذكره كجيئة خلقه، فانه رب كل شيء.

ومن كتاب الله عز وجل يكون تأويله على غير تنزيله، ولا يشبه تأويله بكلام البشر، ولا فعل البشر، وسأنبئك بمثال لذلك تكتفي به انشاء الله تعالى وهو حكاية الله عز وجل عن ابراهيم (ع) حيث قال: ﴿**إني ذاهب الى ربي**﴾ فذهابه الى ربه توجهه اليه في عبادته واجتهاده، ألا ترى ان تأويله غير تنزيله، وقال: ﴿**وانزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج**﴾ وقال: ﴿**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد**﴾ فانزاله ذلك: خلقه اياه.

وكذلك قوله: ﴿**ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾ أي: الجاحدين والتأويل في هذا القول باطنه مضاد لظاهره.

ومعنى قوله: ﴿**فهل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك**﴾ فانما خاطب نبينا محمّداً (ص) هل ينتظر المنافقون والمشركون الا ان تأتيهم الملائكة فيعاينونهم، أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يعني بذلك: امر ربك، والآيات هي: العذاب في دار الدنيا، كما عذب الامم السالفة والقرون الخالية، وقال: ﴿**أولم يروا انا نأتي الأرض ننقصها من اطرافها**﴾ يعني بذلك: ما يهلك من القرون فسماه اتيانا، وقال: ﴿**قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾ أي لعنهم الله انى يؤفكون. فسمى اللعنة قتالاً، وكذلك قال: ﴿**قتل الإنسان ما اكفره**﴾ أي: لعن الإنسان، وقال: ﴿**فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى**﴾ فسمى فعل النبي (ص) فعلاً له، ألا ترى تأويله على غير تنزيله ومثل قوله: ﴿**بل هم بلقاء ربهم كافرون**﴾ فسمى البعث: لقاء، وكذلك قوله ﴿**الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم**﴾ أي: يوقنون انهم مبعوثون، ومثله قوله: ﴿**ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم**﴾ أي: ليس يوقنون انهم مبعوثون، واللقاء عند المؤمن: البعث، وعند الكافر: المعاينة والنظر.

وقد يكون بعض ظن الكافر يقيناً، وذلك قوله: ﴿**ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها**﴾ أي: تيقنوا أنهم مواقعوها.

وأما قوله في المنافقين: ﴿**ويظنون بالله الظنونا**﴾ فليس ذلك بيقين ولكنه شك، فاللفظ واحد في الظاهر، ومخالف في الباطن، وكذلك قوله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ يعني: استوى تدبيره وعلا أمره، وقوله: ﴿**وهو الذي في السماء إلّه وفي الأرض إلّه**﴾ وقوله: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ وقوله: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم**﴾ فانما أراد بذلك استيلاء امنائه بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه، وأن فعله فعلهم.

فافهم عني ما أقول لك، فاني إنما أزيدك في الشرح لاثلج في صدرك وصدر من لعله بعد اليوم يشك في مثل ما شككت فيه، فلا يجد مجيباً عما يسأل عنه، لعموم الطغيان، والافتتان، واضطرار أهل العلم بتأويل الكتاب، إلى الاكتتام والاحتجاب، خيفة أهل الظلم والبغي.

أما إنه سيأتي على الناس زمان يكون الحق فيه مستوراً، والباطل ظاهراً مشهوراً، وذلك: إذا كان اولى الناس بهم أعداهم له، واقترب الوعد الحق، وعظم الالحاد، وظهر الفساد، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً. ونحلهم الكفار أسماء الأشرار، فيكون جهد المؤمن أن يحفظ مهجته من أقرب الناس إليه ثم يتيح الله الفرج لأوليائه، ويظهر صاحب الأمر على أعدائه.

وأما قوله: ﴿**ويتلوه شاهد منه**﴾ فذلك حجة الله أقامها على خلقه، وعرفهم أنه لا يستحق مجلس النبي إلا من يقوم مقامه، ولا يتلوه إلا من يكون في الطهارة مثله، لئلا يتسع لمن ماسه حس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الاستحقاق بمقام رسول الله (ص)، وليضيق العذر على من يعينه على إثمه وظلمه، إذ كان الله قد حظر على من ماسه الكفر تقلد ما فوضه إلى أنبيائه وأوليائه، بقوله لابراهيم: ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾ أي: المشركين، لأنه سمى الظلم شركاً بقوله: ﴿**إنَّ الشرك لظلم عظيم**﴾ فلما علم إبراهيم (ع) أنّ عهد الله تبارك وتعالى اسمه بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام، قال: ﴿**فاجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام**﴾.

واعلم أنَّ من آثر المنافقين على الصادقين، والكفار على الأبرار، فقد افترى إثماً عظيماً، إذا كان قد بيّن في كتابه الفرق بين المحق والمبطل، والطاهر والنجس والمؤمن والكافر، وأنّه لا يتلو النبي عند فقده الا من حل محله صدقاً وعدلاً وطهارة وفضلاً.

وأما الأمانة التي ذكرتها فهي: الأمانة التي لا تجب ولا تجوز أن تكون الا في الأنبياء وأوصيائهم، لأنَّ الله تبارك وتعالى ائتمنهم على خلقه، وجعلهم حججاً في أرضه والسامري ومن أجمع معه واعانه من الكفار على عبادة العجل عند غيبة موسى ما تم انتحال محل موسى من الطغام، والاحتمال لتلك الأمانة التي لا ينبغي الا لطاهر من الرجس، فاحتمل وزرها ووزر من سلك سبيله من الظالمين وأعوانهم ولذلك قال النبي (ص): ومن استن سنة حق كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة، ولهذا القول من النبي (ص) شاهد من كتاب الله، وهو: قول الله عز وجل في قصة قابيل قاتل أخيه: ﴿**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعاً**﴾ والاحياء في هذا الموضع تأويل في الباطن ليس كظاهره، وهو من هداها، لأن الهداية هي: حياة الأبد، ومن سماه الله حياً لم يمت أبداً، إنما ينقله من دار محنة إلى دار راحة ومنحة.

وأما ما كان من الخطاب بالانفراد مرة وبالجمع مرة، من صفة الباري جل ذكره، فان الله تبارك وتعالى اسمه، على ما وصف به نفسه بالانفراد والوحدانية، هو: النور الأزلي القديم الذي ليس كمثله شيء، لا يتغير، ويحكم ما يشاء ويختار، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، ولا ما خلق زاد في ملكه وعزه ولا نقص منه ما لم يخلقه، وإنما أراد بالخلق إظهار قدرته وإبداء سلطانه وتبيين براهين حكمته،

فخلق ما شاء كما شاء، وأجرى فعل بعض الأشياء على أيدي من اصطفى من أُمنائه، وكان فعلهم فعله وأمرهم أمره، كما قال: ﴿**ومن يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ وجعل السماء والأرض وعاء لمن يشاء من خلقه، ليميز الخبيث من الطيب، مع سابق علمه بالفريقين من أهلها، وليجعل ذلك مثالاً لأوليائه وأمنائه، وعرف الخليقة فضل منزلة أوليائه، فرض عليهم من طاعتهم مثل الذي فرضه منه لنفسه، وألزمهم الحجة بأن خاطبهم خطاباً يدل على انفراده وتوحده وبأنَّ له أولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله، فهم: ﴿**العباد المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾ ﴿**هو الذي**[1] **أيدهم بروح منه**﴾ وعرف الخلق اقتدارهم على علم الغيب بقوله: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول**﴾ وهم: النعيم الذي يسأل العباد عنه، لأنَّ الله تبارك وتعالى أنعم بهم على من اتبعهم من أوليائهم.

قال السائل: من هؤلاء الحجج؟

قال: هم رسول الله، ومن حلَّ محله من أصفياء الله الذين قرنهم الله بنفسه ورسوله، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه، وهم ولاة الأمر الذين قال الله فيهم: ﴿**أطيعو الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم**﴾ وقال فيهم: ﴿**ولو ردوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾.

قال السائل: ما ذاك الأمر؟

قال علي(ع): الذي به تنزل الملائكة في الليلة التي يفرق فيها كلّ أمر حكيم، من: خلق ورزق وأجل وعمل وعمر وحياة وموت وعلم غيب السماوات والأرض، والمعجزات التي لا تنبغي الا لله وأصفيائه والسفرة بينه وبين خلقه، وهم وجه الله الذي قال: ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾ هم بقية الله يعني المهدي يأتي عند انقضاء هذه النظرة، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ومن آياته: الغيبة والاكتتام عند عموم الطغيان، وحلول الانتقام، ولو كان هذا الأمر الذي عرفتك بأنه للنبي دون غيره، لكان الخطاب يدل على فعل ماض غير دائم ولا مستقبل، ولقال: «نزلت الملائكة» «وفرق كل أمر حكيم» ولم يقل: ﴿**تنزل الملائكة**﴾ ﴿**ويفرق كل أمر حكيم**﴾ وقد زاد جل ذكره في التبيان وإثبات الحجة بقوله ـ في أصفيائه وأوليائه (ع) ـ: ﴿**أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله**﴾ تعريفاً للخليقة قربهم، ألا ترى أنك تقول: «فلان إلى جنب فلان» إذا أردت أن تصف قربه منه.

وإنما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه، لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدلون، من إسقاط أسماء حججه منه، وتلبيسهم ذلك على الأُمة ليعينوهم على باطلهم، فأثبت به الرموز، وأعمى قلوبهم وأبصارهم، لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه، وجعل أهل الكتاب المقيمين به، والعالمين بظاهره وباطنه من شجرة

---

(١) في بعض النسخ: «وهم الذين».

أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربها، أي: يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت، وجعل أعداءها: أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم، فأبى الله إلا أن يتم نوره.

ولو علم المنافقون لعنهم الله: ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بينت لك تأويلها، لأسقطوها مع ما أسقطوا منه، ولكنَّ الله تبارك اسمه ماض حكمه بايجاب الحجة على خلقه، كما قال الله تعالى: ﴿**فللّه الحجة البالغة**﴾ أغشى أبصارهم، وجعل على قلوبهم أكنة عن تأمل ذلك، فتركوه بحاله، وحجبوا عن تأكيده الملتبس بابطاله، فالسعداء ينهون عليه، والأشقياء يعمون عنه، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

ثم إنَّ الله جل ذكره لسعة رحمته، ورأفته بخلقه، وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه، قسم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه: يعرفه العالم والجاهل وقسماً: لا يعرفه الا من صفى ذهنه، ولطف حسه، وصح تميزه، ممن شرح الله صدره للاسلام، وقسماً: لا يعرفه الا الله، وأُمناؤه، والراسخون في العلم، وإنما فعل الله ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله (ص) من علم الكتاب ما لم يجعل الله لهم، وليقودهم الاضطرار إلى الايتمار لمن ولاه أمرهم فاستكبروا عن طاعته، تعزراً[1] وافتراء على الله عز وجل، واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم، وعاند الله عز وجل ورسوله.

فأما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله في كتاب الله: فهو قول الله عز وجل: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ وقوله: ﴿**إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما**﴾ ولهذه الآية ظاهر وباطن فالظاهر قوله: «صلّوا عليه» والباطن قوله: «وسلموا تسليماً» أي سلموا لمن وصاه واستخلفه، وفضله عليكم. وما عهد به إليه تسليماً، وهذا مما أخبرتك: أنه لا يعلم تأويله الا من لطف حسه، وصفى ذهنه، وصح تمييزه، وكذلك قوله: ﴿**سلام على آل يسّ**﴾ لأنَّ الله سمى به النبي (ص) حيث قال: ﴿**يسّ والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين**﴾ لعلمه بأنهم يسقطون قول الله: سلام على آل محمّد كما أسقطوا غيره، وما زال رسول الله (ص) يتألفهم، ويقربهم، ويجلسهم عن يمينه وشماله، حتى أذن الله عز وجل في إبعادهم بقوله: ﴿**واهجرهم هجراً جميلا**﴾ وبقوله: ﴿**فما للذين كفروا قبلك مهطعين * عن اليمين وعن الشمال عزين * أيطمع كل امرءٍ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا إنا خلقناهم مما يعلمون**﴾ وكذلك قول الله عز وجل: ﴿**يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم**﴾ ولم يسم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأُمهاتهم.

وأما قوله: ﴿**كلّ شيءٍ هالك إلاّ وجهه**﴾ فانما أُنزلت كلّ شيء هالك إلا دينه، لأن. من المحال أن يهلك منه كل شيء ويبقى الوجه هو أجل وأكرم وأعظم من ذلك، إنما يهلك من ليس منه، ألا ترى أنه قال: ﴿**كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ ففصل بين خلقه ووجهه.

---

(١) أي تمنعاً وتمرداً.

وأما ظهورك على تناكر قوله: ﴿**فان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء**﴾ وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كل النساء أيتام، فهو: مما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن، وبين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن، وهذا وما أشبه مما ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر والتأمل. ووجد المعطلون وأهل الملل المخالفة للإسلام مساغاً إلى القدح في القرآن، ولو شرحت لك كلما أُسقط وحرف وبدل مما يجري هذا المجرى لطال، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء، ومثالب الأعداء[1]:

وأما قوله: ﴿**وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ فهو تبارك اسمه أجل وأعظم من أن يظلم، ولكن قرن أُمناءَه على خلقه بنفسه، وعرف الخليقة جلالة قدرهم عنده، وأنّ ظلمهم ظلمه، بقوله: ﴿**وما ظلمونا**﴾ ببغضهم أولياءَنا ومعونة أعدائهم عليهم ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ إذ حرموها الجنة، وأوجبوا عليها خلود النار.

وأما قوله: ﴿**إنما أعظكم بواحدة**﴾ فإنَّ الله جل ذكره نزل عزائم الشرائع وآيات الفرائض، في أوقات مختلفة، كما خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ولو شاءَ لخلقها في أقل من لمح البصر، ولكنه جعل الأناة والمداراة أمثالاً لأُمنائه وإيجاباً للحجة على خلقه، فكان أول ما قيدهم به: الاقرار بالوحدانية والربوبية والشهادة بأن لا إله إلا الله، فلما أقروا بذلك تلاه بالاقرار لنبيه (ص) بالنبوة والشهادة له بالرسالة، فلما انقادوا لذلك فرض عليهم الصلاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد ثم الزكاة ثم الصدقات

---

(١) في ج ١ ص ١٥ من تفسير مجمع البيان للطبرسي قال:

ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه، فانه لا يليق بالتفسير، فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأما النقصان منه، فقد روى جماعة من أصحابنا، وقوم من حشوية العامة: أن في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى «قدس الله روحه» واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء، في جواب المسائل الطرابلسيات، وذكر في مواضع: أن العلم بصحة نقل القرآن: كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار، والوقايع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية. . . إلى أن قال: وذكر أيضاً رضي الله عنه: أن القرآن كان على عهد رسول الله (ص) مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك: بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه: كان يعرض على النبي (ص) ويتلى عليه، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي (ص) عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً، مرتباً، غير مبتور، ولا مبثوث، وذكر أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع لمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته.

وقال آية الله الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتاب «أصل الشيعة واصولها»

وإن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي، ولتعليم الأحكام، وتمييز الحلال من الحرام، وانه لا نقص فيه، ولا تحريف، ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه، أو تحريف، فهو مخطىء، يرده نص الكتاب العظيم ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم، الظاهرة في نقصه أو تحريفه، ضعيفة شاذة، وأخبار آحاد، لا تفيد علماً ولا عملاً، فأما أن تأول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها عرض الجدار.

وما يجري مجراها من مال الفيء، فقال المنافقون: هل بقي لربك علينا بعد الذي فرضه شيء آخر يفترضه فتذكره لتسكن أنفسنا إلى أنه لم يبق غيره، فأنزل الله في ذلك: ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة**﴾ يعني: الولاية.

وأنزل: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ وليس بين الأمة خلاف أنه لم يؤت الزكاة يومئذ أحد وهو راكع غير رجل، ولو ذكر اسمه في الكتاب لاسقط مع ما أُسقط من ذكره، وهذا وما أشبهه من الرموز التي ذكرت لك ثبوتها في الكتاب، ليجهل معناها المحرفون فيبلغ إليك وإلى أمثالك، وعند ذلك قال الله: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾.

وأما قوله للنبي: ﴿**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**﴾ وانك ترى أهل الملل المخالفة للإيمان ومن يجري مجراهم من الكفار مقيمين على كفرهم إلى هذه الغاية وأنه لو كان رحمة عليهم لاهتدوا جميعاً ونجوا من عذاب السعير، فان الله تبارك وتعالى إنما عنى بذلك: أنه جعله سبباً لانظار أهل هذه الدار لأن الأنبياء قبله بعثوا بالتصريح لا بالتعريض، وكان النبي منهم، إذا صدع بأمر الله وأجابه قومه سلموا وسلم أهل دارهم من سائر الخليقة، وإن خالفوه هلكوا وهلك أهل دارهم بالآفة التي كان نبيهم يتوعدهم بها، ويخوفهم حلولها ونزولها بساحتهم، من: خسف أو قذف أو رجف أو ريح أو زلزلة أو غير ذلك من أصناف العذاب التي هلكت بها الأُمم الخالية.

وإنّ الله علم من نبينا (ص) ومن الحجج في الأرض: الصَّبر على ما لم يطق من تقدمهم من الأنبياء الصبر على مثله، فبعثه الله بالتعريض لا بالتصريح. وأثبت حجة الله تعريضاً لا تصريحاً بقوله ـ في وصيه ـ: «من كنت مولاه فهذا مولاه» و «هو مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي» وليس من خليقة النبي ولا من النبوة أن يقول قولاً لا معنى له، فلزم الامة أن تعلم: أنه لما كانت النبوة والاخوة موجودتين في خلقة هارون، ومعدومتين فيمن جعله النبي (ص) بمنزلته انه قد استخلفه على أُمته كما استخلف موسى هارون، حيث قال له: ﴿**اخلفني في قومي**﴾ ولو قال لهم: لا تقلدوا الامامة الا فلاناً بعينه وإلاّ نزل بكم العذاب، لأتاهم العذاب وزال باب الانظار والامهال.

وبما أمر بسد باب الجميع وترك بابه، ثم قال: ما سددت ولا تركت ولكني أُمرت فأطعت، فقالوا سددت بابنا وتركت لاحدثنا سناً.

فأما ما ذكروه من حداثة سنه: فإن الله لم يستصغر يوشع بن نون حيث أمر موسى أن يعهد بالوصية إليه، وهو في سن ابن سبع سنين، ولا استصغر يحيى وعيسى لما استودعهما عزائمة وبراهين حكمته، وإنما جعل ذلك جل ذكره لعلمه بعاقبة الامور، وأن وصيه لا يرجع بعده ضالاً ولا كافراً.

وبأن عمد النبي (ص) إلى سورة برآءة، فدفعها إلى من علم أنَّ الامة تؤثره على وصيه، وأمره بقراءتها على أهل مكة، فلما ولى من بين يديه أتبعه بوصيه وأمره بارتجاعها منه، والنفوذ إلى مكة ليقرأها

على أهلها، وقال: «إنَّ الله جل جلاله أوحى إليّ أن لا يؤدي عني إلا رجل مني» دلالة منه على خيانة من علم أن الامة اختارته على وصيه.

ثم شفع ذلك بضم الرجل الذي ارتجع سورة براءة منه، ومن يوازره في تقدم المحل عند الامة إلى علم النفاق «عمرو بن العاص» في غزاة ذات السلاسل، ولاهما عمرو: حرس عسكره.

وختم أمرهما: بأن ضمهما عند وفاته إلى مولاه أُسامة بن زيد، وأمرهما بطاعته، والتصريف بين أمره ونهيه، وكان آخر ما عهد به في أمر امته قوله: «أنفذوا جيش اسامة» يكرر ذلك على أسماعهم، إيجاباً للحجة عليهم في إيثار المنافقين على الصادقين.

ولو عددت كلما كان من أمر رسول الله (ص) في إظهار معائب المستولين على تراثه لطال، وان السابق منهم إلى تقلد ما ليس له بأهل قام هاتفاً على المنبر لعجزه عن القيام بأمر الامة، ومستقيلاً[١] مما قلدوه لقصور معرفته على تأويل ما كان يسأل عنه، وجهله بما يأتي ويذر.

ثم أقام على ظلمه، ولم يرض باحتقاب عظيم الوزر في ذلك حتى عقد الأمر من بعده لغيره، فأتى التالي بتسفيه رأيه، والقدح والطعن على أحكامه، ورفع السيف عمن كان صاحبه وضعه عليه، ورد النساء اللاتي كان سباهنَّ إلى أزواجهن وبعضهنّ حوامل،[٢] وقوله: «قد نهيته عن قتال أهل القبلة فقال لي: إنك لحدب على أهل الكفر» وكان هو في ظلمه لهم أولى باسم الكفر منهم.

ولم يزل يخطئه، ويظهر الإرزاء عليه، ويقول على المنبر: «كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقى الله شرها، فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه» وكان يقول قبل ذلك قولاً ظاهراً: ليته حسنة من حسناته، ويود أنه كان شعرة في صدره، وغير ذلك من القول المتناقض المؤكد لحجج الدافعين لدين الاسلام.

وأتى من أمر الشورى وتأكيده بها: عقد الظلم والالحاد، والغي والفساد، حتى تقرر على إرادته ما لم يخف على ذي لب موضع ضرره.

ولم تطق الأُمة الصبر على ما أظهره الثالث من سوء الفعل، فعاجلته بالقتل فاتسع بما جنوه من ذلك لمن وافقهم على ظلمهم وكفرهم ونفاقهم: محاولة مثل ما أتوه من الاستيلاء على أمر الامة.

كل ذلك لتتم النظرة التي أوحاها الله تعالى لعدوه إبليس، إلى أن يبلغ الكتاب أجله ويحق القول على الكافرين، ويقترب الوعد الحق، الذي بينه في كتابه بقوله: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لنستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**﴾[٣] وذلك: إذا لم يبق من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن الا رسْمه، وغاب صاحب الأمر بإيضاح الغدر له في ذلك، لاشتمال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة له.

---

(١) إشارة إلى قول أبي بكر «أقيلوني فلست بخيّركم وعليّ فيكم».

(٢) راجع قصة مالك بن نويرة في ترجمة خالد بن الوليد فيما مضى من هذا الكتاب.

(٣) النور ـ ٥٥.

وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها، ويظهر دين نبيه (ص) - على يديه - على الدين كلّه ولو كره المشركون.

وأما ما ذكرته من الخطاب الدال على تهجين النبي (ص)، والازراء به، والتأنيب له، مع ما أظهره الله تعالى في كتابه من تفضيله إياه على سائر أنبيائه فان الله عز وجل جعل لكلّ نبي عدواً من المشركين، كما قال في كتابه وبحسب جلالة منزلة نبينا (ص) عند ربه، كذلك عظم محنته لعدوه الذي عاد منه في شقاقه ونفاقه كل أذى ومشقة لدفع نبوته وتكذيبه إياه وسعيه في مكارهه وقصده لنقض كل ما أبرمه، واجتهاده ومن مالأه على كفره وعناده ونفاقه والحاده في إبطال دعواه وتغيير ملته ومخالفته سنته، ولم ير شيئاً أبلغ في تمام كيده من تنفيرهم عن موالاة وصيه، وإيحاشهم منه وصدهم عنه وإغرائهم بعداوته، والقصد لتغيير الكتاب الذي جاء به، وإسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل وكفر ذوي الكفر منه وممن وافقه على ظلمه، وبغيه وشركه.

ولقد علم الله ذلك منهم فقال: **﴿إنَّ الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾** وقال: **﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾** ولقد أحضروا الكتاب كملاً مشتملاً على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ لم يسقط منه: حرف الف ولا لام، فلما وقفوا على ما بينه الله من: أسماء أهل الحق والباطل، وأن ذلك إن ظهر نقص ما عهدوه قالوا: لا حاجة لنا فيه، نحن مستغنون عنه بما عندنا وكذلك قال: **﴿فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾**.

دفعهم الاضطرار بورود المسائل عليهم عما لا يعلمون تأويله إلى جمعه وتأليفه وتضمينه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم، فصرخ مناديهم: من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به، ووكلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم على معاداة أولياء الله، فألفه على اختيارهم، وما يدل للمتأمل له على اختلال تمييزهم وافترائهم وتركوا منه ما قدروا أنه لهم وهو عليهم وزادوا فيه ما ظهر تناكره وتنافره، وعلم الله أن ذلك يظهر ويبين، فقال: **﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾** وانكشف لأهل الاستبصار عوارهم وافتراؤهم.

والذي بدا في الكتاب من الازراء على النبي (ص) من فرقة الملحدين ولذلك قال: **﴿ويقولون منكراً من القول وزوراً﴾** ويذكر جل ذكره لنبيه (ص) ما يحدثه عدوه في كتابه من بعده بقوله: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أُمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾** يعني: أنه ما من نبي تمنى مفارقة ما يعانيه من نفاق قومه وعقوقهم والانتقال عنهم إلى دار الاقامة، إلا ألقى الشيطان المعرض لعداوته عند فقده في الكتاب الذي أنزل عليه: ذمه والقدح فيه والطعن عليه، فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله، ولا تصغي إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين، ويحكم الله آياته: بأن يحمي أولياءه من الضلال والعدوان، ومشايعة أهل الكفر والطغيان، الذين لم يرض الله أن يجعلهم كالأنعام حتى قال: **﴿بل هم أضل سبيلا﴾**.

فافهم هذا واعلمه، واعمل به، واعلم أنك ما قد تركت مما يجب عليك السؤال عنه أكثر مما

سألت عنه، وأني قد اقتصرت على تفسير يسير من كثير لعدم حملة العلم، وقلة الراغبين في التماسه، وفي دون ما بينت لك بلاغ لذوي الألباب.

قال السائل: حسبي ما سمعت يا أمير المؤمنين! شكراً لله لك على استنقاذي من عماية الشرك وطخية الافك، وأجزل على ذلك مثوبتك إنه على كل شيء قدير، وصلّى الله أولاً وآخراً على أنوار الهدايات، وأعلام البريات محمّد وآله أصحاب الدلالات الواضحات وسلم تسليماً كثيراً.

عن الأصبغ بن نباتة قال: لما بويع امير المؤمنين (ع)، خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله (ص)، لابساً بردته، منتعلاً بنعل رسول الله، ومتقلداً بسيف رسول الله (ص)، فصعد المنبر، فجلس متمكناً، ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثم قال:

يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني: وهذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله (ص)، هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً، سلوني فان عندي علم الأولين والآخرين.

أما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم وأهل الانجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل القرآن بقرآنهم، حتى ينطق كل كتاب من كتب الله فيقول: «صدق علي لقد أفتاكم بما أنزل الله فيَّ» وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم. ما أنزل الله فيه، ولو لا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة وهي هذه الآية: **﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُم الكتاب﴾**[1].

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرىء النسمة، لو سألتموني عن آية آية، في ليل نزلت أم في نهار نزلت، مكيها ومدنيها، سفريها وحضريها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأنبأتكم

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فأجابه بما تقدم ذكرنا إياه[2].

قال: فسلوني قبل أن تفقدوني.

فقام إليه رجل من أقصى المجلس فقال: يا أمير المؤمنين دلني على عمل ينجيني الله به من النار، ويدخلني الجنة!

قال: اسمع، ثم افهم، ثم استيقن، قامت الدنيا بثلاث: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، وبغني لا يبخل بماله على دين الله، وبفقير صابر. فإذا كتم العالم علمه، وبخل الغني بماله، ولم يصبر الفقير على فقره، فعندها الويل والثبور، وكادت الأرض أن ترجع إلى الكفر بعد الإيمان.

أيها السائل لا تغترن بكثرة المساجد، وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم متفرقة، فانما الناس

---

(١) الرعد - ٣٩.

(٢) مرّ جوابه عليه السلام لسائل سأله السؤال نفسه فقال: لم أك بالذي أعبد من لم أره ... الخ» فراجعه.

ثلاث: زاهد، وراغب، وصابر.

أما الزاهد: فلا يفرح بالدنيا إذا أتته، ولا يحزن عليها إذا فاتته. واما الصابر: فيتمناها بقلبه، فان أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لعلمه بسوء العاقبة. وأما الراغب: فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام.

ثم قال: يا أمير المؤمنين فما علامة المؤمن في ذلك الزمان؟

قال: ينظر إلى ولي الله فيتولاه، وإلى عدو الله فيتبرأ منه وإن كان حميماً قريباً.

قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين ثم غاب فلم ير. فقال: هذا أخي الخضر (ع) . . . تمام الخبر.

وعن الأصبغ بن نباتة قال: خطبنا أمير المؤمنين (ع) على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس سلوني فإنّ بين جوانحي علماً جماً: فقام إليه ابن الكوا فقال: يا أمير المؤمنين ما الذاريات ذرواً؟

قال : الرياح.

قال: فما الحاملات وقراً؟ قال: السحاب.

قال: فما الجاريات يسراً؟ قال : السفن.

قال: فما المقسمات أمراً؟ قال: الملائكة.

قال: يا أمير المؤمنين وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً.

قال: ثكلتك أُمك يا ابن الكوا! كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، ولا ينقض بعضه بعضاً، فسل عما بدا لك.

قال يا أمير المؤمنين سمعته يقول: ﴿ربّ المشارق والمغارب﴾ وقال في آية أُخرى: ﴿ربّ المشرقين وربّ المغربين﴾ وقال في آية أُخرى: ﴿ربّ المشرق والمغرب﴾.

قال:ثكلتك أُمك يا ابن الكوا! هذا المشرق وهذا المغرب، وأما قوله : ربّ المشرقين وربّ المغربين، فإنّ مشرق الشتاء على حدة ومشرق الصيف على حدة أما تعرف بذلك من قرب الشمس وبعدها؟ وأما قوله: ربّ المشارق والمغارب، فإنّ لها ثلثمائة وستين برجاً، تطلع كل يوم من برج، وتغيب في آخر، فلا تعود إليه إلا من قابل في ذلك اليوم.

قال: يا أمير المؤمنين كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك؟

قال : ثكلتك أُمك يا ابن الكوا! سل متعلماً، ولا تسأل متعنتاً، من موضع قدمي إلى عرش ربي أن يقول قائل ـ مخلصاً ـ : «لا إله إلا الله».

قال: يا امير المؤمنين فما ثواب من قال: «لا إله إلا الله»؟

قال: من قال لا إله إلا الله مخلصاً طمست ذنوبه، كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض، فان قال ثانية: لا إله إلا الله ـ مخلصاً ـ خرقت أبواب السماوات وصفوف الملائكة، حتى يقول الملائكة بعضها لبعض: اخشعوا لعظمة الله فاذا قال ثالثة: لا إله إلا الله ـ مخلصاً تنته دون العرش، فيقول الجليل: «اسكني فوعزتي وجلالي لأغفرن لقائلك بما كان فيه» ثم تلا هذه الآية: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾ يعني إذا كان عمله صالحاً ارتفع قوله وكلامه.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قوس قزح.

قال: ثكلتك أُمك! لا تقل: (قوس قزح) فان قزحاً اسم شيطان، ولكن قل: (قوس الله) إذا بدت يبدو الخصب والريف.

قال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن المجرة التي تكون في السماء؟

قال: هي شرج في السماء، وأمان لأهل الأرض من الغرق، ومنه غرق الله قوم نوح بماءٍ منهمر.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن المحو الذي يكون في القمر؟

قال (ع): الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، رجل أعمى يسأل عن مسألة عمياء! أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿**وجعلنا اللّيل والنهار آيتين فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النهار مبصرة**﴾[1].

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب رسول الله (ص)؟ قال: عن أي أصحاب رسول الله تسألني؟

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن أبي ذر الغفاري. قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

قال: يا أمير المؤمنين فأخبرني عن سلمان الفارسي. قال: بخ بخ سلمان منا أهل البيت، ومن لكم بمثل لقمان الحكيم، علم علم الأول والآخر.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن حذيفة بن اليماني. قال: ذاك امرؤ علم أسماء المنافقين، إن تسألوه عن حدود الله تجدوه بها عالماً.

قال: يا أمير المؤمنين فأخبرني عن عمار بن ياسر. قال: ذاك امرؤ حرّم الله لحمه ودمه على النار أن تمس شيئاً منها.

قال: يا أمير المؤمنين فأخبرني عن نفسك. قال: كنت إذا سألت أُعطيت، وإذا سكت ابتدئت.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿قل: هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا﴾ الآية.

---

(١) الاسراء ١٢.

قال: كفرة أهل الكتاب، اليهود والنصارى، وقد كانوا على الحق فابتدعوا في أديانهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. ثم نزل عن المنبر وضرب بيده على منكب ابن الكوا. ثم قال: يا ابن الكوا وما أهل النهروان منهم ببعيد.

فقال: يا أمير المؤمنين ما أُريد غيرك، ولا أسأل سواك.

قال: فرأينا ابن الكوا يوم النهروان فقيل له: ثكلتك امك! بالأمس تسأل أمير المؤمنين عما سألته، وأنت اليوم تقاتله، فرأينا رجلاً حمل عليه فطعنه فقتله.

وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه (ع) عن علي (ع) قال: سلوني عن كتاب الله عز وجل، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله في ليل ولا نهار، ولا مسير ولا مقام، إلا وقد أقرأنيها رسول الله (ص)، وعلمني تأويلها.

فقام إليه ابن الكوا فقال: يا أمير المؤمنين فما كان ينزل عليه وأنت غائب عنه؟

قال: كان رسول الله (ص) ما كان ينزل عليه من القرآن وأنا غائب عنه حتى اقدم عليه، فيقرأنيه ويقول لي: يا علي أنزل الله عليّ بعدك كذا وكذا، وتأويله كذا وكذا، فيعلمني تنزيله وتأويله.

وجاء في الآثار: أنّ أمير المؤمنين (ع) كان يخطب فقال في خطبته: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فتنة تضل مائة وتهدي مائة الا أنبأتكم بناعقها، وسائقها إلى يوم القيامة.

فقام إليه رجل[1] فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر.

فقال أمير المؤمنين (ع): والله لقد حدثني خليلي رسول الله (ص) بما سألت عنه، وإن على كل طاقة شعر في رأسك ملكاً يلعنك، وعلى كل طاقة شعر في لحيتك شيطاناً يستفزك، وإن في بيتك لسخلا يقتل ابن رسول الله، ذلك مصداق ما أخبرتك به، ولو لا أنَّ الذي سألت يعسر برهانه لأخبرتك به، ولكن آية ذلك ما نبأتك من لعنك وسخلك الملعون، وكان ابنه في ذلك الوقت صبياً صغيراً يحبو فلما كان من أمر الحسين (ع) ما كان تولى قتله، وكان الأمر كما قال أمير المؤمنين (ع).

* * *

احتجاجه (ع) على من قال بالرأي في الشرع والاختلاف في الفتوى وأن يتعرض للحكم بين الناس من ليس لذلك بأهل وذكر الوجه لاختلاف من اختلف في الدين والرواية عن رسول الله (ص).

روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آراءَهم جميعاً وإلههم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد، أفأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه، أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم

(١) هو الأشعث بن قيس لعنه الله.

كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول (ص) عن تبليغه وأدائه؟ والله سبحانه يقول: **﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾**[١] **﴿وفيه تبيان كل شيء﴾** وذكر أنّ الكتاب يصدق بعضه بعضاً،وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه: **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾** وأن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات الا به.

وروي أنه (ع) قال: إنّ أبغض الخلايق إلى الله تعالى رجلان:

رجل وكله الله إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل، سائر بغير علم ولا دليل، مشغوف بكلام بدعة، ودعاء ضلالة،[٢] فهو: فتنة لمن افتتن به، ضال هدي من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته.

ورجل قمش جهلاً، فوضع في جهال الأمة، غار في أغباش الفتنة، قد لهج منها بالصوم والصلاة، عمي في عقد الهدنة، سماه الله عارياً منسلخاً وسماه أشباه الناس عالماً وليس به، ولما يغن في العلم يوماً، سالماً بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من آجن، وأكثر من غير طائل جلس بين الناس مفتياً قاضياً، ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، إن خالف من سبقه: لم يؤمن من نقض حكمه من يأتي من بعده، كفعله بمن كان قبله فان نزلت به إحدى المبهمات هيّأ لها حشواً رثاً من رأيه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت، خباط جهالات وركاب عشوات ومفتاح شبهات، فهو لا يدري أصاب الحق أم أخطأ، إن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب، فهو من رأيه في مثل نسج غزل العنكبوت الذي إذا مرت به النار لم يعلم بها.

لم يعض على العلم بضرس قاطع، فيغنم بذري الروايات إذراء الريح الهشيم، لاملي والله باصدار ما ورد عليه، لا يحسب العلم في شيءٍ مما أنكره، ولا يرى أن من وراء ما ذهب فيه مذهب ناطق ما بلغ منه مذهباً لغيره، وان قاس شيئاً بشيء لم تكذب رأيه، كيلا يقال له: لا يعلم شيئاً، وإن خالف قاضياً سبقه لم يؤمن من فضيحته حين خالفه وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث، إلى الله أشكو معشراً يعيشون جهالاً، ويموتون ضلالاً، لا يتعذر مما لا يعلم فيسلم، وتولول منه الفتيا، وتبكي منه المواريث، ويحلل بقضائه الفرج الحرام، ويحرم بقضائه الفرج الحلال، ويأخذ المال من أهله فيدفعه إلى غير أهله.

وروي أنه صلوات الله عليه قال- بعد ذلك -:

أيها الناس، عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تعتذرون بجهالته، فإنّ العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة نبيكم محمّد (ص) فأنّى يتاه بكم؟! بل أين تذهبون؟! يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة! هذه مثلها فيكم فاركبوها، فكما نجى في هاتيك من نجى، فكذلك

---

(١) الأنعام - ٢٨

(٢) المشعوف: المجنون الوله.

ينجو في هذه من دخلها، أنا رهين بذلك قسماً حقاً وما أنا من المتكلفين، والويل لمن تخلف ثم الويل لمن تخلف.

أما بلغكم ما قال فيكم نبيكم حيث يقول ـ في حجة الوداع ـ: «إنّي تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» ألا هذا عذب فرات فاشربوا منه، وهذا ملح اجاج فاجتنبوا.

وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال ـ لرأس اليهود ـ: على كم افترقتم؟ فقال: على كذا وكذا فرقة.

فقال علي (ع): كذبت ثم أقبل على الناس فقال: والله لو ثنيت لي الوسادة: لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم.

إفترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، سبعون منها في النار وواحدة ناجية في الجنة، وهي التي اتبعت يوشع بن نون وصي موسى (ع).

وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، إحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة بالجنة وهي التي اتبعت شمعون الصفا وصي عيسى (ع).

وتفترق هذه الأُمة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة، وهي التي اتبعت وصي محمّد (ص)، وضرب بيده على صدره ثم قال:

ثلاثة عشر فرقة من الثلاث وسبعين فرقة كلها تنتحل مودتي، وحبي، واحدة منها في الجنة، وهي: النمط الأوسط واثنتا عشرة في النار.

عن مسعدة بن صدقة،[1] عن جعفر بن محمّد (ع) قال: خطب أمير المؤمنين (ع) فقال:

سمعت رسول الله (ص) يقول: «كيف أنتم اذا لبستم الفتنة، ينشأ فيها الوليد، ويهرم فيها الكبير، ويجري الناس عليها حتى يتخذونها سنة، فإذا غير منها شيء قيل أتى الناس بمنكر، غيرت السنة، ثم تشتد البلية، وتنشأ فيها الذرية وتدقهم الفتن كما تدق النار الحطب، وكما تدق الرحا بثقالها، يتفقه الناس لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة».

ثم أقبل أمير المؤمنين (ع) ومعه ناس من أهل بيته، وخاص من شيعته فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي (ص) ثم قال:

لقد عمل الولاة قبلي بأمور عظيمة خالفوا فيها رسول الله متعمدين لذلك ولو حملت النّاس على تركها وحولتها إلى مواضعها التي كانت عليها على عهد رسول الله لتفرق عني جندي، حتى أبقى وحدي

---

(١) مسعدة بن صدقة: عده الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، وذكره العلامة في القسم الثاني من خلاصته ص ٢٦٠ فقال: مسعدة بن صدقة: قال الشيخ رحمه الله: إنه عامي، وقال الكشي إنه بتري.

الا قليلاً من شيعتي، الذين عرفوا فضلي وإمامتي من كتاب الله وسنة نبيه (ص)، أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم (ع) فرددته إلى المكان الذي وضعه فيه رسول الله، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة سلام الله عليها، ورددت صاع رسول الله ومده إلى ما كان، وأمضيت إلى قطايع كان رسول الله (ص) أقطعها للناس سنين، ورددت دار ابن جعفر بن أبي طالب إلى ورثته وهدمتها وأخرجتها من المسجد، ورددت الخمس إلى أهله، ورددت قضاء كلٍّ من قضى بجور، ورددت سبي ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت ديوان العطاء، وأعطيت كما كان يعطي رسول الله (ص)، لوم أجعلها دولة بين الأغنياء.

والله لقد أمرت الناس: أن لا يجمعوا في شهر رمضان الا في فريضة، فنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل وسيفه معي: «أنعى الاسلام وأهله، غيرت سنة عمر!» ونهى أن يصلى في شهر رمضان في جماعة، حتى خفت أن يثور في ناحية عسكري على ما لقيت ولقيت هذه الأُمة من أئمة الضلالة والدعاة إلى النار:

وأعظم من ذلك سهم ذوي القربى الذي قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿**واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل**﴾[١] وذلك لنا خاصة ﴿**إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان**﴾ نحن والله عنى بذوي القربى، الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه، ولم يجعل لنا في الصدقة نصيباً، أكرم الله سبحانه وتعالى نبيه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي الناس.

فقال له رجل: إنّي سمعت من سلمان وأبي ذر والمقداد، أشياء في تفسير القرآن والرواية عن النبي (ص)، وسمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة في تفسير القرآن والأحاديث عن النبي (ص) وأنتم تخالفونهم وتزعمون أنَّ ذلك باطل، فترى الناس يكذبون متعمدين على النبي (ص) ويفسرون القرآن بآرائهم.

قال: فأقبل عليّ (ع) عليه فقال له: سألت فافهم الجواب: إنَّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وخاصاً وعاماً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله وهو حي، حتى قام خطيباً فقال:

«أيها الناس، قد كثرت عليَّ الكذابة، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

وإنما أتاك بالحديث: أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق: مظهر للايمان متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله (ص) متعمداً، فلو علم الناس: أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا: «صاحب رسول الله، رآه وسمع منه، ولقف عنه» فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله تعالى عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده (ص) فتقربوا إلى أئمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والبهتان،

(١) الأنفال - ٤١.

فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله تعالى، فهذا أحد الأربعة.

ورجل: سمع من رسول الله (ص) شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يديه، يرويه ويعمل به ويقول: إنما سمعت من رسول الله (ص)، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث: سمع من رسول الله (ص) شيئاً يأمر به ثم نهى عنه، وهو لا يعلم، أو سمعه نهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً لله تعالى، وتعظيماً لرسول الله (ص)، ولم يهم به بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه، لم يزد فيه ولم ينقص منه، وحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ وجنب عنه، وعرف الخاص والعام فوضع كلّ شيء موضعه، وعرف المتشابه والمحكم.

وقد كان يكون من رسول الله (ص) الكلام له وجهان: فكلام خاص، وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله تعالى به ولا ما عنى به رسول الله (ص) فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه ولا ما قصد به وما خرج من أجله، وليس كل أصحاب رسول الله (ص) يسأله ويستفهمه، حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي أو الطاري فيسأله (ص) حتى يسمعوا كلامه، وكان لا يمر بي من ذلك شيء الا سألته عنه وحفظته، فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم.

وعن يحيى الحضرمي[1] قال سمعت علياً (ع) يقول: كنا جلوساً عند النبي (ص) وهو نائم ورأسه في حجري. قيل لي: ما الدجال؟

فاستيقظ النبي (ص) محمر وجهه، فقال: فيما أنتم؟ فقلت له: يا رسول الله سألوني عن الدجال.

فقال: لغير الدجال أنا أخوف عليكم من الدجال، الأئمة الضالون المضلون يسفكون دماء عترتي، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم.

* * *

---

(١) يحيى الحضرمي من أصحاب أمير المؤمنين «ع» كان هو وابنه عبد الله من شرطة الخميس نقل أن أمير المؤمنين (ع) قال لعبد الله بن يحيى الحضرمي ـ يوم الجمل ـ إبشر يا ابن يحيى: فإنك وأباك من شرطة الخميس حقاً، لقد أخبرني رسول الله (ص) باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس، والله سماكم في السماء: «**شرطة الخميس**» على لسان نبيه (ص).

جواب مسائل الخضر (ع) للحسن بن علي بن أبي طالب (ع) بحضرة أبيه (ع).

عن أبي هاشم داوود بن القاسم الجعفري[1] عن أبي جعفر محمّد بن علي الثاني (ع) قال:

أقبل امير المؤمنين ذات يوم ومعه الحسن بن علي (ع) وسلمان الفارسي (ره) وامير المؤمنين (ع) متكىء على يد سلمان، فدخل المسجد الحرام فجلس، فأقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على امير المؤمنين (ع)، فرد عليه السلام، فجلس ثم قال:

يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل، إن أخبرتني بهن علمت ان القوم ركبوا من أمرك ما افضى اليهم انهم ليسوا بمأمونين في دنياهم ولا في آخرتهم، وان يكن الاخرى علمت انك وهم شرع سواء.

فقال أمير المؤمنين (ع): سلني عما بدا لك.

فقال: أخبرني عن الرجل اذا نام اين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟

فالتفت امير المؤمنين (ع) الى أبي محمّد الحسن بن علي (ع) فقال: يا أبا محمّد أجبه فقال (ع):

أما ما سألت عنه من أمر الانسان إذا نام أين تذهب روحه: فإنّ روحه متعلقة بالريح، والريح متعلقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة، فإن أذن الله برد تلك الروح على صاحبها، جذبت تلك الروح الريح وجذبت تلك الريح الهواء، فرجعت فسكنت في بدن صاحبها وإن لم يأذن الله عز وجل برد تلك الروح على صاحبها، جذبت الهواء الريح فجذبت الريح الروح، فلم ترد على صاحبها إلى وقت ما يبعث.

وأما ما ذكرت من أمر الذكر والنسيان: فإنّ قلب الرجل في حق، وعلى الحق طبق، فان صلّى

---

(١) أبو هاشم الجعفري: داوود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم البغدادي: وكان ثقة، جليل القدر، عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام، وقد شاهد منهم: الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الأمر صلوات الله عليهم أجمعين، وكان منقطعاً إليهم، وقد روى عنهم كلهم، وله أخبار ومسائل، وله شعر جيد فيهم (ع) منه قوله في أبي الحسن الهادي (ع) وقد اعتل:

مادت الأرض بي وأدت فؤادي ... واعترتني موارد العرواء
حين قيل الامام نضو عليل ... قلت نفسي فدته كل الفداء
مرض الدين لاعتلالك واعتل ... وغارت له نجوم السماء
عجباً أن منيت بالداء والسقم ... وأنت الامام حسم الداء
أنت آسي الأدواء في الدين والدنيا ... ومحيي الأموات والأحياء

وكان مقدماً عند السلطان، وكان ورعاً زاهداً ناسكاً عالماً عاملاً، ولم يكن أحد في آل أبي طالب (ع) مثله في زمانه في علو النسب، وذكر السيد ابن طاووس رحمه الله: أنه من وكلاء الناحية الذين لا تختلف الشيعة فيهم، توفي في ج ١ سنة (٢٦١) عن الكنى والألقاب للقمي ج ١

الرجل عند ذلك على محمّد وآل محمّد صلاة تامة، انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق، فأضاء القلب، وذكر الرجل ما كان نسي، وإن لم يصلِّ على محمّد وآل محمّد، أو نقص من الصَلاة عليهم، انطبق ذلك الطبق على ذلك الحق فأظلم القلب، ونسي الرجل ما كان ذكره.

وأما ما ذكرت من أمر المولود الذي يشبه أعمامه وأخواله: فإن الرجل إذا أتى أهله فجامعها بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن غير مضطرب، فاسكنت تلك النطفة جوف الرحم، خرج الولد يشبه أباه وأُمه، وإن أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادية وبدن مضطرب، اضطربت النطفة فوقعت في حال اضطرابها على بعض العروق: فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام، أشبه الولد أعمامه، وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال، أشبه الولد أخواله.

فقال الرجل أشهد أن لا إلّه إلاّ الله ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنَّ محمّداً رسول الله ولم أزل أشهد بذلك، وأشهد انك وصي رسول الله القائم بحجته ـ وأشار إلى أمير المؤمنين (ع) ـ ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته ـ وأشار إلى الحسن (ع) ـ وأشهد أنَّ الحسين بن علي وصي أبيك والقائم بحجته بعدك، وأشهد على علي بن الحسين أنه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد على محمّد بن علي (ع) أنه القائم بأمر علي بن الحسين بعده، وأشهد على جعفر بن محمّد أنه القائم بأمر محمّد بن علي بعده، وأشهد على موسى بن جعفر أنه القائم بأمر جعفر بن محمّد بعده، وأشهد على علي بن موسى الرضا بأنه القائم بأمر موسى بن جعفر بعده وأشهد على محمّد بن علي أنه القائم بأمر علي بن موسى، وأشهد على علي بن محمّد أنه القائم بأمر محمّد بن علي، وأشهد على الحسن بن علي أنه القائم بأمر علي بن محمّد وأشهد على رجل من ولد الحسن بن علي لا يكنىّ ولا يسمى حتى يظهر أمره فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والسلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم قام فمضى.

فقال أمير المؤمنين للحسن (ع) : يا أبا محمّد اتبعه فانظر أين يقصد.

فخرج في أثره فقال: فما كان إلا أن وضع رجله خارج المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله، فرجعت إلى أمير المؤمنين (ع) فأعلمته.

فقال (ع) : يا أبا محمّد أتعرفه؟ قلت: الله ورسوله وامير المؤمنين أعلم. قال: هو الخضر (ع).

* * *

جوابه عن مسائل جاءت من الروم ثم من الشام الجاري مجرى الاحتجاج بحضرة أبيه (ع).

روى محمّد بن قيس[1] عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر (ع) قال:

بينا امير المؤمنين في الرحبة والناس عليه متراكمون، فمن بين مستفت ومن بين مستعد، إذ قام إليه رجل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

---

(١) قال العلامة في القسم الأول من خلاصته: محمد بن قيس أبو نصير ـ بالنون ـ الأسدي من أصحاب الصادق عليه السلام ثقة ثقة.

فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أنت؟ قال: أنا رجل من رعيتك وأهل بلادك.

فقال له: ما أنت برعيتي وأهل بلادي، ولو سلمت عليَّ يوماً واحداً ما خفيت عليّ. فقال: الأمان يا امير المؤمنين.

فقال: هل أحدثت منذ دخلت مصري هذا؟ قال: لا.

قال: فلعلك من رجال الحرب؟ قال: نعم.

قال: إذا وضعت الحرب أوزارها فلا بأس.

قال: أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفلاً لك، أسألك عن شيء بعث به ابن الأصفر إليه، وقال له: إن كنت أحق بهذا الأمر والخليفة بعد محمّد فأجبني عما أسألك، فإنك إن فعلت ذلك اتبعتك، وبعثت إليك بالجائزة، فلم يكن عنده جواب وقد أقلقه فبعثني إليك لأسألك عنها.

فقال امير المؤمنين (ع): قاتل الله ابن آكلة الأكباد، وما أضله وأعماه ومن معه، حكم الله بيني وبين هذه الأمة، قطعوا رحمي، وأضاعوا أيامي، ودفعوا حقي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي، يا قنبر عليَّ بالحسن والحسين ومحمّد فأُحضروا.

فقال: يا شامي هذان ابنا رسول الله، وهذا ابني، فاسأل أيهم أحببت. فقال: أسأل ذا الوفرة يعني: الحسن (ع).

فقال له الحسن (ع): سلني عما بدا لك.

فقال الشامي: كم بين الحق والباطل؟ وكم بين السماء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغرب؟ وما قوس قزح؟ وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين وما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين؟ وما المؤنث؟ وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض؟

فقال الحسن (ع): بين الحق والباطل أربع أصابع، فما رأيته بعينك فهو الحق، وقد تسمع بأُذنك باطلاً كثيراً. فقال الشامي: صدقت.

قال: وبين السماء والأرض دعوة المظلوم، ومد البصر، فمن قال لك غير هذا فكذبه. قال: صدقت يا ابن رسول الله.

قال: وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس، تنظر إليها حين تطلع من مشرقها، وتنظر إليها حين تغيب في مغربها. قال: صدقت. فما قوس قزح؟

قال: ويحك لا تقل قوس قزح فإنّ قزح اسم الشيطان، وهو قوس الله وهذه علامة الخصب، وأمان لأهل الأرض من الغرق.

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين: فهي عين يقال لها: **«برهوت»**

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين: فهي عين يقال لها: «سلمى».

وأما المؤنث: فهو الذي لا يدرى أذكر أم أُنثى، فانه ينتظر به فان كان ذكراً احتلم، وإن كان أُنثى حاضت وبدا ثديها، وإلا قيل له: «بل على الحايط» فان أصاب بوله الحايط فهو ذكر، وإن انتكص بوله كما ينتكص بول البعير فهي امرأة.

وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض: فأشد شيء خلقه الله الحجر، وأشد من الحجر الحديد يقطع به الحجر، وأشد من الحديد النار تذيب الحديد، وأشد من النار الماء يطفىء النار، وأشد من الماء السحاب يحمل الماء، وأشد من السحاب الريح تحمل السحاب، وأشد من الريح الملك الذي يرسلها، وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشد من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت، وأشد من الموت أمر الله الذي يميت الموت.

فقال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله حقاً، وأنَّ علياً أولى بالأمر من معاوية. ثم كتب هذه الجوابات وذهب بها إلى معاوية فبعثها إلى ابن الأصفر.

فكتب إليه ابن الأصفر: يا معاوية تكلمني بغير كلامك؟ وتجيبني بغير جوابك؟ اقسم بالمسيح ما هذا جوابك! وما هو إلا من معدن النبوة، وموضع الرسالة، وأما أنت فلو سألتني درهماً ما أعطيتك.

* * *

إحتجاج الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام على جماعة من المنكرين لفضله وفضل أبيه من قبل بحضرة معاوية.

روي عن الشعبي وأبي مخنف[1] ويزيد بن أبي حبيب المصري[2] أنهم قالوا: لم يكن في الاسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل، أكثر ضجيجاً ولا أعلى كلاماً ولا أشد مبالغة في قول، من يوم

---

(١) أبو مخنف: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم، كما عن النجاشي، وتوفي سنة (١٥٧) يروي عن الصادق (ع)، ويروي عنه هشام الكلبي، وجده مخنف بن سليم صحابي، شهد الجمل في اصحاب علي «عليه السلام» حاملاً راية الازد، فاستشهد في تلك الواقعة سنة (٢٦) وكان ابو مخنف من اعاظم مؤرخي الشيعة، ومع اشتهار تشيعه اعتمد عليه علماء السنة في النقل عنه كالطبري وابن الأثير وغيرهما، وليعلم أن لأبي مخنف كتباً كثيرة في التاريخ والسير منها: كتاب «مقتل الحسين» الذي نقل عنه أعاظم العلماء المتقدمين واعتمدوا عليه، ولكن المؤسف أنه فقد ولا يوجد منه نسخة. وأما المقتل الذي بأيدينا وينسب إليه فليس له، بل ولا لأحد من المؤرخين المعتمدين ومن أراد تصديق ذلك فليقابل ما في هذا المقتل وما نقله الطبري وغيره عنه حتى يعلم ذلك، وقد بينت ذلك في: «نفس المهموم» في طرماح بن عدي والله العالم. الكنى والألقاب ج ١ ص ٤٨ للشيخ عباس القمي

(٢) يزيد بن أبي حبيب: واسمه سويد الأزدي مولاهم أبو رجاء المصري وقيل غير ذلك في ولائه. قال ابن سعد: كان مفتي أهل مصر في زمانه وكان أول من أظهر العلم في مصر والكلام في الحلال والحرام، وقال الليث: يزيد بن أبي حبيب سيدنا وعالمنا وذكره ابن حبان في الثقاة، وقال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث مات سنة (١٢٨) وقال غيره بلغ زيادة على (٧٥) سنة. عن تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣١٨ باختصار

اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان عمرو بن عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، والمغيرة بن أبي شعبة، وقد تواطؤوا على أمر واحد.

فقال عمرو بن العاص: لمعاوية ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتحضره، فقد أحيا سنة أبيه، وخفقت النعال خلفه، أمر فأُطيع، وقال فصدِّق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما، فلو بعثت إليه فقصرنا به وبأبيه، وسببناه وسببنا أباه، وصغرنا بقدره وقدر أبيه، وقعدنا لذلك حتى صدق لك فيه، فقال لهم معاوية: إنّي أخاف أن يقلدكم قلايد يبقى عليكم عارها حتى يدخلكم قبوركم، والله ما رأيته قط الا كرهت جنابه، وهبت عتابه، وإنّي إن بعثت إليه لأُنصفنه منكم.

قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقنا، ومرضه على صحتنا قال: لا، قال: فابعث إذاً عليه.

فقال عتبة: هذا رأي لا أعرفه، والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا أعظم مما في أنفسكم عليه، ولا يلقاكم بأعظم مما في نفسه عليكم، وإنه لأهل بيت خصم جدل، فبعثوا إلى الحسن فلما أتاه الرسول قال له: يدعوك معاوية. قال: ومن عنده؟

قال الرسول: عنده فلان وفلان، وسمى كلاً منهم باسمه.

فقال الحسن (ع): ما لهم خرَّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون.

ثم قال: يا جارية أبلغيني ثيابي ثم قال:

«اللهم إنّي أدرأ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت، وأنّى شئت، من حولك وقوتك، يا أرحم الراحمين» وقال للرسول: هذا كلام الفرج، فلما أتى معاوية رحب به، وحياه وصافحه.

فقال الحسن (ع): إنَّ الذي حييت به سلامة، والمصافحة أمن.

فقال معاوية: أجل إنّ هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليقروك: أنَّ عثمان قتل مظلوماً، وأنَّ أباك قتله فاسمع منهم ثم أجبهم بمثل ما يكلمونك، فلا يمنعك مكاني من جوابهم.

فقال الحسن: فسبحان الله البيت بيتك والإذن فيه إليك! والله لئن أجبتهم إلى ما أرادوا إنّي لأستحيي لك من الفحش، وإن كانوا غلبوك على ما تريد، إنّي لأستحيي لك من الضعف، فبأيهما تقر ومن أيهما تعتذر، وأما أنّي لو علمت بمكانهم واجتماعهم لجئت بعدتهم من بني هاشم، مع أني مع وحدتي هم أوحش مني من جمعهم، فإنَّ الله عز وجل لوليي اليوم وفيما بعد اليوم، فمرهم فليقولوا فأسمع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فتكلم عمرو بن عثمان بن عفان فقال: ما سمعت كاليوم ان بقي من بني عبد المطلب على وجه الأرض من أحد بعد قتل الخليفة عثمان بن عفان، وكان ابن أُختهم والفاضل في الاسلام منزلة،

والخاص برسول الله إثرة، فبئس كرامة الله حتى سفكوا دمه اعتداء وطلباً للفتنة، وحسداً ونفاسة وطلب ما ليسوا بأهلين لذلك، مع سوابقه ومنزلته من الله ومن رسوله ومن الإسلام، فيا ذلاه أن يكون حسن وساير بني عبد المطلب قتلة عثمان، أحياء يمشون على مناكب الأرض وعثمان بدمه مضرج، مع أنَّ لنا فيكم تسعة عشر دماً بقتلى بني أُمية ببدر.

ثم تكلَّم عمرو بن العاص: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أي ابن أبي تراب بعثنا إليك لنقررك أنَّ أباك سم أبا بكر الصديق، واشترك في قتل عمر الفاروق وقتل عثمان ذي النورين مظلوماً، وادعى ما ليس له حق ووقع فيه، وذكر الفتنة وعيره بشأنها؟

ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك فتركبون فيه ما لا يحل لكم، ثم أنت يا حسن تحدث نفسك بأنك كائن امير المؤمنين وليس عندك عقل ذلك ولا رأيه، وكيف وقد سلبته، وتركت أحمق في قريش، وذلك لسوء عمل أبيك، وإنما دعوناك لنسبّك وأباك.

ثم إنك لا تستطيع أن تعيب علينا ولا أن تكذبنا به، فان كنت ترى أنا كذبناك في شيء وتقوّلنا عليك بالباطل، وادعينا عليك خلاف الحق فتكلم، والا فاعلم أنك وأباك من شر خلق الله، فأما أبوك فقد كفانا الله قتله وتفرد به، وأما أنت فانك في أيدينا نتخير فيك، والله أن لو قتلناك ما كان في قتلك إثم عند الله ولا عيب عند الناس.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان، فكان أول ما ابتدأ به أن قال:

يا حسن إنَّ أباك كان شر قريش لقريش، أقطعه لأرحامها، وأسفكه لدمائها وإنك لمن قتلة عثمان، وإنَّ في الحق أن نقتلك به، وإنّ عليك القود في كتاب الله عز وجل وإنا قاتلوك به، وأما أبوك فقد تفرد الله بقتله فكفانا أمره، وأما رجاؤك الخلافة فلست فيها، لا في قدحة زندك، ولا في رجحة ميزانك.

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط بنحو من كلام اصحابه فقال:

يا معشر بني هاشم، كنتم أول من دب بعيب عثمان وجمع الناس عليه، حتى قتلتموه حرصاً على الملك، وقطيعة للرحم، واستهلاك الأمة، وسفك دمائها حرصاً على الملك، وطلباً للدنيا الخبيثة وحباً لها، وكان عثمان خالكم، فنعم الخال كان لكم، وكان صهركم فكان نعم الصهر لكم، قد كنتم أول من حسده وطعن عليه ثم وليتم قتله، فكيف رأيتم صنع الله بكم.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة: فكان كلامه وقوله كله وقوعاً في علي (ع) ثم قال:

يا حسن إنَّ عثمان قتل مظلوماً فلم يكن لأبيك في ذلك عذر بريء ولا اعتذار مذنب، غير أنا يا حسن قد ظننا لأبيك في ضمه قتلة عثمان، وإيوائه لهم وذبه عنهم. أنه بقتله راض، وكان والله طويل السيف واللِّسان، يقتل الحي ويعيب الميت، وبنو أُمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أُمية، ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية، وقد كان أبوك ناصب رسول الله (ص) في حياته، وأجلب عليه قبل موته، وأراد قتله، فعلم ذلك من أمره رسول الله (ص)، ثم كره أن يبايع أبا بكر حتى أُتي به قوداً، ثم

دس عليه فسقاه سماً فقتله، ثم نازع عمر حتى هم أن يضرب رقبته، فعمد في قتله، ثم طعن على عثمان حتى قتله، كل هؤلاء قد شرك في دمهم فأي منزلة له من الله يا حسن: وقد جعل الله السلطان لولي المقتول في كتابه المنزل فمعاوية ولي المقتول بغير حق، فكان من الحق لو قتلناك وأخاك، والله ما دم علي بأخطر من دم عثمان، وما كان الله ليجمع فيكم يا بني عبد المطلب الملك والنبوة.

ثم سكت فتكلم أبو محمّد الحسن بن علي (ع) فقال:

الحمد لله الذي هدى أولكم بأولنا، وآخركم بآخرنا، وصلَّى الله على جدي محمّد النبي وآله وسلم.

اسمعوا مني مقالتي وأعيروني فهمكم، وبك أبدأ يا معاوية: إنه لَعمر الله يا أزرق ما شتمني غيرك وما هؤلاء شتموني، ولا سبني غيرك وما هؤلاء سبوني، ولكن شتمتني وسببتني، فحشاً منك وسوء رأي، وبغياً وعدواناً، وحسداً علينا وعداوة لمحمد (ص) قديماً وحديثاً، وإنه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا أزرق مشاورين في مسجد رسول الله (ص) وحولنا المهاجرون والأنصار ما قدروا أن يتكلموا به، ولا استقبلوني بما استقبلوني به.

فاسمعوا مني أيها الملأ المجتمعون المتعاونون عليّ، ولا تكتموا حقاً علمتوه، ولا تصدقوا بباطل إن نطقت به، وسأبدأ بك يا معاوية ولا أقول فيك إلا دون ما فيك.

أنشدكم بالله هل تعلمون أنَّ الرجل الذي شتمتموه صلَّى القبلتين كلتيهما وأنت تراهما جميعاً وأنت في ضلالة تعبد اللات والعزى؟ وبايع البيعتين كلتيهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأُولى كافر، وبالأُخرى ناكث؟

ثم قال: أُنشدكم بالله هل تعلمون أنَّ ما أقول حقاً، إنَّه لقيكم مع رسول الله (ص) يوم بدر ومعه راية النبي (ص) والمؤمنين، ومعك يا معاوية راية المشركين وأنت تعبد اللات والعزى، وترى حرب رسول الله (ص) فرضاً واجباً؟ ولقيكم يوم أُحد ومعه راية النبي، ومعك يا معاوية راية المشركين؟ ولقيكم يوم الأحزاب ومعه راية رسول الله (ص)، ومعك يا معاوية راية المشركين؟ كل ذلك يفلج الله حجته ويحق دعوته، ويصدق أُحدوثته وينصر رايته، وكل ذلك رسول الله عنه راضياً في المواطن كلها ساخطاً عليك.

ثم أُنشدكم بالله هل تعلمون: أنَّ رسول الله (ص) حاصر بني قريضة وبني النظير، ثم بعث عمر ابن الخطاب ومعه راية المهاجرين، وسعد بن معاذ ومعه راية الأنصار.

فأما سعد بن معاذ فخرج وحمل جريحاً، وأما عمر فرجع هارباً وهو يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه، فقال رسول الله (ص): «لأُعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، ثم لا يرجع حتى يفتح الله على يديه».

فتعرض لها أبو بكر وعمر، وغيرهما من المهاجرين والأنصار وعلي يومئذ أرمد شديد الرمد، فدعاه رسول الله (ص) فتفل في عينه فبرأ من رمده، وأعطاه الراية فمضى ولم يثن حتى فتح الله عليه بمنه

وطوله، وأنت يومئذ بمكة عدو لله ولرسوله؟ فهل يستوي بين رجل نصح لله ولرسوله، ورجل عادى الله ورسوله؟

ثم أُقسم بالله ما أسلم قلبك بعد، ولكن اللّسان خائف فهو يتكلم بما ليس في القلب!!

أُنشدكم بالله أتعلمون: أنَّ رسول الله (ص) استخلفه على المدينة في غزاة تبوك ولا سخط ذلك ولا كراهة، وتكلّم فيه المنافقون فقال: لا تخلفني يا رسول الله فاني لم أتخلّف عنك في غزوة قط، فقال رسول الله (ص): أنت وصيي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى ثم أخذ بيد علي (ع) فقال: أيها الناس من تولاني فقد تولى الله، ومن تولى علياً فقد تولاني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب علياً فقد أحبني.

ثم قال: أُنشدكم بالله أتعلمون أنَّ رسول الله (ص) قال ـ في حجة الوداع ـ: أيها الناس إنِّي قد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا بما أنزل الله من الكتاب، وأحبوا أهل بيتي وعترتي، ووالوا من والاهم وانصروهم على من عاداهم، وإنهما لن يزالا فيكم حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة.

ثم دعا وهو على المنبر علياً فاجتذبه بيده فقال: اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، أللّهم من عادى علياً فلا تجعل له في الأرض مقعداً، ولا في السماء مصعداً، واجعله في أسفل درك من النار؟

وأُنشدكم بالله أتعلمون: أنَّ رسول الله (ص) قال له: أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط إبله؟

أُنشدكم بالله أتعلمون: أنه دخل على رسول الله (ص) في مرضه الذي توفي فيه فبكى رسول الله (ص) فقال علي: ما يبكيك يا رسول الله؟

فقال: «يبكيني أنِّي أعلم: أنَّ لك في قلوب رجال من أُمتي ضغائن، لا يبدونها لك حتى أتولى عنك»؟

أُنشدكم بالله أتعلمون: أنَّ رسول الله (ص) حين حضرته الوفاة واجتمع عليه أهل بيته قال: «أللّهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي، أللّهم وال من والاهم وعاد من عاداهم» وقال: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح: من دخل فيها نجى ومن تخلف عنها غرق»؟

وأُنشدكم بالله أتعلمون: أنَّ أصحاب رسول الله (ص) قد سلموا عليه بالولاية في عهد رسول الله (ص) وحياته؟

وأُنشدكم بالله أتعلمون: أنَّ علياً أوّلَ من حرم الشهوات كلها على نفسه من أصحاب رسول الله، فأنزل الله عز وجل: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لكم ولا تعتدوا إنَّ الله لا يحب المعتدين * وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾**[1] وكان عنده علم المنايا، وعلم القضايا، وفصل الكتاب، ورسوخ العلم، ومنزل القرآن، وكان رهط لا نعلمهم يتممون عشرة

(١) المائدة ـ ٧٨ ـ ٨٨.

نبأهم الله أنهم مؤمنون، وأنتم في رهط قريب من عدة اولئك لعنوا على لسان رسول الله (ص)، فأشهد لكم وأشهد عليكم: أنكم لعناء الله على لسان نبيه كلكم.

وأُنشدكم بالله هل تعلمون: أنَّ رسول الله (ص) بعث إليك لتكتب له لبني خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد فانصرف إليه الرسول فقال: «هو يأكل» فأعاد الرسول إليك ثلاث مرات كل ذلك ينصرف الرسول إليه ويقول: «هو يأكل» فقال رسول الله: «ألّلهم لا تشبع بطنه» فهي والله في نهمتك، وأكلك إلى يوم القيامة.

ثم قال: أُنشدكم بالله هل تعلمون: أنَّ ما أقول حقاً إنك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر يقوده أخوك هذا القاعد، وهذا: يوم الأحزاب فلعن رسول الله القائد والراكب والسائق، فكان: أبوك الراكب، وأنت يا أزرق السائق، وأخوك هذا القاعد القائد؟

أُنشدكم بالله هل تعلمون: أنَّ رسول الله (ص) لعن أبا سفيان في سبعة مواطن.

أولهن: حين خرج من مكة إلى المدينة وأبو سفيان جاء من الشام، فوقع فيه أبو سفيان فسبه وأوعده وهمَّ أن يبطش به ثم صرفه الله عز وجل عنه.

والثانية: يوم العير حيث طردها أبو سفيان ليحرزها من رسول الله.

والثالثة: يوم أُحد قال رسول الله: الله مولانا ولا مولى لكم وقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم، فلعنه الله وملائكته ورسله والمؤمنون أجمعون.

والرابعة: يوم حنين يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش وهوازن وجاءَ عيينة بغطفان واليهود، فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، هذا: قول الله عز وجل انزل في سورتين في كلتيهما يسمي أبا سفيان وأصحابه كفاراً وأنت يا معاوية يومئذ مشرك على رأي أبيك بمكة، وعلي يومئذ مع رسول الله (ص) وعلى رأيه ودينه.

والخامسة: قول الله عز وجل: ﴿**والهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه**﴾[1] وصددت أنت وأبوك ومشركو قريش رسول الله، فلعنه الله لعنة شملته وذريته إلى يوم القيامة.

والسادسة: يوم الأحزاب يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش، وجاء عيينة بن حصين بن بدر بغطفان، فلعن رسول الله القادة والأتباع، والساقة الى يوم القيامة.

فقيل: يا رسول الله اما في الاتباع مؤمن؟

قال: لا تصيب اللعنة مؤمناً من الأتباع، أما القادة فليس فيهم مؤمن، ولا مجيب، ولا ناج.

والسابعة: يوم الثنية، يوم شد على رسول الله (ص) اثنا عشر رجلاً، سبعة منهم من بني امية، وخمسة من سائر قريش، فلعن الله تبارك وتعالى ورسول الله من حل الثنية غير النبي (ص) وسائقه وقائده.

---

(١) الفتح - ٢٥.

ثم انشدكم بالله هل تعلمون: ان أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله (ص) فقال:

يا ابن أخي هل علينا من عين؟

فقال: لا.

فقال أبو سفيان: تداولوا الخلافة يا فتيان بني أُمية فوالذي نفس ابي سفيان بيده، ما من جنة ولا نار؟!

وأُنشدكم بالله اتعلمون: ان أبا سفيان أخذ بيد الحسين حين بويع عثمان وقال: يا ابن أخي اخرج معي إلى بقيع الغرقد، فخرج حتى اذا توسط القبور إجتره فصاح بأعلى صوته:

يا أهل القبور! الذي كنتم تقاتلونا عليه صار بأيدينا وأنتم رميم.

فقال الحسين بن علي (ع): قبح الله شيبتك، وقبح وجهك، ثم نتر يده وتركه، فلولا النعمان بن بشير أخذ بيده ورده إلى المدينة لهلك.

فهذا لك يا معاوية: فهل تستطيع ان ترد علينا شيئاً ومن لعنتك يا معاوية وان اباك أبا سفيان كان يهم ان يسلم، فبعثت إليه بشعر معروف مروي في قريش وغيرهم، تنهاه عن الإسلام وتصده.

ومنها: أن عمر بن الخطاب ولاك الشام فخنت به، وولاك عثمان فتربصت به ريب المنون، ثم أعظم من ذلك جرأتك على الله ورسوله: أنك قاتلت علياً (ع) وقد عرفته وعرفت سوابقه، وفضله وعلمه على أمر هو أولى به منك، ومن غيرك عند الله وعند الناس، ولاذيته بل أوطأت الناس عشوة، وأرقت دماء خلق من خلق الله بخدعك وكيدك وتمويهك، فعل من لا يؤمن بالمعاد، ولا يخشى العقاب، فلما بلغ الكتاب أجله صرت إلى شر مثوى، وعلي الى خير منقلب، والله لك بالمرصاد.

فهذا لك يا معاوية خاصة، وما امسكت عنه من مساويك وعيوبك فقد كرهت به التطويل.

وأما أنت يا عمرو بن عثمان فلم تكن للجواب حقيقاً بحمقك، ان تتبع هذه الأمور فانما مثلك مثل البعوضة اذ قالت للنخلة: استمسكي فاني اريد أن أنزل عنك، فقالت لها النخلة: ما شعرت بوقوعك، فكيف يشق عليَّ نزولك. وإني والله ما شعرت أنك تجسر أن تعادي لي فيشق عليَّ ذلك، وإني لمجيبك في الذي قلت: إنَّ سبك علياً (ع): أينقص في حسبه، أو يباعده من رسول الله؟ أو يسوء بلاءه في الإسلام، أو بجور في حكم؟ أو رغبة في الدنيا؟ فإن قلت واحدة منها فقد كذبت.

وأما قولك: إنَّ لكم فينا تسعة عشر دماً بقتلى مشركي بني أُمية ببدر، فإن الله ورسوله قتلهم، ولعمري لتقتلن من بني هاشم تسعة عشر وثلاثة بعد تسعة عشر ثم يقتل من بني أُمية تسعة عشر وتسعة عشر في موطن واحد سوى ما قتل من بني أُمية لا يحصي عددهم إلا الله، وإن رسول الله (ص) قال: إذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلاً: أخذوا مال الله بينهم دولاً، وعباده خولاً، وكتابه دغلاً، فإذا بلغوا ثلثمائة وعشر حقت اللعنة عليهم ولهم، فإذا بلغوا أربعمائة وخمسة وسبعين كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة،

فأقبل الحكم بن أبي العاص وهم في ذلك الذكر والكلام فقال رسول الله : إخفضوا أصواتكم فإن الوزغ يسمع ، وذلك حين رآهم رسول الله (ص) ومن يملك بعده منهم أمر هذه الأُمة ـ يعني في المنام ـ فساءه ذلك وشق عليه ، فأنزل الله عز وجل في كتابه : ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن**﴾[1] يعني : بني أُمية ، وأنزل أيضاً ﴿**ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر**﴾ فأشهد لكم ، وأشهد عليكم ، ما سلطانكم بعد قتل علي إلا ألف شهر التي أجلها الله عز وجل في كتابه .

وأما أنت يا عمرو بن العاص الشاني اللعين الأبتر ، فإنما أنت كلب أول أمرك إنّ أمك بغية . وإنك ولدت على فراش مشترك ، فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن الحرب ، والوليد بن المغيرة ، وعثمان بن الحرث ، والنضر بن الحرث بن كلدة ، والعاص بن وايل ، كلهم يزعم أنك ابنه ، فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسباً ، وأخبثهم منصباً ، وأعظمهم بغية ، ثم قمت خطيباً وقلت : أنا شاني محمّد ، وقال العاص بن وايل : إنّ محمّداً رجل أبتر لا ولد له ، فلو قد مات انقطع ذكره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿**إنّ شانئك هو الأبتر**﴾ وكانت أمك تمشي إلى عبد قيس تطلب البغية ، تأتيهم في دورهم ورحالهم وبطون أوديتهم ثم كنت في كل مشهد يشهده رسول الله من عدوه أشدهم له عداوة ، وأشدهم له تكذيباً ثم كنت في أصحاب السفينة : الذين أتوا النجاشي والمهجر الخارج الى الحبشة في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وساير المهاجرين إلى النجاشي ، فحاق المكر السيّىء بك ، وجعل جدك الأسفل ، وأبطل أُمنيتك ، وخيب سعيك ، وأكذب احدوثتك ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا .

وأما قولك في عثمان ، فأنت يا قليل الحياء والدين ، ألهبت عليه ناراً ، ثم هربت إلى فلسطين تتربص به الدوائر ، فلما أتاك خبر قتله حبست نفسك على معاوية ، فبعته دينك يا خبيث بدنيا غيرك ، ولسنا نلومك على بغضنا ، ولم نعاتبك على حبنا ، وأنت عدو لبني هاشم في الجاهلية والإسلام . وقد هجوت رسول الله (ص) بسبعين بيتاً من شعر ، فقال رسول الله : «اللهم إنّي لا أُحسن الشعر ، ولا ينبغي لي أن أقوله فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة» ثم أنت يا عمرو المؤثر دنياك على دينك أهديت إلى النجاشي الهدايا ، ورحلت إليه رحلتك الثانية ، ولم تنهك الأولى عن الثانية ، كل ذلك ترجع مغلوباً ، حسيراً ، تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه ، فلما أخطأك ما رجوت وأملت أحلت على صاحبك عمارة بن الوليد .

وأما أنت يا وليد بن عقبة فوالله ما ألومك أن تبغض علياً وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة ، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر ، أم كيف تسبه وقد سماه الله مؤمناً في عشرة آيات من القرآن ، وسماك فاسقاً ، وهو قول الله عز وجل : ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**﴾[2] وقوله : ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾[3] وما أنت وذكر قريش وإنما أنت إبن

---

(١) الاسراء ـ ٦٠ .

(٢) السجدة ـ ١٨ .

(٣) الحجرات ـ ٦ .

علج من أهل صفورية اسمه: «ذكوان» وأما زعمك أنا قتلنا عثمان فوالله ما استطاع طلحة، والزبير، وعائشة، أن يقولوا ذلك لعليّ بن أبي طالب فكيف تقوله أنت، ولو سألت أُمك من أبوك إذ تركت ذكوان فألصقتك بعقبة بن أبي معيط، إكتسبت بذلك عند نفسها سناء ورفعة، ومع ما أعد الله لك ولأبيك ولأُمك من العار والخزي في الدنيا والآخرة، وما الله بظلّام للعبيد.

ثم أنت يا وليد والله أكبر في الميلاد ممن تدعى له، فكيف تسب علياً ولو اشتغلت بنفسك لتثبت نسبك إلى أبيك لا إلى من تدعى له، ولقد قالت لك أُمك «يا بنيّ أبوك والله ألأم وأخبث من عقبة».

وأما أنت يا عتبة بن أبي سفيان: فوالله ما أنت بحصيف فاجاوبك، ولا عاقل فأُعاقبك، وما عندك خير يرجى، وما كنتَ ولو سببت علياً لا عير به عليك، لأنك عندي لست بكفؤ لعبد علي بن أبي طالب فارد عليك، وأُعاتبك، ولكن الله عز وجل لك ولأبيك وأُمك وأخيك لبالمرصاد، فأنت ذرية آبائك الذين ذكرهم الله في القرآن فقال: **﴿عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية * تسقى من عين آنية * ـ إلى قوله ـ من جوع﴾**[1].

وأما وعيدك إياي أن تقتلني، فهلا قتلت الذي وجدته على فراشك مع حليلتك، وقد غلبك على فرجها وشركك في ولدها حتى ألصق بك ولداً ليس لك ويلاً لك! لو شغلت نفسك بطلب ثأرك منه كنت جديراً، ولذلك حرياً، إذ تسومني القتل وتوعدني به، ولا ألومك أن تسب علياً وقد قتل أخاك مبارزة، واشترك هو وحمزة بن عبد المطلب في قتل جدك حتى إصلاهما الله على أيديهما نار جهنم وأذاقهما العذاب الأليم، ونفى عمك بأمر رسول الله.

وأما رجائي الخلافة، فلعمر الله إن رجوتها فإن لي فيها لملتمساً، وما أنت بنظير أخيك، ولا بخليفة أبيك، لأنَّ أخاك أكثر تمرداً على الله، وأشد طلباً لاهراقه دماء المسلمين، وطلب ما ليس له بأهل، يخادع الناس ويمكرهم، ويمكر الله والله خير الماكرين.

وأما قولك: «إنَّ علياً كان شر قريش لقريش» فوالله ما حقر مرحوماً ولا قتل مظلوماً.

وأما أنت يا مغيرة بن شعبة! فإنك لله عدو، ولكتابه نابذ، ولنبيه مكذب وأنت الزاني وقد وجب عليك الرجم، وشهد عليك العدول البررة الأتقياء، فأخر رجمك، ودفع الحق بالأباطيل، والصدق بالأغاليط[2] وذلك لما اعد الله لك من العذاب الأليم، والخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة

---

(١) الغاشية ـ ٣ ـ ٦ .

(٢) اشار الإمام (ع) في كلامه هذا الى ما نشر وفاضت به السير والتواريخ صراحة او تلميحاً، من ان المغيرة بن شعبة زنا بام جميل حين كان والياً على البصرة من قبل عمر بن الخطاب، وكتبوا بذلك إلى الخليفة، فكتب إليه وإلى الشهود جميعاً ان يحضروا عنده، فلما قدموا صفهم، ودعا أبا بكرة، فأثبت الشهادة وقال: انه رآه يدخل كما يدخل الميل في المكحلة و (قال): لكأني انظر إلى اثر الجدري بفخذ المرأة، ثم دعا نافعاً وشبل بن معبد فشهدا بمثل ما شهد به ابو بكرة ثم دعا زياداً وهو الشاهد الرابع وقال له: «اني لأرى وجه رجل ما كان الله يخزي رجلاً من المهاجرين بشهادته» أو قال: «أما اني أرى رجلاً أرجو ان لا يرجم رجل من أصحاب رسول الله على يده ولا يخزى بشهادته» يوحي بذلك إلى زياد بالعدول عن الشهادة ليدرأ الحد عن المغيرة، فقال شبل بن معبد ثالث الشهود: أفتجلد شهود=

اخزى، وأنت الذي ضربت فاطمة بنت رسول الله (ص) حتى أدميتها وألقت ما في بطنها، استذلالاً منك لرسول الله (ص) ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته وقد قال لها رسول الله (ص) : «يا فاطمة أنت سيدة نساء أهل الجنة» والله مصيّرك إلى النار، وجاعل وبال ما نطقت به عليك، فبأي الثلاثة سببت علياً، أنقصاً في نسبه، أم بعداً من رسول الله، أم سوء بلاء في الإسلام، أم جوراً في حكم، أم رغبة في الدنيا؟! ان قلت بها فقد كذبت وكذبك الناس، أتزعم أن علياً (ع) قتل عثمان مظلوماً؟! فعليّ والله أتقى وأنقى من لائمه في ذلك، ولعمري لئن كان علي قتل عثمان مظلوماً فوالله ما أنت من ذلك في شيء، فما نصرته حيّاً ولا تعصبت له ميتاً، وما زالت الطائف دارك تتبع البغايا، وتحيي أمر الجاهلية، وتميت الإسلام، حتى كان ما كان في أمس.

وأما اعتراضك في بني هاشم وبني أُمية فهو ادعاؤك إلى معاوية.

وأما قولك في شأن الإمارة وقول أصحابك في الملك الذي ملكتموه، فقد ملك فرعون مصر أربعمائة سنة، وموسى وهارون نبيان مرسلان (ع) يلقيان ما يلقيان من الأذى، وهو ملك الله يعطيه البر والفاجر، وقال الله: **﴿وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾** وقال: **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾**.

ثم قام الحسن فنفض ثيابه وهو يقول: «الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات» هم والله يا معاوية: أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك، «والطيبون للطيبات ـ أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم» هم: علي بن أبي طالب (ع) وأصحابه وشيعته.

ثم خرج وهو يقول لمعاوية: ذق وبال ما كسبت يداك وما جنت، وما قد أعد الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

فقال معاوية لأصحابه: وأنتم فذوقوا وبال ما جنيتم.

فقال الوليد بن عقبة: والله ما ذقنا إلا كما ذقت، ولا اجترأ إلا عليك.

فقال معاوية: ألم أقل لكم أنكم لن تنتقصوا من الرجل فهلا أطعتموني أول مرة فانتصرتم من الرجل إذ فضحكم، فوالله ما قام حتى أظلم عليّ البيت، وهممت أن أسطو به فليس فيكم خير اليوم ولا بعد اليوم.

قال: وسمع مروان بن الحكم بما لقي معاوية وأصحابه المذكورون من الحسن بن علي (ع)،

=الحق، وتبطل الحد أحب إليك يا عمر؟ فقال عمر ـ لزياد ـ : ما تقول؟ فقال: قد رأيت منظراً قبيحاً، ونفساً عالياً ولقد رأيته بين فخذي المرأة ولا ادري هل كان خالطها أم لا؟ فقال عمر: الله أكبر فقال: المغيرة: الله اكبر، الحمد لرب الفلق، والله لقد كنت علمت اني سأخرج عنها سالماً ـ فقال له عمر: اسكت فوالله لقد رأوك بمكان سوء، فقبح الله مكاناً رأوك فيه، وأمر بجلد الشهود الثلاثة فقال نافع انت والله يا عمر جلدتنا ظلماً، انت رددت صاحبنا أن يشهد بمثل شهادتنا، اعلمته هواك، فاتبعه، ولو كان تقياً لكان رضى الله والحق عنده آثر من رضاك فلما جلد أبا بكرة قام وقال: اشهد لقد زنى المغيرة، فأراد عمر ان يجلده ثانياً فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: ان جلدته رجمت صاحبك.

فأتاهم فوجدهم عند معاوية في البيت فسألهم:

ما الذي بلغني عن الحسن وزعله؟

قال: قد كان كذلك.

فقال لهم مروان: أفلا احضرتموني ذلك، فوالله لأسبنه ولأسبن أباه وأهل البيت سباً تتغنى به الآماء والعبيد.

فقال معاوية والقوم: لم يفتك شيء وهم يعلمون من مروان بذو لسان وفحش.

فقال مروان: فأرسل إليه يا معاوية فأرسل معاوية إلى الحسن بن علي.

فلما جاء الرسول قال له الحسن (ع) : ما يريد هذا الطاغية مني؟ والله ان اعاد الكلام لأوقرن مسامعه ما يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم القيامة، فأقبل الحسن فلما جاءهم وجدهم بالمجلس على حالتهم التي تركهم فيها، غير أنَّ مروان قد حضر معهم في هذا الوقت، فمشى الحسن (ع) حتى جلس على السرير مع معاوية وعمرو بن العاص.

ثم قال الحسن لمعاوية : لم أرسلت إليّ؟

قال: لست أنا أرسلت إليك ولكن مروان الذي أرسل إليك.

فقال له مروان: انت يا حسن السباب لرجال قريش؟

فقال له الحسن: وما الذي أردت؟

فقال مروان: والله لأسبنك وأباك وأهل بيتك سباً تتغنى به الآماء والعبيد.

فقال الحسن (ع) : أما أنت يا مروان فلست سببتك ولا سببت أباك، ولكن الله عز وجل لعنك ولعن أباك، وأهل بيتك، وذريتك، وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة، على لسان نبيه محمّد، والله يا مروان ما تنكر أنت ولا أحد ممن حضر، هذه اللعنة من رسول الله (ص) لك ولأبيك من قبلك، وما زادك الله يا مروان بما خوفك إلا طغياناً كبيراً، وصدق الله وصدق رسوله يقول الله تباكر وتعالى: **﴿والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً﴾** وأنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة في القرآن، وذلك عن رسول الله (ص) عن جبرئيل عن الله عز وجل.

فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن وقال: يا أبا محمّد ما كنت فحاشاً ولا طياشاً، فنفض الحسن (ع) ثوبه، وقام فخرج، فتفرق القوم عن المجلس بغيظ وحزن، وسواد الوجوه في الدنيا والآخرة.

* * *

مفاخرة الحسن بن علي صلوات الله عليهما على معاوية ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان.

قيل: وفد الحسن بن علي (ع) على معاوية فحضر مجلسه، وإذا عنده هؤلاء القوم، ففخر كل

رجل منهم على بني هاشم، ووضعوا منهم، وذكروا أشياء ساءت الحسن بن علي وبلغت منه.

فقال الحسن بن علي (ع) : أنا شعبة من خير الشعب، وآبائي أكرم العرب، لنا الفخر والنسب، والسماحة عند الحسب، ونحن من خير شجرة، أنبتت فروعاً نامية، وأثماراً زاكية، وأبداناً قائمة، فيها أصل الإسلام، وعلم النبوة، فعلونا حين شمخ بنا الفخر، واستطلنا حين امتنع بنا العز، ونحن بحور زاخرة لا تنزف وجبال شامخة لا تقهر.

فقال مروان بن الحكم: مدحت نفسك، وشمخت بأنفك، هيهات هيهات يا حسن، نحن والله الملوك السادة، والأعزة القادة، لا تبجحن فليس لك عز مثل عزنا، ولا فخر كفخرنا، ثم أنشأ يقول:

شفينا أنفسا طابت وقوراً فنالت عزها فيمن يلينا
فابنا بالغنيمة حيث ابنا وابنا بالملوك مقرنينا

ثم تكلم مغيرة بن شعبة فقال: نصحت لأبيك فلم يقبل النصح، ولولا كراهية قطع القرابة لكنت في جملة أهل الشام، فكان يعلم أبوك أني أصدر الوراد عن مناهلها، بزعارة قيس، وحلم ثقيف، وتجاربها للامور على القبائل.

فتكلم الحسن (ع) فقال: يا مروان أجبناً، وخوراً، وضعفاً، وعجزاً، زعمت أني مدحت نفسي، وأنا ابن رسول الله، وشمخت بأنفي وأنا سيد شباب أهل الجنة وإنما يبذخ ويتكبر - ويلك - من يريد رفع نفسه، ويتبجح من يريد الاستطالة فأما نحن فأهل بيت الرحمة، ومعدن الكرامة، وموضع الخيرة، وكنز الإيمان ورمح الإسلام، وسيف الدين، ألا تصمت ثكلتك أُمك قبل أن أرميك بالهوائل، وأسمك بميسم تستغني به عن اسمك، فأما إيابك بالنهاب والملوك: أفي اليوم الذي وليت فيه مهزوماً، وانخجرت مذعوراً، فكانت غنيمتك هزيمتك، وغدرك بطلحة حين غدرت به فقتلته، قبحاً لك ما أغلظ جلدة وجهك!!

فنكس مروان رأسه، وبقي مغيرة مبهوتاً، فالتفت إليه الحسن (ع) فقال:

أعور ثقيف ما أنت من قريش فأُفاخرك، أجهلتني يا ويحك؟!! أنا ابن خيرة الاماء، وسيدة النساء، غذانا رسول الله (ص) بعلم الله تبارك وتعالى، فعلمنا تأويل القرآن، ومشكلات الأحكام، لنا العزة العليا، والفخر والسناء، وأنت من قوم لم يثبت لهم في الجاهلية نسب، ولا لهم في الإسلام نصيب، عبد آبق، ما له والافتخار عن مصادمة الليوث، ومجاحشة الأقران، نحن السادة، ونحن المذاويد القادة، نحمي الذمار، وننفي عن ساحتنا العار، وأنا ابن نجيبات الأبكار، ثم اشرت زعمت إلى وصي خير الأنبياء، وكان هو بعجزك أبصر، وبجورك أعلم وكنت للرد عليك منه أهلاً لو عزك في صدرك، وبدو الغدر في عينك، هيهات لم يكن ليتخذ المضلين عضداً، وزعمك: إنك لو كنت بصفين بزعارة قيس، وحلم ثقيف، فبماذا ثكلتك أُمك؟! أبعجزك عند المقامات، وفرارك عند المجاحشات؟

أما والله لو التفت عليك من أمير المؤمنين الأجاشع، لعلمت أنه لا يمنعه منك الموانع، ولقامت

عليك المرنات الهوالع.

وأما زعارة قيس: فما أنت وقيساً؟ انما أنت عبد آبق فثقف فسمي ثقيفاً فاحتل لنفسك من غيرها، فلست من رجالها، أنت بمعالجة الشرك وموالج الزرائب أعرف منك بالحروب.

فأما الحلم فأي الحلم عند العبيد القيون؟ ثم تمنيت لقاء أمير المؤمنين (ع) فذاك من قد عرفت: أسد باسل، وسم قاتل، لا تقاومه الأبالسة عند الطعن والمخالسة، فكيف ترومه الضبعان، وتناله الجعلان، بمشيتها القهقرى.

وأما وصلتك: فمنكورة، وقربتك: فمجهولة، وما رحمك منه الاكبنات الماء من خشفان الظباء، بل أنت أبعد منه نسباً.

فوثب المغيرة والحسن يقول ـ لمعاوية ـ: اعذرنا من بني أُمية إن تجاوزنا بعد مناطقة القيون، ومفاخرة العبيد.

فقال معاوية: ارجع يا مغيرة، هؤلاء بنو عبد مناف، لا تقاومهم الصناديد ولا تفاخرهم المذاويد.

ثم أقسم على الحسن (ع) بالسكوت فسكت.

وروي أنّ عمرو بن العاص قال ـ لمعاوية ـ: ابعث إلى الحسن بن علي فمره أن يصعد المنبر ويخطب الناس، فلعله أن يحصر فيكون ذلك مما نعيره به في كل محفل، فبعث إليه معاوية فأصعده المنبر، وقد جمع له الناس، ورؤساء أهل الشام فحمد الله الحسن صلوات الله عليه وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، من عرفني فأنا الذي يعرف، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، ابن عم نبي الله، أول المسلمين إسلاماً، وأُمي فاطمة بنت رسول الله (ص)، وجدي محمّد بن عبد الله نبي الرحمة، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين، أنا ابن من بعث إلى الجن والإنس أجمعين، فقطع عليه معاوية فقال: يا أبا محمّد خلنا من هذا وحدثنا في نعت الرطب، أراد بذلك تخجيله.

فقال الحسن (ع): نعم، التمر: الريح تنفخه، والحر ينضجه، والليل يبرده ويطيبه.

ثم أقبل الحسن (ع) فرجع في كلامه الأول فقال: أنا ابن مستجاب الدعوة أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أول من ينفض عن رأسه التراب، أنا ابن من يقرع باب الجنة فيفتح له فيدخلها، أنا ابن من قاتل معه الملائكة، وأحل له المغنم ونصر بالرعب من مسيرة شهر فأكثر، في هذا النوع من الكلام، ولم يزل به حتى أظلمت الدنيا على معاوية، وعرف الحسن من لم يكن عرفه من أهل الشام وغيرهم ثم نزل. فقال له معاوية: أما انك يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة، ولست هناك، فقال الحسن (ع): أما الخليفة: فمن سار بسيرة رسول الله (ص)، وعمل بطاعة الله عز وجل، وليس الخليفة من سار بالجور،

وعطل السنن، واتخذ الدنيا أُماً وأباً، وعباد الله خولاً، وماله دولاً، ولكن ذلك أمر ملك أصاب ملكاً فتمتع منه قليلاً، وكان قد انقطع عنه، فأتخم لذته وبقيت عليه تبعته، وكان كما قال الله تبارك وتعالى **﴿وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾ ﴿متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ ﴿وما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾** وأومى بيده إلى معاوية، ثم قام فانصرف. فقال معاوية لعمرو: والله ما أردت إلا شيني حين أمرتني بما أمرتني، والله ما كان يرى أهل الشام أن أحداً مثلي في حسب ولا غيره، حتى قال الحسن (ع) ما قال، قال عمرو: وهذا شيء لا يستطاع دفنه، ولا تغييره، لشهرته في الناس، واتضاحه، فسكت معاوية.

وروى الشعبي أن معاوية قدم المدينة فقام خطيباً فقال: أين علي بن أبي طالب؟

فقام الحسن بن علي فخطب وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

انه لم يبعث نبي إلا جعل له وصي من أهل بيته، ولم يكن نبي إلا وله عدو من المجرمين، وإنّ علياً (ع) كان وصي رسول الله من بعده، وأنا ابن علي، وانت ابن صخر، وجدك حرب، وجدي رسول الله، وأُمك هند وأُمي فاطمة، وجدتي خديجة وجدتك نثيلة، فلعن الله ألأ منا حسباً، واقدمنا كفراً، وأخملنا ذكراً واشدنا نفاقاً، فقال عامة أهل المجلس: آمين. فنزل معاوية فقطع خطبته.

وروي أنه لما قدم معاوية بالكوفة قيل له: إنّ الحسن بن علي مرتفع في أنفس الناس، فلو أمرته أن يقوم دون مقامك على المنبر فتدركه الحداثة والعي فيسقط من أنفس الناس وأعينهم، فأبى عليهم وأبوا عليه إلا إن يأمره، بذلك فأمره، فقام دون مقامه في المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

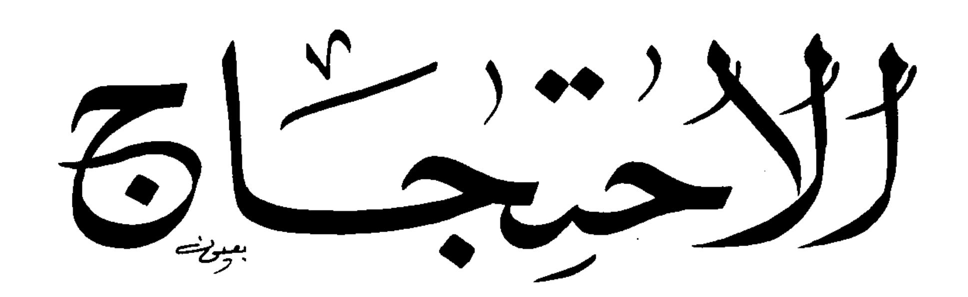
أما بعد، أيها الناس فإنكم لو طلبتم ما بين كذا وكذا لتجدوا رجلاً جده نبي لم تجدوا غيري وغير أخي، وإنا أعطينا صفقتنا هذه الطاغية ـ وأشار بيده إلى أعلى المنبر إلى معاوية، وهو في مقام رسول الله (ص) من المنبر ـ ورأينا حقن دماء المسلمين أفضل من إهراقها، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ـ وأشار بيده إلى معاوية ـ.

فقال له معاوية: ما أردت بقولك هٰذا؟

فقال: ما أردت به إلا ما أراد الله عز وجل، فقام معاوية فخطب خطبة عييبة فاحشة، فسب فيها أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام. فقام إليه الحسن بن علي (ع) فقال له ـ وهو على المنبر ـ: ويلك يا ابن آكلة الأكباد! أوأنت تسب أمير المؤمنين (ع) وقد قال رسول الله (ص): «من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أدخله الله نار جهنم خالداً فيها مخلداً وله عذاب مقيم»؟

ثم انحدر الحسن (ع) عن المنبر ودخل داره، ولم يصل هناك بعد ذلك أبداً.

تم الجزء الأول من كتاب الاحتجاج بحمد الله ومنه ويتلوه بمن الله وعونه الجزء الثاني.



الاحتجاج

تأليف

أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

من علماء القرن السادس

تعليقات وملاحظات

السيد محمد باقر الموسوي الخرسان

الجزء الثاني

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - مؤسسة أهل البيت "ع"

بيروت - لبنان



احتجاج الحسن بن علي عليهما السلام على معاوية في الإمامة ، من يستحقها ومن لا يستحقها بعد مضي النبي .

وقد جرى قبل ذلك إيراد كثير من الحجج لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وغيرهما ، على معاوية في الامامة وغيرها ، بمحضر من الحسن (ع) والفضل بن عباس وغيرهما .

روى سليم بن قيس قال : سمعت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال : قال لي معاوية :

ما أشد تعظيمك للحسن والحسين ، ما هما بخير منك ولا أبوهما بخير من أبيك ، ولولا أنَّ فاطمة بنت رسول الله لقلت : ما أمك أسماء بنت عميس بدونها .

قال : فغضبت من مقالته ، وأخذني ما لا أملك ، فقلت : أنت لقليل المعرفة بهما وبأبيهما وأمهما ، بلى والله إنَّهما خير منيِّ وأبوهما خير من أبي وأمهما خير من أمي ، ولقد سمعت رسول الله « ص » يقول فيهما وفي أبيهما وأنا غلام فحفظته منه ورعيته .

فقال معاوية ـ وليس في المجلس غير الحسن والحسين (ع) وابن جعفر رحمه الله وابن عباس وأخيه الفضل ـ : هات ما سمعت ! فوالله ما أنت بكذاب فقال: إنه أعظم مما في نفسك .

قال : وإن كان أعظم من أحد وحِرى ، فآته ما لم يكن أحد من أهل الشام !! أما اذا قتل الله طاغيتكم وفرق جمعكم وصار الأمر في أهله ومعدنه ، فما نبالي ما قلتم ولا يضرنا ما ادعيتم .

قال : سمعت رسول الله « ص » يقول : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن كنت أولى به من نفسه فأنت يا أخي أولى به من نفسه » وعلي بين يديه في البيت والحسن والحسين وعمرو بن أُم سلمة وأُسامة بن زيد ، وفي البيت فاطمة (ع) وأُم أيمن وابو ذر والمقداد والزبير بن العوام ، وضرب رسول الله « ص » على عضده وأعاد ما قال فيه ثلاثاً ، ثم نص بالامامة على الأئمة تمام الاثني عشر (ع) ثم قال صلوات الله عليه:

« لأمتي إثنا عشر إمام ضلالة ، كلهم ضال مضل عشرة من بني أُمية ، ورجلان من قريش ، وزر جميع الاثني عشر وما أضلوا في عنقهما ، ثم سماهما رسول الله « ص » وسمى العشرة منهما » .

قال : فسمهم لنا : قال : فلان وفلان ، وصاحب السلسلة وابنه من آل أبي سفيان ، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص ، أولهما مروان .

قال معاوية : لئن كان ما قلت حقاً هلكت ، وهلكت الثلاثة قبلي وجميع من تولاهم من هذه الأمة ، ولقد هلك أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار والتابعين ، من غيركم وأهل

البيت وشيعتكم .

قال ابن جعفر : فإنَّ الَّذي قلت والله حق سمعته من رسول الله « ص » ؟

قال معاوية ـ للحسن والحسين وابن عباس ـ : ما يقول ابن جعفر ؟

قال ابن عباس ـ ومعاوية بالمدينة أول سنة اجتمع عليه الناس بعد قتل علي (ع) ـ : أرسل إلى الذي سمى ، فأرسل إلى عمرو بن أُم سلمة وأُسامة، فشهدوا جميعاً أنَّ الذي قال ابن جعفر حق ، قد سمعوا من رسول الله « ص » كما سمعه .

ثم أقبل معاوية إلى الحسن والحسين وابن عباس والفضل وابن أُم سلمة وأسامة .

قال : كلكم على ما قال ابن جعفر ؟

قالوا : نعم .

قال معاوية : فانكم يا بني عبد المطلب لتدعون أمراً ، وتحتجون بحجة قوية إن كانت حقاً ، وإنكم لتبصرون على أمر وتستروته والناس في غفلة وعمى ، ولئن كان ما تقولونه حقاً لقد هلكت الأمة ، ورجعت عن دينها . وكفرت بربها ، وجحدت نبيها ، الا أنتم أهل البيت ومن قال بقولكم ، واولئك قليل في الناس .

فأقبل ابن عباس على معاوية فقال : قال الله تعالى : ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ وقال : ﴿وقليل ما هم﴾ .

وما تعجب مني يا معاوية اعجب من بني إسرائيل : إنَّ السحرة قالوا لفرعون ﴿اقض ما أنت قاض﴾ فآمنوا بموسى وصدقوه ، ثم سار بهم ومن اتبعهم من بني إسرائيل فأقطعهم البحر ، وأراهم العجائب ، وهم مصدقون بموسى وبالتوراة يقرون له بدينه ، ثم مروا بأصنام تعبد فقالوا : ﴿يا موسى اجعل لنا إلَها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ وعكفوا على العجل جميعاً غير هارون فقالوا : ﴿هذا إلَهكم وإله موسى﴾ وقال لهم موسى ـ بعد ذلك ـ : ﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾ فكان من جوابهم ما قص الله عز وجل عليهم : ﴿فقال موسى رب إنّي لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ .

فما اتباع هذه الأمة رجالا سوَّدوهم وأطاعوهم ، لهم سوابق مع رسول الله « ص » ومنازل قريبة منها ، واصهاره مقرين بدين محمد «ص » وبالقرآن ، حملهم الكبر والحسد أن خالفوا إمامهم ووليهم ، بأعجب من قوم صاغوا من حليهم عجلا ثم عكفوا عليه يعبدونه ، ويسجدون له ، ويزعمون أنَّه ربّ العالمين ، واجتمعوا على ذلك كلّهم غير هارون وحده ، وقد بقي مع صاحبنا الذي هو من نبينا بمنزلة هارون من موسى من أهل بيته ناس : سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير ، ثم رجع الزبير وثبت هؤلاء الثلاثة مع إمامهم حتى لقوا الله .

وتعجب يا معاوية أن سمى الله من الأئمة واحداً بعد واحد ، وقد نص عليهم رسول الله ﴿بغدير خم﴾ وفي غير موطن، واحتج بهم عليهم، وأمرهم بطاعتهم ، وأخبر أنَّ أولهم علي بن أبي طالب وليّ كلِّ مؤمن ومؤمنة من بعده ، وأنه خليفته فيهم ووصيه وقد بعث رسول الله « ص » جيشاً يوم مؤتة فقال : عليكم بجعفر ، فان هلك فزيد ، فإن هلك فعبد الله بن رواحة ، فقتلوا جميعاً ، أفترى يترك الأمة ولم يبين لهم من الخليفة بعده ، ليختاروا هم لأنفسهم الخليفة ، كأنَّ رأيهم لأنفسهم أهدى لهم وأرشد من رأيه واختياره ، وما ركب القوم ما ركبوا الا بعدما بينه ، وما تركهم رسول الله « ص » في عمى ولا شبهة .

فأما ما قال الرهط الأربعة الذين تظاهروا على علي (ع) وكذبوا على رسول الله ، وزعموا أنه قال : إن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة فقد شبهوا على الناس بشهادتهم وكذبهم ومكرهم .

قال معاوية : ما تقول يا حسن؟

قال : يا معاوية قد سمعت ما قلت وما قال ابن عباس ، العجب منك يا معاوية ومن قلة حيائك ، ومن جرأتك على الله حين قلت : « قد قتل الله طاغيتكم ، ورد الأمر إلى معدنه » فأنت يا معاوية معدن الخلافة دوننا ؟! ويل لك يا معاوية وللثلاثة قبلك الذين أجلسوك هذا المجلس ، وسنوا لك هذه السنة ، لأقولنَّ كلاماً ما أنت أهله ، ولكنّي أقول ليسمعه بنوا أبي هؤلاء حولي .

إنَّ الناس قد اجتمعوا على أُمور كثيرة ليس بينهم اختلاف فيها ، ولا تنازع ولا فرقة ، على : شهادة أن لا آله إلا الله ، وأنَّ محّمداً رسول الله وعبده ، والصلوات الخمس ، والزكاة المفروضة ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، ثم أشياء كثيرة من طاعة الله لا تحصى ولا يعدها الا الله ، واجتمعوا على تحريم الزنا ، والسرقة والكذب ، والقطيعة ، والخيانة ، وأشياء كثيرة من معاصي الله لا تحصى ولا يعدها الا الله ، واختلفوا في سنن اقتتلوا فيها وصاروا فرقاً يلعن بعضهم بعضاً ، وهي : « الولاية » ويتبرأ بعضهم عن بعض ، ويقتل بعضهم بعضاً ، أيهم أحق وأولى بها ، الا فرقة تتبع كتاب الله وسنة نبيه «ص» ، فمن أخذ بما عليه أهل القبلة الذي ليس فيه اختلاف ، ورد علم ما اختلفوا فيه إلى الله : سلم ونجا به من النار ودخل الجنة ، ومن وفقه الله ومنّ عليه واحتج عليه بأن نور قلبه بمعرفة ولاة الأمر من أئمتهم ومعدن العلم أين هو ، فهو عند الله سعيد ولله ولي وقد قال رسول الله « ص » : « رحم الله امرءاً علم حقاً فقال أوسكت فسلم » .

نحن نقول أهل البيت : إنَّ الأئمة منا ، وإنَّ الخلافة لا تصلح الا فينا ، وإنَّ الله جعلنا أهلها في كتابه وسنة نبيه ، وإنَّ العلم فينا ونحن أهله ، وهو عندنا مجموع كله بحذافيره ، وإنه لا يحدث شي ء إلى يوم القيامة حتى أرش الخدش الا وهو عندنا مكتوب باملاء رسول الله « ص » وبخط علي (ع) بيده .

وزعم قوم: أنهم أولى بذلك منا حتى أنت يا ابن هند تدعي ذلك وتزعم : إنَّ عمر أرسل إلى أبي إنِّي أُريد أن أكتب القرآن في مصحف فابعث إليَّ بما كتبت من القرآن ، فأتاه فقال : تضرب والله عنقي قبل أن يصل إليك . قال : ولم ؟

قال : لأنَّ الله تعالى قال : ﴿والراسخون في العلم﴾ إياي عنى ولم يعنك ولا أصحابك ، فغضب عمر ثم قال :

يا ابن أبي طالب تحسب أنَّ أحداً ليس عنده علمٌ غيرك ، من كان يقرأ من القرآن شيئاً فليأتني به ، اذا جاء رجل فقرأ شيئاً معه يوافقه فيه آخر كتبه والا لم يكتبه .

ثم قالوا : قد ضاع منه قرآن كثير ، بل كذبوا والله بل هو مجموع محفوظ عند أهله ، ثم أمر عمر قضاته وولاته : اجتهدوا اراءكم واقضوا بما ترون أنه الحق فلا يزال هو وبعض ولاته قد وقعوا في عظيمة ، فيخرجهم منها أبي ليحتج عليهم بها ، فتجمع القضاة عند خليفتهم وقد حكموا في شيء واحد بقضاياً مختلفة فأجازها لهم ، لأنَّ الله تعالى لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب ، وزعم كل صنف من مخالفينا من أهل هذه القبلة : أنهم معدن الخلافة والعلم دوننا ، فنستعين بالله على من ظلمنا وجحدنا حقنا وركب رقابنا وسن للناس علينا ما يحتج به مثلك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

إنما الناس ثلاثة : مؤمن يعرف حقنا ويسلم لنا ويأتم بنا ، فذلك ناج محب لله ولي .

وناصب لنا العداوة يتبرأ منا ويلعننا ، ويستحل دماءنا ويجحد حقنا ، ويدين الله بالبراءة منا ، فهذا كافر مشرك ، وإنما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما يسبوا الله عدواً بغير علم ، كذلك يشرك بالله بغير علم .

ورجل آخذ بما لا يختلف فيه ، ورد علم ما أشكل عليه إلى الله ، مع ولايتنا ولا يأتم بنا ولا يعادينا ولا يعرف حقنا ، فنحن نرجو أن يغفر الله له ، ويدخله الجنة ، فهذا مسلم ضعيف .

فلما سمع معاوية أمر لكلٍّ منهم بمائة الف درهم ، غير الحسن والحسين وابن جعفر ، فانه أمر لكلٍّ واحد منهم بألف ألف درهم .

* * *

احتجاجه (ع) على من أنكر عليه مصالحة معاوية ونسبه إلى التقصير في طلب حقه .

عن سليم بن قيس قال : قام الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) على المنبر حين اجتمع مع معاوية ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس إنَّ معاوية زعم : أنِّي رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً وكذب معاوية ،

أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبي الله ، فاقسم بالله لو أنَّ الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني ، لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها ، ولما طمعتم فيها يا معاوية ، ولقد قال رسول الله « ص » : « ما ولَّت أُمة أمرها رجلا قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ملة عبدة العجل ».

وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أنَّ هارون خليفة موسى ، وقد تركت الأمة علياً « ع » وقد سمعوا رسول الله « ص » يقول لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي » وقد هرب رسول الله « ص » من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتى فر إلى الغار ، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم ، ولو وجدت أنا أعواناً ما بايعتك يا معاوية .

وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ، ولم يجد عليهم أعواناً ، وقد جعل الله النبي في سعة حين فر من قومه لما لم يجد أعواناً عليهم كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمة وبايعت غيرنا ولم نجد أعواناً ، وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً .

أيها الناس إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلاً من ولد النبي غيري وغير أخي .

وعن حنان بن سدير [١] عن أبيه سدير[٢] عن أبيه [٣] عن أبي سعيد عقيصي [٤] قال : لما صالح الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته فقال « ع » :

ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله للذي عملت لشيعتي خير مما طلعت عليه الشمس او غربت ، ألا تعلمون أنّي إمامكم ، ومفترض الطاعة عليكم ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص

---

(١) ذكره النجاشي في رجاله ص ١١٢ فقال : « حنان بن سدير بن حكيم بن صهيب أبو الفضل الصيرفي الكوفي ـ روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام له كتاب. في صفة الجنة والنار » وعده الشيخ في أصحاب الكاظم عليه السلام في رجاله ص ٣٤٦ وقال : « حنان بن سدير الصيرفي واقفي » وفي الفهرست قال : « له كتاب . وهو ثقة رحمه الله ، وفي رجال الكشي ص ٤٦٥ : « حنان بن سدير واقفي ، أدرك أبا عبد الله ولم يدرك أبا جعفر ، وكان يرتضي به سديداً » .

(٢) ذكره العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ٨٥ والشيخ في رجاله ص ٩١ وعده من أصحاب علي بن الحسين عليهما السلام وص ١٢٥ من أصحاب الباقر « ع » وص ٢٠٩ من أصحاب الصادق عليه السلام وقال : « سدير بن حكيم كوفي يكنى أبا الفضل والد حنان » وذكر الكشي ص ١٨٣ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ذكر عنده سدير فقال : « سدير عصيدة بكل لون » .

(٣) عده الشيخ في رجاله ص ٨٨ من أصحاب علي بن الحسين عليهما السلام .

(٤) ذكره العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٩٣ في أولياء علي « ع » فقال : « وأبو سعيد عقيصْان ـ بفتح العين المهملة ، والقاف قبل الياء المنقطة تحتها نقطتين ، والصاد المهملة والنون بعد الألف ـ من بني تيم الله بن ثعلبة . وذكره الشيخ في رجاله ص ٤٠ فعده من أصحاب علي « ع » وقال : « دينار يكنى أبا سعيد ، ولقبه عقيصا ، وإنما لقب بذلك لشعر قاله ، وذكره أيضاً ص ٩٦ أصحاب الحسين « ع »

من رسول الله عليّ ؟

قالوا : بلى .

قال : أما علمتم أنَّ الخضر لما خرق السفينة ، وأقام الجدار ، وقتل الغلامَ كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران « ع » إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك ، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً ؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا يقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه الا القائم « عج » ؟ الذي يصلّي خلفه روح الله عيسى بن مريم « ع » ، فإنَّ الله عز وجل يخفي ولادته ويغيِّب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة اذا خرج ، ذاك التاسع من ولد أخي الحسين ، ابن سيدة الاماء ، يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة ، ذلك ليعلم أنَّ الله على كلّ شيءٍ قدير .

عن زيد بن وهب الجهني[1] قال : لما طعن الحسن بن علي « ع » بالمدائن أتيته وهو متوجع ، فقلت : ما ترى يا ابن رسول الله فإنَّ الناس متحيرون ؟

فقال : أرى والله أنَّ معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي وأخذوا مالي ، والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي واومن به في أهلي ، خير من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي ، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً ، والله لئن أُسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير ، أو يمنَّ عليَّ فيكون سنة على بني هاشم آخر الدهر ولمعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه على الحي منا والميت .

قال : قلت : تترك يا ابن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لها راع؟

قال : وما أصنع يا أخا جهينة إنّي والله أعلم بأمر قد أدى به إليّ ثقاته : إنَّ امير المؤمنين « ع » قال لي ـ ذات يوم وقد رآني فرحاً ـ : يا حسن أتفرح كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً ؟! كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنوا أُمية ، وأميرها الرحب البلعوم ، الواسع الاعفجاج[2] ، يأكل ولا يشبع ، يموت وليس له في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر ، ثم يستولي على غربها وشرقها ، يدين له العباد ويطول ملكه ، يستن بسنن أهل البدع والضلال ، ويميت الحق وسنة رسول الله « ص » يقسم المال في أهل ولايته ، ويمنعه من هو أحق به ، ويذل في ملكه المؤمن ، ويقوى في سلطانه الفاسق ، ويجعل المال بين أنصاره دولا ، ويتخذ عباد الله خولا .

---

(١) ذكره العلامة « ره » في أولياء علي عليه السلام في القسم الأول من خلاصته ص ١٩٤ والشيخ في رجاله ص ٤٢ في أصحاب علي « ع » وفي الفهرست ص ٩٧ فقال : « زيد بن وهب له كتاب : خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر في الجمع والأعياد وغيرها » وفي أسد الغابة ص ٢/٢٤٣ إنه كان في جيش علي « ع » حين مسيره إلى النهروان وقال ابن عبد البر في هامش الإصابة ص ٢٤ ج١ : إنه ثقة ، توفي سنة (٩٦) .

(٢) أي : واسع الكرش والأمعاء .

يدرس في سلطانه الحق ، ويظهر الباطل ، ويقتل من ناواه على الحق ، ويدين من والاه على الباطل ، فكذلك حتى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكلب من الدهر [١] وجهل من الناس ، يؤيده الله بملائكته ويعصم أنصاره وينصره بآياته ، ويظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعاً وكرهاً ، يملأ الأرض قسطاً وعدلا ونوراً وبرهاناً ، يدين له عرض البلاد وطولها ، لا يبقى كافر الا آمن به ولا طالح الا صلح ، وتصطلح في ملكه السباع ، وتخرج الأرض نبتها ، وتنزل السماء بركتها ، وتظهر له الكنوز ، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً ، فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه .

وعن الأعمش [٢] عن سالم بن أبي الجعد [٣] قال : حدثني رجل منا قال : أتيت الحسن بن علي « ع » فقلت: يا ابن رسول الله أذللت رقابنا ، وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً ، ما بقي معك رجل .

قال : ومم ذاك ؟ قال : قلت : بتسليمك الأمر لهذا الطاغية .

قال : والله ما سلمت الأمر إليه الا أنِّي لم أجد أنصاراً ، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه ، ولكني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً ، إنَّهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل ، إنَّهم لمختلفون ، ويقولون لنا : إنَّ قلوبهم معنا وإنَّ سيوفهم لمشهورة علينا ، قال : وهو يكلمني اذ تنخع الدم ، فدعا بطست فحمل من بين يديه مليء مما خرج من جوفه من الدم .

فقلت له : ما هذا يا ابن رسول الله « ص » إنِّي لأراك وجعاً ؟

قال : أجل دس إليَّ هذا الطاغية من سقاني سماً فقد وقع على كبدي وهو يخرج قطعاً كما ترى .

قلت : أفلا تتداوى ؟

قال : قد سقاني مرتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواء ، ولقد رقى إليَّ : أنه كتب إلى ملك

---

(١) الكلب : شبيه بالجنون .

(٢) الأعمش : أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي ، مولاهم الكوفي ، معروف بالفضل والثقة والجلالة والتشيع والاستقامة ، والعامة أيضاً يثنون عليه ، مطبقون على فضله وثقته ، مقرون بجلالته ، مع اعترافهم بتشيعه ، وقرنوه بالزهري ، ونقلوا منه نوادر كثيرة ، بل صنف ابن طولون الشامي كتاباً في نوادره سماه : « الزهر الأنعش في نوادر الأعمش » مات سنة (١٤٨) .

راجع الكنى والألقاب ج ٢ ص ٣٩ رجال الشيخ ص ٢٠٦ .

(٣) عده الشيخ ص ٤٣ من رجاله في أصحاب علي عليه السلام وص ٩١ في ـ أصحاب علي بن الحسين عليهما السلام فقال : « سالم بن أبي الجعد الأشجعي مولاهم الكوفي يكنى أبا أسماء » وذكره العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٩٣ في أولياء علي عليه السلام .

الروم يسأله أن يوجه إليه من السم القتال شربة ، فكتب إليه ملك الروم : إنه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا .

فكتب إليه إنَّ هذا ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة ، وقد خرج يطلب ملك أبيه ، وأنا اريد أن أدس اليه من يسقيه ذلك فاريح العباد والبلاد منه ، ووجه إليه بهداياً وألطاف فوجه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دس فيها فسقيتها واشترط عليه في ذلك شروطاً .

وروي أنَّ معاوية دفع السم إلى امرأة الحسن بن علي«ع» جعدة بنت الأشعث فقال لها: «اسقيه فاذا مات هو زوجتك ابـني يزيد» فلما سقته السم ومات «ع» جاءت الملعونة إلى معاوية الملعون فقالت: «زوجني يزيد» فقال: «إذهبي فإنَّ امرأة لم تصلح للحسن بن علي لا تصلح لابني يزيد».

* * *

احتجاج الحسين بن علي عليهما السلام على عمر بن الخطاب في الإمامة والخلافة

روي أنَّ عمر بن الخطاب كان يخطب الناس على منبر رسول الله«ص»، فذكر في خطبته أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فقال له الحسين عليه السلام- من ناحية المسجد-:

إنزل أيها الكذاب عن منبر أبي رسول الله لا منبر أبيك!

فقال له عمر: فمنبر أبيك لعمري يا حسين لا منبر أبي،من علمك هذا أبوك علي بن أبي طالب؟

فقال له الحسين«ع»: إن اطع أبي فيما أمرني فلعمري إنه لهاد وأنا مهتدٍ به، وله في رقاب الناس البيعة على عهد رسول الله، نزل بها جبرئيل من عند الله تعالى لا ينكرها الا جاحد بالكتاب، قد عرفها الناس بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم وويل للمنكرين حقنا أهل البيت، ماذا يلقاهم به محّمد رسول الله«ص» من إدامة الغضب وشدة العذاب!!

فقال عمر: يا حسين من أنكر حق أبيك فعليه لعنة الله، أمَّرنا الناس فتأمرنا ولو أمروا أباك لأطعنا.

فقال له الحسين: يا ابن الخطاب فأي الناس أمَّرك على نفسه قبل أن تؤمر أبا بكر على نفسك ليؤمرك على الناس بلا حجة من نبي ولا رضىً من آل محّمد، فرضا كم كان لمحمد«ص» رضىً؟ أورضا أهله كان له سخطاً؟! أما والله لو انَّ للسان مقالاً يطول تصديقه وفعلاً يعينه المؤمنون، لما تخطأت رقاب آل محّمد، ترقى منبرهم، وصرت الحاكم عليهم بكتاب نزل فيهم لا تعرف معجمه، ولا تدري تأويله الاسماع الآذان، المخطىء والمصيب عندك سواء، فجزاك الله جزاك، وسألك عما أحدثت سؤ الا حفياً.

قال: فنزل عمر مغضباً، فمشى معه اناس من أصحابه حتى أتى باب أمير المؤمنين«ع» فاستأذن عليه فأذن له، فدخل فقال:

يا أبا الحسن ما لقيت اليوم من ابنك الحسين، يجهرنا بصوت في مسجد رسول الله ويحرِّض عليَّ الطغام وأهل المدينة.

فقال له الحسن«ع»: على مثل الحسين ابن النبي«ص» يشخب بمن لا حكم له، أو يقول بالطغام على أهل دينه؟ أما والله ما نلت الا بالطغام، فلعن الله من حرَّض الطغام.

فقال له أمير المؤمنين«ع»: مهلا يا أبا محّمد فإنك لن تكون قريب الغضب ولا لئيم الحسب، ولا فيك عروق من السودان، اسمع كلامي ولا تعجل بالكلام.

فقال له عمر: يا أبا الحسن إنهما ليهمان في أنفسهما بما لا يرى بغير الخلافة.

فقال امير المؤمنين: هما أقرب نسباً برسول الله من أن يهما، أما فارضهما يا ابن الخطاب بحقهما يرض عنك من بعدهما. قال: وما رضاهما يا أبا الحسن؟

قال: رضاهما الرجعة عن الخطيئة والتقية عن المعصية بالتوبة.

فقال له عمر: أدب يا أبا الحسن ابنك أن لا يتعاطى السلاطين الذين هم الحكماء في الأرض.

فقال له أمير المؤمنين« ع »: أنا اؤدب أهل المعاصي على معاصيهم، ومن أخاف عليه الزلة والهلكة، فأما من والده رسول الله ونحله أدبه فانه لا ينتقل إلى أدب خير له منه، أما فارضهما يا ابن الخطاب!

قال: فخرج عمر فاستقبله عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف. فقال له عبد الرحمن: يا أبا حفص ما صنعت فقد طالت بكما الحجة؟

فقال له عمر: وهل حجة مع ابن أبي طالب وشبليه؟!

فقال له عثمان: يا ابن الخطاب، هم بنو عبد مناف، الأسمنون والناس عجاف.

فقال له عمر: ما اعد ما صرت إليه فخراً فخرت به بحمقك، فقبض عثمان على مجامع ثيابه ثم نبذ به ورده، ثم قال له: يا ابن الخطاب، كأنك تنكر ما أقول، فدخل بينهما عبد الرحمن وفرق بينهما وافترق القوم.

* * *

إحتجاج الحسين « ع » بذكر مناقب أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام حين أمر معاوية بلعن أمير المؤمنين «ع» وقتل شيعته، وقتل من يروي شيئاً من فضائله

عن سليم بن قيس قال: قدم معاوية بن أبي سفيان حاجاً في خلافته فاستقبله أهل المدينة، فنظر

فاذا الذين استقبلوه ما فيهم أحد من قريش، فلما نزل قال: ما فعلت الأنصار وما بالها لم تستقبلني؟

فقيل له: إنهم محتاجون ليس لهم دواب.

فقال معاوية: فأين نواضحهم؟

فقال قيس بن سعد بن عبادة ـ وكان سيد الأنصار وابن سيدها ـ: أفنوها يوم بدر واحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله «ص»، حين ضربوك وأباك على الاسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون، فسكت معاوية، فقال قيس: أما إنَّ رسول الله «ص» عهد إلينا أنا سنلقى بعده إثرة.

فقال معاوية: فما أمركم به؟ فقال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه.

قال: فاصبروا حتى تلقوه! ثم إنَّ معاوية مر بحلقة من قريش فلما رأوه قاموا غير عبد الله بن عباس فقال له:

يا ابن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك، الا لموجودة أنّي قاتلتكم بصفين، فلا تجد من ذلك يا ابن عباس! فان ابن عمي عثمان قد قتل مظلوماً!

قال ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوماً. قال: إنَّ عمر قتله كافر.

قال ابن عباس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون.

قال: فذلك أدحض لحجتك.

قال: فإنا قد كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكف لسانك. فقال: يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن؟! قال: لا.

قال: أتنهانا عن تأويله؟! قال: نعم.

قال: فنقرؤه ولا نسأل عما عنى الله به؟ ثم قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به.

قال: فكيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله؟! قال: سل عن ذلك من يتأوله غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك.

قال: إنما أُنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان؟؟ يا معاوية أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام؟! فان لم تسأل الأمة عن ذلك حتى تعلم تهلك وتختلف.

قال: اقرؤا القرآن وتأولوه ولا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم، وارووا ما سوى ذلك.

قال: فإنَّ الله يقول في القرآن: **﴿يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾**.

قال: يا ابن عباس أربع على نفسك وكف لسانك، وإن كنت لا بد فاعلا فليكن ذلك سراً لا يسمعه أحد علانية.

ثم رجع إلى بيته فبعث إليه بمائة الف درهم، ونادى منادي معاوية أن قد برئت الذمة ممن يروي حديثاً من مناقب علي وفضل أهل بيته، وكان أشد الناس بلية أهل الكوفة، لكثرة من بها من الشيعة، فاستعمل زياد ابن أبيه وضم إليه العراقين: الكوفة والبصرة، فجعل يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، يقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الايدي والأرجل وصلبهم في جذوع النخل، وسمل أعينهم وطردهم وشردهم، حتى نفوا عن العراق فلم يبق بها أحد معروف مشهور فهم بين مقتول أو مصلوب او محبوس او طريد أو شريد.

وكتب معاوية إلى جميع عماله في جميع الأمصار: أن لا تجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة، وانظروا قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه ومحبي أهل بيته وأهل ولايته، والذين يروون فضله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا بمن يروي من مناقبه واسم أبيه وقبيلته، ففعلوا، حتى كثرت الرواية في عثمان، وافتعلوها لما كان يبعث إليهم من الصِّلات والخلع والقطايع من العرب والموالي، وكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في الأموال والدنيا، فليس أحد يجيء من مصر من الأمصار فيروي في عثمان منقبة أو فضيلة الا كتب اسمه واجيز، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله: إنَّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر، فادعوا الناس إلى الرواية في معاوية وفضله وسوابقه، فانَّ ذلك أحب إلينا، وأقر لأعيننا، وأدحض لحجة أهل البيت وأشد عليهم، فقرأ كل أمير وقاض كتابه على الناس، فأخذ الرواة في فضائل معاوية على المنبر في كل كورة وكل مسجد زوراً، والقوا ذلك إلى معلمي الكتاتيب فعلموا ذلك صبيانهم، كما يعلمونهم القرآن حتى علَّموه بناتهم ونساءَهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

وكتب زياد بن أبيه إليه في حق الحضرميين: إنَّهم على دين عليٍّ وعلى رأيه فكتب إليه معاوية: اقتل كلّ من كان على دين عليٍّ ورأيه فقتلهم ومثَّل بهم.

وكتب كتاباً آخر: انظروا من قبلكم من شيعة عليٍّ واتهمتموه بحبه فاقتلوه وإن لم تقم عليه البينة فاقتلوه على التهمة والظنة والشبهة، تحت كلِّ حجر، حتى لو كان الرجل تسقط منه كلمة ضربت عنقه، حتى لو كان الرجل يرمى بالزندقة والكفر كان يكرَّم ويعظَّم ولا يتعرَّض له بمكروه، والرجل من الشيعة لا يأمن على نفسه في بلد من البلدان لا سيما الكوفة والبصرة، حتى لو انَّ أحداً منهم أراد أن يلقي سراً إلى من يثق به لأتاه في بيته فيخاف خادمه ومملوكه، فلا يحدثه الا بعد أن يأخذ عليه الأيمان المغلظة: ليكتمنَّ عليه، ثم لا يزداد الأمر الا شدة، حتى كثر وظهر أحاديثهم الكاذبة، ونشأ عليه الصبيان يتعلمون ذلك.

وكان أشد الناس في ذلك القراء المراءون المتصنعون الذين يظهرون الخشوع والورع، فكذبوا وانتحلوا الأحاديث وولدوها فيحظون بذلك عند الولاة والقضاة ويدنون مجالسهم، ويصيبون بذلك

الأموال والقطايع والمنازل، حتى صارت أحاديثهم ورواياتهم عندهم حقاً وصدقاً، فرووها وقبلوها وتعلموها وعلموها، وأحبوا عليها وأبغضوا من ردها أو شك فيها، فاجتمعت على ذلك جماعتهم، وصارت في يد المتنسكين والمتدينين منهم الذين لا يحبون الإفتعال إلى مثلها، فقبلوها وهم يرون أنها حق، ولو علموا بطلانها وتيقنوا أنها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها ولم يدينوا بها، ولم يبغضوا من خالفها، فصار الحق في ذلك الزمان عندهم باطلا والباطل عندهم حقاً، والكذب صدقاً والصدق كذباً.

فلما مات الحسن بن علي ازداد البلاء والفتنة، فلم يبق لله ولي الا خائف على نفسه، أو مقتول أو طريد أو شريد، فلما كان قبل موت معاوية بسنتين حج الحسين بن علي «ع» وعبد الله بن جعفر وعبد الله ابن‌عباس معه. وقد جمع الحسين بن علي«ع» بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم، من حج منهم ومن لم يحج، ومن الأنصار ممن يعرفونه وأهل بيته، ثم لم يدع أحداً من أصحاب رسول الله«ص» ومن أبنائهم والتابعين، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلا جمعهم فاجتمع عليه بمنى أكثر من ألف رجل، والحسين«ع» في سرادقه عامتهم التابعون وأبناء الصحابة، فقام الحسين«ع» فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإنّ الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإنّي اريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمنتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

فما ترك الحسين شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلا قاله وفسره، ولا شيئاً قاله الرسول في أبيه وأمه وأهل بيته الا رواه، وكل ذلك يقول الصحابة: «اللّهم نعم، قد سمعناه وشهدناه» ويقول التابعون: «اللّهم قد حدثنامن نصدقه ونأتمنه» حتى لم يترك شيئاً إلا قاله ثم قال:

انشدكم بالله الا رجعتم وحدثتم به من تثقون به، ثم نزل وتفرق الناس على ذلك.

* * *

إحتجاجه عليه السلام على معاوية توبيخاً له على قتل من قتله من شيعة امير المؤمنين وترحمه عليهم.

عن صالح بن كيسان[١] قال: لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه حج ذلك العام فلقي الحسين بن علي«ع» فقال:

يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟

---

(١) صالح بن كيسان المدني: عده الشيخ من أصحاب علي بن الحسين عليه السلام ص ٩٣ من رجاله.

فقال «ع»: وما صنعت بهم؟

قال: قتلناهم، وكفناهم، وصلينا عليهم.

فضحك الحسين«ع» ثم قال: خصمك القوم يا معاوية، لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم، ولقد بلغني وقيعتك في علي وقيامك ببغضنا، واعتراضك بني هاشم بالعيوب، فاذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك، ثم سلها الحق عليها ولها، فان لم تجدها أعظم عيباً فما أصغر عيبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترنَّ غير قوسك، ولا ترمينَّ غير غرضك، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب، فانك والله لقد أطعت فينا رجلا ما قدم إسلامه، ولا حدث نفاقه، ولا نظر لك فانظر لنفسك او دع- يعني: «عمرو بن العاص».

وقال«ع»- في جواب كتاب كتب إليه معاوية على طريق الإحتجاج-:

أما بعد: فقد بلغني كتابك أنه بلغك عني امور أن بي عنها غنى، وزعمت أنِّي راغب فيها، وأنا بغيرها عنك جدير، أما ما رقى إليك عني، فانه رقاه إليك الملاقون المشاءون بالنمائم، المفرقون بين الجمع، كذب الساعون الواشون ما أردت حربك ولا خلافاً عليك وأيم الله إنِّي لأخاف الله عز ذكره في ترك ذلك، وما أظنّ الله تبارك وتعالى براض عني بتركه ولا عاذري بدون الاعتذار إليه فيك وفي اولئك القاسطين الملبين حزب الظالمين، بل أولياء الشيطان الرجيم.

ألست قاتل حجر بن عدي أخي كندة وأصحابه الصالحين المطيعين العابدين، كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون المنكر والبدع، ويؤثرون حكم الكتاب، ولا يخافون في الله لومة لائم، فقتلتهم ظلماً وعدواناً بعدما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة. لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا باحنة تجدها في صدرك عليهم.

أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فصفرت لونه، ونحلت جسمه، بعد أن أمنته وأعطيته من عهود الله عز وجل وميثاقه ما لو أعطيته العصم ففهمته لنزلت إليك من شعف الجبال[1]، ثم قتلته جرأة على الله عز وجل واستخفافاً بذلك العهد؟

أو لست المدعي زياد بن سمية، المولود على فراش عبيد عبد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فتركت سنة رسول الله واتبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على أهل العراق فقطع أيدي المسلمين وأرجلهم وسمل أعينهم. وصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الامة، وليسوا منك؟ أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب إليك فيهم ابن سمية أنَّهم: على د ين عليٍّ ورأيه، فكتبت إليه اقتل كلّ من كان على دين عليٍّ«ع» ورأيه فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودين عليّ والله وابن عليّ الذي كان يضرب عليه أباك، وهو أجلسك بمجلسك الذي أنت فيه ولولا ذلك لكان أفضل شرفك وشرف أبيك تجشم الرّحلتين اللّتين بنا منَّ الله عليكم فوضعهما عنكم؟

وقلت فيما تقول: انظر نفسك ولدينك ولأمة محّمد «ص»، واتق شق عصا هذه الأمة وأن تردهم في

---

(١) أي رؤوس الجبال.

فتنة. فلا أعرف فتنة أعظم من ولايتك عليها، ولا أعلم نظراً لنفسي وولدي وأمة جدي أفضل من جهادك، فان فعلته فهو قربة إلى الله عز وجل، وإن تركته فأستغفر الله لذنبي وأسأله توفيقي لارشاد اُموري.

وقلت فيما تقول: إن انكرك تنكرني، وإن أكدك تكدني، وهل رأيك الا كيد الصالحين منذ خلقت؟ فكدني ما بدا لك إن شئت فاني أرجو أن لا يضرني كيدك، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، على أنك تكيد فتوقظ عدوك، وتوبق نفسك، كفعلك بهؤلاء الذين قتلتهم ومثّلت بهم بعد الصلح والإيمان والعهد والميثاق فقتلتهم من غير أن يكونوا قتلوا الا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا بما به شرفت وعرفت، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا.

ابشر يا معاوية بقصاص، واستعدَّ للحساب، واعلم أنَّالله عز وجل كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها، وليس الله تبارك وتعالى بناس أخذك بالظنة، وقتلك أولياءه بالتهمة، ونفيك إياهم من دار الهجرة إلى الغربة والوحشة، وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام من الغلمان، يشرب الشراب، ويلعب بالكعاب، لا اعلمك الا قد خسرت نفسك وشريت دينك وغششت رعيتك، وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل وأخفت التقي الورع الحليم.

قال: فلما قرأ معاوية كتاب الحسين«ع» قال: لقد كان في نفسه غضب عليَّ ما كنت أشعر به.

فقال ابنه يزيد، وعبد بن أبي عمير بن جعفر: أجبه جواباً شديداً تصغر إليه نفسه، وتذكر أباه بأسوإ فعله وآثاره.

فقال: كلا أرأيتما لو انّي أردت أن أعيب علياً محقاً ما عسيت أن أقول، إنَّ مثلي لا يحسن به أن يعيب بالباطل وما لا يعرف الناس، ومتى عبت رجلا بما لا يعرف لم يحفل به صاحبه ولم يره شيئاً، وما عسيت أن أعيب حسيناً وما أرى للعيب فيه موضعاً، الا إنّي قد أردت أن أكتب إليه وأتوعده واُهدده وأجهله ثم رأيت أن لا أفعل.

قال: فما كتب إليه بشيء يسوؤه، ولا قطع عنه شيئاً كان يصله به، كان يبعث إليه في كل سنة ألف ألف درهم سوى عروض وهدايا من كل ضرب.

* * *

إحتجاجه صلوات الله عليه بإمامته على معاوية وغيره وذكر طرف من مفاخراته ومشاجراته التي جرت له مع معاوية وأصحابه.

عن موسى بن عقبة[1] أنه قال: لقد قيل لمعاوية: إنَّ الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين«ع»،

---

(١) موسى بن عقبة بن أبي عياش المدني تابعي عده الشيخ «ره» في أصحاب الصادق عليه السلام ص ٣٠٧.

فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب فانَّ فيه حصراً أو في لسانه كلالة.

فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن، فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنا، فلم يزالوا به حتى قال للحسين: يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فخطبت.

فصعد الحسين«ع» المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي«ص» فسمع رجلاً يقول: من هذا الذي يخطب؟

فقال الحسين «ع»: نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله«ص» الأقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين اللّذين جعلنا رسول الله«ص» ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كلِّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوَّل علينا في تفسيره، لا يبطينا تأويله، بل نتبع حقايقه، فأطيعونا فانَّ طاعتنا مفروضة، أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة. قال الله عز وجل: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾ وقال: ﴿**ولو ردوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلا**﴾.

وأُحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم فإنَّه لكم عدو مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإنِّي جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنِّي بريء منكم، فتلقون للسيوف ضرباً وللرماح ورداً وللعمد حطماً وللسهام غرضاً، ثم لا يقبل من نفسٍ إيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في إيمانها خيراً.

قال معاوية: حسبك يا أبا عبد الله قد بلغت.

وعن محّمد بن السايب[1] أنه قال: قال مروان بن الحكم يوماً للحسين بن علي«ع»: لولا فخركم بفاطمة بِمَ كنتم تفتخرون علينا؟

فوثب الحسين«ع»ـ وكان«ع» شديد القبضةـ فقبض على حلقه فعصره، ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه، ثم تركه وأقبل الحسين«ع» على جماعة من قريش فقال:

أُنشدكم بالله الا صدقتموني إن صدقت، أتعلمون: أنَّ في الأرض حبيبين كانا أحب إلى رسول الله«ص» مني ومن أخي؟ أو على ظهر الأرض ابن بنت نبي غيري وغير أخي؟ قالوا: اللهم لا.

قال: وإنِّي لا أعلم أنَّ في الأرض ملعون ابن ملعون غير هذا وأبيه. طريدي رسول الله، والله ما بين (جابرس وجابلق) أحدهما بباب المشرق والآخر بباب المغرب رجلان ممن ينتحل الاسلام أعدى لله ولرسوله ولأهل بيته منك ومن أبيك إذا كان وعلامة قولي فيك أنك: إذا غضبت سقط رداؤك عن منكبك.

---

(١) محمد بن السايب عده الشيخ في أصحاب الصادق «ع» ص ٢٨٩.

قال: فوالله ما قام مروان من مجلسه حتى غضب فانتفض وسقط رداؤه عن عاتقه.

* * *

إحتجاجه عليه السلام على أهل الكوفة بكربلاء.

عن مصعب بن عبد الله[1].

لما استكف الناس بالحسين«ع» ركب فرسه واستنصت الناس، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم! حين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحمشتم علينا ناراً أضرمناها على عدوِّكم وعدوِّنا، فأصبحتم إلباً على أوليائكم، ويداً على أعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منا إليكم، فهلا لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم، والجاش طامن، والرأي لما يستحصف ولكنّكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدّبا، وتهافتم إليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها سفهاً وضلّة، فبعداً وسحقاً لطواغيت هذه الأمة! وبقية الأحزاب ونبذة الكتاب، ومطفئي السُّنن، ومؤاخي المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين، وعصاة الامام، وملحقي العهرة بالنسب، ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون.

أفهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون!! أجل والله، خذل فيكم معروف، نبتت عليه أصولكم، واتزرت عليه عروقكم، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله عليهم كفيلاً.

ألا وإنَّ الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلّة والذلّة وهيهات له ذلك مني! هيهات منا الذلة!! أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طهرت وجدود طابت، أن يؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة على قلّة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر، ثم تمثّل فقال:

فإن نهزم فهزامون قدماً ... وإن نهزم فغير مهزمينا
وما إن طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا
فلو خلد الملوك اذاً خلدنا ... ولو بقي الكرام اذاً بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

وقيل: إنه لما قتل أصحاب الحسين«ع» وأقاربه وبقي فريداً ليس معه الا ابنه علي زين العابدين«ع»، وابن آخر في الرضاع اسمه عبد الله، فتقدم الحسين«ع» إلى باب الخيمة فقال:

---

(١) مصعب بن عبد الله: من آل الزبير بن العوام مجهول الحال ذكره المامقاني في الجزء الثالث من رجاله ص ٢١٩.

ناولوني ذلك الطفل حتى اودعه! فناولوه الصبّي، جعل يقبله وهو يقول: يا بني ويل لهؤلاء القوم اذا كان خصمهم محّمد (ص).

قيل: فاذا بسهم قد أقبل حتى وقع في لبة الصبي فقتله،فنزل الحسين (ع) عن فرسه وحفر للصبي بجفن سيفه ورمله بدمه ودفنه، ثم وثب قائماً وهو يقول:

كفر القوم وقدماً رغبوا ... عن ثواب الله ربِّ الثقلين
قتلوا قدما علياً وابنه ... حسن الخير كريم الطَّرفين
حنقاً منهم وقالوا أجمعوا ... نفتك الآن جميعاً بالحسين
يا لَقوم من أُناس رذَّل ... جمعوا الجمع لأهل الحرمين
ثم صاروا وتواصوا كلهم ... باختيار لرضاء الملحدين
لم يخافوا الله في سفك دمي ... لعبيد الله نسل الكافرين
وابن سعد قد رماني عنوة ... بجنود كوكوف الهاطلين
لا لشيءٍ كان مني قبل ذا ... غير فخري بضياء الفرقدين
بعليٍّ الخير من بعد النبي ... والنبي القرشيِّ الوالدين
خيرة الله من الخلق أبي ... ثم أُمّي فأنا ابن الخيرتين
فضة قد خلقت من ذهب ... فأنا الفضة وابن الذهبين
من له جد كجدي في الورى ... أو كشيخي فأنا ابن القمرين
فاطم الزّهراء أُمي وأبي ... قاسم الكفر ببدرٍ وحنين
عروة الدِّين عليّ المرتضى ... هادم الجيش مصلِّي القبلتين
وله في يوم أُحدٍ وقعة. ... شفت الغلَّ بقبض العسكرين
ثم بالأحزاب والفتح معاً ... كان فيها حتف أهل القبلتين
في سبيل الله ماذا صنعت ... أُمة السّوء معاً بالعترتين
عترة البرّ التقي المصطفى ... وعليّ القوم يوم الجحفلين
عبد الله غلاماً يافعاً ... وقريش يعبدون الوثنين
وقلى الأوثان لم يسجد لها ... مع قريش لا ولا طرفة عين
طعن الأبطال لما برزوا ... يوم بدر وتبوك وحنين

ثم تقدّم الحسين«ع» حتى وقف قبالة القوم وسيفه مصلت في يده آيساً من نفسه، عازماً على الموت، وهو يقول:

أنا ابن عليٍّ الطهر من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدِّي رسول الله أكرم من مشى ... ونحن سراج الله في الخلق نزهر
وفاطم أُمي من سلالة أحمد ... وعمِّي يدعى ذو الجناحين جعفر

وفينـا كـتـاب الله أُنـزل صـادقـاً   وفينا الهدى والوحي بالخير تذكر
ونـحـن أمـان الله لـلنـاس كـلهـم   نـطول بهـذا في الأنـام ونـجـهـر
ونحن حماة الحوض نسقي ولاتنا   بكأس رسول الله ما ليس ينكر
وشيعتنا في الحشر أكرم شيعةٍ   ومبغضنا يوم القيامة يخسر

* * *

إحتجاج فاطمة الصّغرى على أهل الكوفة.

عن زيد بن موسى بن جعفر[1] عن أبيه عن آبائه «ع» قال:

خطبت فاطمة الصغرى «ع» بعد أن ردت من كربلاء فقالت:

الحمدلله عدد الرّمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده واومن به وأتوكل عليه، وأشهد: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محّمداً عبده ورسوله، وأنَّ أولاده ذبحوا بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات.

أللّهم إنِّي أعوذ بك أن افتري عليك الكذب، وأن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه عليٍّ بن أبي طالب «ع»، المسلوب حقه المقتول من غير ذنب، كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله، وبها معشير مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤ وسهم! ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته، حتى قبضته إليك محمود النقيبة، طيِّب الضريبة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فيك لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته يا رب للاسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلواتك عليه وآله حتى قبضته إليك، زاهداً في الدنيا غير حريص عليها، راغباً في الآخرة مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاختترته، وهديته إلى طريق مستقيم.

أما بعد يا أهل الكوفة! يا أهل المكر والغدر والخيلاء، إنا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجته في الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضَّلنا بنبيِّه «ص» على كثير من خلقه تفضيلاً، فكذَّبتمونا، وكفَّرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأنا أولاد الترك أو كابل، كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم، قرت بذلك عيونكم، وفرحت به قلوبكم اجتراءاً منكم على الله، ومكراً مكرتم والله خير الماكرين، فلا تدعونَّكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا[2] ونالت أيديكم من أموالنا، فإنَّ ما أصابنا من المصائب الجليلة، والرزايا العظيمة في كتاب من

---

(١) زيد بن موسى بن جعفر «ع» وهو لام ولد عقد له محمد بن محمدبن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب «ع» أيام أبي السرايا على الأهواز، ولما دخل البصرة وغلب عليها أحرق دور بني العباس وأضرم النار في نخيلهم وجميع أسبابهم فقيل له: زيد النار.

(٢) الجذل: الفرح.

قبل أن نبرأها إنَّ ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحبّ كل مختال فخور.

تباً لكم! فانظروا اللّعنة والعذاب، فكأن قد حلّ بكم، وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم بما كسبتم[١] ويذيق بعضكم بأس بعض، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظّالمين، ويلكم أتدرون أية يدٍ طاعنتنا منكم، أو أية نفس نزعت إلى قتالنا، أم بأية رجل مشيتم إلينا، تبغون محاربتنا؟! قست قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم وختم على سمعكم وبصركم، وسوَّل لكم الشَّيطان وأملى لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تبّاً لكم يا أهل الكوفة! كم ترات لرسول الله «ص» قبلكم، وذحوله لديكم ثم غدرتم بأخيه عليٍّ ابن أبي طالب «ع» جدي، وبنيه عترة النبي الطيبين الأخيار وافتخر بذلك مفتخر فقال:

نحن قتلنا علياً وبني عليّ ... بسيوف هندية ورماح
وسبينا نساءَهم سبيَ ترك ... ونطحناهم فأيّ نطاح

فقالت: بفيك أيها القائل الكثكث[٢] ولك الأثلب[٣] إفتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم، وأذهب عنهم الرِّجس، فاكظم واقع كما أقعى أبوك، وإنما لكلّ امرىء ما قدمت يداه، حسدتمونا ويلاً لكم على ما فضلنا الله.

فما ذنبنا إن جاش دهر بحورنا ... وبحرك ساج لا يواري الدعامصا[٤]

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا: حسبك يا بنت الطيبين! فقد أحرقت قلوبنا، وأنضجت نحورنا، وأضرمت أجوافنا، فسكتت عليها وعلى أبيها وجدها السلام.

* * *

خطبة زينب بنت علي بن أبي طالب بحضرة أهل الكوفة في ذلك اليوم تقريعاً لهم وتأنيباً.

عن حذيم بن شريك الأسدي[٤] قال: لما أتى علي بن الحسين زين العابدين بالنسوة من كربلاء، وكان مريضاً، واذا نساء أهل الكوفة ينتدبن مشققات الجيوب والرجال معهنَّ يبكون.

---

(١) يسحتكم: يستأصلكم.
(٢) الكثكث: دقاق التراب.
(٣) الأثلب: دقاق الحجر.
(٤) الدعامص- جمع دعموص- وهو دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء، والبيت للأعشى.
(٥) حذيم بن شريك الأسدي: عده الشيخ في رجاله ص ٨٨ من أصحاب الامام علي بن الحسين عليه السلام.

فقال زين العابدين«ع»- بصوت ضئيل وقد نهكته العلة-: إنَّ هؤلاء يبكون علينا فمن قتلنا غيرهم. فأومت زينب بنت عليٍّ بن أبي طالب«ع» إلى الناس بالسكوت.

قال حذيم الأسدي: لم ار والله خفرة قط أنطق منها، كأنها تنطق وتفرغ على لسان عليٍّ«ع»، وقد أشارت إلى الناس بأن أنصتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثمقالت- بعد حمدالله تعالى والصلاة على رسوله«ص»-:

أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل[١] والغدر والخذل، ألا فلا رقأت العبرة[٢] ولا هدأت الزفرة، إنَّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً[٣] تتخذون أيمانكم دخلاَ بينكم[٤] هل فيكم إلا الصَّلف[٥] والعجب، والشنف[٦]، والكذب، وملق الاماء وغمز الأعداء،[٧] أو كمرعًى على دمنة[٨] أو كفضة على ملحودة،[٩] ألا بئس ما قدَّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون أخي؟! أجل والله فابكوا فانكم أحرى بالبكاء فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فقد ابلُيتم بعارها، ومنيتم بشنارها[١٠] ولن ترحضوها أبداً[١١] وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ حربكم، ومعاذ حزبكم، ومقر سلمكم، وآسي كلمكم،[١٢] ومفزع نازلتكم، والمرجع إليه عند مقاتلتكم، ومدرة حججكم[١٣] ومنار محجتكم، ألاساء ما قدمت لكم أنفسكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم.

فتعساً تعساً! ونكساً نكساً! لقد خاب السَّعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

أتدرون ويلكم أيَّ كبد لمحمد«ص» فرثتم؟! وأيَّ عهد نكثتم؟! وأيَّ كريمة له أبرزتم؟! وأيَّ حرمة له هتكتم؟! وأيَّ دم له سفكتم؟! لقد جئتم شيئاً إدّا تكاد السماوت يتفطرن منه وتنشق الأرض

---

(١) الختل: الخداع.
(٢) رقأت: جفت.
(٣) أي: حلته وافسدته بعد ابرام.
(٤) اي: خيانة وخديعة
(٥) الصلف: الذي يمتدح بما ليس عنده.
(٦) الشنف: البغض بغير حق.
(٧) الغمز: الطعن والعيب.
(٨) الدمنة: المزبلة.
(٩) الفضة: الجص والملحودة القبر.
(١٠) الشنار العار.
(١١) اي: لن تغسلوها.
(١٢) اي: دواء جرحكم.
(١٣) المدرة: زعيم القوم ولسانهم المتكلم عنهم.

وتخر الجبال هدّاً!

لقد جئتم، بها شوهاء، صلعاء، عنقاء، سوداء، فقماء، خرقاء [1] كطلاع الأرض، أوملء السماء، [2] أفعجبتم أن تمطر السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، فلا يستخفنكم المهل، فانه عز وجل لا يحفزه البدار[3] ولا يخشى عليه فوت النار كلا إنَّ ربك لنا ولهم لبالمرصاد، ثم أنشأت تقول عليها السلام:

ماذا تقولون إذ قال النبيّ لكم ... ماذا صنعتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي وتكرمتي ... منهم أُسارى ومنهم ضرِّجوا بدم
ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي
إنِّي لأخشى عليكم أن يحل بكم ... مثل العذاب الذي أودى على إرم

ثم ولت عنهم.

قال حذيم: فرأيت الناس حيارى قد ردوا أيديهم في أفواههم، فالتفت إليَّ شيخ في جانبي يبكي وقد اخضلت لحيته بالبكاء، ويده مرفوعة إلى السَّماء، وهو يقول: بأبي وأمي كهولهم خير كهول، ونساؤهم خير نساء، وشبابهم خير شباب، ونسلهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم، ثم أنشد:

كهولكم خير الكهول ونسلكم ... إذا عدَّ نسل لا يبور ولا يخزى

فقال عليّ بن الحسين«ع»: يا عمة اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلَّمة، فهمة غير مفهمة، إنَّ البكاء والحنين لا يردان من قد أباده الدّهر، فسكتت. ثم نزل عليه السلام وضرب فسطاطه، وأنزل نساءَه ودخل الفسطاط.

* * *

إحتجاج عليّ بن الحسين عليهما السلام على أهل الكوفة حين خرج من الفسطاط وتوبيخه إياهم على غدرهم ونكثهم.

قال حذيم بن شريك الأسدي: خرج زين العابدين«ع» إلى الناس وأومى إليهم أن اسكتوا فسكتوا، وهو قائم، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيه، ثم قال:

أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني! ومن لم يعرفني فأنا عليّ بن الحسين المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتهك حريمه، وسلب نعيمه وانتهب ماله، وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً، فكفى بذلك فخراً.

---

(١) الشوهاء: القبيحة والفقماء اذا كانت ثناياها العليا الى الخارج فلا تقع على السفلى. والخرقاء: الحمقاء.

(٢) طلاع الأرض: ملؤها.

(٣) يحفزه: يدفعه.

أيها الناس، ناشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة؟ ثم قاتلتموه وخذلتموه فتبّاً لكم ما قدمتم لأنفسكم وسوءً لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله«ص»، يقول لكم قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أُمتي.

قال: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء، ويدعو بعضهم بعضاً: هلكتم وما تعلمون.

فقال عليّ بن الحسين: رحم الله امرءاً قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله، وفي أهل بيته، فإنَّ لنا في رسوله الله اسوة حسنة.

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا ابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك رحمك الله فانا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لنأخذنَّ ترتك وترتنا، ممن ظلمك وظلمنا.

فقال عليّبن الحسين«ع»: هيهات! أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليَّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل كلا ورب الراقصات إلى منى، فإنَّ الجرح لما يندمل!! قتل أبي بالأمس وأهل بيته معه، فلم ينسني ثكل رسول الله«ص»، وثكل أبي وبني أبي وجدي شق لها زمي ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري. ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا.

ثم قال«ع»:

لا غــرو أن قتــل الحســين وشيخــه ... قــد كــان خيــراً من حســين وأكــرما
فـلا تفـرحـوا يـا أهـل كـوفـة بـالّـذي ... أصيـب حـسـين كـان ذلـك أعـظما
قـتيــل بـشطِّ الـنهـر نـفـسي فـداؤه ... جـزاء الــذي أرداه نــار جـهـنّـما

* * *

إحتجاجه عليه السَّلام بالشام على بعض أهلها حين قدم به وبمن معه على يزيد لعنه الله.

وعن ديلم بن عمر قال: كنت بالشام حتى أتى بسبايا آل محّمد«ص»، فاقيموا على باب المسجد حيث تقام السبايا، وفيهم عليّ بن الحسين، فأتاهم شيخ من أشياخ أهل الشام فقال:

الحمدلله الذي قتلكم وأهلككم وقطع قرون الفتنة. فلم يأل عن سبهم وشتمهم، فلما انقضى كلامه.

قال له علي بن الحسين«ع»: إنّي قد أنصت لك حتى فرغت من منطقك، وأظهرت ما في نفسك من العداوة والبغضاء، فانصت لي كما أنصت لك. فقال له: هات.

قال علي «ع»: أما قرأت كتاب الله عز وجل؟ قال: نعم.

فقال له«ع»: أما قرأت في الآية: **﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾**. قال: بلى.

فقال«ع»: نحن اولئك فهل تجد لنا في سورة بني إسرائيل حقاً خاصة دون المسلمين؟ فقال: لا.

فقال: أما قرأت هذه الآية؟ ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾؟ قال: نعم.

قال عليّ«ع»: فنحن اولئك الذين أمر الله نبيه أن يؤتيهم حقهم.

فقال الشامي: إنكم لأنتم هم؟

فقال علي«ع»: نعم. فهل قرأت هذه الآية: ﴿**واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنَّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى**﴾؟ فقال له الشامي: بلى.

فقال عليّ«ع»: فنحن ذو القربى، فهل تجد لنا في سورة الأحزاب حقاً خاصة دون المسلمين؟ فقال: لا.

قال عليّ بن الحسين « ع »: أما قرأت هذه الآية: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً**﴾؟ قال: فرفع الشامي يده إلى السماء ثم قال:

اللهم إنّي أتوب إليك! ثلاث مرات، اللهم إنّي أتوب إليك من عداوة آل محّمد، وأبرؤ إليك ممن قتل أهل بيت محّمد، ولقد قرأت القرآن منذ دهر فما شعرت بها قبل اليوم.

* * *

إحتجاج زينب بنت عليّ بن أبي طالب حين رأت يزيد (لع) يضرب ثنايا الحسين عليه السلام بالمخصرة.

روى شيخ صدوق من مشايخ بني هاشم وغيره من الناس: أنه لما دخل عليّ بن الحسين«ع» وحرمه على يزيد، وجيء برأس الحسين«ع» ووضع بين يديه في طست، فجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يده، وهو يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاءَ ولا وحي نزل
ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ولقالوا يا يزيد لا تشل
فجزيناه ببدر مثلاً ... وأقمنا مثل بدر فاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

قالوا: فلما رأت زينب ذلك فأهوت الى جيبها فشقته، ثم نادت بصوت حزين تقرع القلوب، يا حسيناه! يا حبيب رسول الله! يا ابن مكة ومنى! يا ابن فاطمة الزّهراء سيدة النساء! يا ابن محّمد المصطفى.

قال: فأبكت والله كلّ من كان، ويزيد ساكت، ثم قامت على قدميها، وأشرفت على المجلس، وشرعت في الخطبة، إظهاراً لكمالات محّمد«ص»، وإعلاناً بأنا نصبر لرضاءِ الله، لا لخوفٍ ولا دهشة، فقامت إليه زينب بنت عليٍّ وأُمها فاطمة بنت رسول الله وقالت:

الحمدلله رب العالمين، والصلاة على جدي سيد المرسلين، صدق الله سبحانه كذلك يقول: **﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾**[١].

أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيقت علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في أسار، نساق إليك سوقا في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار أنَّ بنا من الله هواناً وعليك منه كرامة وامتناناً، وأنَّ ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك[٢] تضرب أصدريك فرحاً[٣] وتنفض مذرويك مرحاً[٤] حين رأيت الدنيا لك مستوسقة[٥] والأمور لديك متسقة[٦] وحين صفا لك ملكنا، وخلص لك سلطاننا، فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً! أنسيت قول الله عز وجل: **﴿ولا تحسبن الذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾**[٧].

أمن العدل يا ابن الطلقاء؟! تخديرك حرائرك وإماءَك، وسوقك بنات رسول الله سباياً، قد هتكت ستورهنَّ، وابديت وجوههنَّ، تحدوا بهنَّ الأعداء من بلد إلى بلد، وتستشرفهنَّ المناقل[٨] ويتبرزن لأهل المناهل[٩] ويتصفح وجوههنَّ القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشريف والوضيع، والدني والرفيع ليس معهن من رجالهنَّ ولي، ولا من حماتهنَّ حمي، عتوّاً منك على الله[١٠] وجحوداً لرسول الله، ودفعاً لما جاء به من عند الله، ولا غرو منك ولا عجب من فعلك، وأنّى ترتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء، ونصب الحرب لسيد الأنبياء، وجمع الأحزاب، وشهر الحراب، وهز السيوف في وجه رسول الله«ص»، أشد العرب جحوداً، وأنكرهم له رسولا، وأظهرهم له عدواناً، وأعتاهم على الرَّبِّ كفراً وطغياناً، ألا إنَّها نتيجة خلال الكفر، وصب يجرجر في الصدر لقتلى يوم بدر[١١]، فلا يستبطىء في بغضنا أهل البيت من كان نظره إلينا شنفاً وإحنا وأضغاناً، يظهر كفره برسول الله، ويفصح ذلك بلسانه، وهو يقول: ـ فرحا بقتل ولده وسبي ذريته، غير متحوّب[٢] ولا مستعظم يهتف بأشياخه ـ.

(١) الروم ١٠ .
(٢) نظر في عطفه، اخذه العجب.
(٣) الاصدران: عرقان تحت الصدغين
(٤) المذروان: طرفا الاليتين.
(٥) مستوسقة: مجتمعة.
(٦) متسقة: مستوية.
(٧) آل عمران / ١٧٨ .
(٨) تستشرف: تنظر.
(٩) المناهل: مواضع شرب الماء في الطريق.
(١٠) عتواً: عناداً.
(١١) تجرجر الماء: صبه في حلقه فصيّره يصوّت .
(١٢) متحوّب: متأثم .

لأهـلوا واستـهـلّوا فـرحـا ولقـالـوا يـا يـزيـد لا تشـل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله ـ وكان مقبّل رسول الله صلّى الله عليه وآله ينكتها بمخصرته ، قد التمع السرور بوجهه ، لعمري لقد نكأت القرحة[1] واستأصلت الشأفة ، بإراقتك دم سيد شباب أهل الجنة ، وابن يعسوب دين العرب ، وشمس آل عبد المطلب ، وهتفت بأشياخك ، وتقربت بدمه الى الكفرة من اسلافك ، ثم صرخت بندائك ، ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك ! ووشيكا تشهدهم ولن يشهدوك ، ولتود يمينك كما زعمت شلّت بك عن مرفقها وجذت ، وأحببت امك لم تحملك واياك لم تلد ، أو حين تصير الى سخط الله ومخاصمك رسول الله صلّى الله عليه وآله اللّهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمنا، واحلل غضبك على من سفك دماءَنا ونفض ذمارنا، وقتل حماتنا، وهتك عنا سدولنا.

وفعلتَ فعلتك التي فعلت، وما فريت إلا جلدك، وما جزرت الا لحمك، وسترد على رسول الله بما تحملت من دم ذريته، وانتهكتَ من حرمته، وسفكتَ من دماءِ عترته ولحمته، حيث يجمع به شملهم، ويلمّ به شعثهم، وينتقم من ظالمهم، ويأخذ لهم بحقهم من أعدائهم، فلا يستفزنّك الفرح بقتلهم، ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، وحسبك بالله ولياً وحاكماً وبرسول الله خصماً، وبجبرائيل ظهيراً.

وسيعلم من بوَّأك ومكنك من رقاب المسلمين أن بئس للظالمين بدلا. وأيكم شر مكاناً وأضل سبيلاً، وما استصغاري قدرك، ولا استعظامي تقريعك[2] توهماً لانتجاع الخطاب فيك[3] بعد أن تركت عيون المسلمين به عبرى، وصدرهم عند ذكره حرّى، فتلك قلوب قاسية، ونفوس طاغية وأجسام محشوة بسخط الله ولعنة الرسول، قد عشّش فيها الشّيطان وفرَّخ، ومن هناك مثلك ما درج.

فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء، وأسباط الأنبياء، وسليل الأوصياء، بأيدي الطلقاء الخبيثة. ونسل العهرة الفجرة، تنطف أكفهم من دمائنا[4] وتتحلب أفواههم من لحومنا، [5] تلك الجثث الزاكية على الجيوب الضاحية، تنتابها العواسل، [6] وتعفرها أُمهات الفواعل، [7] فلئن اتخذتنا مغنماً لتجد بنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، وما الله بظلاّم للعبيد.

فالى الله المشتكى والمعول، وإليه الملجأ والمؤمل، ثم كد كيدك، واجهد جهدك فوالله الذي شرفنا بالوحي والكتاب، والنبوة والانتخاب، لا تدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا، ولا يرحض عنك

(١) نكأت: قسرت قبل أن تبرأ.

(٢) التقريع: التعنيف.

(٣) الانتجاع: الانتفاع.

(٤) تنطف: أي تقطر.

(٥) تتحلب: تسيل.

(٦) تنتابها العواسل: تأتي مرة بعد اخرى. والعواسل: الرماح المضطربة.

(٧) تعفرها: تمرغها في التراب والفواعل: أولاد الضباع.

عارنا، وهل رأيك الا فند، وأيامك الا عدد وجمعك الا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعن الله الظالم العادي.

والحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسعادة، وختم لأصفيائه بالشهادة، ببلوغ الإرادة، نقلهم إلى الرحمة والرّأفة، والرّضوان والمغفرة، ولم يشق بهم غيرك، ولا ابتلى بهم سواك، ونسأله أن يكمل لهم الأجر،ويجزل لهم الثواب والذخر ونسأله حسن الخلافة، وجميل الإنابة، إنه رحيم ودود.

فقال يزيد مجيباً لها:

يـا صيحـة تحمـد من صوايـح   مـا أهـون المـوت على النـوائـح

ثم أمر بردهم. وقيل: إنَّ فاطمة بنت الحسين كانت وضيئة الوجه، وكانت جالسة بين النساء، فقام إلى يزيد رجل من أهل الشام أحمر فقال:

يا امير المؤمنين هب لي هذه الجارية! يعني: فاطمة بنت الحسين، فأخذت بثياب عمتها زينب بنت عليٍّ بن أبي طالب«ع» فقالت: أوتم وأُستخدم؟!

فقالت زينب للشامي :كذبت ولؤمت،والله ما ذاك لك ولا له ،فغضب يزيد ثم قال: إنَّ ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت.

قالت زينب: كلا، والله ما جعل الله ذلك لك، إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا.

فقال: يزيد: إنما خرج من الدين أبوك، وأخوك.

قالت زينب: بدين الله، ودين أبي، ودين أخي، اهتديت أنت إن كنت مسلماً.

قال يزيد: كذبت يا عدوة الله.

فقالت زينب: أنت أمير تشتم ظلماً، وتقهر بسلطانك.

فكأنه استحيى فسكت فعاد الشامي فقال: يا امير المؤمنين هب لي هذه الجارية. فقال يزيد: اعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً.

* * *

احتجاج عليّ بن الحسين زين العابدين على يزيد بن معاوية لما أُدخل عليه

روت ثقاة الرواة وعدولهم، أنه لما أُدخل عليّ بن الحسين زين العابدين«ع» في جملة من حمل إلى الشام سباياً من أولاد الحسين بن عليّ«ع» وأهاليه على يزيد قال له:

يا عليّ، الحمدلله الذي قتل أباك!

قال علي«ع»: قتل أبي الناس.

قال يزيد: الحمدلله الذي قتله فكفانيه!

قال عليّ «ع»: على من قتل أبي لعنة الله، افتراني لعنت الله عز وجل؟

قال يزيد: يا عليّ إصعد المنبر فأعلم الناس حال الفتنة، وما رزق الله أمير المؤمنين من الظفر!

فقال عليّ بن الحسين: ما أعرفني بما تريد . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسول الله«ص» ثم قال:

أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا اعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المروة والصفا، أنا ابن محّمد المصطفى، أنا ابن من لا يخفى، أنا ابن من علا فاستعلى فجاز سدرة المنتهى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى.

فضج أهل الشام بالبكاء حتى خشي يزيد أن يرحل من مقعده، فقال- للمؤذن- أذن، فلما قال المؤذن: «الله أكبر، الله أكبر» جلس عليّبن الحسين على المنبر. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محّمداً رسول الله. بكى عليّ بن الحسين«ع» ثم التفت إلى يزيد فقال: يا يزيد هذا أبي أم أبوك؟

قال: بل أبوك، فانزل، فنزل« ع » فأخذ بناحية باب المسجد، فلقيه مكحول صاحب رسول الله«ص» فقال: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟

قال: أمسينا بينكم مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم.

فلما انصرف يزيد إلى منزله، دعا بعليّ بن الحسين«ع» فقال: يا عليّ أتصارع ابني خالداً؟

قال«ع»: وما تصنع بمصارعتي إياه، اعطني سكيناً واعطه سكيناً فليقتل أقوانا أضعفنا، فضمه يزيد إلى صدره، ثم قال:

لا تلد الحية الا الحية، أشهد أنك ابن عليّ بن أبي طالب«ع».

ثم قال له عليّ بن الحسين«ع»: يا يزيد بلغني أنك تريد قتلي، فإن كنت لا بد قاتلي، فوجه مع هؤلاء النسوة من يؤديهنَّ إلى حرم رسول الله«ص».

فقال له يزيد لعنه الله: لا يؤديهنَّ غيرك، لعن الله ابن مرجانة، فوالله ما أمرته بقتل أبيك، ولو كنت متولياً لقتاله ما قتلته، ثم أحسن جائزته وحمله والنساء إلى المدينة.

* * *

إحتجاجه «ع» في أشياء شتى من علوم الدين وذكر طرف من مواعظه البليغة.

جاء رجل من أهل البصرة إلى عليِّ بن الحسين «ع» فقال:

يا عليَّبن الحسين إنَّ جدك عليّ بن أبي طالب قتل المؤمنين، فهملت عينا عليبن الحسين دموعاً حتى امتلأت كفه منها، ثم ضرب بها على الحصى، ثم قال:

يا أخا أهل البصرة لا والله ما قتل عليّ مؤمناً، ولا قتل مسلماً، وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكتموا الكفر وأظهروا الاسلام، فلما وجدوا على الكفر أعواناً أظهروه، وقد علمت صاحبة الجدب والمستحفظون من آل محمد«ص» أنَّ أصحاب الجمل وأصحاب صفين وأصحاب النهروان لعنوا على لسان النبي الأمي وقد خاب من افترى.

فقال شيخ من أهل الكوفة: يا عليَّبن الحسين إنَّ جدك كان يقول: «إخواننا بغوا علينا».

فقال عليّ بن الحسين «ع»: أما تقرأ كتاب الله **﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾** فهم مثلهم، أنجى الله عز وجل هوداً والذين معه، وأهلك عاداً بالريح العقيم.

وبالاسناد المقدم ذكره: انَّ عليَّبن الحسين«ع» كان يذكر حال من مسخهم الله قردة من بني إسرائيل ويحكي قصتهم، فلما بلغ آخرها قال: إنَّ الله تعالى مسخ اولئك القوم لاصطيادهم السمك، فكيف ترى عند الله عز وجل يكون حال من قتل أولاد رسول الله«ص» وهتك حريمه؟! إنَّ الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدنيا فان المعد لهم من عذاب الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ.

فقيل له: يا ابن رسول الله فإنا قد سمعنا منك هذا الحديث، فقال لنا بعض النصاب: فان كان قتل الحسين باطلا فهو أعظم عند الله من صيد السمك في السبت أفما كان الله غضب على قاتليه كما غضب على صيادي السمك؟

قال عليّبن الحسين«ع»: قل لهؤلاء النصاب فان كان إبليس معاصيه أعظم من معاصي من كفر باغوائه فأهلك الله من شاء منهم. كقوم: نوح وفرعون، ولم يهلك إبليس، وهو أولى بالهلاك، فما باله أهلك هؤلاء الذين قصروا عن إبليس في عمل الموبقات، وأمهل إبليس مع إيثاره لكشف المحرمات، أما كان ربنا عز وجل حكيماً تدبيره حكمة فيمن أهلك وفيمن استبقى؟ فكذلك هؤلاء الصائدون في السبت، وهؤلاء القاتلون للحسين، يفعل في الفريقين ما يعلم أنه أولى بالصواب والحكمة، لا يسأل عما يفعل وعباده يسألون.

وقال الباقر«ع»: فلما حدث عليّبن الحسين«ع» بهذا الحديث قال له بعض من في مجلسه: يا ابن رسول الله كيف يعاقب الله ويوبخ هؤلاء الأخلاف على قبائح أتاها أسلافهم- وهو يقول: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**؟

فقالزين العابدين«ع»: إنَّ القرآن نزل بلغة العرب فهو يخاطب فيه أهل اللِّسان بلغتهم، يقول

الرجل التميمي ـ قد أغار قومه على بلد وقتلوا من فيه ـ: أغرتم على بلد كذا وفعلتم كذا، ويقول العربي: نحن فعلنا ببني فلان، ونحن سبينا آل فلان، ونحن خربنا بلد كذا. لا يريد أنهم باشروا ذلك، ولكن يريد هؤلاء بالعذل واولئك بالإفتخار: أنَّ قومهم فعلوا كذا، وقول الله عز وجل في هذه الآيات إنما هو توبيخ لأسلافهم، وتوبيخ العذل على هؤلاء الموجودين، لأنَّ ذلك هو اللّغة التي نزل بها القرآن، والآن هؤلاء الأخلاف أيضاً راضون بما فعل أسلافهم، مصوبون لهم، فجاز أن يقال: أنتم فعلتم أي: إذ رضيتم قبيح فعلهم.

وعن أبي حمزة الثمالي[1] قال: دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على عليِّ بن الحسين «ع» فقال له:

جعلني الله فداك! أخبرني عن قول الله عز وجل: **﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدَّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾**. قال له: ما يقول الناس فيها قبلكم؟ قال: يقولون: إنّها مكة.

فقال: وهل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكة. قال: فما هو؟

قال: إنما عنى الرجال. قال: وأين ذلك في كتاب الله؟

فقال: أو ما تسمع إلى قوله عز وجل: **﴿وكأيِّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله﴾** وقال: **﴿وتلك القرى أهلكناهم﴾** وقال: **﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾** أفيسأل القرية أو الرجال أو العير؟

قال: وتلا عليه آيات في هذا المعنى. قال: جعلت فداك! فمن هم؟

قال: نحن هم. فقال: أو ما تسمع إلى قوله: **﴿سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾**؟

قال: آمنين من الزيغ.

وروي: أنَّ زين العابدين «ع» مر بالحسن البصري، وهو يعظ الناس بمنى فوقف «ع» عليه ثم قال: أمسك أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم، أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله إذا نزل بك غدا؟ قال: لا.

---

(١) قال الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب ج ٢ ص ١١٨:

«الثمالي أبوحمزة ثابت بن دينار، الثقة الجليل، صاحب الدعاء المعروف في اسحار شهر رمضان، كان من زهاد أهل الكوفة ومشايخها وكان عربياً أزدياً، روي عن الفضل بن شاذان قال: سمعت الثقة يقول: سمعت الرضا عليه السلام يقول: أبوحمزة الثمالي في زمانه، كسلمان الفارسي في زمانه، وذلك أنه خدم أربعة منا: عليّ بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وبرهة من عصر موسى بن جعفر».

وعده الشيخ في أصحاب عليّ بن الحسين ص ٨٤ من رجاله فقال: «ثابت بن أبي صفية دينار الثمالي الأزدي، يكنى أبا حمزة الكوفي، مات سنة خمسين وماية، وذكره في أصحاب الباقر عليه السلام ص ١١٠ وص ١٦٠ في أصحاب الصادق «ع» وقال النجاشي ص ٨٩ لقي علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله وأبا الحسن عليهم السلام وروى عنهم وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث و(قال): وروى عنه العامة ومات سنة خمسين ومائة له كتاب تفسير القرآن.

قال: أفتحدث نفسك بالتحول والانتقال عن الحال التي لا ترضاها لنفسك إلى الحال التي ترضاها؟

قال: فأطرق ملياً ثم قال: إنّي أقول ذلك بلا حقيقة.

قال: أفترجو نبياً بعد محمّد«ص» يكون لك معه سابقة؟ قال: لا.

قال: أفترجو داراً غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها؟ قال: لا.

قال: أفرأيت أحداً به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا؟ إنك على حال لا ترضاها ولا تحدث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة، ولا ترجو نبياً بعد محمّد، ولا داراً غير الدار التي أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها، وأنت تعظ الناس.

قال: فلما ولى«ع» قال الحسن البصري: من هذا؟ قالوا: عليّ بن الحسين.

قال: أهل بيت علم فما رئي الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس.

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت عليّبن الحسين«ع» يحدث رجلا من قريش قال:

لما تاب الله على آدم واقع حواء ولم يكن غشيها منذ خلق وخلقت الا في الأرض، وذلك بعدما تاب الله عليه، قال: وكان آدم يعظم البيت وما حوله من حرمة البيت، فكان إذا أراد أن يغشى حواء خرج من الحرم وأخرجها معه، فاذا جاز الحرم غشيها في الحل، ثم يغتسلان إعظاماً منه للحرم. ثم يرجع إلى فناء البيت.

قال فولد لآدم من حواء عشرون ذكراً وعشرون اُنثى، فولد له في كل بطن ذكروانثى، فأول بطن ولدت حواء: «**هابيل**» ومه جارية يقال لها: «**اقليما**» قال: وولدت في البطن الثاني: «**قابيل**» ومعه جارية يقال لها «**لوزا**» وكانت لوزا أجمل بنات آدم.

وقال: فلما أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه فقال: اريد أن انكحك يا هابيل لوزا، وانكحك يا قابيل إقليما.

قال قابيل: ما أرضى بهذا أتنكحني اخت هابيل القبيحة، وتنكح هابيل اختي الجميلة.

قال: فأنا أقرع بينكما، فان خرج سهمك يا قابيل على لوزا، وخرج سهمك يا هابيل على إقليما، زوجت كل واحد منكما التي خرج سهمه عليه.

قال: فرضيا بذلك، فاقترعا.

قال: فخرج سهم هابيل على لوزا اخت قابيل، وخرج سهم قابيل على إقليما اخت هابيل، قال: فزوجهما على ما خرج لهما من عند الله.

قال: ثم حرم الله نكاح الأخوات بعد ذلك.

قال: فقال له القرشي: فأولداهما؟ **قال**: نعم فقال القرشي: فهذا فعل المجوس اليوم!

قال: فقال عليّ بن الحسين: إنَّ المجوس إنما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله.

ثم قال له عليّ بن الحسين: لا تنكر هذا، إنما هي الشرايع جرت أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها له، فكان ذلك شريعة من شرايعهم، ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك.

لقي عباد البصري عليَّبن الحسين«ع» في طريق مكة فقال له:

يا عليَّبن الحسين تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج ولينه، وإنَّ الله عزوجل يقول: ﴿**إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون**ـ إلى قوله ـ **وبشر المؤمنين**﴾.

فقال عليّ بن الحسين: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج.

وسئل «ع» عن النبيذ فقال: شربه قوم وحرمه قوم صالحون، فكان شهادة الذين دفعوا بشهادتهم شهواتهم أولى أن تقبل من الذين جروا بشهادتهم شهواتهم.

وعن عبد الله بن سنان(١) عن أبي عبد الله«ع» قال: قال رجل لعليّ بن الحسين«ع»: إنَّ فلاناً ينسبك إلى أنك ضال مبتدع!

فقال له عليّ بن الحسين«ع»: ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه، إنَّ الموت يعمنا، والبعث محشرنا، والقيامة موعدنا، والله يحكم بيننا، إياك والغيبة! فانها أدام كلاب النار، واعلم أنَّ من أكثر عيوب الناس شهد عليه الاكثار أنه إنما يطلبها بقدر ما فيه.

وسئل«ع» عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟ فقال«ع» لكل واحد منهما آفات، فاذا سلما من الآفات، فالكلام أفضل من السكوت.

قيل: وكيف ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: لأنَّ الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما يبعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت، ولا استوجب ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام وما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك تصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت.

---

(١) قال العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٠٤: «عبد اللهبن سنان ـ بالسين المهملة والنون قبل الألف وبعدها ـ ابن طريف مولى بني هاشم، ويقال مولى بني أبي طالب، ويقال: مولى بني العباس. كان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد، وكان كوفياً ثقة من أصحابنا، جليلاً لا يطعن عليه في شيء، روى عن الصادق (ع) وقيل روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام. ولم يثبت قال فيه الصادق (ع): أما إنه يزيد على السن خيراً، رواه الكشي في حديث مرسل».

روي عن أبي جعفر الباقر«ع» قال: لما قتل الحسين بن علي«ع» أرسل محّمد بن الحنفية إلى عليّ بن الحسين«ع» فخلا به ثم قال:

يا ابن أخي قد علمت أنَّ رسول الله كان جعل الوصية والامامة من بعده لعليّ بن أبي طالب«ع» ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين، وقد قتل أبوك رضي الله عنه وصلى عليه ولم يوص، وأنا عمك وصنو أبيك، وأنا في سني وقدمتي أحق بها منك في حداثتك، فلا تنازعني الوصية والامامة ولا تخالفني.

قال له عليّ بن الحسين«ع»: إتق الله ولا تدَّع ما ليس لك بحق، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين، يا عم إنَّ أبي صلوات الله عليه أوصى إليَّ قبل أن يتوجه إلى العراق، وعهد إليَّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله«ص» عندي، فلا تعرض لهذا فانّي أخاف عليك بنقص العمر، وتشتت الحال وإنَّ الله تبارك وتعالى أبى إلا أن يجعل الوصية والامامة في عقب الحسين، فان أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نحتكم إليه ونسأله عن ذلك.

قال الباقر«ع»: وكان الكلام بينهما وهما يومئذ بمكة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود فقال عليّ بن الحسين«ع» لمحمد:

ابتديء فابتهل إلى الله واسأله أن ينطق لك الحجر ثم سله.

فابتهل محّمد في الدعاء وسأل الله ثم دعا الحجر فلم يجبه. فقال عليّ بن الحسين«ع»: أما إنك يا عم لو كنت وصياً وإماماً لأجابك!

فقال له محّمد: فادع أنت يا ابن أخي! فدعا الله عليّ بن الحسين«ع» بما أراد ثم قال: «أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين، لما أخبرتنا بلسان عربي مبين: من الوصي والامام بعد الحسين بن عليّ! فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه ثم أنطقه الله بلسان عربي مبين فقال:

اللّهم إنَّ الوصية والامامة بعد الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى عليٍّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وابن فاطمة بنت رسول الله«ص».

فانصرف محّمد وهو يتولى عليَّ بن الحسين«ع».

وعن ثابت البناني[1] قال: كنت حاجاً وجماعة عباد البصرة مثل: أيوب السجستاني وصالح المروي وعتبة الغلام وحبيب الفارسي ومالك بن دينار، فلما أن دخلنا مكة رأينا الماءَ ضيقاً، وقد اشتد بالناس العطش لقلة الغيث ففزع إلينا أهل مكة والحجاج يسألوننا أن نستسقي لهم، فأتينا الكعبة وطفنا

---

(١) ثابت البناني: قال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ٢٩ «ثابت البناني يكني أبا فضالة، من أهل بدر من أصحاب أمير المؤمنين «ع» قتل بصفين. وفي أصحاب علي من رجال الشيخ ص٣٦: ثابت الأنصاري البناني يكنى أبا فضالة من أهل بدر قتل معه عليه السلام بصفين. وعليه فالراوي غيره ولعل البناني هنا تصحيف الثمالي، وهو ثابت بن دينار المكنى بأبي حمزة.

بها ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها فمنعنا الاجابة. فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل وقد أكربته أحزانه، وأقلقته أشجانه، فطاف بالكعبة أشواطاً ثم أقبل علينا فقال:

يا مالك بن دينار! ويا ثابت البناني! ويا أيوب السجستاني ويا صالح المروي ويا عتبة الغلام! ويا حبيب الفارسي! ويا سعد! ويا عمر! ويا صالح الأعمى! ويا زابعة ويا سعدانة! ويا جعفر بن سليمان! فقلنا: لبيك وسعديك يا فتى!

فقال: أما فيكم أحد يحبه الرحمن؟ فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الاجابة.

فقال: ابعدو عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه، ثم أتى الكعبة فخر ساجداً فسمعته يقول- في سجوده-: «سيدي بحبك لي الا سقيتهم الغيث».

قال: فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب.

فقلت: يا فتى من أين علمت أنه يحبك؟ قال: لو لم يحبني لم يستزرني فلما استزارني علمت أنه يحبني، فسألته بحبه لي فأجابني، ثم ولى عنا وأنشأ يقول:

من عرف الرب فلم تغنه ... معرفة الرب فذاك الشقي
ما ضر في الطاعة ما ناله ... في طاعة الله وماذا لقي
ما يصنع العبد بغير التقى ... والعز كل العز للمتقي

فقلت يا أهل مكة من هذا الفتى؟

قالوا: عليّبن الحسين بنعليّبن أبي طالب «ع».

وعن جعفر بن محّمد عن أبيه عن جده عليّبن الحسين «ع» قال:

نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وينشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض ولولا ما في الأرض منا لساخت الأرض بأهلها.

ثم قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله، ولولا ذلك لم يعبد الله.

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي[1] قال:

---

(١) في الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ج ١ ص٦٠ قال: «قال الفضل بن شاذان ولم يكن في زمن عليّبن الحسين «ع» في أول أمره إلا خمسة أنفس: سعيدبن جبير، سعيد بن المسيب، محمدبن جبيربن مطعم، يحيىبن أم الطويل، أبو خالد الكابلي واسمه وردان ولقبه كنكر» ثم قال: وفي خبر الحواريين أنه حواري عليّبن الحسين عليه السلام وقد شاهد كثيراً من دلائل الأئمة عليهم السلام ويأتي في الطاقي رواية تتعلق به، ويظهر من رسالة أبي غالب الزراري أنّ آل أعين وهم أكبر بيت في الكوفة من الشيعة أنّ أول من عرف منهم عبد الملك عرفه من صالح بن ميثم ثم عرفه حمران من أبي خالد الكابلي.

دخلت على سيدي عليِّبن الحسين زين العابدين«ع» فقلت له:

يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم ومودتهم، وأوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول الله«ص»؟

فقال لي: يا أبا كنكر! إنَّ اولي الأمر الذين جعلهم الله أئمة الناس وأوجب عليهم طاعتهم: امير المؤمنين عليّبن أبي طالب، ثم انتهى الأمر إلينا، ثم سكت.

فقلت له: يا سيدي روي لنا عن امير المؤمنين«ع» أنه قال: «لا تخلو الأرض من حجة لله على عباده» فمن الحجة والإمام بعدك؟

قال: إبني (محّمد) واسمه في التوراة (باقر) يبقر العلم بقراً، هو الحجة والامام بعدي، ومن بعد محّمد ابنه (جعفر) اسمه عند أهل السَّماء (الصادق).

فقلت له: يا سيدي فكيف صار اسمه: الصادق، وكلكم صادقون؟

فقال حدثني أبي عن أبيه: أنَّ رسول الله قال: «إذا ولد ابني جعفر بن محّمد بن عليّ بن الحسين بن عليّبن أبي طالب، فسموه الصادق، فإنَّ الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدعي الامامة اجتراءً على الله، وكذباً عليه، فهو عند الله (**جعفر الكذاب**) المفتري على الله، المدعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه والحاسد لأخيه، ذلك الذي يكشف سر الله عند غيبة ولي الله».

ثم بكى عليبن الحسين بكاءاً شديداً، ثم قال:

كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليِّ الله، والمغيب في حفظ الله، والتوكيل بحرم أبيه جهلًا منه بولادته، وحرصاً على قتله إن ظفر به، طمعاً في ميراث أبيه حتى يأخذ بغير حقه.

قال أبو خالد: فقلت له: يا ابن رسول الله وإنَّ ذلك لكائن؟

فقال: إي وربِّي إنه المكتوب عندنا في الصحيفة: التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله«ص».

قال أبو خالد: فقلت: يا ابن رسول الله ثم يكون ماذا؟

قال: ثم تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده يا أبا خالد! إنّ أهل زمان غيبته القائلين بامامته والمنتظرين لظهوره، أفضل أهل كل زمان، لأنَّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف، اولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً. وقال«ع»: إنتظار الفرج من أعظم الفرج.

وبالإسناد المتقدم ذكره عن عليّ بن الحسين «ع» في تفسير قوله تعالى : **﴿ولكم في القصاص حياة﴾** الآية ولكم يا آمة محمد في القصاص حياة لأنَّ من همَّ بالقتل فعرف أنه يقتص منه فكف لذلك عن القتل ، كان حياة للذي همَّ بقتله ، وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل ، وحياة لغيرهما من الناس ، إذا علموا أنَّ القصاص واجب لا يجسرون على القتل مخافة القصاص ، يا اولي الألباب : اولي العقول لعلكم تتقون .

ثم قال «ع» : عباد الله هذا قصاص قتلكم لمن تقتلونه في الدنيا ، وتفنون روحه . أفلا أُنبئكم بأعظم من هذا القتل ، وما يوحيه الله على قاتله مما هو أعظم من هذا القصاص ؟ قالوا : بلى يا ابن رسول الله .

قال : أعظم من هذا القتل أن يقتله قتلا لا يجبر ولا يحيا بعده أبداً . قالوا : ما هو؟

قال : أن يضلّه عن نبوة محمد ، وعن ولاية عليٍّ بن أبي طالب ، ويسلك به غير سبيل الله ، ويغيره باتباع طريق أعداء عليّ والقول بامامتهم ، ودفع عليّ عن حقه وجحد فضله ، وأن لا يبالي باعطائه واجب تعظيمه ، فهذا هو القتل الذي هو تخليد المقتول في نار جهنم خالداً مخلداً أبداً ، فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود في نار جهنم .

وقال أبو محمد الحسن العسكري صلوات الله عليه : إنَّ رجلاً جاءَ إلى عليِّ بن الحسين برجل يزعم أنه قاتل أبيه ، فاعترف فأوجب عليه القصاص ، وسأله أن يعفو عنه ليعظم الله ثوابه ، فكأن نفسه لم تطب بذلك فقال عليّ بن الحسين ـ للمدعي الدم الذي هو الولي المستحق للقصاص ـ : إن كنت تذكر لهذا الرجل عليك فضلا فهب له هذه الجناية ، واغفر له هذا الذنب .

قال : يا ابن رسول الله له عليَّ حق ، ولكن لم يبلغ به أن أعفو له عن قتل والدي . قال : فتريد ماذا؟

قال : اريد القود ، فان أراد لحقه ، عليَّ أن اصالحه على الدية صالحته وعفوت عنه .

قال : عليّ بن الحسين «ع» فما حقه عليك؟

قال : يا ابن رسول الله لقنني توحيد الله ، ونبوة رسول الله «ص» ، وإمامة عليٍّ والأئمة عليهم السلام .

فقال عليّ بن الحسين : فهذا لا يفي بدم أبيك ؟ بلى والله هذا يفي بدماء أهل الأرض كلهم من الأولين والآخرين سوى الأنبياء والأئمة ، إن قتلوا فانه لا يفي بدمائهم شيء . تمام الخبر .

وبالاسناد المقدم ذكره انَّ محمد بن عليّ الباقر «ع» قال : دخل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري[1]

---

(١) قال الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب ج ٢ ص ٢٧٠ «الزهري بضم الزاي وسكون الهاء أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الحرث بن شهاب بن زهرة بن كلاب الفقيه المدني التابعي المعروف وقد ذكره علماء الجمهور وأثنوا عليه ثناءً=

على عليِّبن الحسين«ع»، وهو كئيب حزين فقال له زين العابدين«ع»: ما بالك مغموماً؟

قال: يا ابن رسول الله غموم وهموم تتوالى عليَّ لما امتحنت به من جهة حساد نعمي، والطامعين فيّ، وممن أرجو وممن احسنت إليه فيخلف ظني.

فقال له عليّبن الحسين«ع»: إحفظ عليك لسانك تملك به إخوانك.

قال الزهري: يا ابن رسول الله إنّي احسن إليهم بما يبدر من كلامي.

قال عليّ بن الحسين«ع»: هيهات هيهات! إياك أن تعجب من نفسك بذلك وإياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره. وإن كان عندك اعتذاره، فليس كل من تسمعه شراً يمكنك أن توسعه عذراً.

ثم قال: يا زهري من لم يكن عقله من أكمل ما فيه، كان هلاكه من أيسر ما فيه.

ثم قال: يا زهري أما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك: فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك، وتجعل تربك منهم بمنزلة أخيك. فأي هؤلاء تحب أن تظلم، وأي هؤلاء تحب أن تدعو عليه، وأي هؤلاء تحب أن تهتك ستره، وإن عرض لك إبليس لعنه الله بأنَّ لك فضلاً على أحد من أهل القبلة، فانظر إن كان أكبر منك فقل: قد سبقني بالايمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإن كان أصغر منك فقل: قد سبقته بالمعاصي والذنوب فهو خير مني وإن كان تربك فقل: أنا على يقين من ذنبي وفي شك من أمره فمالي أدع يقيني لشكي، وإن رأيت المسلمين يعظمونك ويوقرونك ويبجلونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإن رأيت منهم جفاءً وانقباضاً فقل: هذا لذنب أحدثته، فانك إذا فعلت ذلك سهل الله عليك عيشك، وكثر أصدقاءَك، وفرحت بما يكون من برهم ولم تأسف على ما يكون من جفائهم.

واعلم أنَّ أكرم الناس على الناس من كان خيره عليهم فايضاً، وكان عنهم مستغنياً متعففاً، وأكرم الناس بعده عليهم من كان مستعففاً، وإن كان إليهم محتاجاً فانما أهل الدنيا يتعقبون الأموال، فمن لم يزاحمهم فيما يتبقونه كرم عليهم، ومن لم يزاحمهم فيها ومكنهم من بعضها كان أعز وأكرم.

وبالاسناد المقدم ذكره عن الرضا«ع» أنه قال: قال عليّبن الحسين: إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقه، وتخاضع في حركاته فرويداً لا يغرنَّكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانته، وجبن قلبه، فنصب الدين فخّاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره فان تمكن من حرام اقتحمه، وإذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام، فرويداً لا يغرنّكم! فإنَّ شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة، فيأتي منها محرماً، فاذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويداً لا يغرنَّكم، حتى تنظروا ما عقدة عقله، فما أكثر من ترك

=بليغاً، قيل: إنه قد حفظ علم العلماء السبعة، ولقي عشرة من الصحابة، روى عنه جماعة من أئمة علم الحديث، وأما علماؤ نا فقد اختلفت كلماتهم في مدحه وقدحه وقد ذكرنا ما يتعلق به في سفينة البحار.

ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسد بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فاذا وجدتم عقله متيناً، فرويداً لا يغركم! تنظروا أمع هواه يكون على عقله، أم يكون مع عقله على هواه؟ وكيف محبته للرياسات الباطلة وزهده فيها؟ فان في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا، ويرى أنَّ لذة الرياسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة. فيترك ذلك أجمع طلباً للرياسة، حتى إذا قيل له: اتق الله، أخذته العزة بالإثم، فحسبه جهنم ولبئس المهاد، فهو يخبط خبط عشواء، يوقده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله، لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له الرياسة التي قد شقي من أجلها، فاولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً مهيناً.

ولكن الرجل كل الرجل، نعم الرجل، هو: الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضى الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد من العز في الباطل، ويعلم أنَّ قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفذ، وأنَّ كثير ما يلحقه من سرائها إن اتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل! فيه فتمسكوا وبسنته فاقتدوا، وإلى ربكم فتوسلوا! فانه لا ترد له دعوة ولا يخيب له طلبة.

* * *

إحتجاج أبي جعفر محمد بن عليٍّ الباقر عليهما السلام في شيء مما يتعلق بالاصول والفروع.

عن محّمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر«ع» في قوله تعالى: **﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى﴾** قال: من لم يدله خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، ودوران الفلك بالشمس والقمر، والآيات العجيبات! على أنَّ وراء ذلك أمر هو أعظم منه، فهو في الآخرة أعمى، قال: فهو عالم يعاين أعمى وأضل سبيلا.

سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر«ع» قال: أخبرني عن الله عز وجل متى كان؟

قال: متى لم يكن حتى اخبرك متى كان؟؟! سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

عن عبد الله بن سنان عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر«ع» وقد دخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟

قال: الله.

قال: رأيته؟

قال: بلى. لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقايق الايمان، لا يعرف

بالقياس، ولا يدرك بالحواس، موصوف بالآيات، معروف بالدلالات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو.

قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وروى محّمد بن مسلم عن أبي جعفر«ع» **قال**- في صفة القديم-: إنَّه واحد صمد، أحدي المعنى، ليس بمعان كثيرة مختلفة.

قال: قلت: جعلت فداك إنه يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر، ويبصر بغير الذي يسمع.

قال: فقال: كذبوا وألحدوا، وشبهوا الله تعالى إنه سميع بصير، يسمع بما به يبصر،ويبصر بما به يسمع.

قال: فقلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقله.

قال: فقال: تعالى الله إنَّما يعقل من كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك.

وروى بعض أصحابنا أنَّ عمرو بن عبيد دخل على الباقر«ع» فقال له: جعلت فداك! قول الله: **﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾** ما ذلك الغضب؟

قال: العذاب يا عمرو! وإنما يغضب المخلوق الذي يأتيه الشيء فيستفزه، ويغيره عن الحال التي هو بها إلى غيرها، فمن زعم أنَّ الله يغيره الغضب والرضا، ويزول عن هذا، فقد وصفه بصفة المخلوق.

وعن أبي الجارود[١] قال: قال أبو جعفر«ع»: إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله ثم قال- في بعض حديثه-: إنَّ النبي«ص» نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال.

فقيل له: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله عز وجل؟

قال: قوله: **﴿لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾** وقال: **﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم﴾**.

---

(١) أبو الجارود: في ج١ ص ٣١ من الكنى والألقاب للشيخ القمي «زياد بن المنذر قال شيخنا صاحب المستدرك في ترجمته في الخاتمة: وأما أبو الجارود فالكلام فيه طويل، والذي يقتضيه النظر بعد التأمل فيما ورد فيها قالوا فيه • أنه كان ثقة في النقل مقبول الرواية، معتمداً في الحديث، إمامياً في أوله وزيدياً في آخره، ثم أطال الكلام في حاله إلى أن قال: وفي تقريب ابن حجر: «زياد بن المنذر أبو الجارود الأعمى الكوفي رافضي كذبه يحيى بن معين من السابعة، مات بعد الخمسين أي: بعد المائة و(قال:) وعن دعوات الراوندي عن أبي الجارود قال: قلت لأبي جعفر«ع»: إني امرؤ ضرير البصر كبير السن، والشقة فيما بيني وبينكم بعيدة، وأنا اريد أمراً أدين الله به، وأحتج به وأتمسك به، وابلغه من خلفت، قال: فأعجب بقولي فاستوى جالساً فقال: كيف قلت يا أبا الجارود؟ رد علي، قال: فرددت عليه، فقال: نعم يا أبا الجارود، شهادة أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله«ص» وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، وولاية ولينا، وعداوة عدونا والتسليم لأمرنا، وانتظار قائمنا، والورع، والاجتهاد.

وروى حمران بن أعين[١] قال: سألت أبا جعفر «ع» عن قول الله عز وجل «وروح منه». قال: هي مخلوقة خلقها الله بحكمته في آدم وفي عيسى «ع».

محّمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل: ﴿**ونفخت فيه من روحي**﴾ كيف هذا النفخ؟.

فقال: إنَّ الروح متحرك كالريح، إنما سمي روحاً لأنه اشتق اسمه من الريح وإنما أخرجه عن لفظة الريح لأنَّ الروح متجانس للريح، وإنما أضافه إلى نفسه لأنه اصطفاه على ساير الأرواح، كما اصطفى بيتاً من البيوت. وقال: «بيتي» وقال ـ لرسول من الرسل ـ: «خليلي» وأشباه ذلك مخلوق مصنوع مربوب مدبر.

وعن محّمد بن مسلم أيضاً قال: سألت أبا جعفر «ع» عما روي: «إنَّ الله خلق آدم على صورته»؟

فقال: هي صورة محدثة مخلوقة، اصطفاها الله واختارها، على أساس الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح، فقال «بيتي» وقال: «ونفخت فيه من روحي».

وعن عبد الرحمن بن عبد الزهري قال: حج هشام بن عبد الملك، فدخل المسجد الحرام متكياً على يد سالم مولاه، ومحّمد بن عليّ بن الحسين جالس فقال له سالم:

يا امير المؤمنين هذا محّمد بن عليّ بن الحسين «ع».

فقال له هشام: المفتون به أهل العراق؟ قال: نعم.

قال: إذهب إليه فقل له: يقول لك امير المؤمنين ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟

فقال أبو جعفر «ع»: يحشر الناس على مثل قرصة البر النقي فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب.

---

(١) قال السيد بحر العلوم في رجاله ج١ ص ٢٢٢: «آل أعين أكبر بيت في الكوفة من شيعة أهل البيت عليهم السلام، وأعظمهم شأناً، وأكثرهم رجالا وأعياناً وأطولهم مدة وزماناً، أدرك أوائلهم السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، وبقي أواخرهم إلى أوائل الغيبة الكبرى، وكان فيهم العلماء والفقهاء، والقراء والادباء، ورواة الحديث، ثم ذكر أنّ من مشاهيرهم حمران إلى أن قال: قال أبو غالب رحمه الله: «إنا أهل البيت أكرمنا الله جل وعز بدينه، واختصنا بصحبة أوليائه وحججه، من أول ما نشأنا إلى وقت الفتنة التي امتحنت بها الشيعة، فلقي عمنا (حمران) سيدنا وسيد العابدين عليّ بن الحسين «ع».

و(قال): وكان حمران من أكابر مشايخ الشيعة المفضلين الذين لا يشك فيهم.

وكان أحد حملة القرآن، ومن يعد ويذكر اسمه في كتب القراء.

وروي أنه قرأ على أبي جعفر محمد بن عليّ «ع» وكان ـ مع ذلك ـ عالماً بالنحو واللغة، ولقي (حمران ـ وجدانا: زرارة، وبكير) أبا جعفر محمد بن عليّ وأبا عبد الله جعفر بن محمد عليهم السلام الخ... وقال السيد أيضاً ص ٢٥٥ وقد جاء في مدح حمران بن اعين وجلالته وعظم محله، اخبار كادت تبلغ التواتر.

قال: فرأى هشام أنه قد ظفر به فقال: الله أكبر إذهب إليه فقل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ!

فقال له أبو جعفر: هم في النار أشغل، ولم يشغلوا عن أن قالوا: **﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾**. فسكت هشام لا يرجع كلاماً.

وروي أنَّ نافع بن الأزرق جاءَ إلى محّمد بن عليِّ بن الحسين، فجلس بين يديه يسأله عن مسائل في الحلال والحرام. فقال له أبو جعفر - في عرض كلامه - قل لهذه المارقة، بما استحللتم فراق أمير المؤمنين«ع»، وقد سفكتم دمائكم بين يديه، وفي طاعته، والقربة إلى الله تعالى بنصرته، فسيقولون لك: إنّه حكم في دين الله، فقل لهم:

قد حكم الله تعالى في شريعة نبيه رجلين من خلقه، قال جل اسمه: **﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما﴾** وحكم رسول الله«ص» سعد بن معاذ في بني قريظة، فحكم بما أمضاه الله أو ما علمتم أنَّ امير المؤمنين إنما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدياه واشترط رد ما خالف القرآن من أحكام الرجال؟ وقال حين قالوا له: حكمت على نفسك من حكم عليك.

فقال: ما حكمت مخلوقاً إنما حكمت كتاب الله فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن؟ واشترط رد ما خالفه، ولولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان.

فقال نافع بن الأزرق: هذا والله ما طرقٍ بسمعي قط، ولا خطر مني ببال هو الحق إنشاء الله تعالى.

وعن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر«ع»: يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين«ع»؟ قلت: ينكرون عليهما أنهما إبنا رسول الله.

قال: فبأي شيء احتججتم عليهم؟

قال: قلت: بقول الله في عيسى«ع»: **﴿ومن ذريته داود - إلى قوله - وكل من الصالحين﴾** فجعل عيسى من ذرية إبراهيم، واحتججنا عليهم بقوله تعالى: **﴿قل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم﴾**.

ثم قال: فأي شيء قالوا؟

قال: قلت: قالوا: قد يكون ولد البنت من الولد ولا يكون من الصلب.

قال: فقال أبو جعفر: والله يا أبا الجارود لاعطينكم من كتاب الله آية يسمى لصلب رسول الله«ص» لا يردها الا كافر:

قال: قلت: جعلت فداك وأين؟

قال: قال: حيث قال: ﴿**حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وأخواتكم -إلى قوله- وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم**﴾ فسلهم يا أبا الجارود وهل يحل لرسول الله نكاح حليلتيهما؟ فان قالوا: نعم. فكذبوا والله، وإن قالوا: لا. فهما والله إبنا رسول الله لصلبه، وما حرمن عليه الا للصلب.

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي الربيع قال: حججت مع أبي جعفر«ع» في السنة التي حج فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عمربن الخطاب فنظر نافع إلى أبي جعفر«ع» في ركن البيت وقد اجتمع عليه الخلق فقال: يا امير المؤمنين من هذا الذي قد تكافأ عليه الناس؟

فقال: هذا محمدبن عليّبن الحسين«ع».

قال: لآتينه ولأسألنه عن مسائل لا يجيبني فيها الا نبي أو وصيّ نبي.

قال: فاذهب إليه لعلك تخجله، فجاءَ نافع حتى اتكأ على الناس وأشرف على أبي جعفر فقال:

يا محمد بن عليّ إنّي قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد عرفت حلالها وحرامها، وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيبني فيها الا نبي أو وصي نبي أو ابن نبي، فرفع أبو جعفر«ع» رأسه فقال: سل عما بدالك!

قال: أخبرني كم بين عيسى ومحمد من سنة؟ **قال**: اجيبك بقولك أم بقولي؟

قال: أجبني بالقولين! قال: أما بقولي فخمسمائة سنة، واما بقولك فستمائة سنة.

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**﴾ من الذي سأل محمد وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة؟ قال: فتلا أبو جعفر«ع» هذه الآية: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا**﴾ كان من الآيات التي أراها محمداً حيث أسرى به إلى بيت المقدس، أنه حشر الله الأولين والآخرين، من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل«ع» فأذن شفعاً وأقام شفعاً وقال في أذانه: ﴿**حي على خير العمل**﴾ ثم تقدم محمد«ص» فصلّى بالقوم، فلما انصرف قال الله عز وجل: ﴿**واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**﴾.

فقال رسول الله: على من تشهدون؟ وما كنتم تعبدون؟

قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، أخذت على ذلك عهودنا ومواثيقنا. فقال: صدقت يا أبا جعفر!

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات**﴾ أي أرض تبدل؟

فقال أبو جعفر«ع»: خبزة بيضاء يأكلونها حتى يفرغ الله من حساب الخلايق. **فقال**: إنهم عن الأكل لمشغولون.

فقال أبو جعفر«ع»: أهم حينئذ أشغل أم هم في النار؟ **قال** نافع: بل هم في النار.

قال: فقد قال الله عز وجل: **﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾** ما أشغلهم إذا دعوا بالطعام فاطعموا الزقوم، ودعوا بالشراب فسقوا من الجحيم.

فقال: صدقت يا ابن رسول الله! وبقيت مسألة واحدة. قال: وما هي؟

قال: فأخبرني متى كان الله؟ قال: ويلك أخبرني متى لم يكن حتى اخبرك متى كان؟! سبحان من لم يزل ولا يزال، فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ثم أتى هشام بن عبد الملك فقال: ما صنعت؟ قال دعني من كلامك والله هو أعلم الناس حقا وهو ابن رسول الله حقا.

وعن أبان بن تغلب[1] قال: دخل طاووس اليماني إلى الطواف ومعه صاحب له، فاذا هو بأبي جعفر يطوف أمامه وهو شاب حدث، فقال طاووس لصاحبه: «إنَّ هذا الفتى لعالم» فلما فرغ من طوافه صلّى ركعتين، ثم جلس وأتاه الناس فقال طاووس لصاحبه: نذهب إلى أبي جعفر«ع» ونسأله عن مسألة لا أدري عنده فيها شيء أم لا، فأتياه فسلما عليه ثم قال له طاووس:

يا أبا جعفر هل تدري أي يوم مات ثلث الناس؟

فقال: يا أبا عبد الرحمن لم يمت ثلث الناس قط، إنما أردت ربع الناس. قال: وكيف ذلك؟

قال: كان آدم وحواء، وقابيل وهابيل، فقتل قابيل هابيل، فذلك ربع الناس. قال: صدقت!

قال أبو جعفر«ع»: هل تدري ما صنع بقابيل؟ قال: لا.

قال: علق بالشمس ينضح بالماء الحار إلى أن تقوم الساعة.

وروي أنَّ عمرو بن عبيد، وفد على محّمد بن عليٍّ الباقر«ع» لامتحانه بالسؤال عنه فقال له:

جعلت فداك ما معنى قوله تعالى: **﴿أو لم ير الذين كفروا أنَّ السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾** ما هذا الرتق والفتق؟

فقال أبو جعفر«ع»: كانت السماء رتقاً لا تنزل القطر، وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات، ففتق الله السماء بالقطر، وفتق الأرض بالنبات، فانقطع عمرو ولم يجد اعتراضاً، ومضى وعاد إليه فقال:

خبرني جعلت فداك عن قوله تعالى: **﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾** ما غضب الله؟

---

(١) في رجال النجاشي ص ٧: «أبان بن تغلب بن رياح أبو سعيد البكري الجريري مولى بني جرير بن عبادة بن صبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكاشة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل، عظيم المنزلة في أصحابنا، لقي عليّ بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السلام وروى عنهم، وكانت له عندهم منزلة وقدم، وذكره البلاذري قال: روى أبان عن عطية العوفي قال له أبو جعفر: اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فاني احب أن يرى في شيعتي مثلك وقال أبو عبدالله عليه السلام لما أتاه نعيه: «أمَ والله لقد أوجع قلبي موت أبان» وكان قارياً من وجوه القراء، فقيهاً لغوياً، سمع من العرب وحكى عنهم.

فقال له أبو جعفر«ع»: غضب الله تعالى عقابه يا عمرو، ومن ظن أنّ الله يغيره شيء فقد هلك.

وعن أبي حمزة الثمالي قال: أتى الحسن البصري أبا جعفر«ع» فقال؛

جئتك لأسألك عن أشياء من كتاب الله.

فقال أبو جعفر: ألست فقيه أهل البصرة؟ قال: قد يقال ذلك.

فقال له أبو جعفر«ع»: هل بالبصرة أحد تأخذ عنه؟ قال: لا.

قال: فجميع أهل البصرة يأخذون عنك؟ قال: نعم.

فقال أبو جعفر: سبحان الله لقد تقلدت عظيماً من الأمر، بلغني عنك أمر فما أدري أكذاك أنت، أم يكذب عليك؟ قال: ما هو؟

قال: زعموا أنك تقول: إنّ الله خلق العباد ففوض إليهم امورهم. قال: فسكت الحسن.

فقال: أرأيت من قال الله له في كتابه: إنّك آمن، هل عليه خوف بعد هذا القول منه؟. فقال الحسن: لا.

فقال أبو جعفر«ع»: إنّي أعرض عليك آية وانهي إليك خطاباً، ولا أحسبك إلا وقد فسرته على غير وجهه، فان كنت فعلت ذلك فقد هلكت وأهلكت.

فقال له: ما هو؟

قال: أرأيت حيث يقول: ﴿**وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين**﴾ يا حسن بلغني أنك أفتيت الناس فقلت: هي مكة. فقال أبو جعفر«ع» فهل يقطع على من حج مكة وهل يخاف أهل مكة، وهل تذهب أموالهم؟ قال: بلى.

قال: فمتى يكونون آمنين؟ بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن. فنحن القرى التي بارك الله فيها، وذلك قول الله عز وجل، فمن أقر بفضلنا حيث بينهم وبين شيعتهم القرى التي باركنا فيها، قرى ظاهرة، والقرة الظاهرة: الرسل، والنقلة عنا إلى شيعتنا، وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا، وقوله تعالى: ﴿وقدرنا فيها السير﴾ فالسير مثل للعلم، سير به ليالي وأياماً، مثل لما يسير من العلم في الليالي والأيّام عنا إليهم، في الحلال والحرام، والفرائض والأحكام، آمنين فيها إذا أخذوا منه، آمنين من الشك والضلال، والنقلة من الحرام إلى الحلال، لانهم أخذوا العلم ممن وجب لهم أخذهم إياه عنهم، بالمعرفة، لأنهم أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا، ذرية مصطفاة بعضها من بعض، فلم ينته الاصطفاء إليكم، بل إلينا انتهى، ونحن تلك الذرية المصطفاة، لا أنت ولا أشباهك يا حسن، فلو قلت لك- حين ادعيت ما ليس لك، وليس إليك-: يا جاهل أهل البصرة! لم أقل فيك إلا ما علمته منك، وظهر لي عنك، وإياك أن تقول بالتفويض، فان الله عز وجل لم يفوض الأمر إلى خلقه، وهناً منه

وضعفاً، ولا اجبرهم على معاصيه ظلماً.

والخبر طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

وروي أنَّ سالماً دخل على أبي جعفر«ع» فقال:

جئت اكلمك في أمر هذا الرجل.

قال: أيما رجل؟ قال: عليّ بن أبي طالب«ع».

قال: في أي اموره؟ قال: في إحداثه.

قال أبو جعفر: انظر ما استقر عندك مما جاءَت به الرواة عن آبائهم.

قال: ثم نسبهم، ثم قال: يا سالم ابلغك أنَّ رسول الله بعث سعد بن عبادة براية الأنصار إلى خيبر، فرجع منهزماً، ثم بعث عمر بن الخطاب براية المهاجرين والأنصار، فأتى سعد جريحاً وجاء عمر يجبن أصحابه ويجبنونه. فقال رسول الله«ص»: «هكذا يفعل المهاجرون والأنصار» حتى قالها ثلاثاً ثم قال: «لاعطينَّ الراية غداً رجلا كرار ليس بفرار، يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله».

قال: نعم. وقال القوم جميعاً أيضاً.

فقال أبو جعفر: يا سالم إن قلت: إنَّ الله عز وجل أحبه وهو لا يعلم ما هو صانع فقد كفرت، وإن قلت إنَّ: الله عز وجل أحبه وهو يعلم ما هو صانع، فأي حدث ترى له.

فقال أعد عليّ!

فأعاد«ع» عليه، فقال سالم: عبدت الله على ضلالة سبعين سنة.

وعن ابي بصير قال: كان مولانا ابو جعفر محمد بن عليّ الباقر«ع» جالسا في الحرم وحوله عصابة من اوليائه، اذ اقبل طاووس اليماني في جماعة من اصحابه ثم قال لأبي جعفر«ع»:

اتأذن لي في السؤال؟ فقال: أذنا لك فسل! قال: أخبرني متى هلك ثلث الناس؟

قال: وهمت يا شيخ! أردت أن تقول: «متى هلك ربع الناس»؟ وذلك يوم قتل قابيل هابيل، كانوا أربعة: آدم وحواء وقابيل وهابيل فهلك ربعهم.

فقال: أصبت ووهمت أنا، فأيهما كان أباً للناس القاتل أو المقتول؟ قال: لا واحد منهما، بل أبوهم شيث بن آدم.

قال: فلم سمي آدم آدم؟ قال: لأنه رفعت طينته من أديم الأرض السفلى.

قال: ولم سميت حواء حواء؟ قال: لأنها خلقت من ضلع حي، يعني ضلع آدم.

قال: فلم سمي إبليس إبليس؟ قال؛ لأنه أبلس من رحمة الله عز وجل فلا يرجوها.

قال: فلم سمي الجن جنا؟ قال: لأنهم استجنوا فلم يروا.

قال: فأخبرني عن كذبة كذبت، من صاحبها؟ قال: إبليس حين قال: «**أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**».

قال: فأخبرني عن قوم شهدوا شهادة الحق وكانوا كاذبين؟

قال: المنافقون حين قالوا لرسول الله «ص»: «**نشهد أنك لرسول الله**» فأنزل الله عز وجل: ﴿**إذا جائك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون**﴾.

قال: فأخبرني عن طائر طار مرة ولم يطر قبلها ولا بعدها، ذكره الله عز وجل في القرآن ما هو؟

فقال: طور سيناء، أطاره الله عز وجل على بني إسرائيل حين أظلهم بجناح منه، فيه ألوان العذاب، حتى قبلوا التوراة، وذلك قوله عز وجل: ﴿**وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم**﴾ الآية.

قال: فأخبرني عن رسول بعثه الله تعالى ليس من الجن، ولا من الانس، ولا من الملائكة، ذكره الله تعالى في كتابه؟

قال: الغراب، حين بعثه الله عز وجل ليري قابيل كيف يواري سوأة أخيه هابيل حين قتله. قال الله عز وجل: ﴿**فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه**﴾.

قال: فأخبرني عمن أنذر قومه ليس من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة، ذكره الله عز وجل في كتابه؟

قال: النملة حين قالت: ﴿**يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**﴾.

قال فأخبرني عمن كذب عليه، ليس من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة، ذكره الله عز وجل في كتابه؟ قال: الذئب الذي كذب عليه أخوة يوسف.

قال: فأخبرني عن شيء قليله حلال وكثيره حرام، ذكره الله عز وجل في كتابه؟

قال: نهر طالوت، قال الله عز وجل: ﴿**الا من اغترف غرفة بيده**﴾.

قال: فأخبرني عن صلاة فريضة تصلى بغير وضوء، وعن صوم لا يحجز عن أكل ولا شرب؟

قال: أما الصلاة بغير وضوء: فالصلاة على النبي وآله «ص»، وأما الصوم: فقول الله عز وجل: ﴿**إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلّم اليوم إنسياً**﴾.

قال: فأخبرني عن شيء يزيد وينقص، وعن شيء يزيد ولا ينقص، وعن شيء ينقص ولا يزيد؟

فقال الباقر«ع»: أما الشيء الذي يزيد وينقص فهو: القمر والشيء الذي يزيد ولا ينقص فهو: البحر، والشيء الذي ينقص ولا يزيد هو: العمر.

وقد تكرر إيراد أول هذا الخبر لما في آخره من الفوائد.

وبالاسناد المقدم ذكره عن أبي محمّد الحسن العسكري«ع» أنه قال: كان عليّبن الحسين زين العابدين جالساً في مجلسه فقال يوماً في مجلسه إنَّ رسول الله«ص» لما امر بالمسير إلى تبوك، أمر بأن يخلف علياً بالمدينة. فقال عليّ«ع»: يا رسول الله ما كنت احب أن أتخلف عنك في شيء من امورك، وأن أغيب عن مشاهدتك والنظر إلى هديك وسمتك.

فقال رسول الله: يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، تقيم يا عليّ وإنَّ لك في مقامك من الأجر مثل الذي يكون لك لو خرجت مع رسول الله، ولك اجور كلّ من خرج مع رسول الله«ص» موقناً طائعاً، وإنَّ لك على الله يا عليّ لمحبتك أن تشاهد من محّمد سمته في ساير أحواله، بأن يأمر جبرئيل في جميع مسيرنا هذا أن يرفع الأرض التي يسير عليها، والأرض التي تكون أنت عليها، ويقوي بصرك حتى تشاهد محّمداً وأصحابه في ساير أحوالك وأحوالهم، فلا يفوتك الانس من رؤيته ورؤية أصحابه ويغنيك ذلك عن المكاتبة والمراسلة.

فقام رجل من مجلس زين العابدين لما ذكر هذا وقال له: يا ابن رسول الله«ص» كيف يكون، وهذا للأنبياء لا لغيرهم؟

فقال زين العابدين«ع»: هذا هو معجزة لمحمد رسول الله لا لغيره، لأنَّ الله إنما رفعه بدعاء محّمد، وزاد في نور بصره أيضاً بدعاء محّمد، حتى شاهد ما شاهد وأدرك ما أدرك، ثم قال له الباقر«ع»: يا عبدالله ما أكثر ظلم كثير من هذه الامة لعليّبن أبي طالب«ع»، وأقل أنصارهم، أم يمنعون عليّاً ما يعطونه ساير الصحابة، وعليّ أفضلهم، فكيف يمنع منزلة يعطونها غيره، قيل: وكيف ذاك يا ابن رسول‌الله؟

قال: لأنكم تتولون محبي أبي بكربن أبي قحافة، وتتبرؤ ون من أعدائه كائناً من كان، وكذلك تتولون عمربن الخطاب، وتتبرؤ ون من أعدائه كائناً من كان، وتتولون عثمانبن عفان وتتبرؤ ون من أعدائه كائناً من كان، حتى إذا صار إلى عليّبن أبي‌طالب«ع»، قالوا: نتولى محبيه، ولا نتبرأ من أعدائه بل نحبهم، فكيف يجوز هذا لهم، ورسول الله«ص» يقول في علي: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» أفترونه لا يعادي من عاداه؟! ولا يخذل من خذله؟! ليس هذا بانصاف.

ثم أُخرى: إنهم إذا ذكر لهم ما أخص الله به علياً بدعاء رسول الله«ص»، وكرامته على ربه تعالى جحدوه، وهم يقبلون ما يذكر لهم في غيره من الصحابة، فما الذي منع علياً ما جعله لسائر اصحاب

رسول‌الله؟ هذا عمربن الخطاب. إذا قيل لهم: إنه كان على المنبر بالمدينة يخطب إذ نادى في خلال خطبته: يا سارية الجبل وعجب القوم وقالوا ما هذا الكلام الذي في هذه الخطبة، فلما قضى الخطبة والصلاة قالوا:

ما قولك في خطبتك يا سارية الجبل؟

فقال: اعلموا أني وأنا أخطب إذ رميت ببصري نحو الناحية التي خرج فيها إخوانكم إلى غزوة الكافرين بنهاوند، وعليهم سعدبن أبي وقاص، ففتح الله لي الأستار والحجب، وقوى بصري حتى رأيتهم وقد اصطفوا بين يدي جبل هناك، وقد جاء بعض الكفار ليدور خلف سارية، وساير من معه من المسلمين، فيحيطوا بهم فيقتلوهم، فقلت يا سارية الجبل، ليلتجىء اليه، فيمنعهم ذلك من ان يحيطوا به، ثم يقاتلوا، ومنح الله اخوانكم المؤمنين اكناف الكافرين، وفتح الله عليهم بلادهم، فاحفظوا هذا الوقت، فسيرد عليكم الخبر بذلك، وكان بين المدينة ونهاوند مسيرة اكثر من خمسين يوماً.

قال الباقر«ع»: فاذا كان مثل هذا لعمر، فكيف لا يكون مثل هذا لعليّ بن أبي طالب«ع»؟! ولكنهم قوم لا ينصفون بل يكابرون.

وعن عبدالله‌بن سليمان[1] قال: كنت عند أبي جعفر«ع» فقال له رجل من أهل البصرة ـ يقال له «عثمان الأعمى»ـ:

إنَّ الحسن البصري يزعم ان الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم من يدخل النار.

فقال أبو جعفر«ع»: فهلك إذاً مؤمن آل فرعون، والله مدحه بذلك، وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله عز وجل رسوله نوحاً، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، فوالله ما يوجد العلم الا ها هنا، وكان«ع» يقول: محنة الناس علينا عظيمة، ان دعوناهم لم يجيبونا، وان تركناهم لم يهتدوا بغيرنا.

* * *

إحتجاج أبي عبدالله الصادق«ع» في أنواع شتى من العلوم الدينية على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

روي عن هشام‌بن الحكم[2] أنه قال: من سؤال الزنديق الذي أتى أبا عبدالله«ع» أن قال:

---

(١) عبد الله‌بن سليمان النخعي كوفي عده الشيخ في رجاله ص ١٦٥ من اصحاب الصادق عليه السلام.

(٢) هشام‌بن الحكم الكندي مولاهم البغدادي، وكان ينزل بني شيبان بالكوفة وكان مولده بالكوفة، ومنشؤه واسط، وتجارته ببغداد ثم انتقل اليها في آخر عمره سنة تسع وتسعين ومائة. وقيل: هذه السنة هي سنة وفاته.

عين الطائفة ووجهها ومتكلمها وناصرها، من ارباب الاصول، وله نوادر حكايات ولطائف مناظرات، ممن أتفق علماؤنا على وثاقته، ورفعة شأنه ومنزلته عند أئمتنا المعصومين عليهم السلام.

وكان ممن فتق الكلام في الامامة، وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقا بصناعة الكلام، حاضر اجواب، وكان ثقة بالروايات، حسن التحقيق بهذا الأمر. =

ما الدليل على صانع العالم؟

فقال أبو عبد الله «ع»: وجود الأفاعيل التي دلت على أنَّ صانعها صنعها ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني، علمت أنَّ له بانياً وإن كنت لم تر الباني، ولم تشاهده.

قال: فما هو؟

قال: هو شيء بخلاف الأشياء، ارجع بقولي شيء الى اثباته، وانه شيء بحقيقته الشيئية، غير انه لا جسم، ولا صورة، ولا يحس، ولا يجس، ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا يغيره الزمان.

قال السائل: فانا لم نجد موهوما الا مخلوقا.

قال ابو عبد الله «ع»: لو كان ذلك كما تقول، لكان التوحيد منا مرتفعاً لأنا لم نكلف ان نعتقد غير موهوم، لكنا نقول: كل موهوم بالحواس مدرك بها تحده الحواس ممثلا، فهو مخلوق، ولا بد من إثبات كون صانع الأشياء خارجا من الجهتين المذمومتين: احداهما النفي اذا كان النفي هو الابطال والعدم. والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بد من اثبات الصانع لوجود المصنوعين، والاضطرار منهم إليه، إنهم مصنوعون، وإن صانعهم غيرهم وليس مثلهم، إن كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا، وتنقلهم من صغر إلى كبر، وسواد إلى بياض وقوة إلى ضعف، وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لثباتها ووجودها.

قال السائل: فأنت قد حددته إذ أثبتّ وجوده!

قال أبو عبدالله «ع»: لم أُحدده ولكني أثبته، إذ لم يكن بين الاثبات والنفي منزلة.

قال السائل: فقوله: «الرحمن على العرش استوى»؟

قال أبو عبدالله «ع»: بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه، من غير أن يكون العرش محلاله، لكنا نقول: هو حامل، وممسك للعرش، ونقول في ذلك ما قال: «وسع كرسيه السماوات والأرض» فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبته، ونفينا ان يكون العرش والكرسي حاوياً له، وأن يكون عز وجل محتاجاً إلى مكان، أو إلى شيء مما خلق، بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟

قال أبو عبد الله: في علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنه عز وجل أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى

= روى عن أبي عبد الله وعن أبي الحسن عليهما السلام وعاش بعد أبي الحسن ولما توفي ترحم عليه الرضا عليه السلام.
روي عن أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر محمد بن عليّ الثاني عليه السلام ما تقول جعلت فداك في هشام بن الحكم؟ فقال عليه السلام: «رحمه الله ما كان أذبه عن هذه الناحية».
راجع سفينة البحار ج ٢ ص ٧١٩، رجال الشيخ ص ٧٢٩، رجال العلامة ص ١٨٧.

السماء نحو العرش، لأنه جعله معدن الرزق، فثبتنا ما ثبته القرآن والأخبار عن الرسول، حين قال: «ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجل» وهذا تجمع عليه فرق الأمة كلها.

ومن سؤ اله أن قال: ألا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد؟

قال أبو عبد الله: لا يخلو قولك إنَّهما اثنان من أن يكونا: قديمين قويين أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قوياً، والآخر ضعيفاً، فان كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه، ويتفرد بالربوبية، وإن زعمت أنَّ أحدهما قوي والآخر ضعيف، ثبت أنه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني، وإن قلت: أنهما اثنان، لم يخل من أن يكونا متفقين من كلِّ جهة، أو مفترقين من كلِّ جهة، فلما رأينا الخلق منتظمةً، والفلك جارياً، واختلاف اللَّيل والنهار والشمس والقمر، دل ذلك على صحة الأمر والتدبير، وائتلاف الأمر، وأنَّ المدبر واحد.

وعن هشام بن الحكم قال: دخل ابن أبي العوجاء على الصادق عليه السلام فقال له الصادق «ع»:

يا ابن أبي العوجاء! أنت مصنوع أم غير مصنوع؟ **قال**: لست بمصنوع.

فقال له الصادق: فلو كنت مصنوعاً كيف كنت؟ فلم يحر ابن أبي العوجاء جواباً، وقام وخرج.

قال: دخل أبو شاكر الديصاني ـ وهو زنديق ـ على أبي عبد الله وقال: يا جعفر بن مُحَمد دلني على معبودي!

فقال أبو عبد الله «ع»: اجلس! فاذا غلام صغير في كفه بيضة يلعب بها فقال أبو عبد الله: ناولني يا غلام البيضة! فناوله إياها، فقال أبو عبد الله: يا ديصاني هذا حصن مكنون، له جلد غليظ، و تحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مايعة، وفضة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المايعة، فهي على حالها، لا يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها، ولا يدخل إليها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها، لا يدرى للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى له مدبراً؟

قال: فأطرق ملياً ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ مُحَمداً عبده ورسوله، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه، وأنا تائب مما كنت فيه.

وعن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله «ع» عن أسماءِ الله عز ذكره واشتقاقها، فقلت: الله، مما هو مشتق؟

قال: يا هشام، الله: مشتق من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى: فقد كفر وعبد الاثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم: فذاك التوحيد أفهمت يا هشام؟

قال: فقلت: زدني! فقال: إنّ لله تسعة وتسعين إسماً، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلها، ولكن لله معنى يدل عليه فهذه الأسماء كلها غيره، يا هشام الخبز إسم للمأكول، والماء إسم للمشروب،

والثوب إسم للملبوس، والنار إسم للمحروق أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا، والمتخذين مع الله غيره؟ قلت: نعم.

قال: فقال: نفعك الله به، وثبتك!

قال هشام: فوالله ما قهرني أحد في علم التوحيد حتى قمت مقامي هذا.

عن هشام بن الحكم قال: كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبدالله «ع» علم، فخرج إلى المدينة ليناظره فلم يصادفه بها، وقيل: هو بمكة، فخرج إلى مكة ونحن مع أبي عبدالله «ع». فانتهى إليه ـ وهو في الطواف ـ فدنا منه وسلَّم.

فقال له أبو عبدالله: ما اسمك؟ قال: عبد الملك.

قال: فما كنيتك؟ قال: أبو عبد الله.

قال أبو عبد الله «ع»: فمن ذا الملك الذي أنت عبده، أمن ملوك الأرض أم من ملوك السماء؟ وأخبرني عن ابنك أعبد إله السماء، أم عبد إله الأرض؟ فسكت. فقال أبو عبدالله «ع»: قل! فسكت.

فقال: إذا فرغت من الطواف فائتنا، فلما فرغ أبو عبد الله «ع» من الطواف أتاه الزنديق، فقعد بين يديه ونحن مجتمعون عنده.

فقال أبو عبد الله «ع»: أتعلم أنَّ للأرض تحتاً وفوقاً. فقال: نعم.

قال: فدخلت تحتها؟ قال: لا.

قال: فهل تدري ما تحتها؟ قال: لا أدري إلا أنّي أظن أن ليس تحتها شيء.

فقال أبو عبدالله: فالظن عجز ما لم تستيقن، ثم قال له: صعدت إلى السماء؟ قال: لا،

قال أفتدري ما فيها؟ قال: لا.

قال: فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟ قال: لا.

قال: فالعجب لك! لم تبلغ المشرق، ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل تحت الأرض، ولم تصعد إلى السماء، ولم تخبر ما هناك فتعرف ما خلفهنَّ، وأنت جاحد بما فيهنَّ، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟! فقال الزنديق: ما كلّمني بهذا غيرك.

قال أبو عبد الله «ع»: فأنت من ذلك في شك، فلعل هو ولعل ليس هو. قال: ولعل ذلك.

فقال أبو عبد الله «ع»: أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم، ولا حجة للجاهل على العالم، يا أخا أهل مصر، تفهّم عني، أما ترى الشمس والقمر والليّل والنهار يلجان ولا يستبقان، يذهبان ويرجعان، قد اضطرّا ليس لهما مكان إلا مكانهما، فان كانا يقدران على أن يذهبا فِلمَ يرجعان. وإن كانا غير مضطرين فِلمَ لا

يصير اللّيل نهاراً والنهار ليلا؟ اضطرا والله يا أخا أهل مصر.

إنَّ الذي تذهبون إليه وتظنون من الدهر، فان كان هو يذهبهم، فلِمَ يردهم؟ وإن كان يردهم، فلِمَ يذهب بهم؟ أما ترى السماء مرفوعة، والأرض موضوعة، لا تسقط السماء على الأرض، ولا تنحدر الأرض فوق ما تحتها، أمسكها والله خالقها ومدبرها.

قال: فآمن الزنديق على يدي أبي عبدالله فقال: هشام خذه إليك وعلّمه.

عن عيسى بن يونس[1] قال: كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري، فانحرف عن التوحيد، فقيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة؟!

قال: إنَّ صاحبي كان مخلطاً، يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه، فقدم مكة متمرِّداً، وإنكاراً على من يحجه، وكان تكره العلماء مجالسته لخبث لسانه، وفساد ضميره، فأتى أباعبد الله «ع» فجلس إليه في جماعة من نظرائه، فقال:

يا أبا عبد الله! إنَّ المجالس بالأمانات، ولا بد لكلّ من به سعال أن يسعل أفتأذن لي في الكلام؟ فقال: تكلم.

فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله كهرولة البعير إذا نفر، إنَّ من فكر في هذا وقدر، علم أنَّ هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فانك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبو أُسّه ونظامه!

فقال أبوعبدالله: إنَّ من أضله الله وأعمى قلبه، استوخم الحق ولم يستعذبه وصار الشيطان وليه، يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته، جعله محل أنبيائه وقبلة للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحق من أطيع فيما أمر وانتهى عما نهى عنه وزجر، الله المنشىء للأرواح والصور.

فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت الله فأحلت على الغائب.

فقال أبوعبدالله: ويلك!! كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم ويرى اشخاصهم، ويعلم اسرارهم؟!

فقال ابن أبي العوجاء: فهو في كل مكان، أليس اذا كان في السماء كيف يكون في الأرض واذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟

فقال أبو عبدالله «ع»: إنما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان، وخلا منه

---

(١) عيسى بن يونس ذكره الشيخ في رجاله ص ٢٥٨ في أصحاب الصادق «ع» وفي أصحاب الكاظم عليه السلام ص ٣٥٥ فقال: عيسى بن يونس بزرج له كتاب.

مكان، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه، فأما الله العظيم الشأن، الملك الديان، فلا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان.

وروي أنَّ الصادق «ع» قال لابن أبي العوجاء: إن يكن الامر كما تقول ـ وليس كما تقول ـ نجونا ونجوت، وإن يكن الأمر كما نقول ـ وهو كما نقول ـ نجونا وهلكت.

وروي أيضاً: أنَّ ابن أبي العوجاء سأل الصادق «ع» عن حدث العالم فقال: ما وجدت صغيراً ولا كبيراً الا إذا ضم إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديماً ما زال ولا حال، لأنَّ الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الأزل دخول في القدم، ولن يجتمع صفة الحدوث والقدم في شيء واحد.

قال ابن أبي العوجاء: هبك علمك في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت استدللت على حدوثها، فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثها؟

فقال «ع»: إنا نتكلم على هذا العالم الموضوع، فلو رفعناه ووضعنا عالماً آخر كان لا شيء أدل على الحدث، ومن رفعنا إياه ووضعنا غيره، لكن اجيبك من حيث قدرت أن تلزمنا، فنقول: إنَّ الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ضم شيء منه إلى شيء منه كان أكبر، وفي جواز التغير عليه خروجه من القدم، كما أنَّ في تغيره دخوله في الحدث، وليس لك وراءه شيء يا عبد الكريم.

وعن يونس بن ظبيان[1] قال: دخل رجل على أبي عبدالله «ع» قال: أرأيت الله حين عبدته؟

قال: ما كنت أعبد شيئاً لم أره.

قال: فكيف رأيته؟

قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقايق الايمان لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه.

وعن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله «ع» في قوله تعالى: **«لا تدركه الأبصار»** قال: إحاطة الوهم، ألا ترى إلى قوله: **﴿قد جائكم بصائر من ربكم﴾** ليس يعني بصر العيون، **﴿فمن أبصر فلنفسه﴾** وليس يعني من أبصر نفسه **﴿ومن عمي فعليها﴾** ليس يعني عمي العيون، إنما عني: إحاطة الوهم ـ كما يقال: فلان بصير بالشعر وفلان بصير بالفقه وفلان بصير بالدراهم وفلان بصير بالثياب ـ الله أعظم من أن يرى بالعين.

ومن سؤال الزنديق الذي سأل أبا عبدالله «ع» عن مسائل كثيرة أنه قال: كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؟

---

(١) قال العلامة في القسم الثاني من خلاصته: يونس بن ظبيان ـ بالظاء المعجمة المفتوحة والياء المنقطة تحتها نقطة قبل الياء والنون أخيراً قال ابو عمرو الكشي: قال الفضل بن شاذان في بعض كتبه ـ: الكذابون المشهورون: ابو الخطاب ويونس بن ظبيان ويزيد الصايغ ومحمد بن سنان وابو سمينة اشهرهم وقال النجاشي: انه مولى ضعيف جداً لا يلتفت الى ما رواه كل كتبه تخليط قال ابن الغضايري: يونس بن ظبيان غال كذاب وضاع للحديث، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، لا يلتفت الى حديثه فانا لا اعتمد على روايته لقول هؤلاء المشايخ العظام فيه.

قال: رأته القلوب بنور الايمان، وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان، وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف، ثم الرسل وآياتها والكتب ومحكماتها، اقتصرت العلماء على ما رأت من عظمته دون رؤ يته.

قال: أليس هو قادر أن يظهر لهم حتى يروه فيعرفونه فيعبد على يقين؟ قال: ليس للمحال جواب.

قال: فمن أين اثبت أنبياءً ورسلاً؟

قال«ع»: إنا لما أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً ـ لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا أن يلامسوه ولا أن يباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أنَّ له سفراء في خلقه وعباده يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤ هم، وفي تركه فناؤ هم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، وثبت عند ذلك أنَّ له معبرون هم أنبياء الله وصفوته من خلقه، حكماء مؤ دبين بالحكمة، مبعوثين عنه، مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤ يدين من عند الحكيم العليم، بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد: من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص فلا تخلو الأرض من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقال الرسول ووجوب عدالته.

ثم قال«ع»ـ بعد ذلكـ: نحن نزعم أنَّ الأرض لا تخلو من حجة، ولا تكون الحجة الا من عقب الأنبياء، ما بعث الله نبياً قط من غير نسل الأنبياء، وذلك أنّ الله شرع لبني آدم طريقاً منيراً، وأخرج من آدم نسلا طاهراً طيباً، أخرج منه الأنبياء والرسل، هم صفوة الله، وخلص الجوهر، طهروا في الأصلاب، وحفظوا في الأرحام، لم يصبهم سفاح الجاهلية، ولا شاب أنسابهم، لأنَّ الله عز وجل جعلهم في موضع لا يكون أعلى درجة وشرفاً منه، فمن كان خازن علم الله، وأمين غيبه ومستودع سره، وحجته على خلقه، وترجمانه ولسانه، لا يكون الا بهذه الصفة فالحجة لا يكون الا من نسلهم، يقوم النبي«ص» في الخلق بالعلم الذي عنده وورثه عن الرسول، إن جحده الناس سكت، وكان بقاء ما عليه الناس قليلا مما في أيديهم من علم الرسول على اختلافٍ منهم فيه، قد أقاموا بينهم الرأي والقياس وإنهم إن أقروا به وأطاعوه وأخذوا عنه، ظهر العدل. وذهب الاختلاف والتشاجر واستوى الأمر وأبان الدين، وغلب على الشك اليقين، ولا يكاد أن يقر الناس به ولا يطيعوا له أو يحفظوا له بعد فقد الرسول، وما مضى رسول ولا نبي قط لم تختلف امته من بعده، وإنما كان علة اختلافهم على الحجة وتركهم إياه.

قال: فما يصنع بالحجة إذا كان بهذه الصفة؟ قال: قد يقتدى به ويخرج عنه الشيء بعد الشيء مكانه منفعة الخلق وصلاحهم، فان أحدثوا في دين الله شيئاً أعلمهم وإن زادوا فيه أخبرهم، وإن نفذوا منه شيئاً أفادهم.

ثم قال الزنديق: من أي شيء خلق الله الأشياء؟ **قال**: لا من شيء.

فقال: كيف يجيء من لا شيء شيء؟

قال: «ع»: إنَّ الأشياء لا تخلو إما أن تكون خلقت من شيء أو من غير شيء، فان كان خلقت من شيء

كان معه، فإنّ ذلك الشيء قديم، والقديم لا يكون حديثاً ولا يفنى ولا يتغير، ولا يخلوذلك الشيء من أن يكون جوهراً واحداً ولوناً واحداً، فمن أين جاءَت هذه الألوان المختلفة، والجواهر الكثيرة الموجودة في هذا العالم من ضروب شتى؟ومن أين جاء الموت إن كان الشيء الذي أُنشئت منه الأشياء حياً؟!ومن أين جاءَت الحياة إن كان ذلك الشيء ميتاً؟! ولا يجوز أن يكون من حيٍّ وميت قديمين لم يزالا، لأنَّ الحي لا يجيء منه ميت وهولم يزل حياً، ولا يجوز أيضاً أن يكون الميت قديماً لم يزل لما هو به من الموت، لأنَّ الميت لا قدرة له ولا بقاء.

قال: فمن أين قالوا إنَّ الأشياء أزلية؟ **قال**: هذه مقالة قوم جحدوا مدبر الأشياء فكذبوا الرسل، ومقالتهم، والأنبياء وما أنبأوا عنه، وسموا كتبهم أساطير، ووضعوا لأنفسهم ديناً بآرائهم واستحسانهم، إنَّ الأشياء تدل على حدوثها، من دوران الفلك بما فيه، وهي سبعة أفلاك وتحرك الأرض ومن عليها وانقلاب الأزمنة، واختلاف الوقت، والحوادث التي تحدث في العالم: من زيادة ونقصان وموت وبلى واضطرار النفس إلى الاقرار بأنَّ لها صانعاً ومدبراً، ألا ترى الحلو يصير حامضاً، والعذب مراً، والجديد بالياً، وكل إلى تغير وفناء؟!

قال: فلم يزل صانع العالم عالماً بالأحداث التي أحدثها قبل أن يحدثها؟

قال: فلم يزل يعلم فخلق ما علم **قال**: أمختلف هو أم مؤتلف؟

قال: لا يليق به الاختلاف ولا الايتلاف، وإنما يختلف المتجزي، ويأتلف المتبعض، فلا يقال له: مؤتلف ولا مختلف.

قال: فكيف هو الله الواحد؟ **قال**: واحد في ذاته، فلا واحد كواحد، لأنّ ما سواه من الواحد متجزي وهو تبارك وتعالى واحد لا يتجزى، ولا يقع عليه العد.

قال: فلأي علة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم، ولا مضطر إلى خلقهم، ولا يليق به التعبث بنا؟

قال: خلقهم لاظهار حكمته وإنفاذ علمه وإمضاء تدبيره.

قال: وكيف لا يقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ومحتبس عقابه؟

قال: إنَّ هذه الدار دار ابتلاء، ومتجر الثواب ومكتسب الرحمة، ملئت آفات، وطبقت شهوات، ليختبر فيها عبيده بالطاعة، فلا يكون دار عمل دار جزاء.

قال: أفمن حكمته أن جعل لنفسه عدواً، وقد كان ولا عدو له، فخلق كما زعمت «إبليس» فسلّطه على عبيده يدعوهم إلى خلاف طاعته، ويأمرهم بمعصيته وجعل له من القوة كما زعمت ما يصل بلطفِ الحيلة إلى قلوبهم، فيوسوس إليهم فيشككهم في ربهم، ويلبس عليهم دينهم، فيزيلهم عن معرفته، حتى أنكر قوم لما وسوس إليهم ربوبيته وعبدوا سواه، فِلمَ سلط عدوه على عبيده، وجعل له السبيل إلى إغوائهم؟

قال: إنَّ هذا العدو الذي ذكرت لا تضره عداوته، ولا تنفعه ولايته. وعداوته لا تنقص من ملكه شيئاً، وولايته لا تزيد فيه شيئاً، وإنما يتقى العدو إذا كان في قوة يضر وينفع، إن هم بملك أخذه، أو بسلطان قهره، فأما

إبليس فعبد، خلقه ليعبده ويوحده، وقد علم حين خلقه ما هو وإلى ما يصير إليه، فلم يزل يعبده مع ملائكته حتى امتحنه بسجود آدم، فامتنع من ذلك حسداً، وشقاوة غلبت عليه فلعنه عند ذلك، وأخرجه عن صفوف الملائكة، وأنزله إلى الأرض ملعوناً مدحوراً فصار عدو آدم وولده بذلك السبب، ماله من السلطة على ولده إلا الوسوسة، والدعاء إلى غير السبيل، وقد أقر مع معصيته لربه بربوبيته.

قال: أفيصلح السجود لغير الله؟ قال: لا.

قال: فكيف أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟

قال: إنَّ من سجد بأمر الله سجد لله إذا كان عن أمر الله.

قال: فمن أين أصل الكهانة، ومن أين يخبر الناس بما يحدث؟

قال: إنَّ الكهانة كانت في الجاهلية، في كل حين فترة من الرسل، كان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه فيما يشتبه عليهم من الأمور بينهم، فيخبرهم عن أشياء تحدث، وذلك من وجوه شتى: فراسة العين، وذكاء القلب، ووسوسة النفس، وفتنة الروح، مع قذف في قلبه، لأنَّ ما يحدث في الأرض من الحوادث الظاهرة: فذلك يعلم الشيطان ويؤديه إلى الكاهن، ويخبره بما يحدث في المنازل والأطراف.

وأما أخبار السماء: فإنَّ الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاك، وهي لا تحجب، ولا ترجم بالنجوم، وإنما منعت من استراق السمع لئلا يقع في الأرض سبب تشاكل الوحي من خبر السماء، فيلبس على أهل الأرض ما جاءَهم عن الله، لاثبات الحجة، ونفي الشبهة. وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه، فيختطفها، ثم يهبط بها إلى الأرض، فيقذفها إلى الكاهن، فاذا قد زاد كلمات من عنده، فيخلط الحق بالباطل، فما أصاب الكاهن من خبر مما كان يخبر به، فهو ما أداه إليه الشيطان لما سمعه، وما أخطأ فيه، فهو من باطل ما زاد فيه، فمنذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة، واليوم إنما تؤدي الشياطين إلى كهانها أخباراً للناس بما يتحدثون به، وما يحدثونه، والشياطين تؤدي إلى الشياطين: ما يحدث في البعد من الحوادث من سارق سرق، ومن قاتل قتل، ومن غائب غاب، وهم بمنزلة الناس أيضاً، صدوق وكذوب.

قال: وكيف صعدت الشياطين إلى السماء، وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان بن داوود «ع» من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟

قال: غلظوا لسليمان كما سخروا وهم خلق رقيق، غذاؤهم النسيم، والدليل على كل ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع، ولا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء إليها بسلّم أو بسبب.

قال: فأخبرني عن السحر ما أصله؟ وكيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجائبه، وما يفعل؟

قال: إنَّ السحر على وجوه شتى: وجه منها: بمنزلة الطب، كما أنَّ الأطباء وضعوا لكل داء دواء، فكذلك علم السحر، احتالوا لكل صحة آفة، ولكل عافية عاهة، ولكل معنى حيلة.

ونوع آخر منه: خطفة وسرعة ومخاريق وخفة.

ونوع آخر: ما يأخذ أولياء الشياطين عنهم.

قال: فمن أين علم الشياطين السحر؟

قال: من حيث عرف الأطباء الطب، بعضه تجربة وبعضه علاج.

قال: فما تقول في الملكين: هاروت وماروت؟ وما يقول الناس بأنهما يعلّمان الناس السحر؟

قال: إنهما موضع ابتلاء وموقع فتنة، تسبيحهما: اليوم لو فعل الانسان كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولو يعالج بكذا وكذا لكان كذا، أصناف السحر فيتعلمون منهما ما يخرج عنهما، فيقولان لهم: إنما نحن فتنة فلا تأخذوا عنا ما يضركم ولا ينفعكم.

قال: أفيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب أو الحمار أو غير ذلك؟

قال: هو أعجز من ذلك، وأضعف من أن يغيِّر خلق الله، إنَّ من أبطل ما ركَّبه الله وصوره وغيَّره فهو شريك الله في خلقه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لو قدر الساحر على ما وصفت لدفع عن نفسه الهرم والآفة والأمراض، ولنفى البياض عن رأسه والفقر عن ساحته، وإنَّ من أكبر السحر النميمة، يفرق بها بين المتحابين، ويجلب العداوة على المتصافيين، ويسفك بها الدماء، ويهدم بها الدور ويكشف بها الستور، والنمام أشرّ من وطىء الأرض بقدم، فأقرب أقاويل السحر من الصواب أنه بمنزلة الطب، إنَّ الساحر عالج الرجل فامتنع من مجامعة النساء فجاء الطبيب فعالجه بغير ذلك العلاج، فأبرىء.

قال: فما بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع؟ **قال**: الشريف المطيع، والوضيع العاصي.

قال: أليس فيهم فاضل ومفضول؟ **قال**: إنما يتفاضلون بالتقوى.

قال: فتقول إنَّ ولد آدم كلهم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلا بالتقوى؟

قال: نعم. إنّي وجدت أصل الخلق التراب، والأب آدم والأم حواء، خلقهم إله واحد، وهم عبيده، إنَّ الله عز وجل اختار من ولد آدم اناساً طهر ميلادهم، وطيَّب أبدانهم، وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل، فهم أزكى فروع آدم، فعل ذلك لأمر استحقوه من الله عز وجل ولكن علم الله منهم-حين ذرأهم- أنَّهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده، وهؤلاء الذين لهم الشرف والفضل والحسب، وساير الناس سواء ألا من اتقى الله أكرمه، ومن أطاعه أحبه، ومن أحبه لم يعذبه بالنار!!

قال: فأخبرني عن الله عز وجل كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحدين وكان على ذلك قادراً؟

قال«ع»: لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب، لأنَّ الطاعة إذا ما كانت فعلهم لم يكن جنة ولا نار، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته واحتج عليهم برسله وقطع عذرهم بكتبه، ليكونوا هم الذين

يطيعون ويعصون ويستوجبون بطاعتهم له الثواب وبمعصيتهم إياه العقاب.

قال: فالعمل الصالح من العبد هو فعله، والعمل الشر من العبد هو فعله؟

قال: العمل الصالح من العبد بفعله والله به أمره، والعمل الشر من العبد بفعله والله عنه نهاه.

قال: أليس فعله بالآلة التي ركبها فيه؟

قال: نعم. ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدر على الشر الذي نهاه عنه.

قال: فالى العبد من الأمر شيء؟

قال: ما نهاه الله عن شيء الا وقد علم أنه يطيق تركه، ولا أمره بشيء الا وقد علم أنه يستطيع فعله، لأنه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون.

قال: فمن خلقه الله كافراً أيستطيع الايمان وله عليه بتركه الايمان حجة؟

قال«ع»: إنَّ الله خلق خلقه جميعاً مسلمين، أمرهم ونهاهم، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً، إنه إنما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمته الحجة من الله، فعرض عليه الحق فجحده فبانكاره الحق صار كافراً.

قال: أفيجوز أن يقدر على العبد الشرّ، ويأمره بالخير وهو لا يستطيع الخير أن يعلمه، ويعذبه عليه؟

قال: إنه لا يليق بعدل الله ورأفته أن يقدر على العبد الشر ويريده منه، ثم يأمره بما يعلم أنه لا يستطيع أخذه، والانزاع عما لا يقدر على تركه، ثم يعذبه على أمره الذي علم أنه لا يستطيع أخذه.

قال: بماذا استحق الذين أغناهم وأوسع عليهم من رزقه الغناء والسعة، وبماذا استحق الفقير التقتير والتضييق؟

قال: اختبر الأغنياء بما أعطاهم لينظر كيف شكرهم، والفقراء بما منعهم لينظر كيف صبرهم.

ووجه آخر: إنه عجل لقوم في حياتهم، ولقوم اخر ليوم حاجتهم إليه.

ووجه آخر: فانه علم احتمال كل قوم فأعطاهم على قدر احتمالهم ولو كان الخلق كلهم أغنياء لخربت الدنيا وفسد التدبير، وصار أهلها إلى الفناء ولكن جعل بعضهم لبعض عوناً، وجعل أسباب أرزاقهم في ضروب الأعمال وأنواع الصناعات، وذلك أدوم في البقاء وأصح في التدبير، ثم اختبر الأغنياء بالاستعطاف على الفقراء، كل ذلك لطف ورحمة من الحكيم الذي لا يعاب تدبيره.

قال: فيما استحق الطفل الصغير ما يصيبه من الأوجاع والأمراض بلا ذنب عمله، ولا جرم سلف منه؟

قال: إنَّ المرض على وجوه شتى: مرض بلوى ومرض عقوبة، ومرض جعل علة للفناء، وأنت تزعم أنَّ ذلك من أغذية ودية، وأشربة وبية، أو من علة كانت بامه، وتزعم: أنَّ من أحسن السياسة لبدنه. وأجمل النظر

في أحوال نفسه وعرف الضار مما يأكل من النافع لم يمرض، وتميل في قولك إلى من يزعم: أنه لا يكون المرض والموت إلا من المطعم والمشرب! قد مات ارسطاطاليس معلم الأطباء وافلاطون رئيس الحكماء، وجالينوس شاخ ودق بصره وما دفع الموت حين نزل بساحته، ولم يألوا حفظ أنفسهم، والنظر لما يوافقها، كم مريضاً قد زاده المعالج سقماً، وكم من طبيب عالم، وبصير بالأدواء والأدوية ماهر، مات وعاش الجاهل بالطب بعده زماناً، فلا ذاك نفعه علمه بطبه عند انقطاع مدته وحضور أجله، ولا هذا ضره الجهل بالطب مع بقاء المدة وتأخر الأجل.

ثم قال«ع»: إنَّ أكثر الأطباء قالوا: إنَّ علم الطب لم تعرفه الأنبياء، فما نصنع على قياس قولهم بعلم زعموا ليس تعرفه الأنبياء الذين كانوا حجج الله على خلقه، وامناءه في أرضه، وخزان علمه، وورثة حكمته، والأدلاء عليه، والدعاة إلى طاعته؟

ثم إنِّي وجدت أنَّ أكثرهم يتنكب في مذهبه سبل الأنبياء ويكذب الكتب المنزلة عليهم من الله تبارك وتعالى، فهذا الذي أزهدني في طلبه وحامليه.

قال: فكيف تزهد في قوم وأنت مؤدبهم وكبيرهم؟

قال«ع»: إنِّي رأيت الرجل الماهر في طبه إذا سألته لم يقف على حدود نفسه وتأليف بدنه وتركيب أعضائه ومجرى الأغذية في جوارحه، ومخرج نفسه وحركة لسانه، ومستقر كلامه ونور بصره وانتشار ذكره، واختلاف شهواته وانسكاب عبراته، ومجمع سمعه وموضع عقله، ومسكن روحه ومخرج عطسته، وهيج غمومه وأسباب سروره، وعلة ما حدث فيه من بكم وصمم وغير ذلك، لم يكن عندهم في ذلك أكثر من أقاويل استحسنوها، وعلل فيما بينهم جوزوها.

قال: فأخبرني عن الله أله شريك في ملكه، أو مضاد له في تدبيره؟ قال: لا.

قال: فما هذا الفساد الموجود في العالم: من سباع ضارية، وهوام مخوفة وخلق كثير مشوهة، ودود وبعوض وحيات وعقارب وزعمت: أنه لا يخلق شيئاً الا لعلة، لأنه لا يعبث؟!

قال: ألست تزعم: أنَّ العقارب تنفع من وجع المثانة والحصاة، ولمن يبول في الفراش، وأنَّ أفضل الترياق ما عولج من لحوم الأفاعي، فانَّ لحومها إذا أكلها المجذوم بشب نفعه، وتزعم: أنَّ الدود الأحمر الذي يصاب تحت الأرض نافع للآكلة؟ قال: نعم.

قال«ع»: فأما البعوض والبق: فبعض سببه أنه جعله أرزاق الطير، وأهان بها جباراً تمرَّد على الله وتجبر، وأنكر ربوبيته، فسلَّط الله عليه أضعف خلقه ليريه قدرته وعظمته، وهي البعوض، فدخلت في منخره حتى وصلت إلى دماغه فقتلته واعلم أنا لو وقفنا على كلّ شيء خلقه الله تعالى لِمَ خلقه؟ ولأي شيء أنشأه؟ لكنا قد ساويناه في علمه وعلمنا كلما يعلم واستغنينا عنه، وكنا وهو في العلم سواء.

قال: فأخبرني هل يعاب شيء من خلق الله وتدبيره؟ قال: لا.

قال: فإنَّ الله خلق خلقه عزّلا، أذلك منه حكمة أم عبث؟ قال: بل منه حكمة.

قال: غيرتم خلق الله، وجعلتم فعلكم في قطع الغلفة أصوب مما خلق الله لها، وعبتم الأغلف والله خلقه، ومدحتم الختان وهو فعلكم. أم تقولون إنَّ ذلك من الله كان خطأ غير حكمة؟!

قال «ع»: ذلك من الله حكمة وصواب، غير أنه سنَّ ذلك وأوجبه على خلقه، كما أنّ المولود إذا خرج من بطن أُمه وجدنا سرته متصلة بسرة أمه كذلك خلقها الحكيم فأمر العباد بقطعها، وفي تركها فساد بين للمولود والام وكذلك أظفار الإنسان: أمر إذا طالت أن تقلم، وكان قادراً يوم دبر خلق الانسان أن يخلقها خلقة لا تطول، وكذلك الشعر من الشارب والرأس يطول فيجز وكذلك الثيران خلقها الله فحولة وإخصاؤ ها أوفق، وليس في ذلك عيب في تقدير الله عز وجل.

قال: ألست تقول: يقول الله تعالى: ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾ وقد نرى المضطر يدعوه فلا يجاب له، والمظلوم يستنصره على عدوه فلا ينصره؟

قال: ويحك! ما يدعوه أحد إلا استجاب له، أما الظالم: فدعاؤ ه مردود إلى أن يتوب إليه، وأما المحق: فانه إذا دعاه استجاب له، وصرف عنه البلاء من حيث لا يعلمه، أو ادخر له ثواباً جزيلا ليوم حاجته إليه، وإن لم يكن الأمر الذي سأل العبد خيراً له إن أعطاه أمسك عنه، والمؤ من العارف بالله ربما عز عليه أن يدعوه فيما لا يدري أصواب ذلك أم خطأ، وقد يسأل العبد ربه هلاك من لم ينقطع مدته أو يسأل المطر وقتاً ولعله أوان لا يصلح فيه المطر، لأنه أعرف بتدبير ما خلق من خلقه، وأشباه ذلك كثيرة فافهم هذا.

قال: أخبرني أيها الحكيم، ما بال السماء لا ينزل منها إلى الأرض أحد ولا يصعد من الأرض إليها بشر، ولا طريق إليها، ولا مسلك، فلو نظر العباد في كل دهر مرة من يصعد إليها وينزل، لكان ذلك أثبت في الربوبية وأنفى للشك وأقوى لليقين، وأجدر أن يعلم العباد أنَّ هناك مدبراً إليه يصعد الصاعد ومن عنده يهبط الهابط؟!

قال: إنَّ كل ما ترى في الأرض من التدبير إنما هو ينزل من السماء، ومنها يظهر، أما ترى الشمس منها تطلع، وهي نور النهار، وفيها قوام الدنيا، ولو حبست حار من عليها وهلك، والقمر منها يطلع، وهو نور الليل، وبه يعلم عدد السنين والحساب، والشهور والأيام، ولو حبس لحار من عليها وفسد التدبير، وفي السماء النجوم التي يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ومن السماء ينزل الغيث الذي فيه حياة كل شيء: من الزرع والنبات والأنعام، وكل الخلق لو حبس عنهم لما عاشوا، والريح لو حبست لفسدت الأشياء جميعاً وتغيرت، ثم الغيم والرعد والبرق والصواعق، كل ذلك إنما هو دليل على أنَّ هناك مدبراً يدبر كل شيء ومن عنده ينزل، وقد كلم الله موسى وناجاه، ورفع الله عيسى بن مريم والملائكة تنزل من عنده، غير أنك لا تؤ من بما لم تره بعينك، وفيما تراه بعينك كفاية إن تفهم وتعقل.

قال: فلو أنَّ الله رد إلينا من الأموات في كل مائة عام واحداً لنسأله عمن مضى منا. إلى ما صاروا وكيف حالهم، وماذا لقوا بعد الموت. وأي شيء صنع بهم، لعمل الناس على اليقين، واضمحل الشك، وذهب الغل عن القلوب.

قال: إنَّ هذه مقالة من أنكر الرسل وكذبهم، ولم يصدق بما جاءوا به من عند الله، إذ أخبروا وقالوا: إنَّ

الله أخبر في كتابه عز وجل على لسان أنبيائه، حال من مات منا، أفيكون أحد أصدق من الله قولا ومن رسله.

وقد رجع إلى الدنيا مما مات خلق كثير، منهم: «**أصحاب الكهف**» أماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة، ثم بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث، ليقطع حجتهم، وليريهم قدرته وليعلموا أنَّ البعث حق.

وأمات الله «أرمياء» النبي «ع» الذي نظر إلى خراب بيت المقدس وما حوله حين غزاهم بخت نصر وقال: ﴿**أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام**﴾ ثم أحياه ونظر إلى أعضائه كيف تلتئم، وكيف تلبس اللحم، وإلى مفاصله وعروقه كيف توصل، فلما استوى قاعداً قال: ﴿**أعلم أنَّ الله على كلِّ شيء قدير**﴾.

وأحيا الله قوماً خرجوا عن أوطانهم هاربين من الطاعون لا يحصى عددهم، وأماتهم الله دهراً طويلا حتى بليت عظامهم، وتقطعت أوصالهم وصاروا تراباً، بعث الله في وقت أحبَّ أن يري خلقه قدرته نبياً يقال له: «حزقيل» فدعاهم فاجتمعت أبدانهم، ورجعت فيها أرواحهم، وقاموا كهيئة يوم ماتوا، لا يفقدون من أعدادهم رجلا، فعاشوا بعد ذلك دهراً طويلا.

وإنَّ الله أمات قوماً خرجوا مع موسى «ع» حين توجه إلى الله فقالوا: ﴿**أرنا الله جهرة**﴾ «**فأماتهم الله ثم أحياهم**».

قال: فأخبرني عمن قال بتناسخ الأرواح من أي شيء قالوا ذلك، وبأيّ حجة قاموا على مذاهبهم؟

قال: إنَّ أصحاب التناسخ قد خلفوا وراءهم منهاج الدين، وزينوا لأنفسهم الضلالات، وأمرجوا أنفسهم في الشهوات[1] وزعموا أنَّ السماء خاوية ما فيها شيء مما يوصف، وأنَّ مدبر هذا العالم في صورة المخلوقين، بحجة من روى أنَّ الله عز وجل خلق آدم على صورته، وأنه لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور، والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه وولوجه في قالب آخر، فان كان محسناً في القالب الأول اعيد في قالب أفضل منه حسناً في أعلى درجة من الدنيا، وإن كان مسيئاً أو غير عارف صار في بعض الدواب المتعبة في الدنيا، أو هوام مشوهة الخلقة وليس عليهم صوم ولا صلاة، ولا شيء من العبادة أكثر من معرفة من تجب عليهم معرفته وكل شيء من شهوات الدنيا مباح لهم: من فروج النساء وغير ذلك من الأخوات والبنات والخالات وذوات البعولة.

وكذلك الميتة، والخمر، والدم، فاستقبح مقالتهم كل الفرق، ولعنهم كل الامم، فلما سئلوا الحجة زاغوا وحادوا، فكذب مقالتهم التوراة، ولعنهم الفرقان، وزعموا مع ذلك أنَّ إلههم ينتقل من قالب إلى قالب، وأنَّ الأرواح الأزلية هي التي كانت في آدم، ثم هلم جراً تجري إلى يومنا هذا في واحد بعد آخر، فاذا كان الخالق في صورة المخلوق فبما يستدل على أنَّ أحدهما خالق صاحبه؟!

وقالوا: إنَّ الملائكة من ولد آدم كل من صار في أعلى درجة من دينهم خرج من منزلة الامتحان والتصفية فهو ملك، فطوراً تخالهم نصارى في أشياء، وطوراً دهرية يقولون: إنَّ الأشياء على غير الحقيقة، فقد كان يجب

---

(١) أمرج الدابة: تركها تذهب حيث شاءت.

عليهم أن لا يأكلوا شيئاً من اللحمان ، لأنَّ الذرات عندهم كلها من ولد آدم حولوا من صورهم ، فلا يجوز أكل لحوم القربات .

قال : ومن زعم أنَّ الله لم يزل ومعه طينة موذية ، فلم يستطع التفصي منها[1] الا بامتزاجه بها ودخوله فيها، فمن تلك الطينة خلق الأشياء!!

قال : سبحان الله تعالى ! ! ما أعجز إلٰهاً يوصف بالقدرة ، لا يستطيع التفصي من الطينة ! إن كانت الطينة حية أزلية ، فكانا إلٰهين قديمين فامتزجا ودبرا العالم من أنفسهم ، فان كان ذلك كذلك ، فمن أين جاء الموت والفناء؟ وإن كانت الطينة ميتة فلا بقاء للميت مع الأزلي القديم، والميت لا يجيء منه حي .

وهذه مقالة الديصانية ، أشد الزنادقة قولا وأمهنهم مثلا ، نظروا في كتب قد صنفتها أوائلهم ، وحبروها بألفاظ مزخرفة من غير أصل ثابت ، ولا حجة توجب إثبات ما ادعوا ، كل ذلك خلافاً على الله وعلى رسله بما جاءوا عن الله .

فأما من زعم أنَّ الأبدان ظلمة . والأرواح نور، وأنَّ النور لا يعمل الشر والظلمة لا تعمل الخير، فلا يجب عليهم أن يلوموا أحداً على معصية ولا ركوب حرمة ولا إتيان فاحشة ، وإنَّ ذلك عن الظلمة غير مستنكر ، لأنَّ ذلك فعلها ولا له أن يدعو رباً ، ولا يتضرع إليه ، لأنَّ النور الرب ، والرب لا يتضرع إلى نفسه ولا يستعبد بغيره ،ولا لأحد من أهل هذه المقالة أن يقول: «أحسنت» يا محسن أو «أسأت» لأنَّ الاساءة من فعل الظلمة وذلك فعلها، والاحسان من النور، ولا يقول النور لنفسه أحسنت يا محسن ، وليس هناك ثالث ، وكانت الظلمة على قياس قولهم ، أحكم فعلا وأتقن تدبيراً وأعز أركاناً من النور، لأنَّ الأبدان محكمة ، فمن صور هذا الخلق صورة واحدة على نعوت مختلفة؟

وكل شيء يرى ظاهراً من الزهر والأشجار والثمار والطير والدواب يجب أن يكون إلها ، ثم حبست النور في حبسها والدولة لها، وأما ما ادعوا بأنَّ العاقبة سوف تكون للنور، فدعوى، وينبغي على قياس قولهم أن لا يكون للنور فعل ، لأنه أسير، وليس له سلطان ، فلا فعل له ولا تدبير، وإن كان له مع الظلمة تدبير، فما هو بأسير بل هو مطلق عزيز، فان لم يكن كذلك وكان أسير الظلمة ، فانه يظهر في هذا العالم إحسان وجامع فساد وشر، فهذا يدل على أنَّ الظلمة تحسن الخير وتفعله ، وكما تحسن الشر وتفعله ، فإن قالوا محال ذلك فلا نور يثبت ولا ظلمة ، وبطلت دعواهم ، ورجع الأمر إلى أنَّ الله واحد وما سواه باطل ، فهذه مقالة ماني الزنديق وأصحابه .

وأما من قال: النور والظلمة بينهما حكم ، فلا بد من أن يكون أكبر الثلاثة الحكم ، لأنه لا يحتاج إلى الحاكم الا مغلوب أو جاهل أو مظلوم، وهذه مقالة المانوية والحكاية عنهم تطول.

قال: فما قصة ماني؟

قال : متفحص أخذ بعض المجوسية فشابها ببعض النصرانية ، فأخطأ الملتين ولم يصب مذهباً واحداً

---

(١)التفصي . التخلص وتفصى عن الشيء بان عنه.

منها، وزعم أنَّ العالم دبر من إلهين، نور وظلمة، وأنَّ النور في حصار من الظلمة على ما حكينا منه، فكذبته النصارى، وقبلته المجوس.

قال: فأخبرني عن المجوس أفبعث الله إليهم نبياً؟ فإنّي أجد لهم كتباً محكمة ومواعظ بليغة، وأمثالا شافية، يقرون بالثواب والعقاب، ولهم شرايع يعملون بها.

قال«ع»: ما من امة الا خلافيها نذير، وقد بعث إليهم نبي بكتاب من عند الله، فأنكروه وجحدوا كتابه.

قال: ومن هو فان الناس يزعمون أنه خالدبن سنان؟

قال«ع»: إنَّ خالداً كان عربياً بدوياً، ما كان نبياً، وإنما ذلك شيء يقوله الناس.

قال: أفزردشت؟

قال: إنَّ زردشت أتاهم بزمزمة، وادعى النبوة، فآمن منهم قوم وجحده قوم، فأخرجوه فأكلته السباع في برية من الأرض.

قال: فأخبرني عن المجوس كانوا أقرب إلى الصواب في دهرهم، أم العرب؟

قال: العرب في الجاهلية، كانت أقرب إلى الدين الحنيفي من المجوس وذلك أنَّ المجوس كفرت بكل الأنبياء وجحدت كتبهم، وأنكرت براهينهم ولم تأخذ بشيء من سننهم وآثارهم، وإنّ كيخسرو ملك المجوس في الدهر الأول قتل ثلاثمائة نبي، وكانت المجوس لا تغتسل من الجنابة، والعرب كانت تغتسل والإغتسال من خالص شرايع الحنيفية، وكانت المجوس لا تختن وهو من سنن الأنبياء، وأول من فعل ذلك إبراهيم خليل الله، وكانت المجوس لا تغسل موتاها ولا تكفنها، وكانت العرب تفعل ذلك، وكانت المجوس ترمي الموتى في الصحارى والنواويس والعرب تواريها في قبورها وتلحدها، وكذلك السنة على الرسل، إنَّ أول من حفر له قبر آدم أبو البشر، والحد له لحد، وكانت المجوس تأتي الامهات وتنكح البنات والأخوات، وحرمت ذلك العرب، وأنكرت المجوس بيت‌الله الحرام وسمته بيت الشيطان، والعرب كانت تحجه وتعظمه، وتقول: بيت ربنا، وتقر بالتوراة والانجيل، وتسأل أهل الكتب وتأخذ، وكانت العرب في كل الأسباب أقرب إلى الدين الحنيفية من المجوس.

قال: فانهم احتجوا باتيان الأخوات أنها سنة من آدم.

قال: فما حجتهم في إتيان البنات والامهات وقد حرم ذلك آدم، وكذلك نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وسائر الأنبياء، وكل ما جاء عن الله عز وجل.

قال: ولم حرم الله الخمر ولا لذة أفضل منها؟

قال: حرمها لأنها ام الخبائث، ورأس كلِّ شر، يأتي على شاربها ساعة يسلب لبه، ولا يعرف ربه، ولا

يترك معصية إلا ركبها ولا حرمة إلا انتهكها ولا رحم ماسة الا قطعها، ولا فاحشة الا أتاها، والسكران زمامه بيد الشيطان، إن أمره أن يسجد للأوثان سجد، وينقاد حيث ما قاده.

قال: فلم حرم الدم المسفوح؟

قال: لأنه يورث القساوة، ويسلب الفؤاد رحمته، ويعفن البدن ويغيِّر اللون وأكثر ما يصيب الانسان الجذام يكون من أكل الدم.

قال: فأكل الغدد؟ قال: يورث الجذام.

قال: فالميتة لِمَ حرمها؟ **قال:** فرقاً بينها وبين ما يذكى ويذكر اسم الله عليه، والميتة قد جمد فيها الدم وتراجع إلى بدنها، فلحمها ثقيل غير مريء لأنها يؤكل لحمها بدمها.

قال: فالسمك ميتة؟ **قال:** إنَّ السمك ذكاته إخراجه حياً من الماء، ثم يترك حتى يموت من ذات نفسه، وذلك أنه ليس له دم، وكذلك الجراد.

قال: فَلِمَ حرم الزنا؟ **قال:** لما فيه من الفساد وذهاب المواريث وانقطاع الأنساب، لا تعلم المرأة في الزنا من أحبلها، ولا المولود يعلم من أبوه، ولا أرحام موصولة، ولا قرابة معروفة.

قال: فلِمَ حرم اللواط؟ **قال:** من أجل أنه لو كان إتيان الغلام حلالا لاستغنى الرجال عن النساء وكان فيه قطع النسل، وتعطيل الفروج، وكان في إجازة ذلك فساد كثير.

قال: فلِمَ حرم إتيان البهيمة؟

قال: كره أن يضيع الرجل ماءَه ويأتي غير شكله، ولو أباح ذلك لربط كل رجل أتاناً يركب ظهرها ويغشى فرجها، وكان يكون في ذلك فساد كثير فأباح ظهورها، وحرم عليهم فروجها، وخلق للرجال النساء ليأنسوا بهنَّ ويسكنوا إليهنَّ، ويكنَّ مواضع شهواتهم، وامهات أولادهم.

قال: فما علة الغسل من الجنابة، وإنَّ ما أتى حلالا وليس في الحلال تدنيس؟

قال «ع»: إنَّ الجنابة بمنزلة الحيض، وذلك أنّ النطفة دم لم يستحكم ولا يكون الجماع الا بحركة شديدة وشهوة غالبة، فاذا فرغ تنفس البدن ووجد الرجل من نفسه رائحة كريهة، فوجب الغسل لذلك، وغسل الجنابة مع ذلك أمانة ائتمن الله عليها عبيده ليختبرهم بها.

قال: أيها الحكيم! فما تقول فيمن زعم أنَّ هذا التدبير الذي يظهر في العالم تدبير النجوم السبعة؟

قال «ع»: يحتاجون إلى دليل، أنَّ هذا العالم الأكبر والعالم الأصغر من تدبير النجوم التي تسبح في الفلك، وتدور حيث دارت متعبة لا تفتر، وسائرة لا تقف.

ثم قال: وإنَّ لكل نجم منها موكل مدبّر، فهي بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين فلو كانت قديمة أزلية لم تُتغير من حال إلى حال.

قال: فمن قال بالطبايع؟

قال: القدرية، فذلك قول من لم يملك البقاء، ولا صرف الحوادث وغيرته الأيام والليالي، لا يرد الهرم، ولا يدفع الأجل، ما يدري ما يصنع به.

قال: فأخبرني عمن يزعم: أنّ الخلق لم يزل يتناسلون ويتوالدون ويذهب قرن ويجيىء قرن، وتفنيهم الأمراض والأعراض وصنوف الآفات، ويخبرك الآخر عن الأول، وينبئك الخلف عن السلف، والقرون عن القرون، أنهم وجدوا الخلق على هذا الوصف بمنزلة الشجر والنبات، في كل دهر يخرج منه حكيم عليم بمصلحة الناس، بصير بتأليف الكلام، ويصنف كتاباً قد حبره بفطنته، وحسنه بحكمته، قد جعله حاجزاً بين الناس، يأمرهم بالخير ويحثهم عليه، وينهاهم عن السوء والفساد ويزجرهم عنه، لئلا يتهارشوا، ولا يقتل بعضهم بعضاً؟

قال «ع»: ويحك! إنَّ من خرج من بطن امه أمس، ويرحل عن الدنيا غداً لا علم له بما كان قبله ولا ما يكون بعده، ثم إنه لا يخلو الانسان من أن يكون خلق نفسه أو خلقه غيره: أو لم يزل موجوداً، فما ليس بشيء ليس يقدر أن يخلق شيئاً وهو ليس بشيء، وكذلك ما لم يكن فيكون شيئاً، يسئل فلا يعلم كيف كان ابتداؤه، ولو كان الانسان أزلياً لم تحدث فيه الحوادث، لأنّ الأزلي لا تغيره الأيام، ولا يأتي عليه الفناء، مع أنا لم نجد بناءاً من غير بان، ولا أثراً من غير مؤثر، ولا تأليفاً من غير مؤلف، فمن زعم أنّ أباه خلقه، قيل: فمن خلق أباه؟ ولو أنّ الأب هو الذي خلق ابنه لخلقه على شهوته. وصوره على محبته ولملك حياته، ولجاز فيه حكمه، ولكنه إن مرض فلم ينفعه، وإن مات فعجز عن رده، إنّ من استطاع أن يخلق خلقاً وينفخ فيه روحاً حتى يمشي على رجليه سوياً، يقدر أن يدفع عنه الفساد.

قال: فما تقول في علم النجوم؟

قال: هو علم قلّت منافعه، وكثرت مضراته، لأنه لا يدفع به المقدور ولا يتّقى به المحذور، إنّ المنجم بالبلاء لم ينجه التحرز من القضاء، إن أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجم يضاد الله في علمه، بزعمه أن يرد قضاء الله عن خلقه.

قال: فالرسول أفضل أم الملك المرسل إليه؟

قال: بل الرسول أفضل.

قال: فما علة الملائكة الموكلين بعباده، يكتبون عليهم ولهم، والله عالم السر وما هو أخفى؟

قال: استعبدهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه، ليكون العباد لملازمتهم إياهم أشد على طاعة الله مواظبة، وعن معصيته أشد انقباضاً، وكم من عبد يهمّ بمعصيته فذكر مكانهما فارعوى وكف، فيقول ربّي يراني، وحفظتي عليّ بذلك تشهد، وإنّ الله برأفته ولطفه أيضاً وكلهم بعباده، يذبون عنهم مردة الشيطان وهوامّ الأرض، وآفات كثيرة من حيث لا يرون باذن الله إلى أن يجيء أمر الله.

قال: فخلق الخلق للرحمة أم للعذاب؟

قال: خلقهم للرحمة، وكان في علمه قبل خلقه إياهم، أنّ قوماً منهم يصيرون إلى عذابه بأعمالهم الردية وجحدهم به.

قال: يعذب من أنكر فاستوجب عذابه بانكاره فبِمَ يعذب من وحده وعرفه؟

قال: يعذب المنكر لآلهيته عذاب الأبد، ويعذب المقر به عذاب عقوبة لمعصيته إياه فيما فرض عليه، ثم يخرج، ولا يظلم ربك أحداً.

قال: فبين الكفر والايمان منزلة؟ قال«ع»: لا.

قال: فما الإيمان وما الكفر؟**قال«ع»**:الايمان: أن يصدِّق الله فيما غاب عنه من عظمة الله، كتصديقه بما شاهد من ذلك وعاين، والكفر: الجحود.

قال: فما الشرك وما الشك؟ **قال «ع»**: الشرك هو: أن يضم إلى الواحد الذي ليس كمثله شيء آخر والشك: ما لم يعتقد قلبه شيئاً.

قال: أفيكون العالم جاهلا؟ **قال «ع»**: عالم بما يعلم، وجاهل بما يجهل.

قال: فما السعادة وما الشقاوة؟ **قال**: السعادة: سبب الخير، تمسك به السعيد فيجره إلى النجاة، والشقاوة سبب خذلان، تمسك به الشقي فيجره إلى الهلكة، وكل بعلم الله.

قال: أخبرني عن السراج إذا انطفى أين يذهب نوره؟ **قال «ع»**: يذهب فلا يعود.

قال: فما أنكرت أن يكون الانسان مثل ذلك إذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج إليه أبداً إذا انطفى؟

قال: لم تصب القياس، إنَّ النار في الأجسام كامنة. والأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد، فاذا ضرب أحدهما بالآخر سقطت من بينهما نار، تقتبس منها سراج له ضوء، فالنار ثابت في أجسامها والضوء ذاهب، والروح: جسم رقيق قد البس قالباً كثيفاً، وليس بمنزلة السراج الذي ذكرت. إنَّ الذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف، وركب فيه ضروباً مختلفة: من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك، وهو يحييه بعد موته، ويعيده بعد فنائه.

قال: فأين الروح؟ **قال**: في بطن الأرض حيث مصرع البدن إلى وقت البعث.

قال: فمن صلب فأين روحه؟

قال: في كف الملك الذي قبضها حتى يودعها الأرض.

قال: فأخبرني عن الروح أغير الدم؟

قال : نعم ، الروح على ما وصفت لك : مادتها من الدم ، ومن الدم رطوبة الجسم وصفاء اللون وحسن الصوت ، وكثرة الضحك ، فاذا جمد الدم فارق الروح البدن .

قال : فهل يوصف بخفة وثقل ووزن؟

قال : الروح بمنزلة الريح في الزق ، إذا نفخت فيه امتلأ الزق منها ، فلا يزيد في وزن الزق ولوجها فيه ، ولا ينقصها خروجها منه ، كذلك الروح ليس لها ثقل ولا وزن .

قال : فأخبرني ما جوهر الريح؟

قال : الريح هواء إذا تحرك يسمى ريحاً ،فاذا سكن يسمى هواء ، وبه قوام الدنيا ، ولو كفت الريح ثلاثة أيام لفسد كلّ شيء على وجه الأرض ونتن ،وذلك أنّ الريح بمنزلة المروحة ، تذب وتدفع الفساد عن كلّ شيء وتطيبه ، فهي بمنزلة الروح إذا خرج عن البدن نتن البدن وتغير، وتبارك الله أحسن الخالقين .

قال : أفتتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟

قال : بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور ، فعند ذلك تبطل الأشياء ، وتفنى فلا حس ولا محسوس ، ثم اعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها ، وذلك أربعمائة سنة يسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين .

قال : وأنّى له بالبعث والبدن قد بلي ، والأعضاء قد تفرقت ، فعضو ببلدة يأكلها سباعها ، وعضو بأخرى تمزقه هوامها ، وعضو صار تراباً بني به مع الطين حائط؟!!

قال«ع» : إنّ الذي أنشأه من غير شيء ، وصوره على غير مثال كان سبق إليه ، قادر أن يعيده كما بدأه .

قال : أوضح لي ذلك!

قال : إنّ الروح مقيمة في مكانها ، روح المحسن في ضياء وفسحة ، وروح المسيء في ضيق وظلمة ، والبدن يصير تراباً كما منه خلق ، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها مما أكلته ومزقته كل ذلك في التراب . محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض ، ويعلم عدد الأشياء ووزنها ، وإنّ تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب ، فاذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور ، فتربو الأرض ثم تمخضوا مخض السقاء ، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء ، والزبد من اللبن إذا مخض ، فيجتمع تراب كل قالب إلى قالبه ، فينتقل باذن الله القادر إلى حيث الروح ، فتعود الصور باذن المصور كهيئتها ، وتلج الروح فيها ، فاذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً .

قال : فأخبرني عن الناس يحشرون يوم القيامة عراة؟ قال«ع» : بل يحشرون في أكفانهم .

قال : أنّى لهم بالأكفان وقد بليت؟! **قال«ع»** : إنّ الذي أحيا أبدانهم جدد أكفانهم .

قال : فمن مات بلا كفن؟ **قال«ع»** : يستر الله عورته بما يشاء من عنده .

قال : أفيعرضون صفوفاً؟ قال«ع» : نعم ، هم يومئذ عشرون ومائة ألف صف في عرض الأرض .

قال: أوليس توزن الأعمال؟

قال«ع»: لا، إنَّ الأعمال ليست بأجسام، وإنما هي صفة ما عملوا، وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء، ولا يعرف ثقلها أو خفتها، وإنَّ الله لا يخفى عليه شيء.

قال: فما معنى الميزان؟ **قال«ع»**: العدل.

قال: فما معناه في كتابه: **﴿فمن ثقلت موازينه﴾**؟

قال«ع»: فمن رجح عمله.

قال: فأخبرني أو ليس في النار مقتنع أن يعذب خلقه بها دون الحيات والعقارب؟

قال«ع»: إنما يعذب بها قوماً زعموا أنها ليست من خلقه، إنما شريكه الذي يخلقه، فيسلط الله عليهم العقارب والحيات في النار ليذيقهم بها وبال ما كذبوا عليه فجحدوا أن يكون صنعه.

قال: فمن أين قالوا: **﴿إنَّ أهل الجنة يأتي الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها فاذا أكلها عادت كهيئتها﴾**؟

قال«ع»: نعم، ذلك على قياس السراج: يأتي القابس فيقتبس عنه، فلا ينقص من ضوئه شيئاً، وقد امتلت الدنيا منه سراجاً.

قال: أليسوا يأكلون ويشربون، وتزعم أنه لا يكون لهم الحاجة؟

قال«ع»: بلى، لأنَّ غذاءهم رقيق لا ثقل له، بل يخرج من أجسادهم بالعرق.

قال: فكيف تكون الحوراء في جميع ما أتاها زوجها عذراء؟

قال«ع»: لأنها خلقت من الطيب لا يعتريها عاهة، ولا يخالط جسمها آفة ولا يجري في ثقبها شيء، ولا يدنسها حيض، فالرحم ملتزقة ملدم، إذ ليس فيها لسوى الاحليل مجرى.

قال: فهي تلبس سبعين حلة، ويرى زوجها مخ ساقها من وراء حللها وبدنها؟

قال«ع»: نعم، كما يرى أحدكم الدراهم إذا ألقيت في ماء صاف قدره قدر رمح.

قال: فكيف تنعم أهل الجنة بما فيه من النعيم، وما منهم أحد الا وقد فقد إبنه وأباه أو حميمه أو آمه، فاذا افتقدوهم في الجنة لم يشكوا في مصيرهم إلى النار، فما يصنع بالنعيم من يعلم أنَّ حميمه في النار ويعذب؟

قال«ع»: إنَّ أهل العلم قالوا: إنهم ينسون ذكرهم. وقال: بعضهم انتظروا قدومهم، ورجوا أن يكونوا بين الجنة والنار في أصحاب الأعراف.

قال: فأخبرني عن الشمس أين تغيب؟

قال«ع»: إنَّ بعض العلماء قال: إذا انحدرت أسفل القبّة دار بها الفلك إلى بطن السماء صاعدة أبداً،

الى أن تنحط إلى موضع مطلعها يعني : أنها تغيب في عين حامية ثم تخرق الأرض راجعة إلى موضع مطلعها ، فتحير تحت العرش حتى يؤذن لها بالطلوع، ويسلب نورها كل يوم، وتجلل نوراً آخر.

قال: فالكرسي أكبر أم العرش؟

قال«ع» : كلّ شيء خلقه الله في جوف الكرسي ، ما خلا عرشه فانه أعظم من أن يحيط به الكرسي .

قال: فخلق النهار قبل الليل؟

قال«ع» : خلق النهار قبل الليل والشمس قبل القمر ، والأرض قبل السماء ووضع الأرض على الحوت والحوت في الماء والماء في صخرة مجوفة ، والصخرة على عاتق ملك . والملك على الثرى ، والثرى على الريح العقيم والريح على الهواء والهواء تمسكه القدرة ، وليس تحت الريح العقيم الا الهواء والظلمات ، ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق ، ولا شيء يتوهم ، ثم خلق الكرسي فحشاه السماوات والأرض والكرسي أكبر من كلّ شيء خلقه الله ، ثم خلق العرش فجعله أكبر من الكرسي .

وعن أبان بن تغلب أنه قال : كنت عند أبي عبدالله « ع» ، إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن ، فسلم عليه فرد عليه أبو عبدالله ، فقال له : مرحباً ياسعد ! فقال الرجل : بهذا الاسم سمتني أمي ، وما أقل من يعرفني به ، فقال له أبو عبدالله : صدقت يا سعد المولى ! فقال الرجل : جعلت فداك بهذا اللقب كنت ألقب . فقال أبو عبدالله « ع» : لا خير في اللقب ، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : ﴿**ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان**﴾ .

ما صناعتك يا سعد؟ قال : جعلت فداك ! إنا أهل بيت ننظر في النجوم ، لا يقال إنَّ باليمن أحداً أعلم بالنجوم منا .

فقال أبو عبدالله : كم يزيد ضوء الشمس على ضوء القمر درجة؟ فقال اليماني : لا أدري .

فقال : صدقت . فقال : فكم ضوء القمر يزيد على ضوء المشتري درجة؟ قال اليماني : لا أدري ! فقال أبو عبدالله « ع» : صدقت!

قال : فكم يزيد ضوء المشتري على ضوء العطارد درجة؟ قال اليماني : لا أدري ! فقال أبو عبدالله : صدقت!

قال : فكم ضوء عطارد يزيد درجة على ضوء الزهرة؟ قال اليماني : لا أدري ! قال أبو عبدالله : صدقت !

قال : فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الابل؟ فقال اليماني : لا أدري ! فقال له أبو عبدالله « ع» : صدقت!

قال : فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر؟ فقال اليماني : لا أدري ! فقال له أبو عبدالله « ع» : صدقت!

قال: فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الكلاب؟ فقال اليماني: لا أدري!

فقال له أبو عبدالله «ع»: صدقت في قولك لا أدري! فما زحل عندكم في النجوم؟

فقال اليماني: نجم نحس.

فقال أبو عبدالله «ع»: لا تقل هذا فانه نجم امير المؤمنين صلوات الله عليه وهو نجم الأوصياء «ع»، وهو النجم الثاقب الذي قال الله تعالى في كتابه.

فقال اليماني: فما معنى الثاقب؟

فقال: إنَّ مطلعه في السماء السابعة، فانه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا، فمن ثم سماه الله النجم الثاقب.

ثم قال: يا أخا العرب أعندكم عالم؟ فقال اليماني: جعلت فداك إنّ باليمن قوماً ليسوا كأحد من الناس في علمهم.

فقال أبو عبدالله «ع»: وما يبلغ من علم عالمهم؟ فقال اليماني: إنَّ عالمهم ليزجر الطير. ويقفو الأثر في ساعة واحدة مسيرة شهر للراكب المحث.

فقال أبو عبد الله «ع»: فإنَّ عالم المدينة أعلم من عالم اليمن. قال اليماني: وما يبلغ علم عالم المدينة؟

قال: إنَّ علم عالم المدينة ينتهي إلى أن لا يقفو الأثر، ولا يزجر الطير ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس، تقطع اثني عشر برجاً، واثني عشر براً، واثني عشر بحراً، واثني عشر عالماً.

فقال له اليماني: ما ظننت أنّ أحداً يعلم هذا، وما يدري ما كنهه!

قال: ثم قام اليماني وخرج.

وعن سعيدبن أبي الخضيب[1] قال: دخلت أنا وابن أبي ليلى المدينة، فبينما نحن في مسجد الرسول «ص» إذ دخل جعفربن محّمد «ع»، فقمنا إليه فسألني عن نفسي وأهلي ثم قال: من هذا معك؟

فقلت: ابن أبي ليلى قاضي المسلمين! فقال: نعم. ثم قال له:

أتأخذ مال هذا فتعطيه هذا، وتفرق بين المرء وزوجه، ولا تخاف في هذا أحداً؟ قال: نعم.

قال: فبأي شيء تقضي؟

قال: بما بلغني عن رسول «ص»، وعن أبي بكر، وعمر.

قال: فبلغك أنّ رسول الله «ص» قال: «أقضاكم علي بعدي»؟ قال: نعم.

---

(١) سعيد ابن أبي الخضيب البجلي: عده الشيخ في رجاله ص ٢٠٥ من أصحاب الصادق عليه السلام.

قال: فكيف تقضي بغير قضاء عليّ«ع»، وقد بلغك هذا؟

قال: فاصفر وجه ابن أبي ليلى ثم قال: التمس مثلا لنفسك، فوالله لا اكلمك من رأسي كلمة أبداً.

وعن الحسين بن زيد[1] عن جعفر الصادق«ع» أنّ رسول الله قال لفاطمة: يا فاطمة إنَّ الله عز وجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك.

قال: فقال المحدثون بها. قال: فأتاه ابن جريح فقال: يا أبا عبد الله حدثنا اليوم حديثاً استهزأه الناس.

قال: وما هو؟

قال: حديث أنّ رسول الله قال لفاطمة: «إنَّ الله ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك».

قال: فقال«ع»: إنّ الله ليغضب فيما تروون لعبده المؤمن ويرضى لرضاه؟ فقال: نعم.

قال«ع»: فما تنكر أن تكون ابنة رسول الله «ص» مؤمنة، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها. قال: صدقت! الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وعن حفص بن غياث[2] قال: شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء[3] يسأل أبا عبد الله«ع» عن قوله تعالى: ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب**﴾ ما ذنب الغير؟

قال: ويحك هي هي وهي غيرها!

قال: فمثل لي ذلك شيئاً من أمر الدنيا! **قال**؛ نعم أرأيت لو انَّ رجلا أخذ لبنة فكسرها، ثم ردها في ملبنها، فهي هي وهي غيرها.

وروي أنه سئل الصادق«ع» عن قول الله عز وجل في قصة إبراهيم«ع»: ﴿**قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾ قال: ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم«ع». **قيل**: وكيف ذلك؟

فقال: إنما قال إبراهيم: فاسألوهم إن كانوا ينطقون. فان نطقوا فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فكبيرهم لم يفعل شيئاً، فما نطقوا، وما كذب إبراهيم«ع».

---

(١) ذكره العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ٥١ فقال: الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام. أبو عبدالله، يلقب ذا الدمعة كان أبو عبد الله تبناه ورباه، وزوجه بنت الأرقط، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وكتابه مختلف الرواية.

(٢) حفص بن غياث: عده الشيخ في رجاله ص ١١٨ من أصحاب الباقر«ع» وذكره في أصحاب الصادق عليه السلام أيضاً ص ١٧٥ فقال: حفص بن غياث بن طلق بن معاوية. أبو عمر النخعي القاضي الكوفي أسند عنه، وذكره في باب من لم يرو عن الأئمة عليهم السلام ص ٤٧١ والعلامة في القسم الثاني من خلاصته ص ٢١٨ وقال: ولي القضاء لهارون وروى عن الصادق«ع» وكان عامياً وله كتاب معتمد.

(٣) عبد الكريم بن أبي العوجاء هذا من تلامذة الحسن البصري وقد انحرف عن التوحيد وحبسه محمد بن سليمان عامل الكوفة من جهة المنصور وهو خال معن بن زائدة فكثر شفعاؤه بمدينة السلام وألحوا على المنصور حتى كتب إلى محمد بالكف عنه وقبل أن يجيء الكتاب إلى محمد بن سليمان بعث عليه وأمر بضرب عنقه فلما أيقن أنه مقتول قال أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث احرم فيها الحلال واحل بها الحرام ولقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتكم في يوم فطركم ثم ضربت عنقه.

فسئل عن قوله في سورة يوسف: ﴿**أيتها العير إنكم لسارقون**﴾؟

قال: إنهم سرقوا يوسف من أبيه. ألا ترى أنه قال لهم: ﴿**قالوا ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك**﴾، ولم يقل سرقتم صواع الملك. إنما سرقوا يوسف من أبيه.

فسئل عن قول إبراهيم: ﴿**فنظر نظرة في النجوم فقال إنّي سقيم**﴾ قال: ما كان إبراهيم سقيماً، وما كذب إنما عنى سقيماً في دينه أي مرتادا.

وعن عبد المؤمن الأنصاري[1] قال: قلت لأبي عبدالله «ع»: إنَّ قوماً رووا: أنَّ رسول الله «ص» قال: «اختلاف امتي رحمة»؟ فقال: صدقوا.

قلت: إن كان اختلافهم رحمة، فاجتماعهم عذاب؟

قال: ليس حيث تذهب وذهبوا، إنما أراد قول الله عز وجل: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾ أمرهم أن ينفروا إلى رسول الله، ويختلفوا إليه، ويتعلموا، ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم، إنما أراد اختلافهم في البلدان لا اختلافاً في الدين، إنما الدين واحد.

وروي عنه صلوات الله عليه: أنّ رسول الله «ص» قال: ما وجدتم في كتاب الله عز وجل فالعمل لكم به ولا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عز وجل وكانت في سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا، إنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم، بأيها اخذ اهتدي وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة.

قيل: يا رسول الله من أصحابك؟ قال: أهل بيتي.

قال محمد بن الحسين بن بابويه القمي رضي الله عنه: إنَّ أهل البيت لا يختلفون ولكن يفتون الشيعة بمر الحق، وربما أفتوهم بالتقية فما يختلف من قولهم فهو للتقية، والتقية رحمة للشيعة، ويؤيد تأويله رضي الله عنه أخبار كثيرة.

منها: ما رواه محمد بن سنان، عن نصر الخثعمي[2] قال سمعت أبا عبد الله يقول: من عرف من أمرنا: أن لا نقول الا حقاً، فليكتف بما يعلم منا، فان سمع منا خلاف ما يعلم، فليعلم أنَّ ذلك منا دفاع واختيار له.

وعن عمر بن حنظلة[3]: قال: سألت أبا عبد الله «ع» عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في

---

(١) ذكره الشيخ في أصحاب علي بن الحسين «ع» ص ٩٩ من رجاله وفي أصحاب الباقر «ع» ص ١٣١ وعده في أصحاب الصادق عليه السلام ص ٢٣٦ وذكره العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٣١ فقال: «عبد المؤمن بن القاسم بن قيس بن قهد ـ بفتح القاف وإسكان الهاء ـ الأنصاري روى عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهما السلام ثقة وهو أخو أبي مريم عبد الغفار بن القاسم، وقيس بن قهد الصحابي».

(٢) نصر الخثعمي: لم أعثر فيما بين يدي من كتب الرجال على ترجمة لصاحب هذا الاسم. ولعله نصير الخثعمي فقد ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج ٢ ص ٢٩٢ فقال: نصير أبو الحكم الخثعمي. محمد بن سنان عنه عن أبي عبد الله في محاسن البرقي في باب إنَّ المؤمن صنفان.

(٣) عمر بن حنظلة العجلي البكري الكوفي: عده الشيخ في رجاله ص ٢٥١ من أصحاب الصادق عليه السلام.

دَين أو ميراث ، فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحل ذلك ؟

قال« ع» : من تحاكم إليهم في حق أو باطل فانما تحاكم إلى الجبت والطاغوت المنهي عنه ، وما حكم له به فانما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً له لأنه أخذه بحكم الطاغوت ، ومن أمر الله عز وجل أن يكفر به ، قال الله عز وجل : **﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به﴾** .

قلت : فكيف يصنعان وقد اختلفا؟

قال : ينظر ان من كان منكم ممن قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا ، فليرضيا به حكماً ، فانيِّ قد جعلته عليكم حاكماً ، فاذا حكم بحكم ولم يقبله منه ، فانما بحكم الله استخف وعلينا رد ، والراد علينا كافر وراد على الله ، وهو على حد من الشرك بالله .

قلت : فان كان كل واحد منهما اختار رجلا من أصحابنا ، فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما فيما حكما ، فان الحكمين اختلفا في حديثكم؟ .

قال : إنَّ الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما ، ولا يلتفت إلى ما حكم به الآخر .

قلت : فانهما عدلان مرضيان ، عرفا بذلك لا يفضل أحدهما صاحبه؟

قال : ينظر الآن إلى ما كان من روايتهما عنا في ذلك الذي حكما ، المجمع عليه بين أصحابك ، فيؤخذ به من حكمهما ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك ، فان المجمع عليه لا ريب فيه ، وإنما الامور ثلاث : أمر بينِّ رشده فيتبع ، وأمر بينِّ غيه فيجتنب ، وأمر مشكل يرد حكمه إلى الله عز وجل وإلى رسوله ، حلال بينِّ ، وحرام بينِّ ، وشبهات تتردد بين ذلك ، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم .

قلت : فان كان الخبران عنكما مشهورين قدرواهما الثقاة عنكم؟

قال : ينظر ما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به ، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة .

قلت : جعلت فداك أرأيت إن كان الفقيهان اعرفا حكمه من الكتاب والسنة ، ثم وجدنا أحد الخبرين يوافق العامة . والآخر يخالف ، بأيهما نأخذ من الخبرين؟ .

قال : ينظر إلى ما هم إليه يميلون ، فان ما خالف العامة ففيه الرشاد .

قلت : جعلت فداك! فان وافقهم الخبران جميعاً؟

قال : انظروا إلى ما تميل إليه حكامّهم وقضاتهم ، فاتركوا جانباً وخذوا بغيره .

قلت : فان وافق حكامهم الخبرين جميعاً؟ .

قال: إذا كان كذلك فارجه وقف عنده، حتى تلقى إمامك، فانّ الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات، والله هو المرشد.

جاء هذا الخبر على سبيل التقدير، لأنه قلّما يتفق في الأثر أن يرد خبران مختلفان في حكم من الأحكام، موافقين للكتاب والسنة، وذلك مثل غسل الوجه واليدين في الوضوء لأنّ الأخبار جاءت بغسلهما مرة مرة، وغسلهما مرتين مرتين فظاهر القرآن لا يقتضي خلاف ذلك، بل يحتمل كلتا الروايتين، ومثل ذلك يؤ خذ في أحكام الشرع.

وأما قوله «ع»- للسائل-: أرجه وقف عنده حتى تلقى إمامك، أمره بذلك عند تمكنه من الوصول إلى الإمام، فأما إذا كان غائباً ولا يتمكن من الوصول إليه، والأصحاب كلهم مجمعون على الخبرين، ولم يكن هناك رجحان لرواة أحدهما على الآخر بالكثرة والعدالة، كان الحكم بهما من باب التخيير.

يدل على ما قلنا: ما روي عن الحسن بن الجهم[١] عن الرضا «ع»: قال: قلت للرضا «ع»: تجيئنا الأحاديث عنكم مختلفة؟.

قال: ما جاءك عنا فقسه على كتاب الله عز وجل وأحاديثنا، فان كان يشبههما فهو منا وإن لم يشبههما فليس منا.

قلت: يجيئنا الرجلان، وكلاهما ثقة، بحديثين مختلفين، فلا نعلم أيهما الحق.

فقال: إذا لم تعلم فموسع عليك بأيهما أخذت.

ما رواه الحرث بن المغيرة[٢] عن أبي عبدالله «ع» قال: إذا سمعت من اصحابك الحديث وكلهم ثقه، فموسع عليك حتى ترى القائم فترده عليه.

وروى سماعة بن مهران[٣] قال: سألت ابا عبدالله «ع» قلت: يرد علينا حديثان، واحد يأمرنا بالأخذ به، والآخر به ينهانا عنه؟.

---

(١) الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين: أبو محمد الشيباني ثقة روى عن أبي الحسن موسى والرضا عليهما السلام ذكره العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ٤٣ والنجاشي في رجاله ص ٤٠ والشيخ في أصحاب الكاظم ص ٣٤٧ من رجاله.

(٢) قال العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ٥٥ الحرث بن المغيرة النصري- بالنون والصاد غير المعجمة- روى الكشي عن محمد بن قولويه قال: حدثنا سعد بن عبدالله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن عبدالله بن محمد الحجال عن يونس بن يعقوب قال: كنا عند أبي عبدالله «ع» فقال: أما لكم من مفزع! أما لكم من مستراح تستريحون إليه! ما يمنعكم من الحرث بن المغيرة النصري؟ وروى حديثاً في طريقه سجادة: أنه أهل الجنة.

وقال النجاشي: حارث بن المغيرة النصري من بني نصر بن معاوية بصري عربي روى عن أبي جعفر الباقر والصادق والكاظم «ع» وعن زيد بن علي عليه السلام ثقة ثقة.

(٣) قال النجاشي ص ١٤٦ من رجاله: «سماعة بن مهران بن عبد الرحمن الحضرمي مولى عبد بن وايل بن حجر الحضرمي يكنى: أبا ناشرة وقيل: أبا محمد كان يتجر في القز ويخرج به إلى حران، ونزل من الكوفة كندة، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن «ع» ومات بالمدينة ثقة وله بالكوفة مسجد بحضرموت وهو مسجد زرعة بن محمد الحضرمي بعده، وذكره احمد بن الحسين رحمه الله وأنه وجد في بعض الكتب أنه مات سنة خمس وأربعين ومائة في حياة أبي عبدالله، وذلك أنّ أبا عبدالله «ع» قال: إن رجعت لم ترجع إلينا فأقام عنده فمات في تلك السنة، وكان =

قال: لا تعمل بواحد منهما حتى تلقى صاحبك فتسأله عنه.

قال: قلت: لا بد من ان نعمل بأحدهما.

قال: خذ بما فيه خلاف العامة، فقد امر «ع» بترك ما وافق العامة، لانه يحتمل ان يكون قد ورد مورد التقية، وما خالفهم لا يحتمل ذلك.

وروي عنهم «ع» ايضاً انهم قالوا: اذا اختلف احاديثنا عليكم فخذوا بما اجتمعت عليه شيعتنا، فانه لا ريب فيه، وامثال هذه الاخبار كثيرة لا يحتمل ذكرها هنا، وما اوردناه عارض ليس هنا موضعه.

وعن بشير بن يحيى العامري[1] عن ابن أبي ليلى[2] قال: دخلت أنا والنعمان أبو حنيفة[3] على جعفر بن محمّد، فرحب بنا فقال:

=نحواً من ستين سنة وليس أعلم كيف هذه الحكاية لأنَّ سماعة روى عن أبي الحسن وهذه الحكاية يتضمن أنه مات في حياة أبي عبدالله «ع» والله أعلم. له كتاب يرويه عنه جماعة كثيرة «الخ» وذكره الشيخ في أصحاب الصادق ص ٢٠٤ وفي أصحاب الكاظم ص ٣١٥.

(١) بشير بن يحيى العامري: لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب الرجال.

(٢) في سفينة البحار ج٢ ص ٥٢٠ أقول «ابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن القاضي الكوفي عده الشيخ من أصحاب الصادق «ع». كان بينه وبين أبي حنيفة منافرات توفي سنة ١٤٨ وكان أبوه من أكابر تابعي الكوفة، وجدّه أبو ليلى من الصحابة قال ابن النديم: واسم أبي ليلى يسار ولد احيحة بن الجلاح وقال: ولي ابن أبي ليلى القضاء لبني امية وولد العباس وكان يفتي بالرأي قبل أبي حنيفة، وذكره في الخلاصة في القسم الأول ونقل عن ابن عقدة أنه روى عن ابن نمير أنه كان صدوقاً مأموناً ولكنه سيّء الحفظ جداً. وقال ابن داوود: إنه ممدوح وقال المولى محمد صالح: إنّه ممدوح مشكور صدوق مأمون. وفي التعليقة روى ابن أبي عمير عنه عن أبيه وقد أغرب أبو علي في رجاله وقال: إن نصب الرجل أشهر من كفر إبليس، وهو من مشاهير المنحرفين وتولى القضاء لبني أمية ثم لبني العباس برهة من السنين، كما ذكره غير واحد من المؤرخين ورده شهادة جملة من أجلاء أصحاب الصادق «ع» لأنهم رافضة مشهور وفي كتب الحديث مذكور، من ذلك ما ذكره الكشي في ترجمة محمد بن مسلم فلاحظ، ومن ذلك في ترجمة عمار الدهني ويجب ذكره في الضعفاء كما فعله الفاضل... قال شيخنا في المستدرك بعد نقل هذا الكلام من أبي علي: قلت: المدعى صدقه وأمانته ووثاقته في الحديث ومجرد القضاء والعامية لا ينافي ذلك. وقال صدر المحققين العاملي في حواشيه على رجاله وفي تضاعيف الأخبار ما يدل على أنّ ابن أبي ليلى لم يكن على ما ذكره المؤلف من النصب بل يظهر من الروايات ميله لآل محمد عليهم السلام. وروايات رد الشهادة تشهد بذلك لأنه قبل شهادتهم بعد ردها. وفي صدر الوقوف من الكافي أن ابن أبي ليلى حكم في قضية بحكم فقال له محمد بن مسلم: إنّ علياً عليه السلام قضى بخلاف ذلك وروى ذلك له عن الباقر «ع» فقال ابن أبي ليلى: هذا عندك؟ قال: نعم. قال. فأرسل وائتني به. قال له محمد بن مسلم: على أن لا تنظر في الكتاب الا في ذلك الحديث ثم أراه الحديث عن الباقر «ع» فرد قضيته ونقضه للقضاء بعد الحكم دليل على عدم التعصب فضلا عن النصب... وبالجملة فمن تتبع الأخبار وجد أنّ ابن أبي ليلى كان يقضي بما يبلغه عن الصادقين عليهما السلام ويحكم بذلك بعد التوقف بل ينقض ما كان قد حكم به إذا بلغه عنهم «ع» خلافه فكيف يكون من حاله ذلك من النواصب؟».

(٣) أبو حنيفة: واسمه النعمان بن ثابت بن زوطي. وكان زوطي مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبة. وأصله من كابل، وقيل مولى لبني قفل كما في الفهرست لابن النديم ص ٢٨٤ وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٣ ص ٣٢٤: «ولد أبو حنيفة وأبوه نصراني».. إلى أن قال: «وكان زوطي مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبة فاعتق فولاؤه لبني عبدالله بن ثعلبة ثم لبني قفل».

وروى مسنداً عن الزيادي يقول: سمعت أبا جعفر يقول: كان أبو حنيفة اسمه عتيك بن زوطرة فسمى نفسه النعمان وأباه ثابتاً. وقيل كان والد أبي حنيفة من «نسا» وقيل أصله من «ترمذ» وقيل ثابت والد أبي حنيفة من أهل «الأنبار».

وأورد الخطيب البغدادي في تاريخه عدة روايات بأسانيد مختلفة تقول: إن أبا حنيفة استتيب من الكفر مرتين وفي بعضها ثلاثاً وفي رواية سفيان الثوري استتيب من الكفر مراراً. وفي رواية أبي عيينة استتيب من الدهر ثلاث مرات راجع تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٨٠-٣٨٣ وفيه ص ٣٧٢ مسنداً أن أبا حنيفة قال: لو انَّ رجلا عبد هذه النعل يتقرب بها إلى الله لم أرَ بذلك بأساً وكان شريك يقول: كفر أبو حنيفة بآيتين من كتاب الله قال الله تعالى: **﴿ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾** وقال تعالى: **﴿يزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾** وزعم أبو حنيفة أنّ الايمان لا يزداد ولا ينقص وأن الصلاة ليست من دين الله.

وفي ص ٣٨٦ منه عن الجوهري روى مسنداً قال: سمعت أبا مطيع يقول: قال ابو حنيفة: إن كانت الجنة والنار مخلوقتين فانهما يفنيان وفيه=

عن ابن أسباط قال أبو حنيفة لو أدركني رسول الله وأدركته لأخذ بكثير من قولي وقال سمعت أبا إسحاق يقول كان أبو حنيفة يجيئه الشيء عن النبي فيخالفه إلى غيره وفي ص ٣٧٠ من نفس المصدر سئل أبو حنيفة عن رجل قال: أشهد أنَّ الكعبة حق ولكن لا أدري هي هذه التي بمكة أم لا فقال مؤمن حقاً. وسئل عن رجل قال: أشهد أنَّ محمدبن عبدالله نبي ولكن لا أدري هو الذي قبره بالمدينة أم لا. فقال مؤمن حقاً.

وهو أحد المذاهب الأربعة السنية، صاحب الرأي والقياس والفتاوى المعروفة في الفقه.

ذكر ابن خلكان في ج ٢ ص ٨٦ من الوفيات في ترجمة محمد بن سبكتكين عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني في كتابه الذي سماه: «مغيث الخلق في اختيار الأحق» قال: إنَّ السلطان محمود المذكور كان على مذهب أبي حنيفة وكان مولعاً بعلم الحديث، وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه وهو يسمع وكان يستفسر الأحاديث فوجد أكثرها موافقاً لمذهب الشافعي فوقع في خلده حكمه. فجمع العلماء من الفريقين في مرو والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الشافعي وعلى مذهب أبي حنيفة. فصلى القفال المروزي... إلى أن قال: ثم صلَّى ركعتين على ما يجوِّز أبو حنيفة فلبس جلد كلب مدبوغاً ثم لطخ ربعه بالنجاسة وتوضأ بنبيذ التمر وكان في صميم الصيف في المفازة واجتمع عليه الذباب والبعوض وكان وضوؤه منكساً منعكساً ثم استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نية في الوضوء، وكبر بالفارسية، ثم قرأ آية بالفارسية «دو بركك سبز» ثم نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهد، وضرط في آخره من غير نية السلام. وقال: أيها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة فقال السلطان: ولو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك، فأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة فأمر القفال باحضار كتب أبي حنيفة وأمر السلطان نصرانياً كاتباً يقرأ المذهبين فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفال، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة، وفي ج ١٣، من تاريخ بغداد ص ٣٧٠ قال الحارث بن عمير: وسمعته يقول: لو أنَّ شاهدين شهدا عند قاض؛ أنَّ فلان بن فلان طلق أمرأته، وعلما جميعاً أنَّهما شهدا بالزور ففرق القاضي بينهما، ثم لقيها أحد الشاهدين فله أن يتزوج بها.

في ص ٣٦٢ منه قال: قال مساور الوراق:

كنا من الدين قبل اليوم في سعة	حتى ابتلينا بأصحاب المقاييس
قاموا من السوق إذ قلّت مكاسبهم	فاستعملوا الرأي عند الفقر والبؤس
أما العريب فأمسوا لا عطاء لهم	وفي الموالي علامات المفاليس

فلقيه أبو حنيفة فقال: هجوتنا نحن نرضيك، فبعث إليه بدراهم فقال:

إذا ما أهل مصر بادهونا	بداهية من الفتيا لطيفه
أتيناهم بمقياس صحيح	صليب من طراز أبي حنيفه
إذا سمع الفقيه به حواه	وأثبته بحبرٍ في صحيفه

فأجابه بعضهم يقول:

إذا ذو الرأي خاصم عن قياس	وجاء ببدعة هنة سخيفه
أتيناه بقول الله فيها	وآيات محبَّرة شريفه
فكم من فرج محصنة عفيف	احل حرامها بأبي حنيفه

وروي أيضاً أنه اجتمع الثوري وشريك والحسن بن صالح وابن أبي ليلى فبعثوا إلى أبي حنيفة فأتاهم فقالوا له: ما تقول في رجل قتل أباه ونكح امه وشرب الخمر في رأس أبيه؟ فقال: مؤمن. فقال له ابن أبي ليلى: لا قبلت لك شهادة أبداً، وقال الثوري لا كلمتك أبداً، وقال شريك: لو كان لي من الأمر شيء لضربت عنقك، وقال له الحسن: وجهي من وجهك حرام أن أنظر إلى وجهك أبداً. وروي أيضاً عن الامام مالك قال: ما ولد في الإسلام مولود أضر على أهل الاسلام من أبي حنيفة وقال: كانت فتنة أبي حنيفة أضر على هذه الامة من فتنة إبليس. وأخرج عن الأوزاعي قال: عمد أبو حنيفة إلى عرى الإسلام فنقضه عروة عروة، وعن عبد الرحمن ابن مهدي قال: ما علم في الإسلام فتنة بعد فتنة الدجال أعظم من رأي أبي حنيفة وأخرج عن أبي صالح الفراء قال: سمعت يوسف بن اسباط يقول: رد أبو حنيفة على رسول الله (ص) أربعمائة حديث أو أكثر وأنه سئل عن مسألة فأجاب فيها ثم قيل له: يروى عن النبي (ص) فيها كذا وكذا قال: دعنا من هذا وفي رواية قال: حك هذا بذنب خنزيرة.

قال ابن خلكان ص ١٦٥ ج ٢ من الوفيات ولم يكن يعاب بشيء سوى قلة العربية فمن ذلك ما روي: أن أبا عمرو بن العلاء المقري النحوي سأله عن القتل بالمثقل هل يوجب القود أم لا؟ فقال: لا. فقال له أبو عمرو: ولو قتله بحجر المنجنيق؟ فقال: ولو قتله «بأبا قبيس».

وتوفي سنة مائة وخمسين وقبره ببغداد في مقبرة خيزران.

يا ابن ابي ليلى من هذا الرجل؟

فقلت: جعلت فداك من أهل الكوفة له رأي وبصيرة ونفاذ.

قال: فلعله الذي يقيس الأشياء برأيه؟ثم قال: يا نعمان! هل تحسن أن تقيس رأسك؟ قال: لا.

قال: ما أراك تحسن أن تقيس شيئاً فهل عرفت الملوحة في العينين، والمرارة في الاذنين، والبرودة في المنخرين، والعذوبة في الفم؟ قال: لا.

قال: فهل عرفت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان؟ قال: لا.

قال ابن أبي ليلى: قلت: جعلت فداك لا تدعنا في عمياء مما وصفت.

قال: نعم، حدثني أبي عن آبائه «ع» أنَّ رسول الله قال: إنَّ الله خلق عيني ابن آدم شحمتين فجعل فيهما الملوحة، فلولا ذلك لذابتا ولم يقع فيهما شيء من القذى الا أذابه، والملوحة تلفظ ما يقع في العين من القذى، وجعل المرارة في الاذنين حجاباً للدماغ، وليس من دابة تقع في الاذن الا التمست الخروج، ولولا ذلك لوصلت إلى الدماغ فأفسدته، وجعل الله البرودة في المنخرين حجاباً للدماغ ولولا ذلك لسال الدماغ وجعل العذوبة في الفم مناً من الله تعالى على ابن آدم ليجد لذة الطعام والشراب.

وأما كلمة أولها كفر وآخرها إيمان فقول لا إله الا الله. ثم قال: يا نعمان إياك والقياس: فان أبي حدثني عن آبائه «ع» أنَّ رسول الله قال: من قاس شيئاً من الدين برأيه قرنه الله تبارك وتعالى مع إبليس، فانه أول من قاس حيث قال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فدعوا الرأي والقياس فان دين الله لم يوضع على القياس.

وفي رواية أُخرى أنَّ الصادق «ع» قال لأبي حنيفة لما دخل عليه: من أنت؟ قال: أبو حنيفة.

قال «ع»: مفتي أهل العراق؟ قال: نعم.

قال: بما تفتيهم؟ قال: بكتاب الله

قال «ع»: وإنك لعالم بكتاب الله، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه؟ قال: نعم.

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾ أيّ موضع هو[1].

قال ابو حنيفة: هو ما بين مكة والمدينة، فالتفت أبو عبدالله الى جلسائه. وقال:

نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكة والمدينة ولا تأمنون على دمائكم من القتل، وعلى اموالكم من السرق؟

فقالوا: اللهم نعم.

فقال ابو عبد الله: ويحك يا أبا حنيفة! إنّ الله لا يقول الا حقا اخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ اي موضع هو[2]؟ قال: ذلك بيت الله الحرام، فالتفت أبو عبد الله الى جلسائه وقال: نشدتكم بالله هل تعلمون: أنّ عبد الله بن الزبير وسعيدبن جبير دخلاه فلم يأمنا القتل؟

(١) سبأ ١٧.	(٢) آل عمران- ٩٧.

قالوا: اللهم نعم.

فقال أبو عبدالله«ع»: ويحك يا أبا حنيفة! إنّ الله لا يقول الا حقا.

فقال ابو حنيفة: ليس لي علم بكتاب الله، انما انا صاحب قياس.

قال ابو عبدالله: فانظر في قياسك ان كنت مقيسا ايما اعظم عندالله القتل او الزنا؟

قال: بل القتل.

قال: فكيف رضى في القتل بشاهدين، ولم يرض في الزنا الا بأربعة؟ ثم قال له: الصلاة افضل ام الصيام؟ قال: بل الصلاة افضل.

قال«ع» :فيجب على قياس قولك على الحايض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام، وقد اوجب الله تعالى عليها قضاء الصوم دون الصلاة.

قال له«ع»: البول أقذر ام المني؟

قال: البول اقذر.

قال«ع»: يجب على قياسك ان يجب الغسل من البول دون المني، وقد اوجب الله تعالى الغسل من المني دون البول.

قال: انما انا صاحب رأي.

قال«ع»: فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة فدخلا بامرأتيهما في ليلة واحدة ثم سافرا وجعلا امرأتيهما في بيت واحد وولدتا غلامين فسقط البيت عليهم، فقتل المرأتين وبقي الغلامان ايهما في رأيك المالك وايهما المملوك وايهما الوارث وايهما الموروث؟

قال: انما انا صاحب حدود.

قال: فما ترى في رجل اعمى فقأ عين صحيح واقطع قطع يد رجل، كيف يقام عليهما الحد.

قال: إنما أنا رجل عالم بمباعث الأنبياء.

قال: فأخبرني عن قول الله لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: **﴿لعلّه يتذكر أو يخشى﴾** ولعل منك شك؟[1] قال: نعم.

قال. وكذلك من الله شك إذ قال: **«لعله»**؟ قال أبو حنيفة: لا علم لي.

قال«ع»: تزعم أنك تفتي بكتاب الله ولست ممن ورثه، وتزعم أنك صاحب قياس وأول من قاس

(١) طه- ٤٤.

إبليس لعنه‌الله ولم يُبنَ دين الاسلام على القياس، وتزعم أنك صاحب رأي وكان الرأي من رسول‌الله«ص» صواباً، ومن دونه خطأ، لأنَّ الله تعالى قال: ﴿**فاحكم بينهم بما أراك الله**﴾[1] ولم يقل ذلك لغيره ، وتزعم أنك صاحب حدود ، ومن انزلت عليه أولى بعلمها منك وتزعم انك عالم بمباعث الانبياء ، ولخاتم الانبياء أعلم بمباعثهم منك ،ولولا أن يقال : دخل على ابن رسول الله فلم يسأله عن شيء ما سألتك عن شيء ، فقس إن كنت مقيساً .

قال أبو حنيفة: لا أتكلم بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس.

قال: كلا، إنَّ حب الرياسة غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك تمام الخبر.

وعن عيسى بن عبدالله القرشي[2] قال دخل أبو حنيفة على أبي عبدالله«ع» فقال: يا أبا حنيفة قد بلغني أنك تقيس! فقال: نعم.

فقال: لا تقس فإنّ أول من قاس إبليس لعنه الله حين قال: ﴿**خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ فقاس بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار وعرف ما بين النورين، وصفاء أحدهما على الآخر.

وعن الحسن بن محبوب[3] عن سماعة قال: قال أبو حنيفة لأبي عبدالله«ع»: كم بين المشرق والمغرب؟

قال: مسيرة يوم للشمس بل أقل من ذلك، قال: فاستعظمه.

قال: يا عاجز لم تنكر هذا إنَّ الشمس تطلع من المشرق، وتغرب في المغرب في أقل من يوم . تمام الخبر.

عن عبد الكريم بن عتبة الهاشمي[4]: كنت عند أبي عبدالله«ع» بمكة إذ دخل عليه أناس من المعتزلة، فيهم عمروبن عبيد وواصل بن عطاء وحفص‌بن سالم، واناس من رؤسائهم، وذلك أنه حين قتل الوليد، واختلف أهل الشام بينهم، فتكلموا فأكثروا وخطبوا فأطالوا.

فقال لهم أبو عبدالله جعفربن محمد«ع»: إنكم قد أكثرتم عليَّ فأطلتم فأسندوا أمركم إلى رجل منكم، فليتكلم بحجتكم وليوجز.

فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد فأبلغ وأطال، فكان فيما قال أن قال:

---

(١) المائدة- ٥١.

(٢) عيسى بن عبد الله القرشي لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب الرجال.

(٣) قال العلامة في القسم الأول من خلاصته: الحسن بن محبوب السراد ويقال الزراد، يكنى أبا علي مولى بجيله كوفي ثقة عين، روى عن الرضا«ع» وكان جليل القدر يعد في الأركان الأربعة في عصره.

(٤) عبد الكريم بن عتبة قال العلامة في القسم الأول من الخلاصة- بضم العين المهملة والتاء المنقطة فوقها نقطتين، والباء المنقطة تحتها نقطة- الهاشمي من أصحاب أبي الحسن الكاظم«ع» ثقة.

قتل أهل الشام خليفتهم، وضرب الله بعضهم ببعض، وتشتت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروة، ومعدن للخلافة، وهو محمّدبن عبدالله بن الحسن فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه ثم نظهر أمرنا معه، وندعو الناس إليه، فمن بايعه كنا معه وكان منا، ومن اعتزلنا كففنا عنه، ومن نصب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه ونرده إلى الحق وأهله، وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك، فانه لا غنًى بنا عن مثلك، لفضلك ولكثرة شيعتك، فلما فرغ قال أبو عبدالله «ع»: أكلكم على مثل ما قال عمرو؟

قالوا: نعم، فحمدالله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال: إنما نسخط إذا عصي الله فاذا اطيع الله رضينا، أخبرني يا عمرو لو أن الأمة قلدتك أمرها فملكته بغير قتال ولا مؤونة، فقيل لك: «ولّها من شئت» من كنت تولي؟

قال: كنت أجعلها شورى بين المسلمين. **قال**: بين كلهم؟ **قال**: نعم.

فقال: بين فقهائهم وخيارهم؟ **قال**: نعم.

قال: قريش وغيرهم؟ **قال**: العرب والعجم

قال: فأخبرني يا عمرو أتتولى أبا بكر وعمر أو تتبرّأ منهما؟ قال: أتولاهما.

قال: يا عمرو إن كنت رجلاً تتبرأ منهما، فانه يجوز لك الخلاف عليهما وإن كنت تتولاهما فقد خالفتهما، قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور أحداً، ثم ردها أبو بكر عليه ولم يشاور أحداً، ثم جعلها عمر شورى بين ستة. فخرج منها الأنصار غير اولئك الستة من قريش، ثم أوصى الناس فيهم بشيء ما أراك ترضى أنت ولا أصحابك. **قال**: وما صنع؟

قال أمر صهيباً أن يصلّي بالناس ثلاثة، أيام وأن يتشاور اولئك الستة ليس فيهم أحد سواهم الا ابن عمر ويشاورونه وليس له من الأمر شيء، وأوصى من كان بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيام ولم يفرغوا ويبايعوه أن يضرب أعناق الستة جميعاً، وإن اجتمع أربعة قبل أن يمضي ثلاثة أيام وخالف اثنان أن يضرب أعناق الاثنين أفترضون بهذا فيما تجعلون من الشورى في المسلمين؟ **قالوا**: لا.

قال: يا عمرو دع ذا أرأيت لو بايعت صاحبك هذا الذي تدعو إليه، ثم اجتمعت لكم الأمة ولم يختلف عليكم منها رجلان، فأفضيتم إلى المشركين الذين لم يسلموا ولم يؤدوا الجزية، كان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسيرون فيهم بسيرة رسول الله «ص» في المشركين في الجزية؟ **قالوا**: نعم.

قال: فتصنعون ماذا؟ **قالوا**: ندعوهم إلى الاسلام فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية.

قال: فان كانوا مجوساً وأهل كتاب وعبدة النيران والبهائم وليسوا بأهل كتاب؟ **قالوا**: سواء.

قال: فأخبرني عن القرآن أتقرؤونه؟ **قال**: نعم.

قال: اقرأ ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**﴾ قال: فاستثنى الله عز وجل واشترط من الذين اوتوا الكتاب فهم والذين لم يؤتوا الكتاب سواء **قال**: نعم.

قال«ع»: عمن أخذت هذا؟ **قال**: سمعت الناس يقولونه.

قال: فدع ذا فانهم إن أبوا الجزية فقاتلتهم فظهرت عليهم كيف تصنع بالغنيمة؟ **قال**: اخرج الخمس واقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليها.

قال: تقسمه بين جميع من قاتل عليها؟ **قال**: نعم.

قال: فقد خالفت رسول الله في فعله وفي سيرته، وبيني وبينك فقهاء أهل المدينة ومشيختهم، فسلهم فانهم لا يختلفون ولا يتنازعون في أنَّ رسول الله إنما صالح الأعراب على أن يدعهم في ديارهم وأن لا يهاجروا، على أنه إن دهمه من عدوه دهم فيستفزهم فيقاتل بهم، وليس لهم من الغنيمة نصيب، وأنت تقول بين جميعهم، فقد خالفت رسول الله«ص» في سيرته في المشركين. دع ذا ما تقول في الصدقة؟

قال: فقرأ عليه هذه الآية: ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها**. . .﴾ إلى آخرها **قال نعم، فكيف تقسم بينهم؟**

قال: اقسمها على ثمانية أجزاء، فاعطي كلّ جزء من الثمانية جزءاً.

فقال«ع»: إن كان صنف منهم عشرة آلاف وصنف رجلا واحداً أو رجلين أو ثلاثة، جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف؟. **قال**: نعم.

قال: وما تصنع بين صدقات أهل الحضر وأهل البوادي فتجعلهم فيها سواء؟ **قال**: نعم.

قال: فخالفت رسول الله في كل ما أتى به، كان رسول الله يقسم صدقة البوادي في أهل البوادي، وصدقة الحضر في أهل الحضر، ولا يقسم بينهم بالسوية إنما يقسمه قدر ما يحضره منهم، وعلى قدر ما يحضره فان كان في نفسك شيء مما قلت لك فإنَّ فقهاء أهل المدينة ومشيختهم، كلهم لا يختلفون في أنَّ رسول الله كذا كان يصنع، ثم أقبل على عمرو وقال:

إتق الله يا عمرو وأنتم أيضاً الرهط! فاتقوا الله، فإنَّ أبي حدثني وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسوله أنَّ رسول الله«ص» قال: «من ضرب الناس بسيفه، ودعاهم إلى نفسه، وفي المسلمين من هو أعلم منه، فهو ضال متكلف».

وروي عن يونس بن يعقوب[1] قال: كنت عند أبي عبدالله«ع» فورد عليه رجل من أهل الشام

---

(١) قال العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٨٥.
يونس بن يعقوب بن قيس أبو علي الجلاب البجلي الدهني اختلف علماؤنا فيه.
فقال الشيخ الطبرسي رحمه الله: إنه ثقة مولى شهد له وعدّله في عدة مواضع، وقال النجاشي: إنه اختص بأبي عبد الله =

فقال: إنّي رجل صاحب كلام وفقه وفرائض، وقد جئت لمناظرة أصحابك.

فقال له أبو عبدالله: كلامك هذا من كلام رسول الله «ص» أو من عندك؟ **فقال**: من كلام رسول الله بعضه ومن عندي بعضه.

فقال أبو عبد الله: فأنت إذاً شريك رسول الله «ص»؟! **قال**: لا.

قال: فسمعت الوحي من الله تعالى؟ **قال**: لا.

قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله؟ **قال**: لا.

قال: فالتفت إليَّ أبو عبدالله «ع» فقال: يا يونس هذا خصم نفسه قبل أن يتكلم، ثم قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلّمته. قال يونس: فيالها من حسرة. فقلت: جعلت فداك سمعتك تنهى عن الكلام، وتقول: ويل لأصحاب الكلام يقولون: هذا ينقاد وهذا ينساق وهذا لا ينساق وهذا نعقله وهذا لا نعقله!

فقال أبو عبدالله «ع»: إنما قلت ويل لقوم تركوا قولي بالكلام. وذهبوا إلى ما يريدون. ثم قال: اخرج إلى الباب فمن ترى من المتكلمين فأدخله!

قال: فخرجت فوجدت حمر انبن أعين وكان يحسن الكلام، ومحّمد بن نعمان الأحول وكان متكلماً، وهشام بن سالم وقيس الماصر وكانا متكلمين وكان قيس عندي أحسنهم كلاماً، وكان قد تعلّم الكلام من عليٍّ بن الحسين، فأدخلتهم، فلما استقربنا المجلس وكنا في خيمة لأبي عبدالله «ع»، في طرف جبل في طريق الحرم، وذلك قبل الحج بأيام، فأخرج أبو عبدالله رأسه من الخيمة فاذا هو ببعير يخب قال: هشام ورب الكعبة.

قال: وكنا ظننا أنَّ هشاماً رجل من ولد عقيل، وكان شديد المحبة لأبي عبد الله، فاذا هشام بن الحكم، وهو أول ما اختطت لحيته، وليس فينا إلا من هو أكبر منه سناً، فوسع له أبو عبدالله «ع» وقال: «ناصرنا بقلبه ولسانه ويده» ثم قال لحمران: كلم الرجل- يعني: الشامي.

فكلمه حمران وظهر عليه ثم قال: يا طاقي كلمه! فكلّمه فظهر عليه محّمدبن نعمان. ثم قال لهشام ابن سالم: كلّمه! فتعارفا ثم قال لقيس الماصر: كلّمه! وأقبل ابو عبدالله «ع» يتبسم من كلامهما وقد استخذل الشامي في يده ثم قال للشامي: كلّم هذا الغلام! يعني: هشام بن الحكم فقال: نعم.

ثم قال الشامي لهشام: يا غلام سلني في إمامة- هذا يعني: - أبا عبدالله «ع»؟

= وأبي الحسن عليهما السلام وكان يتوكل لأبي الحسن عليه السلام ومات في المدينة قريباً من الرضا عليه السلام فتولى أمره وكان حظيا عندهم موثقاً وكان قد قال بعبدالله ثم رجع. وقال أبو جعفر ابن بابويه إنه فطحي هو وأخوه يوسف

قال الكشي: حدثني حمدويه عن بعض أصحابنا أنَّ يونس بن يعقوب فطحي كوفي مات بالمدينة وكفنه الرضا عليه السلام.

وروى الكشي أحاديث حسنة تدل على صحة عقيدة هذا الرجل والذي أعتمد عليه قبول روايته.

فغضب هشام حتى ارتعد ثم قال له: أخبرني يا هذا أربك أنظر لخلقه، أم خلقه لأنفسهم؟ **فقال الشامي**: بل ربي أنظر لخلقه!

قال: ففعل بنظره لهم في دينهم ماذا؟ **قال**: كلفهم وأقام لهم حجة ودليلا على ما كلفهم به، وأزاح في ذلك عللهم.

فقال له هشام: فما هذا الدليل الذي نصبه لهم؟ **قال الشامي**: هو رسول‌الله«ص».

قال هشام: فبعد رسول الله«ص» من؟ قال الكتاب والسنة.

فقال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة فيما اختلفنا فيه، حتى رفع عنا الاختلاف، ومكننا من الاتفاق؟ **فقال الشامي**: نعم.

قال هشام: فلِمَ اختلفنا نحن وأنت، جئتنا من الشام تخالفنا، وتزعم أنَّ الرأي طريق الدين، وأنت مقر بأنَّ الرأي لا يجمع على القول الواحد المختلفين؟

فسكت الشامي كالمفكر. فقال أبو عبدالله«ع»: مالك لا تتكلم؟

قال: إن قلت: إنا ما اختلفنا كابرت، وإن قلت: إنَّ الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت، لأنهما يحتملان الوجوه، ولكن لي عليه مثل ذلك.

فقال له أبو عبدالله : سله تجده ملياً! **فقال الشامي لهشام**: من أنظر للخلق ربهم أم أنفسهم؟ **فقال**: بل ربهم أنظر لهم.

فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ويرفع اختلافهم ويبين لهم حقهم من باطلهم؟ **فقال هشام**: نعم.

قال الشامي: من هو؟ **قال هشام**: أما في ابتداء الشريعة فرسول الله«ص»، وأما بعد النبي فعترته.

قال الشامي: من هو عترة النبي القائم مقامه في حجته؟ **قال هشام**: في وقتنا هذا أم قبله؟

قال الشامي: بل في وقتنا هذا. **قال هشام**: هذا الجالس يعني: أبا عبدالله«ع» الذي تشد إليه الرحال ويخبرنا بأخبار السماء وراثة عن جده.

قال الشامي: وكيف لي بعلم ذلك؟ **فقال هشام**: سله عما بدا لك.

قال الشامي: قطعت عذري، فعليَّ السؤال. فقال أبو عبدالله«ع»: أنا أكفيك المسألة يا شامي: اخبرك عن مسيرك وسفرك، خرجت يوم كذا، وكان طريقك كذا، ومررت على كذا، ومر بك كذا، فأقبل الشامي كلما وصف له شيئاً من أمره يقول: «صدقت والله» فقال الشامي: أسلمت لله الساعة!

فقال له أبو عبدالله«ع»: بل آمنت بالله الساعة، إنَّ الاسلام قبل الايمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والايمان عليه يثابون. قال: صدقت، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محّمداً رسول الله، وأنك وصي الأنبياء.

قال: فأقبل أبو عبد الله«ع» على حمران فقال: يا حمران تجري الكلام على الأثر فتصيب فالتفت إلى هشام بن سالم فقال: تريد الأثر ولا تعرف! ثم التفت إلى الأحول فقال: قياس رواغ، تكسر باطلا بباطل. إلا أنَّ باطلك أظهر ثم التفت إلى قيس الماصر فقال: تكلم وأقرب ما يكون من الخبر عن الرسول«ص» أبعد ما تكون منه تمزج الحق بالباطل، وقليل الحق يكفي من كثير الباطل أنت والأحول قفازان حاذقان.

قال يونس بن يعقوب: فظننت والله أنه يقول لهشام، قريباً مما قال لهما. فقال: يا هشام لا تكاد تقع تلوي رجليك إذ هممت بالأرض طرت، مثلك فليكلم الناس اتق الزلة، والشفاعة من ورائك.

وعن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبدالله«ع» جماعة من أصحابه فيهم حمران بن أعين ومؤمن الطاق وهشام بن سالم والطيار وجماعة من أصحابه، فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال أبو عبدالله: يا هشام! قال: لبيك يا ابن رسول الله!

قال: ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ قال هشام: جعلت فداك يا ابن رسول‌الله، إنِّي اجلك واستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك.

فقال أبو عبدالله«ع»: إذا أمرتكم بشيء فافعلوه!

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، وعظم ذلك عليَّ فخرجت إليه، ودخلت البصرة يوم الجمعة وأتيت مسجد البصرة فاذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء مؤتزر بها من صوف وشملة مرتدٍ بها، والناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت:

أيها العالم أنا رجل غريب، أتأذن لي فأسألك عن مسألة؟ قال: اسأل! **قلت له**: ألك عين؟ قال: يا بني أي شيء هذا من السؤال، إذاً كيف تسأل عنه؟ فقلت: هذا مسألتي. **فقال**: يا بني! سل وإن كانت مسألتك، حمقى. قلت: أجبني فيها، **قال**: فقال لي: سل! **فقلت**: ألك عين؟ **قال**: نعم.

قال: قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص. قال: قلت: ألك أنف؟ **قال**: نعم.

قال: قلت: فما تصنع به؟ **قال**: أشم به الرائحة.

قال: قلت: الك لسان؟ **قال**: نعم. **قلت**: فما تصنع به؟ **قال**: أتكلم به.

قال: قلت: ألك أُذن؟ **قال**: نعم. **قلت**: فما تصنع بها؟ **قال**: أسمع بها الأصوات.

قال: قلت: ألك يدان؟ **قال**: نعم. **قلت**: فما تصنع بهما؟ **قال**: أبطش بهما، وأعرف بهما الليّن من الخشن.

قال: قلت: **ألك** رجلان؟ **قال**: نعم. **قال**: قلت: فما تصنع بهما؟ قال: انتقل بهما من مكان إلى مكان.

قال: قلت: ألك فم؟ **قال**: **نعم**. قال: قلت: فما تصنع به؟ **قال**: أعرف به المطاعم والمشارب على اختلافها.

قال: **قلت**: ألك قلب؟ **قال**: نعم

قال: قلت: فما تصنع به؟ **قال**: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح.

قال: قلت: أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ **قال**: لا.

قلت: وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة؟

قال: يا بني إنَّ الجوارح إذا شكت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته ردته إلى القلب، فتيقن بها اليقين وأبطل الشك.

قال: فقلت: فانما أقام الله عز وجل القلب لشك الجوارح؟ **قال**: نعم.

قلت: لا بد من القلب والالم يستيقن الجوارح. **قال**: نعم.

قلت: يا أبا مروان! إنَّ الله تبارك وتعالى لم يترك جوارحكم حتى جعل لها إماماً، يصحح لها الصحيح وينفي ما شكت فيه، ويترك هذا الخلق كله في حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم، وحيرتهم ويقيم لك إماماً لجوارحك، ترد إليه حيرتك وشكك؟؟!!

قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً. قال: ثم التفت إليَّ. فقال لي: أنت هشام؟ **قال**: قلت: لا. فقال لي: أجالسته؟ **فقلت**: لا

قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة.

قال: فأنت إذاً هو. ثم ضمني إليه وأقعدني في مجلسه وما نطق حتى قمت، فضحك أبوعبدالله، ثم قال: يا هشام من علمك هذا؟

قلت: يا ابن رسول الله جرى على لساني. **قال**: يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى.

وبالاسناد المقدم ذكره عن الصادق«ع» أنه قال: قوله عز وجل: **﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾**

يقول: أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك والمبلِّغ إلى جنتك من أن نتبع أهواءنا فنعطب، ونأخذ بآرائنا فنهلك، فإنَّ من اتبع هوا ه واعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء الناس تعظمه وتصفه، فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني لأنظر مقداره ومحله، فرأيته في موضع قد أحدقوا به جماعة من غثاء العامة فوقفت منتبذاً عنهم متغشياً بلثام أنظر إليه وإليهم، فما زال يراوغهم حتى خالف طريقهم وفارقهم، ولم يقر. فتفرقت جماعة العامة عنه لحوائجهم.

وتبعته أقتفي أثره فلم يلبث أن مر بخباز فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة، فتعجبت منه ثم قلت في نفسي: لعله معامله، ثم مر بعده بصاحب رمان فما زال به حتى تغفله فأخذ من عنده رمانتين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معامله ثم أقول وما حاجته إذاً إلى المسارقة، ثم لم أزل أتبعه حتى مرّ بمريض، فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه، ومضى وتبعته حتى استقر في بقعة من صحراء، فقلت له:

يا أبا عبدالله لقد سمعت بك وأحببت لقاءك، فلقيتك لكني رأيت منك ما شغل قلبي، وإنِّي سائلك عنه ليزول به شغل قلبي. قال: ما هو؟

قلت: رأيتك مررت بخباز وسرقت منه رغيفين، ثم بصاحب الرمان فسرقت منه رمانتين. **فقال** لي: قبل كل شيء حدثني من أنت؟ قلت: رجل من ولد آدم من أُمة محّمد«ص» **قال**: حدثني ممن أنت؟ قلت: رجل من أهل بيت رسول الله. قال: أين بلدك؟ **قلت**: المدينة.

قال: لعلك جعفربن محّمدبن عليبن الحسينبن عليبن أبي طالب«ع»؟ قلت: بلى.

قال لي: فما ينفعك شرف أصلك مع جهلك بما شرفت به وتركك علم جدك وأبيك، لأنه لا ينكر ما يجب أن يحمد ويمدح فاعله.

قلت: وما هو؟ **قال**: القرآن كتاب الله. قلت: وما الذي جهلت؟

قال: قول‌الله عز وجل: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾** وإنِّي لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين، فهذه اربع سيئات، فلما تصدقت بكل واحد منها كانت أربعين حسنة أنقص من أربعين حسنة أربع سيئات، بقي ست وثلاثون.

قلت: ثكلتك امك! أنت الجاهل بكتاب الله! أما سمعت قول الله عز وجل: **﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾**[1] إنك لما سرقت رغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين، ولما دفعتها إلى غيرها من غير رضا صاحبها كنت إنما أضفت أربع سيئات إلى أربع سيئات، ولم تضف أربعين حسنة إلى أربع سيئات، فجعل يلاحيني فانصرفت وتركته.

---

(١) المائدة- ٢٧.

وبالاسناد الذي تقدم: عن أبي محّمد الحسن بن علي العسكري«ع» أنه قال: قال بعض المخالفين بحضرة الصادق«ع» لرجل من الشيعة: ما تقول في العشرة من الصحابة؟

قال: أقول فيهم القول الجميل الذي يحط الله به سيئاتي، ويرفع به درجاتي.

قال السائل: الحمدلله على ما أنقذني من بغضك، كنت أظنك رافضياً تبغض الصحابة. فقال الرجل: ألا من أبغض واحداً من الصحابة فعليه لعنة الله.

قال: لعلك تتأول ما تقول، فمن أبغض العشرة من الصحابة؟

فقال: من أبغض العشرة من الصحابة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فوثب فقبل رأسه فقال: اجعلني في حل مما قذفتك به من الرفض قبل اليوم.

قال: أنت في حلّ وأنت أخي ثم انصرف السائل فقال له الصادق«ع»: جودتلله درك! لقا عجبت الملائكة من حسن توريتك وتلفظك بما خلصك ولم تثلم دينك، زاد الله في قلوب مخالفينا غماً إلى غم وحجب عنهم مراد منتحلي مودتنا في تقيتهم.

فقال أصحاب الصادق«ع»: يا أبن رسول الله«ص» ما عقلنا من كلام هذا الا موافقته لهذا المتعنت الناصب.

فقال الصادق«ع»: لئن كنتم لم تفهموا ما عنى فقد فهمنا نحن، فقد شكره الله له، إنّ ولينا الموالي لأوليائنا المعادي لأعدائنا اذا ابتلاه الله بمن يمتحنه من مخالفيه، وفقه لجواب يسلم معه دينه وعرضه، ويعظم الله بالتقية ثوابه إنَّ صاحبكم هذا قال:

من عاب واحداً منهم فعليه لعنة الله أي: من عاب واحداً منهم، هو: امير المؤمنين عليّ بن أبي طالب«ع».

وقال في الثانية: من عابهم وشتمهم فعليه لعنة الله، وقد صدق لأنَّ من عابهم فقد عاب علياً«ع» لأنه أحدهم، فاذا لم يعب علياً ولم يذمه فلم يعبهم جميعاً وإنما عاب بعضهم، ولقد كان لحزقيل المؤمن مع قوم فرعون الذين وشوا به إلى فرعون مثل هذه التورية كان حزقيل يدعوهم إلى توحيد الله ونبوة موسى، وتفضيل محّمد رسول الله«ص» على جميع رسل الله وخلقه، وتفضيل عليّ بن أبي طالب«ع» والخيار من الأئمة على سائر أوصياء النبيين، وإلى البراءة من فرعون، فوشى به واشون إلى فرعون وقالوا إنَّ حزقيل يدعو إلى مخالفتك، ويعين اعداءك على مضادتك.

فقال لهم فرعون: ابن عمي وخليفتي في ملكي وولي عهدي إن كان قد فعل ما قلتم فقد استحق العذاب على كفره نعمتي، وإن كنتم عليه كاذبين فقد استحققتم أشد العذاب لا يثاركم الدخول في مساءته، فجاء بحزقيل وجاء بهم فكاشفوه وقالوا: أنت تجحد ربوبية فرعون الملك وتكفر نعماءه.

فقال حزقيل: أيها الملك هل جربت عليَّ كذبا قط. قال: لا.

قال: فسلهم من ربهم؟ **قالوا**: فرعون. **قال**: ومن خلقكم؟ **قالوا**: فرعون هذا.

قال: ومن رازقكم الكافل لمعايشكم، والدافع عنكم مكارهكم؟ **قالوا**: فرعون هذا.

قال حزقيل: أيها الملك فاشهدك وكل من حضرك: أنَّ ربهم هو ربي، وخالقهم هو خالقي، ورازقهم هو رازقي، ومصلح معايشهم هو مصلح معايشي، لا ربَّ لي ولا خالق غير ربهم وخالقهم ورازقهم، واشهدك ومن حضرك: أنَّ كل ربٍّ وخالق سوى ربهم وخالقهم ورازقهم فأنا بريء منه ومن ربوبيته وكافر بإلٰهيته.

يقول حزقيل هذا وهو يعني: أنَّ ربهم هو الله ربي ولم يقل إنَّ الذي قالوا: هم أنه ربهم هو ربي، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره، وتوهموا أنه يقول: فرعون ربي وخالقي ورازقي.

فقال لهم: يا رجال السوء ويا طلاب الفساد في ملكي: ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمي وهو عضدي، أنتم المستحقون لعذابي، لإرادتكم فساد أمري وهلاك ابن عمي والفتّ في عضدي ثم أمر بالأوتاد فجعل في ساق كل واحد منهم وتد وفي صدره وتد، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقوا بها لحومهم من أبدانهم، فذلك ما قال الله تعالى: ﴿**فوقيه الله سيئات ما مكروا**﴾[1] لما وشوا به إلى فرعون ليهلكوه وحاق بآل فرعون سوء العذاب، وهم الذين وشوا بحزقيل إليه لما أوتد فيهم الأوتاد، ومشط عن أبدانهم لحومها بالأمشاط.

ومثل هذه التورية قد كانت لأبي عبدالله «ع» في مواضع كثيرة.

فمن ذلك ما رواه معاوية بن وهب[2] عن سعيد بن سمان[3] قال: كنت عند أبي عبدالله إذ دخل عليه رجلان من الزيدية، فقالا له: أفيكم إمام مفترض طاعته؟ **قال**: فقال: لا.

فقالا له: قد أخبرنا عنك الثقاة أنك تقول به، وسموا أقواماً وقالوا: هم أصحاب ورع وتشمير، وهم ممن لا يكذب، فغضب أبو عبد الله «ع» وقال: ما أمرتهم بهذا، فلما رأيا الغضب في وجهه خرجا.

فقال لي: أتعرف هذين؟ **قلت**: هما من أهل سوقنا وهما من الزيدية، وهما يزعمان: أنَّ سيف رسول الله عند عبدالله بن الحسن.

فقال: كذبا لعنهما الله، وهو ما رآه عبدالله بن الحسن بعينيه، ولا بواحدة من عينيه. ولا رآه أبوه اللهم الا أن يكون رآه عند عليّ بن الحسين «ع»، فان كانا صادقين فما علامة في مقبضه؟ وما أثر في موضع مضربه؟

---

(١) غافر- ٤٥.

(٢) عده الشيخ في أصحاب الصادق «ع» ص ٣١٠ من رجاله وذكره العلامة في القسم الأول من خلاصته فقال: «معاوية بن وهب البجلي، أبو الحسن عربي صميم ثقة صحيح، حسن الطريق، روى عن ابي عبد الله وابي الحسن «ع».

(٣) سعيد بن عبد الرحمن وقيل: ابن عبد الله الأعرج السمان أبو عبد الله التيمي مولاهم كوفي ثقة، روى عن أبي عبد الله «ع»، ذكره ابن عقدة وابن نوح له كتاب يرويه عن جماعة.. رجال النجاشي ص ١٣٧.

وإنَّ عندي لسيف رسول الله ، وإنَّ عندي لراية رسول الله «ص» ودرعه ولامته ومغفره فان كانا صادقين فما علامة من درع رسول الله «ص» ؟ وان عندي لراية رسول الله «ص» المغلبة ، وإنَّ عندي ألواح موسى وعصاه ، وإنَّ عندي لخاتم سليمان بن داوود وإنَّ عندي الطست الذي كان موسى يقرب بها القربان ، وإنَّ عندي الاسم الذي كان رسول الله إذا وضعه بين المسلمين والمشركين ، لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشابة .

وإنَّ عندي لمثل التابوت الذي جاءت به الملائكة، ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل، كانت بنو إسرائيل في أي أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أوتوا النبوة، ومن صار إليه السلاح منا اوتى الإمامة، ولقد لبس أبي درع رسول‌الله«ص» فخطت على الأرض خططـا، ولبستها أنا وكانت تخط على الأرض- يعني: طويلة- مثل ما كانت على أبي، وقائمنا من إذا لبسها ملأها إنشاء الله تعالى:

وكان الصادق«ع» يقول: علمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب ونقر في الأمساع، وإنّ عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة«ع»، وعندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج إليه الناس.

فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال: أما الغابر: فالعلم بما يكون، والمزبور: فالعلم بما كان، وأما النكت في القلوب: فهو الإلهام، والنقر في الأسماع: فحديث الملائكة، نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم، وأما الجفر الأحمر: فوعاء فيه توراة موسى، وإنجيل عيسى وزبور داوود، وكتب الله. وأما مصحف فاطمة: ففيه ما يكون من حادث، وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة.

وأما الجامعة: فهو: كتاب طوله سبعون ذراعاً، إملاء رسول الله من فلق فيه وخط عليّ‌بن أبي طالب«ع» بيده، فيه والله جميع ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة، حتى أنَّ فيه أرش الخدش، والجلدة ونصف الجلدة.

ولقد كان زيد بن عليٍّ بن الحسين[1] يطمع أن يوصي إليه أخوه الباقر«ع» ويقيمه مقامه في الخلافة

---

(١) قال السيد عبد الرزاق المقرم في كتابه «زيد الشهيد» ص ٤٣: قال المحدث النوري في رجال مستدرك الوسائل: «إنَّ زيدبن علي جليل القدر، عظيم الشأن كبير المنزلة. وأما ما ورد مما يوهم خلاف ذلك مطروح أو محمول على التقية.

وقال الشيخ المفيد في الارشاد ص ٢٥١: كان زيد بن علي بن الحسين«ع» عين اخوته بعد أبي جعفر«ع»، وأفضلهم وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأخذ بثأر الحسين«ع». وفي عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٤٨ بسنده عن محمد بن يزيد النحوي عن ابن أبي عبدون عن أبيه قال: لما حمل زيدبن موسى‌بن جعفر إلى المأمون- وكان قد خرج بالبصرة وأحرق دور بني العباس- وهب المأمون جرمه لأخيه علي‌بن موسى الرضا«ع» وقال: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل، لقد خرج من قبله زيد بن علي فقتل ولولا مكانك لقتلته فليس ما أتاه بصغير فقال الرضا (ع): لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن عليّ فانه كان من علماء آل محمد صلّى الله عليه وآله غضب لله عز وجل فجاهد اعداءه حتى قتل في سبيله، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر أنه سمع أباه جعفر بن محمد يقول: رحم الله عمي زيداً إنه دعا إلى الرضا من آل محمد ولوظفر لو فى بما دعا إليه، ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عمي إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك فلما ولى قال جعفربن محمد: ويل لمن سمع داعيته فلم يجبه، فقال المأمون يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادعى الامامة بغير حقها ما جاء؟ =

بعده، مثل ما كان يطمع في ذلك محّمدبن الحنفية بعد وفاة أخيه الحسين صلوات الله عليه، حتى رأى من ابن أخيه زين العابدين« ع » من المعجزة الدالة على إمامته ما رأى ، وقد تقدم ذكره في هذا الكتاب، فكذلك زيدرجاأن يكون القائم مقام أخيه الباقر صلوات الله عليه، حتى سمع ما سمع من أخيه ورأى ما رأى من ابن أخيه أبي عبدالله الصادق«ع».

فمن ذلك: ما رواه صدقة بن أبي موسى، عن أبي بصير قال: لما حضر أبا جعفر محّمد بن عليّ«ع» الوفاة، دعا بابنه الصادق«ع» ليعهد إليه عهداً، فقال له أخوه زيد بن علي:

لما امتثلت في مثال الحسن والحسين«ع» رجوت أن لا تكون أتيت منكراً.

فقال له الباقر«ع»: يا أبا الحسين إنّ الأمانات ليست بالمثال، ولا العهود بالرسوم، إنما هي امور سابقة عن حجج الله تبارك وتعالى، ثم دعا بجابربن عبد الله الأنصاري فقال: يا جابر حدثنا بما عاينت من الصحيفة؟

فقال له: نعم يا أبا جعفر، دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله«ص» لأهنيها بولادة الحسن«ع»، فاذا بيدها صحيفة بيضاء من درة، فقلت يا سيدة النسوان ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ **قالت**: فيها أسماء ائمة من ولدي.

قلت لها: ناوليني لأنظر فيها! **قالت**: يا جابر لولا النهي لكنت أفعل، ولكنّه قد نهي أن يمسها الا نبي أو وصي نبي، أو أهل بيت نبي، ولكنّه مأذون لك أن تنظر إلى باطنها من ظاهرها.

قال جابر: فقرأت فاذا فيها: أبو القاسم محّمدبن عبدالله المصطفى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، امه آمنة.

أبو الحسن عليّ بن أبي طالب«ع» المرتضى، امه فاطمة بنت أسدبن هاشم بن عبد مناف.

أبو محّمد الحسن بن عليّ البر التقي، أبو عبدالله الحسين بن عليّ أمهما فاطمة بنت محّمد.

أبو محّمد عليّ بن الحسين العدل، امه شهر بانويه بنت يزدجردبن شهريار.

= فقال الرضا «ع»: إنّ زيدبن علي لم يدع ما ليس له بحق وإنه كان أتقى لله من ذاك إنه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وإنما جاءَ فيمن يدعي أنَّالله نص عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم. وكان زيدبن علي والله ممن خوطب بهذه الآية: **﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم﴾**.

وروى الكليني في روضة الكافي ص ٢٦٤ مسنداً عن الصادق«ع» أن قال: لا تقولوا: خرج زيد فان زيداً كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، إنما دعا إلى الرضا من آل محمد«ص» ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه، إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه.

وفي إرشاد المفيد «ره» ص ٢٥٢ قال: ولما قتل بلغ ذلك من أبي عبدالله الصادق«ع» كل مبلغ وحزن له حزناً عظيماً حتى بان عليه وفرق من ماله في عيال من اصيب معه من أصحابه ألف دينار وروى ذلك أبو خالد الواسطي قال: سلم إليّ أبو عبد الله«ع»، الف دينار وأمرني أن اقسمها في عيال من اصيب مع زيد فأصاب عيال عبد اللهبن الزبير أخي فضيل الرسان منها أربعة دنانير وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة وكانت سنه يومئذ اثنين وأربعين سنة.

أبو جعفر محّمد بن علي الباقر، اُمه اُم عبدالله بنت الحسن‌بن عليّ‌بن أبي طالب.

أبو عبدالله جعفر بن محّمد الصادق، اُمه: «اُم فروة» بنت‌القاسم‌بن محّمد ابن أبي بكر.

أبو إبراهيم موسى‌بن جعفر الثقة، اُمه جارية اسمها «حميدة» المصفاة.

أبو الحسن عليّ‌بن موسى الرضا، آمه جارية اسمها: «نجمة».

أبو جعفر محّمدبن عليّ الزكي امه جارية اسمها: «خيزران».

أبو الحسن عليّ بن محّمد الأمين، أمه جارية اسمها: «سوسن».

أبو محّمد الحسن‌بن عليّ الرضي، اُمه جارية اسمها: «سمانة» تكنى آم الحسن.

أبو القاسم محّمد بن الحسن وهوالحجةالقائم، اُمه جارية اسمها: «نرجس» صلوات الله عليهم أجمعين.

وعن زرارةبن أعين قال: قال لي زيدبن عليّ وأنا عند أبي عبدالله«ع»: يا فتى ما تقول في رجل من آل محّمد استنصرك؟

قال: قلت: إن كان مفروض الطاعة فلي أن أفعل ولي أن لا أفعل.

فلما خرج قال أبو عبدالله: أخذته والله من بين يديه ومن خلفه وما تركت له مخرجاً.

وقيل للصادق«ع»: ما يزال يخرج رجل منكم أهل البيت فيقتل ويقتل معه بشر كثير فأطرق طويلا ثم قال: إنّ فيهم الكذابين وفي غيرهم المكذبين.

وروي عنه صلوات الله عليه أنه قال: ليس منا أحد الا وله عدو من أهل بيته فقيل له: بنو الحسن لا يعرفون لمن الحق؟

قال: بلى، ولكن يحملهم الحسد.

عن أبي يعقوب[1] قال: لقيت أنا ومعلى‌بن خنيس[2] الحسن‌بن الحسن بن عليّ‌بن أبي طالب«ع»

---

(١) عده الشيخ الطرسي «ره» في رجاله ص ٣٣٩ من أصحاب الامام جعفربن محمد الصادق«ع» فقال: «أبو يعقوب: الأسدي إمام بني الصيد الكوفي».

(٢) المعلى بن خنيس ذكره الشيخ‌الطوسي«ره» في عداد أصحاب الصادق«ع» ص ٣٢٠ من رجاله وذكره العلامة في القسم الثاني من خلاصته ص ٢٥٩ فقال: معلى‌بن خنيس- بضم الخاء المعجمة وفتح النون والسين المهملة بعد الياء المنقطة تحتها نقطتين- أبو عبد الله مولى الصادق جعفربن محمد«ع»، ومن قبله كان مولى بني أسد، كوفي. قال النجاشي: إنه بزاز بالزاي قبل الألف وبعدها وهو ضعيف جداً وقال: الغضايري إنه كان أول أمره مغيرياً ثم دعا إلى محمدبن عبدالله المعروف بالنفس الزكية، وفي هذه الظنة أخذه داوود بن علي فقتله، والغلاة يضيفون إليه كثيراً. قال: ولا أرى الاعتماد على شيء من حديثه. وروى فيه أحاديث تقتضي الذم واخرى تقتضي المدح، وقد ذكرناها في الكتاب الكبير. وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي :- في الغيبة بغير إسناد- إنه كان من قوام أبي عبد الله«ع» وكان محموداً عنده ومضى على منهاجه، وهذا يقتضي وصفه بالعدالة.

أقول: يريد بقوله كان مغيرياً أي: من أصحاب المغيرة بن سعيد مولى بجيله الذي لعنه الامام الصادق«ع» مراراً.

فقال: يا يهودي فأخبرنا بما قال فينا جعفر بن محمد«ع» **فقال**: هو والله أولى باليهودية منكما إنّ اليهودي من شرب الخمر.

وبهذا الاسناد قال: سمعت أبا عبدالله يقول: لو توفي الحسن بن الحسن على الزنا والربا وشرب الخمر، كان خيراً له مما توفي عليه.

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله«ع» عن هذه الآية: ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾[٣] قال أي شيء تقول؟ قلت: إنّي أقول إنها خاصة لولد فاطمة.

فقال«ع»: أما من سل سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم فليس بداخل في الآية.

قلت: من يدخل فيها **قال**: الظالم لنفسه الذي لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى، والمقتصد منا أهل البيت: هو العارف حق الامام، والسابق بالخيرات: هو الامام.

عن محّمد بن أبي عمير الكوفي[١] عن عبدالله بن الوليد السمان[٢] قال: قال أبو عبدالله«ع»: ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم امير المؤمنين«ع»؟ **قال**: قلت: ما يقدمون على اولي العزم أحداً.

قال: فقال أبو عبدالله«ع»: إنَّ الله تبارك وتعالى قال لموسى: ﴿**وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة**﴾[٣] ولم يقل كل شيء موعظة. وقال لعيسى: ﴿**وليبين لكم بعض الذي تختلفون فيه**﴾[٤] ولم يقل كل شيء وقال لصاحبكم امير المؤمنين«ع»: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾[٥] وقال الله عز وجل: ﴿**ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾[٦] وعلم هذا الكتاب عنده.

---

(١) محمدبن أبي عمير، وأسم أبي عمير: زياد بن عيسى ويكني: أبا محمد مولى الأزد. من موالي المهلب بن أبي صفرة. وقيل: من موالي بني أمية. والأول أصح، بغدادي الأصل والمقام، لقي أبا الحسن موسى«ع» وسمع منه أحاديث كناه في بعضها فقال: يا أبا أحمد.

وروى عن الرضا«ع». كان جليل القدر عظيم المنزلة عندنا وعند المخالفين. قال الكشي: إنه ممن جمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عنه وأقروا له بالفقه والعلم. وقال الشيخ الطوسي «ره»: إنه كان أوثق الناس عند الخاصة والعامة، وأنسكهم نسكاً وأزهدهم وأعبدهم. أدرك من الأئمة ثلاثة: أبا إبراهيم موسى بن جعفر«ع» ولم يرو عنه وروى عن أبي الحسن الرضا«ع» قال أبو عمرو الكشي: قال محمدبن مسعود: حدثني عليبن الحسين قال: ابن أبي عمير أفقه من يونس بن عبد الرحمن وأصلح وأفضل وله حكاية ذكرناها في كتابنا الكبير، مات رحمه الله سنة سبع عشر ومائتين.

القسم الأول من خلاصة العلامة ص ١٤١

(٢) خلاصة العلامة ص ١١٦:
عبد الله بن الوليد السمان، بالسين المهملة والنون أخيراً ـ النخعي مولى كوفي روى عن أبي عبد الله«ع» ثقة.
(٣) الأعراف ـ ١٤٥.
(٤) الزخرف ـ ٦٣
(٥) الرعد ـ ٤٣.
(٦) الأنعام ـ ٥٩

وعن عبدالله بن الفضل الهاشمي[١] قال: سمعت الصادق«ع» يقول: إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كل مبطل، قلت له: ولِمَ جعلت فداك؟

قال: الأمر لا يؤذن لي في كشفه لكم. **قلت:** فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة في غيبته، وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إنَّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف الا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى«ع» إلى وقت افتراقهما. يا ابن الفضل إنَّ هذا الأمر أمر من الله وسر من سرالله وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدقنا بأنّ أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف.

وعن عليّ بن الحكم[٢] عن أبان قال: أخبرني الأحول أبو جعفر محّمد بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق: أنَّ زيد بن عليّ بن الحسين بعث إليه وهو مختف قال: فأتيته فقال لي: يا أبا جعفر ما تقول إن طرقك طارق منا أتخرج معه؟

قال: قلت له: إن كان أبوك أو أخوك خرجت معه.

قال: فقال لي: فأنا اريد أن أخرج واجاهد هؤلاء القوم فاخرج معي! **قال:** قلت: لا أفعل جعلت فداك!

قال: فقال لي: أترغب بنفسك عني؟ **قال:** فقلت له: إنما هي نفس واحدة، فان كان لله تعالى في الأرض حجة فالمتخلف عنك ناج والخارج معك هالك، وإن لم يكن لله في الأرض حجة فالمتخلف عنك والخارج معك سواء.

قال: فقال لي: يا أبا جعفر كنت أجلس مع أبي على الخوان، فيلقمني اللقمة السمينة، ويبرد لي اللقمة الحارة حتى تبرد شفقة عليَّ، ولم يشفق عليَّ من حر النار إذ أخبرك بالدين ولم يخبرني به.

قال: قلت له: من شفقته عليك من حر النار لم يخبرك، خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النار وأخبرني، فان قبلته نجوت وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار ثم قلت له:

جعلت فداك أنتم أفضل أم الأنبياء؟ قال: بل الأنبياء.

قلت: يقول يعقوب ليوسف: **﴿يا بنيَّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً﴾**[٣] لِمَ لم يخبرهم حتى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمه، وكذا أبوك كتمك لأنه خاف عليك.

---

(١) عده الشيخ الطوسي في أصحاب الصادق عليه السلام ص ٢٢٢ من رجاله.

(٢) عليّ بن الحكم من أهل الأنبار. قال الكشي: عن حمدويه عن محمد بن عيسى أن علي بن الحكم هو ابن اخت داوود بن النعمان بياع الأنماط وهو نسيب بني الزبير الصيارفة، وعلي بن الحكم تلميذ ابن أبي عمير، ولقي من أصحاب أبي عبد الله الكثير وهو مثل ابن فضال وابن بكير.

(٣) يوسف ـ ٥.

قال: فقال: أما والله لئن قلت ذلك فقد حدثني صاحبك بالمدينة أنّي اقتل واصلب بالكناسة، وإنَّ عنده لصحيفة فيها قتلي وصلبي.

قال: فحججت وحدثت أبا عبد الله «ع» بمقالة زيد وما قلت له فقال لي: أخذته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه، ولم تترك له مسلكاً يسلكه.

وعن هشام بن الحكم قال: اجتمع ابن أبي العوجاء وأبو شاكر الديصاني الزنديق وعبد الملك البصري وابن المقفع عند بيت الله الحرام، يستهزءون بالحاج ويطعنون بالقرآن.

فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن وميعادنا من قابل في هذا الموضع، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله، فإنّ في نقض القرآن إبطال نبوة محّمد، وفي إبطال نبوته إبطال الاسلام وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا، فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام فقال ابن أبي العوجاء:

أما أنا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية: **﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا﴾**[١] فما أقدر أن أضم إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً، فشغلتني هذه الآية عن التفكر فيما سواها.

فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية **﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إنَّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾**[٢] ولم أقدر على الاتيان بمثلها.

فقال أبو شاكر: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: **﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا﴾**[٣] لم أقدر على الاتيان بمثلها.

فقال ابن المقفع: يا قوم إنَّ هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: **﴿وقيل يا أرض ابلعي مائك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾**[٤] لم أبلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الاتيان بمثلها.

قال هشام بن الحكم: فبينما هم في ذلك. إذ مر بهم جعفر بن محّمد الصادق «ع» فقال: **﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾**[٥] فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كان للاسلام حقيقة لما انتهت أمر وصية محّمد الا إلى جعفر بن محّمد، والله ما رأيناه قط الا هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرين بالعجز.

---

(١) يوسف- ٨٠.
(٢) الحج- ٧٣.
(٣) الأنبياء- ٢٤.
(٤) هود- ٤٤.
(٥) الاسراء- ٨٨.

ولهذا الأمر قال محّمدبن أبي بكر في خبر عجيب شعراً[١]:

تجملت تبغلت وان عشت تفيلت   لك التسع من الثمن وبالكلٍّ تملكت

وعن احمدبن عبدالله البرقي[٢] عن ابيه[٣] عن شريك بن عبدالله[٤] عن الأعمش قال: اجتمعت الشيعة والمحكمة عند أبي نعيم النخعي بالكوفة[٥] وأبو جعفر محّمدبن النعمان مؤمن الطاق حاضر، فقال ابن أبي حذرة:

أنا اقرر معكم أيتها الشيعة أنّ أبا بكر أفضل من عليّ ومن جميع أصحاب النبي بأربع خصال لا يقدر على دفعها أحد من الناس: هو ثان مع رسول الله في بيته مدفون ، وهو ثاني اثنين معه في الغار، وهو ثاني اثنين صلّى بالناس آخر صلاة قبض بعده رسول الله«ص»، وهو ثاني اثنين الصديق من هذه الامة.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق رحمةالله عليه: يا ابن أبي حذرة وأنا اقرر معك أنّ علياً أفضل من أبي بكر وجميع أصحاب النبي«ص» من ثلاث جهات: من القرآن وصفاً، ومن خبر الرسول نصاً، ومن حجة العقل اعتباراً، ووقع الاتفاق على إبراهيم النخعي وعلى أبي إسحاق السبيعي، وعلى سليمان بن مهران الأعمش.

---

(١) تجملت في حرب البصرة، اي ركبت الجمل وخرجت لحرب علي عليه السلام وتبغلت حين جاءوا بجنازة الامام الحسن المجتبىعليه السلام لزيارة قبر جده فخرجت راكبة على بغلة يقودها مروان وهي تنادي: لا تدخلوا بيتي من لا احب، وقال مروان: أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع جده رسول الله، لا كان ذلك أبدا والبيت لابن عباس خاطبها به ذلك اليوم وليس لمحمدبن أبي بكر. بل إن محمداً لم يدرك ذلك اليوم وقتل في عهد امير المؤمنين وقد مرت ترجمته، ولا اعرف موضع البيت هنا.

(٢) قال السيد الأمين العاملي رحمه الله في أعيان الشيعة ج ٩ ص ٤: «احمدبن عبد اللهبن احمدبن أبي عبد الله البرقي، في طريق الصدوق إلى محمدبن مسلم، والظاهر أنه من مشائخ الاجازة، وربما احتمل أن يكون ابن بنت البرقي ونسب إلى جده والله أعلم».

(٣) لم أعثر له على ترجمة فيما عندي من كتب الرجال.

(٤) شريك بن عبد الله بن سنان بن أنس النخعي الكوفي، ذكره ابن قتيبة والذهبي في رجال الشيعة، وكان ممن روى النص على امير المؤمنين علي عليه السلام كما في الميزان للذهبي ومن تتبع سيرته علم أنه كان يوالي أهل البيت عليهم السلام وقد روى عن أوليائهم علماً جماً، قال ابنه عبد الرحمن: كان عند أبي عشرة آلاف مسألة عن جابر الجعفي، وعشرة آلاف غرائب. وقال عبدالله بن المبارك: شريك أعلم بحديث الكوفيين من سفيان، وكان عدواً لأعداء علي عليه السلام، سيء القول فيهم، ومع ذلك وصفه الذهبي بالحافظ الصادق أحد الأئمة، ونقل عن ابن معين القول بأنه صدوق ثقة، احتج به مسلم وأرباب السنن الأربعة. قال الذهبي: قد كان شريك من اوعية العلم حمل عنه إسحاق الأزرق تسعة آلاف حديث.

ولد بخراسان أو ببخارى سنة ٩٥ ومات بالكوفة مستهل «قع» سنة ١٧٧ أو ١٧٨.

عن الكنى والألقاب للقمي ج ٣ ص ٢٠٥.

(٥) قال في تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٢٥٨: أبو نعيم النخعي الصغير. اسمه عبد الرحمن بن هاني الكوفي، سبط ابراهيم النخعي تقدم.

وقال في ج ٦: عبد الرحمن بن هانيبن سعيد الكوفي أبو نعيم النخعي الصغير ابن بنت ابراهيم النخعي روى عن مسعروالثوري وشريك وابن جريح وعمر بن ذر... الخ

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: أخبرني يا ابن أبي حذرة عن النبي«ص» كيف ترك بيوته- التي أضافها الله إليه، ونهى الناس عن دخولها الا باذنه- ميراثاً لأهله وولده، أو تركها صدقة على جميع المسلمين؟ قل ما شئت.

فانقطع ابن أبي حذرة لما أورد عليه ذلك وعرف خطأ ما فيه.

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: إن تركها ميراثاً لولده وأزواجه فانه قبض عن تسع نسوة، وإنما لعايشة بنت أبي بكر تسع ثمن هذا البيت الذي دفن فيه صاحبك، ولا يصيبها من البيت ذراع في ذراع، وإن كان صدقة فالبلية أطم وأعظم فانه لم يصب من البيت الا ما لأدنى رجل من المسلمين، فدخول بيت النبي«ص» بغير إذنه في حياته وبعد وفاته معصية الا لعليٍّ بن أبي طالب« ع » وولده، فانَّ الله أحل لهم ما أحل للنبي«ص»، ثم قال لهم: إنكم تعلمون أنَّ النبي، أمر بسد أبواب جميع الناس التي كانت مشرعة إلى المسجد ما خلا باب عليٍّ«ع»، فسأله أبو بكر أن يترك له كوة لينظر منها إلى رسول الله فأبى عليه، وغضب عمه العباس من ذلك فخطب النبي«ص» خطبة وقال:

إنَّ الله تبارك وتعالى أمر لموسى وهارون أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً، وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب، ولا يقرب فيه النساء الا موسى وهارون وذريتهما، وإنَّ علياً هو بمنزلة هارون من موسى، وذريته كذرية هارون، ولا يحل لأحد أن يقرب النساء في مسجد رسول الله«ص»، ولا يبيت فيه جنب الا علي وذريته«ع». فقالوا بأجمعهم: كذلك كان.

قال أبو جعفر: ذهب ربع دينك يا ابن أبي حذرة، وهذه منقبة لصاحبي ليس لأحد مثلها، ومثلبة لصاحبك، وأما قولك: ﴿**ثاني اثنين إذ هما في الغار**﴾ أخبرني هل أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين في غير الغار؟ قال ابي ابن أبي حذرة: نعم.

قال أبو جعفر: فقد خرج صاحبك في الغار من السكينة، وخصه بالحزن ومكان عليّ في هذه الليلة على فراش النبي«ص»، وبذل مهجته دونه أفضل من مكان صاحبك في الغار. فقال الناس: صدقت.

فقال أبو جعفر: يا ابن أبي حذرة ذهب نصف دينك، وأما قولك ثاني اثنين الصديق من الامة، فقد أوجب الله على صاحبك الاستغفار، لعليٍّ بن أبي طالب«ع» في قوله عز وجل: ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان**﴾ إلى آخر الآية والذي ادعيت إنما هو شيء سماه الناس ومن سماه القرآن وشهد له بالصدق والتصديق أولى به ممن سماه الناس، وقد قال عليّ«ع» على منبر البصرة: أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن آمن أبو بكر وصدقت قبله. قال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق: يا ابن أبي حذرة ذهب ثلاثة أرباع دينك.

وأما قولك في الصلاة بالناس، كنت ادعيت لصاحبك فضيلة لم تتم له. وإنها إلى التهمة أقرب منها إلى الفضيلة، فلو كان ذلك بأمر رسول الله«ص» لما عزله عن تلك الصلاة بعينها، أما علمت أنه لما تقدم أبو بكر ليصلي بالناس خرج رسول الله«ص» فتقدم وصلى بالناس وعزله عنها، ولا تخلو هذه الصلاة

من أحد وجهين: إما أن تكون حيلة وقعت منه، فلما أحس النبي«ص» بذلك خرج مبادراً مع علته فنحاه عنها لكيلا يحتج بها بعده على امته فيكونوا في ذلك معذورين.

وإما أن تكون هو الذي أمره بذلك، وكان ذلك مفوضاً إليه كما في قصة تبليغ براءة، فنزل جبرئيل«ع» وقال: لا يؤديها الا أنت أو رجل منك، فبعث علياً في طلبه وأخذه منه وعزله عنها وعن تبليغها، فكذلك كانت قصة الصلاة، وفي الحالتين هو مذموم لأنه كشف عنه ما كان مستوراً عليه، وفي ذلك دليل واضح أنه لا يصلح للاستخلاف بعده، ولا هو مأمون على شيء من أمر الدين. فقال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق: يا ابن أبي حذرة ذهب دينك كله، وفضحت حيث مدحت.

فقال الناس لأبي جعفر: هات حجتك فيما ادعيت من طاعة عليّ«ع»، فقال أبو جعفر مؤمن الطاق:

أما من القرآن وصفاً فقوله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[1] فوجدنا علياً بهذه الصفة في القرآن في قوله عز وجل: ﴿**والصابرون في البأساء والضراء وحين البأس- يعني في الحرب والشغب- اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون**﴾[2] فوقع الاجماع من الامة بأنّ علياً«ع» أولى بهذا الأمر من غيره، لأنه لم يفر من زحف قط كما فر غيره في غير موضع فقال الناس: صدقت.

وأما الخبر عن رسول الله«ص» نصاً، فقال: «**إنّي تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**» قوله«ص»: «**إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومن تقدمها مرق، ومن لزمها لحق**»[3] فالمتمسك بأهل بيت رسول الله«ص» هادٍ مهتد بشهادة من الرسول والمتمسك بغيرها ضال مضل.

قال الناس: صدقت يا أبا جعفر: وأما من حجة العقل فإنّ الناس كلهم يستعبدون بطاعة العالم، ووجدنا الاجماع قد وقع على عليّ«ع» بأنه كان أعلم أصحاب رسول الله«ص»، وكان الناس يسألونه ويحتاجون إليه، وكان عليّ مستغنياً عنهم، هذا من الشاهد والدليل عليه من القرآن قوله عز وجل: ﴿**أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدِّي الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون**﴾[4].

---

(١) التوبة- ١٢٠

(٢) البقرة- ١٧٧

(٣) ذخائر العقبى ص ٢٠: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تعلق بها فاز، ومن تخلف عنها غرق» أخرجه الملا في سيرته. قال الحجة الأميني في ج ٢ ص ٣٠١ من الغدير: وحديث السفينة رواه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٥١ عن أبي ذر وصححه بلفظ: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق. وأخرجه الخطيب في تاريخه ج ١٢ ص ٩١ عن أنس والبزار عن ابن عباس وابن الزبير وابن جرير والطبراني عن أبي ذر وأبي سعيد الخدري وأبو نعيم وابن عبد البر ومحب الدين الطبري وكثيرون آخرون.

(٤) يونس- ٣٥.

فما اتفق يوم أحسن منه، ودخل في هذا الأمر عالم كثير.

وقد كانت لأبي جعفر مؤمن الطاق مقامات مع أبي حنيفة. فمن ذلك: ما روي أنه قال يوماً من الأيام لمؤمن الطاق: إنكم تقولن بالرجعة. قال: نعم.

قال أبو حنيفة: فأعطني الآن الف درهم حتى اعطيك الف دينار اذا رجعنا.

قال الطاقي لأبي حنيفة: فأعطني كفيلا بأنك ترجع إنساناً ولا ترجع خنزيراً.

وقال له يوم آخر: لِمَ لم يطالب عليّبن أبي طالب بحقه بعد وفاة رسول الله إن كان له حق؟

فأجابه مؤمن الطاق: خاف أن يقتله الجنّ كما قتلوا سعدبن عبادة بسهم المغيرة بن شعبة، وفي رواية بسهم خالد بن الوليد(١).

وكان أبو حنيفة يوماً آخر يتماشى مع مؤمن الطاق في مكة من سكك الكوفة ، اذا مناد ينادي من يدلني على صبي ضال؟

فقال مؤمن الطاق :اما الصبي الضال فلم نره.وان أردت شيخاًضالاًفخذ هذا عنى به:أباحنيفه.

ولما مات الصادق (ع) رأى أبو حنيفة مؤمن الطاق فقال له :
مات امامك ؟

قال : نعم . اما امامك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم .

---

(١) سعد بن عبادة: رئيس الخزرج، وكان صاحب راية الأنصار يوم بدر وامير المؤمنين عليه السلام صاحب لواء رسول الله«ص» والمهاجرين. ولما قبض النبي«ص» اجتمعت الأنصار إليه وكان مريضاً فجاءوا به إلى سقيفة بني ساعدة وأرادوا تأميره، ولما تم الأمر لأبي بكر امتنع عن مبايعته، فأرسل إليه أبو بكر ليبايع فقال: لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي، واخضب سنان رمحي، وأضرب بسيفي ما أطاعني، واقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني، ولو اجتمع معكم الجن والإنس ما بايعتكم حتى اعرض على ربي فقال عمر: لا تدعه حتى يبايع فقال بشيربن سعد: إنه قد لج وليس بمبايع لكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ولا يضركم تركه، إنما هو رجل واحد فتركوه، وقبلوا مشورة بشيربن سعد، واستنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم، ولا يجمع معهم، ويحج ولا يفيض معهم بافاضتهم، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر راجع ج٣ ص٢١٠ من تاريخ الطبري وقال ابن أبي الحديد في ج١ ص٥٤٠ من شرح النهج : وخرج إلى حوران فمات بها قيل : قتله الجن لأنه بال قائماً في الصحراء ليلاً ، ورووا بيتين من شعر قيل : انهما سمعا ليلة قتله ولم ير قائلهما :

نحن قتلنا سيد الخز ... رج سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين ... فلم نخطىء فؤاده

ويقول قوم : إنَّ أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلاً وهو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعة الامام وقد قال بعض المتأخرين في ذلك :

يقولون : سعد شكت الجن قلبه ... ألا ربما صححت دينك بالغدر
وما ذنب سعد أنه بال قائماً ... ولكنَّ سعداً لم يبايع أبا بكر
وقد صبرت من لذة العيش أنفس ... وما صبرت عن لذة النهي والأمر

وروي : انه مرّ فضال بن الحسن بن فضال الكوفي[1] بأبي حنيفة وهو في جمع كثير ، يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه . فقال ـ لصاحب كان معه ـ : والله لا ابرح حتى اخجل أبا حنيفة .

فقال صاحبه الذي كان معه : ان أبا حنيفة ممن قد علمت حاله ، وظهرت حجته .

قال : صه ! هل رأيت حجة ضال علت على حجة مؤمن؟! ثم دنا منه فسلم عليه ، فرد ، ورد القوم السلام بأجمعهم . فقال :

يا أبا حنيفة إنّ أخاً لي يقول : إنَّ خير الناس بعد رسول الله عليّ بن أبي طالب (ع) ، وأنا أقول أبو بكر خير الناس وبعده عمر . فما تقول أنت رحمك الله ؟

فأطرق مليّاً ثم رفع رأسه فقال : كفى بمكانهما من رسول الله (ص) كرماً وفخراً ، أما علمت أنّهما ضجيعاه في قبره ، فأي حجة تريد أوضح من هذا ؟

فقال له فضال إنّي قد قلت ذلك لأخي فقال : والله لئن كان الموضع لرسول الله (ص) دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما حق فيه ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله (ص) لقد أساءا و ما أحسنا، إذ رجعا في هبتهما ونسيا عهدهما .

فأطرق أبو حنيفة ساعة ثم قال له : لم يكن له ولا لهما خاصة ، ولكنهما نظرا في حق عايشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما .

فقال له فضال : قد قلت له ذلك فقال : أنت تعلم أنَّ النبي مات عن تسع نساء ، ونظرنا فاذا لكلِّ واحدة منهنَّ تسع الثمن ، ثم نظرنا في تسع الثمن ، فاذا هو شبر في شبر ، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك، وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله (ص) وفاطمة بنته تمنع الميراث ؟!

فقال أبو حنيفة : يا قوم نحوه عني فانه رافضي خبيث .

حكي عن أبي الهذيل العلاف[2] قال :

---

(١) في رجال المامقاني ج٢ ص ٣٧٣ حكى عن المولى الوحيد أنه قال : يظهر من معارضته مع أبي حنيفة كونه من فضلاء الشيعة واحتمل الحائري كونه أخا علي بن الحسن بن فضال .

(٢) أبو الهذيل العلاف محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول البصري ، شيخ البصريين في الاعتزال ومن أكبر علمائهم ، وصاحب المقالات في مذهبهم ، كان معاصراً لأبي الحسن الميثمي المتكلم الامامي حكي أنه سأل أبو الحسن الميثمي أبا الهذيل فقال : ألست تعلم أنّ إبليس ينهى عن الخير كله ويأمر بالشر كله ؟

قال : بلى .

قال : فيجوز أن يأمر بالشر كله وهو لا يعرفه ، وينهى عن الخير كله وهو لا يعرفه ؟

قال : لا .

=

دخلت الرقة فذكر لي أنّ (بديرزكن) رجلاً مجنوناً حسن الكلام ، فأتيته فاذا أنا بشيخ حسن الهيئة جالس على وسادة يسرّح رأسه ولحيته ، فسلّمت عليه فرد السلام وقال : ممّن يكون الرجل ؟ قال : قلت من أهل العراق . قال : نعم ، أهل الظرف والأدب .

قال : من أيها أنت ؟ قلت : من أهل البصرة . قال : أهل التجارب والعلم .

قال : فمن أيهم أنت ؟ **قلت** : أبو الهذيل العلاف . **قال** : المتكلم ؟ **قلت** : بلى .

فوثب عن وسادته وأجلسني عليها ثم قال ـ بعد كلام جرى بيننا ـ: ما تقولون في الامامة ؟ قلت : أي الامامة تريد ؟

قال : من تقدمون بعد النبي (ص) ؟ **قلت** : من قدم رسول الله (ص) قال : ومن هو ؟

قلت : أبا بكر .

قال لي : يا أبا الهذيل ولم قدمتم أبا بكر ؟

قال : قلت : لأنَّ النبي (ص) قال : « قدموا خيركم وولوا أفضلكم » وتراضى الناس به جميعاً . قال : يا أبا الهذيل هاهنا وقعت .

أما قولك إنَّ النبي (ص) قال : « قدموا خيركم وولوا أفضلكم » فانّي أوجدك[1] : أنَّ أبا بكر صعد المنبر قال : « وليتكم ولست بخيركم وعليّ فيكم » فان كانوا كذبوا عليه فقد خالفوا أمر النبي (ص) و إن كان هو الكاذب على نفسه فمنبر رسول الله لا يصعده الكاذبون .

أما قولك : إنَّ الناس تراضوا به ، فان أكثر الأنصار قالوا منا أمير ومنكم أمير ، وأما المهاجرون فإنَّ الزبير بن العوام قال : لا ابايع إلا عليّاً ، فأمر به فكسر سيفه ، وجاء أبو سفيان بن حرب وقال : يا أبا الحسن لو شئت لأملأنّها خيلاً ورجالاً يعني : « المدينة » وخرج سلمان فقال بالفارسي : « كرديد ونكرديد ، وندانيد كه چه كرديد »[2] والمقداد وأبو ذر ، فهؤلاء المهاجرون والأنصار .

أخبرني يا أبا الهذيل عن قيام أبي بكر على المنبر وقوله : إنَّ لي شيطاناً يعتريني ، فاذا رأيتموني

= فقال له أبو الحسن : قد ثبت أن إبليس يعلم الشر كله والخير كله ؟

قال أبو الهذيل : أجل .

قال : فأخبرني عن إمامك الذي تأتم به بعد رسول الله (ص) هل يعلم الخير كله والشر كله ؟ قال : لا .

قال له : فابليس أعلم من إمامك إذاً فانقطع أبو الهذيل .

توفي أبو الهذيل بسر من رأى سنة ٢٧٧ . الكنى والألقاب ج١ ص ١٧٠ .

(١) في ج٢ من العقد الفريد ص ٣٤٧ قال : وخطب أيضاً ـ يعني : أبا بكر ـ حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني . . الخ .

(٢) أي : فعلتم وما فعلتم ولا تعلمون ما الذي فعلتم .

مغضباً فاحذروني ، لا أقع في أشعاركم وأبشاركم[١] فهو يخبركم على المنبر أني مجنون ، وكيف يحل لكم أن تولوا مجنوناً ؟!

وأخبرني يا أبا الهذيل عن قيام عمر وقوله : وددت أني شعرة في صدر أبي بكر ، ثم قام بعدها بجمعة فقال : « إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه »[٢] فبينما هو يود أن يكون شعرة في صدره ، وبينما هو يأمر بقتل من بايع مثله .

فأخبرني يا أبا الهذيل عن الذي زعم أنّ النبي (ص) لم يستخلف ، وأن أبا بكر استخلف عمر ، وأنّ عمر لم يستخلف ، فأرى أمركم بينكم متناقضاً .

وأخبرني يا أبا الهذيل عن عمر حين صيرها شورى بين ستة ، وزعم : أنهم من أهل الجنة فقال : « إن خالف اثنان لأربعة فاقتلوا الاثنين ، وإن خالف ثلاثة لثلاثة ، فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف » فهذا ديانة أن يأمر بقتل أهل الجنة ؟؟!!

وأخبرني يا أبا الهذيل عن عمر لما طعن دخل عليه عبد الله بن عباس قال : فرأيته جزعاً فقلت : يا أمير المؤمنين ما هذا الجزع ؟

قال : يا ابن عباس ما جزعي لأجلي ولكن جزعي لهذا الأمر من يليه بعدي .

قال : قلت : ولّها طلحة بن عبيد الله .

قال : رجل له حدة ، كان النبي (ص) يعرفه فلا اولي أمر المسلمين حديداً .

قال : قلت : ولّها زبير بن العوام . **قال** : رجل بخيل ، رأيته يماكس امرأته في كبة من غزل ، فلا اولي امور المسلمين بخيلاً .

قال : قلت ولّها سعد بن أبي وقاص . **قال** : رجل صاحب فرس وقوس ، وليس من أحلاس الخلافة[٣] .

قال : قلت : ولّها عبد الرحمن بن عوف . **قال** : رجل ليس يحسن أن يكفي عياله .

---

(١) روى الطبري في ج٣ ص٢١٠ من تاريخه مرفوعاً عن عاصم بن عدي قال : نادى منادي أبي بكر . . . إلى أن قال : وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « يا أيها الناس إنما أنا مثلكم ، وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله (ص) يطيق ، إنّ الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات ، وإنما أنا متبع ولست مبتدع ، فان استقمت فتابعوني ، وإن زغت فقوموني ، وإن رسول الله (ص) قبض وليس أحد من هذه الامة يطلبه بمظلمة ، ضربة سوط فما دونها ، ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني ، فاذا أتاني فاجتنبوني ، لا اوثر في أشعاركم وأبشاركم . . . الخ » .

(٢) ذكر الطبري في تاريخه ج٣ ص٢٠٠ أنّ عمر قال ـ وهو على المنبر ـ: اريد أن أقول مقالة قد قدر أن أقولها ، من وعاها وعقلها وحفظها فليحدث بها الى أن قال : فلا يغرنّ امرء أن يقول : إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فقد كانت كذلك غير أنّ الله وقى شرها . . . الخ .

(٣) الأحلاس : جمع حلس يقال : فلان حلس بيته : أي ملازم له تشبيهاً له بحلس البعير وهو : كساء رقيق يكون تحت البرذعة ، والمراد ليس من أهلها .

قال : قلت ولّها عبد الله بن عمر . فاستوى جالساً ثم قال : يا ابن عباس ! ما الله أردت بهذا اولي رجلاً لم يحسن أن يطلق امرأته ؟!

قال : قلت: ولّها عثمان بن عفان . **قال:** والله لئن وليته ليحملنّ بني أبي معيط على رقاب المسلمين ، ويوشك أن يقتلوه . قالها ثلاثاً .

قال : ثم سكت لما أعرف من مغائرته لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) .
فقال : يا ابن عباس اذكر صاحبك . **قال** : قلت : فولّها عليّاً .

قال : فوالله ما جزعي الا لما أخذنا الحق من أربابه ، والله لئن وليته ليحملنّهم على المحجة العظمى ، وإن يطيعوه يدخلهم الجنة ، فهو يقول هذا ثم صيرها شورى بين الستة فويل له من ربه !!!

قال أبو الهذيل : فوالله بينما هو يكلمني إذ اختلط ، وذهب عقله . فأخبرت المأمون بقصته ، وكان من قصته أن ذهب بماله وضياعه حيلة وغدراً ، فبعث إليه المأمون ، فجاء به وعالجه وكان قد ذهب عقله بما صنع به ، فرد عليه ماله وضياعه وصيره نديماً ، فكان المأمون يتشيع لذلك ، والحمد لله على كل حال .

وقد جاءت الآثار عن الأئمة الأبرار (ع) : بفضل من نصب نفسه من علماء شيعتهم لمنع أهل البدعة والضلال عن التسلط على ضعفاء الشيعة ومساكينهم وقمعهم بحسب تمكنهم وطاقتهم ، فمن ذلك ما روي عن أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري (ع) أنه قال :

قال جعفر بن محمد (ع) : علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته ، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا ، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب ، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر الف الف مرة لأنه يدفع عن أديان محبينا ، وذلك يدفع عن أبدانهم .

* * *

إحتجاج أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام في أشياء شتى على المخالفين .

الحسن بن عبد الرحمن الحماني[1] قال : قلت لأبي إبراهيم (ع) إنَّ هشام بن الحكم زعم : أنَّ الله تعالى جسم ليس كمثله شيء ، عالم ، سميع ، بصير ، قادر ، متكلم ، ناطق ، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد ، ليس شيء منها مخلوقاً .

فقال : **قاتله الله** . أما علم أنَّ الجسم محدود ؟! والكلام غير المتكلم ؟ معاذ الله وأبرأ إلى الله من هذا القول . لا جسم ، ولا صورة ، ولا تحديد ، **وكل شيء** سواه مخلوق وإنما تكون الأشياء بارادته

(١) ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج١ ص٢٠٦ فقال : محمد بن إسماعيل عن علي بن العباس عن الحسن بن عبد الرحمن الحماني عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام في الكافي باب النهي عن الجسم والصورة .

ومشيئته من غير كلام ولا تردد في نفس ولا نطق بلسان .

وعن يعقوب بن جعفر[١] عن أبي إبراهيم (ع) أنه قال : لا أقول إنه قائم فازيله عن مكان ، ولا أحده بمكان يكون فيه ، ولا أحده أن يتحرك في شيءٍ من الأركان والجوارح ، ولا أحده بلفظ شق الفم ، ولكن كما قال عز وجل : ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾[٢] بمشيئته من غير تردد في نفس صمداً فرداً لم يحتج إلى شريك يدبر له ملكه ، ولا يفتح له أبواب علمه .

وعن يعقوب بن جعفر الجعفري أيضاً ،عن أبي إبراهيم موسى (ع) قال : ذكر عنده قوم زعموا : أنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا فقال :

إنَّ الله لا ينزل ولا يحتاج أن ينزل إنما منظره في القرب والبعد سواء لم يبعد منه بعيد ، ولا يقرب منه قريب ولم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه كل شيء ، وهو ذو الطول لا إله إلّا هو العزيز الحكيم !

أما قول الواصفين إنه ينزل تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، فانما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة . وكل متحرك يحتاج إلى من يحركه أو يتحرك به[٣] فمن ظنَّ بالله الظنون فقد هلك ، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد تحدونه بنقص أو زيادة ، أو تحريك أو تحرك ، زوال أو استنزال ، أو نهوض أو قعود ، فإنَّ الله جل وعز عن صفة الواصفين ، ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين .

وعن الحسن بن راشد[٤] قال : سئل أبو الحسن موسى (ع) عن معنى قول الله تعالى : ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[٥] فقال : استولى على ما دق وجل .

عن يعقوب بن جعفر الجعفري قال : سأل رجل يقال له عبد الغفار السمي أبا إبراهيم موسى بن جعفر (ع) عن قول الله تعالى : ﴿**ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾[٦] قال : أرى هاهنا خروجاً من حجب وتدلياً إلى الأرض ، وأرى محمّداً رأى ربه بقلبه ، ونسب إلى بصره فكيف هذا ؟

فقال أبو إبراهيم : دنى فتدلى ، فانه لم يزل عن موضع ولم يتدل ببدن .

فقال عبد الغفار : أصفه بما وصف به نفسه حيث قال : ﴿**دنى فتدلى**﴾ فلم يتدل عن مجلسه الا وقد زال عنه ، ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه .

---

(١) ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج٢ ص٣٤٦ ونقل عن الكافي والتهذيب عدة روايات عنه عن الصادق والكاظم عليهما السلام وورد اسمه فيها مرة يعقوب بن جعفر ، واخرى يعقوب بن جعفر الجعفري وثالثة يعقوب بن جعفر بن ابراهيم الجعفري .

(٢) راجع موضوع نفي الحركة عنه تعالى في هامش الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) لا بد لكل حركة من أن تستلزم أربعة امور : المحرك ، والمتحرك ، وما منه الحركة ، وما إليه الحركة وقد مر في الجزء الأول من هذا الكتاب تفصيل الحديث في نفي الحركة عنه تعالى والاستدلال على بطلان نسبتها إليه وتنزهه عنها فراجع .

(٤) عده الشيخ في رجاله ص ٢٦٧ من أصحاب الصادق عليه السلام فقال الحسن بن راشد مولى بني العباس كوفي ، وفي أصحاب الكاظم (ع) ص ٣٤٦ ذكره ايضاً باسم الحسين بن راشد وقال : بغدادي .

(٥) طه ـ ٥ .

(٦) النجم ـ ٩ .

فقال أبو إبراهيم (ع) : إنَّ هذه لغة في قريش إذا أراد رجل منهم أن يقول : قد سمعت يقول : قد تدليت ، وإنما التدلي : الفهم .

وعن داوود بن قبيصة[١] قال : سمعت الرضا (ع) يقول : سئل أبي (ع) هل منع الله عما امر به ، وهل نهى عما أراد ، وهل أعان على ما لم يرد ؟

فقال (ع) : أما ما سألت : « هل منع الله عما أمر به ؟ » فلا يجوز ذلك ، ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم ، ولو منع إبليس لعذره ولم يلعنه .

وأما ما سألت : « هل نهى عما أراد ؟» فلا يجوز ذلك ، ولو جاز ذلك لكان حيث نهى آدم عن أكل الشجرة أراد منه أكلها ، ولو أراد منه أكلها لما نادى عليه صبيان الكتاتيب : ﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾ والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء ويريد غيره .

وأما ما سألت عنه من قولك : « هل أعان على ما لم يرد ؟ » ولا يجوز ذلك وجل الله تعالى عن أن يعين على قتل الأنبياء وتكذيبهم ، وقتل الحسين بن علي (ع) والفضلاء من ولده ، وكيف يعين على ما لم يرد وقد أعد جهنم لمخالفيه ، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته ، وارتكابهم لمخالفته ؟! ولو جاز أن يعين على ما لم يرد لكان أعان فرعون على كفره وادعائه أنه رب العالمين ، أفترى أراد الله من فرعون أن يدعي الربوبية ؟ يستتاب قائل هذا القول ، فان تاب من كذبه على الله والا ضربت عنقه .

وروي عن الحسن بن علي بن محمّد العسكري (ع) : أنَّ أبا الحسن موسى ابن جعفر (ع) قال :

إنَّ الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صايرون فأمرهم ونهاهم ، فما أمرهم به من شي فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكونون آخذين ولا تاركين الا باذنه ، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته ، بل اختبرهم بالبلوى وكما قال : ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾[٢] .

قوله : ولا يكونون آخذين ولا تاركين الا باذنه ، أي : بتخليته وعلمه .

وروي أنه دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم فقال له :

يا أبا حنيفة إنَّ هاهنا جعفر بن محمّد من علماء آل محمّد فاذهب بنا إليه نقتبس منه علماً ، فلما أتيا إذا هما بجماعة من علماء شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدث فقام الناس هيبة له ، فالتفت أبو حنيفة فقال :

---

(١) ذكره العلامة في القسم الثاني من خلاصته ص ٢٢١ باسم «دارم» فقال : بالراء بعد الألف ابن « قبيصة » بفتح القاف وكسر الباء المنقطة تحتها نقطة وبعدها ياء ساكنة وصاد مهملة ابن نهشل أبو الحسن السائح يروي عن الرضا عليه السلا مقال ابن الغضايري لا يؤنس بحديثه ولا يوثق به .

(٢) هود ـ ٧ .

يا ابن مسلم من هذا ؟

قال : موسى ابنه .

قال : والله اخجله بين يدي شيعته . **قال له** : لن تقدر على ذلك .

قال : والله لأفعلنه ، ثم التفت إلى موسى فقال : يا غلام أين يضع الغريب في بلدتكم هذه ؟

قال يتوارى خلف الجدار ، ويتوقى أعين الجار ، وشطوط الأنهار ، ومسقط الثمار ، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، فحينئذ يضع حيث شاء .

ثم قال : يا غلام ممن المعصية ؟ قال : يا شيخ لا تخلو من ثلاث :

إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء ، فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله .

وإما أن تكون من العبد ومن الله ، والله أقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه .

وإما أن تكون من العبد وليس من الله شيء ، فان شاء عفى وإن شاء عاقب .

قال : فأصابت أبا حنيفة سكتة كأنما القم فوه الحجر .

قال : فقلت له : ألم أقل لك لا تتعرض لأولاد رسول الله ، وفي ذلك يقول الشاعر :

لم تخل أفعالنا اللاتي نذم بها	إحدى ثلاث معان حين نأتيها
أما تفرد بارينا بصنعتها	فيسقط اللوم عنا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه	ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنايتها	ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها

روي عن عليّ بن يقطين[1] أنه قال : أمر أبو جعفر الدوانيقي يقطين أن يحفر له بئراً بقصر

(١) قال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ٩١ علي بن يقطين بن موسى البغدادي ، سكن بغداد وهو كوفي الأصل روى عن أبي عبد الله عليه السلام حديثاً واحداً ، وروى عن أبي الحسن موسى عليه السلام فأكثر ، وكان ثقة جليل القدر له منزلة عظيمة عند أبي الحسن عليه السلام عظيم المكان في هذه الطائفة روي أنه عليه السلام ضمن له الجنة وأن لا تمسه النار أبداً وكان وزيراً لهارون فاستأذن الامام عليه السلام بترك العمل معه فلم يأذن له ، وقال له : عسى أن يجبر الله بك كسراً ، ويكسر بك نائرة المخالفين من أوليائه . يا علي كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم وروي أنه لما قدم أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام العراق ، قال علي ابن يقطين :أما ترى حالي وما أنا فيه ؟ فقال عليه السلام يا علي إنّ لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي وروي أنه قال أبو الحسن (ع) لعلي بن يقطين : اضمن لي خصلة أضمن لك ثلاثاً فقال علي : جعلت فداك وما الخصلة التي أضمنها لك ؟ وما الثلاث اللواتي تضمنهنّ لي ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام . الثلاث اللواتي اضمنهنّ لك أن لا يصيبك حر الحديد أبداً ، بقتل ، ولا فاقة ، ولا سجن حبس فقال علي : فما الخصلة التي أضمنها لك ؟ فقال يا علي وأما الخصلة التي تضمن لي أن لا يأتيك ولي أبداً الا أكرمته ، فضمن له علي الخصلة وضمن له أبو الحسن الثلاث وروي أنه (ع) قال : إنّي استوهبت عليّ بن يقطين من ربي عز

العبادي ، فلم يزل يقطين في حفرها حتى مات أبو جعفر ولم يستنبط منها الماء ،واخبر المهدي بذلك فقال له : احفر ابداً حتى يستنبط الماء ولو انفقت عليها جميع ما في بيت المال .

قال : فوجه يقطين أخاه أبا موسى في حفرها ، فلم يزل يحفر حتى ثقبوا ثقباً في أسفل الأرض فخرجت منه الريح (قال) : فهالهم ذلك ، فاخبروا به أبا موسى .

فقال : أنزلوني (قال) : فانزل وكان رأس البئر أربعين ذراعاً في أربعين ذراع ، فاجلس في شق محمل ودلي في البئر ، فلما صار في قعرها نظر إلى هول ، وسمع دوي الريح في اسفل ذلك ، فأمرهم ان يوسعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم ، ثم دلى فيه رجلاً في شق محمل فقال : ايتوني بخبر هذا ما هو ؟

قال: فنزلا في شق محمل فمكثا ملياً ثم حركا الحبل فاصعدا، فقال لهما:

ما رأيتما؟

قالا : أمراً عظيماً، رجالا ونساءاً وبيوتاً وآنية ومتاعاً، كله ممسوخ من حـ[illegible]ة، فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم، فمن بين قاعد ومضطجع ومتكىء، فلما مسسناهم، إذا ثيابهم تمشى شبه الهباء، ومنازل قائمة، قال: فكتب بذلك أبو موسى إلى المهدي، فكتب المهدي إلى المدينة إلى موسى بن جعفر يسأله: أن يقدم عليه فقدم عليه، فأخبره فبكى بكاءاً شديداً وقال: يا امير المؤمنين هؤلاء بقية قوم عاد، غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم، هؤلاء أصحاب الأحقاف.

قال: فقال له المهدي: يا أبا الحسن وما الأحقاف؟ قال: الرمل.

وحدث أبو أحمد هاني بن محّمد العبدي[1]، قال: حدثني أبو محّمد رفعه إلى موسى بن جعفر«ع» قال: لما أدخلت على الرشيد سلمت عليه فرد عليَّ السلام ثم قال: يا موسى بن جعفر خليفتان يجيء إليهما الخراج؟

فقلت: يا امير المؤمنين اعيذك بالله أن تبوء باثمي وإثمك، فتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت بأنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله«ص»، أما علم ذلك عندك، فان رأيت بقرابتك من رسول الله«ص» أن تأذن لي احدثك بحديث أخبرني به أبي عن آبائه عن جدي رسول الله«ص»؟ فقال: قد أذنت لك.

=وجل البارحة فوهبه لي إنّ عليّ بن يقطين بذل ماله ومودته فكان لذلك منا مستوجباً .

راجع رجال الكشي ص ٣٦٧ والجزء الثاني من سفينة البحار ص ٢٥٢ .

(١) في رجال المامقاني ج ٣ ص ٢٩٠ نقل الوحيد رواية الصدوق عنه مترضياً عليه وهو دليل على وثاقته.

فقلت: أخبرني أبي عن آبائه عن جدي رسول الله«ص» أنه قال: «إنَّ الرحم إذا مست الرحم تحركت واضطربت» فناولني يدك جعلني الله فداك.

قال: ادن مني! فدنوت منه،فأخذبيدي ثم جذبني إلى نفسه وعانقني طويلاً ثم تركني وقال: «اجلس يا موسى! فليس عليك بأس، فنظرت إليه فاذا به قد دمعت عيناه، فرجعت إليَّ نفسي فقال: صدقت وصدق جدك«ص»، لقد تحرك دمي واضطربت عروقي حتى غلبت عليَّ الرقة وفاضت عيناي وأنا اريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين لم أسأل عنها أحداً، فإن أنت أجبتني عنها خليت عنك ولم أقبل قول أحد فيك، وقد بلغني أنك لم تكذب قط فأصدقني فيما أسألك ما في قلبي.

فقلت: ما كان علمه عندي فانيِّ مخبرك به إن أنت أمنتني.

قال: لك الأمان إن صدقتني وتركت التقية التي تعرفون بها معاشر بني فاطمة، فقلت ليسأل امير المؤمنين عما يشاء.

قال: أخبرني لِمَ فضلتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة، وبنو عبد المطلب ونحن وأنتم واحد، إنا بنو عباس وأنتم ولد أبي طالب، وهما عما رسول الله«ص» وقرابتهما منه سواء؟

فقلت: نحن أقرب. **قال**: وكيف ذاك؟.

قلت: لأنَّ عبد الله وأبا طالب لأب وأم، وأبوكم العباس ليس هو من أُم عبد الله ولا من أُم أبي طالب.

قال: فلم ادعيتم أنكم ورثتم النبي«ص» والعم يحجب ابن العم، وقبض رسول الله«ص» وقد توفي أبو طالب قبله والعباس عمه حي؟ فقلت له: إن رأى امير المؤمنين أن يعفيني عن هذه المسألة، ويسألني عن كل باب سواه يريده. **فقال**: لا. أو تجيب.

فقلت: فآمني. **قال**: آمنتك قبل الكلام.

فقلت: إنَّ في قول عليٍّ بن أبي طالب«ع»: إنه ليس مع ولد الصلب ذكراً كان أو انثى لأحد سهم الا الأبوين والزوج والزوجة، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث، ولم ينطق به الكتاب العزيز والسنة الا أنَّ تيماً وعدياً وبني امية قالوا: «العم والد» رأياً منهم بلا حقيقة ولا أثر عن رسول الله«ص» ومن قال بقول عليٍّ من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء، هذا نوح بن دراج يقول في هذه المسألة بقول عليٍّ وقد حكم به، وقد ولاه امير المؤمنين المصرين الكوفة والبصرة وقضى به، فانهي إلى امير المؤمنين فأمر باحضاره وإحضار من يقول بخلاف قوله، منهم: سفيان الثوري وإبراهيم المازني، والفضيل بن

عياض، فشهدوا أنه قول عليٍّ«ع» في هذه المسألة. فقال لهم فيما بلغني بعض العلماء من أهل الحجاز: لم لا تفتون وقد قضى نوح بن دراج؟

فقالوا: جسر وجبنا . وقد أمضى امير المؤمنين قضيته بقول قدماء العامة عن النبي«ص» أنه قال: «أقضاكم عليّ» وكذلك عمربن الخطاب قال: «عليّ أقضانا» وهو اسم جامع، لأنّ جميع ما مدح به النبي«ص» أصحابه من القرابة والفرائض والعلم داخل في القضاء.

قال: زدني يا موسى! **قلت**: المجالس بالأمانات وخاصة مجلسك. **فقال**: لا بأس به.

فقلت: إنَّ النبي لم يورث من لم يهاجر، ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر. **فقال**: ما حجتك فيه؟.

قلت: قول الله تبارك وتعالى: **﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولا يتهم من شيء حتى يهاجروا﴾**[1] وإنّ عمي العباس لم يهاجر.

فقال لي: إنّي أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحداً من أعدائنا، او أخبرت أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشيء؟ **فقلت**: أللّهم لا. وما سألني عنها الا امير المؤمنين.

ثم قال لي: جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله«ص»ويقولوا لكم: **يا بني رسول الله** وأنتم بنو علي وإنما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنما هي وعاء والنبي جدكم من قبل امكم؟

فقلت: يا امير المؤمنين لو أنَّ النبي نشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟ **قال**: سبحان الله! ولم لا اجبه، بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك.

فقلت له: لكنّه لا يخطب إليَّ ولا ازوجه. **فقال**: ولم؟ **فقلت**: لأنه ولدني ولم يلدك.

فقال: أحسنت يا موسى! ثم قال: كيف قلتم إنا ذرية النبي والنبي لم يعقب وإنما العقب الذكر لا الانثى، وأنتم ولد الابنة ولا يكون ولدها عقباً له. **فقلت**: أسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه، الا أعفيتني عن هذه المسألة.

فقال: لا أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي! وأنت يا موسى يعسو بهم وإمام زمانهم، كذا انهي إليّ، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله، وأنتم تدعون معشر ولد عليّ أنه لا يسقط عنكم منه شيء الف ولا واو الا تأويله عندكم. واحتججتم بقوله عز وجل: **﴿ما فرَّطنا في الكتاب من شيء﴾**[2] واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟ **قال**: هات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم **﴿ومن ذريته داوود وسليمان**

---

(١) الأنفال- ٧٢.

(٢) الأنعام- ٣٨.

وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين* وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلّ من الصالحين﴾[١] من أبو عيسى يا امير المؤمنين؟ فقال: ليس لعيسى أب.

فقلت: إنما ألحقناه بذراري الأنبيا«ع» من طريق مريم«ع» وكذلك الحقنا بذراري النبي«ص» من قبل امنا فاطمة، ازيدك يا امير المؤمنين؟ قال: هات.

قلت: قول الله عز وجل: **﴿فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾**[٢] ولم يدّع أحد أنه أدخله النبي«ص» تحت الكساء عند مباهلة النصارى الا عليّ بن أبي طالب«ع»، وفاطمة، والحسن والحسين: أبنائنا الحسن والحسين، ونسائنا فاطمة، وأنفسنا عليّ بن أبي طالب«ع»، على أنَّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرئيل قال يوم احد: «يا محّمد إنَّ هذه لهي المواساة من عليّ» قال: «لأنه مني وأنا منه».

فقال جبرئيل: «وأنا منكما يا رسول الله»[٣] ثم قال: «لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا عليّ» فكان كما مدح الله عز وجل به خليله«ع» إذ يقول: **﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾**[٤] إنا نفتخر بقول جبرئيل أنه منا. **فقال:** أحسنت يا موسى! إرفع إلينا حوائجك.

فقلت له: إنَّ أول حاجة لي أن تأذن لابن عمك أن يرجع إلى حرم جده وإلى عياله. **فقال**: ننظر إنشاء الله.

وروي أنّ المأمون قال لقومه: أتدرون من علمني التشيع؟ فقال القوم: لا والله ما نعلم ذلك.

قال: علّمنيه الرشيد! قيل له: وكيف ذلك، والرشيد يقتل أهل البيت؟!

قال: كان الرشيد يقتلهم على الملك، لأنّ الملك عقيم، ثم قال: إنه دخل موسى بن جعفر«ع» على الرشيد يوماً فقام إليه، واستقبله وأجلسه في الصدر وقعد بين يديه، وجرى بينهما أشياء. ثم قال موسى بن جعفر«ع» لأبي: يا امير المؤمنين إنّ الله عز وجل قد فرض على الولاة عهده: أن ينعشوا فقراء هذه الأُمة، ويقضوا عن الغارمين، ويؤدوا عن المثقل، ويكسوا العاري، ويحسنوا إلى العاني، وأنت أولى من يفعل ذلك. فقال: أفعل يا أبا الحسن.

ثم قام فقام الرشيد لقيامه. وقبل بين عينيه ووجهه ثم أقبل عليَّ وعلى الأمين والمؤتمن فقال: يا عبد الله! ويا محّمد! ويا إبراهيم! امشوا بين يدي ابن عمكم وسيدكم، خذوا بركابه وسووا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله، فأقبل إليَّ أبو الحسن موسى بن جعفر«ع» سراً بيني وبينه فبشرني بالخلافة، وقال لي: «اذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي».

---

(١) الأنعام- ٨٤ و٨٥

(٢) آل عمران/٦١.

(٣) راجع هامش الجزء الأول للوقوف على تمام الخبر فيه.

(٤) الأنبياء /٦٠.

ثم انصرفنا وكنت أجرأ ولد أبي عليه، فلما خلا المجلس قلت:

يا امير المؤمنين ومن هذا الرجل الذي أعظمته وأجللته، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته واقعدته في صدر المجلس وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟ **قال**: هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه، وخليفته على عباده.

فقلت: يا امير المؤمنين أو ليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟؟ **فقال**: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني إنه لا حق بمقام رسول الله مني ومن الخلق جميعاً، ووالله لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك، لأنَّ الملك عقيم.

فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة أمر بصرّة سوداء فيها مائتا دينار ثم أقبل على الفضل فقال له: إذهب الى موسى بن جعفر وقل له: يقول لك امير المؤمنين: نحن في ضيقة وسيأتيك برنا بعد هذا الوقت.

فقمت في وجهه فقلت: يا امير المؤمنين! تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه: خمسة آلاف دينار إلى ما دونها وتعطي موسى بن جعفر وقد عظمته وأجللته مائتي دينار، وأخس عطية أعطيتها أحداً من الناس؟

فقال: اسكت لا ام لك! فاني لو أعطيته هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة الف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وإغنائهم.

وقيل: ولما دخل هارون الرشيد المدينة توجه لزيارة النبي«ص» ومعه الناس، فقدم إلى قبر النبي«ص» فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابن العم، مفتخراً بذلك على غيره.

فتقدم أبو الحسن موسى بن جعفر إلى القبر فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه. فتغير وجه الرشيد وتبيّن الغيظ فيه.

وروي: عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم«ع» أنه قال: لما سمعت هذا البيت ـ وهو لمروان بن أبي حفصه ـ:

أنّى يكون ولا يكون ولم يكن ... لبني البنات وراثة الأعمام

دار في ذلك ليلتي فنمت تلك الليلة فسمعت هاتفاً في منامي يقول:

أنّى يكون ولا يكون ولم يكن ... للمشركين دعائم الاسلام

لبني البنات نصيبهم من جدهم ... والعم متروك بغير سهام

ما للطليق وللتراث وإنّما ... سجد الطليق مخافة الصمصام[1]

---

(١) يريد بالطليق: العباس بن عبد المطلب عم الرسول، حيث اسر يوم بدر أسره أبو يسر كعب بن عمرو الأنصاري، وكان رجلا صغير الجثة، وكان العباس رجلا عظيماً قوياً، فقال النبي«ص» لأبي اليسر كيف أسرته؟ قال: أعانني رجل ما رأيته قبل ذلك ولا=

وبقى ابن نثلة واقفاً متلدداً فيه ويمنعه ذوو الأرحام
إنَّ ابن فاطمة المنوّه باسمه حاز التراث سوى بني الأعمام

وسأل محّمدبن الحسن أبا الحسن موسى«ع»- بمحضر من الرشيد وهم بمكة- فقال له: أيجوز للمحرم أن يظلل عليه محمله؟ **فقال له** موسى«ع»: لا يجوز له ذلك مع الاختيار.

فقال له محّمدبن الحسن: أفيجوز أن يمشي تحت الظلال مختاراً. **فقال** له: نعم.

فتضاحك محّمد بن الحسن من ذلك. فقال له أبو الحسن موسى«ع»: أتعجب من سنة النبي وتستهزي بها، إنَّ رسول الله«ص» كشف ظلاله في إحرامه، ومشى تحت الظلال وهو محرم، إنّ أحكام‌الله تعالى يا محّمد لا تقاس، فمن قاس بعضها على بعض فقد ضل عن السبيل. فسكت محّمد بن الحسن لا يرجع جواباً.

وقد جرى لأبي يوسف مع أبي الحسن موسى صلوات الله عليه بمحضر المهدي ما يقرب من ذلك، وهو: أنَّ موسى«ع» سأل أبا يوسف عن مسألة ليس فيها عنده شيء، فقال لأبي الحسن موسى«ع»: إنّي اريد أن أسألك عن شيء. **قال**: هات.

فقال: ما تقول في التظليل للمحرم؟ **قال**: لا يصلح.

قال: فيضرب الخباء في الأرض فيدخل فيه؟ **قال**: نعم.

قال: فما فرق بين هذا وذلك؟.

قال أبو الحسن موسى«ع»: ما تقول في (الطامث) تقضي الصلاة؟ **قال**: لا. **قال**: تقضي الصوم؟ **قال**: نعم. **قال**: ولِمَ؟ **قال**: إنَّ هذا كذا جاء.

قال أبو الحسن«ع»: وكذلك هذا.

قال المهدي لأبي يوسف: ما أراك صنعت شيئاً! قال: يا امير المؤمنين رماني بحجة.

وعن أبي محّمد الحسن العسكري«ع» قال: قال رجل من خواص الشيعة لموسى بن جعفر«ع»- وهو يرتعد بعدما خلا به-:

يا ابن رسول الله«ص» ما أخوفني أن يكون فلان ابن فلان ينافقك في إظهاره اعتقاد وصيتك

=بعده فقال النبي (ص): لقد أعانك عليه ملك كريم.

ولما أمسى القوم والاسارى محبوسون في الوثاق وفيهم العباس، بات رسول الله«ص» تلك الليلة ساهراً. فقال له بعض أصحابه: ما يسهرك يا رسول الله«ص»؟

قال: سمعت أنين العباس فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه شيئاً، فقال رسول الله«ص» ما بالي لا أسمع أنين العباس؟ فقال رجل من القوم: أرخيت من وثاقه شيئاً قال: افعل ذلك بالاسارى كلهم راجع تاريخ الطبري ج٢ ص ٢٨٨ والدرجات الرفيعة للسيد علي خان المدني ص ٨٠.

وإمامتك. فقال موسى«ع»: وكيف ذاك؟

قال: لأنيّ حضرت معه اليوم في مجلس فلان، وكان معه رجل من كبار أهل بغداد، فقال له صاحب المجلس: أنت تزعم: أنّ صاحبك موسى بن جعفر إمام دون هذا الخليفة القاعد على سريره؟

قال له صاحبك هذا: ما أقول هذا، بل أزعم: أنّ موسى بن جعفر غير إمام، وإن لم أكن أعتقد أنه غير إمام فعليَّ وعلى من لم يعتقد ذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

فقال له صاحب المجلس: جزاك الله خيراً، ولعن من وشى بك إليّ.

فقال له موسى بن جعفر«ع: ليس كما ظننت، ولكن صاحبك أفقه منك. إنما قال: موسى غير إمام، أي إنَّ الذي هو غير إمام فموسى غيره، فهو إذاً إمام، فانما أثبت بقوله هذا إمامتي ونفى إمامة غيري،[1] يا عبد الله متى يزول عنك هذا الذي ظننته بأخيك هذا من النفاق، تب إلى الله. ففهم الرجل ما قاله واغتم، ثم قال:

يا ابن رسول الله مالي مال فارضيه به، ولكنِ قد وهبت له شطر عملي كله من تعبدي وصلاتي عليكم أهل البيت ومن لعنتي لأعدائكم.

قال موسى«ع»: الآن خرجت من النار.

وروي أيضاً عنه «ع»: أنه قال:

فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عن مشاهدتنا بتعلم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من الف عابد، لأنّ العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه، لينقذهم من يد إبليس ومردته، ولذلك هو أفضل عندالله من الف عابد، والف الف عابد.

وروي أنه«ع» كان حسن الصوت، وحسن القراءة، وقال يوماً من الأيام: إنَّ عليَّ بن الحسين«ع» كان يقرأ القرآن فربما مر به المار فصعق من حسن صوته وإن الامام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس.

قيل له:

ألم يكن رسول الله«ص» يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إنّ رسول الله كان يحمّل من خلفه ما يطيقون.

* * *

(١) توضيح ذلك: إنه أراد: أنا أزعم: أنّ إمامك هذا القاعد على سريره هو مدّع للامامة بالباطل فهو إمام ضلال، وموسى بن جعفر عليه السلام هو إمام من غير هذا النوع من الأئمة، هو غير هذا المدعي بالباطل، أنا أقول إنّ موسى بن جعفر حقيقة إمام من أئمة الهدى فهو غير وهذا غير.

احتجاج أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا «ع» في التوحيد والعدل وغيرهما على المخالف والمؤالف والأجانب والأقارب.

دخل عليه رجل فقال له: يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم.

فقال: إنك لم تكن ثم كنت، وقد علمت أنك لم تكوِّن نفسك، ولا كوَّنك من مثلك.

وعن محمّد بن عبد الله الخراساني[1] خادم الرضا «ع» قال: دخل رجل من الزنادقة على الرضا «ع» وعنده جماعة.

فقال له أبو الحسن: أرأيت إن كان القول قولكم ـ وليس هو كما تقولون ـ ألسنا وإياكم شرعاً سواء، ولا يضرنا ما صلينا وصمنا وزكينا وأقررنا ؟

فسكت فقال أبو الحسن: وإن لم يكن القول قولنا ـ وهو كما نقول ـ ألستم قد هلكتم ونجونا.

قال الزنديق: رحمك الله فأجدني كيف هو، وأين هو؟

قال: ويلك! إنَّ الذي ذهبت إليه غلط، وهو أيّن الأين، وكان ولا أين، وهو كيّف الكيف وكان ولا كيف، ولا يعرف بكيفوفية، ولا بأينونية، ولا يدرك بحاسة، ولا يقاس بشيء.

قال الرجل: فاذن إنه لا شيء، إذ لم يدرك بحاسة من الحواس.

فقال أبو الحسن: ويلك! لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنا أنه ربنا، وأنه شيء بخلاف الأشياء.

قال الرجل: فأخبرني متى كان؟

قال أبو الحسن «ع»: أخبرني متى لم يكن، فاخبرك متى كان؟!

قال الرجل: فما الدليل عليه؟

قال أبو الحسن: إني لما نظرت إلى جسدي فلم يمكني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكاره عنه وجر المنفعة اليه، علمت أنَّ لهذا البنيان بانياً فأقررت به، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته. وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح، ومجرى الشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات، علمت أنّ لهذا مقدراً ومنشئاً.

قال الرجل: فلم لا تدركه حاسة البصر؟

قال: للفرق بينه وبين خلقه الذي تدركه حاسة الأبصار، منهم ومن غيرهم ثم هو أجل من أن يدركه بصر، أو يحيط به وهم، أو يضبطه عقل.

---

(١) محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام: مجهول الحال لم يذكر في كتب الرجال.

قال: فحده لي! **قال**: لا حد له. **قال**: ولِمَ؟

قال: لأنّ كلّ محدود متناه، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، واذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود، ولا متزايد ولا متناقص، ولا متجزي، ولا متوهمّ.

قال الرجل: فأخبرني عن قولكم: إنه لطيف وسميع وبصير وعليم وحكيم، أيكون السميع الا بالاذن، والبصير الا بالعين، واللطيف الا بعمل اليدين، والحكيم الا بالصنعة؟

فقال أبو الحسن«ع»: إنَّ اللطيف منا على حد اتخاذ الصنعة، أو ما رأيت أنّ الرجل اتخذ شيئاً فيلطف في اتخاذه؟ فيقال: ما الطف فلاناً: فكيف لا يقال للخالق الجليل: **لطيف** إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً، وركب في الحيوان منه أرواحها، وخلق كل جنس مبايناً من جنسه في الصورة، ولا يشبه بعضه بعضاً فكل به لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته.

ثم نظر إلى الأشجار وحملها أطيابها، المأكولة منها وغير المأكولة، فقلنا عند ذلك إنَّ خالقنا **لطيف** لا كلطف خلقه في صنعتهم، وقلنا: إنه سميع لأنه لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى، من الذرة إلى ما أكبر منها في برها وبحرها، ولا يشتبه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك إنه سميع لا بأذن، وقلنا: إنه **بصير** لا ببصر، لأنه يرى أثر الذرة السحماء[1] في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، ويرى دبيب النمل في الليلة الدجية، ويرى مضارها ومنافعها، وأثر سفادها، وفراخها ونسلها، فقلنا عند ذلك: انه **بصير** لا كبصر خلقه. قال: فما برح حتى أسلم. وفيه كلام غير هذا.

وروي عنه«ع» في خبر آخر، أنه قال:

إنما يسمى الله تعالى (بالعالم) لغير علم حادث، علم به الأشياء واستعان به على حفظ ما يستقبل من أمره، والرؤية فيما يخلق، وإنما سمي العالم من الخلق: (عالما) لعلم حادث، إذ كان قبله جاهلا، وربما فارقهم العلم بالأشياء فصار إلى الجهل وإنما سمي الله: (عالماً) لأنه لا يجهل شيئاً، فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم، واختلف المعنى، وهو الله تعالى (قائم).

وأما (القائم) فليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كبد، كما قامت الأشياء، ولكنه أخبر أنه قائم يخبر أنه (حافظ) كقولك: (فلان القائم بأمرنا) وهو عز وجل القائم على كل نفس بما كسبت، والقائم أيضاً في كلام الناس: (الباقي) والقائم أيضاً: (الكافي) كقولك للرجل: قم بأمر كذا)أي: اكفه. والقائم منا قائم على ساق، فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى.

وأما (الخبير) فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته، وليس بالتجربة والاعتبار بالأشياء فتفيده التجربة والاعتبار علماً لولاهما لما علم، لأنَّ من كان كذلك كان جاهلاً، والله تعالى لم يزل خبيراً بما يخلق، والخبير من الناس المستجير، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

---

(١) السحماء: مؤنث الأسحم وهو الأسود.

وأما (الظاهر) فليس من أنه علا الأشياء بركوب فوقها وقعود عليها وتسنم لذراها ، ولكن ذلك لقهره وغلبته الأشياء وقدرته عليها كقول الرجل : ظهرت على أعدائي ، وأظهرني الله على خصمي ، إذا أخبر على الفلج والظفر ، فهكذا ظهور الله على الأشياء .

ووجه آخر: أنّه الظاهر لمن أراده لا يخفى عليه، لمكان الدليل والبرهان على وجوده في كل ما دبّره وصنعه مما يرى، فأي ظاهر أظهر وأوضح أمراً من الله تبارك وتعالى، فانك لا تعدم صنعته حيثما توجهت، وفيك من آثاره ما يغنيك، والظاهر منا البارز بنفسه المعلوم بحده، فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى.

وأما (الباطن): فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها، ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً، كقول القائل: بطنته بمعنى: (خبرته) وعلمت مكنون سره، والباطن منا الغاير في الشيء المستقر فيه، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

قال: وهكذا جميع الأسماء وإن كنا لم نسمها كلها.

وكان المأمون لما أراد أن يستخلف الرضا، جمع بني هاشم فقال: إنّي اريد أن استعمل الرضا«ع» على هذا الأمر من بعدي.

فحسده بنو هاشم وقالوا: أتوّلي رجلا جاهلا. ليس له بصر بتدبير الخلافة؟ فابعث إليه يأتنا فترى من جهله ما تستدل به!

فبعث إليه فأتاه فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن إصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبدالله عليه، فصعد المنبر فقعد مليّاً لا يتكلم مطرقاً ثم انتفض انتفاضة فاستوى قائماً وحمدالله تعالى وأثنى عليه، وصلّى على نبيه وأهل بيته ثم قال:

أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه،[1] بشهادة العقول أنَّ كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أنَّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث،[2] فليس الله عرف من عرف ذاته، بالتشبيه، ولا إياه وحد من اكتنهه، ولا حقيقته أصاب

(١) «اول عبادةالله» أي: أشرفها وأقدمها رتبة «معرفته» تعالى لأنّ الطاعة والعبادة تأتي بعد المعرفة فهي متأخرة رتبة عنها ولا تقبل عبادة بدون المعرفة فهي دونها في الشرف أيضاً «وأصل معرفة الله توحيده» أي تنزيهه عن التركيب والشركة «ونظام التوحيد» أي تمامه وكماله «نفي الصفات الزائدة عنه» فلا يتم التوحيد الا بالقول بأنَّ صفاته تعالى عين ذاته.

(٢) ثم إنه عليه السلام شرع باقامة الدليل على نفي الصفات الزائدة على الذات ـ فقال: (لشهادة العقول أنّ كل صفة وموصوف مخلوق) وذلك: أنَّ الصفة لا قوام لها إلا بالموصوف فهي محتاجة إليه لا تنفك عنه. وبها كمال الموصوف فهو محتاج إليها. والحاجة دليل الا مكان (وشهادة كل مخلوق أنَّ له خالقاً) غنياً بذاته (ليس بصفة) حتى يفتقر إلى الموصوف ليقوّم به ذاته (ولا موصوف) حتى يحتاج إلى الصفة لكي يكمل بها ذاته (وشهادة كل صفة وموصوف بالإقتران) لما عرفت من حاجة بعضها إلى الآخر وشهادة الاقتران بالحدث الخ توضيح ذلك: هو أنَّ الصفة والموصوف إما أن يكونا قديمين. أو يكون أحدهما قديماً والآخر حادثاً. أو يكونا حادثين. ولا رابع لهذا الحصر الثلاثي.

من مثّله، ولا به صدّق من نهّاه، ولا صمد صمده من أشار إليه ولا إياه عنى من شبّهه، ولا له تذلل من بعّضه، ولا إياه أراد من توهّمه[١] كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول،[٢] بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجته،[٣] خلقة الله الخلق حجاب بينه وبينهم،[٤] ومفارقته إياهم مباينة بينه وبينهم، وابتداؤه إياهم دليل على أن لا ابتداء له، لعجز كل مبتدإ عن ابتداء غيره، وادوه إياهم دليل على أن لا أداة له، لشهادة الأدوات بفاقة المؤدين.

فأسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيره تحديد لما سواه، فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعداه من استمثله، وقد أخطأه من اكتنهه،[٥] ومن قال: «كيف» فقد شبهه، ومن قال: «لِمَ» فقد علّله، ومن قال: «متى» فقد وقته، ومن قال: «فيم» فقد ضمّنه، ومن قال: «إلى مَ» فقد نهّاه، ومن قال: «حتى مَ» فقد غيّاه ومن غيّاه فقد غاياه، ومن غاياه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد وصفه، ومن وصفه فقد ألحد فيه، ولا يتغير الله بتغير المخلوق، كما لا يتحدد بتحديد المحدود.

أحد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مباين لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسم موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بجول فكرة، مدبّر لا بحركة، مريد لابهمامة، شاء لا بهمة، مدرك لا بمجسة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة، لا تصحبه الأوقات، ولا تضمنه الأماكن، ولا تأخذه السنات، ولا تحدّه الصفات ولا تقيده الأدوات.

سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والإبتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له،[٦]

والأول باطل لما يلزم منه القول بتعدد القدماء وقد ثبت بطلانه.

والثاني يبطله الاقتران والحاجة والافتقار لما ألمحنا إليه آنفاً وحينئذ يثبت القول الثالث وهو المطلوب.

(١) (فليس الله) الواجب الوجود الواحد الأحد (عرف من عرف بالتشبيه ذاته) بل عرف ممكناً من مخلوقاته (ولا إياه وحد من اكتنهه) أي جعل له كنهاً (ولا حقيقته أصاب من مثله) أي جعل له مثالا وصورة سواء كانت ذهنية أو خارجية (ولا به صدق من نهاه) أي جعل له حداً ونهاية (ولا صمد صمده) أي قصد نحوه (من أشار اليه) سواء بالاشارة الحسية أو الذهنية (ولا إياه عني من شبهه) وإنما عنى ممكناً من الممكنات، ومخلوقاً من جملة المخلوقات (ولا تذلل) أي تعبد (من بعضه) أي جعل له أبعاضاً وجزأه فهو إنما عبد جسماً مخلوقاً مركباً له أجزاء وأبعاض (ولا إياه أراد من توهمه) أي: تصور له صورة ذهنية.

(٢) (كل معروف بنفسه) أي: بكنه حقيقته (مصنوع) لما يلزمه من التركيب (وكل قائم في سواه) لا يكون علة لاحتياجه إلى الغير فهو (معلول).

(٣) (بصنع الله) وحكيم تدبيره (يستدل عليه) (وبالعقول تعتقد معرفته ـ وبالفطرة) التي هي بمعنى الابتداع أفي الله شك فاطر السماوات والأرض (تثبت حجته) ولعل في قوله عليه السلام بالفطرة إشارة إلى قول النبي صلّى الله عليه وآله: «كل مولود يولد على الفطرة إلا أنّ أبراه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» فالعقول لو تركت على فطرتها وأصل خلقتها لآمنت به تعالى.

(٤) (خلقة الله الخلق حجاب) حاجز (بينه) في كماله وغناه ووجوبه الذاتي (وبينهم) في حاجتهم إليه ونقصهم وإمكانهم الذاتي (ومفارقته إياهم) في الصفات دليل على (مباينة بينه وبينهم) في الذات، وفي بعض النسخ (ومباينته إياهم مفارقته أينيتهم) أي: أنّ مفارقته الأينية التي هي من لوازم الأجسام دلت على مباينته إياهم في الذات أو أنّ مباينته إياهم في الذات دلت على مفارقته لهم فيما اختصوا به من الأينية فلا يقال له: (أين هو) لأنّ ذاته تباين ذواتهم فلا يلازمها ما يلزم الممكنات.

(٥) مر مثل هذه الفقرات للامام أمير المؤمنين عليه السلام في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٢٩٤ فليراجع.

(٦) أراد عليه السلام بتشعيره المشاعر جعلها تشعر وتنفعل، ولما كانت الانفعالات تحدث وتزول فقد دلت على تنزه خالقها

وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له،(١) وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الامور عرف أن لا قرين له.

ضادَّ النور بالظلمة، والجلاية بالبهمة، والجسو بالبلل، والصرد بالحرور،(٢) مؤلف بين متعادياتها، مفرِّق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرقها، وبتأليفها على مؤلفها ذلك قوله عز وجل: ﴿**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾ ففرّق بين **قبل** و**بعد** ليعلم أن لا قبل له ولا بعد.

شاهدة بغرائزها: أن لا غريزة لمغرزها، دالة بتفاوتها: أن لا تفاوت لمفاوتها، مخبرة بتوقيتها: أن لا وقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيره، له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الالهية إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع.

ليس منذ خَلَقَ استحق معنى اسم الخالق ولا باحداثه البرايا استفاد معنى البارئية، كيف ولا يغيبه: «**مذ**» ولا تدنيه: «**قد**» ولا يحجبه: «**لعلّ**» ولا يوقته: «**متى**» ولا يشتمله: «**حين**» ولا يقارنه: «**مع**» إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها، وفي الأشياء توجد فعالها.

منعتها «**منذ**» القدمة، وحمتها «**قد**» الأزلية، وجنبتها «**لولا**» التكملة.

افترقت فدلت على مفرقها، وتباينت فاعزت على مباينها، بها تجلى صانعها للعقول وبها احتجب عن الرؤية، وإليها تحاكم الأوهام، وفيها اثبت غيره، ومنها انبط الدليل، وبها عرف الاقرار، وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالاقرار يكمل الايمان به.

لا ديانة إلا بعد معرفته، ولا معرفة إلا بالاخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع إثبات الصفة للتثنية، وكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع في صانعه.

ولا يجري عليه الحركة ولا السكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود فيه ما هو ابتداه إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزى كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولما كان للباري معنى غير المبروء، ولو وجد له وراء وجد له أمام، ولاالتمس التمام إذ لزمه النقصان، وكيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث؟ أم كيف ينشيء الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء؟ إذاً لقامت عليه آية المصنوع، ولتحوَّل دليلاً بعدما كان مدلولاً عليه، ليس في محال القول حجة، ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه الله تعظيم، ولا في إبانته عن الحق ضيم إلا بامتناع الأزلي أن يثنى، ولما بدى له أن يبديء لا إله إلا الله العلي العظيم كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً، وصلّى الله على محّمد وآله الطاهرين.

---

(١) جوهر الشيء حقيقته وطبيعته، والمعنى: بخلقه عناصر الاشياء وموادها وطبائعها المتصفة بما يدل على حدوثها ظهر أن لا طبيعة له او مادة فيكون حادثاً مثلها محتاجاً إلى محدث.

(٢) الجسو: اليبس، والصرد: البرد، والحرور: الريح الحارة.

وروي عن الحسن بن محمّد النوفلي[١] أنه كان يقول: قدم سليمان المروزي متكلم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله، ثم قال له: إنَّ ابن عمي عليّ بن موسى الرضا قدم عليَّ- من الحجاز- يحب الكلام وأصحابه، فعليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته.

فقال سليمان: يا أمير المؤمنين إنّي أكره أن أسأل مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم، فينتقص عند القوم اذا كلمني ولا يجوز الاستقصاء عليه.

قال المأمون: إنما وجهت إليك لمعرفتي بقوتك، وليس مرادي إلا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط.

فقال سليمان: حسبك يا أمير المؤمنين! إجمع بيني وبينه، وخلني وإياه.

فوجه المأمون إلى الرضا«ع»، فقال له: إنه قدم علينا رجل من أهل مرو، وهو واحد خراسان من أصحاب الكلام، فان خف عليك أن تتجشم المصير إلينا فعلت.

فنهض«ع» للوضوء ثم حضر مجلس المأمون، وجرى بينه وبين سليمان المروزي كلام في البداء بمعنى الظهور، لتغير المصلحة، واستشهد«ع» بآي كثيرة من القرآن على صحة ذلك، مثل قول الله: ﴿**يبدىء الخلق ثم يعيده**﴾[٢] و﴿**يزيد في الخلق ما يشاء**﴾[٣] و﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾[٤] و﴿**ما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره**﴾[٥] و﴿**آخرون مرجوون لأمر الله**﴾[٦] وأمثال ذلك.

فقال سليمان: يا أمير المؤمنين لا انكر بعد يومي هذا البداء، ولا اكذب به إن شاءالله[٧].

---

(١) قال العلامة الحلي رحمه‌الله في القسم الثاني من الخلاصة ص ٢١٣: «الحسن بن محمد بن سهل النوفلي ضعيف».
(٢) الروم- ١١.
(٣) فاطر- ١.
(٤) الرعد - ٤١.
(٥) فاطر- ١١.
(٦) التوبة- ١٠٧.
(٧) عقيدتنا نحن الامامية في البداء تتلخص فيما يلي:
لقد ثبت من الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت سلام الله عليهم أنّ الله سبحانه وتعالى خلق لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات:
الأول: اللوح المحفوظ:
وهو اللوح المطابق لعلمه تعالى لا يحدث فيه أي تبدل أو تغيير.
الثاني- لوح المحو والإثبات:
وهو الذي يتغير ويتبدل ما فيه حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية قبل وقوعه وتحققه في الخارج.
وهذا اللوح- أعني- لوح المحو والإثبات تطلع عليه الرسل والأنبياء والأوصياء والملائكة، وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: إنّ‌الله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء، وعلم علمه ملائكته وأنبياءه ورسله فنحن نعلمه.
ومعنى البداء ظهور الشيء بعد خفائه، وهو في عقيدة الامامية: ظهور الشيء من الله لمن يشاء من خلقه بعد إخفائه عنهم فقولنا: «بدالله» معناه بدالله شأن أو حكم وليس معناه ظهر له ما خفي عليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وورد عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: إنّ الله لم يبدله من جهل، وقال عليه السلام: ما بدالله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له. إذن فالبداء: هو محو ما كان ظاهراً في لوح المحو والإثبات وتبديله بما سبق في علم الله الثابت في اللوح المحفوظ الذي لا يقبل التغيير والتبديل.

فقال المأمون: يا سليمان إسأل أبا الحسن عما بدا لك وعليك بحسن الاستماع والانصاف!

قال سليمان: يا سيدي ما تقول فيمن جعل الإرادة اسماً وصفة، مثل: حي وسميع، وبصير، وقدير؟.

قال الرضا«ع»: إنما قلتم حدثت الأشياء واختلفت، لأنه شاء وأراد، ولم تقولوا: «حدثت واختلفت» لأنه سميع بصير، فهذا دليل على أنها ليست مثل سميع وبصير ولا قدير. **قال سليمان**: فانه لم يزل مريداً؟

قال: يا سليمان فارادته غيره؟ **قال**: نعم.

قال: قد أثبت معه شيئاً لم يزل! **قال** سليمان: ما أثبت؟

قال الرضا «ع»: أهي محدثة؟

قال سليمان: لا، ما هي محدثة! فأعاد عليه المسألة فقال: هي محدثة يا سليمان؟ فان الشيء إذا لم يكن أزلياً كان محدثاً، وإذا لم يكن محدثاً كان أزلياً.

قال سليمان: ارادته منه كما أنَّ سمعه وبصره وعلمه منه.

قال الرضا«ع»: فارادته نفسه؟ **قال**: لا.

قال: فليس المريد مثل السميع والبصير.

قال سليمان: إنما إرادته كما سمع نفسه، وأبصر نفسه، وعلم نفسه.

قال الرضا«ع»: ما معنى أراد نفسه، أراد أن يكون شيئاً، أو أراد أن يكون حياً، أو سميعاً، أو بصيراً أو قديراً؟ **قال**: نعم.

قال الرضا «ع»: أفبارادته كان ذلك؟ **قال سليمان**: نعم.

قال الرضا«ع»: فليس لقولك أراد أن يكون حياً سميعاً بصيراً معنى، إذ لم يكن ذلك بارادته. **قال سليمان**: بلى قد كان ذلك بارادته.

فضحك المأمون ومن حوله، وضحك الرضا«ع»، ثم قال لهم: ارفقوا بمتكلم خراسان!

فقال يا سليمان: فقد حال عندكم عن حاله وتغير عنها، وهذا مما لا يوصف الله عز وجل به، فانقطع.

ثم قال الرضا«ع»: يا سليمان أسألك عن مسألة؟ **قال**: سل جعلت فداك!

قال: أخبرني عنك وعن أصحابك تكلمون الناس بما تفقهون وتعرفون، أو بما لا تفقهون وتعرفون؟ **فقال**: بل بما نفقهه ونعلم.

قال الرضا«ع»: فالذي يعلم الناس: أنَّ المريد غير الارادة، وأنَّ المريد قبل الارادة، وأنَّ الفاعل قبل المفعول، وهذا يبطل قولكم: إنَّ الارادة والمريد شيء واحد.

قال: جعلت فداك ليس ذلك منه على ما يعرف الناس، ولا على ما يفقهون.

قال: فأراكم ادعتيم على ذلك بلا معرفة، وقلتم: الارادة كالسمع والبصر إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل. فلم يحر جواباً.

ثم قال الرضا«ع»: هل يعلم الله تعالى جميع ما في الجنة والنار؟ **قال** سليمان: نعم.

قال: فيكون ما علم الله عز وجل أنه يكون من ذلك؟ **قال**: نعم.

قال: فاذا كان حتى لا يبقى منه شيء إلا كان، أيزيدهم أو يطويه عنهم؟ **قال** سليمان: بل يزيدهم.

قال: فأراه في قولك قد زادهم ما لم يكن في علمه أنه يكون.

قال: جعلت فداك! فالمزيد لا غاية له.

قال: فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيهما اذا لم يعرف غاية ذلك، واذا لم يحط علمه بما يكون فيهما لم يعلم ما يكون فيهما قبل أن يكون، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!!

قال سليمان: إنما قلت: لا يعلمه، لأنه لا غاية لهذا، لأنَّ الله عز وجل وصفهما بالخلود، وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعاً.

قال الرضا«ع»: ليس علمه بذلك بموجبٍ لانقطاعه عنهم، لأنه قد يعلم ذلك ثم يزيدهم ثم لا يقطعه عنهم، ولذلك قال عز وجل في كتابه: **﴿كلما نضجت جلودهم بدَّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾**[1] وقال لأهل الجنة: **﴿عطاء غير مجذوذ﴾**[2] وقال عز وجل: **﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾**[3] فهو عز وجل يعلم ذلك ولا يقطع عنهم الزيادة، أرأيت ما أكل أهل الجنة وما شربوا أليس يخلف مكانه؟ **قال**: بلى.

قال: أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه؟ **قال** سليمان: لا.

قال: فكذلك كلما يكون فيها اذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم. **قال سليمان**: بلى، يقطعه عنهم ولا يزيدهم.

قال الرضا«ع»: إذاً يبيد ما فيها، وهذا يا سليمان إبطال الخلود وخلاف الكتاب، لأنَّ الله عز

---

(١) النساء- ٥٥.
(٢) هود- ١٠٩.
(٣) الواقعة- ٣٣.

وجل يقول: ﴿**لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد**﴾(١) ويقول عز وجل: ﴿**عطاء غير مجذوذ**﴾(٢) ويقول عز وجل: ﴿**وما هم عنها بمخرجين**﴾(٣) ويقول عز وجل: ﴿**خالدين فيها**﴾(٤) ويقول عز وجل: ﴿**وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة**﴾(٥) فلم يحر جواباً. ثم قال الرضا«ع»: ألا تخبرني عن الارادة: **فعل أم هي غير فعل؟ قال**: بل هي فعل.

قال: فهي محدثة لأنَّ الفعل كله محدث! **قال**: ليست بفعل.

قال: فمعه غيره لم يزل؟ قال سليمان: إنَّ الارادة هي الأشياء.

قال: يا سليمان هذا الذي عبتموه على ضرار وأصحابه من قولهم: إنَّ كل ما خلق الله عز وجل في سماء أو أرض أو بحر أو برّ، من: كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابة: إرادة الله، وإنَّ إرادة الله تحيا وتموت، وتذهب، وتأكل وتشرب، وتنكح وتلد، وتظلم وتفعل الفواحش، وتكفر وتشرك، فتبرأ منها وتعاديها وهذا حدها.

قال سنليمان: إنها كالسمع والبصر والعلم.

قال الرضا«ع»: فكيف نفيتموه؟ فمرّة قلتم لم يرد، ومرّة قلتم أراد، وليست بمفعول له. قال سليمان: إنما ذلك كقولنا مرّة علم ومرّة لم يعلم.

قال الرضا«ع»: ليس ذلك سواء لأنَّ نفي المعلوم ليس ينفي العلم، ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون، لأنَّ الشيء إذا لم يرد لم تكن إرادة، وقد يكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم، بمنزلة البصر: فقد يكون الانسان بصيراً وإن لم يكن المبصر، ويكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم.

فلا يزال سليمان يردد المسألة وينقطع فيها ويستأنف، وينكر ما كان أقرّ به، ويقرّ بما أنكر وينتقل من شيء إلى شيء، والرضا صلوات الله عليه ينقض عليه ذلك حتى طال الكلام بينهما، وظهر لكل أحد انقطاعه مرّات كثيرة، تركنا ايراد ذلك مخافة التطويل، فآل الأمر إلى أن قال سليمان: إنّ الارادة هي القدرة.

قال الرضا«ع»: وهو عز وجل يقدر على ما لا يريد أبد الآبدين من ذلك لأنه قال تبارك وتعالى: ﴿**ولئن شئنا لنذهبنَّ بالذي أوحينا إليك**﴾(٦) فلو كانت الارادة هي القدرة، كان قد أراد أن يذهب به لقدرته.

فانقطع سليمان وترك الكلام عند هذا الانقطاع، ثم تفرق القوم.

---

(١) ق- ٣٥.
(٢) هود- ١٠٩.
(٣) الحجر- ٤٨.
(٤) البقرة- ١٦٢.
(٥) الواقعة- ٣٣.
(٦) الاسراء- ٨٦.

وعن صفوان بن يحيى[١] قال: سألني أبو قرة المحدّث صاحب شبرمة أن ادخله على أبي الحسن الرضا «ع»، فاستأذنه فأذن له، فدخل فسأله عن أشياء من الحلال والحرام والفرائض والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال له: أخبرني- جعلني الله فداك- عن كلام الله لموسى؟

فقال: الله أعلم بأيّ لسان كلمه بالسريانية أم بالعبرانية. فأخذ أبو قرة بلسانه فقال: إنما أسألك عن هذا اللسان!

فقال أبو الحسن: سبحان الله عما تقول! ومعاذالله أن يشبه خلقه، أو يتكلم بمثل ما هم به متكلمون، ولكنّه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، ولا كمثله قائل ولا فاعل. **قال**: كيف ذلك؟

قال: كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق، ولا يلفظ بشق فم ولسان، ولكن يقول له: «كن» فكان بمشيته: ما خاطب به موسى «ع» من الأمر والنهي من غير تردد في نفس.

فقال أبو قرة: فما تقول في الكتب؟

فقال أبو الحسن «ع»: التوراة والانجيل والزبور والفرقان، وكل كتاب أنزل كان كلام الله أنزله للعالمين نوراً وهدى، وهي كلها محدثة، وهي غير الله حيث يقول: ﴿ويحدث لهم ذكراً﴾[٢] وقال: **﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم إلا استمعوه وهم يلعبون﴾**[٣] والله أحدث الكتب كلها التي أنزلها.

فقال أبو قرة: فهل تفنى؟

فقال أبو الحسن «ع»: أجمع المسلمون على أنّ ما سوى الله فانٍ، وما سوى الله فعل الله، والتوراة والانجيل والزبور والفرقان فعل الله، ألم تسمع الناس يقولون: «ربّ القرآن» وأنّ القرآن يقول يوم القيامة: «يا رب هذا فلان- وهو أعرف به منه- قد أظمأت نهاره وأسهرت ليله فشفعني فيه» وكذلك

---

(١) صفوان بن يحيى: أبو محمد البجلي مولى بني بجيلة بياع السابري كوفي.

قال الشيخ الطوسي «ره»: إنه أوثق أهل زمانه عند أصحاب الحديث وغيرهم وكان يصلي كل يوم خمسين ومائة ركعة، ويصوم في السنة ثلاثة أشهر، ويخرج زكاة ماله في السنة ثلاث مرات وذلك أنه اشترك هو وعبد الله بن جندب وعلي بن النعمان في بيت الله الحرام وتعاقدوا جميعاً: أنّ من مات منهم يصلي من بقي صلاته ويصوم عنه ويزكي عنه ما دام حياً فمات صاحباه وبقي صفوان بعدهما، وكان يفي لهما بذلك فيصلي عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما ويزكي عنهما، وكل شيء من البر والاحسان يفعله لنفسه كذلك يفعله عن صاحبيه، وكان وكيل الرضا «ع».

وقال أبو عمرو الكشي أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عن صفوان بن يحيى بياع السابري والإقرار له بالفقه في آخرين يأتي ذكرهم في مواضعهم إن شاء الله تعالى.

وروى عن محمد بن قولويه عن احمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن معمر بن خلاد قال: قال أبو الحسن «ع»: ما ذئبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأضر في دين المسلم من حب الرياسة، ثم قال عليه السلام ولكن صفوان لا يحب الرياسة.

وكان له عند الرضا عليه السلام منزلة شريفة، وتوكل للرضا عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام، وسلم مذهبه من الوقف، وكانت له منزلة من الزهد والعبادة.

القسم الأول من خلاصة العلامة ص ٨٨.

(٢) طه - ١٣.

(٣) البقرة - ٢١.

التوراة والانجيل والزبور، وهي كلها محدثة مربوبة، أحدثها من ليس كمثله شيء هدى لقوم يعقلون، فمن زعم أنهنَّ لم يزلن معه فقد أظهر: أنَّ الله ليس بأول قديم، ولا واحد وأنّ الكلام لم يزل معه وليس له بدؤ وليس بإله.

قال أبو قرة: وإنا روينا: أنّ الكتب كلها تجيء يوم القيامة والناس في صعيد واحد صفوف قيام لرب العالمين ينظرون حتى ترجع فيه، لأنها منه وهي جزء منه، فاليه تصير.

قال أبو الحسن«ع»: فهكذا قالت النصارى في المسيح: إنه روحه: جزء منه ويرجع فيه، وكذلك قالت المجوس- في النار والشمس-: إنهما جزء منه ترجع فيه، تعالى ربنا أن يكون متجزياً أو مختلفاً وإنما يختلف ويأتلف المتجزي، لأنّ كل متجزٍ متوهم، والكثرة والقلة مخلوقة دالة على خالق خلقها.

فقال أبو قرة: فإنا روينا: أنَّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسم لموسى«ع» الكلام ولمحمد«ص» الرؤية.

فقال أبو الحسن«ع»: فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين الجن والانس: أنه لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء، أليس محّمد«ص»؟ قال: بلى.

قال أبو الحسن: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم: أنّه جاء من عندالله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: إنه لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء، ثم يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر، أما تستحيون؟! ما قدرت للزنادقة أن ترميه بهذا: أن يكون أتى عن الله بأمر ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

فقال أبو قرة: إنه يقول: **﴿ولقد رآه نزلة أُخرى﴾**(١).

فقال أبو الحسن«ع»: إنَّ بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾**(٢) يقول: ما كذب فؤاد محّمد«ص» ما رأت عيناه ثم أخبر بما رأت عيناه فقال: **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾**(٣) فآيات الله غير الله، وقال: **﴿ولا يحيطون به علماً﴾**(٤) فاذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة. **فقال** أبو قرة: فتكذب بالرواية؟

فقال أبو الحسن«ع»: إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذبتها، وما أجمع المسلمون عليه: إنه لا يحاط به علماً. ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيء.

وسأله عن قول الله: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى﴾**(٥) فقال أبو الحسن«ع»: قد أخبر الله تعالى: أنه أسرى به، ثم أخبر: أنه لِمَ أسرى به، فقال:

(١ -٢ -٣ -٣) النجم - ١٣، ١١، ١٨.
(٤) طه - ١١٠
(٥) الإسراء - ١

﴿لنريه من آياتنا﴾[١] فآيات الله غير الله، فقد أعذر وبيّن لِمَ فعل به ذلك، وما رآه وقال: **﴿فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون﴾**[٢] فأخبر أنه غير الله.

فقال أبو قرة: أين الله؟

فقال أبو الحسن«ع»: الأين مكان، وهذه مسألة شاهد من غايب، فالله تعالى ليس بغائب، ولا يقدمه قادم، وهو بكل مكان موجود مدبّر صانع حافظ ممسك السماوات والأرض.

فقال أبو قرة: أليس هو فوق السماء دون ما سواها؟

فقال أبو الحسن«ع»: هو الله في السماوات وفي الأرض، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، وهو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء وهو معكم أينما كنتم، وهو الذي استوى إلى السماء وهي دخان، وهو الذي استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو الذي استوى على العرش، قد كان ولا خلق وهو كما كان إذ لا خلق، لم ينتقل مع المنتقلين.

فقال أبو قرة: فما بالكم إذ دعوتم رفعتم أيديكم إلى السماء؟

فقال أبو الحسن«ع»: إنّ الله استعبد خلقه بضروب من العبادة، ولله مفازع يفزعون إليه، ومستعبد فاستعبد عباده بالقول، والعلم والعمل والتوجه ونحو ذلك. استعبدهم بتوجه الصلاة إلى الكعبة، ووجه إليها الحج والعمرة، واستعبد خلقه عند الدعاء والطلب والتضرع، ببسط الأيدي ورفعها إلى السماء لحال الاستكانة وعلامة العبودية والتذلل له.

قال أبو قرة: فمن أقرب إلى الله: الملائكة، أو أهل الأرض؟

قال أبو الحسن«ع»: إن كنت تقول بالشبر والذراع، فانّ الأشياء كلها باب واحد هي فعله لا يشغل ببعضها عن بعض، يدبّر أعلى الخلق من حيث يدبر أسفله، ويدبر أوله من حيث يدبر آخره من غير عناء ولا كلفة ولا مؤونة ولا مشاورة ولا نصب، وإن كنت تقول من أقرب إليه في الوسيلة، فأطوعهم له وأنتم تروون أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد، ورويتم أنّ أربعة أملاك التقوا أحدهم من أعلى الخلق، وأحدهم من أسفل الخلق، وأحدهم من شرق الخلق وأحدهم من غرب الخلق، فسأل بعضهم بعضاً فكلهم قال: «من عند الله» أرسلني بكذا وكذا، ففي هذا دليل على أنّ ذلك في المنزلة دون التشبيه والتمثيل.

فقال أبو قرة: أتقر أنّ الله محمول؟

فقال أبو الحسن(ع): كل محمول مفعول، ومضاف إلى غيره محتاج، فالمحمول اسم نقص في اللفظ، والحامل فاعل وهو في اللفظ ممدوح، وكذلك قول القائل: فوق. وتحت وأعلى وأسفل، وقد قال

---

(١) الاسراء ـ ١

(٢) الجاثية ـ ٥ .

الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[١] ولم يقل في شيء من كتبه إنه محمول، بل هو الحامل في البر والبحر، والممسك للسماوات والأرض، والمحمول ما سوى الله، ولم نسمع أحداً آمن بالله وعظمه قط قال في دعائه: «يا محمول».

قال أبو قرة: أفتكذب بالرواية: إنّ الله اذا غضب يعرف غضبه الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله في كواهلهم فيخرون سجداً، فاذا ذهب الغضب خف فرجعوا إلى مواقفهم؟

فقال أبو الحسن«ع»: أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا وإلى يوم القيامة فهو غضبان على إبليس وأوليائه أو عنهم راض؟

فقال: نعم هو غضبان عليه:

قال: فمتى رضي فخف وهو في صفتك لم يزل غضباناً عليه وعلى أتباعه؟ ثم قال: ويحك كيف تجتري أن تصف ربك بالتغير من حال إلى حال، وأنه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟! سبحانه لم يزل مع الزائلين ولم يتغير مع المتغيرين.

قال صفوان: فتحير أبو قرة ولم يحر جواباً حتى قام وخرج.

عن عبد السلام بن صالح الهروي[٢] قال: قلت لعليِّ بن موسى الرضا«ع»: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث: إنّ المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة؟

فقال«ع»: يا أبا الصلت إنَّ الله تبارك وتعالى فضل نبيه محمّداً«ص» على جميع خلقه من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومبايعته مبايعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال عز وجل: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**[٣] وقال: **﴿إنَّ الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدالله فوق أيديهم﴾**[٤] وقال النبي«ص»: **﴿من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زارالله﴾** ودرجة النبي«ص» في

---

(١) الأعراف - ١٧٩ .

(٢) قال الشيخ الطوسي في أصحاب الرضا عليه السلام من رجاله ص٣٨٠ : عبد السلام بن صالح الهروي أبو الصلت عامي وص ٣٩٦ منه أبو الصلت الخراساني الهروي عامي روى عنه بكر بن صالح وقال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص١١٧ : عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي روى عن الرضا عليه السلام ثقة صحيح الحديث وقال الشيخ عباس القمي في ج١ من الكنى والألقاب ص٩٦ : «عبد السلام بن صالح الهروي روى عن الرضا عليه السلام ثقة صحيح الحديث قاله جيش والعلامة ، له كتاب : (وفاة الرضا «ع») وكان «ره» كما يشعر به بعض الكلمات مخاطباً للعامة وراوياً لأخبارهم فلذلك التبس أمره على بعض المشايخ فذكر أنه عامي . قال الاستاذ الأكبر في التعليقة بعد نقل كلام الشهيد الثاني في تشيعه لا يخفى أنّ الأمر كذلك فإنَّ الأخبار الصادرة عنه في العيون والأمالي وغيرهما الناصة على تشيعه بل وكونه من خواص الشيعة أكثر من أن تحصى ، وعلماء العامة ذكروا أنه شيعي قال الذهبي في ميزان الأعتدال : عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي رجل صالح إلا أنه شيعي ونقل عن الجعفي أنه رافضي خبيث وقال الدار قطني إنه رافضي متهم وقال ابن الجوزي إنه خادم للرضا شيعي مع صلاحه وعن الأنساب للسمعاني قال أبو حاتم هو رأس مذهب - الرافظة . . الى ان قال : أقول : الروايات الدالة على تشيعه كثيرة وقد اشرت إلى نبذ منها في كتاب سفينة البحار وروى الشيخ الطوسي «ره» عنه في الشكر ما ينبغي ان يكتب بالتبر» توفي سنة ٢٣٦ هـ .

(٣) النساء - ٧٩.

(٤) الفتح - ١٠

الجنة أرفع الدرجات، فمن زاره في درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى.

قال: قلت: يا ابن رسول الله فما معنى الخبر الذي رووه: أنّ ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجه الله؟

فقال (ع): يا أبا الصلت فمن وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبياؤه ورسله وحججه عليهم صلوات الله، هم الذين بهم يتوجه إلى الله عز وجل وإلى دينه ومعرفته، فقال الله عز وجل: ﴿**كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام**﴾[1] وقال الله عز وجل: ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾[2] فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه (ع) في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين، وقد قال النبي (ص): «من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة»[3] وقال (ص) «إنّ فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني»[4] يا أبا الصلت إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يدرك بالأبصار والأوهام.

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن الجنة والنار: أهما اليوم مخلوقان؟

قال: نعم وإنّ رسول الله «ص» قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء.

قال: فقلت له: إنّ قوماً يقولون: إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين؟

فقال: ما اولئك منا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي «ص» وكذبنا، وليس من ولايتنا على شيء، ويخلد في نار جهنم قال الله عز وجل: ﴿**هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن**﴾[5] وقال النبي «ص»: «لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل «ع» فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته، فتحول ذلك نطفة في صلبي، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة «ع»، ففاطمة حوراء إنسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة»[6].

وقال الرضا «ع»: في قول الله عز وجل: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾[7] قال: يعني- مشرقة- تنتظر ثواب ربها.

---

(١) الرحمن - ٢٧.
(٢) القصص - ٨٨.
(٣) راجع ذخائر العقبى ص٢ وينابيع المودة ج٢ ص٣٠٥.
(٤) راجع نفس المصدر السابق.
(٥) الرحمن - ٤٣.
(٦) في ينابيع المودة ص١٩٧ عن عايشة قالت. قلت يا رسول الله ما لك إذا جعلت لسانك في فيها كأنك تريد أن تلعقها عسلا؟ قال: لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرائيل الجنة فناولني تفاحة فأكلتها، فصارت نطفة في ظهري، فلما نزلت من السماء واقعت خديجة ففاطمة من تلك النطفة فكلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلتها، ثم قال: أخرجه أبو سعد في شرف النبوة وفيه أيضاً عن ابن عباس كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلم يكثر القبلة لفاطمة، فقالت له: إنّك تكثر تقبيل فاطمة؟: فقال: إنّ جبرئيل أدخلني الجنة ليلة اسري بي إلى السماء فأطعمني من جميع ثمارها، فصارت ماء في صلبي فحملت خديجة بفاطمة، فاذا اشتقت إلى تلك الثمار، قبلت فاطمة فأصبت من تقبيلها رائحة جميع تلك الثمار التي أكلتها. ثم قال: أخرجه أبو الفضل بن خيرون.
(٧) القيامة - ٢٣.

وقال«ع» : إنَّ النبي«ص» قال : «قال الله جل جلاله : ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي ، وما عرفني من شبهني بخلقي ، وما على ديني من استعمل القياس في ديني» وقال : «من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم» ثم قال : إنَّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، ومحكماً كمحكم القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا.

وقال: من شبّه الله بخلقه فهو مشرك، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر.

وعن الحسين بن خالد[١] قال : سمعت الرضا«ع» يقول : لم يزل الله عز وجل عليماً قادراً حياً قديماً سميعاً بصيراً.

فقلت : يا ابن رسول الله إنَّ قوماً يقولون : لم يزل عالماً بعلم، وقادراً بقدرة وحياً بحياة، وقديماً بقدم، وسميعاً بسمع، وبصيراً ببصر.

فقال«ع» : من قال ذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أُخرى، وليس من ولايتنا على شيء ثم قال« ع» : لم يزل الله عز وجل عليماً قادراً حياً قديماً سميعاً بصيراً ـ لذاته ـ تعالى عما يقول المشركون والمشبّهون علواً كبيراً.

وعن الحسين بن خالد قال : قلت للرضا« ع » : يا ابن رسول الله إنَّ قوماً يقولون : إنَّ رسول الله«ص» قال: «إنَّ الله خلق آدم على صورته».

فقال: قاتلهم الله! لقد حذفوا أول الحديث، إنَّ رسول الله مرّ برجلين يتسابان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: «قبح الله وجهك ووجه من يشبهك» فقال له«ص» : «يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك! فإنَّ الله عز وجل خلق آدم على صورته».

وعن إبراهيم بن أبي محمود[٢] قال : قلت للرضا«ع» : يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله«ص» : أنَّ الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؟

فقال «ع» : لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه ، والله ما قال «ع» كذلك إنما قال «ع» : « إنَّ الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء كلّ ليلة في الثلث الأخير وليلة الجمعة في أول الليل ، فيأمره فينادي : أهل من سائل فاعطيه ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ يا طالب الخير أقبل ، يا طالب الشر أقصر ! فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء » حدثني بذلك أبي عن جدي عن آبائه عن رسول الله «ص» .

وعن محمّد بن سنان قال : سألت أبا الحسن الرضا«ع» : هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق

---

(١) من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام ذكره الشيخ في رجاله صفحة ٣٤٧و٣٧٣ .

(٢) إبراهيم بن أبي محمود : ذكره الشيخ في أصحاب الكاظم «ع» ص ٣٤٣ وقال : له مسائل ، وفي أصحاب الرضا «ع» ص ٣٦٧ فقال : خراساني ثقة مولى . وقال العلامة في الخلاصة ص٣ : روي عن الرضا «ع» ثقة أعتمد على روايته .

الخلق؟ قال: نعم .

قلت : يراها ويسمعها ؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها شيئاً، هو نفسه، ونفسه هو، قدرته نافذة، فليس بمحتاج إلى أن يسمي نفسه، ولكنه اختار أسماء لغيره يدعوه بها، لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأول ما اختار نفسه «العلي العظيم» أعلى الأشياء كلها، فمعناه: «الله» واسمه: «العلي» هو أول أسمائه لأنه علا كلّ شيء.

وقال «ع» في قوله: ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾[1] فساق حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجداً، وتدمج أصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود.

وسئل عن قوله عز وجل: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾[2] فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عن عباده، ولكنه يعني: عن ثواب ربهم محجوبون.

وسئل عن قوله عز وجل: ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾[3]فقال: إنَّ الله لا يوصف بالمجيء والذهاب والإنتقال، إنما يعني بذلك: وجاءَ أمر ربك.

وسئل عن قوله: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ضلل من الغمام والملائكة**﴾[4] قال: معناه: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام وهكذا نزلت.

وسئل عن قوله عز وجل: ﴿**سخر الله منهم**﴾[5] وعن قوله: ﴿**الله يستهزىء بهم**﴾[6] وعن قوله: ﴿**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**﴾[7] وعن قوله: ﴿**يخادعون الله وهو خادعهم**﴾[8].

فقال : إنَّ الله لا يسخر ولا يستهزىء ولا يمكر ولا يخادع ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر وجزاء الخديعة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وسئل عن قوله عز وجل: ﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾[9] فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى لا يسهو، ولا ينسى، إنما يسهو وينسى المخلوق المحدث، ألا تسمعه عز وجل يقول: ﴿**وما كان ربك نسياً**﴾[10]وإنما يجازي من نسيه ونسي لقاء يومه، بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال:﴿**نسوا الله فأنساهم أنفسهم**﴾[11] وقال:﴿**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**﴾[12] أي نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا، أي فنجازيهم على ذلك.

وسئل عن قول الله عز وجل: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله**

---

(١) القلم- ٤٢.
(٢) المطففين- ١٥.
(٣) الفجر- ٢٢.
(٤) البقرة: ٢١٠.
(٥) التوبة: ٨.
(٦) البقرة: ١٥.
(٧) آل عمران: ٥٤
(٨) النساء: ١٤١.
(٩) التوبة: ٦٨.
(١٠) مريم: ٦٤.
(١١) الحشر: ١٩.
(١٢) الأعراف: ٥٠.

يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصَّعَّد في السماء﴾ [١] قال: ومن يرد الله أن يهديه بايمانه في الدنيا إلى جنته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئن إليه، ومن يرد أن يضله عن جنته ودار كرامته في الآخرة ـ لكفره به وعصيانه له في الدنيا ـ يجعل صدره ضيقاً حرجاً، حتى يشك في كفره ويضطرب في اعتقاد قلبه حتى يصير كأنما يصعد في السماء وكذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون.

أبو الصلت الهروي قال: سأل المأمون الرضا«ع» عن قول الله عز وجل: **﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾**؟[٢].

فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فنعلم أنه على كل شيء قدير، ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق السماوات السبع، ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام وهو مستول على عرشه، وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين، ولكنه عز وجل خلقها في ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فنستدل بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرة بعد مرة، ولم يخلق العرش لحاجة به إليه، لأنه غني عن العرش وعن جميع ما خلق، لا يوصف بالكون على العرش، لأنه ليس بجسم تعالى الله عن صفة خلقه علواً كبيراً.

وأما قوله: **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾** فانه عز وجل خلق خلقه ليبلوهم بتكليف طاعته وعبادته، لا على سبيل الامتحان والتجربة. لأنه لم يزل عليماً بكل شيء.

فقال المأمون: فرجت عني يا أبا الحسن فرج الله عنك.

ثم قال له: يا ابن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل: **﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾**[٣] و**﴿ما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله﴾**[٤].

فقال الرضا«ع»: حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفربن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه عليبن الحسين، عن أبيه الحسينبن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب«ع» قال: إنَّ المسلمين قالوا لرسول الله«ص»: لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الاسلام لكثر عددنا وقوينا على عدونا.

فقال رسول الله«ص»: «ما كنت لألقى الله عز وجل ببدعة لم يحدث إلي فيها شيئاً وما أنا من المتكلفين» فأنزل الله تعالى عليه: يا محمد **﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾** على سبيل الالجاء والاضطرار في الدنيا، كما يؤمن عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً، ولكني اريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين، ليستحقوا مني الزلفى والكرامة، ودوام الخلود في جنة الخلد، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.

---

(١) الأنعام: ١٢٥.
(٢) يونس ـ ٩٩.
(٣) هود ـ ٧.
(٤) يونس ـ ١٠٠.

وأما قوله عز وجل: **﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله﴾**[١] فليس ذلك على سبيل تحريم الايمان عليها، ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلا باذن الله، وإذنه أمره لها بالايمان بما كانت مكلفة متعبدة بها، وإلجاؤه إياها إلى الايمان عند زوال التكلف والتعبد عنها.

فقال المأمون: فرجت عني فرج الله عنك فأخبرني عن قول الله عز وجل: **﴿الذين كانت أعينهم في غطاءٍ عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾**[٢].

فقال: إنَّ غطاء العين لا يمنع من الذكر، والذكر لا يرى بالعين، ولكن الله عز وجل شبه الكافرين بولاية عليّبن أبي طالب«ع» **بالعميان**، لأنهم كانوا يستثقلون قول النبي«ص» فيه، ولا يستطيعون له سمعاً.

فقال المأمون: فرجت عني فرج الله عنك.

وعن عبد العظيمبن عبد الله الحسني رضي‌الله عنه[٣] عن إبراهيم بن أبي محمود[٤] قال: سألت أبا الحسن الرضا«ع» عن قول الله عز وجل **﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾**[٥] فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه. ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف، وخلى بينهم وبين اختيارهم.

قال: وسألته عن قول الله عز وجل: **﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾**[٦].

قال: الختم: هو «الطبع» على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم، كما قال عز وجل: **﴿بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾**[٧].

قال: وسألته عن الله عز وجل هل يجبر عباده على المعاصي؟

قال: لا، بل يخيرهم، ويمهلهم حتى يتوبوا.

قلت: فهل يكلف عباده ما لا يطيقون؟

فقال: كيف يفعل ذلك وهو يقول: **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾**[٨].

---

(١) آل عمران- ١٤٥ (٢) الكهف- ١٠٢.

(٣) أبو القاسم عبد العظيمبن عبد اللهبن عليبن الحسنبن زيدبن الحسنبن عليبن أبي طالب«ع» زاهد عابد ذو ورع ودين، معروف بالأمانة وصدق اللهجة عالم بامور الدين كثير الحديث والرواية، يروي عن الامامين الجواد والعسكري «عليهما السلام»، ولهما إليه الرسائل، ويروي عن جماعة من أصحاب موسى، بن جعفر وعليبن موسى«ع» له كتاب يسميه كتاب: «يوم وليلة» وله كتاب: «خطب أمير المؤمنين«ع» وقد كتب الصاحببن عباد رسالة مختصرة في أحوال عبد العظيم أوردها صاحب المستدرك في خاتمة المستدرك راجع الجزء الثاني من سفينة البحار ص ١٢٠، وخلاصة العلامة ص ١٣٠.

(٤) مرت ترجمته. (٥) البقرة ١٧.

(٦) البقرة: ٧. (٧) النساء. ١٥٤.

(٨) حم السجدة: ٤٦.

ثم قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفربن محمد، عن أبيه محمدبن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب «ع»، أنه قال: من زعم أنَّ الله يجبر عباده على المعاصي ويكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلوا وراءه، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً.

وعن يزيدبن عميربن معاوية الشامي[1] قال: دخلت على عليّ بن موسى الرضا بمرو، فقلت له: يا ابن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمّد«ع» أنه قال: «لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين» ما معناه؟

فقال: من زعم: أنّ الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها، فقد قال: «بالجبر» ومن زعم: أنّ الله فوض أمر الخلق والرزق الى حججه«ع» فقد قال «بالتفويض» والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك.

فقلت: يا ابن رسول الله فما أمر بين الأمرين؟

فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أُمروا به، وترك ما نهوا عنه.

قلت: وهل لله مشية وإرادة في ذلك؟

فقال: أما الطاعات، فارادة الله ومشيته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وارادته ومشيته في المعاصي: النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها.

قلت: فلله عز وجل فيها القضاء؟

قال: نعم. ما من فعل يفعله العباد من خير أو شر إلا ولله فيه قضاء. **قلت**: ما معنى هذا القضاء؟

قال: الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

وروي أنه ذكر عنده الجبر والتفويض فقال: إنَّ الله لم يطع باكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه، فان ائتمر العباد بطاعة لم يكن الله عنها صاداً ولا منها مانعاً، وان ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه. ثم قال«ع»: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه.

وعن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا«ع» قال: قلت له: يا ابن رسول الله إنّ الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر، لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك«ع».

فقال: يا ابن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي الأئمة في الجبر والتشبيه أكثر أم الأخبار التي رويت عن النبي«ص» في ذلك؟

---

(١) مجهول الحال لم اعثر له على ترجمة.

فقلت: بل ما رويت عن النبي«ص» أكثر.

قال: فليقولوا: إنَّ رسول الله«ص» كان يقول بالتشبيه والجبر.

فقلت له: إنهم يقولون: إنَّ رسول الله«ص» لم يقل شيئاً من ذلك وإنما روي عليه.

قال: فليقولوا في آبائي الأئمة«ع»: إنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنما روي عليهم ثم قال: من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك، ونحن براء منه في الدنيا والآخرة، يا ابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر «الغلاة» الذين صغروا عظمة الله، فمن أحبهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا، ومن والاهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا، ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برنا، ومن برهم فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا، ومن أهانهم فقد أكرمنا، ومن قبلهم فقد ردنا، ومن ردهم فقد قبلنا ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا، ومن صدقهم فقد كذبنا. ومن كذبهم فقد صدقنا، ومن أعطاهم فقد حرمنا، ومن حرمهم فقد أعطانا يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذنّ منهم ولياً ولا نصيراً.

* * *

إحتجاج الرضا عليه السلام على أهل الكتاب والمجوس ورئيس الصائبين وغيرهم.

روي عن الحسن بن محّمد النوفلي أنه قال: لما قدم عليّبن موسى الرضا صلوات الله عليه على المأمون، أمر الفضلبن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات، مثل: الجاثليق، ورأس الجالوت، ورؤ ساء الصائبين، والهربذ الأكبر، وأصحاب زردشت وقسطاس الرومي، والمتكلمين، ليسمع كلامه وكلامهم، فجمعهم الفضلبن سهل ثم أعلم المأمون باجتماعهم فقال: أدخلهم عليَّ ففعل، فرحب بهم المأمون ثم قال لهم:

إنما جمعتكم لخير، وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليَّ فاذا كان بكرة فاغدوا عليَّ ولا يتخلف منكم أحد.

فقالوا: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين، نحن مبكرون إن شاء الله.

قال الحسنبن محّمد النوفلي: فبينا نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرضا«ع» إذ دخل علينا ياسر الخادم- وكان يتولى أمر أبي الحسن«ع»- فقال: يا سيدي إنَّ امير المؤمنين يقرؤك السلام ويقول: فداك أخوك، إنه اجتمع إلينا أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمون من جميع أهل الملل، فرأيك في البكور علينا إن أحببت كلامهم، وإن كرهت ذلك فلا تتجشم وإن أحببت أن نصير إليك خف ذلك علينا.

فقال أبو الحسن«ع»: أبلغه السلام وقل: قد علمت ما أردت، وأنا صائر إليك بكرة إن شاء الله.

قال الحسن بن محّمد النوفلي: فلما مضى ياسر التفت إلينا ثم قال لي: يا نوفلي أنت عراقي ورقة العراقي غير غليظة، فما عندك في جمع ابن عمي علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات؟

فقلت: جعلت فداك يريد الامتحان، ويحب أن يعرف ما عندك، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان، وبئس والله ما بنى.

فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟

قلت: إنَّ أصحاب الكلام والبدع خلاف العلماء، وذلك أنَّ العالم لا ينكر غير المنكر، وأصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهتة إن احتججت عليهم بأنَّ الله واحد قالوا: صحح وحدانيته، وإن قلت: إنَّ محّمداً«ص» رسول، قالوا: ثبت رسالته، ثم يباهتون الرجل- وهو مبطل عليهم بحجته- ويغالطونه حتى يترك قوله، فاحذرهم جعلت فداك!

قال: فتبسم ثم قال لي: يا نوفلي أتخاف أن يقطعوا عليَّ حجتي؟!

قلت: لا والله ما خفته عليك قط، وإنّي لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله.

فقال لي: يا نوفلي أتحب أن تعلم متى يندم المأمون؟ قلت: نعم.

قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم، وعلى أهل الإنجيل بانجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرانيتهم، وعلى الهرابذة بفارسيتهم، وعلى أهل الروم بروميتهم، وعلى أهل المقالات بلغاتهم، فاذا قطعت كل صنف ودحضت حجته وترك مقالته ورجع إلى قولي، علم المأمون أنَّ الذي هو بسبيله ليس بمستحق له، فعند ذلك تكون الندامة منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فلما أصبحنا أتانا الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك إنَّ ابن عمك ينتظرك، اجتمع القوم فما رأيك في إتيانه؟

فقال له الرضا«ع»: تقدمني فاني سائر إلى ناحيتكم إن شاءالله، ثم توضأ وضوء الصلاة، وشرب شربة سويق وسقانا، ثم خرج وخرجنا معه حتى دخل على المأمون، وإذا المجلس غاص بأهله، ومحّمدبن جعفر في جماعة الطالبيين والهاشميين والقواد حضور.

فلما دخل الرضا«ع»، قام المأمون :وقام محّمدبن جعفر وجميع بني هاشم فما زالوا وقوفاً- والرضا«ع» جالس مع المأمون- حتى أمرهم بالجلوس فجلسوا فلم يزل المأمون مقبلا عليه يحدثه ساعة، ثم التفت إلى الجاثليق فقال:

يا جاثليق! هذا ابن عمي عليّبن موسى بن جعفر وهو من ولد فاطمة بنت نبينا«ص»، وابن عليّبن أبي طالب«ع»، فاحب أن تكلمه وتحاجه وتنصفه.

فقال الجاثليق: يا امير المؤمنين كيف احاج رجلا يحاج عليَّ بكتاب أنا منكره، وبني لا أؤمن به؟

فقال الرضا«ع»: يا نصراني فان احتججت عليك بانجيلك أتقر به؟

قال الجاثليق: وهل أقدر على دفع ما نطق به الانجيل، نعم والله اقر به على رغم أنفي.

فقال له الرضا«ع» سل عما بدا لك واسمع الجواب.

قال الجاثليق: ما تقول في نبوة عيسى وكتابه، هل تنكر منهما شيئاً؟

قال الرضا«ع»: أنا مقر بنبوة عيسى وكتابه، وما بشر به امته، وأقرت به الحواريون، وكافر بنبوة كل عيسى لم يقر بنبوة محّمد وكتابه، ولم يبشر به امته!

قال الجاثليق: أليس إنما تقطع الأحكام بشاهدي عدل؟ **قال**: بلى.

قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوة محّمد ممن لا تنكره النصرانية وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا.

قال الرضا«ع»: الآن جئت بالنصفة يا نصراني! ألا تقبل مني العدل والمقدم عند المسيح عيسى بن مريم«ع»؟ **قال الجاثليق**: ومن هذا العدل سمه لي؟

قال: ما تقول في (يوحنا) الديلمي؟ **قال: بخ بخ!** ذكرت أحب الناس إلى المسيح.

قال: أقسمت عليك هل نطق الانجيل أنَّ يوحنا قال: إنَّ المسيح أخبرني بدين محّمد العربي وبشرني به أنه يكون من بعدي، فبشرت به الحواريين فآمنوا به؟

قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح، وبشر بنبوة رجل وأهل بيته ووصيه وأهل بيته، ولم يلخص متى يكون ذلك، ولم يسم لنا القوم فنعرفهم.

قال الرضا«ع»: فان جئناك بمن يقرأ الانجيل فتلا عليك ذكر محّمد وأهل بيته وامته أتؤمن به؟ **قال**: أمر سديد.

قال الرضا لغسطاس الرومي: كيف يكون حفظك للسفر الثالث من الانجيل؟

قال: ما أحفظني له، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال«ع»: ألست تقرأ الانجيل؟ **قال**: بلى لعمري.

قال: فخذ عليَّ السفر الثالث، فان كان فيه ذكر محّمد وأهل بيته وامته فاشهدوا لي، وان لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي!

ثم قرأ السفر الثالث حتى بلغ ذكر النبي«ص»، وقف ثم قال: يا نصراني إنّي أسألك بحق المسيح وامه، أتعلم أنّي عالم بالانجيل؟

قال: نعم، ثم تلا علينا ذكر محّمد وأهل بيته وامته، ثم قال: ما تقول يا نصراني؟ هذا قول عيسى ابن مريم، فان كذبت ما نطق به الانجيل فقد كذبت موسى وعيسى«ع»، ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل، لأنك تكون قد كفرت بربك ونبيك وبكتابك.

قال الجاثليق: لا انكر ما قد بان لي من الانجيل، وإني لمقر به.

قال الرضا«ع»: على الخبير سقطت، أما الحواريون فكانوا اثني عشر رجلا، وكان أفضلهم وأعلمهم (لوقا) وأما علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال (يوحنا) الأكبر- ياحي- و(يوحنا) بقرقيسيا و(يوحنا) الديلمي بزخار وعنده كان ذكر النبي«ص»، وذكر أهل بيته وهو الذي بشر امة عيسى وبني إسرائيل به. ثم **قال**: يا نصراني، والله إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد«ص». وما ننقم على عيسى شيئاً إلا ضعفه وقلة صيامه وصلاته.

قال الجاثليق: أفسدت والله علمك وضعفت أمرك وما كنت ظننت إلا أنك أعلم أهل الاسلام.

قال الرضا«ع»: وكيف ذلك؟! **قال** الجاثليق: من قولك إنّ عيسى كان ضعيفاً قليل الصيام والصلاة، وما أفطر عيسى يوماً قط، وما نام بليل قط، وما زال صائم الدهر قائم الليل.

قال الرضا«ع»: فلمن كان يصوم ويصلي؟ فخرس الجاثليق وانقطع.

قال الرضا«ع»: يا نصراني، إنّي أسألك عن مسألة. قال: سل! فان كان عندي علمها أجبتك.

قال الرضا«ع»: ما أنكرت أنَّ عيسى كان يحيي الموتى باذن الله.

قال الجاثليق: أنكرت ذلك من قبل، إنَّ من أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، فهو (رب) مستحق لأن يعبد.

قال الرضا صلوات الله عليه: فان اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى«ع»: مشى على الماء وأحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، فلم لا تتخذه امته ربّاً ولم يعبده أحد من دون الله عز وجل؟ ولقد صنع حزقيل النبي مثل ما صنع عيسى بن مريم، فأحيى خمسة وثلاثين الف رجل من بعد موتهم بستين سنة، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: يا رأس الجالوت! أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة، اختارهم (بخت نصر) من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس، ثم انصرف بهم إلى بابل، فأرسله الله عز وجل إليهم فأحياهم، هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم؟

قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه. **قال**: صدقت.

ثم قال: يا يهودي خذ عليَّ هذا السفر من التوراة، فتلا عليه من التوراة آيات، فأقبل اليهودي يترجح لقراءته، ويتعجب ثم أقبل على النصراني فقال: يا نصراني افهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟

قال: بل كانوا قبله.

قال الرضا«ع»: لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله فسألوه أن يحيي لهم موتاهم، فوجه معهم عليّبن أبي طالب«ع» فقال له: «إذهب إلى الجبانة، فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك، يا فلان، ويا فلان، ويافلان، يقول لكم رسول الله محّمد قوموا باذن الله»

فناداهم فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم فأقبلت قريش تسألهم عن امورهم، ثم أخبروهم أنَّ محمّداً قد بعث نبياً فقالوا: وددنا أن أدركناه فنؤمن به، ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين، وكلمته البهائم والطير والجن والشياطين، ولم نتخذه رباً من دون الله، ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم، فان اتخذتم عيسى رباً جاز لكم أن تتخذوا اليسع وحزقيل ربين، لأنهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم: من إحياء الموتى وغيره، ثم أنَّ قوماً من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم الوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل القرية فحظَّروا عليهم حظيرة، فلم يزالوا فيها حتى نخرت عظامهم وصاروا رميماً، فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ومن كثرة العظام البالية، فأوحى الله إليه أتحب أن احييهم لك فتنذرهم؟

قال: نعم.

فأوحى الله إليه أن نادهم فقال: أيتها العظام البالية قومي باذن الله! فقاموا أحياء أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم ثم إبراهيم خليل الله«ع» حين اتخذ الطير فقطعهنَّ قطعاً، ثم وضع على كل جبل منهنَّ جزءاً، ثم ناداهنَّ فأقبلن سعياً إليه، ثم موسىبن عمران وأصحابه السبعون الذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل فقالوا له: إنك قد رأيت الله فأرناه!

فقال لهم: إنِّي لم أره.

فقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم فبقي موسى وحيداً.

فقال: يا رب اخترت سبعين رجلا من بني إسرائيل فجئت بهم، فأرجع أنا وحدي، فكيف يصدقني قومي بما اخبرهم به، فلو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟

فأحياهم الله عز وجل من بعد موتهم، وكل شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه، لأنَّ التوراة والانجيل والزبور والفرقان قد نطقت به، فان كان كل من أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص والمجانين يتخذ رباً من دون الله فاتخذ هؤلاء كلهم أرباباً! ما تقول يا نصراني؟!

فقال الجاثليق: القول قولك، ولا إله إلا الله.

ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: يا يهودي أقبل عليّ أسألك بالعشر الآيات التي انزلت على موسىبن عمران هل تجد في التوراة مكتوباً نبأ محّمد«ص» وامته إذا جاءت الامة الأخيرة أتباع راكب

البعير، يسبِّحون الرَّب جداً جداً، تسبيحاً جديداً في الكنايس الجدد، فليفزع بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم لتطمئن قلوبهم فان بأيديهم سيوفاً ينتقمون بها من الامم الكافرة في أقطار الأرض، هكذا هو في التوراة مكتوب؟

قال رأس الجالوت: نعم. إنا لنجد ذلك كذلك.

ثم قال للجاثليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا؟ **قال**: أعرفه حرفاً حرفاً.

قال لهما: أتعرفان هذا من كلامه؟ يا قوم إنّي رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور، ورأيت راكب البعير ضوؤه ضوء القمر؟ **فقالا**: قد قال ذلك شعيا.

قال الرضا«ع»: يا نصراني أهل تعرف في الانجيل قول عيسى: إني ذاهب إلى ربكم وربي، و(البار قليطا) جائي هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت له، وهو الذي يفسر لكم كل شيء، وهو الذي يبدي فضايح الامم، وهو الذي يكسر عمود الكفر؟

فقال الجاثليق: ما ذكرت شيئاً من الانجيل إلا ونحن مقرون به.

فقال«ع»: أتجد هذا في الانجيل ثابتاً؟ **قال**: نعم.

قال الرضا«ع»: يا جاثليق ألا تخبرني عن الانجيل الأول حين افتقدتموه عند من وجدتموه؟ ومن وضع لكم هذا الانجيل؟

قال له: ما افتقدنا الانجيل إلا يوماً واحداً حتى وجدناه غضاً طرياً فأخرجه إلينا يوحنا ومتى.

فقال الرضا«ع»: ما أقل معرفتك بسنن الانجيل وعلمائه، فان كان كما تزعم فلم اختلفتم في الانجيل؟ وإنما الاختلاف في هذا الانجيل الذي في أيديكم اليوم، فان كان على العهد الأول لم تختلفوا فيه، ولكني مفيدك علم ذلك، إعلم: أنه لما افتقد الانجيل الأول اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم: قتل عيسى بن مريم وافتقدنا الانجيل، وأنتم العلماء فما عندكم؟

فقال لهم الوقا ومرقانوس ويوحنا ومتى: إنَّ الانجيل في صدورنا نخرجه إليكم سفراً سفراً، في كل أحد، فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنايس، فانا سنتلوه عليكم في كل أحد سفراً سفراً حتى نجمعه كله.

فقال الرضا«ع»: إنَّ الوقا ومرقانوس ويوحنا ومتى وضعوا لكم هذا الانجيل بعدما افتقدتم الانجيل الأول، وإنما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ تلاميذ الأولين، أعلمت ذلك؟

قال الجاثليق: أما قبل هذا فلم أعلمه وقد علمته الآن، وقد بان لي من فضل علمك بالانجيل وقد سمعت أشياء مما علمته شهد قلبي أنها حق، واستزدت كثيراً من الفهم.

فقال الرضا«ع»: فكيف شهادة هؤلاء عندك؟

قال: جائزة هؤلاء علماء الانجيل، وكل ما شهدوا به فهو حق.

قال الرضا«ع»- للمأمون ومن حضره من أهل بيته وغيرهم-: اشهدوا عليه!

قالوا: شهدنا.

ثم قال للجاثليق: بحق الابن وأُمه، هل تعلم أنَّ (متى) قال في نسبة عيسى: إنَّ المسيح بن داوود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب بن يهود بن خضرون؟ وقال (مرقانوس) في نسبة عيسى«ع»: إنه كلمة الله أحلها في الجسد الآدمي فصارت إنساناً؟ وقال (الوقا): إنَّ عيسى بن مريم وأُمه كانا إنسانين من لحم ودم فدخل فيهما روح القدس؟ ثم إنك تقول في شهادة عيسى على نفسه حقاً أقول لكم إنه لا يصعد إلى السماء إلا من نزل منها إلا راكب البعير خاتم الأنبياء، فانه يصعد إلى السماء وينزل فما تقول في هذا القول؟

قال الجاثليق: هذا قول عيسى لا ننكره.

قال الرضا«ع»: فما تقول في شهادة الوقا ومرقانوس ومتى على عيسى وما نسبوا إليه؟ **قال الجاثليق**: كذبوا على عيسى.

قال الرضا«ع»: يا قوم أليس قد زكاهم وشهد أنهم علماء الانجيل وقولهم حق. **فقال الجاثليق**: يا عالم المسلمين احب أن تعفيني من أمر هؤلاء.

قال الرضا«ع»: قد فعلنا. سل يا نصراني عما بدا لك؟

قال الجاثليق: ليسألك غيري، فوالله ما ظننت أنَّ في علماء المسلمين مثلك.

فالتفت الرضا«ع» إلى رأس الجالوت فقال له تسألني أو أسألك؟ **قال**: بل أسألك ولست أقبل منك حجة إلا من التوراة، أو من الانجيل أو من زبور داوود، أو في صحف إبراهيم وموسى.

قال الرضا« ع » : لا تقبل مني حجة إلا بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران«ع»، والانجيل على لسان عيسى بن مريم«ع»، والزبور على لسان داوود«ع».

قال رأس الجالوت: من أين تثبت نبوة محّمد؟

قال الرضا«ع»: شهد بنبوته موسى بن عمران، وعيسى بن مريم، وداوود خليفة الله في الأرض.

فقال له: ثبت قول موسى بن عمران!

قال الرضا«ع»: تعلم يا يهودي أنَّ موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم: إنه سيأتيكم نبي من إخوانكم فيه فصدقوا، ومنه فاسمعوا، فهل تعلم أنّ لبني إسرائيل إخوة غير ولد إسماعيل إن كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل والنسبَ الذي بينهما من قبل إبراهيم«ع»؟

فقال رأس الجالوت: هذا قول موسى لا ندفعه.

فقال له الرضا«ع»: هل جاءكم من إخوة بني إسرائيل غير محمّد«ص»؟ **قال**: لا.

وفي العيون: فقال الرضا«ع»: أفليس قد صح هذا عندكم؟

قال: نعم، ولكني احب أن تصححه لي من التوراة.

فقال له الرضا«ع»: هل تنكرون التوراة تقول لكم: جاء النور من قبل طور سيناء، وأضاء للناس من جبل ساعير، واستعلن علينا من جبل فاران؟ **قال رأس الجالوت**: أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها.

قال الرضا«ع»: أنا أخبرك به، أما قوله: «جاء النور من قبل طور سيناء»: فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى على جبل طور سيناء، وأما قوله: وأضاء الناس في جبل ساعير، فهو: الجبل الذي أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم«ع» وهو عليه، وأما قوله: واستعلن علينا من جبل فاران: فذاك جبل من جبال مكة، وبينه وبينها يومان أو يوم.

قال شعيا النبي- فيما تقول أنت وأصحابك في التوراة- رأيت راكبين أضاء لهما الأرض، أحدهما على حمار، والآخر على جمل، فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل؟ **قال رأس الجالوت**: **لا** أعرفهما فخبرني بهما؟

قال: أما راكب الحمار فعيسى، وأما راكب الجمل فمحمد«ص» أتنكر هذا من التوراة؟ **قال**: لا ما انكره.

قال الرضا«ع»: هل تعرف حيقوق النبي«ع»؟ **قال**: نعم إني به لعارف!

قال: فانه قال- وكتابكم ينطق به-: جاء الله تعالى بالبيان من جبل فاران، وامتلأت السماوات من تسبيح أحمد وأمته، يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر، يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس، يعني بالكتاب: **القرآن** أتعرف هذا وتؤمن به؟

قال رأس الجالوت: قد قال ذلك من حيقوق النبي«ع» ولا ننكر قوله.

قال الرضا«ع»: فقد قال داوود«ع» في زبوره- وأنت تقرأه-: اللهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة، فهل تعرف نبياً أقام السنة بعد الفترة غير محمّد«ص»؟

قال رأس الجالوت: هذا قول داوود نعرفه ولا ننكره، ولكن عنى بذلك: **عيسى** وأمامه هي الفترة.

قال الرضا«ع»: جهلت أنّ عيسى لم يخالف السنة، وكان موافقاً لسنة التوراة حتى رفعه الله إليه، وفي الانجيل مكتوب: إنَّ ابن البرة ذاهب و(الفارقليطا) جائي من بعدي هو يخفف الآصار، ويفسر لكم كل شيء، ويشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل، أتؤمن بهذا في الانجيل؟

قال: نعم. لا انكره.

قال الرضا«ع»: أسألك عن نبيك موسى بن عمران«ع». **فقال**: سل!

قال: ما الحجة على أنَّ موسى ثبتت نبوته؟ **قال اليهودي**: إنه جاء بما لم يجيء أحد من الأنبياء قبله.

قال له«ع»: مثل ماذا؟

قال: مثل فلق البحر، وقلبه العصا حية تسعى، وضـربـه الـحـجـر فانفجر منه العيون، وإخراجه يده بيضاء للناظرين، وعلامات لا يقدر الخلق على مثلها.

قال له الرضا«ع»: صدقت في أنها كانت حجته على نبوته، إنه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله، أفليس كل من ادعى أنه نبي، وجاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه؟

قال: لا. لأنَّ موسى لم يكن له نظير لمكانه من ربه وقربه منه، ولا يجب علينا الاقرار بنبوة من ادعاها، حتى يأتي عن الأعلام بمثل ما جاء.

قال الرضا«ع»: فكيف أقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى، ولم يفلقوا البحر ولم يفجروا من الحجر اثنتي عشرة عيناً، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء، ولم يقلبوا العصا حية تسعى؟!

قال له اليهودي: قد خبرتك أنه متى جاءوا على نبوتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله، ولو جاءوا بمثل ما لم يجيء به موسى، أو كانوا على ما جاءَ به موسى وجب تصديقهم.

قال الرضا«ع»: يا رأس الجالوت! فما يمنعك من الاقرار بعيسى بن مريم وكان يحيي الموتى، ويبرىء الأكمه والأبرص، ويخلق من الطِّين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائراً باذن الله؟!

قال رأس الجالوت: يقال: إنه فعل ذلك ولم نشهده.

قال الرضا«ع»: أرأيت ما جاء به موسى من الآيات وشاهدته، أليس إنما جاء الأخبار من ثقاة أصحاب موسى أنه فعل ذلك؟ **قال**: بلى.

قال: كذلك أيضاً أتتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم، فكيف صدقتم بموسى ولم تصدقوا بعيسى؟! فلم يحر جواباً.

فقال الرضا«ع»: وكذلك أمر محمّد«ص» وما جاء به، وأمر كل نبي بعثه الله، ومن آياته أنه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً ولم يتعلم، ولم يختلف إلى معلم: ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء«ع» وأخبارهم حرفاً حرفاً، وأخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة، ثم كان يخبرهم بأسرارهم وما يعملون في بيوتهم، بآيات كثيرة لا تحصى.

قال رأس الجالوت: لم يصح عندنا خبر عيسى، ولا خبر محمّد، ولا يجوز لنا أن نقر لهما بما لا يصح عندنا.

قال الرضا«ع»: فالشاهد الذي يشهد لعيسى ومحمّد «ص» شاهد زور؟ فلم يحر جواباً.

ثم دعا بالهربذ الأكبر، فقال له الرضا«ع»: أخبرني عن زردشت الذي تزعم: أنه نبي ما حجتك على نبوته؟

قال: إنه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله، ولم نشهده، ولكنَّ الأخبار من أسلافنا وردت علينا: بأنه أحل لنا ما لم يحله لنا غيره فاتبعناه.

قال: أفليس إنما أتتكم الأخبار فاتبعتموه؟ **قال**: بلى.

قال: فكذلك سائر الامم السالفة، أتتهم الأخبار بما أتى به النبيون، وأتى به موسى وعيسى ومحّمد«ص»، فما عذركم في ترك الاقرار بهم، إذ كنتم إنما أقررتم بزردشت من قبل الأخبار الواردة: بأنه جاء بما لم يجيء به غيره؟ فانقطع الهربذ مكانه.

فقال الرضا«ع»: يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الاسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم!

فقام إليه عمران الصابي- وكان واحداً من المتكلمين- فقال: يا عالم الناس لولا أنك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل، ولقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة، ولقيت المتكلمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بوحدانيته، أفتأذن أن أسألك؟

قال الرضا«ع»: إن كان في الجماعة عمران الصابي فأنت هو! **قال**: أنا هو.

قال: سل يا عمران وعليك بالنصفة، إياك والخطل والجور!

قال: والله يا سيدي ما اريد الا أن تثبت لي شيئاً أتعلق به، فلا أجوزه!

قال: سل عما بدا لك! فازدحم الناس وضم بعضهم إلى بعض. فقال: أخبرني عن الكائن الأول وعما خلق؟

قال: سألت فافهم الجواب!

أما الواحد: فلم يزل كائناً واحداً، لا شيء معه، بلا حدود، ولا أعراض ولا يزال كذلك، ثم خلق خلقاً مبتدعاً، مختلفاً، بأعراض وحدود مختلفة، لا في شيء أقامه، ولا في شيء حده، ولا على شيء حذاه ومثله، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوةلله، واختلافاً وايتلافاً، والواناً وأذوقاً وطمعاً، لا لحاجة كانت منه إلى ذلك، ولا لفضل منزلة لم يبلغها الا به، ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً، تعقل هذا يا عمران؟ **قال**: نعم والله يا سيدي.

قال: واعلم يا عمران! أنه لو كان خلق ما خلق لحاجة، لم يخلق الا من يستعين به على حاجته، ولكن ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق، لأنَّ الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى.

ثم طال السؤال والجواب بين الرضا«ع» وبين عمران الصابي، وألزمه«ع» في أكثر مسائله حتى

انتهت الحال إلى أن قال: أشهد أنه يا سيدي كما وصفت ولكن بقيت مسألة!

قال: سل عما أردت!

قال: أسألك عن: (الحكيم) في أي شيء؟ وهل يحيط به شيء؟ وهل يتحول من شيء إلى شيء؟ أو هل به حاجة إلى شيء؟

قال الرضا«ع» اخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه، فانه من أغمض ما يرد على المخلوقين في مسائلهم، وليس يفهمه المتقارب عقله العازب حلمه، ولا يعجز عن فهمه اولوا العقل المنصفون.

أما أول ذلك: فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه لجاز لقائل أن يقول: يتحول إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك، ولكنه عز وجل لم يخلق شيئاً لحاجة، ولم يزل ثابتاً لا في شيء، الا أنّ الخلق يمسك بعضه بعضاً ويدخل بعضه في بعض ويخرج منه. والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله، وليس يدخل في شيء ولا يخرج منه ولا يؤوده حفظه، ولا يعجز عن إمساكه، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك الا الله عز وجل. ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سره والمستحفظين لأمره وخزانه القائمين بشريعته، وإنما أمره كلمح البصر أو هو أقرب، إذا شاء شيئاً فانما يقول له: كن فيكون بمشيئته وإرادته، وليس شيء من خلقه أقرب إليه من شيء، ولا شيء أبعد منه من شيء، أفهمت يا عمران؟

قال: نعم يا سيدي فهمت، وأشهد أنّ الله على ما وصفت ووحدت، وأنَّ محّمداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحق، ثم خر ساجداً نحو القبلة وأسلم.

قال الحسن بن محّمد النوفلي: فلما نظر المتكلمون إلى كلام عمران الصابي ـ وكان جدلا لم يقطعه عن حجته أحد قط ـ لم يدن من الرضا«ع» أحد ولم يسألوه عن شيء، وأمسينا فنهض المأمون والرضا«ع» فدخلا وانصرف الناس.

ثم قال الرضا«ع» ـ بعد أن عاد إلى منزله ـ: يا غلام صــر إلى عمران الصابي فأتني به!

فقلت: جعلت فداك! أنا أعرف موضعه هو عند بعض إخواننا من الشيعة. **قال**: فلا بأس قربوا إليه دابة. فصرت إلى عمران فأتيته به، فرحب به، ودعا بكسوة فخلعها عليه، ودعا بعشرة آلاف درهم فوصله به.

قلت: جعلت فداك! حكيت فعل جدك أمير المؤمنين«ع».

قال: هكذا يجب. ثم دعا«ع» بالعشاء فأجلسني عن يمينه، وأجلس عمران عن يساره، حتى إذا فرغنا قال لعمران: إنصرف مصاحباً وبكر علينا نطعمك طعام المدينة.

فكان عمران بعد ذلك يجتمع إليه المتكلمون من أصحاب المقالات فيبطل عليهم أمرهم حتى اجتنبوه. ووصله المأمون بعشرة آلاف درهم، وأعطاه الفضل مالا جزيلا، وولاه الرضا«ع» صدقات البلخ فأصاب الرغائب.

وروي عن عليٍّ بن الجهم أنه قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا«ع» فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك: «إنَّ الأنبياء معصومون»؟[1]. **قال**: بلى.

قال: فما معنى قول الله عز وجل: **﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾**؟[2].

فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى قال لآدم«ع»: **﴿اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾**[3] ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة وإنما أكلا من غيرها إذ وسوس الشيطان إليهما وقال: **﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة﴾**[4] وإنما نهاكما أن تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها: **﴿الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾**[5] **﴿وقاسمهما إنِّي لكما من الناصحين﴾**[6] ولم يكن آدم وحوا شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، **﴿فدلاهما بغرور﴾**[7] فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق دخول النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة. قال الله تعالى: **﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾** وقال عز وجل: **﴿إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾**[8].

قال المصنف (ره): لعل الرضا صلوات الله عليه أراد (بالصغائر الموهوبة): ترك المندوب وارتكاب المكروه من الفعل، دون الفعل القبيح الصغير بالاضافة إلى ما هو أعظم منه، لاقتضاء أدلة العقول والأثر المنقول لذلك، ورجعنا إلى سياق الحديث:

ثم قال المأمون: فما معنى قول الله عز وجل: **﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾**؟[9].

فقال الرضا«ع»: إنَّ حواء ولدت خمسمائة بطن، في كل بطن ذكر وانثى وإنَّ آدم وحواء عاهدا الله ودعواه قالا: **﴿لئن آتيتنا صالحاً لنكوننَّ من الشاكرين﴾**[10] فلما آتاهما صالحين من النسل، خلقاً سوياً بريئاً من الزمانة والعاهة، كان ما آتاهما صنفين: صنفاً ذكراناً وصنفاً إناثاً، فجعل الصنفانلله تعالى شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه شكر أبويهما له عز وجل. قال الله تعالى: **﴿فتعالى الله عما يشركون﴾**[11].

فقال المأمون: أشهد أنَّك ابن رسول الله«ص» حقاً، فأخبرني عن قول الله عز وجل في إبراهيم:

---

(١) عقيدتنا في النبي والامام عليهما السلام، أن يكونا معصومين بمعنى: أننا ننزه النبي والامام عليهما السلام عن كبائر الذنوب وصغائرها، وعن الخطأ والنسيان بل عما ينافي المروءة وعن كل عمل يستهجن عرفاً منذ الولادة وإلى الوفاة وفي كل الأحوال والظروف.

ولو انتفت عنه العصمة: لاحتملنا الخطأ والنسيان والمعصية في كل عمل او قول يصدران عنه وحينئذ لا تكون أقواله ولا أفعاله حجة علينا، ولا نكون ملزمين باتباعها. وفي ذلك انتقاض الغرض. وقد أجمع الامامية على القول بالعصمة. وما يتوهم خلاف ذلك من بعض الأخبار والأدعية فهي مأولة.

(٢) طه- ١٢١.

(٣) البقرة- ٣٥.

(٤- ٥) الأعراف- ٢٠.

(٦- ٧) الأعراف- ٢١، ٢٢.

(٨) آل عمران- ٣٣.

(٩-١٠) الأعراف- ١٨٩، ١٨٨.

(١١) الأعراف- ١٨٩.

﴿فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربِّي﴾؟[١].

فقال الرضا«ع»: إنَّ إبراهيم وقع على ثلاثة أصناف: صنف يعبد (الزهرة)، وصنف يعبد (القمر)، وصنف يعبد (الشمس) ذلك حين خرج من السرب الذي اخفي فيه.

فلما جنَّ عليه الليل رأى (الزهرة) قال: **﴿هذا ربِّي؟!﴾** على الإنكار والاستخبار. **﴿فلما أفل- الكوكب- قال لا احب الآفلين﴾**[٢] لأنَّ الافول من صفات المحدث وليس من صفات القديم.

﴿فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربِّي؟!﴾[٣] على الانكار والاستخبار **﴿فلما أفل قال لئن لم يهدني ربِّي لأكوننَّ من القوم الضالين﴾**[٤] يقول: لو لم يهدني ربِّي لكنت من القوم الضالين.

﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربِّي هذا أكبر﴾[٥] من الزهرة والقمر؟! على الانكار والاستخبار، لا على سبيل الاخبار والاقرار:

﴿فلما أفلت قال- للاصناف الثلاثة من: عبدة الزهرة، والقمر، والشمس-: **يا قوم إنِّي بريء مما تشركون* إنِّي وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وماأنا من المشركين﴾**[٦] فانما أراد إبراهيم«ع» بما قال: أن يبين لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم، أنَّ العبادة لا تحق لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحق العبادة لخالقها خالق السماوات والأرض، وكان مما احتج به على قومه مما ألهمه الله عز وجل وآتاه، كما قال الله عز وجل: **﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾**[٧].

فقال المأمون: لله درّك يا ابن رسول الله! فأخبرني عن قول إبراهيم: **﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي﴾**[٨].

قال الرضا«ع»: إنَّ الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم«ع» «إني متخذ من عبادي خليلا إن سألني إحياء الموتى أحييت له» فوقع في نفس إبراهيم أنه ذلك الخليل فقال: ربي أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئنَّ قلبي على الخلة: **﴿قال فخذ أربعة من الطير فصرهنَّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهنَّ جزءاً ثم ادعهنَّ يأتينك سعياً واعلم أنَّ الله على كلِّ شيء قدير﴾**[٩].

فأخذ إبراهيم نسراً وبطاً وطاووساً وديكاً، فقطَّعهنَّ وخلطهنَّ ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله- وكانت عشرة- منهنَّ جزءاً، وجعل مناقيرهنَّ بين أصابعه، ثم دعاهنَّ باسمائهنَّ، ووضع عنده حباً وماءاً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان، وجاء كل بدن حتى انضم إلى رقبته ورأسه فخلى إبراهيم«ع» من مناقيرهن، فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب؟ وقلن: يا نبي الله أحييتنا أحياك الله!

---

(١) الأنعام- . . .
(٢) الأنعام- ٨٦.
(٣- ٤) الأنعام- ٧٧
(٥- ٦) الأنعام- ٧٨- ٧٩.
(٧) الأنعام- ٨٣.
(٨) البقرة- ٢٦٠.
(٩) البقرة- ٢٦٠.

فقال إبراهيم: ﴿**بل الله يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير**﴾.

فقال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن! فأخبرني عن قول الله ﴿**فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان**﴾[1].

قال الرضا «ع»: إنَّ موسى دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها ـ وذلك بين المغرب والعشاء ـ ﴿**فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى**﴾ موسى على العدو بحكم الله تعالى ذكره فمات. فقال: ﴿**هذا من عمل الشيطان**﴾[2] يعني الاقتتال الذي وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى من قتله إياه ﴿**إنه**ـ يعني: **الشيطان عدو مضل مبين**﴾[3].

قال المأمون فما معنى قول موسى: ﴿**رب إنِّي ظلمت نفسي فاغفر لي**﴾[4]؟

قال: يقول: إنِّي وضعت نفسي غير موضعها، بدخولي هذه المدينة، فاغفر لي أي: استرني من أعدائك. لئلا يظفروا بي فيقتلوني ﴿**فغفر له**﴾[5] اي: ستره من عدوه، ﴿**إنه هو الغفور الرحيم**﴾[6] قال: ﴿**ربّي بما أنعمت عليّ**﴾[7] من القوة حتى قتلت رجلا بوكزة، ﴿**فلن أكون ظهيراً للمجرمين**﴾[8] بل اجاهد في سبيلك بهذه القوة حتى ترضى. ﴿**فأصبح موسى في المدينة خائفاً يترقب فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين**﴾[9] قاتلت رجلا بالأمس، وتقاتل هذا اليوم لأؤدبنك، فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ظن الذي هو من شيعته أنه يريده ﴿**قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين**﴾[10].

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن! فما معنى قول موسى لفرعون: ﴿**فعلتها إذاً وأنا من الضالين**﴾[11]؟

قال الرضا «ع»: إنَّ فرعون قال لموسى لما أتاه: ﴿**وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين**﴾[12] ﴿**قال موسى فعلتها إذاً وأنا من الضالين**﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك، ﴿**ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربّي حكماً وجعلني من المرسلين**﴾[13] وقد قال الله لنبيه محّمد «ص»: ﴿**ألم يجدك يتيماً فآوى**﴾[14] يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس؟ ﴿**ووجدك ضالا**﴾ يعني: عند

(١ ـ ٢ ـ ٣) القصص ـ ١٥,
(٤ ـ ٥ ـ ٦) القصص ١٦.
(٧) ٨ ١٧.
(٨) القصص ـ ١٧.
(٩) القصص ـ ١٨.
(١٠) القصص ـ ١٩.
(١١) الشعراء ـ ٢٠.
(١٢) الشعراء ـ ١٨.
(١٣) الشعراء ـ ٢١.
(١٤) الضحى ـ ٦.

قومك﴿ **فهدى**﴾[1] أي: هداهم إلى معرفتك ﴿**ووجدك عائلا فأغنى**﴾[2] يقول: أغناك بأن جعل دعاءَك مستجاباً.

قال المأمون: بارك الله فيك يا ابن رسول الله! فما معنى قول الله: ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني**﴾ الآية[3] كيف يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم أنَّ الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟!!

فقال الرضا«ع»: إنَّ كليم الله موسى بن عمران علم أنَّ الله جل عن أن يُرى بالأبصار، ولكنَّه لما كلمه الله تعالى وقربه نجياً، رجع إلى قومه فأخبرهم: أنَّ الله عز وجل كلمه وقربه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمائة الف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً،ثم اختار منهم سبعة آلاف، ثم اختار منهم سبعمائة، ثم اختار منهم سبعين رجلا لميقات ربه، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور، وسأل الله عز وجل أن يكلمه ويسمعهم كلامه، فكلمه الله تعالى: وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال، ووراء وأمام، لأنَّ الله عز وجل أحدثه في الشجرة، ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه. فقالوا: لن نؤمن لك بأنَّ هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا، بعث الله عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا.

فقال موسى: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنّك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله إياك؟

فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته.

فقال موسى: يا قوم! إنَّ الله لا يرى بالأبصار ولا كيفية له، وإنما يعرف بآياته ويعلم بعلاماته.

فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله.

فقال موسى: رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله جل جلاله إليه يا موسى سلني ما سألوك فلن اؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى: ﴿**رب أرني أنظر إليك* قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه- وهو يهوي- فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل-** بآية من آياته- **جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك**﴾ يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي، ﴿**وأنا أول المؤمنين**﴾ منهم بأنك لا ترى.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن! فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**ولقد همت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه**﴾[4]؟

---

(١) الضحى- ٨.

(٢) الأعراف- ١٤٢.

(٣) الضحى- ٨.

(٤) يوسف- ٢٤-

فقال الرضا«ع»: همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها كما همت به، لكنّه كان معصوماً، والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه، ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق«ع» أنه قال: همت بأن تفعل وهمَّ بأن لا يفعل.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن! فأخبرني عن قول الله عز وجل: **﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنَّ أنَّ لن نقدر عليه﴾** الآية[1]؟

فقال الرضا«ع»: ذلك يونس بن متى ذهب مغاضباً لقومه، فظن بمعنى: استيقن أن لن نقدر عليه، أي: فضيق عليه رزقه، ومنه قوله عز وجل: **﴿وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه﴾**[2] أي: ضيق وقتر، **﴿فنادى في الظلمات﴾** ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، **﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين﴾** بتركي العبادة التي قد قرت عيني بها في بطن الحوت. فاستجاب الله له. وقال عز وجل: **﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾**[3].

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن! أخبرني عن قول الله عز وجل: **﴿حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾**[4].

قال الرضا«ع»: يقول الله: حتى اذا استيأس الرسل من قومهم، وظن قومهم أنَّ الرسل قد كذبوا، جاء الرسل نصرنا.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن! فأخبرني عن قول الله: **﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**؟[5].

قال الرضا«ع»: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله«ص»، لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم بالدعوة إلى كلمة الاخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: **﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عجاب* فانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنَّ هذا لشيء يراد* ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾**[6] فلما فتح الله عز وجل على نبيه مكة قال له: يا محّمد **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**[7] عند مشركي أهل مكة بدعائك إياهم إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر، لأنَّ مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لا يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعى الناس إليه، فصار ذنبه عندهم مغفوراً بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن! فأخبرني عن قول الله عز وجل: **﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾**[8].

---

(١) الأنبياء- ٨٧.
(٢) الفجر- ١٦.
(٣) الصافات. ١٤٤.
(٤) يوسف- ١١٠.
(٥) الفتح- ١.
(٦) ص- ٥ و٦ و٧.
(٧) الفتح: ١.
(٨) التوبة: ٤٤.

فقال الرضا«ع»: هذا مما نزل (باياك أعني واسمعي يا جارة) خاطب الله بذلك نبيه«ص» وأراد به امته، وكذلك قوله تعالى: ﴿**لئن أشركت ليحبطنَّ عملك ولتكونَنَّ من الخاسرين**﴾[1] وقوله عز وجل: ﴿**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا**﴾[2].

قال المأمون: صدقت يا أبن رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾[3].

قال الرضا«ع»: إنَّ رسول الله«ص» قصد دار زيد بن حارثةبن شراحيل الكلبي في أمر أراده، فرأى امرأته تغتسل فقال لها: «سبحان الذي خلقك» وإنما أراد بذلك تنزيه الله عن قول من زعم: أنَّ الملائكة بنات الله، فقال الله عز وجل: ﴿**أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنّكم لتقولون قولاً عظيماً**﴾[4] فقال النبي«ص»ـ لما رآها تغتسلـ: «سبحان الذي خلقك» أن يتخذ ولداً يحتاج إلى هذا التطهير والاغتسال، فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيء رسول الله«ص»، وقوله لها: سبحان الذي خلقك، فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظنَّ أنه قال ذلك لما أعجبه من حسنها، فجاء إلى النبي«ص» فقال: يا رسول الله إنَّ امرأتي في خلقها سوء، وإنِّي اريد طلاقها.

فقال له النبي: ﴿**أمسك عليك زوجك واتق الله**﴾ وقد كان الله عرفه عدد أزواجه وأنّ تلك المرأة منهنَّ، فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد، وخشي الناس أن يقولوا: إنَّ محّمداً يقول لمولاه إنَّ امرأتك ستكون لي زوجة، فيعيبوه بذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه**﴾ يعني: بالاسلام﴿**وأنعمت عليه**﴾ يعني: بالعتق ﴿**أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾[5] ثم أنّ زيدبن حارثة طلقها واعتدت منه فزوجها الله عز وجل من نبيّه محّمد«ص»، وأنزل بذلك قرآناً فقال عز وجل: ﴿**فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهنَّ وطراً وكان أمر الله مفعولا**﴾[6] ثم علم عز وجل أنَّ المنافقين سيعيبوه بتزويجها فأنزل الله: ﴿**ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له**﴾[7].

فقال المأمون: لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله، وأوضحت لي ما كان ملتبساً فجزاك الله عن أنبيائه وعن الاسلام خيراً.

قال عليّبن الجهم: فقام المأمون إلى الصلاة، وأخذ بيد محّمد بن جعفر بن محّمدـ وكان حاضر المجلسـ وتبعتهما فقال له المأمون: كيف رأيت ابن أخيك؟

فقال: عالم. ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم.

---

(١) الزمر: ٦٥.
(٢) الاسراء: ٧٤.
(٣) الأحزاب: ٣٧.
(٤) الأسراء: ٤٠.
(٥- ٦) الأحزاب: ٣٨.
(٧) الأحزاب: ٣٨.

فقال المأمون: إنَّ ابن أخيك من أهل بيت النبوة الذين قال فيهم النبي«ص»: «ألا إنَّ أبرار عترتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً فلا تعلموهم فانهم أعلم منكم، لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلالة».

وانصرف الرضا«ع» إلى منزله، فلما كان من الغد غدوت إليه، وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمّد بن جعفر له. فضحك الرضا«ع» ثم قال: يا ابن الجهم لا يغرنك ما سمعته منه، فانه سيغتالني والله ينتقم لي منه

❊ ❊ ❊

إحتجاجه صلوات الله عليه فيما يتعلق بالامامة وصفات من خصه الله تعالى بها وبيان الطريق إلى من كان عليها وذم من يجوز اختيار الامام ولؤم من غلا فيه وأمر الشيعة بالتورية والتقية عند الحاجة إليهما وحسن التأدب.

أبو يعقوب البغدادي[١] قال: إنَّ ابن السكيت[٢] قال- لأبي الحسن الرضا«ع»-:

لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء، وبآية السحر، وبعث عيسى بآية الطب، وبعث محمّداً«ص» بالكلام والخطب؟

فقال له أبو الحسن«ع»: إنَّ الله لما بعث موسى«ع» كان الغالب على أهل عصره «السحر» فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسع القوم مثله، وبما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجة عليهم.

وإنَّ الله بعث عيسى«ع» في وقت قد ظهرت فيه «الزمانات»، واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص باذن الله، وأثبت به الحجة عليهم.

وإنَّ الله بعث محمّداً«ص» في وقت كان الأغلب على أهل عصره «الخطب والكلام»- وأظنه قال: والشعر- فأتاهم من عند الله من مواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم.

---

(١) قال المامقاني في رجاله ج ٣ ص ٢٩: ابو يعقوب البغدادي روى في كتاب العقل والجهل من الكافي عن احمدبن محمد السياري عنه ولم أقف على اسمه وحاله.

(٢) قال الشيخ عباس القمي في ج١ من الكنى والألقاب ص ٣٠٣ أبن السكيت- بكسر السين وتشديد الكاف- أبو يوسف يعقوبـبن إسحاق الدورقي الأهوازي الامامي النحوي اللغوي الأديب: ذكره كثير من المؤرخين وأثنوا عليه، وكان ثقة جليلا من عظماء الشيعة. ويعد من خواص الامامين التقيين «ع» وكان حامل لواء علم العربية والأدب والشعر واللغة والنحو، وله تصانيف كثيرة مفيدة منها: (تهذيب الألفاظ) وكتاب: (إصلاح المنطق) قال ابن خلكان: قال بعض العلماء: ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللغة مثل إصلاح المنطق ولا شك أنه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ولا نعرف في حجمه مثله في بابه، وقد عنى به جماعة واختصره الوزير المغربي وهذبه الخطيب التبريزي... قتله المتوكل في خامس رجب سنة ٢٤٤ وسببه: أنَّ المتوكل قال له يوماً: أيما أحب إليك ابناي هذان أي: «المعتز والمؤيد» أم «الحسن والحسين» فقال ابن السكيت: والله إنَّ قنبراً خادم عليـبن أبي طالب«ع» خير منك ومن ابنيك، فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات.

قال: فما زال ابن السكيت يقول له: والله ما رأيت مثلك قط! فما الحجة على الخلق اليوم؟

فقال«ع»: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه، والكاذب على الله فيكذبه.

فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب، قد ضمن الرضا«ع» في كلامه هذا: أنَّ العالم لا يخلو في زمان التكليف من صادق من قبل الله يلتجىء المكلف إليه فيما اشتبه عليه من أمر الشريعة، صاحب دلالة تدل على صدقه عليه تعالى، يتوصل المكلف إلى معرفته بالعقل، ولولاه لما عرف الصادق من الكاذب، فهو حجة الله تعالى على الخلق أولا.

وعن القسم بن مسلم[1] عن أخيه عبد العزيز بن مسلم[2] قال:

كنا في أيام عليِّ بن موسى الرضا «ع» بمرو، فاجتمعنا في جامعها في يوم جمعة في بدو قدومنا، فأدار الناس أمر الامامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها فدخلت على سيدي ومولاي الرضا«ع» فأعلمته ما خاض الناس فيه، فتبسم ثم قال:

يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا من أديانهم، إنَّ الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه«ص» حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه كملا فقال عز وجل: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾[3] وأنزل في حجة الوداع وهو آخر عمره: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**﴾[4] فأمر الامامة من تمام الدين، ولم يمض«ص» حتى بيّن لأمته معالم دينه وأوضح لهم سبيله، وتركهم على قصد الحق، أقام لهم عليّاً«ع» علماً وإماماً وما ترك شيئاً تحتاج إليه الامة إلا بينه، فمن زعم أنّ الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله عز وجل، ومن رد كتاب الله فهو كافر.

هل تعرفون قدر الامامة ومحلها من الامة فيجوز فيها اختيارهم؟؟

إنَّ الامامة أجل قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالونها بآرائهم، فيقيموها باختيارهم.

إنَّ الامامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل بعد النبوة والخلة، مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه الله بها، فأشاد بها ذكره فقال عز وجل: ﴿**إنيّ جاعلك للناس إماماً**﴾(٥) فقال الخليل-سروراً بها-: ﴿**ومن ذريتي**﴾[6] قال الله عز وجل: ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾[7] فابطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة، ثم أكرمه الله عز وجل بأن جعل في ذريته أهل الصفوة والطهارة، فقال تعالى: ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين* وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصَّلاة**

---

(١) القسم بن مسلم: مجهول.
(٢) عبد العزيز بن مسلم: ذكره الشيخ في أصحاب الرضا عليه السلام ص ٣٨٣ من رجاله.
(٣) الأنعام- ٣٨.   (٤) المائدة-٤
(٥- ٦- ٧) البقرة- ١٢٤.

وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾[١]

فلم : تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً ، حتى ورثها النبي «ص» فقال الله عز وجل : **﴿إنَّ أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾**[٢] فكانت له خاصة فقلدها النبي «ص» علياً «ع» بأمر الله على رسم ما فرض الله ، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والايمان بقوله عز وجل : **﴿وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾**[٣] فهي في ولد عليّ «ع» خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبيَّ بعد محمد «ص» ، فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟

إنَّ الامامة : منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء

إنَّ الامامة : خلافة الله عزّ وجل ، وخلافة الرسول «ص» ، ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين «ع» .

إنَّ الامامة : زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدين ، وعز المؤمنين .

إنَّ الامامة : رأس الاسلام النامي ، وفرعه السامي .

بالامام تمام الصلاة والزكاة والصيام ، والحج والجهاد ، وتوفير الفيّء والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف .

الإمام : يحل حلال الله ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله ، ويذب عن دين الله ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة .

الإمام : كالشمس الطالعة للعالم وهي في الافق ، بحيث لا تناله الأيدي والأبصار .

الامام : البدر المنير ، والسراج الزاهر ، والنور الساطع ، والنجم الهادي في غياهب الدجى ، والبيداء القفار ، ولجج البحار .

الإمام : الماء العذب على الظِّماء ، والدال على الهدى ، والمنجي من الردى .

الإمام : النار على البقاع الحارة لمن اصطلى ، والدليل على المسالك ، من فارقه فهالك .

الإمام : السحاب الماطر ، والغيث الهاطل ، والشمس المضيئة ، والأرض البسيطة ، والعين الغزيرة ، والغدير والروضة .

الإمام : الأمين الرفيق ، والوالد الشفيق ، والأخ الشقيق ، ومفزع العباد في الداهية .

الإمام : أمين الله في أرضه ، وحجته على عباده ، وخليفته في بلاده ، الداعي إلى الله ، والذاب عن حريم الله .

---

(١) الأنبياء : ٧٢ و٧٣ .   (٢) آل عمران : ٦٨ .   (٣) الروم : ٥٦ .

الإمام: المطهر من الذنوب، المبرأ من العيوب، مخصوص بالعلم، موسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين، وغيظ المارقين، وبوار الكافرين.

الإمام: واحد دهره لا يدانيه أحد، ولا يعادله عدل، ولا يوجد له بديل ولا له مثيل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب، بل اختصاص من المتفضل الوهاب فمن ذا يبلغ معرفة الامام ويمكنه اختياره؟؟

هيهات هيهات!!

ظلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وحسرت العيون وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباب، وكلت الشعراء، وعجزت الأُدباء، وعيت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، فأقرت بالعجز والتقصير.

وكيف يوصف أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه، ويغني غناه؟

لا وكيف وأنّى؟! وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين، ووصف الواصفين!! فأين الإختيار من هذا؟! وأين العقول عن هذا؟! وأين يوجد مثل هذا؟!

ظنوا أنّ ذلك يوجد في غير آل رسول الله «ص»؟ كذبتهم والله أنفسهم ومنتهم الباطل، فارتقوا مرتقًى صعباً دحضاً تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلة، فلم يزدادوا منه إلا بعداً.

قاتلهم الله أنّى يؤفكون! لقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلوا ضلالا بعيداً ووقعوا في الحيرة، إذ تركوا الامام من غير بصيرة، وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين.

رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله، إلى اختيارهم والقرآن يناديهم: **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾**[1] وقال عز وجل: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾**[2] وقال عز وجل: **﴿وما لكم كيف تحكمون* أم لكم كتاب فيه تدرسون* إنَّ لكم فيه لما تخيرون* أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إنَّ لكم لما تحكمون* سلهم أيهم بذلك زعيم* أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾**[4].

وقال عز وجل: **﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾**[4] **﴿أم طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾**[5] **﴿قالوا سمعنا وهم لا يسمعون* إنَّ شرّ الدوابِّ عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون* ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون﴾**[6] **﴿وقالوا سمعنا وعصينا بل هو فضل الله**

---

(١) القصص: ٦٨.
(٢) الأحزاب: ٣٦.
(٣) القلم: ٣٦ الى ٤١.
(٤) محمد: ٢٤.
(٥) التوبة: ٨٧.
(٦) الانفال: ٢١ و٢٢ و٢٣.

يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[١].

فكيف لهم باختيار الإمام؟!! والإمام عالم لا يجهل، راعٍ لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرّسول وهو نسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش، والذروة من هاشم والعترة من آل الرسول، والرّضا من الله، وشرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالامامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

الأنبياء والأئمة يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله عز وجل: **﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدِّي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾**[٢] وقوله عز وجل: **﴿ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً﴾**[٣] وقوله عز وجل - في طالوت -: **﴿إنَّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾**[٤] وقال عز وجل لنبيه: **﴿وكان فضل الله عليك عظيمًا﴾**[٥].

وقال عز وجل - في الأئمة من أهل بيته وعترته -: **﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيمًا* فمنهم من آمن به ومنهم من صدَّ عنه وكفى بجهنم سعيراً﴾**[٦].

وإنَّ العبد اذا اختاره الله لامور عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعيَ بعده الجواب، ولا يحير فيه عن الصواب.

وهو معصوم مؤيد، موفق مسدد، قد أمن الخطايا والزلل والعثار، فخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فهل يقدرون على مثل هذا فيختاروه؟ أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدموه؟

تعدوا - وبيت الله - الحق، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، وفي كتاب الله: **﴿فنبذوه وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم﴾**[٧] فذمهم الله ومقتهم أنفسهم فقال عز وجل: **﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إنَّ الله لا يهدي القوم الظالمين﴾**[٨] وقال عز وجل: **﴿فتعساً لهم وأضل أعمالهم﴾**[٩] وقال عز وجل: **﴿كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾**[١٠].

وروي عن الحسن بن عليٍّ بن فضال عن أبي الحسن عليِّ بن موسى الرضا «ع»: أنه قال: للامام

---

(١) البقرة: ٩٣.
(٢) يونس: ٣٥.
(٣) البقرة: ٢٦٩.
(٤) البقرة: ٢٤٧.
(٥) النساء: ١٠٢
(٦) النساء: ٥٤.
(٧) آل عمران: ١٨٧.
(٨) القصص: ٥٠.
(٩) محمد: ٨.
(١٠) المؤمن: ٣٥.

علامات: يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس، ويولد مختوناً، ويكون مطهراً ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه، ولا يكون له ظل، وإذا وقع إلى الأرض من بطن امه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يحتلم، وينام عينه ولا ينام قلبه، ويكون محدَّثاً ويستوي عليه درع رسول الله «ص»، ولا يرى له بول ولا غائط، لأنَّ الله قد وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه.

وتكون رائحته أطيب، من رائحة المسك، ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم، ويكون أشد الناس تواضعاً لله عز وجل، ويكون آخذ الناس بما يأمر به وأكف الناس عما ينهى عنه، ويكون دعاؤه مستجاباً، حتى أنه لو دعى على صخرة لانشقت بنصفين.

ويكون عنده سلاح رسول الله وسيفه ذو الفقار، وتكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة، وصحيفة فيها أسماء أعدائه إلى يوم القيامة ويكون عنده الجامعة، وهي صحيفة فيها سبعون ذراعاً، فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم، ويكن عنده الجفر الأكبر والأصغر، وهو إهاب كبش فيها جميع العلوم حتى أرش الخدش، حتى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة، ويكون عنده مصحف فاطمة «ع».

وروى خالد بن الهيثم الفارسي[1] قال: قلت لأبي الحسن الرضا «ع»: إنَّ الناس يزعمون: أنَّ في الأرض أبدالا فمن هؤلاء الأبدال؟

قال: صدقوا، الأبدال هم: الأوصياء، جعلهم الله في الأرض بدل الأنبياء إذا رفع الأنبياء وختم بمحمد «ص».

وقد روي عن أبي الحسن الرضا «ع»: من ذم الغلاة والمفوضة وتكفيرهم وتضليلهم والبراءة منهم وممن والاهم، وذكر علَّة ما دعاهم إلى ذلك الاعتقاد الفاسد الباطل ما قد تقدم ذكر طرف منه في هذا الكتاب.

وكذلك روي عن آبائه وأبنائه «ع» في حقهم والأمر بلعنهم، والبراءة منهم وإشاعة حالهم، والكشف عن سوء اعتقادهم، كي لا يغتر بمقالتهم ضعفاء الشيعة، ولا يعتقد من خالف هذه الطائفة أنَّ الشيعة الامامية بأسرهم على ذلك، نعوذ منه وممن اعتقده وذهب إليه، فمما ذكره الرضا «ع» عن علّة وجه خطأهم وضلالهم عن الدين القيم: ما رويناه بالاسناد الذي تقدم ذكره عن أبي محمد الحسن العسكري: أنَّ الرضا «ع» والصلوات والتحيات قال:

إنَّ هؤلاء الضلال الكفرة ما اتوا إلا من قبل جهلهم بمقدار أنفسهم، حتى اشتد إعجابهم بها، وكثرة تعظيمهم لما يكون منها، فاستبدوا بآرائهم الفاسدة. واقتصروا على عقولهم المسلوك بها غير سبيل الواجب، حتى استصغروا قدر الله واحتقروا أمره، وتهاونوا بعظيم شأنه، إذ لم يعلموا أنه القادر بنفسه الغني بذاته، الذي ليست قدرته مستعارة ولا غناه مستفاداً، والذي من شاء أفقره ومن شاء أغناه، ومن شاء أعجزه بعد القدرة، وأفقره بعد الغنى».

---

(١) مجهول.

فنظروا إلى عبد قد اختصه الله بقدرة ليبين بها فضله عنده، وآثره بكرامته ليوجب بها حجته على خلقه، وليجعل ما آتاه من ذلك ثواباً على طاعته، وباعثاً على اتباع أمره، ومؤمناً عباده المكلفين من غلط من نصبه عليهم حجة ولهم قدوة، فكانوا كطلاب ملك من ملوك الدنيا ينتجعون فضله ويؤملون نائله، ويرجون التفيؤ بظله والانتعاش بمعروفه، والانقلاب إلى أهليهم بجزيل عطائه الذي يعينهم على طلب الدنيا، وينقذهم من التعرض لدنّي المكاسب وخسيس المطالب، فبيناهم يسألون عن طريق الملك ليترصدوه وقد وجهوا الرغبة نحوه، وتعلقت قلوبهم برؤيته، إذ قيل لهم: سيطلع عليكم في جيوشه ومواكبه وخيله ورجله، فاذا رأيتموه فأعطوه من التعظيم حقه، ومن الاقرار بالمملكة واجبه، وإياكم أن تسموا باسمه غيره، أو تعظموا سواه كتعظيمه، فتكونوا قد بخستم الملك حقه وأزريتم عليه، واستحققتم بذلك منه عظيم عقوبته. فقالوا: نحن كذلك فاعلون جهدنا وطاقتنا، فما لبثوا أن طلع عليهم بعض عبيد الملك في خيل قد ضمها إليه سيده، ورجل قد جعلهم في جملته وأموال قد حباه بها فنظر هؤلاء ـ وهم للملك طالبون ـ فاستكثروا ما رأوه بهذا العبد من نعم سيده، ورفعوه أن يكون هو من المنعم عليه بما وجدوا معه.

فاقبلوا يحيونه تحية الملك ويسمونه باسمه ويجحدون أن يكون فوقه ملك وله مالك، فأقبل عليهم العبد المنعم عليه وسائر جنوده بالزجر والنهي عن ذلك، والبراءة مما يسمونه به، ويخبرونهم: بأنّ الملك هو الذي أنعم بهذا عليه واختصه به، وأنّ قولكم ما تقولون يوجب عليكم سخط الملك وعذابه، ويفوتكم كلما أملتموه من جهته، وأقبل هؤلاء القوم يكذبونهم ويردون عليهم قولهم، فما زالوا كذلك حتى غضب الملك لما وجد هؤلاء قد سووا به عبده، وأزروا عليه في مملكته وبخسوه حق تعظيمه، فحشرهم أجمعين إلى حبسه، ووكل بهم من يسومهم سوء العذاب.

فكذلك هؤلاء لما وجدوا أمير المؤمنين عبداً أكرمه الله ليبين فضله، ويقيم حجته، فصغروا عندهم خالقهم أن يكون جعل عليّاً له عبداً، وأكبروا علياً عن أن يكون الله عزوجل له رباً، فسموه بغير اسمه فنهاهم هو وأتباعه من أهل ملته وشيعته وقالوا لهم: يا هؤلاء إنّ علياً وولده عباد مكرمون مخلوقون ومدبّرون لا يقدرون إلا على ما أقدرهم عليه الله رب العالمين، ولا يملكون إلا ما ملكهم، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا قبضاً ولا بسطاً، ولا حركة ولا سكوناً الا ما أقدرهم عليه وطوقهم، وأنّ ربهم وخالقهم يجل عن صفات المحدثين، ويتعالى عن نعت المحدودين، وإنّ من اتخذهم أو واحداً منهم أرباباً من دون الله فهو من الكافرين وقد ضل سواء السبيل.

فأبى القوم الا جماحاً وامتدوا في طغيانهم يعمهون، فبطلت أمانيهم، وخابت مطالبهم، وبقوا في العذاب.

وروينا أيضاً بالاسناد المقدم ذكره عن أبي محمّد العسكري «ع»: أنّ أبا الحسن الرضا «ع» قال: إنّ من تجاوز بأمير المؤمنين «ع» العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين.

وقال أمير المؤمنين «ع»: لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثم قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى فإنيّ بريء من الغالين.

فقام إليه رجل فقال: يا ابن رسول الله صف لنا ربك! فإنّ من قبلنا قد اختلفوا علينا.

فوصفه الرضا«ع» أحسن وصف، ومجده ونزهه عما لا يليق به تعالى:

فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله! فإنَّ معي من ينتحل موالاتكم ويزعم أنَّ هذه كلها من صفات عليّ«ع»، وأنّه هو الله رب العالمين.

قال: فلما سمعها الرضا«ع»، ارتعدت فرائصه وتصبب عرقاً وقال: سبحان الله عما يشركون! سبحانه عما يقول الكافرون علواً كبيراً!! أو ليس علي كان آكلا في الآكلين، وشارباً في الشاربين، وناكحاً في الناكحين، ومحدثاً في المحدثين؟ وكان مع ذلك مصلياً خاضعاً، بين يدي الله ذليلا، وإليه أواهاً منيباً أفمن هذه صفته يكون إلهاً؟!! فان كان هذا إلهاً فليس منكم أحد إلا وهو إله لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدث كل موصوف بها.

فقال الرجل: يا ابن رسول الله إنهَّم يزعمون: أنَّ علياً لما أظهر من نفسه المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله، دل على أنَّه إله، ولما ظهر لهم بصفات المحدثين العاجزين لبس ذلك عليهم، وامتحنهم ليعرفوه، وليكون إيمانهم اختياراً من أنفسهم.

فقال الرضا«ع»: أول ما هاهنا أنهم لا ينفصلون ممن قلب هذا عليهم فقال: لما ظهر منه (الفقر والفاقة) دل على أنّ من هذه صفاته وشاركه فيها الضعفاء المحتاجون لا تكون المعجزات فعله، فعلم بهذا أنَّ الذي أظهره من المعجزات إنما كانت فعل القادر الذي لا يشبه المخلوقين، لا فعل المحدث المشارك للضعفاء في صفات الضعف.

وروي: أنَّ المأمون كان يحب في الباطن سقطات أبي الحسن الرضا«ع» وأن يغلبه المحتج، ويظهر عليه غيره، فاجتمع يوماً عنده الفقهاء والمتكلمون، فدس إليهم: أن ناظروه في الامامة!

فقال لهم الرضا«ع»: اقصروا على واحد منكم يلزمكم ما يلزمه.

فرضوا برجل يعرف بيحيى بن الضحاك السمرقندي، ولم يكن في خراسان مثله.

فقال الرضا«ع»: يا يحيى أخبرني عمن صدق كاذباً على نفسه، أو كذب صادقاً على نفسه، أيكون محقاً مصيباً، أم مبطلا مخطياً؟ فسكت يحيى.

فقال له المأمون: أجبه! **فقال**: يعفيني امير المؤمنين عن جوابه.

فقال المأمون: يا أبا الحسن عرفنا الغرض في هذه المسألة!

فقال: لا بد ليحيى من أن يخبرني عن أئمته: أنهم كذبوا على أنفسهم أو صدقوا؟ فان زعم أنهم كذبوا فلا إمامة للكاذب، وإن زعم أنهم صدقوا فقد قال أولهم: «أقيلوني ولّيتكم ولست بخيركم» وقال ثانيهم: «بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه» فوالله ما رضي لمن فعل مثل فعله إلا بالقتل، فمن لم

يكن بخير الناس والخيرية لا تقع إلا بنعوت، منها: العلم ومنها: الجهاد. ومنها: ساير الفضائل وليست فيه.

ومن كانت بيعته فلتة يجب القتل على من فعل مثلها، كيف يقبل عهده إلى غيره وهذه صفته؟ ثم يقول على المنبر: إنَّ لي شيطاناً يعتريني، فاذا مال بي فقوّموني، وإذا أخطأت فأرشدوني، فليسوا أئمة إن صدقوا وإن كذبوا فما عند يحيى شيء في هذا.

فعجب المأمون من كلامه «ع» وقال يا أبا الحسن ما في الأرض من يحسن هذا سواك!

وروي عنه «ع» أنه قال: أفضل ما يقدمه العالم من محبينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقته، وذله ومسكنته، أن يغيث في الدنيا مسكيناً من محبينا من يد ناصب عدولله ولرسوله، فيقوم من قبره والملائكة صفوف، من شفير قبره إلى موضع محله من جنان الله، فيحملوه على أجنحتهم، ويقولون: طوبى لك طوباك طوباك يا دافع الكلاب عن الأبرار، ويا أيها المتعصب للائمة الأخيار.

وبالاسناد الذي تكرر عن أبي محمد الحسن العسكري «ع» قال: دخل على أبي الحسن الرضا «ع» رجل فقال: يا ابن رسول الله لقد رأيت اليوم شيئاً عجبت منه.

قال: وما هو؟

قال: رجل كان معنا يظهر لنا أنه: من الموالين لآل مّحمد المتبرين من أعدائهم فرأيته اليوم وعليه ثياب قد خلعت عليه، وهو ذا يطاف به بغداد، وينادي المنادي بين يديه: معاشر المسلمين اسمعوا توبة هذا الرجل الرافضي. ثم يقول: قل! فقال: «خير الناس بعد رسول «ص» أبا بكر» فاذا قال ذلك ضجوا وقالوا: قد تاب، وفضل أبا بكر على علي بن أبي طالب «ع».

فقال الرضا «ع»: إذا خلوت فأعد عليَّ هذا الحديث! فلما خلى أعاد عليه. فقال له:

إنما لم افسر لك معنى كلام الرجل بحضرة هذا الخلق المنكوس، كراهة أن ينقل إليهم فيعرفوه ويؤذوه، لم يقل الرجل خير الناس بعد رسول الله «ص» «أبو بكر» فيكون قد فضل أبا بكر على عليّ «ع»، ولكن قال: خير الناس بعد رسول الله «ص» «أبا بكر» فجعله نداءاً لأبي بكر ليرضى من يمشي بين يديه من بعض هؤلاء الجهلة، ليتوارى من شرورهم. إنَّ الله تعالى جعل هذه التورية مما رحم به شيعتنا.

وبهذا الاسناد عن أبي محمد العسكري «ع» أنه قال: لما جعل المأمون إلى عليّ بن موسى الرضا «ع» ولاية العهد، دخل عليه آذنه فقال:

إنَّ قوماً بالباب يستأذنون عليك، يقولون: «نحن من شيعة عليٍّ «ع».

فقال: أنا مشغول فاصرفهم!

فصرفهم إلى أن جاءوا هكذا يقولون ويصرفهم شهرين، ثم أيسوا من الوصول فقالوا: «قل لمولانا إنا شيعة أبيك عليّ بن أبي طالب «ع» قد شمت بنا أعداؤنا في حجابك لنا، ونحن ننصرف عن هذه الكرة، ونهرب

من بلادنا خجلا وأنفة مما لحقنا، وعجزاً عن احتمال مضض ما يلحقنا من أعدائنا».

فقال عليّ بن موسى «ع»: إئذن لهم ليدخلوا، فدخلوا عليه فسلّموا عليه فلم يرد عليهم ولم يأذن لهم بالجلوس، فبقوا قياماً.

فقالوا: يا ابن رسول الله ما هذا الجفاء العظيم، والاستخفاف بعد هذا الحجاب الصعب، أيّ باقية تبقى منا بعد هذا؟

فقال الرضا «ع»: اقرأوا ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[1] والله ما اقتديت إلا بربيّ عز وجل وبرسوله وبأمير المؤمنين ومن بعده من آبائي الطاهرين «ع»، عتوا عليكم فاقتديت بهم.

قالوا: لماذا يا ابن رسول الله؟

قال: لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين! ويحكم إنَّ شيعته: الحسن والحسين وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار ومحمد بن أبي بكر، الذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره، وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون، وتقصرون في كثير من الفرائض وتتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لا تجب التقية، وتتركون التقية حيث لا بد من التقية، لو قلتم: إنكم مواليه ومحبوه، والموالون لأوليائه والمعادون لأعدائه، لم انكره من قولكم، ولكن هذه مرتبة شريفة ادعيتموها إن لم تصدقوا قولكم بفعلكم هلكتم، إلا أن تتدار ككم رحمة ربكم.

قالوا: يا ابن رسول الله! فاذاً نستغفر الله ونتوب إليه من قولنا بل نقول كما علمنا مولانا: نحن محبوكم ومحبوا أوليائكم، ومعادوا اعدائكم:

قال الرضا «ع»: فمرحباً بكم إخواني وأهل ودي ارتفعوا! فما زال يرفعهم حتى ألصقهم بنفسه. ثم قال لحاجبه:

كم مرة حجبتهم؟ قال: ستين مرة.

قال: فاختلف إليهم ستين مرة متوالية، فسلّم عليهم واقرأهم سلامي فقد محوا ما كان من ذنوبهم باستغفارهم وتوبتهم، واستحقوا الكرامة لمحبتهم لنا وموالاتهم، وتفقد امورهم وامور عيالاتهم، فأوسعهم نفقات ومبرات وصلات ودفع معرات.

إحتجاج أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليهما السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية

روى أبو داوود بن القسم الجعفري[2] قال: قلت لأبي جعفر الثاني «ع»: قل هو الله أحد، ما معنى الأحد؟

---

(١) الشورى- ٣٠.

(٢) داوود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله ذكره الشيخ في الفهرست ص ٩٣ فقال: له كتاب وذكره في رجاله في أصحاب الرضا عليه السلام ص ٣٧٥ وفي أصحاب الجواد عليه السلام ص ٤٠١ وقال: ثقة جليل القدر وفي أصحاب الهادي (ع)=

قال: المجمع عليه بالوحدانية، أما سمعته يقول: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله**﴾[1] ثم يقولون بعد ذلك له شريك وصاحبة.

فقلت: قوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾[2]؟

قال: يا أبا هاشم! أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولم تدرك ببصرك ذلك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف تدركه الأبصار.

وسئل «ع»: أيجوز أن يقال لله: إنّه شيء؟

فقال: نعم. تخرجه من الحدّين: حدّ الابطال، وحدّ التشبيه.

وعن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثاني «ع» فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى أله أسماء وصفات في كتابه، وهل أسماؤه وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر «ع»: إنَّ لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول: «هي هو» أنه ذو عدد وكثرة، فتعالى الله عن ذلك وان كنت تقول: هذه الاسماء والصفات لم تزل فان مما (لم تزل) محتمل على معنيين: فان قلت: لم تزل عنده في علمه وهو يستحقها، فنعم. وان كنت تقول: لم تزل صورها وهجاؤ ها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرعون بها اليه ويعبدون، وهي: (ذكره) وكان الله سبحانه ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل والاسماء والصفات مخلوقات، والمعني بها هو الله، لا يليق به الاختلاف ولا الايتلاف، وإنما يختلف ويتألف المتجزىء.

ولا يقال له قليل ولا كثير، ولكنه القديم في ذاته، لأنَّ ما سوى الواحد متجزىء والله واحد ولا متجزي، ولا متوهم بالقلة والكثرة وكل متجزي أومتوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دال على خالق له، فقولك: (إنَّ الله قدير) خبرت انه لا يعجزه شيء، فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز لسواه. وكذلك قولك: (عالم) إنما نفيت بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل لسواه، فاذا أفنى الله الأشياء أفنى (الصورة والهجاء والتقطيع) فلا يزال من لم يزل عالماً.

فقال الرجل: فكيف سمينا ربنا سميعاً؟

فقال: لأنه لا يخفي عليه ما يدرك بالأسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس، وكذلك سميناه (بصيراً) لأنه لا يخفي عليه ما يدرك بالأبصار من: لون أو شخص أو غير ذلك، ولم نصفه ببصر طرفة العين وكذلك سميناه (لطيفاً) لعلمه بالشيء اللطيف مثل: (البعوضة) وما هو أخفى من ذلك، وموضع المشي منها

=ص ٤١٤ وفي أصحاب العسكري ص ٤٣١. وذكره العلامة في الخلاصة فقال: يكنى أبا هاشم الجعفري رحمه الله من أهل بغداد ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام. شاهد أبا جعفر وأبا الحسن وأبا محمد عليهم السلام. وكان شريفاً عندهم، له موقع جليل عندهم. روى أبوه عن الصادق عليه السلام.

(١) العنكبوت- ٦١.

(٢) الأنعام- ١٠٣.

والشهود والسفاد . والحدب على أولادها ، وإقامة بعضها على بعض ، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمغاور والأودية والقفار ، وعلمنا بذلك أنَّ خالقها لطيف بلا كيف ، إذ الكيف للمخلوق المكيف ، وكذلك سمينا ربنا (قوياً) بلا قوة البطش المعروف من الخلق ، ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من الخلق لوقع التشبيه واحتمل الزيادة ، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان ، وما كان ناقصاً كان غير قديم ، وما كان غير قديم كان عاجزاً ، فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ، ولا ضد ولا ند ، ولا كيفية ، ولا نهاية ، ولا تصاريف ، محرم على القلوب أن تحتمله وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الضمائر أن تصوره ، جل وعز عن أداة خلقه ، وسمات بريته ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

عن الريان بن شبيب [1] قال : لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أُم الفضل أبا جعفر محمد بن عليٍّ « ع » بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم ذلك ، واستنكروا منه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا « ع » ، فخاضوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه ، فقالوا ننشدك الله يا امير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا « ع » فانا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله ، وينتزع منا عزاً قد ألبسناه الله ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً وما كان عليه خلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم ، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت ، وكفانا الله المهم من ذلك فالله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا ، واصرف رأيك عن ابن الرضا « ع » واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره .

فقال لهم المأمون : أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ، ولو أنصفتم القوم لكان أولى بكم ، وأما ما كان يفعله من قبلي بهم ، فقد كان به قاطعاً للرحم ، وأعوذ بالله من ذلك ، ووالله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا ولقد سألته أن يقوم بالأمر وانزعه من نفسي فأبى ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وأما أبو جعفر محمد بن عليٍّ ، فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل ، مع صغر سنه والأعجوبة فيه بذلك ، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه ، فيعلموا أنَّ الرأي ما رأيت .

فقالوا : إنَّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه فانه صبي لا معرفة له ولا فقه فأمهله ليتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك .

فقال لهم : ويحكم إنيّ أعرف بهذا الفتى منكم ، وإنّ هذا من أهل بيت علمهم من الله تعالى ومواده والهامه ، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال ، فان شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت لكم من حاله .

قالوا : لقد رضينا لك يا امير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه ، فخلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة ، فان أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في حقه ، وظهر للخاصة والعامة

---

(١) قال العلامة الحلي رحمه الله في القسم الأول من خلاصته ص ٧٠ «الريان بن شبيب ـ بالشين المعجمة وبعدها باء منقطة ـ خال المعتصم ، ثقة» .

سديد رأي امير المؤمنين فيه وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم.

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم ـ وهو يومئذ قاضي الزمان ـ على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك، واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم، وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست ويجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك، وخرج أبو جعفر «ع» وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر، فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، فقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر «ع».

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: تأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة؟

فقال المأمون: استأذنه في ذلك.

فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟

فقال أبو جعفر «ع»: سل إن شئت!

فقال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر «ع»: قتله في حل أو حرم، عالماً كان المحرم أو جاهلا قتله عمداً أو خطأ، حراً كان المحرم أو عبداً، صغيراً كان أو كبيراً. مبتدئاً بالقتل أو معيداً، من ذوات الطّير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كباره مصرّاً على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم بالنهار. محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟

فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس عجزه.

فقال المأمون: الحمدلله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه، ثم أقبل إلى أبي جعفر فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟

قال: نعم يا امير المؤمنين.

فقال له المأمون: إخطب لنفسك جعلت فداك! فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوجك ام الفضل ابنتي وإن رغم انوف قوم لذلك.

فقال أبو جعفر «ع»: الحمدلله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدانيته، وصلىّ الله على سيد بريته، والأصفياء من عترته.

أما بعد: فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه: **﴿وأنكحوا**

الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾[1] ثم إنَّ محمدبن عليٍّ بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد «ع»، وهو: (خمسمائة درهم) جياداً فهل زوجته يا امير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟

فقال المأمون: نعم قد زوجتك يا أبا جعفر ام الفضل ابنتي على الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟

قال أبو جعفر «ع»: نعم. قد قبلت ذلك ورضيت به.

فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم من الخاصة والعامة.

قال الريان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه الملاحين في محاوراتهم، فاذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من فضة تشد بالحبال من الابريسم، على عجلة مملوءة من الغالية، فأمر المأمون أن تخضب لحى الخاصة من تلك الغالية ففعلوا ذلك، ثم مدت إلى دار العامة فتطيبوا بها، ووضعت الموائد فأكل الناس، وخرجت الجوائز إلى كل قوم على قدرهم..

فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة من بقي قال المأمون لأبي جعفر «ع»: جعلت فداك! إن رأيت أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر «ع»: نعم. إنَّ المحرم إذا قتل صيدا في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، وإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، فاذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، فاذا كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، فان كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحج نحره بمنى، وإن كان إحرام بعمرة نحره بمكة وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد عليه المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة.

فقال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك. فان رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟

فقال أبو جعفر ليحيى: أسألك؟

قال: ذلك إليك جعلت فداك، فان عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك.

فقال أبو جعفر «ع»: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلت له. فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما كانت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما كان وقت انتصاف اللّيل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له، ما حال هذه المرأة؟ وبما حلت له وحرمت عليه؟

---

(١) النور: ٣٢.

فقال له يحيى بن أكثم : لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤ ال ، ولا أعرف الوجه فيه ، فان رأيت أن تفيدنا ؟.

فقال أبو جعفر «ع» : هذه أمة لرجل من الناس ، نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له ، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له ، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها[1] فحرمت عليه ، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلت له ، فلما كان نصف اللّيل طلّقها تطليقة واحدة فحرمت عليه ، فلما كان عند الفجر راجعها فحلّت له .

قال : فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته وقال لهم : هل فيكم من يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب؟ أو يعرف القول فيما تقدم من السؤ ال؟

قالوا : لا والله إنّ امير المؤ منين أعلم بما رأى .

فقال : ويحكم إنّ أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل ، وإنَّ صغر السّنّ لا يمنعهم من الكمال ، أما علمتم أنّ رسول الله «ص» افتتح دعوته بدعاء امير المؤ منين عليّ بن أبي طالب «ع» وهو ابن عشر سنين ، وقبل منه الاسلام وحكم له به ، ولم يدع أحداً في سنه غيره ، وبايع الحسن والحسين «ع» وهما دون الست سنين ولم يبايع صبياً غيرهما؟ أولا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤ لاء القوم وأنهم ذرية بعضها من بعض ، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟

قالوا : صدقت يا امير المؤ منين .

ثم نهض القوم ، فلما كان من الغد حضر الناس وحضر أبو جعفر «ع» ، وصار القواد والحجاب والخاصة والعمال لتهنئة المأمون وأبي جعفر «ع» فاخرجت ثلاثة أطباق من الفضة ، فيها بنادق مسك وزعفران معجون في أجواف تلك البنادق ، ورقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنية ،وإقطاعات . فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصته ، فكان كل من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فاطلق له ، ووضعت البدر فنثر ما فيها على القواد وغيرهم ، وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا ، وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين ولم يزل مكرماً لأبي جعفر «ع» معظمًا لقدره مدة حياته ، يؤ ثره على ولده وجماعة أهل بيته .

وروي : أنَّ المأمون بعدما زوج ابنته أُم الفضل أبا جعفر ، كان في مجلس وعنده أبو جعفر «ع» ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة .

فقال له يحيى بن أكثم : ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي : أنه «نزل جبرئيل «ع» على رسول الله «ص» وقال : يا محمد إنَّ الله عز وجل يقرؤ ك السلام ويقول لك : سل أبا بكر هل هو عنيّ راضٍ فانيّ عنه راض»[2].

---

(١) الظهار هو : أن يقول الرجل لزوجته : «أنت عليَّ كظهر أمي ، فاذا قال لها ذلك : حرمت عليه ولا يرجع بها الا بعد أداء الكفارة .

(٢) قال شيخ الحفاظ والمحدثين الحجة الأميني في الغدير ج٦ بعد ذكر هذا الحديث الموضوع : «أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج٢ =

فقال أبو جعفر «ع»: لست بمنكر فضل أبي بكر ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله «ص» في حجة الوداع: «قد كثرت عليَّ الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار فاذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به» وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله قال الله تعالى: **﴿ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾**[1] فالله عز وجل خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره، هذا مستحيل في العقول.

ثم قال يحيى بن أكثم: وقد روي: «أنَّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء».

فقال: وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه، لأنَّ جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط. ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عز وجل وإن أسلما بعد الشرك. فكان أكثر أيامهما الشرك بالله فمحال أن يشبّههما بهما.

قال يحيى: وقد روي أيضاً: «أنهما سيدا كهول أهل الجنة»[2] فما تقول فيه؟

فقال «ع» وهذا الخبر محال أيضاً، لأنَّ أهل الجنة كلهم يكونون شباناً ولا يكون فيهم كهل وهذا الخبر وضعه بنوا امية لمضادة الخبر الذي قاله رسول الله «ص» في الحسن والحسين «ع»: بأنهما «سيدا شباب أهل الجنة».

فقال يحيى بن أكثم: وروري: «أنَّ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة».

فقال «ع»: وهذا أيضاً محال، لأنَّ في الجنة ملائكة الله المقربين، وآدم ومحمد، وجميع الأنبياء والمرسلين، لا تضيء الجنة بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر؟!.

= ص ١٠٦ من طريق ابن بابشاذ صاحب الطامات ساكتاً عن بطلانه جرياً على عادته، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٠٢ فقال: كذب».

(١) ق- ١٦.

(٢) ذكره الحجة الأميني في سلسلة الموضوعات ج٥ ص٢٧٦ من كتاب الغدير فقال:

«من موضوعات يحيى بن عنبسة وهو ذلك الدجال الوضاع ذكره الذهبي في الميزان ج٣ ص ١٢٦ وقال: قال يونس بن حبيب: ذكرت لعلي بن المدائني محمد بن كثير المصيصي وحديثه هذا فقال علي: كنت أشتهي أن أرى هذا الشيخ فالآن لا احب أن أراه ورواه من طريق عبد الرحمن بن مالك بن مغول الكذاب الأفاك الوضاع.

وفي تلخيص الشافي ص ٢١٩ من الجزء الثاني: «اما الخبر الذي يتضمن أنهما سيدا كهول أهل الجنة فمن تأمل أصل هذا الخبر بعين إنصاف علم أنه موضوع في أيام بني امية معارضة لما روي من قوله صلىّ الله عليه وآله في الحسن والحسين: «إنهما سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما». وهذا الخبر الذي ادعوه يروونه عن عبيد الله بن عمر وحال عبيد الله في الانحراف عن أهل البيت معروفة وهو أيضاً كالجارّ إلى نفسه على أنه لا يخلو من أن يريد بقوله: «سيدا كهول الجنة» أنهما سيدا كهول من هو في الجنة، أو يراد أنهما سيدا من يدخل الجنة من كهول الدنيا، فان كان الأول، فذلك باطل، لأنَّ رسول الله قد وقفنا ـ وأجمعت الامة ـ على أنَّ جميع أهل الجنة جرد مرد، وأنه لا يدخلها كهل وإن كان الثاني. فذلك دافع ومناقض للحديث المجمع على روايته من قوله في الحسن والحسين إنهما سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما... الخ».

فقال يحيى: وقد روي: «أنَّ السكينة تنطق على لسان عمر»(١).

فقال«ع»: لست بمنكر فضل عمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر، فقال- على رأس المنبر-: «إنَّ لي شيطاناً يعتريني، فاذا ملت فسددوني».

فقال يحيى: قد روي: أنَّ النبي«ص» قال: «لو لم ابعث لبعث عمر»(٢).

فقال«ع»: كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح** ﴾(٣) فقد أخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه، وكل الأنبياء«ع» لم يشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله، وقال رسول الله«ص»: «نبئت وآدم بين الروح والجسد».

فقال يحيى بن اكثم: وقد روي أيضاً: ان النبي«ص» قال: «ما احتبس عني الوحي قط الا ظننته قد نزل على آل الخطاب»(٤).

---

(١) بهذا المضمون وردت عدة روايات منها: أنَّ الحق ينطق على لسان عمر وأنّ ملكا ينطق على لسانه وغير ذلك قال في تلخيص الشافي ج ٢ ص ٢٤٧:

«وأما ما روي من قوله: «الحق ينطق على لسان عمر» فان كان صحيحاً فانه يقتضي عصمة عمر، والقطع على أنّ أقواله كلها حجة، وليس هذا مذهب أحد فيه، لأنه لا خلاف في أنه ليس بمعصوم وأنّ خلافه سائغ.

وكيف يكون الحق ناطقاً على لسان من يرجع في الأحكام من قول إلى قول، وشهد لنفسه بالخطأ، ويخالف بالشيء ثم يعود إلى قول من خالفه ويوافقه عليه ويقول: «لولا علي لهلك عمر» و«لولا معاذ لهلك عمر»؟؟

وكيف لا يحتج بهذا الخبر هو لنفسه في بعض المقامات التي احتاج إلى الاحتجاج فيها؟

وكيف لم يقل ابو بكر لطلحة- حين أنكر نصه عليه- بأنّ الحق ينطق على لسانه»؟؟

وأحصى شيخ الحفاظ والمحدثين الحجة الأميني في ج٦ من الغدير مائة مخالفة لعمر بن الخطاب ثم قال: هذا قليل من كثير مما وقفنا عليه من (نوادر الأثر في علم عمر) وبوسعنا الآن أن نأتي بأضعاف ما سردناه لكنا نقتصر على هذا رعاية لمقتضى الحال.

(٢) قال الأميني شيخ الحفاظ والمحدثين في الجزء الخامس من الغدير أخرجه ابن عدي بطريقين: وقال: لا يصح زكريا (الوكار) كذاب يضع، وابن واقد عبد الله متروك، ومشرح بن (عاهان) لا يحتج به.

(٣) الأحزاب/٧.

(٤) قال شيخ الحفاظ والمحدثين الحجة الأميني في ج٦ ص ٣١٢ من الغدير: وأمثال هذه الأكاذيب فإنَّ من يكون بتلك المثابة حتى يكاد يبعث نبياً لا يفقد علم واضحات المسائل عند ابتلائه أو ابتلاء من يرجع أمره إليه من أمته بها، ولا يتعلم القرآن في اثنتي عشر سنة وأين كان الحق والملك والسكينة يوم كان لا يهتدي إلى امهات المسائل سبيلا فلا تسدده ولا تفرغ الجواب على لسانه، ولا تضع الحق في قلبه، وكيف يسع المسدد بذلك كله أن يحسب كل الناس أفقه منه حتى ربات الحجال؟ وكيف كان يأخذ علم الكتاب والسنة من نساء الامة وغوغاء الناس فضلا عن رجالها وأعلامها؟ وكيف كان يرى عرفان لفظة في القرآن تكلفاً ويقول: هذا لعمر الله هو التكلف، ما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الأب؟ وكيف كان يأخذ عن اولئك الجم الغفير من الصحابة ويستفتيهم في الأحكام؟ وكيف كان يعتذر عن جهله أوضح ما يكون من السنة بقوله: ألهاني عنه الصفق بالأسواق؟! وكيف كان لم يسعه أن يعلم الكلالة ويقيمها ولم يتمكن من تعلم صور ميراث الجد، وكان النبي«ص» يقول: ما أراه يعلمها، وما أراه يقيمها، ويقول: إنيّ أظنك تموت قبل أن تعلم ذلك! وكيف كان مثل أبي بن كعب يغلظ له في القول ويراه ملهى عن علم الكتاب بالصفق بالأسواق وبيع الخيط والقرظة؟ وكيف كان امير المؤمنين جاهلا بتأويل القرآن؟ وكيف وكيف وكيف وكيف! نعم راق للقوم أن ينحتوا له فضائل ويغالوا فيها ولم يفكروا في لوازمها وحسبوا أنّ المستقبل الكشاف يمضي كما مضت القرون خالياً عن باحث او منقب أو أنّ بواعث الارهاب يلجم لسانه عن أن ينطق، ويضرب على يده عن أن تكتب، ولا تفسح حرية القلم والمذاهب والأفكار للعلماء أن يبوحوا بما عندهم.

فقال«ع» : وهذا محال أيضاً، لأنه لا يجوز ان يشك النبي««ص» في نبوته قال الله تعالى : «**الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس**»[١] فكيف يمكن ان تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى الى من اشرك به.

قال يحيى : روي : ان النبي«ص» قال: «لو نزل العذاب لما نجى منه إلا عمر».

فقال«ع» : وهذا محال ايضاً، لأن الله تعالى يقول : «**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**»[٢] فأخبر سبحانه انه لا يعذب احداً ما دام فيهم رسول الله«ص» وما داموا يستغفرون.

وعن عبد العظيم الحسني رضي الله عنه قال : قلت لمحمدبن علي بن موسى «ع» : يا مولاي اني لأرجو أن تكون القائم من اهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلمًا وجوراً.

فقال«ع» : ما منا الا قائم بأمر الله، وهاد إلى دين الله . ولكنَّ القائم الذي يطهر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأ الأرض قسطاً وعدلا هو: الذي يخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سمي رسول الله وكنيّه، وهو الذي تطوى له الأرض، ويذل له كل صعب، يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر: (ثلاثمائة وثلاثة عشر) رجلا من أقاصي الأرض وذلك قول الله ﴿**أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إنَّ الله على كلِّ شيء قدير**﴾[١] فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الاخلاص، وأظهر الله أمره، فاذا كمل له العقد وهو : (عشرة آلاف) رجل خرج باذن الله، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى عز وجل.

قال عبد العظيم : فقلت له: يا سيدي فكيف يعلم أنَّ الله قد رضي؟

قال: يلقي في قلبه الرحمة. فاذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما.

* * *

إحتجاج أبي الحسن عليّ بن محمد العسكري«ع» في شيء من التوحيد وغير ذلك من العلوم الدينية والدنياوية على المخالف والمؤالف.

سئل أبو الحسن «ع» عن التوحيد فقيل له : لم يزل الله وحده لا شيء معه ثم خلق الأشياء بديعاً واختار لنفسه الأسماء، ولم تزل الأسماء والحروف له معه قديمة ؟

فكتب : لم يزل الله موجوداً ثم كوّن ما أراد، لا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، تاهت أوهام المتوهمين، وتقصر طرف الطارفين، وتلاشت أوصاف الواصفين واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنه، أو الوقوع بالبلوغ على علو مكانه، فهو بالموضع الذي لا يتناهى، وبالمكان الذي لم يقع عليه عيون باشارة ولا عبارة، هيهات هيهات !!

وحدثنا احمد بن إسحاق[١] قال : كتبت إلى أبي الحسن عليٍّ بن محمد العسكري أسأله عن الرؤية وما فيه الخلق فكتب:

(١) النساء/٧٧. (٢) الأنفال/٣٨. (٣) الحج/٧٥.
(٤) ذكره الشيخ في أصحاب الجواد ص ٢٩٨ من رجاله وقال العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٥ : احمد بن إسحاق بن سعد بن=

لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه الصبر، فمتى انقطع الهواء وعدم الضياء لم تصح الرؤية، وفي جواب اتصال الضيائين الرائي والمرئي وجوب الإشتباء، والله تعالى منزه عن الإشتباه، فثبت أنه لا يجوز عليه سبحانه الرؤية بالأبصار، لأنَّ الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات.

وعن العباس بن هلال[1] قال: سألت أبا الحسن عليَّ بن مّحمد«ع» عن قول الله عز وجل: ﴿**الله نور السماوات والأرض**﴾[2]. فقال«ع»: يعني هادي من في السماوات ومن في الأرض.

ومما أجاب به أبو الحسن عليّ بن مّحمد العسكري«ع» في رسالته إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض أن قال: اجتمعت الأُمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك: أنَّ القرآن حق لا ريب فيه عند جميع فرقها. فهم في حالة الاجماع عليه مصيبون، وعلى تصديق ما أنزل الله مهتدون، ولقول النبي«ص»: «لا تجتمع أُمتي على ضلالة» فأخبر«ع» أنَّ ما اجتمعت عليه الأُمة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحق، فهذا معنى الحديث لا ما تأوّله الجاهلون[3]. ولا ما قاله المعاندون ومن إبطال حكم الكتاب واتباع حكم الأحاديث المزورة والروايات المزخرفة، اتباع الأهواء المردية المهلكة التي تخالف نص الكتاب، وتحقيق الآيات الواضحات النيرات. ونحن نسأل الله أن يوفقنا للصواب، ويهدينا إلى الرشاد.

ثم قال«ع»: فاذا شهد الكتاب بتصديق خبر وتحقيقه فأنكرته طائفة من الامة وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزورة، فصارت بانكارها ودفعها الكتاب كفاراً ضلالا، وأصح خبر ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله«ص» حيث قال: «إني مستخلف فيكم خليفتين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[4] واللفظة الاخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله«ع»: «إنيّ تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لم يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا» فلما وجدنا شواهد هذا الحديث نصاً في كتاب الله مثل قوله: ﴿**إنمّا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[5] ثم اتفقت روايات العلماء في ذلك لأمير المؤمنين«ع»: **أنه تصدق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه**،[6] ثم وجدنا رسول الله«ص» قد أبانه من أصحابه بهذه اللفظة: «من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[7] وقوله«ص»: «عليّ يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم بعدي» وقوله«ص» حيث استخلفه على المدينة فقال:

=عبد الله بن سعد بن مالك الأحوص الأشعري، أبو علي القمي، كان وافد القميين، روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام وكان خاصة أبي محمد عليه السلام وهو شيخ القميين رأى صاحب الزمان عليه السلام.

(١) العباس بن هلال الشامي: ذكره الشيخ في رجاله في عداد أصحاب الرضا عليه السلام ص ٣٨٢ والنجاشي ص ٢٠٧ وقال: روى عن الرضا عليه السلام.

(٢) النور- ٣٥.

(٣) أي: ما تأولوه من قولهم بالاجماع في اختيار الامام الذي لم يجعل لهم الله الخيرة فيه.

(٤) راجع حديث الثقلين في هامش الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٥) المائدة ٥٨.

(٦) راجع هامش الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٧) راجع هامش الجزء الأول من هذا الكتاب.

يا رسول الله أتخلفني على النساء والصبيان؟

فقال : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[1] فعلمنا أنَّ الكتاب شهد بتصديق هذه الأخبار ، وتحقيق هذه الشواهد ، فلزم الامة الاقرار بها اذا كانت هذه الأخبار وافقت القرآن ، ووافق القرآن هذه الأخبار فلما وجدنا ذلك موافقاً لكتاب الله ، ووجدنا كتاب الله لهذه الأخبار موافقاً ، وعليها دليلا ، كان الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد والفساد .

ثم قال«ع» : ومرادنا وقصدنا الكلام في الجبر والتفويض وشرحهما وبيانهما وإنما قدمنا ما قدمنا ليكون اتفاق الكتاب والخبر اذا اتفقا دليلا لما أردناه ، وقوة لما نحن مبينوه من ذلك إن شاء الله .

(فقال) : الجبر والتفويض يقول الصادق جعفر بن محمد«ع» ، عندما سئل عن ذلك فقال : لا جبر ولا تفويض ، بل أمر بين الأمرين .

قيل : فماذا يا ابن رسول الله؟

فقال : صحة العقل ، وتخلية السرب ، والمهلة في الوقت ، والزاد قبل الراحلة والسبب المهيج للفاعل على فعله ، فهذه خمسة أشياء فاذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطرحاً بحسبه ، وأنا أضرب لكل باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي : الجبر ، والتفويض ، والمنزلة بين المنزلتين ، مثلا يقرب المعنى للطالب ، ويسهل له البحث من شرحه ، ويشهد به القرآن بمحكم آياته ، ويحقق تصديقه عند ذوي الألباب ، وبالله العصمة والتوفيق .

ثم قال«ع» : فأما الجبر : فهو : قول من زعم أنَّ الله عز وجل جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها . ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذبه ، ورد عليه قوله : ﴿**ولا يظلم ربك أحداً**﴾[2] وقوله جل ذكره : ﴿**ذلك بما قدمت يداكِ وأنّ الله ليس بظلام للعبيد**﴾[3] مع آي كثيرة في مثل هذا ، فمن زعم انه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله وظلمه في عظمته له ، ومن ظلم ربه فقد كذب كتابه ، ومن كذب كتابه لزمه (الكفر) باجماع الامة ، فالمثل المضروب في ذلك : مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك الا نفسه ، ولا يملك عرضاً من عروض الدنيا ويعلم مولاه ذلك منه ، فأمره ـ على علم منه بالمصير ـ الى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملكه ثمن ما يأتيه به ، وعلم المالك أنّ على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه الا بما يرضى به من الثمن ، وقد وصف به مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور ، فأوعد عبده إن لم يأته بالحاجة يعاقبه ، فلما صار العبد إلى السوق ، وحاول أخذ الحاجة التيَّ بعثه بها ، وجد عليها مانعاً يمنعه منها الا بالثمن ولا يملك العبد ثمنها ، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجة ، فاغتاظ مولاه لذلك وعاقبه على ذلك ، فانه كان ظالماً متعدياً مبطلا لما وصف من عدله وحكمته ونصفته ، وإن لم يعاقبه كذب نفسه ، أليس يجب أن لا يعاقبه والكذب والظلم ينفيان العدل والحكمة ، تعالى الله عما يقول المجبرة علواً كبيراً .

---

(١) راجع هامش الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) الكهف ـ ٥٠ .

(٣) الحج ـ ١٠ .

ثم قال العالم«ع»- بعد كلام طويل -: فأما التفويض الذي أبطله الصادق«ع» وخطأ من دان به، فهو: قول القائل: «إنَّ الله عز وجل فوض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم».

وهذا الكلام دقيق لم يذهب إلى غوره ودقته الا الأئمة المهدية«ع» من عترة آل الرسول صلوات الله عليهم فانهم قالوا: «لو فوض الله أمره إليهم على جهة الاهمال لكان لازماً له رضا ما اختاروه واستوجبوا به الثواب، ولم يكن عليهم فيما اجترموا العقاب إذ كان الاهمال واقعاً، وتنصرف هذه المقالة على معنيين: إما أن تكون العباد تظاهروا عليه فألزموه اختيارهم بآرائهم- ضرورة- كره ذلك أم أحب فقد لزمه الوهن، أو يكون جل وتقدس عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي عن إرادته ففوض أمره ونهيه إليهم، وأجراهما على محبتهم إذ عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على إرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والايمان، ومثل ذلك: مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ويعرف له فضل ولايته، ويقف عند أمره ونهيه وادعى مالك العبد أنه قاهر قادر عزيز حكيم، فأمر عبده، ونهاه، ووعده على اتباع أمره عظيم الثواب وأوعده على معصيته أليم العقاب، فخالف العبد إرادة مالكه، ولم يقف عند أمره ونهيه، فأيّ أمر أمره به أو نهاه عنه لم يأتمر على إرادة المولى، بل كان العبد يتبع إرادة نفسه وبعثه في بعض حوائجه وفيها الحاجة له فصار العبد بغير تلك الحاجة خلافاً على مولاه وقصد إرادة نفسه واتبع هواه، فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه فاذا هو خلاف أمره فقال العبد: اتكلت على تفويضك الأمر إليَّ، فاتبعت هواي وإرادتي لأنَّ المفوض إليه غير محظور عليه لاستحالة اجتماع التفويض والتحظير.

ثم قال«ع»: إنَّ الله خلق الخلق بقدرته وملكهم استطاعة ما تعبّدهم به من الأمر والنهي، وقبل منهم اتباع أمره ونهيه ورضي بذلك لهم، ونهاهم عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليها، ولله الخيرة في الأمر والنَّهي يختار ما يريده ويأمر به، وينهى عما يكره ويثيب ويعاقب بالاستطاعة التي يملكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه لأنه العدل ومنه النصفة والحكومة، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار، وإليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده، اصطفى محمّداً صلوات الله عليه وآله وبعثه بالرسالة إلى خلقه ولو فوض اختيار أُموره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار امية بن أبي الصّلت وأبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمّد«ص» لما قالوا: ﴿**لولا أُنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**﴾[1] يعنونهما بذلك فهذا هو: (القول بين القولين) ليس بجبر ولا تفويض، بذلك أخبر أمير المؤمنين«ع» حين سأله عتابة بن ربعي الأسدي عن الاستطاعة.

فقال أمير المؤمنين: تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عتابة بن ربعي.

فقال له: قل يا عتابة؟ **قال**: وما أقول؟

قال: إن قلت تملكها مع الله قتلتك، وإن قلت تملكها من دون الله قتلتك

قال: وما أقول يا أمير المؤمنين؟

قال: تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فان ملككها كان ذلك من عطائه، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه، وهو المالك لما ملكك، والمالك لما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوّة حيث

---

(١) الزخرف- ٢١.

يقولون: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

فقال الرجل: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ **قال**: لا حول لنا من معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله. **قال**: فوثب الرجل وقبل يديه ورجليه.

ثم قال«ع» في قوله تعالى: **﴿ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾**(١) وفي قوله: **﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾**(٢) وفي قوله: **﴿أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾**(٣) وقوله: **﴿ولقد فتنا سليمان﴾**(٤) وقوله: **﴿فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾**(٥) وقول موسى«ع»: **﴿إن هي إلا فتنتك﴾**(٦) وقوله: **﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾**(٧) وقوله: **﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾**(٨) وقوله: **﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾**(٩) وقوله: **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾**(١٠) وقوله: **﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات﴾**(١١) وقوله: **﴿ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾**(١٢) إنَّ جميعها جاءت في القرآن بمعنى الاختبار.

ثم قال«ع»: فان قالوا ما الحجة في قول الله تعالى: **﴿يهدي من يشاء ويضل من يشاء﴾**(١٣) وما أشبه ذلك؟

قلنا: فعلى مجاز هذه الآية يقتضي معنيين: أحدهما عن كونه تعالى قادراً على هداية من يشاء وضلالة من يشاء، ولو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على ما شرحناه. والمعنى الآخر: أنَّ الهداية منه (التعريف) كقوله تعالى: **﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾**(١٤) وليس كل آية مشتبهة في القرآن كانت الآية حجة على حكم الآيات اللاتي أمر بالأخذ بها وتقليدها، وهي قوله: **﴿هو الذي أنزل عليكم الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الَّذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .. ﴾** الآية(١٥) وقال: **﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولوا الألباب﴾**(١٦) وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، ويقرب لنا ولكم الكرامة والزلفى، وهدانا لما هو لنا ولكم خير وأبقى، إنه الفعال لما يريد، الحكيم المجيد.

عن أبي عبد الله الزيادي(١٧) قال: لما سم المتوكل، نذرلله إن رزقه الله العافية أن يتصدق بمال كثير، فلما سلم وعوفي سأل الفقهاء عن حد (المال الكثير) كم يكون؟ فاختلفوا. فقال بعضهم: (الف درهم) وقال بعضهم: (عشرة آلاف) وقال بعضهم: (مائة الف) فاشتبه عليه هذا.

---

(١) محمد: ٣١.
(٢) الاعراف: ١٨١.
(٣) العنكبوت: ٢.
(٤) سورة ص: ٣٤.
(٥) طه: ٨٥.
(٦) الأعراف: ١٥٤.
(٧) المائدة: ٥١.
(٨) آل عمران: ١٥٢.
(٩) القلم: ١٧.
(١٠) هود: ٧.
(١١) البقرة: ١٤٢.
(١٢) محمد: ٤.
(١٣) إبراهيم: ٤.
(١٤) حم: السجدة: ١٧.
(١٥) آل عمران: ٧.
(١٦) الزمر: ١٨.
(١٧) أبو عبدالله الزيادي: لم أعثر له على ترجمة.

فقال له الحسن حاجبه: إن أتيتك يا أمير المؤمنين من هذا اخبرك بالحق والصَّواب فما لي عندك؟

فقال المتوكل: إن أتيت بالحق فلك عشرة آلاف درهم، وإلا أضربك مائة مقرعة.

فقال: قد رضيت فأتى أبا الحسن العسكري«ع» فسأله عن ذلك.

فقال أبو الحسن«ع»: قل له: يتصدق بثمانين درهماً. فرجع إلى المتوكل فأخبره فقال: سله ما العلة في ذلك؟

فسأله فقال: إنَّ الله عز وجل قال لنبيه«ص»: **﴿ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾**[1] فعددنا مواطن رسول الله«ص» فبلغت ثمانين موطناً.

فرجع إليه فأخبره ففرح، وأعطاه عشر آلاف درهم.

وعن جعفر بن رزق الله[2] قال: قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحد فأسلم.

فقال يحيى بن أكثم: قد هدم إيمانه شركه وفعله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، وقال بعضهم: يفعل به كذا وكذا.

فأمر المتوكل بالكتاب إلى أبي الحسن العسكري وسؤاله عن ذلك.

فلما قرأ الكتاب كتب«ع»: يضرب حتى يموت، فأنكر يحيى وأنكر فقهاء العسكر ذلك، فقالوا: يا امير المؤمنين سله عن ذلك فانه شيء لم ينطق به كتاب، ولم يجيء به سنة.

فكتب إليه: إنَّ الفقهاء قد أنكروا هذا، وقالوا: لم يجيء به سنة ولم ينطق به كتاب، فبين لنا لِمَ أوجبت علينا الضرب حتى يموت؟

فكتب: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾** الآية[3] فأمر به المتوكل فضرب حتى مات.

سأل يحيى بن أكثم أبا الحسن العالم«ع» عن قوله تعالى: **«سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله»**[4] ما هي؟

فقال: هي: (عين الكبريت) و(عين اليمن) و(عين البرهوت) و(عين الطبرية) و(جمة ماسيدان) وجمة (إفريقا) و(عين ما جروان) ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى.

وروري عن الحسن العسكري«ع»: أنه اتصل بأبي الحسن عليّ بن محمد العسكري«ع»: **أنَّ** رجلا من فقهاء شيعته كلم بعض النصاب فأفهمه بحجته حتى أبان عن فضيحته، فدخل إلى عليّ بن محمّد«ع» وفي

(١) التوبة: ٢٦.
(٢) روى عنه في التهذيب والكافي ولم اعثر له على ترجمة.
(٣) المؤمن: ٨٤ و٨٥.
(٤) لقمان: ٢٧.

صدر مجلسه دست عظيم منصوب وهو قاعد خارج الدست، وبحضرته خلق من العلويين وبني هاشم، فما زال يرفعه حتى أجلسه في ذلك الدست، وأقبل عليه فاشتد ذلك على اولئك الأشراف، فأما العلوية فأجلوه عن العتاب، وأما الهاشميون فقال لهم شيخهم: يا ابن رسول الله هكذا تؤثر عامياً على سادات بني هاشم من الطالبيين والعباسيين؟!

فقال«ع»: إياكم وأن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم: **﴿ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾**[1] أترضون بكتاب الله حكماً؟ قالوا: بلى.

قال: أليس الله يقول: **﴿يا أيها الذين امنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم إلى قوله يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات﴾**[2] فلم يرض للعالم المؤمن إلا أن يرفع على المؤمن غير العالم، كما لم يرض للمؤمن إلا أن يرفع على من ليس بمؤمن، أخبروني عنه قال: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات﴾**؟ أو قال: **﴿يرفع الذين اوتوا شرف النسب درجات﴾**؟ أوليس قال الله: **﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾**[3] فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه الله؟! إنّ كسر هذا (لفلان) الناصب بحجج الله التي علمه إياها، لأفضل له من كل شرف في النسب.

فقال العباسي: يا ابن رسول الله قد أشرفت علينا هو ذا تقسير بنا عمن ليس له نسب كنسبنا، وما زال منذ أول الاسلام يقدم الأفضل في الشرف على من دونه فيه.

فقال«ع»: سبحان الله أليس عباس بايع أبا بكر وهو (تيمي) والعباس (هاشمي)؟ أوليس عبد الله بن عباس كان يخدم عمر بن الخطاب وهو (هاشمي) أبو الخلفاء وعمر (عدوي)؟! وما بال عمر أدخل البعداء من قريش في الشورى ولم يدخل العباس؟ فان كان رفعنا لمن ليس بهاشمي على هاشمي منكراً فأنكروا على عباس بيعته لأبي بكر، وعلى عبدالله بن عباس خدمته لعمر بعد بيعته، فإن كان ذلك جائزاً فهذا جائز، فكأنما القم الهاشمي حجراً.

وروي عن عليٍّ بن محمّد الهادي «ع»أنه قال: لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم«ع» من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عبادالله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهّم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، اولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل.

* * *

إحتجاج أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام في انواع شتى من علوم الدين.

وبالاسناد المقدم ذكره: إنّ أبا محمّد العسكري (ع) قال ـ في قوله تعالى ـ: **﴿ختم الله على**

---

(١) النساء: ٦. (٢) المجادلة: ١١. (٣) الزمر: ٩.

قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾[1] أي : وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته اذا نظروا إليها بأنهم لما أعرضوا عن النظر فيما كلفوه ، وقصروا فيما اريد منهم ، وجهلوا ما لزمهم الايمان به ، فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه ، فانَّ الله عز وجل يتعالى عن العبث والفساد وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه ، فلا يأمرهم بمغالبته ، ولا بالمصير إلى ما قد صدهم بالقسر عنه ، ثم قال : ولهم عذاب عظيم يعني : في الآخرة العذاب المعد للكافرين ، وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح لينبهه لطاعته ، أو من عذاب الإصلاح ليصيره إلى عدله وحكمته .

وروى أبو محمد العسكري (ع) مثل ما قال هو في تأويل هذه الآية من المراد بالختم على قلوب الكفار عن الصادق (ع) بزيادة شرح لم نذكره مخافة التطويل لهذا الكتاب .

وبالاسناد المتكرر من أبي محمّد (ع) أنه قال - في تفسير قوله تعالى : **﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً . .﴾الآية**[2] جعلها ملائمة لطبايعكم ، موافقة لأجسادكم لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم ، ولا شديدة البرودة فتجمّدكم ، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم ، ولا شديدة النتن فتعطبكم ، ولا شديدة اللّين كالماء فتغرقكم ، ولا شديدة الصَّلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وأبنيتكم ودفن موتاكم ، ولكنّه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به ، وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم ، وجعل فيها من اللّين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم ، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم .

ثم قال **﴿والسماء بناءاً﴾** يعني : سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم .

ثم قال : **﴿وأنزل من السماء ماءاً﴾** يعني : المطر ينزله من علو ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم ، ثم فرقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلا ، لينشفه أرضوكم ، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة ، ليفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم .

ثم قال : **﴿وأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾** يعني : مما يخرجه من الأرض رزقاً لكم ، **﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾** أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ، ولا تقدر على شيء ، **﴿وأنتم تعلمون﴾** أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم .

وبالاسناد الذي مضى ذكره عن أبي محمّد العسكري (ع) في قوله تعالى : **﴿ومنهم اُميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيَّ﴾**[3] إنَّ الأُميَّ منسوب إلى (اُمه) أي : هو كما خرج من بطن امه ، لا يقرأ ولا يكتب ، **﴿لا يعلمون الكتاب﴾** المنزل من السماء ولا المتكذب به ، ولا يميزون بينهما **﴿إلا أماني﴾** أي إلا أن يقرأ عليهم ويقال لهم : إنَّ هذا كتاب الله وكلامه ، لا يعرفون إن قرىء من الكتاب خلاف ما فيه ، **﴿وإن هم إلا يظنون﴾** أي ما يقرأ عليهم رؤساؤهم من تكذيب محمّد (ص)

---

(١) البقرة : ٧ . (٢) البقرة : ٢٢ . (٣) البقرة : ٧٨ .

في نبوته وإمامة عليٍّ (ع) سيد عترته ، وهم يقلدونهم مع أنّه ﴿محرَّم عليهم﴾ تقليدهم ، ﴿**فويل للَّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله تعالى** . . .﴾ الخ[١] .

هذا : القوم اليهود ، كتبوا صفة زعموا أنها صفة محمد (ص) وهي خلاف صفته ، وقالوا للمستضعفين منهم : هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان : إنه طويل عظيم البدن والبطن ، أهدف ،[٢] أصهب الشعر ، ومحمّد (ص) بخلافه ، وهو يجيء بعد هذا الزمان بخمسمائة سنة ، وإنما أرادوا بذلك أن تبقى لهم على ضعفائهم رياستهم ، وتدوم لهم إصابتهم ، ويكفوا أنفسهم مؤنة خدمة رسول الله (ص) وخدمة عليٍّ (ع) وأهل بيته وخاصته ، فقال الله عز وجل : ﴿**فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**﴾ من هذه الصفات المحرفات والمخالفات لصفة محمّد (ص) وعليّ (ع) : الشدة لهم من العذاب في أسوءِ بقاع جهنم ، وويل لهم : الشدة في العذاب ثانية مضافة إلى الأولى ، بما يكسبونه من الأموال التي يأخذونها إذا ثبتوا عوامهم على الكفر بمحمد رسول الله (ص) ، والحجة لوصيه وأخيه عليٍّ بن أبي طالب (ع) وليّ الله .

ثم قال (ع): قال رجل للصادق (ع) : فاذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره ، فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم ، وهل عوام اليهود الا كعوامنا يقلدون علماءهم ؟

فقال (ع) : بين عوامنا وعلمائنا وعوام اليهود وعلمائهم ، فرق من جهة وتسوية من جهة .

أما من حيث استووا : فإنَّ الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم ، وأما من حيث افترقوا فلا .

قال : بين لي يا ابن رسول الله !

قال (ع) : إنَّ عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح ، وبأكل الحرام والرشاء . وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات ، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم ، وأنهم اذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه ، وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم ، وظلموهم من أجلهم ، وعرفوهم يقارفون المحرمات ، واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أنَّ من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله ، فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوه ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ، ولا العمل بما يؤديه إليهم عمن لم يشاهدوه ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله (ص) ، إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى ، وأشهر من أن لا تظهر لهم .

وكذلك عوام امتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر ، والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها ، وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لاصلاح أمره مستحقاً ، وبالترفرف

---

(١) البقرة : ٧٩ .

(٢) الهدف : الجسيم .

بالبر والاحسان على من تعصبوا له وان كان للاذلال والاهانة مستحقاً ، فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم ، فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه مخالفاً على هواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه ، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم ،فانه من ركب من القبايح والفواحش مراكب فسقة العامة فلا تقبلوا منا عنه شيئاً ، ولا كرامة ، وإنما كثر التخليط فيما يتحمل عنا أهل البيت لذلك ، لأنَّ الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره بجهلهم ، ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلة معرفتهم ، وآخرون يتعمدون الكذب علينا ليجروا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنم .

ومنهم قوم (نصاب) لا يقدرون على القدح فينا ، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا ، وينتقصون بنا عند نصابنا ، ثم يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها ، فيتقبله المستسلمون من شيعتنا ، على أنه من علومنا ، فضلوا وأضلوا وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي (ع) وأصحابه ، فانهم يسلبونهم الأرواح والأموال ، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المتشبهون بأنهم لنا موالون ، ولأعدائنا معادون ، ويدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضلونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب ، لا جرم أنَّ من علم الله من قلبه من هؤلاء القوم انه لا يريد الا صيانة دينه وتعظيم وليه لم يتركه في يد هذا المتلبس الكافر ، ولكنَّه يقيض له مؤمناً يقف به على الصواب ، ثم يوفقه الله للقبول منه ، فيجمع الله له بذلك خير الدنيا والآخرة ، ويجمع على من أضله لعناً في الدنيا وعذاب الآخرة.

ثم قال : قال رسول الله : « أشرار علماء امتنا : المضلون عنا ، القاطعون للطرق إلينا ، المسمون أضدادنا بأسمائنا ، الملقبون أندادنا بألقابنا ، يصلون عليهم وهم للعن مستحقون ، ويلعنوننا ونحن بكرامات الله مغمورون ، وبصلوات الله وصلوات ملائكته المقربين علينا عن صلواتهم مستغنون » .

ثم قال : قيل لأمير المؤمنين (ع) : من خير خلق الله بعد أئمة الهدى ، ومصابيح الدجى ؟

قال : العلماء إذا صلحوا .

قيل : فمن شرار خلق الله بعد إبليس وفرعون ونمرود ، وبعد المتسمين بأسمائكم ، والمتلقبين بألقابكم ، والآخذين لأمكنتكم ، والمتأمرين في ممالككم ؟

قال : العلماء اذا فسدوا ، هم المظهرون للأباطيل ، الكاتمون للحقايق ، وفيهم قال الله عز وجل : ﴿**أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا**﴾الآية[1] .

وبالاسناد المقدم ذكره : عن أبي يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد ، وأبي الحسن عليّ بن محمّد بن سيار ، أنهما قال : قلنا للحسن أبي القائم (ع) : إنَّ قوماً عندنا يزعمون : أنَّ هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدنيا ، وأنهما

---

(١) البقرة/١٥٩ .

افتتنا بالزهرة وأرادا الزنا بها ، وشربا الخمر ، وقتلا النفس المحرمة ، وأنَّ الله يعذبهما ببابل ، وأنَّ السحرة منهما يتعلمون السحر ، وأنَّ الله مسخ هذا الكوكب الذي هو (الزهرة) .

فقال الامام (ع) : معاذ الله من ذلك ، إنّ ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبايح ، بألطاف الله ، فقال عز وجل فيهم : ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[1] وقال : **ولله من في السماوات والأرض ومن عنده** ـ يعني : الملائكة ـ **لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾[2] وقال في الملائكة ﴿**بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ـ إلى قوله ـ **مشفقون**﴾[3] كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاءه في الأرض ، وكانوا كالأنبياء في الدنيا ، وكالأئمة ، أفيكون من الأنبياء والأئمة قتل النفس والزنا وشرب الخمر ؟!!

ثم قال : أولست تعلم أنَّ الله لم يخل الدنيا من نبي أو إمام من البشر ؟ أوليس يقول : ﴿**وما أرسلنا قبلك من رسلنا** ـ يعني الى الخلق ـ **إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى**﴾[4] فأخبر أنه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمة وحكاماً ، وإنما أرسلوا إلى أنبياء الله .

قالا : قلنا له : فعلى هذا لم يكن إبليس ملكاً !

فقال : لا ، بل كان من الجن ! أما تسمعان الله تعالى يقول : ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجنِّ**﴾[5] فأخبر أنه كان من الجن ، وهو الذي قال : ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السّموم**﴾[6] .

وقال الامام (ع): يحدثني أبي عن جدي عن الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي (ع) عن رسول الله (ص) إنَّ الله اختارنا معاشر آل محمّد ، واختار النبيين ، واختار الملائكة المقربين ، وما اختارهم إلا على علمٍ منه بهم : أنّهم لا يواقعون ما يخرجون به عن ولايته ، وينقطعون به من عصمته ، وينضمون به إلى المستحقين لعذابه ونقمته .

قالا : فقلنا فقد روي لنا : أنَّ عليّاً صلوات الله عليه لما نص عليه رسول الله بالامامة ، عرض الله ولايته على فيام وفيام[7] من الملائكة فأبوها ، فمسخهم الله ضفادع .

فقال : معاذ الله ! هؤلاء المكذبون علينا ، الملائكة هم رسل الله كساير أنبياء الله إلى الخلق ، أفيكون منهم الكفر بالله ؟ **قلنا** : لا .

قال : فكذلك الملائكة ! إنَّ شأن الملائكة عظيم ، وإنَّ خطبهم لجليل .

---

(١) التحريم/٦ .
(٢) الأنبياء/١٩ و ٢٠ .
(٣) الأنبياء/ ٢٧ و ٢٨ .
(٤) يوسف/ ١٠٩ .
(٥) الكهف/٥١ .
(٦) الحجر/ ٢٧.
(٧) الفيام ـ بفتح الفاء وكسرها ـ: الجماعة من الناس وغيرهم .

وبالاسناد الذي تكرر عن أبي يعقوب وأبي الحسن أيضاً أنهما قالا : حضرنا عند الحسن بن عليّ أب القائم (ع) فقال له بعض أصحابه : جاءني رجل من إخواننا الشيعة قد امتحن بجهال العامة ، يمتحنونه في الامامة ويحلفونه ، فكيف يصنع حتى يتخلص منهم .

فقلت له : كيف يقولون ؟

قال: يقولون: «أتقول إنَّ فلاناً هو الامام بعد رسول الله«ص»؟ فلابد لي أن أقول نعم وإلا أثخنوني ضرباً، فاذا قلت: (نعم) قالوا لي: قل: (والله) فقلت لهم: (نعم) واريد به(نعماً) من الأنعام: (الابل والبقر والغنم).

قلت: فاذا قالوا والله فقل ولّي أي : تريد عن أمر كذا، فانهم لا يميزون وقد سلمت.

فقال لي: فان حققوا عليَّ فقالوا قل: (والله) وبين الهاء.

فقلت: قل والله برفع الهاء، فانه لا يكون يميناً إذا لم يخفض فذهب ثم رجع إليَّ فقال: عرضوا عليَّ وحلفوني، فقلت : كما لقنتني .

فقال له الحسن«ع»: أنت كما قال رسول الله«ص»: «الدال على الخير كفاعله» لقد كتب الله لصاحبك بتقيته بعدد كلّ من استعمل التقية من شيعتنا وموالينا ومحبينا حسنة، وبعدد من ترك التقية منهم حسنة، أدناها حسنة لو قوبل بها ذنوب مائة سنة لغفرت، ولك بارشادك إياه مثل ماله.

وبالاسناد المتكرر ذكره عن الحسن العسكري«ع» أنه قال: أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاءً لها أعظمهم عند الله شأناً، ومن تواضع في الدنيا لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة عليّ بن أبي طالب«ع» حقاً، ولقد ورد على أمير المؤمنين«ع» أخوان له مؤمنان أب وابن، فقام إليهما، واكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه، وجلس بين أيديهما، ثم أمر بطعام فأحضر فأكلا منه ثم جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل لييبس وجاء ليصب على يد الرجل ماءاً فوثب أمير المؤمنين«ع» فأخذ الابريق ليصب على يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب وقال:

يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب على يدي؟! !

قال: اقعد واغسل يدك فانَّ الله عز وجل يراك وأخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك يخدمك، يريد بذلك خدمة في الجنة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا وعلى حسب ذلك في ممالكه فيها. فقعد الرجل فقال له علي«ع»:أقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته وبجلته وتواضعك لله بان ندبني لما شرفك به من خدمتي لك، لما غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبراً، ففعل الرجل.

فلما فرغ ناول الابريق محمّد بن الحنفية وقال: يا بني لو كان هذا الابن حضرني دون أبيه لصببت على يده، ولكنَّ الله يأبى أن يسوي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صب الأب على الأب،

فليصب الابن على الابن، فصب محمّد ابن الحنفية على الابن.

ثم قال الحسن العسكري«ع»: فمن اتبع علياً «ع» على ذلك فهو الشيعي حقا

إحتجاج الحجة القائم المنتظر المهدي صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين

سعد بن عبد الله القمي الأشعري [1] قال: بليت بأشد النواصب منازعة فقال لي يوماً ـ بعدما ناظرته ـ : تباً لك ولأصحابك! أنتم معاشر الروافض تقصدون المهاجرين والأنصار بالطعن عليهم، وبالجحود لمحبة النبي لهم، فالصديق هو فوق الصحابة بسبب سبق الاسلام، ألا تعلمون أنّ رسول الله «ص» إنما ذهب به ليلة الغار لأنه خاف عليه كما خاف على نفسه، ولما علم أنه يكون الخليفة في امته وأراد أن يصون نفسه كما يصون «ع» خاصة نفسه، كي لا يختل حال الدين من بعده. ويكون الاسلام منتظماً؟ وقد أقام علياً على فراشه لما كان في علمه أنه لو قتل لا يختل الاسلام بقتله، لأنه يكون من الصحابة من يقوم مقامه لاجرم لم يبال من قتله؟!

قال سعد: إنّي قلت على ذلك أجوبة لكنّها غير مسكتة.

ثم قال: معاشر الروافض تقولون: إنّ (الأول والثاني) كانا ينافقان، وتستدلون على ذلك بليلة العقبة.

ثم قال لي: أخبرني عن إسلامهما كان من طوع ورغبة أو كان عن إكراه وإجبار؟ فاحترزت عن جواب ذلك وقلت مع نفسي : إن كنت أجبته بأنه كان عن طوع فيقول: لا يكون على هذا الوجه إيمانهما عن نفاق، وإن قلت كان عن إكراه وإجبار لم يكن في ذلك الوقت للاسلام قوة حتى يكون إسلامهما باكراه وقهر، فرجعت عن هذا الخصم على حال ينقطع كبدي، فأخذت طوماراً وكتبت بضعاً وأربعين مسألة من المسائل الغامضة التي لم يكن عندي جوابها فقلت: ادفعها إلى صاحب مولاي أبي محمّد الحسن بن عليّ «ع» الذي كان في قم احمد بن إسحاق [2] فلما طلبته كان هو قد ذهب فمشيت على أثره فأدركته وقلت الحال معه

فقال لي: جيء معي الى سر من رأى حتى نسأل عن هذه المسائل مولانا الحسن بن عليّ «ع».

فذهبت معه إلى سرَّ من رأى ثم جئنا إلى باب دار مولانا «ع» فاستأذنا عليه فأذن لنا، فدخلنا الدار وكان مع احمد بن إسحاق جراب قد ستره بكساء طبري، وكان فيه مائة وستون صرة من الذهب والورق، على كل واحدة منها خاتم صاحبها الذي دفعها إليه، ولما دخلنا وقعت أعيننا على أبي محمّد

---

(١) سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي قال الشيخ في باب اصحاب العسكري عليه السلام ص ٤٣١ : «عاصره عليه السلام ولم اعلم انه روي عنه»

وقال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ٧٨: «يكنى ابه القاسم، جليل القدر واسع الاخبار، كثير التصانيف، ثقة شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجيهها ولقي مولانا ابا محمد العسكري عليه السلام.

قال النجاشي : ورأيت بعض اصحابنا يضعفون لقاءه لأبي محمد ويقولون : هذه حكاية موضوعة عليه، والله اعلم.

توفي سعد رحمه الله سنة إحدى وثلاثمائة وقيل : سنة تسع وتسعين ومائتين : وقيل : مات رحمه الله يوم الأربعاء لسبع وعشرين من شوال سنة ثلاثمائة، وفي ولاية رستم».

(١) قال العلامة في القسم الأول من خلاصته ص١٤ : «احمد بن إسحاق الرازي من اصحاب ابي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي عليهما السلام، أورد الكشي ما يدل على اختصاصه بالجهة المقدسة، وقد ذكرته في الكتاب الكبير».

الحسن العسكري«ع» كان وجهه كالقمر ليلة البدر وقد رأينا على فخذه غلاماً يشبه المشتري في الحسن والجمال، وكان على رأسه ذوابتان، وكان بين يديه رمان من الذهب قد حلي بالفصوص والجواهر الثمينة قد أهداه واحد من رؤ ساء البصرة، وكان في يده قلم يكتب به شيئاً على قرطاس، فكلما أراد أن يكتب شيئاً أخذ الغلام يده فألقى الرمان حتى يذهب الغلام إليه ويجي به فلما ترك يده يكتب ما شاء.

ثم فتح احمد بن إسحاق الكساء ووضع الجراب بين يدي العسكري«ع» فنظر العسكري إلى الغلام فقال: فض الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك!

فقال: يا مولاي أيجوز أن أمد يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة؟!

ثم قال: يا أبن إسحاق اخرج ما في الجراب ليميز بين الحلال والحرام!ثم أخرج (صرة) فقال الغلام: هذا (لفلان ابن فلان) من محلة (كذا) بقم، مشتمل على اثنين وسبعين ديناراً، فيها من ثمن حجرة باعها وكانت ارثاً عن أبيه خمسة وأربعون ديناراً، ومن أثمان سبعة أثواب أربعة عشر ديناراً ، وفيه من اجرة الحوانيت ثلاثة دنانير.

فقال مولانا«ع»: صدقت يابني ! دل الرجل على الحرام منها،

فقال الغلام: في هذه العين دينار بسكة الري تاريخه في سنة (كذا) قد ذهب نصف نقصه عنه، وثلاثة اقطاع قراضة بالوزن (دانق ونصف) في هذه الصرة الحرام هذا القدر فان صاحب هذه الصرة في سنة كذا في شهر كذا كان له عند نساج- وهو من جملة جيرانه- من وربع، فأتى على ذلك زمان كثير فسرقه سارق من عنده فأخبره النساج بذلك فما صدقه وأخذ الغرامة بغزل أدق منه مبلغ منّ ونصف، ثم أمر حتى نسج منه ثوب وهذا الدينار والقراضة من ثمنه. ثم حل عقدها فوجد الدينار والقراضة كما أخبر، ثم اخرجت (صرة) اخرى.

فقال الغلام: هذا (لفلان ابن فلان) من المحلة (الفلانية) بقم والعين فيها (خمسون ديناراً) ولا ينبغي لنا أن ندني أيدينا إليها.

قال: لم؟ **فقال**: من أجل أنَّ هذه الدنانير ثمن الحنطة، وكانت هذه الحنطة بينه وبين حراث له، فأخذ نصيبه بكيل كامل وأعطى نصيبه بكيل ناقص.

فقال مولانا الحسن بن عليّ«ع» : صدقت يابني! **قال**يا ابن إسحاق احمل هذه الصرر وبلغ أصحابها واوص بتبليغها إلى أصحابها، فانه لا حاجة بنا إليها. **ثم قال**: جيء إليّ بثوب تلك العجوز.

فقال احمد بن إسحاق: كان ذلك في حقيبة فنسيته، ثم مشى احمد بن إسحاق ليجيء بذلك إلى مولانا أبي محمّد العسكري«ع» وقال: ما جاء بك يا سعد؟

فقلت: شوقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا قال: المسائل التي أردت أن تسأل عنها؟ **قلت**: على حالها يا مولاي. **قال**: فاسأل قرة عيني- وأومى إلى الغلام- مما بدا لك!

فقلت: يا مولانا وابن مولانا روي لنا: أنَّ رسول الله«ص» جعل طلاق نسائه إلى امير المؤمنين، حتى أنه بعث يوم الجمل رسولا إلى عائشة وقال:إنك أدخلت الهلاك على الاسلام وأهله بالغش الذي

حصل منك، وأوردت أولادك في موضع الهلاك بالجهالة، فان امتنعت وإلا طلقتك. فأخبرنا يا مولاي عن معنى الطلاق الذي فوض حكمه رسول الله«ص» إلى امير المؤمنين«ع»؟

فقال: إنَّ الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي«ص» فخصهنَّ بشرف الامهات فقال رسول الله«ص»: يا أبا الحسن إنَّ هذا شرف باق ما دمن لله على طاعة، فأيتهنَّ عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلقها من الأزواج وأسقطها من شرف أُمّية المؤمنين.

ثم قلت: أخبرني عن الفاحشة المبينة التي إذا فعلت المرأة ذلك يجوز لبعلها أن يخرجها من بيته في أيام عدتها؟

فقال«ع»: تلك الفاحشة السُّحق [١] وليست بالزنا لأنها إذا زنت يقام عليها الحد، وليس لمن أراد تزويجها أن يمتنع من العقد عليها لأجل الحد الذي اقيم عليها، وأما إذا ساحقت فيجب عليها الرجم، والرجم هو الخزي، ومن أمر الله تعالى برجمها فقد أخزاها ليس لأحد أن يقربها.

ثم قلت: أخبرني: يا ابن رسول الله عن قول الله تعالى لنبيه موسى: ﴿**فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى**﴾[٢] فانَّ فقهاء الفريقين يزعمون: أنها كانت من إهاب الميتة؟

فقال «ع»: من قال ذلك افترى على موسى واستهجنه في نبوته، لأنه ما خلا الأمر فيها من خطبين: أما أن كانت صلاة موسى فيها جائزة أو غير جائزة، فان كانت صلاة موسى جائزة فيها، فجاز لموسى أن يكون لابسها في تلك البقعة وإن كانت مقدسة مطهرة، وإن كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب أنّ موسى لم يعرف الحلال والحرام، ولم يعلم ما جازت الصلاة فيه مما لم يجز وهذا (كفر).

قلت: فأخبرني يامولاي عن التأويل فيها؟

قال: إنَّ موسى«ع» كان بالوادي المقدس فقال: يارب إنّي أخلصت لك المحبة مني وغسلت قلبي عمن سواك، وكان شديد الحب لأهله. فقال الله تبارك وتعالى: فاخلع نعليك أي: انزع حب اهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة وقلبك من الميل الى من سواي مغسولا.

فقلت: أخبرني عن تأويل كهيعص.

قال: هذه الحروف من أنباء الغيب، اطلع الله عليها عبده زكريا ثم قصها على محمّد«ص»، وذلك: أنّ زكريا«ع» سأل ربه: أن يعلمه الأسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل فعلمه إياها، فكان زكريا اذا ذكر محمّداً وعلياً وفاطمة والحسن سرى عنه همه، وانجلى كربه وإذا ذكر اسم الحسين«ع» خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة

فقال ـ ذات يوم ـ: إلهي ما بالي اذا ذكرت أربعاً منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت

---

(١) المساحقة عند النساء كاللواط عند الرجال.
(٢) طه ـ ١٢.

الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي. فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصته فقال: (كهيعص) فالكاف اسم (كربلاء) والهاء هلاك (العترة) والياء (يزيد) وهو ظالم الحسين، والعين (عطشه) والصاد (صبره) فلما سمع بذلك زكريا«ع» لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيهنَّ الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب، وكان يرثيه:

إلٓهي أتفجع خير جميع خلقك بولده؟

إلٓهي أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه؟

إلٓهي أتلبس علياً وفاطمة ثوب هذه المصيبة؟

إلٓهي تحل كربة هذه المصيبة بساحتهما؟

ثم كان يقول: إلٓهي ارزقني ولداً تقر به عيني على الكبر، فاذا رزقتنيه فافتنِّي بحبه، ثم افجعني به كما تفجع محمّداً حبيبك بولده.

فرزقه الله يحيى وفجعه به وكان حمل يحيى ستة أشهر وحمل الحسين كذلك.

فقلت: أخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار الامام لأنفسهم؟

قال: مصلح أو مفسد؟ **فقلت**: مصلح.

قال: هل يجوّز أن يقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد. **قلت**: بلى.

قال: فهي (العلة) أيدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك. **قلت**: نعم.

قال: أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم الكتب، وأيدهم بالوحي والعصمة، إذهم أعلام الامم، فاهدي إلى ثبت الاختيار ومنهم موسى وعيسى هل يجوز مع وفور عقلهما، وكمال علمهما، إذ هما على المنافق بالاختيار أن يقع خيرتهما، وهما يظنان أنه مؤمن؟ **قلت**: لا.

قال: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه، ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلا ممن لم يشك في إيمانهم وإخلاصهم، فوقع خيرته على المنافقين قال الله عز وجل: **﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا..﴾** الآية [1] فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد، علمنا: أن لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور وما تكن الضمائر، وينصرف عنه السرائر. وان لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار، بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح.

ثم قال مولانا«ع»: يا سعد من ادعى: أنَّ النبي«ص»ـ وهو خصمك ـ ذهب بمختار هذه الامة مع

---

(١) الأعراف ـ ١٥٤.

نفسه إلى الغار فانه خاف عليه كما خاف على نفسه لما علم أنه الخليفة من بعده على امته، لأنه لم يكن من حكم الاختفاء أن يذهب بغيره معه وإنما أقام علياً على مبيته لأنه علم أنه إن قتل لا يكون من الخلل بقتله ما يكون بقتل أبي بكر، لأنه يكون لعلي من يقوم مقامه في الامور، لم لاتنقض عليه بقولك: أو لستم تقولون. إنَّ النبي«ص» قال: «إنَّ الخلافة من بعدي ثلاثون سنة» وصيرها موقوفة على أعمار هؤلاء الأربعة: (أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي) فانهم كانوا على مذهبكم خلفاء رسول الله؟ فان خصمك لم يجد بداً من قوله: بلى.

قلت له: فاذا كان الأمر كذلك فكما أبو بكر الخليفة من بعده كان هذه الثلاثة خلفاء امته من بعده فلم ذهب بخليفة واحد وهو (أبو بكر) إلى الغار ولم يذهب بهذه الثلاثة؟ فعلى هذا الأساس يكون النبي«ص» مستخفاً بهم دون أبي بكر فانه يجب عليه أن يفعل بهم ما فعل بأبي بكر، فلما لم يفعل ذلك بهم يكون متهاوناً بحقوقهم وتاركاً للشفقة عليهم بعد أن كان يجب أن يفعل بهم جميعاً على ترتيب خلافتهم ما فعل بأبي بكر.

وأما ما قال لك الخصم: بأنهما أسلما طوعاً أو كرهاً، لِمَ لم تقل بل إنهما أسلما طمعاً، وذلك أنهما يخالطان مع اليهود ويخبران بخروج محمّد«ص» واستيلائه على العرب عن التوراة والكتب المقدسة وملاحم قصة محمّد«ص»، ويقولون لهما: يكون استيلاؤه على العرب كاستيلاء (بخت نصر) على بني إسرائيل إلا أنه يدعي النبوة ولا يكون من النبوة في شي، فلما ظهر أمر رسول الله فساعدا معه على شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمّداً رسول الله طمعاً أن يجدا من جهة ولاية رسول الله ولاية بلد اذا انتظم أمره، وحسن باله، واستقامت ولايته، فلما أيسا من ذلك وافقا مع أمثالهما ليلة العقبة وتلثما مثل من تلثم منهم، فنفروا بدابة رسول الله لتسقطه ويصير هالكاً بسقوطه بعد أن صعد العقبة فيمن صعد، فحفظ الله تعالى نبيه من كيدهم ولم يقدروا أن يفعلوا شيئاً، وكان حالهما كحال طلحة والزبير إذ جاءا علياً«ع» وبايعاه طمعاً أن تكون لكل واحد منهما ولاية، فلما لم يكن ذلك وأيسا من الولاية، نكثا بيعته وخرجا عليه، حتى آل أمر كل واحد منهما إلى ما يؤول أمر من ينكث العهود والمواثيق.

ثم قام مولانا الحسن بن علي«ع» لصلاته وقام القائم معه، فرجعت من عندهما وطلبت احمد بن إسحاق، فاستقبلني باكياً فقلت: ما أبطأك وما أبكاك؟

قال: قد فقدت الثوب الذي سألني مولاي إحضاره. **قلت**: لا بأس عليك فأخبره!

فدخل عليه وانصرف من عنده متبسماً وهو يصلي على محمّد وأهل بيته. **فقلت**: ما الخبر؟

فقال: وجدت الثوب مبسوطاً تحت قدمي ملانا «ع» يصلي عليه.

قال سعد: فحمدنا الله جل ذكره على ذلك، وجعلنا نختلف بعد ذلك اليوم إلى منزل مولانا «ع» أياماً نرى الغلام بين يديه، فلما كان يوم الوداع دخلت أنا وأحمد بن إسحاق وكهلان من أهل بلدنا، فانتصب أحمد بن إسحاق بين يديه قائماً وقال:

يا ابن رسول الله قد دنت الرحلة ، واشتدت المحنة ، فنحن نسأل الله أن يصلي على المصطفى جدك ، وعلى المرتضى أبيك ، وعلى سيدة النساء امك فاطمة الزهراء وعلى سيدي شباب أهل الجنة عمك وأبيك ، وعلى الأئمة من بعدهما آبائك ، وأن يصلي عليك وعلى ولدك ، ونرغب إليه أن يعلي كعبك ، ويكبت عدوك ، ولا جعل الله هذا آخر عهدنا من لقائك .

قال: فلما قال هذه الكلمة استعبر مولانا«ع» ، حتى استهملت دموعه وتقاطرت عبراته ، ثم قال:

يابن اسحاق لا تكلف في دعائك شططاً ، فانك ملاق الله في صدرك هذا ، فخر احمد مغشياً عليه ، فلما أفاق قال:

سألتك بالله وبحرمة جدك إلا ما شرفتني بخرقة أجعلها كفناً ، فأدخل مولانا يده تحت البساط فأخرج ثلاثة عشر درهماً فقال:

خذها ولا تنفق على نفسك غيرها فانك لن تعدم ما سألت ، والله لا يضيع أجر المحسنين.

قال سعد: فلما صرنا بعد منصرفنا من حضرة مولانا«ع» من حلوان على ثلاثة فراسخ ، حم احمد ابن إسحاق وثارت عليه علة صعبة أيس من حياته بها فلما وردنا حلوان ونزلنا في بعض الخانات ، دعا احمد ابن إسحاق رجلا من أهل بلده كان قاطناً بها ثم قال: تفرقوا عني هذه الليلة واتركوني وحدي! فانصرفنا عنه ورجع كل واحد إلى مرقده.

قال سعد: فلما حان أن ينكشف الليل عن الصبح أصابتني فكرة ففتحت عيني ، فاذا أنا بكافور الخادم خادم مولانا أبي محمّد وهو يقول: أحسن الله بالخير عزاكم ، وختم بالمحبوب رؤيتكم ، قد فرغنا من غسل صاحبكم ومن تكفينه ، فقوموا لدفنه فانه من أكرمكم محلا عند سيدكم ، ثم غاب عن اعيننا ، فاجتمعنا على رأسه بالبكاء والنحيب والعويل حتى قضينا حقه وفرغنا من أمره رحمه الله.

وعن الشيخ الموثوق أبي عمرو العمري- ره- [1] قال: تشاجر ابن أبي غانم القزويني وجماعة مَن

---

(١) هو عثمان بن سعيد العمري- بفتح العين وسكون الميم- أول النواب الأربعة يكنى أبا عمرو السمان ويقال له الزيات ، والعسكري ، ذكره الشيخ الطوسي في عداد أصحاب الهادي عليه السلام ص ٤٢٠ وقال: «.. خدمه عليه السلام وله إحدى عشر سنة ، وله إليه عهد معروف» وفي أصحاب العسكري ص ٤٣٤ وقال: «.. جليل القدر ثقة وكيله عليه السلام» وفي كتاب الغيبة ص ٢١٤ قال: «فأما السفراء الممدوحون في زمان الغيبة ، فأولهم: من نصبه أبو الحسن علي بن محمد العسكري وأبو محمد الحسن بن علي بن محمد ابنه عليهم السلام وهو الشيخ الموثوق به: أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري ، وكان أسدياً وإنما سمي العمري لما رواه أبو نصر هبة الله بن محمد بن احمد الكاتب أنه ابن بنت أبي جعفر العمري - رحمه الله- قال أبو نصر كان أسدياً فنسب إلى جده فقيل العمري . وقد قال قوم من الشيعة: إنَّ أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام قال: لا يجتمع على أمرء بين عثمان وأبي عمرو فأمر بكسر كنيته فقيل العمري ، إلى أن قال: ويقال له: (السمان) لأنه كان يتجر في السمن تغطية على الأمر ، وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى أبي محمد عليه السلام تقية وخوفا» وقال العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١١٦: «.. ويقال له: الزيات الأسدي من أصحاب ابي جعفر محمد بن علي الثاني عليهما السلام خدمه وله إحدى عشر سنة ، وله إليه عهد معروف ، وهو ثقة جليل القدر وكيل أبي محمد عليه السلام» وفي ج ٢ من سفينة البحار ص ١٥٨ «أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري اول النواب الأربعة ، ما ورد في شأنه من الجلالة والعدالة والأمانة أكثر من أن=

الشيعة في (الخلف) فذكر ابن أبي غانم : أنَّ أبا محمّد«ع» مضى ولا خلف له، ثم أنهم كتبوا في ذلك كتاباً وأنفذوه إلى الناحية، وأعلموه بما تشاجروا فيه.

فورد جواب كتابهم بخطه صلى الله عليه وعلى آبائه:

بسم الله الرحمن الرحيم

عافانا الله وإياكم من الفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب، إنه أنهي إليَّ ارتياب جماعة منكم في الدين، وما دخلهم من الشك والحيرة في ولاة أمرهم، فغمنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا، لأنَّ الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعدعنا، ونحن صنايع ربنا والخلق بعد صنايعنا.

يا هؤلاء ما لكم في الريب ترددون ، وفي الحيرة تنعكسون ، أو ما سمعتم الله يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم﴾[1] أو ما علمتم ما جاءت به الآثار مما يكون ويحدث في أئمتكم ، على الماضين والباقين منهم السلام ؟ أو ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها ، وأعلاماً تهتدون بها ، من لدن آدم «ع» إلى أن ظهر الماضي «ع» ، كلما غاب علم بدأ علم ، وإذا أفل نجم طلع نجم ، فلما قبضه الله إليه ظننتم : أنَّ الله أبطل دينه ، وقطع السبب بينه وبين خلقه ، كلّاما كان ذلك ولا يكون ، حتى تقوم الساعة ويظهر أمر الله وهم كارهون ، وإنّ الماضي «ع» مضى سعيداً فقيداً على منهاج آبائه «ع» ، (حذو النعل بالنعل) وفينا وصيته وعلمه ، ومنه خلفه ومن يسد مسده ، ولا ينازعنا موضعه إلا ظالم آثم ، ولا يدعيه دوننا إلا كافر جاحد ، ولولا أنَّ أمر الله لا يغلب ، وسره لا يظهر ولا يعلن لظهر لكم من حقنا ما تبتز منه عقولكم ، ويزيل شكوككم ولكنَّه ما شاء الله كان ، ولكل أجل كتاب ، فاتقوا الله وسلموا لنا وردوا الأمر إلينا فعلينا الاصدار كما كان منا الإيراد ، ولا تحاولوا كشف ما غطي عنكم ، ولا تميلوا عن اليمين وتعدلوا إلى اليسار ، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودة على السنّة الواضحة فقد نصحت لكم ، والله شاهد عليَّ وعليكم ، ولولا ما عندنا من محبة صاحبكم ورحمتكم ، والاشفاق عليكم ، لكنا عن مخاطبتكم في شغل مما قد امتحنا به من منازعة الظالم ، العتل الضال ، المتتابع في غيه ، المضاد لربه المدعي ما ليس له الجاحد حق من افترض الله طاعته ، الظالم الغاصب ، وفي ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله إليَّ اسوة حسنة ، وسيتردى الجاهل رداء عمله ، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار .

عصمنا الله وإياكم من المهالك والأسواء والآفات والعاهات كلها برحمته إنه ولي ذلك والقادر

=يذكر وهو اجل وأشهر من أن يصفه مثلي (ش) كان باب الجواد عليه السلام . . . وحكى : ـ أنه يقال له : العمري لأنه ينتسب من قبل الام الى عمر الأطرف بن علي عليه السلام . . » وقبره في الجانب الغربي ببغداد .

(١) النساء ـ ٥٨ .

على ما يشاء ، وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً ، والسلام على جميع الأوصياء والأولياء والمؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وصلّى الله على النبي محمّد وآله وسلم تسليماً .

وعن سعد بن عبد الله الأشعري، عن الشيخ الصدوق احمد بن إسحاق بن سعد الأشعري : أنه جاء بعض أصحابنا يعلمه أنَّ جعفر بن علي كتب إليه كتاباً يعرفه نفسه ، ويعلمه أنه القيم بعد أخيه ، وأنَّ عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه ، وغير ذلك من العلوم كلها .

قال احمد بن إسحاق : فلما قرأت الكتاب كتبت إلى صاحب الزمان « ع» وصيرت كتاب جعفر في درجه ، فخرج إليَّ الجواب في ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

أتاني كتابك أبقاك الله والكتاب الذي أنفذت درجه، وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمنه على اختلاف ألفاظه، وتكرر الخطأ فيه، ولو تدبرته لوقفت على بعض ما وقفت عليه منه، والحمد لله ربِّ العالمين حمداً لا شريك له على إحسانه إلينا وفضله علينا، أبى الله عز وجل للحق إلا إتماماً، وللباطل إلا زهوقاً، وهو شاهد عليَّ بماأذكره،ولي عليكم بما أقوله، إذا اجتمعنا لليوم الذي لا ريب فيه، ويسألنا عما نحن فيه مختلفون.

وإنه لم يجعل لصاحب الكتاب على المكتوب إليه ولا عليك ولا على أحد من الخلق جميعاً إمامة مفترضة، ولا طاعة ولا ذمة ، وسأبين لكم جملة تكتفون بها إن شاء الله .

يا هذا يرحمك الله إنَّ الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدى بل خلقهم بقدرته، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباباً، ثم بعث النبيين«ع» مبشرين ومنذرين، يأمرونهم بطاعته وينهونهم عن معصيته، ويعرفونهم ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم، وأنزل عليهم كتاباً، وبعث إليهم ملائكة، وباين بينهم وبين من بعثهم إليهم بالفضل الذي جعله لهم عليهم، وما آتاهم الله من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة، والآيات الغالبة ، فمنهم: من جعل النار عليه برداً وسلاماً واتخذه خليلا، ومنهم: من كلَّمه تكليماً وجعل عصاه ثعباناً مبيناً، ومنهم: من أحيى الموتى باذن الله وأبرأ الأكمه والأبرص باذن الله، ومنهم من علّمه منطق الطير وأوتي من كلِّ شي.

ثم بعث محمّداً«ص» رحمة للعالمين وتمم به نعمته، وختم به أنبياءه وأرسله إلى الناس كافة، واظهر من صدقه ما أظهر، وبين من آياته وعلاماته ما بين، ثم قبضه«ص» حميداً فقيداً سعيداً، وجعل الأمر من بعده إلى أخيه وابن عمه ووصيه ووارثه علي بن أبي طالب«ع»، ثم إلى الأوصياء من ولده واحداً بعد واحد أحيى بهم دينه، وأتم بهم نوره، وجعل بينهم وبين إخوتهم وبني عمهم والأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم فرقاً بيناً، تعرف به الحجة من المحجوج، والإمام من المأموم: بأن عصمهم من الذنوب، وبرأهم من العيوب، وطهرهم من الدنس، ونزههم من اللّبس، وجعلهم خزان علمه،ومستودع

حكمته، وموضع سره، وأيدهم بالدلائل ولولا ذلك لكان الناس على سواء. ولادعى أمر الله عز وجل كل أحد ، ولما عرف الحق من الباطل، ولا العلم من الجهل.

وقد ادعى هذا المبطل المدعي على الله الكذب بما ادعاه ، فلا أدري بأية حالة هي له، رجا أن يتم دعواه بفقه في دين الله؟! فوالله ما يعرف حلالا من حرام، ولا يفرق بين خطأ وصواب، أم بعلم؟! فما يعلم حقاً من باطل، ولا محكماً من متشابه ولا يعرف حد الصلاة ووقتها، أم بورع؟ فالله شهيد على تركه الصلاة الفرض (أربعين يوماً) يزعم ذلك لطلب الشعوذة، ولعل خبره تأدى إليكم وهاتيك ظروف مسكره منصوبة، وآثار عصيانه لله عز وجل مشهورة قائمة، أم بآية؟ فليأت بها أم بحجة؟! فليقمها . أم بدلالة؟ : فليذكرها. قال الله عز وجل في كتابه:﴿**بسم الله الرحمن الرحيم حمَ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون * قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين* ومن أضلّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾[1]

فالتمس- تولىّ الله توفيقك- من هذا الظالم ماذكرت لك، وامتحنه واسأله عن آية من كتاب الله يفسرها، أو صلاة يبين حدودها وما يجب فيها، لتعلم حاله ومقداره، ويظهر لك عواره ونقصانه ، والله حسيبه.

حفظ الله الحق على أهله، وأقره في مستقره، وأبى الله عز وجل أن تكون الامامة في الأخوين إلا في الحسن والحسين، وإذ أذن الله لنا في القول ظهر الحق واضمحل الباطل، وانحسر عنكم. وإلى الله أرغب في الكفاية، وجميل الصنع والولاية وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلّى الله على محمّد وآل محمّد.

محمّد بن يعقوب الكليني[2] عن اسحاق بن يعقوب قال : سألت محمّد بن عثمان العمري رحمه الله[1] أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل اشكلت علي فورد التوقيع بخط مولانا صاحب

---

(١) الأحقاف: ١- ٦

(٢) قال المحقق الشيخ عباس القمّي في ج ٣ من الكنى والألقاب ص ٩٨: « هو الشيخ الأجل قدوة الأنام ، وملاذ المحدثين العظام ، ومروج المذهب في غيبة الامام عليه السلام ، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي الملقب : (ثقة الاسلام) ألف الكافي الذي هو أجل الكتب الاسلامية وأعظم المصنفات الامامية والذي لم يعمل للامامية مثله ، قال المولى محمد أمين الاسترابادي في محكي فوائده : سمعنا من مشايخنا وعلمائنا أنه لم يصنف في الاسلام كتاب يوازيه أو يدانيه ، وكان خاله علان الكليني الرازي » وقال النجاشي ص ٢٩٢ : « شيخ أصحابنا بالري ووجههم وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم . . . » وقال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ١٤٥ : « . . . صنف كتاب الكافي في عشرين سنة ومات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثماية ، وقال الشيخ الطوسي وقال النجاشي : في سنة تسع وعشرين وثلاثماية ، سنة تناثر النجوم وصلّى عليه محمد بن جعفر الحسيني أبو قيراط ودفن بباب الكوفة في مقبرتها . . . » .

(٣) محمد بن عثمان العمري رحمه الله هو ثاني الوكلاء الأربعة ذكره الشيخ في رجاله ص ٥٩ وقال : « . . يكنى أبا جعفر وأبوه يكنّى أبا عمرو جميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان عليه السلام ولهما منزلة جليلة عند الطائفة » وقال في الغيبة ص ٢١٨ : =

الزمان عليه السلام :

أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك، ووقاك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا.

فاعلم: أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح.

وأما سبيل ابن عمي جعفر وولده، فسبيل اخوة يوسف«ع».

وأما الفقاع فشربه حرام ولا بأس بالشلماب.

وأما أموالكم فلا نقبلها الا لتطهروا، فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع، وما آتانا الله خير مما آتاكم.

وأما ظهور الفرج : فانه إلى الله وكذب الوقاتون.

وأما قول من زعم أنَّ الحسين لم يقتل، فكفر وتكذيب وضلال.

وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجتي عليكم وأنا حجة الله.

وأما محمّد بن عثمان العمري، فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فانه ثقتي وكتابه كتابي.

وأما محمّد بن علي بن مهزيار الأهوازي ، فسيصلح الله قلبه، ويزيل عنه شكه

وأما ما وصلنا به، فلا قبول عندنا إلا لما طاب وطهر، وثمن المغنّية حرام.

وأما محمّد بن شاذان بن نعيم، فانه رجل من شيعتنا أهل البيت.

وأما أبو الخطاب محمّد بن أبي زينب الأجدع، ملعون وأصحابه ملعونون فلا تجالس أهل مقالتهم، فانّي منهم بريء، وآبائي«ع» منهم براء.

= فلما مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه بنص أبي محمد عليه السلام عليه ونص أبيه عثمان عليه بأمر القائم عليه السلام » . وفي ج ١ من سفينة البحار ص ٣٢٨ : « . . . أبو جعفر باب الهادي وهو وكيل الناحية في خمسين سنة الذي ظهر على يديه من طرف المأمول المنتظر «ع» معاجز كثيرة وكان محمد رحمه الله شيخاً متواضعاً في بيت صغير ليس له غلمان . . . وروى عنه قال : إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم مع الناس كل سنة يرى الناس فيعرفهم ويرونه ولا يعرفونه وروي أنه قيل له : رأيت صاحب هذا الأمر ؟ قال : نعم وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول : أنجز لي ما وعدتني . وعنه أيضاً قال : رأيته صلوات الله عليه متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول : اللهم انتقم بي من أعدائك . وروي أنه حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج ونقش فيه آيات من القرآن وأسماء الأئمّة عليهم السلام على حواشيه قيل سئل عن ذلك فقال : للناس أسباب ، وكان في كل يوم ينزل في قبره ويقرأ جزءاً من القرآن ثم يصعد » قال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ١٤٩ ثم سئل بعد ذلك فقال : قد أمرت أن أجمع أمري ، فمات بعد شهرين من ذلك في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة وقيل : سنة أربع وثلاثمائة . . وقال عند موته امرت أن اوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح وأوصى إليه . . ، وقبره ببغداد مشيد ويعرف بالشيخ الخلاني .

وأما المتلبسون بأموالنا، فمن استحل منها شيئاً فأكله، فانما يأكل النيران وأما الخمس، فقد ابيح لشيعتنا وجعلوا منه في حل إلى وقت ظهور أمرنا لتطيب ولادتهم، ولا تخبث.

وأما ندامة قوم شكوا في دين الله على ما وصلونا به، فقد أقلنا من استقال فلا حاجة إلى صلة الشاكين.

وأما علّة ما وقع من الغيبة،فإنَّ الله عز وجل يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم**﴾[1] إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي.

وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي، فكالانتفاع بالشمس إذا غيبها عن الأبصار السحاب، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم، ولاتتكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فان ذلك فرجكم، والسلام عليك ياإسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى.

أبو الحسن عليّ بن أحمد الدلال القمي[2] قال: اختلف جماعة من الشيعة في أنَّ الله عز وجل فوض إلى الأئمة صلوات الله عليهم أن يخلقوا ويرزقوا، فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله تعالى، لأنَّ الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز وجل، وقال آخرون: بل الله أقدر الائمة على ذلك وفوض اليهم فخلقوا ورزقوا، وتنازعوا في ذلك نزاعاً شديداً، فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون الى أبي جعفر محمّد بن عثمان فتسألوه عن ذلك ليوضح لكم الحق فيه، فانه الطريق الى صاحب الأمر، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع، نسخته:

إنَّ الله تعالى هو الذي خلق الأجسام، وقسم الأرزاق، لأنَّه ليس بجسم ولا حالّ في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأما الأئمة عليهم السلام، فانّهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم، وإعظاماً لحقهم.

عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي ـ ره ـ[3] قال: حدثني محمّد بن إبراهيم بن

---

(١) المائدة ـ ١٠٤.

(٢) ج ٣ من رجال المامقاني ص ١١ باب الكنى: أبو الحسن الدلال ليس لهُ ذكر في كلمات أصحابنا الرجاليين وإنما الذي عثرنا عليه رواية الكليني رحمه الله في باب تربيع القبر من الكافي عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن إسماعيل عنه عن يحيى بن أبي عبد الله.

(٣) قال الشيخ عباس القمي في ج ١ من الكنى والألقاب ص ٢١٢: «أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، شيخ الحفظة ووجه الطائفة المستحفظة رئيس المحدثين والصدوق فيما يرويه عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام ولد بدعاء مولانا صاحب الأمر «ع»، ونال بذلك عظيم الفضل والفخر فعمت بركته الأنام وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيام، له نحو من ثلاثمائة مصنف. قال ابن إدريس في حقه «ر ه» إنه كان ثقة جليل القدر بصيراً بالأخبار ناقداً للآثار، عالماً بالرجال، وهو استاذ المفيد محمد بن محمد بن النعمان «ر ه» وقال العلامة في ترجمته: شيخنا وفقيهنا ووجه الطائفة بخراسان ورد بغداد سنة ٣٥٥ وسمع منه شيوخ الطائفة،

إسحاق الطالقاني [١] قال: كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه [٢] مع جماعة منهم علي بن عيسى القصري، فقام إليه رجل فقال له: اريد أن أسألك عن شيء فقال له: سل عما بدا لك.

فقال الرجل: أخبرني عن الحسين بن علي«ع» أهو ولي الله؟ قال: نعم.

قال: أخبرني عن قاتله لعنه الله أهو عدو لله؟ قال: نعم.

قال الرجل، فهل يجوز أن يسلط الله عز وجل عدوه على وليه؟

فقال أبو القاسم قدس الله روحه: إفهم عني ما أقول لك! إعلم أنَّ الله تعالى لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان، ولا يشافههم بالكلام، ولكنّه جلت عظمته يبعث إليهم من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم، ولو بعث إليهم رسلا من غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم، ولم يقبلوا منهم، فلما جاءوهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، قالوا لهم: انتم بشر مثلنا لا نقبل منكم حتى تأتونا بشيء نعجز من أن نأتي بمثله، فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه، فجعل الله عزوجل لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها.

=وهو حدث السنّ كان جليلا حافظاً للأحاديث بصيراً بالرجال ناقداً للأخبار لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه،له نحو من ثلاثمائة مصنف ذكرنا أكثرها في كتابنا الكبير، مات «ر ه» بالري سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة انتهى. وقال الاستاذ الأكبر في التعليقة: نقل المشايخ معنعناً عن شيخنا البهائي وقد سئل عنه فعدَّله ووثقه وأثنى عليه، وقال: سئلت قديماً عن زكريا بن آدم والصَّدوق محمد بن علي بن بابويه أيهما أفضل وأجل مرتبة فقلت: زكريا بن آدم لتوافر الأخبار بمدحه، فرأيت شيخنا الصدوق قدس سره عاتباً علي وقال: من أين ظهر لك فضل زكريا بن آدم عليّ؟ وأعرض عنى كذا في جاشية المحقق البحراني على بلغته. وقبره رحمه الله في بلدة الري قرب عبد العظيم الحسني مزار معروف في بقعة عالية في روضة مونقة وله خبر مستفيض مشهور ذكره «ضا» وعده من كراماته وأطراف قبره قبور كثير من أهل الفضل والايمان..».

(١) في ج ٢ من جامع الرواة ص ٤٣ محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني- «رحمه الله» عنه أبو جعفر بن بابويه مترضياً وهوعن الحسين بن روح قدس الله روحه ما ينبيء عن حسن حاله واعتقاده (كتاب ميرزا محمد)

(٢) الحسين بن روح: أحد النواب الأربعة في الجزء الأول من سفينة البحار ص ٢٧١: «أخبرنا جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى قال أخبرني أبو علي محمد بن همام رضي الله عنه وأرضاه أنّ أبا جعفر محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه، جمعنا قبل موته وكنا وجوه الشيعة وشيوخها فقال لنا: إن حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي فقد امرت أن أجعله في موضعي بعدي فارجعوا إليه وعولوا في اموركم عليه، وفي رواية اخرى ما حاصلها أنه لما اشتدت حال أبي جعفر رحمه الله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة فدخلوا عليه فقالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر، والوكيل والثقة الامين، فارجعوا اليه في اموركم وعولوا عليه في مهماتكم، فبذلك امرت وقد بلغت، وعن ام كلثوم بنت ابي جعفر- رض- قالت: كان الشيخ ابو القاسم الحسين بن روح «ر ه» وكيلا لابي جعفر- اي: محمد بن عثمان- سنين كثيرة ينظر له في املاكه ويلقى بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان خصيصاً به، حتى انه كان يحدثه ما يجري بينه وبين جواريه لقربه منه وانسه، وكان يدفع اليه في كل شهر ثلاثين ديناراً رزقا له غير ما يصل اليه من الوزراء والرؤساء من الشيعة مثل آل الفرات وغيرهم ولوضعه وجلالة محله عندهم، فحصل في انفس الشيعة محلا جليلا لمعرفتهم باختصاص ابى اياه وتوثيقه عندهم، ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الامر فتمهدت له الحال في حياة ابى الى ان انتهت الوصية اليه بالنص عليه فلم يختلف في امره ولم يشك فيه احد الا جاهل بأمر ابى... وكان ابو سهل النوبختي يقول في حقه: انه لو كان الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل.. مات رحمه الله في شعبان سنة ٣٢٦ وقبره في بغداد..»

فمنهم: من جاء بالطوفان بعد الإعذار والإنذار فغرق جميع من طغى وتمرد.

ومنهم: من القي في النار فكانت عليه برداً وسلاماً.

ومنهم: من أخرج من الحجر الصلب الناقة، وأجرى من ضرعها لبناً.

ومنهم: من فلق له البحر وفجر له من العيون، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون.

ومنهم: من أبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

ومنهم: من انشق له القمر وكلمته البهائم، مثل البعير والذئب وغير ذلك. فلما أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق عن امهم من أن يأتوا بمثله، كان من تقدير الله جل جلاله ولطفه بعباده وحكمته: أن جعل أنبياءه مع هذه المعجزات في حال غالبين واخرى مغلوبين، وفي حال قاهرين واخرى مقهورين، ولو جعلهم الله في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة من دون الله عز وجل، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار، ولكنه جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم، ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين، وليعلم العباد أنّ لهم«ع» إلهاً هو خالقهم ومدبرهم فيعبدوه ويطيعوا رسله، وتكون حجة الله ثابتة على من تجاوز الحد فيهم، وادعى لهم الربوبية، أو عاند وخالف، وعصى وجحد، بما أتت به الأنبياء والرسل، وليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة.

قال محمّد بن إبراهيم بن إسحاق (ره): فعدت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (ره) في الغد وأنا أقول في نفسي: أتراه ذكر لنا ما ذكر يوم أمس من عند نفسه؟

فابتدأني وقال: يا محمّد بن إبراهيم لئن أخر من السماء فتختطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبّ إليّ من أن أقول في دين الله برأيي، ومن عند نفسي، بل ذلك عن الأصل، ومسموع من الحجة صلوات الله عليه وسلامه.

ومما خرج عن صاحب الزمان صلوات الله عليه، رداً على الغلاة من التوقيع جواباً لكتاب كتب إليه على يدي محمّد بن عليّ بن هلال الكرخي.

يا محمّد بن عليّ تعالى الله وجل عما يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاؤه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه: **﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب الا الله﴾**(١)

وأنا وجميع آبائي من الأولين: آدم ونوح وإبراهيم وموسى، وغيرهم من النبيين، ومن الآخرين

---

(١) النمل: ٦٥

محمّد رسول الله وعليّ بن أبي طالب وغيرهم ممن مضى من الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري عبيد الله عز وجل يقول الله عز وجل: ﴿**من أعرض عن ذكري فانَّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى* قال ربّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً* قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**﴾[١]

يا محمّد بن علي قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم ، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه.

فأشهد الله الذي لا إلهٰ إلا هو وكفى به شهيداً، ورسوله محمّداً صلى الله عليه وآله، وملائكته وأنبياءه، وأولياءه«ع».

وأُشهدك، وأُشهد كل من سمع كتابي هذا أنّي بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب، ونشاركه في ملكه، أو يحلنا محلا سوى المحل الذي رضيه الله لنا وخلقنا له، أو يتعدى بنا عما قد فسرته لك وبينته في صدر كتابي.

وأُشهدكم: أنَّ كل من نبرأ منه فإنَّ الله يبرأ منه وملائكته ورسله وأولياؤه وجعلت هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه لأحد من مواليَّ وشيعتي، حتى يظهر على هذا التوقيع الكل من الموالي لعل الله عز وجل يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحق، وينتهون عما لا يعلمون منتهى أمره، ولا يبلغ منتهاه؛ فكل من فهم كتابي ولا يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته، فقد حلت عليه اللعنة من الله وممن ذكرت من عباده الصالحين.

روى أصحابنا: أنَّ أبا محمّد الحسن السريعي، كان من أصحاب أبي الحسن عليّ بن محمّد«ع» وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه من قِبَل صاحب الزمان«ع» وكذب على الله وحججه«ع»، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء ، ثم ظهر منه القول بالكفر والالحاد، وكذلك كان محمّد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمّد الحسن«ع»، فلما توفي ادعى البابية لصاحب الزمان، ففضحه الله تعالى بما ظهر منه من الالحاد والغلو والتناسخ، وكان يدعي أنه رسول نبي أرسله عليّ بن محمّد«ع»، ويقول بالإباحة للمحارم، وكان أيضاً من جملة الغلاة: أحمد بن هلال الكرخي، وقد كان من قبل في عدد أصحاب أبي محمّد «ع»، ثم تغير عما كان عليه وأنكر بابية أبي جعفر محمّد بن عثمان ، فخرج التوقيع يلعنه من قبل صاحب الأمر والزمان وبالبراءة منه، في جملة من لعن وتبرأ منه، وكذا كان أبو طاهر محمّد بن عليّ بن بلال، والحسين بن منصور الحلاج، ومحمّد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقري ، لعنهم الله، فخرج التوقيع بلعنهم والبراءة منهم جميعاً ، على يد الشيخ أبي القاسم الحسين ابن روح(ر ه) ونسخته:

عرف- أطال الله بقاك! وعرفك الله الخير كله وختم به عملك- من تثق بدينه وتسكن إلى نيته، من إخواننا أدام الله سعادتهم: بأنّ(محمّد بن عليّ المعروف بالشلمغاني)عجل الله له النقمة ولا أمهله، قد

---

(١) طه- ١٢٤- ١٢٦-

ارتدّعن الاسلام وفارقه، وألحد في دين الله وادعى: ما كفر معه بالخالق جل وتعالى، وافترى كذباً وزوراً، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً.

وإنا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته منه، ولعناه، عليه لعاين الله تترى، في الظاهر منا والباطن، والسر والجهر، وفي كل وقت، وعلى كل حال، وعلى كل من شايعه وبلغه هذا القول منا فأقام على تولاه بعده.

أعلمهم- تولاك الله- : إننا في التوقي والمحاذرة منه على مثل ما كنا عليه ممن تقدمه من نظرائه، من: (السريعي، والنميري، والهلالي، والبلالي) وغيرهم وعادة الله جل ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة، وبه نثق وإياه نستعين وهو حسبنا في كل امورنا ونعم الوكيل[1].

(١) قال الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب الغيبة ص ٢٤٤: «ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية لعنهم الله» أولهم المعروف بالسريعي «أخبرنا» جماعة عن أبي محمد التلعكبري، عن أبي عليّ محمد بن همام «قال»: كان السريعي يكنى: بـ «أبي محمد» «قال» هارون: وأظن اسمه كان «الحسن»، وكان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ثم الحسن بن علي بعده عليهم السلام.

وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه، ولم يكن أهلاً له، وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام، ونسب إليهم ما لا يليق بهم، وما هم منه براء، فلعنته الشيعة وتبرأت منه، وخرج توقيع الإمام «ع» بلعنه والبراءة منه.

قال هارون: ثم ظهر منه القول بالكفر والالحاد.

قال: وكل هؤلاء المدعين إنما يكون كذبهم أولاً على الامام وأنهم وكلاؤه، فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم، ثم يترقى الأمر بهم إلى قول الحلاجية كما اشتهر من أبي جعفر الشلمغاني ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى.

ومنهم: محمد بن نصير النميري (قال ابن نوح): أخبرنا أبو نصر هبة الله بن محمد (قال): كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام فلما توفي أبو محمد ادعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان، وادعى له البابية. وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الالحاد والجهل، ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له وتبريه منه، واحتجابه عنه، وادعى ذلك الأمر بعد السريعي.

(قال أبو الخطاب الأنباري) لما ظهر محمد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر رضي الله عنه وتبرأ منه، فبلغه ذلك فقصد أبا جعفر رضي الله عنه ،ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه ،فلم يأذن له وحجبه ورده خائباً.

(وقال) سعد بن عبد الله: كان محمد بن نصير النميري يدعي: أنه رسول نبي وأن علي بن محمد (ع) أرسله، وكان يقول بالتناسخ، ويغلو في أبي الحسن (ع) ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالاباحة للمحارم، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ويزعم: أنّ ذلك من التواضع والاخبات والتذلل في المفعول به، وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات، وأنّ الله عز وجل لا يحرم شيئاً من ذلك، وكان محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات يقوي أسبابه ويعضده.

(أخبرني) بذلك عن محمد بن نصير أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان: أنه رآه عياناً وغلام على ظهره.

(قال): فلقيته فعاتبته على ذلك فقال: إنّ هذا من اللذات، وهو من التواضع لله وترك التجبر.

(قال) سعد: فلما اعتل محمد بن نصير العلة التي توفي فيها، قيل له ـ وهو مثقل اللسان ـ: لمن هذا الأمر من بعدك؟ فقال ـ بلسان ضعيف ملجاج ـ: أحمد فلم يدروا من هو، فافترقوا بعده ثلاث فرق.

قالت فرقة: إنه أحمد ابنه، وفرقة قالت: هو أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات وفرقة قالت: إنه أحمد بن أبي الحسين ابن بشر بن يزيد، فتفرقوا فلا يرجعون إلى شيء.

ومنهم: أحمد بن هلال الكرخي، قال أبو علي بن همام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد (ع) فاجتمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان ـ رضي الله عنه ـ بنص الحسن (ع) في حياته. ولما مضى الحسن (ع) قالت الشيعة الجماعة له:

=

= ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه ، وقد نص عليه الامام المفترض الطاعة ؟

فقال لهم : لم أسمعه ينص عليه بالوكالة وليس انكر أباه - أي : عثمان بن سعيد - فاما أن أقطع أنّ أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه .

فقالوا : قد سمعه غيرك ، فقال أنتم وما سمعتم ، ووقف على أبي جعفر فلعنوه وتبرءوا منه ، ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن .

ومنهم : أبو طاهر محمد بن عليّ بن بلال ، وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري - نضّر الله وجهه - وتمسكه بالأموال التي كانت عنده للامام ، وامتناعه من تسليمها ، وادعاؤه أنه الوكيل ، حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه وخرج فيه من صاحب الزمان ما هو معروف .

(وحكى) أبو غالب الرازي : قال : حدثني أبو الحسن محمد بن محمد بن يحيى المعاذي قال :

كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبي طاهر بن بلال بعد ما وقعت الفرقة ثم أنه رجع عن ذلك وصار في جملتنا فسألناه عن السبب قال :

كنت عند أبي طاهر بن بلال يوماً وعنده أخوه أبو الطيب وابن حرز وجماعة من أصحابه إذ دخل الغلام فقال : أبو جعفر على الباب ، ففزعت الجماعة لذلك ، وانكرته للحال التي كانت جرت وقال : يدخل .

فدخل أبو جعفر - رضي الله عنه - فقام له أبو طاهر والجماعة . وجلس في صدر المجلس ، وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه ، إلى أن سكتوا - ثم قال : يا أبا طاهر نشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان بحمل ما عندك من المال إليَّ ؟

فقال : اللهم نعم .

فنهض أبو جعفر - رضي الله عنه - منصرفاً ، ووقعت على القوم سكتة ، فلما تجلت عنهم قال له أخوه أبو الطيب : من أين رأيت صاحب الزمان ؟

فقال أبو طاهر : أدخلني أبو جعفر - رضي الله عنه - إلى بعض دوره فأشرف عليَّ من علو داره فأمرني بحمل ما عندي من المال إليه .

فقال له أبو الطيب : ومن أين علمت أنه صاحب الزمان (ع) ؟

قال : قد وقع عليَّ من الهيبة له ، ودخلني من الرعب منه ، ما علمت أنه صاحب الزمان (ع) ، فكان هذا سبب انقطاعي عنه .

ومنهم : الحسين بن منصور الحلاج ، أخبرنا الحسين بن إبراهيم عن أبي العباس أحمد بن عليّ بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت ام كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال :

لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ، ويظهر فضيحته ويخزيه ، وقع له أنّ أبا سهل بن إسماعيل بن عليّ النوبختي - رضي الله عنه - ممن تجوز عليه مخرقته ، ووجه إليه يستدعيه وظن أنّ أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله ، وقدر أن يستجره إليه فيتمخرق به ، ويتسوف بانقياده على غيره، فيستتب إليه ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة لقدر أبي سهل في أنفس الناس ومحله من العلم والأدب أيضاً عندهم .

ويقول له في مراسلته إياه : إنّي وكيل صاحب الزمان (ع) - وبهذا أولاً كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره - وقد امرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوى نفسك ، ولا ترتاب بهذا الأمر .

فأرسل إليه أبو سهل - رضي الله عنه - يقول له :

إني أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك ، في جنب ما ظهر على يديك ، من الدلائل والبراهين ، وهو أنّي رجل احب الجواري وأصبو إليهنّ ، ولي منهنّ عدة أتحظاهنّ والشيب يبعدني عنهنّ ، وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهنّ ذلك ، والا انكشف أمري عندهنّ ، فصار القرب بعداً ، والوصال هجراً واريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته ، وتجعل لحيتي سوداء ، فانّي طوع يديك ، وصائر إليك ، وقائل بقولك ، وداع إلى مذهبك ، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة . =

واما الابواب المرضيون ، والسفراء الممدوحون في زمان الغيبة :

فأولهم : الشيخ الموثوق به أبو عمرو (عثمان) بن سعيد العمري : نصبه أولا أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكري ، ثم ابنه أبو محمّد الحسن ، فتولى القيام بامورهما حال حياتهما « ع » ، ثم بعد ذلك قام

= فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه : علم أنه قد أخطأ في مراسلته ، وجهل في الخروج إليه بمذهبه ، وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً ، ولم يرسل إليه رسولاً ، وصيره أبو سهل - رضي الله عنه - أحدوثة وضحكة ويطن به (أي يسخر) عند كل أحد ، وشهر أمره عند الكبير والصغير ، وكان هذا الأمر سبباً لكشف أمره ، وتنفير الجماعة عنه .

ومنهم : ابن أبي العزاقر ، أخبرني الحسين بن إبراهيم عن احمد بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد بن احمد الكاتب ابن بنت ام كلثوم بنت أبي جعفر العمري « رضي الله عنه » (قال) : كان أبو جعفر بن أبي العزاقر وجيهاً عند بني بسطام وذلك أنّ الشيخ أبا القاسم « رضي الله تعالى عنه وأرضاه » كان قد جعل له عند الناس منزلة وجاهاً ، فكان عند ارتداده يحكي كل كذب وبلاء ، وكفر لبني بسطام ويسنده عن الشيخ أبي القاسم ، فيقبلونه منه ويأخذونه عنه ، حتى انكشف ذلك لأبي القاسم « رضي الله عنه » فأنكروه وأعظمه ، ونهى بني بسطام عن كلامه وأمرهم بلعنه والبراءة منه فلم ينتهوا ، واقاموا على توليه وذاك أنه كان يقول لهم :

إنني أذعت السر وقد أخذ عليّ الكتمان فعوقبت بالابعاد بعد الاختصاص ، لأنّ الأمر عظيم لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن ممتحن ، فيؤكد في نفوسهم عظم الأمر وجلالته ، فبلغ ذلك أبا القاسم « رضي الله عنه » فكتب إلى بني بسطام بلعنه والبراءة منه وممن تابعه على قوله وأقام على توليه ، فلما وصل إليهم أظهروه عليه فبكى بكاءً عظيماً ثم قال : إنّ لهذا القول باطناً عظيماً وهو : أنّ اللعنة (الابعاد) فمعنى قوله لعنه الله أي : باعده الله عن العذاب والنار ، والآن قد عرفت منزلتي ومرغ خديه على التراب وقال : عليكم بالكتمان لهذا الأمر ، قالت الكبيرة « رضي الله عنها » : وقد كنت أخبرت الشيخ أبا القاسم أنّ ام أبي جعفر ابن بسطام قالت لي يوماً وقد دخلنا إليها فاستقبلتني وأعظمتني وزادت في إعظامي حتى انكبت على رجلي تقبلها فأنكرت ذلك وقلت لها : مهلاً يا ستي .

فقالت لي : إنّ الشيخ أبا جعفر محمد بن عليّ قد كشف لنا السر . **قالت** : فقلت لها : وما السر ؟

قالت : قد أخذ علينا كتمانه ، وأفزع إن أنا أذعته عوقبت .

قالت : وأعطيتها موثقاً أنّي لا أكشفه لأحد واعتقدت في نفسي الاستثناء بالشيخ « رضي الله عنه » يعني أبا القاسم الحسين بن روح .

قالت : إنّ الشيخ أبا جعفر قال لنا : إنّ روح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم انتقلت إلى أبيك يعني : أبا جعفر محمد بن عثمان « رضي الله عنه » وروح امير المؤمنين عليّ (ع) انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح ، وروح مولاتنا فاطمة (ع) انتقلت إليك فكيف لا اعظمك يا ستنا ؟ .

فقلت لها : مهلاً لا تفعلي فان هذا كذب يا ستنا .

فقالت لي : سر عظيم وقد أخذ علينا أننا لا نكشف هذا لأحد فالله الله فيَّ لا يحل لي العذاب ، ويا ستي لولا أنك حملتني على كشفه ما كشفته لك ولا لأحد غيرك .

قالت الكبيرة ام كلثوم « رضي الله عنها » فلما انصرفت من عندها دخلت على الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح « رضي الله عنه » فأخبرته بالقصة وكان يثق بي ويركن إلى قولي .

فقال لي : يا بنية إياك أن تمضي إلى هذه المرأة بعد ما جرى منها ، ولا تقبلي لها رقعة إن كاتبتك ، ولا رسولاً إن أنفذته إليك ، ولا تلقيها بعد قولها ، فهذا كفر بالله تعالى وإلحاد قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أن يقول لهم : بأنّ الله تعالى اتحد به وحل فيه كما يقول النصارى في المسيح (ع) ويعدو الى قول الحلاج لعنه الله .

قالت : فهجرت بني بسطام ، وتركت المضي إليهم ، ولم أقبل لهم عذراً ، ولا لقيت امهم بعدها ، وشاع في بني نوبخت الحديث لم يبق أحد الا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه وممن يتولاه ورضي بقوله أو كلمه فضلاً عن موالاته ، ثم ظهر التوقيع من صاحب الزمان (ع) بلعن أبي جعفر محمد بن عليّ والبراءة منه وممن تابعة وشايعه ورضي بقوله وأقام على توليه بعد المعرفة بهذا التوقيع وله حكايات قبيحة ننزه كتابنا عن ذكرها ، ذكرها ابن نوح وغيره .

بأمر صاحب الزمان «ع» وكان توقيعاته وجواب المسائل تخرج على يديه .

فلما مضى لسبيله ، قام ابنه أبو جعفر (محمّد) بن عثمان مقامه ، وناب منابه في جميع ذلك .

فلما مضى هو ، قام بذلك أبو القاسم (حسين بن روح) من بني نوبخت ، فلما مضى هو ، قام مقامه أبو الحسن (عليّ) بن محمّد السمري [1] ولم يقم أحد منهم بذلك الا بنص عليه من قبل صاحب الأمر «ع» ، ونصب صاحبه الذي تقدم عليه ، ولم تقبل الشيعة قولهم الا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر «ع» ، تدل على صدق مقالتهم ، وصحة بابيتهم فلما حان سفر أبي الحسن السمري من الدنيا وقرب أجله قيل له : إلى من توصي ؟

فأخرج إليهم توقيعاً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عليَّ بن محمّد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فانك ميت ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً .

وسيأتي إلى شيعتي من يدعي المشاهدة ، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فنسخوا هذا التوقيع وخرجوا ، فلما كان اليوم السادس عادوا إليه وهو يجود بنفسه .

فقال له بعض الناس : من وصيك من بعدك ؟

فقال : لله أمر هو بالغه ، وقضى فهذا آخر كلام سمع منه (ر ه) .

---

(١) قال في الجزء الثاني من سفينة البحار ص٢٤٩ : « الشيخ الأجل عليّ بن محمد السمري رضي الله عنه ، أبو الحسن ، قام بأمر النيابة بعد الحسين بن روح رضي الله عنه ، ومضى في النصف من شعبان سنة (٣٢٩) تسع وعشرين وثلاثمائة ، وأخرج إلى الناس توقيعاً قبل وفاته بأيام :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عليّ بن محمد السمري ، اعظم الله اجر إخوانك فيك ، فانك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد الخ .

فلما كان اليوم السادس دخلوا عليه وهو يجود بنفسه فقيل له : من وصيك من بعدك ؟

فقال : لله أمره وبالغه ، وقضى رحمه الله ... روي انه قال يوماً لجمع من المشايخ عنده آجركم الله في عليّ بن الحسين - أي : ابن بابويه - فقد قبض في هذه الساعة .

قالوا : فاثبتنا تاريخ الساعة واليوم والشهر ، فلما كان بعد سبعة عشر يوماً او ثمانية عشر ، ورد الخبر : انه قبض في تلك الساعة التي ذكرها الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه .. وقبره ببغداد بالقرب من قبر الكليني رحمه الله » .

[ذكر طرف مما خرج أيضاً عن صاحب الزمان « ع » من المسائل الفقهية وغيرها ، في التوقيعات على أيدي الأبواب الأربعة وغيرهم] .

عن محمّد بن يعقوب الكليني ، رفعه عن الزهري ، قال طلبت هذا الأمر طلباً شاقاً حتى ذهب لي فيه مال صالح ، فوقعت إلى العمري وخدمته ولزمته ، فسألته بعد ذلك عن صاحب الزمان « ع »

قال : ليس إلى ذلك وصول ، فخضعت له . فقال لي : بكر بالغداة .

فوافيت ، فاستقبلني ومعه شاب من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم ريحاً وفي كمه شيء كهيئة التجار ، فلما نظرت إليه دنوت من العمري ، فأومى إليه فعدلت إليه وسألته فأجابني عن كل ما أردت .

ثم مر ليدخل الدار وكانت من الدور التي لا يكترث بها .

فقال العمري : إن أردت أن تسأل فاسأل فانك لا تراه بعد ذا .

فذهبت لأسأل فلم يستمع ودخل الدار وما كلمني بأكثر من أن قال : ملعون ملعون من أخر العشاء إلى أن تشتبك النجوم ، ملعون ملعون من أخر الغداة إلى أن تنفضّ النجوم ، ودخل الدار .

وعن أبي الحسن محمّد بن جعفر الأسدي[1] قال : كان فيما ورد عليَّ من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري قدس الله روحه في جواب مسائل إلى صاحب الزمان :

أما ما سألت عنه من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فلئن كان كما يقول الناس : « أنّ الشمس تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان » فما أرغم أنف الشيطان شيء أفضل من الصلاة ، فصلها وارغم الشيطان أنفه .

وأما ما سألت عنه من أمر الوقف على ناحيتنا ، وما يجعل لنا ثم يحتاج إليه صاحبه ، فكل ما لم يسلم فصاحبه فيه بالخيار ، وكل ما سلم فلا خيار لصاحبه فيه إحتاج أو لم يحتج ، افتقر إليه أو استغنى عنه .

وأما ما سألت عنه من أمر من يستحل ما في يده من أموالنا ويتصرف فيه تصرفه في ماله من غير أمرنا ، فمن فعل ذلك فهو ملعون ، ونحن خصماؤه يوم القيامة ، وقد قال النبي « ص » : « المستحل من عترتي ما حرم الله ملعون على لساني ولسان كل نبي مجاب » فمن ظلمنا كان في جملة الظالمين لنا ، وكانت لعنة الله عليه لقوله عز وجل : ﴿ **ألا لعنة الله على الظالمين** ﴾[2] .

---

(١) قال العلامة في الخلاصة ص ١٦٠ : «محمد بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي أبو الحسين الكوفي سكن الري يقال له محمد بن أبي عبد الله كان ثقة صحيح الحديث إلا أنه روى عن الضعفاء وكان يقول بالجبر والتشبيه فأنا في حديثه من المتوقفين ، وكان أبوه وجهاً ، روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى . وقال الشيخ الطوسي رحمه الله في رجاله ص ٤٩٦ : « محمد بن جعفر الأسدي كان يكنى أبو الحسين الرازي كان أحد الأبواب » .

(٢) الأعراف: ٤٣.

وأما ما سألت عنه عن أمر المولود الذي نبتت غلفته بعد ما يختن مرة أخرى فانه يجب أن يقطع غلفته فإنَّ الأرض تضج إلى الله تعالى من بول الأغلف أربعين صباحاً .

وأما ما سألت عنه من أمر المصلّي والنار والصورة والسراج بين يديه، هل يجوز صلاته؟

فإنّ الناس قد اختلفوا في ذلك قبلك، فانه جائز لمن لم يكن من أولاد عبدة الأصنام والنيران: أن يصلي والنار والسراج بين يديه، ولا يجوز ذلك لمن كان من أولاد عبدة الأوثان والنيران.

وأما ما سألت عنه عن أمر الضياع التي لناحيتنا ، هل يجوز القيام بعمارتها وأداء الخراج منها، وصرف ما يفضل من دخلها إلى الناحية، احتساباً للأجر، وتقرباً إليكم؟

فلا يحل لأحد أن يتصرف في مال غيره بغير إذنه، فكيف يحل ذلك في مالنا من فعل ذلك بغير أمرنا فقد استحل منا ما حرم عليه، من أكل من أموالنا شيئاً فانما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً.

وأما ما سألت عنه من أمر الرجل الذي يجعل لناحيتنا ضيعة، ويسلمها من قيم يقوم بها ويعمرها، ويؤدي من دخلها خراجها ومؤنتها، ويجعل ما بقي من الدخل لناحيتنا فإنّ ذلك جائز لمن جعله الضيعة قيماً عليها، إنما لا يجوز ذلك لغيره.

وأما ما سألت عنه من الثمار من أموالنا يمر به المار فيتناول منه ويأكل، هل يحل له ذلك؟

فانه يحل له أكله ويحرم عليه حمله.

وعن أبي الحسين الأسدي أيضاً قال: ورد عليَّ توقيع من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري- قدس الله روحه- ابتداء لم يتقدمه سؤال عنه، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، على من استحل من أموالنا درهماً.

قال أبو الحسين الأسدي (ره). فوقع في قلبي أنّ ذلك فيمن استحل من مال الناحية درهماً دون من أكل منه غير مستحل، وقلت في نفسي: إنَّ ذلك في جميع من استحل محرماً، فأيّ فضل في ذلك للحجة«ع» على غيره؟!

قال: فو الذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحق بشيراً، لقد نظرت بعد ذلك في التوقيع فوجدته قد انقلب إلى ما كان في نفسي:

بسم الله الرحمن الرحيم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من أكل من مالنا درهماً حراماً.

وقال أبو جعفر بن بابويه- في الخبر الذي روي فيمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً أنّ عليه ثلاث كفارات- : فاني افتي به فيمن أفطر بجماع محرم عليه أو بطعام محرم عليه لوجود ذلك في روايات

أبي الحسن الأسدي (ر ه) فيما ورد عليه من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان (ر ه).

وعن عبد الله بن جعفر الحميري [١] قال: خرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان قدس الله روحه في التعزية بأبيه (ر ه) في فصل من الكتاب:

إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره، ورضاً بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه «ع» فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل، نضر الله وجهه، وأقاله عثرته.

وفي فصل آخر: أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رزيت ورزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسره الله في منقلبه، كما كان من كمال سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه، وأقول: الحمد لله، فإنَّ النفس طيبة بمكانك، وما جعله الله عز وجل فيك وعندك، أعانك الله وقواك، وعضدك ووفقك، وكان لك ولياً وحافظاً، وراعياً وكافياً.

ومما خرج عن صاحب الزمان صلوات الله عليه من جوابات المسائل الفقهية أيضاً: ما سأله عنها محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري فيما كتب إليه وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله بقاك، وأدام الله عزَّك، وتأييدك، وسعادتك، وسلامتك، وأتم نعمته عليك، وزاد في إحسانه إليك، وجميل مواهبه لديك، وفضله عندك، وجعلني من السوء فداك، وقد مني قبلك الناس يتنافسون في الدرجات، فمن قبلتموه كان مقبولا، ومن دفعتموه كان وضيعاً، والخامل من وضعتموه، ونعوذ بالله من ذلك وببلدنا ـ أيدك الله ـ جماعة من الوجوه يتساوون ويتنافسون في المنزلة، وورد ـ أيدك الله ـ كتابك إلى جماعة منهم في أمر أمرتهم به من معاونة (ص).

وأخرج عليّ بن محمّد بن الحسين بن الملك المعروف بملك بادوكة [٢] وهو ختن (ص) رحمه الله من بينهم فاغتمّ بذلك، وسألني أيدك الله أن اعلمك ما ناله من ذلك، فان كان من ذنب فأستغفر الله منه، وإن يكن غير ذلك عرفته ما تسكن نفسه إليه إن شاء الله التوقيع: لم نكاتب إلا من كاتبنا.

وقد عودتني أدام الله عزكِ من تفضلك ما أنت أهل أن تخبرني على العادة وقبلك أعزك الله فقهاؤ نا قالوا: محتاج إلى أشياء تسأل لي عنها:

---

(١) قال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ١٠٦: «عبد الله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع الحميري «بالحاء المهملة» أبو العباس القمي شيخ القميين ووجهم، قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين، من أصحاب أبي محمد الحسن العسكري «ع».

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

روي لنا عن العالم «ع»: أنه سئل عن إمام قوم صلّى بهم بعض صلاتهم، وحدثت عليا حادثة كيف يعمل من خلفه؟

فقال: يؤخر، ويتقدم بعضهم ويتم صلاتهم، ويغتسل من مسه.

التوقيع: ليس على من نحاه إلا غسل اليد، وإذا لم يحدث حادثة يقطع الصلاة تمم صلاته مع القوم.

وروي عن العالم «ع»: أنّ من مس ميتاً بحرارته غسل يده، ومن مسه وقد برد فعليه الغسل، وهذا الامام في هذه الحالة لا يكون إلا بحرارة، فالعمل في ذلك على ما هو، ولعله ينحيه بثيابه ولا يمسه، فكيف يجب عليه الغسل؟

التوقيع: إذا مسه على هذه الحال لم يكن عليه إلا غسل يده.

وعن صلاة جعفر: إذا سها في التسبيح في قيام أو قعود، أو ركوع أو سجود وذكره في حالة أُخرى قد صار فيها من هذه الصلاة، هل يعيد ما فاته من ذلك التسبيح في الحالة التي ذكرها أم يتجاوز في صلاته؟

التوقيع: إذا سها في حالة من ذلك ثم ذكر في حالة أُخرى، قضى ما فاته في الحالة التي ذكره.

وعن المرأة: يموت زوجها، يجوز أن تخرج في جنازته أم لا؟

التوقيع: تخرج في جنازته.

وهل يجوز لها في عدتها أن تزور قبر زوجها أم لا؟

التوقيع: تزور قبر زوجها ولا تبيت عن بيتها.

وهل يجوز لها أن تخرج في قضاء حق يلزمها، أم لا تبرح من بيتها وهي في عدتها.

التوقيع: اذا كان حق خرجت فيه وقضته، وان كانت لها حاجة ولم يكن لها من ينظر فيها خرجت بها حتى تقضيها، ولا تبيت إلا في بيتها.

وروي في ثواب القرآن في الفرائض وغيرها: أنَّ العالم «ع» قال: عجباً لمن لم يقرأ في صلاته: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) كيف تقبل صلاته؟؟

وروي: ما زكت صلاة من لم يقرأ (قل هو الله أحد).

وروي أنَّ من قرأ في فرائضه (الهمزة) أُعطي من الثواب قدر الدنيا، فهل يجوز أن يقرأ (الهمزة) ويدع هذه السور التي ذكرناها، مع ما قد روي: أنه لا تقبل صلاة ولا تزكوها إلا بهما؟

التوقيع: الثواب في السور على ما قد روي، وإذا ترك سورة مما فيها الثواب وقرأ (قل هو الله أحد

وإنا أنزلناه) لفضلها اعطي ثواب ما قرأ ، وثواب السور التي ترك ، ويجوز أن يقرأ غير هاتين السورتين وتكون صلاته تامة ، ولكن يكون قد ترك الفضل .

وعن وداع شهر رمضان : متى يكون؟ فقد اختلف فيه أصحابنا ، فبعضهم يقول : يقرأ في آخر ليلة منه ، وبعضهم يقول : هو في آخر يوم منه إذا رأى هلال شوال؟

التوقيع : العمل في شهر رمضان في لياليه والوداع يقع في آخر ليلة منه ، فاذا خاف أن ينقص الشهر جعله في ليلتين .

وعن قول الله عز وجل : ﴿**إنه لقول رسول كريم**﴾[1] أرسول الله صلى الله عليه وآله المعني به ، ﴿**ذي قوة عند ذي العرش مكين**﴾[1] ما هذه القوة؟ ! ﴿**مطاع ثم أمين**﴾[3] ما هذه الطاعة وأين هي؟ ما خرج لهذه المسألة جواب .

فرأيك أدام الله عزك بالتفضل عليَّ بمسألة من تثق به من الفقهاء عن هذه المسائل فأجبني عنها منعماً مع ما تشرحه لي من أمر عليّ بن محمّد بن الحسين بن الملك المقدم ذكره بما يسكن إليه ، ويعتد بنعمة الله عنده ، وتفضل عليَّ بدعاء جامع لي ولإخواني في الدنيا والآخرة فعلت مثاباً إن شاء الله .

التوقيع : جمع الله لك ولإخوانك خير الدنيا والآخرة .

كتاب آخر لمحمد بن عبد الله الحميري [4] أيضاً إليه عليه السلام في مثل ذلك :

فرأيك أدام الله عزك في تأمل رقعتي والتفضل بما أسأل من ذلك لا ضيفه إلى ساير أياديك عندي ومنتك عليَّ ، واحتجت أدام الله عزك أن يسألني بعض الفقهاء عن المصلي إذا قام من التشهد الأول إلى الركعة الثالثة هل يجب عليه أن يكبر؟ فان بعض أصحابنا قال : لا يجب التكبير ، ويجزيه أن يقول بحول الله وقوته أقوم وأقعد؟

الجواب : إنَّ فيه حديثين :

أما أحدهما : فانه إذا انتقل من حالة إلى حالة اخرى فعليه التكبير .

وأما الآخر : فانه روي : أنه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبر ثم جلس ثم قام فليس عليه في القيام بعد القعود تكبير ، وكذلك في التشهد الأول يجري هذا المجرى ، وبأيها أخذت من جهة التسليم كان صواباً .

وعن الفص الخماهن : هل يجوز فيه الصلاة إذا كان في اصبعه؟

(١ ، ٢ ، ٣) التكوير : ٢٠ـ ٢٣ .

(٤) محمد بن عبد الله بن جعفر بن الحسين بن جامع بن مالك الحميري ، قال العلاّمة في القسم الأول من الخلاصة ص ٥٧ : « ..أبو جعفر القمّي كان ثقة وجها ، كاتب صاحب الأمر عليه السلام وسأله مسائل في أبواب الشريعة .

قال النجاشي : قال لنا احمد بن الحسين : وقعت هذه المسائل إلي في أصلها والتوقيعات بين السطور ، وكان له اخوة (جعفر ، والحسين ، واحمد) كلهم كان لهم مكاتبة .

الجواب: فيه كراهية أن يصلي فيه، وفيه أيضاً إطلاق والعمل على الكراهة.

وعن رجل اشترى هدياً لرجل غاب عنه، وسأله أن ينحر عنه هدياً بمنى فلما أراد نحر الهدي نسي إسم الرجل ونحر الهدي، ثم ذكره بعد ذلك ، أيجزي عن الرجل أم لا؟

الجواب: لا بأس بذلك، وقد أجزأ عن صاحبه.

وعندنا حاكة مجوس، يأكلون الميتة، ولا يغتسلون من الجنابة، وينسجون لنا ثياباً، فهل يجوز الصلاة فيها من قبل أن تغسل؟

الجواب: لا بأس بالصلاة فيها.

وعن المصلي: يكون في صلاة الليل في ظلمة، فاذا سجد يغلط بالسجادة ويضع جبهته على (مسح أو نطع) فاذا رفع رأسه وجد السجادة، هل يعتد بهذه السجدة أم لا يعتد بها؟

الجواب: ما لم يستو جالساً فلا شيء عليه في رفع رأسه لطلب الخمرة. وعن المحرم: يرفع الظلال هل يرفع خشب العمارية أو الكنيسية ويرفع الجناحين أم لا؟

الجواب: لا شيء عليه في ترك رفع الخشب.

وعن المحرم: يستظل من المطر بنطع أو غيره، حذراً على ثيابه وما في محمله أن يبتل، فهل يجوز ذلك؟

الجواب: إذا فعل ذلك في المحمل في طريقه، فعليه دم.

والرجل : يحج عن أحد هل يحتاج أن يذكر الذي حج عنه عند عقد إحرامه أم لا ، وهل يجب أن يذبح عمن حج عنه وعن نفسه أم يجزيه هدي واحد؟

الجواب: قد يجزيه هدي واحد، وإن لم يفصل فلا بأس.

وهل يجوز للرجل أن يحرم في كساء خز أم لا؟

الجواب: لا بأس بذلك، وقد فعله قوم صالحون.

وهل يجوز للرجل أن يصلي في بطيط لا يغطي الكعبين أم لا يجوز؟

الجواب: جائز.

ويصلي الرجل وفي كمه او سراويله سكين أو مفتاح حديد هل يجوز ذلك؟

الجواب: جائز.

وعن الرجل: يكون معه بعض هؤلاء ويكون متصلا بهم، يحج ويأخذ على الجادة ولا يحرم هؤلاء

من المسلخ، فهل يجوز لهذا الرجل أن يؤخر إحرامه إلى ذات عرق فيحرم معهم لما يخاف الشهرة أم لا يجوز إلا أن يحرم من المسلخ؟

الجواب: يحرم من ميقاته ثم يلبس الثياب، ويلبي في نفسه، فاذا بلغ إلى ميقاتهم أظهر.

وعن لبس النعل المعطون، فإنّ بعض أصحابنا يذكر أنّ لبسه كريه؟

الجواب: جايز، ولا بأس به.

وعن الرجل: من وكلاء الوقف مستحلا لما في يده، ولا يرع عن أخذ ماله وبما نزلت في قريته وهو فيها، او ادخل منزله ـ وقد حضر طعامه ـ فيدعوني إليه فان لم آكل من طعامه، عاداني وقال: فلان لا يستحل أن يأكل من طعامنا فهل يجوز لي أن آكل من طعامه وأتصدق بصدقة؟ وكم مقدار الصدقة، وإن أهدى هذا الوكيل هدية إلى رجل آخر فأحضر فيدعوني إلى أن أنال منها، وأنا أعلم أن الوكيل لا يرع عن أخذ ما في يده، فهل عليَّ فيه شيء إن أنا نلت منها؟

الجواب: إن كان لهذا الرجل مال أو معاش غير ما في يده، فكل طعامه واقبل بره، وإلا فلا.

وعن الرجل ممن يقول بالحق ويرى المتعة، ويقول بالرجعة، إلا أنّ له أهلا موافقة له في جميع اموره، وقد عاهدها: ألا يتزوج عليها، ولا يتمتع، ولا يتسرى فعل هذا منذ تسعة عشر سنة ووفى بقوله، فربما غاب عن منزله الاشهر فلا يتمتع ولا تتحرك نفسه ايضاً لذلك، ويرى ان وقوف من معه من اخ وولد وغلام ووكيل وحاشية مما يقلله في أعينهم، ويحب المقام على ما هو عليه محبة لأهله وميلا إليها، وصيانة لها ولنفسه، لا لتحريم المتعة بل يدين الله بها، فهل عليه في ترك ذلك مأثم أم لا؟

الجواب: يستحب له أن يطيع الله تعالى بالمتعة ليزول عنه الحلف في المعصية ولو مرة.

وفي كتاب آخر لمحمد بن عبد الله الحميري الى صاحب الزمان«ع» من جواب مسائله التي سأله عنها، في سنة سبع وثلاثمائة.

سأل عن المحرم: يجوز أن يشد الميزر من خلفه على عقبه بالطول، ويرفع طرفيه الى حقويه ويجمعهما في خاصرته ويعقدهما، ويخرج الطرفين الآخرين من بين رجليه ويرفعهما الى خاصرته، ويشد طرفيه الى وركيه. فيكون مثل السراويل يستر ما هناك، فان الميزرالأول كنا نتزر به اذا ركب الرجل جمله يكشف ما هناك، وهذا ستر؟

فأجاب«ع»: جاز ان يتزر الانسان كيف شاء اذا لم يحدث في الميزر حدثاً بمقراظ ولا ابرة يخرجه به عن حد الميزر، وغزره غزراً ولم يعقده، ولم يشد بعضه ببعض، واذا غطى سرته ووكبتيه كلاهما فان السنة المجمع عليها بغير خلاف تغطية السرة والركبتين، والأحب الينا والأفضل لكل أحد شده على السبيل المألوفة المعروفة للناس جميعاً ان شاء الله.

وسأل: هل يجوز أن يشد عليه مكان العقد تكة؟

فأجاب: لا يجوز شد الميزر بشي سواه من تكة ولا غيرها.

وسأل عن التوجه للصلاة أن يقول على ملة ابراهيم ودين محمّد صلى الله عليه وآله ، فان بعض أصحابنا ذكر: انه اذا قال على دين محمّد فقد أبدع، لأنالم نجده في شيء من كتب الصلاة خلا حديثاً في كتاب القاسم بن محمّد عن جده الحسن بن راشد: ان الصادق«ع» قال للحسن:

كيف تتوجه؟

فقال: أقول لبيك وسعديك

فقال له الصادق«ع»: ليس عن هذا أسألك. كيف تقول وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلما؟

قال الحسن: أقول.

فقال الصادق«ع»: اذا قلت ذلك فقل: على ملة ابراهيم، ودين محمّد ومنهاج علي بن أبي طالب، والايتمام بآل محمّد، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين.

فأجاب«ع» التوجه كله ليس بفريضة، والسنة المؤكدة فيه التي هي كالاجماع الذي لا خلاف فيه: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض، حنيفاً مسلماً على ملة ابراهيم ودين محمّد وهدي امير المؤمنين، وما أنا من المشركين إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك امرت وأنا من المسلمين اللهم اجعلني من المسلمين، اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ الحمد.

قال الفقيه الذي لا يشك في علمه: ان الدين لمحمد والهداية لعلي أمير المؤمنين لانها له صلى الله عليه وآله وفي عقبه باقية الى يوم القيامة، فمن كان كذلك فهو من المهتدين، ومن شك فلا دين له، ونعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى.

وسأله: عن القنوت في الفريضة اذا فرغ من دعائه، يجوز ان يرد يديه على وجهه وصدره للحديث الذي روي «إن الله عز وجل أجل منْ أن يرد يدي عبده صفراً بل يملأها من رحمته» أم لا يجوز؟ فان بعض اصحابنا ذكر انه عمل في الصلاة.

فأجاب «ع»: رد اليدين من القنوت على الرأس والوجه غير جايز في الفرائض والذي عليه العمل فيه، اذا رجع يده في قنوت الفريضة وفرغ من الدعاء ان يرد بطن راحتيه مع صدره تلقاء ركبتيه على تمهل، ويكبر ويركع، والخبر صحيح وهو في نوافل النهار والليل دون الفرائض، والعمل به فيها أفضل.

وسأل: عن سجدة الشكر بعد الفريضة، فان بعض اصحابنا ذكر أنها (بدعة) فهل يجوز أن

يسجدها الرجل بعد الفريضة؟ وان جاز ففي صلاة المغرب هي بعد الفريضة أو بعد الأربع ركعات النافلة؟

فأجاب«ع»: سجدة الشكر من الزم السنن واوجبها، ولم يقل ان هذه السجدة بدعة إلا من أراد أن يحدث بدعة في دين الله.

فأما الخبر المروي فيها بعد صلاة المغرب والاختلاف في انها بعد الثلاث أو بعد الأربع فان فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض على الدعاء بعقيب النوافل كفضل الفرائض على النوافل، والسجدة دعاء وتسبيح فالأفضل أن تكون بعد الفرض فان جعلت بعد النوافل أيضاً جاز.

وسأل: إنّ لبعض اخواننا ممن نعرفه ضيعة جديدة بجنب ضيعة خراب للسلطان فيها حصة واكرته بما زرعوا حدودها وتوذيهم عمال السلطان ويتعرضون في الكل من غلات ضيعته، وليس لها قيمة لخرابها وانما هي بائرة منذ عشرين سنة، وهو يتحرج من شرائها لأنه يقال ان هذه الحصة من هذه الضيعة كانت قبضت عن الوقف قديماً للسلطان، فاذ جارشراؤ ها من السلطان، وكان ذلك صلاحاً له وعمارة لضيعته، وانه يزرع هذه الحصة من القرية البائرة لفضل ماء ضيعته العامرة، وينحسم عنه طمع أولياء السلطان، وان لم يجز ذلك عمل بما تأمره به ان شاء الله تعالى؟

فأجاب: الضيعة لا يجوز ابتياعها الا من مالكها أو بأمره او رضاء منه.

وسأل: عن رجل استحل امرأة خارجة من حجابها، وكان يحترز من ان يقع له ولد فجاءت بابن، فتحرج الرجل الا يقبله فقبله وهو شاك فيـــه، وجعل يجري على امه وعليه حتى ماتت الام، وهو ذا يجري عليه غير انه شاك فيه ليس يخلطه بنفسه، فان كان ممن يجب ان يخلط بنفسه ويجعله كساير ولده فعل ذلك وان جاز ان يجعل له شيئاً من ماله دون حقه فعل؟

فأجاب«ع»: الاستحلال بالمرأة يقع على وجوه، الجواب يختلف فيها فليذكر الوجه الذي وقع الاستحلال به مشروحاً ليعرف الجواب فيما يسأل عنه من أمر الولد ان شاء الله.

وسأله الدعاء له فخرج الجواب:

جاد الله عليه بما هو جل وتعالى أهله، ايجابنا لحقه، ورعايتنا لأبيه رحمه الله وقربه منا، وقد رضينا بما علمناه من جميل نيته، ووقفنا عليه من مخاطبته، المقر له من الله التي يرضي الله عز وجل ورسوله واولياءه«ع» والرحمة بما بدأنا نسأل الله بمسألته ما امله من كل خير عاجل وآجل، وان يصلح له من امر دينه ودنياه ما يجب صلاحه، انه ولي قدير.

وكتب اليه صلوات الله عليه ايضاً في سنة ثمان وثلاثمائة كتاباً سأله فيه عن مسائل اخرى كتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

اطال الله بقاك وادام عزك وكرامتك وسعادتك وسلامتك، وأتم نعمته عليك وزاد في احسانه اليك، وجميل مواهبه لديك، وفضله عليك، وجزيل قسمه لك وجعلني من السوء كله فداك، وقدمني قبلك.

إنَّ قبلنا مشايخ وعجايز يصومون رجباً منذ ثلاثين سنة وأكثر، ويصلون بشعبان وشهر رمضان.

وروى لهم بعض اصحابنا: ان صومه معصية؟

فأجاب«ع»: قال الفقيه: يصوم منه أياماً إلى خمسة عشر يوماً، إلا أن يصومه عن الثلاثة الأيام الفائتة، للحديث: «إنَّ نعم القضاء رجب».

وسأل: عن رجل يكون في محمله والثلج كثير بقامة رجل، فيتخوف أن نزل الغوص فيه، وربما يسقط الثلج وهو على تلك الحال ولا يستوي له أن يلبد شيئاً عنه لكثرته وتهافته هل يجوز أن يصلي في المحمل الفريضة؟ فقد فعلنا ذلك أياماً فهل علينا في ذلك إعادة أم لا؟

فأجاب: لا بأس عند الضرورة والشدة.

وسأل: عن الرجل يلحق الامام وهو راكع فيركع معه ويحتسب تلك الركعة. فإن بعض اصحابنا قال: إن لم يسمع تكبيرة الركوع فليس له أن يعتد بتلك الركعة؟

فأجاب: اذا لحق مع الإمام من تسبيح الركوع تسبيحة واحدة إعتد بتلك الركعة وإن لم يسمع تكبيرة الركوع.

وسأل: عن رجل صلى الظهر ودخل في صلاة العصر، فلما أن صلى من صلاة العصر ركعتين استيقن انه صلى الظهر ركعتين، كيف يصنع؟

فأجاب: إن كان احدث بين الصلاتين حادثة يقطع بها الصلاة اعاد الصلاتين وان لم يكن احدث حادثة جعل الركعتين الآخرتين تتمة لصلاة الظهر، وصلى العصر بعد ذلك.

وسأل: عن أهل الجنة يتوالدون اذا دخلوها أم لا؟

فأجاب: إنَّ الجنة لا حمل فيها للنساء ولا ولادة، ولا طمث ولا نفاس ولا شقاء بالطفولية، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، كما قال سبحانه، فاذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله بغير حمل ولا ولادة على الصورة التي يريد كما خلق آدم عبرة.

وسأل: عن رجل تزوج امرأة بشي معلوم الى وقت معلوم، وبقي له عليها وقت، فجعلها في حل مما بقي له عليها وقد كانت طمثت قبل أن يجعلها في حل من ايامها بثلاثة أيام، أيجوز ان يتزوجها رجل

معلوم الى وقت معلوم عند طهرها من هذه الحيضة أو يستقبل بها حيضة اخرى؟

فأجاب: يستقبل حيضة غير تلك الحيضة، لأن اقل تلك العدة حيضة وطهرة تامة

وسأل: عن الأبرص والمجذوم وصاحب الفالج هل يجوز شهادتهم فقد روي لنا انهم لا يأمون الأصحاء.

فأجاب: ان كان ما بهم حادثاً جازت شهادتهم، وان كان ولادة لم يجز.

وسأل: هل يجوز للرجل ان يتزوج ابنة امرأته؟

فأجاب: ان كانت ربيت في حجره فلا يجوز، وان لم تكن ربيت في حجره وكانت امها في غير عياله فقد روي: انه جائز.

وسأل: هل يجوز أن يتزوج بنت ابنة امرأة ثم يتزوج جدتها بعد ذلك؟ فأجاب: قد نهي عن ذلك.

وسأل: عن رجل ادعى على رجل ألف درهم وأقام به البينة العادلة، وادعى عليه أيضاً خمسمائة درهم في صك آخر، وله بذلك بينة عادلة، وادعى عليه ايضاً ثلاثمائة درهم في صك آخر، ومائتي درهم في صك آخر، وله بذلك كله بينة عادلة. ويزعم المدعى عليه أنَّ هذه الصكاك كلها قد دخلت في الصك الذي بألف درهم، والمدعي منكر أن يكون كما زعم، فهل يجب الألف الدرهم مرة واحدة او يجب عليه كلما يقيم البينة به؟ وليس في الصكاك استثناء انما هي صكاك على وجهها.

فأجاب: يؤخذ من المدعي عليه ألف درهم مرة وهي التي لاشبهة فيها، ويرد اليمين في الألف الباقي على المدعي فان نكل فلا حق له.

وسأل عن طين القبر: يوضع مع الميت في قبره هل يجوز ذلك أم لا؟

فأجاب: يوضع مع الميت في قبره، ويخلط بخيوطه ان شاء الله.

وسأل فقال: روي لنا عن الصادق«ع»: انه كتب على أزار ابنه اسماعيل يشهد: أن لا إله إلا الله، فهل يجوز أن نكتب مثل ذلك بطين القبر أم غيره؟

فأجاب: يجوز ذلك.

وسأل: هل يجوز أن يسبح الرجل بطين القبر، وهل فيه فضل؟

فأجاب: يسبح الرجل به فما من شيء من السبح أفضل منه، ومن فضله أنّ الرجل ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له التسبيح.

وسأل: عن السجدة على لوح من طين القبر، وهل فيه فضل؟

فأجاب: يجوز ذلك وفيه الفضل.

وسأل: عن الرجل يزور قبور الأئمة«ع»، هل يجوز أن يسجد على القبر ام لا ؟ وهل يجوز لمن صلى عند بعض قبورهم«ع» ان يقوم وراء القبر ويجعل القبر قبلة، ويقوم عند رأسه ورجليه؟ وهل يجوز أن يتقدم القبر ويصلي ويجعل القبر خلفه أم لا؟

فأجاب: اما السجود على القبر، فلا يجوز في نافلة ولا فريضة ولا زيادة والذي عليه العمل: أن يضع خده الايمن على القبر.

وأما الصلاة فانها خلفه، ويجعل القبر امامه، ولا يجوز ان يصلي بين يديه ولا عن يمينه ولا عن يساره، لأنّ الامام صلى الله عليه وآله لا يتقدم ولا يساوى.

وسأل فقال: يجوز للرجل اذا صلى الفريضة او النافلة وبيده السبحة أن يديرها وهو في الصلاة؟

فأجاب: يجوز ذلك اذا خاف السهو والغلط.

وسأل . هل يجوز ان يدير السبحة بيد اليسار اذا سبح، او لا يجوز؟

فأجاب: يجوز ذلك والحمد لله رب العالمين.

وسأل فقال: روي عن الفقيه في بيع الوقف خبر مأثور: اذا كان الوقف على قوم بأعيانهم وأعقابهم، فاجتمع أهل الوقف على بيعه وكان ذلك لصالح لهم أن يبيعوه، فهل يجوز إن يشترى من بعضهم إن لم يجتمعوا كلهم على البيع، ام لا يجوز إلا أن يجتمعوا كلهم على ذلك؟ وعن الوقف الذي لا يجوز بيعه؟

فأجاب: اذا كان الوقف على امام المسلمين فلا يجوز بيعه، وان كان على قوم من المسلمين فليجمع كل قوم ما يقدرون على بيعه مجتمعين ومتفرقين ان شاء الله.

وسأل: هل يجوز للمحرم أن يصيّر على ابطة المرتك والتوتيا لريح العرق أم لا يجوز؟

فأجاب: يجوز ذلك وبالله التوفيق.

وسأل: عن الضرير اذا شهد في حال صحته على شهادة، ثم كف بصره ولا يرى خطه فيعرفه، هل يجوز شهادته أم لا ؟ وإن ذكر هذا الضرير الشهادة، هل يجوز أن يشهد على شهادته أم لا يجوز؟

فأجاب: اذا حفظ الشهادة وحفظ الوقت، جازت شهادته.

وسأل: عن الرجل يوقف ضيعة أو دابة ويشهد على نفسه بأسم بعض وكلاء الوقف، ثم يموت هذا الوكيل او يتغير امره ويتولى غيره، هل يجوز يشهد الشاهد لهذا الذي اقيم مقامه اذا كان اصل الوقف لرجل واحد أم لا يجوز ذلك؟

فأجاب: لا يجوز ذلك، لأن الشهادة لم تقم للوكيل وانما قامت للمالك وقد قال الله: «وأقيموا

الشهادة لله»[1]

وسأل: عن الركعتين الاخراوين قد كثرت فيهما الروايات فبعض يروي: ان قراءة الحمد وحدها أفضل، وبعض يروي: ان التسبيح فيهما أفضل، فالفضل لأيهما لنستعمله؟

فأجاب: قد نسخت قراءة أم الكتاب في هاتين الركعتين التسبيح والذي نسخ التسبيح قول العالم«ع»: كل صلاة لا قراءة فيها فهي خداج[2] الا العليل، أو يكثر عليه السهو فيتخوف بطلان الصلاة عليه.

وسأل فقال: يتخذ عندنا رب الجوز لوجع الحلق والبحبحة، يؤخذ الجوز الرطب من قبل ان ينعقد ويدق دقاً ناعماً، ويعصر ماؤه ويصفى ويطبخ على النصف ويترك يوماً وليلة ثم ينصب على النار، ويلقى على كل ستة ارطال منه رطل عسل ويغلى رغوته، ويسحق من النوشادر والشب اليماني من كل واحدة نصف مثقال ويداف بذلك الماء، ويلقى فيه درهم زغفران المسحوق، ويغلى ويؤخذ رغوته حتى يصير مثل العسل ثخيناً، ثم ينزل عن النار ويبرد ويشرب منه، فهل يجوز شربه أم لا؟

فأجاب: اذا كان كثيره يسكر أو يغير، فقليله وكثيره حرام، وان كان لا يسكر فهو حلال.

وسأل: عن الرجل يعرض له الحاجة مما لا يدري أن يفعلها أم لا، فيأخذ خاتمين فيكتب في أحدهما: (نعم افعل) وفي الآخر: (لاتفعل) فيستخير الله مراراً، ثم يرى فيهما، فيخرج أحدهما فيعمل بما يخرج، فهل يجوز ذلك أم لا؟ والعامل به والتارك له أهو مثل الاستخارة أم هو سوى ذلك؟

فأجاب: الذي سنه العالم«ع» في هذه الاستخارة بالرقاع والصلاة

وسأل: عن صلاة جعفر بن أبي طالب (ر ه) في أي اوقاتها أفضل أن تصلى فيه، وهل فيها قنوت؟ وإن كان ففي أي ركعة منها؟

فأجاب: افضل اوقاتها صدر النهار من يوم الجمعة، ثم في أي الأيام شئت وأي وقت صليتها من ليل أو نهار فهو جائز، والقنوت فيها مرتان: في الثانية قبل الركوع، وفي الرابعة بعد الركوع.

وسأل: عن الرجل ينوي اخراج شي من ماله وأن يدفعه الى رجل من اخوانه ثم يجد في أقربائه محتاجاً، أيصرف ذلك عمن نواه له أو الى قرابته؟

فأجاب: يصرفه إلى ادناهما واقربهما من مذهبه، فان ذهب الى قول العالم«ع» «لا يقبل الله الصدقة وذو رحم محتاج» فليقسم بين القرابة وبين الذي نوى حتى يكون قد أخذ بالفضل كله.

وسأل: فقال: اختلف اصحابنا في مهر المرأة.

فقال بعضهم: اذا دخل بها سقط المهر ولا شيء لها

(١) الطلاق - ٢.

وقال بعضهم: هو لازم في الدنيا والآخرة ، فكيف ذلك؟ وما الذي يجب فيه؟

فأجاب: ان كان عليه بالمهر كتاب فيه ذكر دين فهو لازم له في الدنيا والآخرة، وإن كان عليه كتاب فيه ذكر الصداق سقط اذا دخل بها، وإن لم يكن عليه كتاب، فاذا دخل بها سقط باقي الصداق.

وسأل فقال: روي لنا عن صاحب العسكر«ع» انه سئل عن الصلاة في الخز الذي يغش بوبر الأرانب فوقع: يجوز، وروي عنه أيضاً: انه لا يجوز، فأي الخبرين يعمل به؟

فأجاب: انما حرم في هذه الأوبار والجلود فاما الأوبار وحدها فكل حلال.

وقد سأل بعض العلماء عن معنى قول الصادق«ع»: لا يصلى في الثعلب ولا في الأرنب، ولا في الثوب الذي يليه، فقال: انما عنى الجلود دون غيرها.

وسأل فقال: يتخذ باصفهان ثياب عتابية على عمل الوشا من قز او ابريسم هل يجوز الصلاة فيها أم لا؟

فأجاب: لا يجوز الصلاة إلا في ثوب سداه او لحمته قطن او كتان.

وسأل: عن المسح على الرجلين وبأيهما يبدأ باليمين او يمسح عليهما جميعاً معاً؟

فأجاب: «ع»: يمسح عليهما معاً فان بدأ بأحدهما قبل الاخرى فلا يبتدىء إلا باليمين.

وسأل: عن صلاة جعفر في السفر هل يجوز أن يصلي أم لا؟

فأجاب: «ع»: يجوز ذلك.

وسأل: عن تسبيح فاطمة«ع»: من سها فجاز التكبير اكثر من اربع وثلاثين هل يرجع إلى أربع وثلاثين أو يستأنف؟ واذا سبح تمام سبعة وستين هل يرجع الى ستة وستين أو يستأنف؟ وما الذي يجب في ذلك؟

فأجاب: اذا سها في التكبير حتى يجوز اربعة وثلاثين عاد الى ثلاثة وثلاثين وبنى عليها، واذا سها في التسبيح فتجاوز سبعاً وستين تسبيحة عاد الى ستة وستين وبنى عليها،فاذا جاوز التحميد مائة فلا شيء عليه.

وعن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري انه قال: خرج التوقيع من الناحية المقدسة حرسها الله- بعد المسائل- :

بسم الله الرحمن الرحيم

لا لأمره تعقلون، حكمة بالغة فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون.

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

اذا اردتم التوجه بنا الى الله والينا، فقولوا كما قال الله تعالى:

«سلام على آل يس»[١]

السلام عليك يا داعي الله ورباني آياته.

السلام عليك ياباب الله وديان دينه.

السلام عليك يا خليفة الله وناصر خلقه.

السلام عليك يا حجة الله ودليل ارادته.

السلام عليك ياتالي كتاب الله وترجمانه

السلام عليك يابقية الله في ارضه.

السلام عليك ياميثاق الله الذي أخذه ووكده.

السلام عليك ياوعد الله الذي ضمنه.

السلام عليك ايها العلم المنصوب والعلم المصبوب ، والغوث والرحمة الواسعة وعداً غير مكذوب.

السلام عليك حين تقعد، السلام عليك حين تقوم.

السلام عليك حين تقرأ وتبين.

السلام عليك حين تصلي وتقنت.

السلام عليك حين تركع وتسجد.

السلام عليك حين تكبر وتهلل.

السلام عليك حين تحمد وتستغفر.

السلام عليك حين تمسي وتصبح.

السلام عليك في الليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى.

السلام عليك ايها الامام المأمون.

السلام عليك ايها المقدم المأمول.

السلام عليك بجوامع السلام.

اشهدك يا مولاي اني اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله لا حبيب إلا هو وأهله، وأشهد أن أمير المؤمنين حجته، والحسن حجته، والحسين حجته، وعلي بن الحسين حجته، ومحمّد بن علي حجته، وجعفر بن محمّد حجته، وموسى بن جعفر حجته، وعلي بن موسى حجته، ومحمّد بن علي حجته، وعلي بن محمّد حجته، والحسن بن علي حجته، وأشهد انك حجة الله.

انتم الأول والآخر، وأن رجعتكم حق لا شك فيها يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً، وأن الموت حق، وأن ناكراً ونكيراً حق، واشهد أن النشر والبعث حق، وأن الصراط والمرصاد حق، والميزان والحساب حق، والجنة والنار حق، والوعد والوعيد بهما حق.

يا مولاي شقي من خالفكم وسعد من أطاعكم.

فاشهد علي ما أشهدتك عليه، وأنا ولي لك بري من عدوك، فالحق ما رضيتموه، والباطل ما سخطتموه، والمعروف ما أمرتم به، والمنكر ما نهيتم عنه فنفسي مؤمنة بالله وحده لا شريك له، وبرسوله، وبأمير المؤمنين، وبأئمة المؤمنين وبكم يا مولاي أولكم وآخركم، ونصرتي معدة لكم، فمودتي خالصة لكم آمين آمين.

الدعاء عقيب هذا القول:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنّي اسألك أن تصلي على محمّد نبي رحمتك وكلمة نورك، وأن تملأ قلبي نور اليقين، وصدري نور الايمان، وفكري نور الثبات، وعزمي نور العلم، وقوتي نور العمل، ولساني نور الصدق، وديني نور البصائر من عندك وبصري نور الضياء وسمعي نور وعي الحكمة، ومودتي نور الموالاة لمحمد وآله«ع»، حتى القاك وقد وفيت بعهدك وميثاقك، فلتسعني رحمتك ياولي ياحميد.

اللهم صلّ على حجتك في ارضك، وخليفتك في بلادك، والداعي إلى سبيلك والقائم بقسطك، والثائر بأمرك، ولي المؤمنين، وبوار الكافرين، ومجلي الظلمة ومنير الحق، والساطع بالحكمة والصدق، وكلمتك التامة في ارضك، المرتقب الخائف والولي الناصح، سفينة النجاة، وعلم الهدى، ونور أبصار الورى، وخير من تقمص وارتدى، ومجلي العمى، الذي يملأ الأرض عدلا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً انك على كل شي قدير.

اللهم صلّ على وليك وابن اوليائك الذين فرضت طاعتهم، واوجبت حقهم واذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً.

اللهم انصر وانتصر به اولياءك واولياءه، وشيعته وانصاره واجعلنا منهم.

اللهم أعذه من كل باغ وطاغ. ومن شر جميع خلقك، واحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، واحرسه ، وامنعه، من ان يوصل اليه بسوء واحفظ فيه رسولك وآل رسولك، وأظهر به العدل وأيده بالنصر، وأنصر ناصريه واخذل خاذليه، واقصم به جبابرة الكفرة، وأقتل به الكفار والمنافقين وجميع الملحدين، حيث كانوا في مشارق الأرض ومغاربها، برها وبحرها ، واملأ به الأرض عدلاً، وأظهر به دين نبيك، وأجعلني اللهم من أنصاره وأعوانه ، وأتباعه وشيعته، وأرني في آل محمّد ما يأملون، وفي عدوهم ما يحذرون إله الحق آمين ياذا الجلال والإكرام، .يا أرحم الراحمين.

ذكر كتاب ورد من الناحية المقدسة- حرسها الله ورعاها- في أيام بقيت من صفر سنة عشرة واربعمائة على ألشيخ المفيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان قدس الله روحه ونور ضريحه، (١) ذكر موصله أنه يحمله من ناحية متصلة بالحجاز، نسخته :-

---

(١) قال الشيخ ابو جعفر الطوسي في رجاله ص ٦١٤ : « محمد بن محمد بن النعمان جليل ثقة وقال في الفهرست ص ١٨٦ : محمد بن محمد بن النعمان المفيد يكنى : (ابا عبد الله) المعروف بابن المعلم من جملة متكلمي الامامية ، انتهت إليه رئاسة الامامية في وقته ، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام ، وكان فقيهاً متقدماً فيه ، حسن الخاطر دقيق الفطنة ، حاضر الجواب ، وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار ، وفهرست كتبه معروف ، ولد سنة (٣٣٨) هـ ، وتوفي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة (٤١٣) هـ وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق . . ثم قال سمعنا منه هذه الكتب كلها ، بعضها قراءة عليه وبعضها يقرأ عليه غير مرة وهو يسمع . . » .

وقال النجاشي ص٣١١ من رجاله : « شيخنا واستاذنارضي الله عنه ،فضله اشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة له كتب - ثم عدله (١٧٤) كتاباً ورسالة ثم قال : - مات رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة (٤١٣) وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة (٣٣٦) وصلى عليه الشريف المرتضى ابو القاسم علي بن الحسين بميدان الاشنان وضاق على الناس مع كبره ودفن في داره سنين ، ونقل الى مقابر قريش بالقرب من السيد ابي جعفر عليه السلام ، ؛ وقيل : مولده سنة (٣٣٨) » .

وقال العلامة الحلي « رحمه الله في القسم الأول من الخلاصة ص (١٤٧) « محمد بن محمد بن النعمان يكنى (أبا عبد الله) يلقب (بالمفيد) وله حكاية في سبب تسميته (بالمفيد) ذكرناها في كتابنا الكبير ، أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية ، أوثق أهل زمانه وأعلمهم ، انتهت رياسة الإمامية إليه في وقته وكان حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب له قريب من مائتي مصنف كبار وصغار ، . . . إلى أن قال : ثم نقل الى مقابر قريش بالقرب من السيد الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام عند الرجلين الى جانب قبر شيخه الصدوق أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه » .

وقال الشيخ عباس القمّي « رحمه الله » في الجزء الثالث من الكنى والالقاب ص ١٦٤ : « أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ابن عبد السلام البغدادي شيخ المشايخ الجلة ،ورئيس الملة ، فخر الشيعة ، ومحيي الشريعة ، ملهم الحق ودليله ومنار الدين وسبيله ، اجتمعت فيه خلال الفضل ، وانتهت إليه رياسة الكل واتفق الجميع على علمه وفضله ، وفقهه وعدالته ، وثقته وجلالته .

كان رحمه الله كثير المحاسن ، جم المناقب ، حديد الخاطر ، حاضر الجواب ، واسع الرواية ، خبير بالأخبار والرجال والأشعار .

وكان اوثق أهل زمانه بالحديث واعرفهم بالفقه والكلام ، وكل من تأخر عنه استفاد منه .

وقال علماء العامة في حقه : « هو شيخ مشايخ الامامية رئيس الكلام والفقه والجدل وكان يناظر اهل كل عقيدة ، وكان كثير الصدقات ، عظيم الخشوع ، كثير الصلاة والصوم ، خشن اللباس ، وكان شيخاً ، ربعة نحيفاً ، أسمر عاش ستاً وسبعين سنة وله اكثر من مائتي مصنف ، كانت جنازته مشهورة شيعه ثمانون الفاً من الرافضة والشيعة ، وأراح الله منه اهل السنة ،=

....

=وكان كثير التقشف والتخشع ، والإكباب على العلم ، وكان يقال له على كل إمامي منه ، وقال الشريف ابو يعلى الجعفري ، وكان تزوج بنت المفيد رحمه الله ـ: ما كان المفيد ينام من الليل الا هجعة ثم يقوم يصلي او يطالع او يدرس او يتلو . وقال ابن النديم : في عهدنا انتهت رياسة متكلمي الشيعة اليه ، مقدم في صناعة الكلام على مذهب اصحابه ، دقيق الفطنة ، ماضي الخاطر ، شاهدته فرأيته بارعاً ـ.

توفي رحمه الله ليلة الثالث من شهر رمضان ببغداد سنة (٤١٣) وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة (٣٣٦) وصلى عليه الشريف المرتضى بميدان الاشنان ثم نقل كلام الشيخ الطوسي المتقدم ثم قال : ورثاه مهيار الديلمي بقصيدة منها قوله

ما بعد يومك سلوة لمعلل ... مني ولا ظفرت بسمع معذل
سوى المصاب بك القلوب على الجوى ... قيد الجليد على حشا المتململ
وتشابه الباكون فيك فلم يبن ... دمع المحق لنا من المتعمل

وتقدم في ابن قولويه ان قبره في البقعة الكاظمية (ع) وذكر جماعة من العلماء منهم المرزا محمد مهدي الشهرستاني في اجازته للسيد ميرزا محمد مهدي ابن ميرزا محمد تقي الطباطبائي التبريزي المتوفى سنة (٢٤١) ان الشيخ المفيد «ره» رثاه صاحب الأمر (عج) حيث وجد مكتوباً على قبره :

لا صوت الناعي بفقدك انه ... يوم على آل الرسول عظيم
ان كنت قد غيبت في جدث الثرى ... فالعدل والتوحيد فيك مقيم
والقائم المهدي يفرح كلما ... تليت عليك من الدروس علوم

أقول : وقصيدة الديلمي هذه التي ذكر منها الشيخ عباس القمي « رحمه الله » ثلاثة ابيات تبلغ (١٠١) بيتاً وهي موجودة في ديوانه المطبوع وفيها يقول :

يا مرسلاً ان كنت مبلغ ميت ... تحت الصفائح قول حي مرسل
فلج الثرى الراوي فقل لمحمد ... عن ذي فؤاد بالفجيعة مشعل
من للخصوم اللد بعدك غصة ... في الصدر لا تهوى ولا هي تعتلي
من للجدال اذا الشفاه تقلصت ... واذا اللسان بريقه لم يبلل
من بعد فقدك رب كل غريبة ... بكر بك افترعت وقولة فيصل
ولغامض خاف رفعت قوامه ... وفتحت منه في الجواب المقفل
من للطروس يصوغ في صفحاتها ... حلياً يقعقع كلما خرس الحلي
يبقين للذكر المخلد رحمة ... لك في فم الراوي وعين المجتلي
أين الفؤاد الندب غير مضعف ... اين اللسان الصعب غير مفلل
تفرى به وتحز كل ضريبة ... ما كل حزة مفصل للمنصل
كم قد ضممت لدين آل محمد ... من شارد وعديت قلب مضلل
وعلقت من ود عليهم ناشط ... لو لم ترضه ملاطفاً لم يعقل
لا تطبيك ملالة عن قوله ... تروى عن المفضول حق الأفضل
فليجزينك عنهم ما لم يزل ... يبلو القلوب ليجتبي وليبتلي
ولتنظرن الى علي رافعاً ... ضبعيك يوم البعث ينظر من عل

ورثاه الشريف المرتضى « رحمه الله » بقصيدة موجودة في ديوانه المطبوع يقول فيها :

إن شيخ الاسلام والدين والعلـ ... ـم تولى فأزعج الاسلاما=

للأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان أدام الله اعزازه، من مستودع العهد المأخوذ على العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد: سلام عليك ايها الولي المخلص في الدين، المخصوص فينا باليقين فانا نحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا ونبينا محمّد وآله الطاهرين، ونعلمك- أدام الله توفيقك لنصرة الحق، وأجزل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق- : انه قد اذن لنا في تشريفك بالمكاتبة، وتكليفك ما تؤديه عنا الى موالينا قبلك، اعزهم الله بطاعته، وكفاهم المهم برعايته لهم وحراسته فقف أيدك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه على ما أذكره، وأعمل في تأديته الى من تسكن اليه بما نرسمه ان شاء الله.

نحن وإن كنا نائين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي اراناه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين فانا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من اخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي اصابكم مذ جنح كثير منكم الى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولو لا ذلك لنزل بكم اللأواء[1] واصطلمكم الأعداء[2] فاتقوا الله جل جلاله وظاهرونا على انتياشكم[3] من فتنة قد انافت عليكم[4] يهلك فيها من

= والذي كان غرة في دجى ... الأيام اودى فاوحش الايام
كم جلوت الشكوك تعرض في نص ... وصي وكم نصرت اماما
وخصوم لد ملأتهم بالحق ... في حومة الخصام خصاما
عاينوا منك مصمماً ثغرة النحر ... وما ارسلت يداك سهاما
وشجاعاً يفري المرائر ما كل ... شجاع يفري الطلا والهاما
من اذا مال جانب من بناء الـ ... ـدين كانت له يداه دعاما
واذا ازور جائر عن هداه ... قاده نحوه فكان زماما
من لفضل اخرجت منه خبيئاً ... ومعان فضضت عنها ختاما
من لسوء ميزت عنه جميلاً ... وحلال خلصت منه حراما
من ينير العقول من بعد ما كن ... همودا وينتج الافهاما
من يعير الصديق رأياً اذا ما ... سله في الخطوب كان حساما
فامض صفراً من العيوب فكم بان ... رجال اثروا عيوبا وذاما

الى أن يقول:

لن تراني وانت في عدد الامـ ... ـوات الا - تجملا - بساما

(١) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة
(٢) اصطلمه: استأصله
(٣) انتاشه من الهلكة: انقذه
(٤) أناف على الشيء طال وارتفع عليه

حم اجله [١] ويحمى عنها من أدرك امله، وهي امارة لازوف حركتنا[٢] ومباثتكم بأمرنا ونهينا، والله متمّ نوره ولو كره المشركون.

اعتصموا بالتقية! من شب نار الجاهلية يحششها[٣] عصب اموية، يهول بها فرقة مهدية، انا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن، وسلك في الطعن منها السبل المرضية، اذا حل جمادى الاول من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه.

ستظهر لكم من السماء آية جلية، ومن الأرض مثلها بالسوية، ويحدث في ارض المشرق ما يحزن ويقلق، ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الاسلام مراق، تضيق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق، ثم تنفرج الغمة من بعد ببوار طاغوت من الأشرار، ثم يستر بهلاكه المتقون الأخيار، ويتفق لمريدي الحج من الآفاق ما يؤملونه منه على توفير عليه منهم واتفاق، ولنا في تيسير حجهم على الإختيار منهم والوفاق شأن يظهر على نظام واتساق.

فليعمل كل امرء منكم بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا فان امرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة والله يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته.

نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام:

هذا كتابنا اليك أيها الأخ الولي، والمخلص في ودنا الصفي والناصر لنا الوفي حرسك الله بعينه التي لا تنام، فاحتفظ به! ولا تظهر على خطنا الذي سطرناه بما له ضمناه أحداً! وادما فيه الى من تسكن اليه، واوص جماعتهم بالعمل عليه ان شاء الله، وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين.

وورد عليه كتاب آخر من قبله صلوات الله عليه، يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة، سنة اثنتي عشرة واربعمائة. نسخته: من عبد الله المرابط في سبيله الى ملهم الحق ودليله.

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله عليك ايها الناصر للحق، الداعي اليه بكلمة الصدق، فانا نحمد الله اليك الذي لا إله إلا هو، إلهنا وإله آبائنا الأولين، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا محمّد خاتم النبيين، وعلى أهل بيته الطاهرين.

وبعد: فقد كنا نظرنا مناجاتك عصمك الله بالسبب الذي وهبه الله لك من أوليائه، وحرسك به من كيد اعدائه، وشفعنا ذلك الآن من مستقر لنا ينصب في شمراخ، من بهماء صرنا اليه آنفاً من غماليل ألجأنا اليه السباريت من الايمان ويوشك ان يكون هبوطنا الى صحصح من غير بعد من الدهر

---

(١) حم اجله: قرب. (٢) الازوف: الاقتراب. (٣) حش النار: اوقدها وهيجها.

ولا تطاول من الزمان ويأتيك نبأ منا يتجدد لنا من حال، فتعرف بذلك ما نعتمده من الزلفة الينا بالأعمال، والله موفقك لذلك برحمته، فلتكن حرسك الله بعينه التي لا تنام ان تقابل لذلك فتنة تسل نفوس قوم حرثت باطلا لاسترهاب المبطلين يبتهج لدمارها المؤمنون، ويحزن لذلك المجرمون، وآية حركتنا من هذه اللوثة حادثة بالحرم المعظم من رجس منافق مذمم، مستحل للدم المحرم، يعمد بكيده اهل الايمان ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم والعدوان، لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء، فلتطمئن بذلك من أوليائنا القلوب، وليتقوا بالكفاية منه، وان راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب.

ونحن نعهد اليك ايها الولي المخلص المجاهد فينا الظالمين أيدك الله بنصره الذي أيد به السلف من أوليائنا الصالحين، انه من اتقى ربه من اخوانك في الدين واخرج مما عليه الى مستحقيه، كان آمناً من الفتنة المبطلة، ومحنها المظلمة المظلة ومن بخل منهم بما اعاره الله من نعمته على من أمره بصلته، فانه يكون خاسراً بذلك لأولاه وآخرته، ولو ان اشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا. ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلاته على سيدنا البشير النذير محمّد وآله الطاهرين وسلم.

وكتب في غرة شوال من سنة اثنتي عشرة واربعمائة نسخة التوقيع باليد العليا صلوات الله على صاحبها:

هذا كتابنا إليك أيها الولي الملهم للحق العلي، باملائنا وخط ثقتنا، فاخفه عن كل احد، واطوه واجعل له نسخة تطلع عليها من تسكن الى أمانته من اوليائنا شملهم الله ببركتنا ان شاء الله.

الحمد لله والصلاة على سيدنا محمّد النبي وآله الطاهرين.

إحتجاج الشيخ المفيد السديد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه.

حدث الشيخ ابو علي الحسن بن محمّد الرقي[1] بالرملة في شوال من سنة ثلاث وعشرين واربعمائة عن الشيخ المفيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان (ر ه) انه قال:

رأيت في المنام سنة من السنين كأني قد اجتزت في بعض الطرق فرأيت حلقة دائرة فيها ناس كثير، فقلت:

ما هذا؟

قالوا: هذه حلقة فيها رجل يقص.

فقلت: من هو؟

---

(١) لم اعثر له على ترجمة.

قالوا: عمر بن الخطاب.

ففرقت الناس ودخلت الحلقة، فاذا أنا برجل يتكلم على الناس بشي لم احصله فقطعت عليه الكلام، وقلت:

أيها الشيخ أخبرني ما وجه الدلالة على فضل صاحبك أبي بكر عتيق ابن أبي قحافة من قول الله تعالى: «ثاني اثنين اذهما في الغار»؟ (١)

فقال: وجه الدلالة على فضل أبي بكر من هذه الآية في ستة مواضع:

الأول: ان الله تعالى ذكر النبي«ص» وذكر أبا بكر فجعله ثانيه، فقال: «ثاني اثنين اذهما في الغار».

والثاني: انه وضعهما بالاجتماع في مكان واحد، لتأليفه بينهما فقال: «اذ هما في الغار».

والثالث: انه اضاف اليه يذكر الصحبة ليجمعه بينهما بما يقتضي الرتبة، فقال: «اذ يقول لصاحبه».

والرابع: انه أخبر عن شفقة النبي صلى الله عليه وآله عليه ورفقه به لموضعه عنده فقال: «لا تحزن».

والخامس: انه اخبر ان الله معهما على حد سواء ناصراً لهما ودافعاً عنهما فقال: «ان الله معنا».

والسادس: انه اخبر عن نزول السكينة على أبي بكر لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم تفارقه السكينة قط، فقال: «فانزل الله سكينته عليه».

فهذه ستة مواضع تدل على فضل أبي بكر من آية الغار، لا يمكنك ولا لغيرك الطعن فيها.

فقلت له: حبرت بكلامك في الاحتجاج لصاحبك عنه، واني بعون الله سأجعل جميع ما أتيت به كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

أما قولك: ان الله تعالى ذكر النبي«ص» وجعل أبا بكر ثانيه، فهو اخبار عن العدد، لعمري لقد كانا اثنين، فما في ذلك من الفضل؟! ونحن نعلم ضرورة ان مؤمنا ومؤمناً، أو مؤمناً وكافراً، اثنان فما أرى لك في ذكر العدد طائلا تعتمده.

واما قولك: انه وصفهما بالاجتماع في المكان، فانه كالأول لأن المكان يجمع المؤمن والكافر كما يجمع العدد المؤمنين والكفار، وايضاً: فان مسجد النبي«ص» أشرف من الغار، وقد جمع المؤمنين والمنافقين والكفار، وفي ذلك قوله عز وجل: «فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين»(٢) وايضاً: فان سفينة نوح قد جمعت النبي، والشيطان، والبهيمة، والكلب، والمكان لايدل على

---

(١) التوبة: ٤١.

(٢) المعارج: ٣٧.

ما أوجبت من الفضيلة، فبطل فضلان.

وأما قولك: انه اضاف إليه بذكر الصحبة، فانه أضعف من الفضلين الأولين: لأن اسم الصحبة يجمع بين المؤمن والكافر، والدليل على ذلك قوله تعالى: «قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا»[١] وايضاً: فان اسم الصحبة تطلق بين العاقل وبين البهيمة، والدليل على ذلك من كلام العرب الذي نزل القرآن بلسانهم، فقال الله عز وجل: «وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه»[٢] انهم سموا الحمار صاحباً فقالوا:

ان الحمار مع الحمار مطية   فاذا خلوت به فبئس الصاحب

وايضاً: قد سموا الجماد مع الحي صاحباً، قالوا ذلك في السيف شعراً:

زرت هنداً وذاك غير اختيان   ومعي صاحب كتوم اللسان

يعني: السيف، فاذا كان اسم الصحبة يقع بين المؤمن والكافر، وبين العاقل والبهيمة، وبين الحيوان والجماد، فأي حجة لصاحبك فيه؟!

واما قولك: انه قال: «لاتحزن» فانه وبال عليه ومنقصه له، ودليل على خطئه، لأن قوله: «لا تحزن» فهي وصورة النهي قول القائل: (لا تفعل) لا يخلو أن يكون الحزن وقع من أبي بكر طاعة او معصية، فان كان(طاعة) فان النبي صلى الله عليه وآله لا ينهى عن الطاعات بل يأمر بها ويدعو اليها، وان كان (معصية) فقد نهاه النبي صلى الله عليه وآله عنها، وقد شهدت الآية بعصيانه بدليل انه نهاه.

وأما قولك: انه قال: «ان الله معنا» فان النبي صلى الله عليه وآله قد اخبر ان الله معه، وعبر عن نفسه بلفظ الجمع، كقوله: «انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون»[٣] وقيل أيضاً في هذا: ان أبا بكر قال: «يارسول الله حزني على أخيك علي بن أبي طالب ما كان منه» فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «لاتحزن ان الله معنا» أي: معي ومع أخي علي بن أبي طالب«ع».

وأما قولك: إنّ السكينة نزلت على أبي بكر، فانه ترك للظاهر: لأن الذي نزلت عليه السكينة هو الذي أيده بالجنود، وكذا يشهد ظاهر القرآن في قوله:

«فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها»[٤] فان كان ابو بكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود، وفي هذا اخراج للنبي صلى الله عليه وآله من النبوة على ان هذا الموضع لو كتمته عن صاحبك كان خيراً، لأن الله تعالى انزل السكينة على النبي صلى الله عليه وآله في موضعين كان معه قوم مؤمنون فشركهم فيها، فقال ـ في احد الموضعين ـ: «فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى»[٥] وقال في الموضع الآخر: «انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم

(١) الكهف: ٣٥.
(٢) ابراهيم: ٤
(٣) الحجر: ٩
(٤) التوبة: ٤١.
(٥) الفتح: ٢٦.

تروها»[1] ولما كان في هذا الموضع خصه وحده بالسكينة قال: «فانزل الله سكينته عليه» فلو كان معه مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من ذكرنا قبل هذا من المؤمنين، فدل اخراجه من السكينة على خروجه من الايمان، فلم يحر جواباً وتفرق الناس واستيقظت من نومي.

احتجاج السيد الاجل علم الهدى المرتضى أبي القاسم علي رضي الله عنه وارضاه على أبي العلاء المعري الدهري في جواب ما سأل عنه مرموزا [2].

---

(١) التوبة: ٢٧

(٢) قال الشيخ الطوسي «ره» في رجاله ص ٤٨٤: «علي بن الحسين الموسوي يكنى: أبا القاسم، الملقب بالمرتضى ذو المجدين علم الهدى ادام الله تعالى أيامه اكثر أهل زمانه ادبا وفضلا متكلم فقيه جامع للعلوم كلها مد الله في عمره، يروي عن التلعكبري والحسين بن علي بن بابويه وغيرهم من شيوخنا، له تصانيف كثيرة ذكرنا بعضها في الفهرست، وسمعنا منه اكثر كتبه وقرأناها عليه».

وقال في الفهرست ص ١٢٥: «علي بن الحسين بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام كنيته: (ابو القاسم) لقبه (علم الهدى) الأجل المرتضى رضي الله عنه، متوحد في علوم كثيرة مجمع على فضله مقدم في العلوم، مثل علم الكلام والفقه واصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعانى الشعر واللغة وغير ذلك، له ديوان شعر يزيد على عشرين الف بيت وله من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير،مشتمل على ذلك فهرسته المعروف، غير انى اذكر اعيان كتبه وكبارها، ثم عدد قسماً من مؤلفاته ثم قال ـ: توفي في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين واربعمائة وكان مولده في رجب سنة خمس وخمسين وثلثمائة وسنة يومئذٍ وثمانون سنة وثمانية اشهر وايام نضر الله وجهه ـ قرأت هذه الكتب اكثرها عليه وسمعت سائرها عليه دفعات كثيرة».

وقال النجاشي ص ٢٠٦: «علي بن الحسين بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ابو القاسم المرتضى، حاز من العلوم ما لم يدانيه فيه احد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلماً شاعراً، اديباً عظيم المزلة في العلم والدين والدنيا، صنف كتبا ثم عدد قسماً من مؤلفاته ثم قال ـ: مات رضي الله عنه لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين واربعمائة وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها، وتوليت غسله ومعي الشريف ابو يعلي محمد ابن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز».

وقال العلامة الحلي «رحمه الله» في القسم الأول من الخلاصة ص ٩٤: «علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، ابو القاسم المرتضى ذو المجدين علم الهدى «رضي الله عنه» متوحد في علوم كثيرة، مجمع على فضله مقدم في علوم مثل: علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب من النحو والشعر واللغة وغير ذلك، وله ديوان شعر يزيد على عشرين الف بيت، وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين واربعمائة وكان مولده سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في رجب، ويوم توفي كان عمره ثمانين سنة وثمانية اشهر وايام، نضر الله وجهه، وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها وتولى غسله ابو احمد الحسين بن العباس النجاشي ومعه الشريف ابو يعلي محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز الديملي، وله مصنفات كثيرة ذكرناها في كتابنا الكبير، وبكتبه استفادت الامامية منذ زمنه «رحمه الله» الى زماننا هذا وهو سنة ثلاث وتسعين وستمائة وهو ركنهم ومعلمهم قدس الله روحه وجزاه عن اجداده خيرا».

وقال الشيخ عباس القمي في ج ٢ من الكنى والالقاب ص ٤٣٩:

«هو سيد علماء الامة، ومحيي آثار الأئمة، ذو المجدين ابو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم عليم السلام، المشهور بالسيد المرتضى الملقب من جده (ع) في الرؤية الصادقة السيماء بـ (علم الهدى).

جمع من العلوم ما لم يجمعه احد، وحاز من الفضائل ما تفرد به وتوحد، واجمع على فضله المخالف والمؤالف، كيف لا وقد اخذ من المجد طرفيه، واكتسى بثوبيه وتردى ببرديه، متوحد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدم في العلوم مثل: علم الكلام، والفقه، واصول الفقه، والأدب، والنحو والشعر، واللغة وغير ذلك له تصانيف مشهورة منها: (الشافي) في الامامة لم يصنف مثله في الامامة و(والذخيرة) و(جمل العلم والعمل) و(الذريعة) و(شرح القصيدة البديعة) وكتاب (الطيف والخيال) وكتاب (الشيب والشباب) وكتاب (الغرر والدرر) والمسائل الكثيرة وله ديوان شعر يزيد على عشرين الف بيت الى غير ذلك.

قال آية الله العلامة: (وبكتبه استفادت الامامية منذ زمنه رحمه الله الى زماننا هذا وهو سنة ٦٩٣ وهو ركنهم ومعلمهم قدس الله روحه وجزاه عن اجداده خيراً).

=

. . . .

= وذكره الخطيب في تاريخ بغداد واثنى عليه وقال: (كتبت عنه وعن جامع الاصول انه عده ابن الاثير من مجددي مذهب الإمامية في رأس المائة الرابعة).

«هنا» فوائد «الأول» قال ابن خلكان ـ في وصف علم الهدى ـ: كان نقيب الطالبيين وكان اماماً في علم الكلام والادب والشعر، وهو اخو الشريف الرضي، وله تصانيف على مذهب الشيعة، ومكالمة في اصول الدين، وله الكتاب الذي سماه (الغرر والدرر) وهي مجالس املاها تشتمل على فنون من معاني الأدب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك وهو كتاب ممتع يدل على فضل كثير وتوسع في الاطلاع على العلوم وذكره ابن بسام في اواخر كتاب الذخيرة فقال: كان هذا الشريف امام أئمة العراق اليه فزع علماؤها، ومنه اخذ عظماؤها: صاحب مدارسها، وجماع شاردها وآنسها، ممن سارت اخباره، وعرفت به اشعاره وتصانيفه في احكام المسلمين، مما يشهد انه فرع تلك الاصول، ومن ذلك البيت الجليل، واورد له عدة مقاطع. وحكى الخطيب التبريزي ان ابا الحسن علي بن احمد الغالي الأديب كانت له كتاب نسخة الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة الى بيعها فأشتراها الشريف المرتضى ابو القاسم المذكور بستين ديناراً وتصفحها فوجد بها ابياتاً بخط بايعها أبي الحسن الفالي المذكور وهي:

انست بها عشرين حولا وبعتها ... لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني انني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم املك سوابق عبرة ... مقالة مكوي الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا ام مالك ... كرائم من رب بهن ضنين

فارجع النسخة اليه وترك الدنانير رحمه الله تعالى) (إنتهى ملخصاً).

«الثاني» قال الشهيد رحمه الله في ـ محكي اربعينه ـ: نقلت من خط السيد العالم صفي الدين محمد بن معد الموسوي بالمشهد المقدس الكاظمي في سبب تسمية السيد المرتضى بعلم الهدى: انه مرض الوزير ابو سعيد محمد بن الحسين بن عبد الصمد في سنة عشرين واربعمائه فرأى في منامه امير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يقول: قل لعلم الهدى يقرأ عليك حتى تبرأ فقال: يا أمير المؤمنين ومن علم الهدى؟ قال (ع): علي بن الحسين الموسوي فكتب الوزير اليه بذلك، فقال المرتضى رضي الله عنه: الله الله في امري فان قبولي لهذا اللقب شناعة علي فقال الوزير: ما كتبت اليك الا بما لقبك به جدك امير المؤمنين(ع)، فعلم القادر الخليفة بذلك فكتب الى المرتضى (تقبل يا علي بن الحسين ما لقبك به جدك) فقبل واسمع الناس.

«الثالث» قال صاحب رياض العلماء: ونقل عن خط الشهيد الثاني «رحمه الله» على ظهر كتاب الخلاصة: انه كان السيد المرتضى معظماً عند العام والخاص ونقل عن الشيخ عز الدين احمد بن مقبل يقول: لو حلف انسان ان السيد المرتضى كان اعلم بالعربية من العرب لم يكن عندي آثماً. وقد بلغني عن شيخ من شيوخ الأدب بمصر:

انه قال: والله اني استفدت من كتاب الغرر مسائل لم اجدها في كتاب سيبويه ولا غيره من كتب النحو وكان نصير الدين الطوسي «رحمه الله» اذا جرى ذكره في درسه يقول: «صلوات الله عليه» ويلتفت الى القضاة والمدرسين الحاضرين درسه ويقول: «كيف لا يصلى على المرتضى».

وذكر المعري اسم المرتضى والرضي ومدحهما في طي مرثيته لوالدهما في ديوان السقط ومن ابيات تلك المرثية:

أبقيت فينا كوكبين سناهما ... في الصبح والظلماء ليس يخاف

وقال أيضاً:

ساوى الرضي والمرتضى وتقاسما ... خطط العلى بتناصف ونصاف

«الرابع» قال شيخنا البهائي في كشكوله: كان للشيخ أبي جعفر الطوسي أيام قراءته على السيد المرتضى (ره) كل شهر اثنا عشر ديناراً ولابن البراج كل شهر ثمانية دنانير وكان السيد المرتضى يجري على تلامذته . . . وكان السيد رحمه الله نحيف الجسم وكان يقرأ مع اخيه الرضي على أبن نباته صاحب الخطب وهما طفلان وحضر المفيد مجلس السيد يوماً فقام من موضعه واجلسه فيه وجلس بين يديه، فاشار المفيد بأن يدرس في حضوره وكان يعجبه كلامه اذا تكلم، وكان السيد قد وقف قرية على كافة الفقهاء، وحكاية رؤية المفيد في =

دخل أبو العلاء المعري (١) على السيد المرتضى قدس الله روحه فقال:

أيها السيد، ما قولك في الكل؟

قال السيد: ما قولك في الجزء؟

فقال: ما قولك في الشعرى؟

فقال: ما قولك في التدوير؟

قال: ما قولك في عدم الانتهاء؟

قال: ما قولك في التحيز والناعورة؟

فقال: ما قولك في السبع؟

فقال: ما قولك في الزايد البري من السبع؟

فقال: ما قولك في الأربع؟

فقال: ما قولك في الواحد والاثنين؟

= المنام فاطمة الزهراء عليها السلام وانها اتت بالحسن والحسين ومجيء فاطمة بنت الناصر بولديها الرضي والمرتضى في صبيحة ليلة المنام وقولها له: علم ولدي هذين مشهورة.

«الخامس» توفي السيد المرتضى «رضي الله عنه» لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦، وصلي عليه في داره ودفن فيها ثم نقل الى جوار جده أبي عبد الله الحسين (ع).

«السادسة» حكي عن القاضي التنوخي صاحب السيد المرتضى انه قال: ولد السيد سنة ٣٥٥ وخلف بعد وفاته ثلاثين ألف مجلد من مقروءاته ومصنفاته ومحفوظاته، ومن الأموال والأملاك ما يتجاوز عن الوصف وصنف كتابا يقال له الثمانين وخلف من كل شيء ثمانين، وعمر احدى وثمانين سنة، من اجل ذلك سمي الثمانيني، وبلغ في العلم وغيره مرتبة عظيمة قلد نقابة الشرفاء شرقاً وغرباً وامارة الحاج والحرمين، والنظر في المظالم وقضاء القضاة، وبلغ على ذلك ثلاثين سنة».

(١) اختلف في عقيدة أبي العلاء المعري فقيل: انه كان ملحداً ومات كذلك. وقيل: انه كان مسلماً موحداً. وقيل انه كان ملحداً ثم اسلم.

وهذا القول الأخير يعززه ما قرأته في ديوان عبد المحسن الصوري «رحمه الله» المتوفى سنة ٤١٩. (المخطوط في مكتبه الأديب الفاضل الشيخ محمد هادي الأميني- حفظه الله) من قوله:

نجى المعري من العار ومن شناعات واخبار
وافقني امس على انه يقول بالجنة والنار
وانه لا عاد من بعدها يصبو الى مذهب بكار

واسم أبي العلاء المعري (احمد) بن عبد الله بن سليمان.

قال الشيخ عباس القمي في ترجمته ج ٣ من الكنى والألقاب ص ٦١: «الشاعر الأديب الشهير، كان نسيج وحده بالعربية ضربت اباط الابل اليه، وله كتب كثيرة وكان اعمى ذا فطانة، وله حكايات من ذكائه وفطانته. حكي انه لما سمع فضائل الشريف السيد المرتضى اشتاق الى زيارته. فحضر مجلس السيد وكان سيد المجالس فجعل يخطو ويدنو الى السيد فعثر على رجل فقال الرجل: من هذا الكلب؟ فقال المعري: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما. فلما سمع الشريف ذلك منه قربه وادناه فامتحنه فوجده وحيد عصره واعجوبة دهره. فكان ابو العلاء يحضر مجلس السيد وعد من شعراء مجلسه...».

فقال: ما قولك في المؤثر؟

فقال: ما قولك في المؤثرات؟

فقال: ما قولك في النحسين؟

فقال: ما قولك في السعدين؟ فبهت ابو العلاء.

(قال): فقال السيد المرتضى قدس الله روحه ـ عند ذلك ـ ألا كل ملحد ملهد!

فقال أبو العلاء: من اين اخذته؟

قال: من كتاب الله «يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم»[١].

وقام وخرج فقال السيد رضي الله عنه: قد غاب عنا الرجل وبعد هذا لا يرانا.

فسئل السيد (ر ه) عن كشف هذه الرموز والاشارات فقال:

سألني عن الكل، وعنده الكل قديم، ويشير بذلك الى عالم سماه (العالم الكبير) فقال: ما قولك فيه؟ اراد انه قديم.

فأجبته عن ذلك وقلت له: ما قولك في الجزء؟ لأن عندهم الجزء (محدث) وهو متولد عن (العالم الكبير) وهذا الجزء عندهم هو (العالم الصغير) وكان مرادي بذلك: انه اذا صح ان هذا العالم محدث، فذلك الذي اشار اليه ان صح فهو محدث أيضاً، لأن هذا من جنسه على زعمه، والشيء الواحد لا يكون بعضه قديماً وبعضه محدثاً، فسكت لما سمع ما قلته.

وأما الشعرى: اراد أنها ليست من الكواكب السيارة.

فقلت له: ما قولك في التدويرات؟ أردت (الفلك) في التدويرات والدوران والشعرى لا يقدح في ذلك.

واما عدم الانتهاء. أراد بذلك ان العالم لا ينتهي لانه قديم.

فقلت له: قد صح عندي (التحيز والتدوير) وكلاهما يدلان على الانتهاء واما السبع: اراد بذلك (النجوم السيارة) التي عندهم ذوات الأحكام فقلت له: هذا باطل بالزايد البري الذي يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحكم منوطاً بهذه الكواكب السيارة، التي هي: (الزهرة، والمشتري، والمريخ وعطارد، والشمس، والقمر، وزحل).

وأما الأربع أراد بها (الطبايع)[٢].

---

(١) لقمان: ١٣.

(٢) أي: العناصر الأربعة على رأي الفلسفة القديمة وهي: (التراب، والنار والماء والهواء).

فقلت له: في الطبيعة الواحدة النارية يتولد منها دابة بجلدها تمس الأيدي ثم يطرح ذلك الجلد على النار فتحرق الزهومات، فيبقى الجلد صحيحاً، لأن الدابة خلقها الله على طبيعة النار والنار لا تحرق النار، والثلج أيضاً تتولد فيه الديدان وهو على طبيعة واحدة، والماء في البحر على طبيعتين يتولد منه السموك والضفادع، والحيات، والسلاحف، وغيرها. وعنده لا يحصل الحيوان الا بالأربع فهذا مناقض بهذا.

وأما المؤثر، اراد به (الزحل)

فقلت له: ما قولك في المؤثرات أردت بذلك: ان المؤثرات كلهن عنده مؤثرات، فالمؤثر القديم كيف يكون مؤثراً؟!

وأما النحسين: أراد بهما: انهما من النجوم السيارة، اذا اجتمعا يخرج من بينهما سعد.

فقلت له: ما قولك في السعدين؟ اذا اجتمعا خرج من بينهما نحس، هذا حكم ابطله الله تعالى، ليعلم الناظر ان الأحكام لا يتعلق بالمسخرات، لأن الشاهد يشهد ان (العسل والسكر) اذا اجتمعا لا يحصل منهما (الحنظل و(العلقم والحنظل) اذا اجتمعا لا يحصل منهما (الدبس والسكر) هذا دليل على بطلان قولهم.

واما قولي ألا كل ملحد ملهد، اردت: ان كل مشرك ظالم، لأن في اللغة: الحد الرجل اذ عدل من الدين، والهد اذا ظلم، فعلم ابو العلاء ذلك واخبرني عن علمه بذلك، فقرأت: «يابني لا تشرك بالله الآية».

وقيل: ان المعري لما خرج عن العراق سئل عن السيد المرتضى (ر ه) فقال:

يـاسـائـلي عنه لمـا جئت اسألـه	ألا هـو الـرجـل العـاري من العـار
لـو جئتـه لرأيت النـاس في رجـل	والـدهـر في سـاعـة الأرض في دار

إحتجاجه قدس الله روحه في التعظيم والتقديم لأئمتنا عليهم السلام على سائر الورى ما عدا نبينا عليه السلام بطريقة لم يسبقه إليها أحد ذكرها في رسالته الموسومة بالرسالة الباهرة في فضل العترة الطاهرة.

قال: ومما يدل ايضاً على تقديمهم وتعظيمهم على البشر: ان الله تعالى دلنا على ان المعرفة بهم كالمعرفة به تعالى، في انها: (ايمان واسلام) وان الجهل بهم والشك فيهم كالجهل به والشك فيه، في انه (كفر وخروج من الايمان) وهذه منزلة ليس لأحد من البشر الا لنبينا صلى الله عليه وآله، وبعده لأمير المؤمنين والأئمة من ولده «ع»، لأن المعرفة بنبوة الأنبياء المتقدمين من آدم الى عيسى «ع» غير واجبة علينا، ولا تعلق لها بشيء من تكاليفنا، ولو لا أن القرآن ورد بنبوة من سمي فيه من الأنبياء المتقدمين فعرفناهم تصديقاً للقرآن. وإلا فلا وجه لوجوب معرفتهم علينا، ولا تعلق لها بشي من احوال تكاليفنا.

وبقي علينا ان ندل على الأمر على ما ادعيناه.

والذي يدل على ان المعرفة بامامة من ذكرناه «ع» من جملة الايمان وان الاخلال بها كفر ورجوع عن الايمان: (اجماع) الشيعة الامامية على ذلك فانهم لا يختلفون فيه، واجماعهم حجة، بدلالة ان قول الحجة المعصوم الذي قد دلت العقول على وجوده في كل زمان في جملتهم وفي زمرتهم، وقد دللنا على هذه الطريقة في مواضع كثيرة من كتبنا، واستوفينا ذلك في جواب المسائل التبانيات خاصة، وفي كتاب نصرة ما انفردت به الشيعة الامامية من المسائل الفقهية، فان هذا الكتاب مبني على صحة هذا الأصل.

ويمكن أن يستدل على وجوب المعرفة بهم «ع»(باجماع الامة) مضافا الى ما بيناه من اجماع الامامية.

وذلك: ان جميع اصحاب الشافعي يذهبون الى ان الصلاة على نبينا في التشهد الأخير فرض واجب، وركن من اركان الصلاة متى اخل بها الانسان فلا صلاة له واكثرهم يقول: ان الصلاة في هذا التشهد على آل النبي عليهم الصلاة والسلام في الوجوب واللزوم ووقوف أجزاء الصلاة عليهم كالصلاة على النبي «ص».

والباقون منهم يذهبون: الى أنّ الصلاة على الآل مستحبة وليست بواجبه فعلى القول الأول لابد لكل من وجبت عليه الصلاة من معرفتهم من حيث كان واجبا عليه الصلاة عليهم، فان الصلاة عليهم فرع على المعرفة بهم، ومن ذهب الى أنّ ذلك مستحب فهو من جملة العبادة، وان كان مسنوناً مستحباً، والتعبدية يقتضي التعبد بما لا يتم الا به المعرفة.

ومن عدى اصحاب الشافعي لا يفكرون أنّ الصلاة على النبي وآله«ص» في التشهد مستحبة، وأي شبهة تبقى مع هذا في انهم «ع» افضل الناس وأجلهم وذكرهم واجب في الصلاة، وعند أكثر الامة من الشيعة الامامية، وجمهور اصحاب الشافعي: ان الصلاة تبطل بتركه، وهل مثل هذه الفضيلة لمخلوق سواهم او يتعداهم.

ومما يمكن الاستدلال به على ذلك: أنّ الله تعالى قد ألهم القلوب وغرس في كل النفوس تعظيم شأنهم، واجلال قدرهم، على تباين مذاهبهم، واختلاف دیانتهم ونحلهم، وما اجمع هؤلاء المختلفون والمتباينون مع تشتت الأهواء وتشعب الآراء على شيء كاجماعهم على تعظيم من ذكرنا واكباره فانهم يزورون قبورهم ويقصدون من شاحط البلاد وشاطها مشاهدهم، ومدافنهم، والمواضع التي رسمت بصلاتهم فيها، وحلولهم بها، وينفقون في ذلك الاموال، ويستنفدون الأحوال.

فقد اخبرني من لا احصيه كثرة أن أهل نيشابور ومن والاها من تلك البلدان يخرجون في كل سنة الى طوس لزيارة الامام أبي الحسن علي بن موسى الرضا صلوات الله عليهما بالجمال الكثيرة، والاهب التي لا يوجب مثلها الا للحج الى بيت الله الحرام، هذا مع ان المعروف من انحراف أهل خزاسان عن هذه الجهة، وازورارهم عن هذا الشعب، وما تسخير هذه القلوب القاسية، وعطف هذه الامم النائية، إلا كالخارقات للعادات، والخارج عن الامور والمألوفات، والا فما الحامل للمخالفين لهذه النحلة،

المنحازين عن هذه الجملة، على ان يراوحوا هذه المشاهد ويغادوها، ويستنزلوا عندها من الله تعالى الأرزاق ، ويستفتحوا بها الاغلاق ، ويطلبوا ببركتها الحاجات، ويستدفعوا البليات، والأحوال الظاهرة كلها لا توجب ذلك، ولا تقتضيه ولا تستدعيه، والافعلوا ذلك فيمن يعتقدون هم أو اكثرهم إمامته وفرض طاعته، وانه في الديانة موافق لهم غير مخالف ، ومساعد غير معاند، ومن المحال أن يكونوا فعلوا ذلك لداع من دواعي الدنيا، فان الدنيا عند غير هذه الطائفة موجودة، وعندها هي مفقودة. ولا لتقية واستصلاح، فان التقية هي فيهم لا منهم، ولا خوف من جهتهم، ولا سلطان لهم ، وكل خوف انما هو عليهم ، فلم يبق الا داعي الدين، وذلك هو الأمر الغريب العجيب الذي لا تنفذ في مثله الامشية الله ، وقدرة القهار التي تذلل الصعاب، وتقود بأزمتها الرقاب.

وليس لمن جهل هذه المزية أو تجاهلها أو تعامى عنها وهو يبصرها ، ان يقول: ان العلة في تعظيم غير فرق الشيعة لهؤلاء القوم ليست ما عظمتموه وفخمتموه وادعيتم خرقه للعادة وخروجه عن الطبيعة، بل هي لأن هؤلاء القوم عن عترة النبي «ص»، وكل من عظم النبي«ص» فلابد أن يكون لعترته وأهل بيته معظماًومكرماً، واذا انضاف الى القرابة الزهد، وهجر الدنيا والعفة والعلم ، زاد الاجلال والاكرام لزيادة أسبابها.

والجواب عن الشبهة الضعيفة: ان قد شارك أئمتنا (ع) في نسبهم وحسبهم وقرابتهم من النبي«ص» غيرهم، وكانت لكثير منهم عبادات ظاهرة وزهادة في الدنيا بادية وسمات جميلة، وصفات حسنة، من ولد أبيهم عليه وآله السلام ومن ولد عمهم العباس رضوان الله عليهم، فما رأينا من الاجماع على تعظيمهم، وزيارة مدافنهم، والاستشفاع بهم في الأغراض والاستدفاع بمكانهم للاغراض والأمراض، ما وجدنا مشاهداً معايناً في هذا الاشتراك، والا فمن الذي اجمع على فرط اعظامه وإجلاله من ساير صنوف العترة، يجري في هذا الحال مجرى الباقر والصادق والكاظم والرضا صلوات الله عليهم اجمعين، لأن من عدا من ذكرنا من صلحاء العترة وزهادها ممن يعظمه فريق من الامة ويعرض عنه فريق، ومن عظم منهم وقدمه لا ينتهي في الاجلال والاعظام إلى الغاية التي ينتهي اليها فيمن ذكرناه ولو لا أن تفصيل هذه الجملة ملحوظ معلوم لفصلناها على طول ذلك، ولسمينا من كنينا عنه، ونظرنا بين كل معظم مقدم من العترة، ليعلم أنَّ الذي ذكرناه هو الحق الواضح وما عداه هو الباطل الماضح[1].

وبعد: فمعلوم ضرورة إنّ الباقر والصادق ومن وليهما من أئمة ابنائهما«ع» كانوا في الديانة والاعتقاد وما يفتون به من حلال وحرام على خلاف ما يذهب اليه مخالفوا الامامية، وان ظهر شك في ذلك كله فلا شك ولا شبهة على منصف في انهم لم يكونوا على مذاهب الفرق المختلفة المجمعة على تعظيمهم والتقرب الى الله تعالى بهم، وكيف يعترض ريب فيما ذكرناه؟! ومعلوم ضرورة أن شيوخ الامامية وسلفهم في ذلك الأزمان كانوا بطانة للباقر وللصادق صلوات الله عليهما ومن وليهما أجمعين السلام، وملازمين لهم متمسكين بهم ومظهرين ان كل شيء يعتقدونه وينتحلونه ويصححونه أو يبطلونه

---

(١) الماضح: المشين المعيب.

فعنهم تلقوه ومنهم اخذوه، فلو لم يكونوا«ع»بذلك راضين وعليه مقرين لأبوا عليهم نسبة تلك المذاهب اليهم، وهم منها بريئون خليون، ولنفوا ما بينهم من مواصلة ومجالسة، وملازمة وموالاة، ومصافاة، ومدح واطراء وثناء ، ولأبدلوه، باللوم والذم، والبراءة والعداوة ، فلو لم يكن انهم«ع» لهذه المذاهب معتقدون وبها راضون، لبان لنا واتضح، ولو لم يكن الا هذه الدلالة لكفت وأغنت، وكيف يطيب قلب عاقل، أو يسوغ في الدين لأحد: ان يعظم في الدين من هو على خلاف ما يعتقد انه الحق وما سواه باطل، ثم ينتهي في التعظيمات والكرامات إلى أبعد الغايات وأقصى النهايات، وهل جرت بمثل ذلك عادة؟ أو مضت عليه سنة؟ أو لا يرون أنَّ الامامية لا تلتفت إلى من خالفها من العترة، وحاد عن جادتها في الديانة، ومحجتها في الولاية ،ولا تسمح له بشيء من المدح والتعظيم، فضلا عن غايته واقصى نهايته، بل تبرأ منه وتعاديه ، وتجريه في جميع الأحكام مجرى من لانسب له ولا حسب، ولا قرابة ولا علقة، وهذا يوقظ على ان الله تعالى خرق في هذه العصابة العادات، وقلب الجبلات ، ليبين من عظيم منزلتهم، وشريف مرتبتهم، وهذه فضيلة تزيد على الفضائل، وتوفي على جميع الخصائص والمناقب، وكفى به برهاناً لائحاً، وحجاباً راجحاً.

قطعنا هذا الكتاب على كلام السيد علم الهدى قدس الله روحه،والحمد لله رب العالمين، والصلاة على خير خلقه محمّد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

محتويات الكتاب

فهرس الهوامش

فهرس الجزء الثاني

فهرس الهوامش

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير تلفون ٢٩٠١٣٢ - ٢٢٨٢٤٦ بيروت - لبنان